

الجلال السِّنْدِيَّة

في الأخبار والآثار الأندلسية

وهي معلمة أندلسية تحيط بكل ما جاء عن ذلك الفردوس المفقود

بمقتل
الأمير شكيب أرسلان
من أعضاء المجمع العلمي العربي
وفقه الله ليأرضاه

الجزء الأول

١٣٥٥ هـ الطبعة الأولى ١٩٣٦ م

حقوق هذه الطبعة محفوظة للناس

محمد المهدي الحبابي

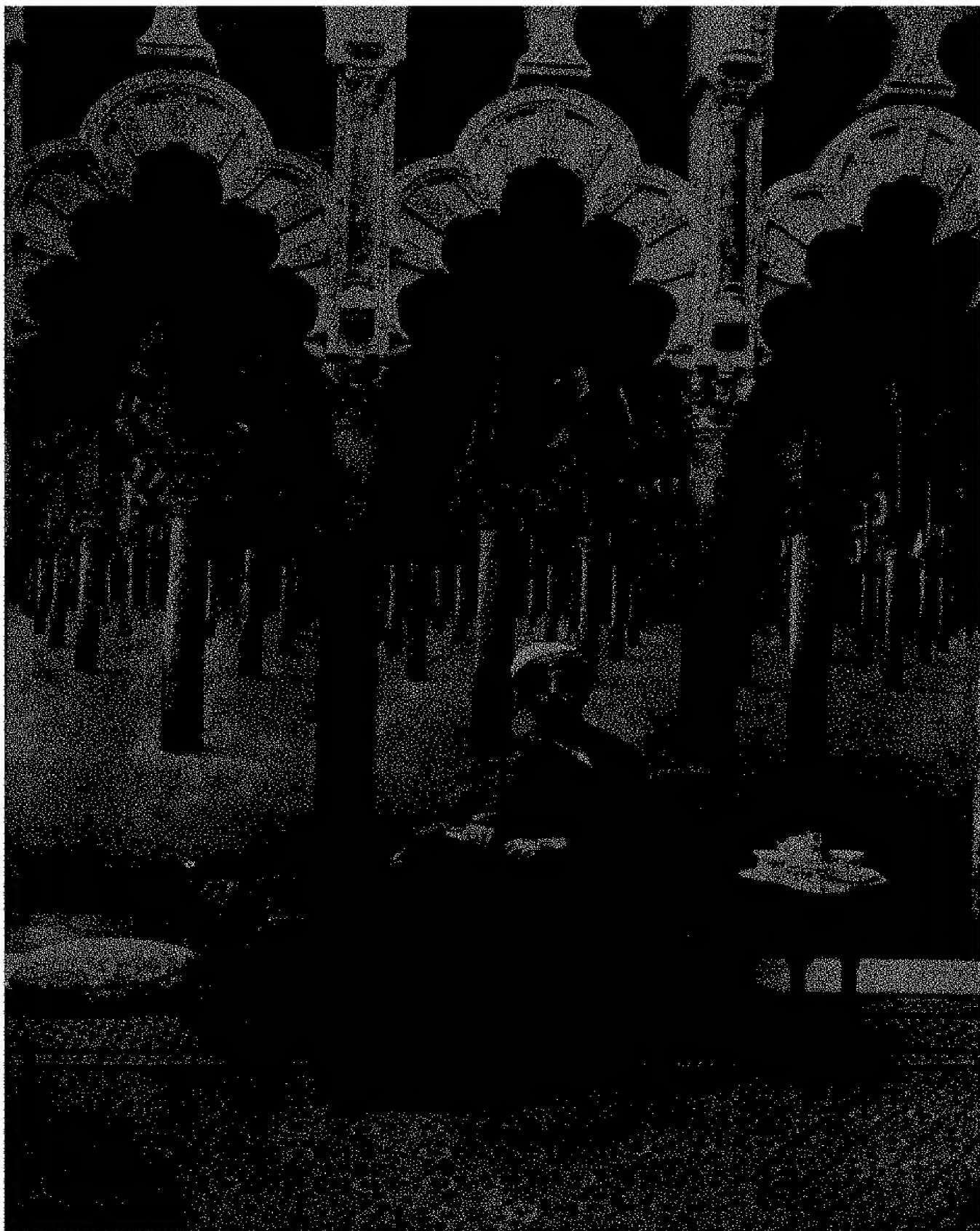
صاحب المكتبة التجارية الكبرى بفاس
وفروعها بالاقطار المغربية

الطبعة الرحمانية بصيرة

الرهاء

هدية روحية من المؤلف إلى روح أبي المطرف
الخليفة أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر
الأموي الذي يعجب به المؤلف أكثر
من كل خليفة حاشا الخلفاء الراشدين

المؤلف



صورة المؤلف أمام مسجـد قرطبة

كلمة الناسر

نحمدك اللهم على ما يسّرت من الخير ، ونصلى ونسلم على عبدك ورسولك محمد الذى بعثته بالهدى ودين الحق وعلى آله الهداة ، وصحبه الذين أقاموا عمود الدين وتابعيه المجاهدين منهم والصابرين . وبعد ؛ فقد أدّى بي تقصى أنباء الذخائر من الكتب التى يمكن أن يرفعها ناشرها فى صحيفته ثوابا ، الى العلم بأن حارس لغة القرآن ، وفارس حليلة البيان ، الأمير شكيب أرسلان ، قد توجّج دراسته لتاريخ الأندلس أربعين حولا برحلة رحلها إلى ذلك الفردوس المفقود استنفدت منه فترة من الزمن قضائها يسأل مجرّ العوالى فيها عن فاتحيها ، ومجرى السوابق فى أراضيتها عن مالكيها ، ويستخبر آثرها عن الغابرين ، ومماهدا عن الملوك السابقين ، ويسأل بقايا الملك فى رباعها يستنبى ، عن كل درة من تاجها مواقع شعاعها ، ويستقصى أخبار ذلك الملك العريض الذى هوى ، والتاريخ الزاهر الذى فى ترابها انطوى ، وأنه - مد الله فى حياته المباركة - متوفر على تدوين رحلته وإتمام تحريرها فى عدة أجزاء لم تغادر من جغرافية ذلك الفردوس المفقود وأحواله وأطواره وأدوار حياته ، وصور ملوكه وأعلامه ، من قادة ووزراء ، صغيرا ولا كبيرا ، وهو أعلم معاصر بدقائق ذلك التاريخ ومكنون أسرارهِ وخفى أخبارهِ ، إلى ما عهد فى قلبه الكريم من دقائق التحقيقات التى لم تزده السنون الأربعمائة التى قضائها فى استيعابها إلا تضاعفا منها وإحاطة بها . وتفردا فيها .

فسافرنا إلى جنيف حيث لقينا ذلك الأمير الجليل منذ ستة أشهر ، وأقمنا فى ضيافته بضعة أيام كانت من أكرم أيام العمر علينا ، وأحبها إلينا ، فقد لقينا منه لحيّا ذاخراً بطريف المعلومات التاريخية وتليدها ، وعلماً واسعاً بأخبار الدول السابقة وسير رجالاتها ، وحقائق حالاتها ، وإطلاعا وافيا على فلسفة التاريخ وبخاصة التاريخ الاسلامى منه ، وأصبنا منه لطفاً أنسانا مشقة السفر وتكاليفه . وقد تقدمنا إلى فضله

بطلب طبع هذه الرحلة فتفضل بأن أذن لنا مشكوراً ، ثم قفلنا من عنده ونحن نلهج بالشناء عليه ، ونوجه وفود الحمد إليه .

وقد جاءت تلك الرحلة أكبر موسوعة مصورة ، لتلك الدنيا المصغرة ، ودارت على مزايا وخصائص لم يمهّد مثلها في مثل هذا الكتاب

فقد أحاط أوفى إحاطة وأتمها وأدقها بتاريخ الدولة الإسلامية في كل قطر من أقطار الأندلس وفي كل عصر ، وما كان بين بعض ملوكها وبعض من التمافس الذي نفذ الضعف من خلاله ، ولمّ فيب أصبح إمام بالحياة الإسلامية في تلك الجنة الأرضية التي هبط منها المسلمون هبوط آدم من الجنة ، وصوّر الحالة النفسية التي كانت تسيطر على الحكومة في تلك الفترة من الزمن ، وعرض فيما بين ذلك كله روايات مؤرخي الفرنجة والعرب وجماعة المستشرقين قديماً وحديثاً ، فعارض بعض تلك الروايات بأسانيد "صحيحة" ، وأثبت ونفى ، وخطأ وصوّب ، وقد جمل شرحه وراوده بآثار مجموعات كبيرة من صور ملوك "قموط والأندلس" وآثار الحضارة الإسلامية بفنونهم ومعاييدها ومماهدّها . وصوّر قادتها ووزرائها وبعض وقائعها ، ثم علل أسباب "الضعف الذي سرى إلى الحكومة والحكماء وأسهب في ذلك حتى لم يخيل للقارىء أنه عاصر ذلك الزمن وشاهد بنفسه ما أثارته الأجن من العن .

فهذه الرحلة في حملتها وتفصيلها تاريخى حتى ماثل للعيان في أسلوب رائع من البيان وهي أصدق مرجع لمن شاء من المحققين والمؤرخين . وهي قبل ذلك ، بعده المثل الأعلى في التحقيق العمى بأحدث الوسائل المعصرية .

وان كل سطر منها يثى بنفسه جيلا على القلم الذي دبحه . والفكر الذي أخرجه وبقيننا أننا بطبع هذه الموسوعة التاريخية النادرة المثال قد أضفنا إلى المكتبة العربية ذخراً من أنفس الذخائر . جزى الله الأمير جزاء الخير ، وخير الجزاء .

الناشر

محمد المهدي الحبابي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَقُلْ رَبِّ ادْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ
وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا

الحمد لله قبله الكلام ، والصلاة على رسول الله باب السلام ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تشفي الأوام ، وتقشع الظلام ، وتكون لنا العدة الواقية في حشرة الأنفس وسكرات الحما ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ، النبي العربي الأُمي الذي كرم بني آدم بنعمة الاسلام ، وجنبهم عبادة الأصنام ، وسنهم من التوحيد نعمة دائمة لا تريم ، وذروة عالية لا ترام ، والذي نثر بدعوته يافوخ الشرك نثراً ليس له من بعده نظام ، النبي الذي تمخض لظهوره الكون قبل أن تلج الأيام في الليالي والليالي في الأيام ، والرسول الذي بلغت به الرسالة أمدّها الأقصى فانطوت من بعده الصحف السماوية وجفت الأقلام ، إذ ليس وراء توحيد الله تعالى مذهب ولا بغير حبه تعالى هيام ، صلى الله عليه وسلم صلاة لباسها الدوام وشعارها اللزام ، وسلم سلاماً نفحه الرند ونشره الخزام . ورضى الله عز وجل عن آله وأصحابه نجوم الهدى وبدور التمام ، وأنصاره الذين ألزمهم كلمة التقوى وكانوا بها أحق الأنام ، الذين أقبلوا على الأُم بالعقيدة الحق والأخلاق العظام ، وطلعوا بخيل الله على المشرق والمغرب بسهام غير خطاء وسيوف غير كهام ، ونشروا علم الفرقان الذي فرقت له قلوب الطوائف وخفقت من الخوف سائر الأعلام ، ففتحوا عذارى الممالك وأدركوا غرر الأمانى بشدة الحزم لا بشدة الحزام .

وبعد ، فإن من غرائز الجبلة البشرية التي لا جدال فيها ، تذكر الحوادث

الماضية ، والتحدث بالوقائع الحالية ، والوقوف على الرسوم العافية ، والاعتناء بحفظ الغابر إلى الحد الذي جعل الناس ينقشون الأخبار على الأحجار ، ويزبرون القصص على الجاد ، فضلا عن أن يكتبوها في الأوراق ويحفظوها ضمن الأجلاد ، خشية عليها من الضياع بتقادم العهد ، وذهاباً بها عن النسيان بتطاول الدهر ، وذلك بما فطر الله عليه هذا النوع من حب الاشراف والاطلاع ، والفرام بالرواية والسمع ؛ وبأن الإنسان يجتهد أبدأ أن يحفظ الماضي ، كما يجتهد أن يستدرك الآتى ، فحياته عبارة عن وصل آخر بأول ، وربط ماضٍ مع مستقبل ، وتعليل حديث بقديم ، فهذا لا يبرح بين أثر دارس يقف عنده ، ورسم طامس يتعرف خطبه ، وكتابة مطلوسة يفك حروفها ، وحكاية مأثورة يتندس نصوصها ، تارة يعرضها على أصولها ، وطوراً يقيسها بشكولها ؛ وهو لا يزال يجمع بين قرائنها ، حتى يدرك مبادئها ويفقه مغازيها ، وكم للانسان من سهر ليل ، وبذل غوال ، وأعمال حِلٍّ وترحال ، وراء قصة مغلقة يستوحى حديثها ، وقضية مرّنة يستوحى نحيبها ؛ وكم من واقعة مبهمه ينشد عند الهير وغليف سرها ، ولدى القلم المسورى بحديثها ؟ سنة الله الذى أقام الناس عليها بإزاء أى علم وأمام أى سر ، لا يتقيدون فيها بقريب دون بعيد ، ولا يقصرونه على حاضر دون غابر ، ولا يختصون به موضعاً دون موضع : بل استشراف الأسرار ، واستشفاف الأستار ، وهما من لوازم الانسان أياً كان متعلق العلم ومتساق الفكر . إلا أنه إذا تعلق بالآباء والأجداد كانت النفوس به أواع ، وإليه أنزع ؛ وإذا اتصل بالقربات والكلالات ، أو انتسب إلى الديارات والمبائات ، كان الحنين إليه أعظم ، والتهافت عليه أسرع : فان المرء ايجرص على مآثر آباءه ، ما لا يجرص على مآثر سواهم ، ويُعنى بالقصص وراء أصوله ما لا يُعنى وراء من تعدهم ؛ بل إن قسط همه من هذا الأمر هو على نسبة القرب والبعد ، وبمقدار الفصل والوصل .

وكل أمة من الأمم تدرس توارىخ البشر أجمع ، إلا أنها تجعل تارىخ سلفها هو العلم المقدم ، والدرس المقدس ، والبغية التى يجب أن تتوجه اليها خواطر ناشئتها ،

والغاية التي يتعين أن تُستَحَثَّ نحوها ركاب نابهتها ؛ لما في ذلك من وصل حديث
 بقديم ، وربط آخر بأول ، وإعادة فرع إلى أصل ، ورد عجز على صدر . فان كان
 الحاضر مماثلاً لماضي ، والطريف غير مختلف عن التليد ، فغزى التاريخ هو حفظ
 التسلسل ومنع التخلف ، وحثّ الأخلاف على متابعة الأسلاف ، وبناء المجد سافاً
 من فوق ساف ، فان الأمم هي في تنازع بقاء لا يفتر ، وتزاحم ورد لا يسكن ، وكل
 منها ينبغي أن يحفظ كيانه ، ويوطد بنيانه ، ويحمي حقيقته ، ويخلّد سجيته . بل
 يحاول أن يتقدم عما كان ، وأن يطاول كل درجة إمكان . وإن كان الحال مقتضراً عن
 الخالي ، وقد عادت البدور أهلة ، وذهب المجد إلا أقله ، وصارت الأوساط أطرافاً ،
 واستعالت الأثواب أطياراً ، ولم يبق من تلك المعالي السوالف إلا أخبار وسير
 وثلاث ، وذكر وحكايات ، يعتبر بها من اعتبر ، كان درس تاريخ السلف أحسن
 وسائل النشاط من المقال ، وأفضل حوافز الاستباق إلى الكمال ، ليقال للناسي :
 هكذا كان آباؤك ، فأين إناؤك ؟ وهذا ما فعله أجدادك ، فأين جهادك ؟ وإذا
 كان هذا فرى آباءك ، فكيف ترضى أن تقصر عنهم ، وإذا رضيت بأن تقصر
 عنهم ، فقد يستبعد العقل أن تكون منهم . أيرضى أصحاب النفوس الأبية أن
 يقدوا مع الخوائف ، وقد كان أوائلهم من السابقين الأول ؟ أو أن يكونوا تابعين ،
 بعد أن كانوا متبوعين ، وأن يسودهم من كان لهم من جملة الخوّل ؟

فاذا كان علم التاريخ ضرورة من ضرورات البقاء ، فضلاً عن الارتقاء ؛
 وشرطاً من شروط اللحاق ، فضلاً عن السباق ؛ فأية أمة أجدر بمدارسته من هذه
 الأمة العربية ذات التاريخ الأجد ، والسنام الأقعس ، والعرق الأنجب ، واللسان
 الأذرب ، والجهاد الذي شرّق وغرّب . أيام ملأت من الدهر مسمعيه ، وضربت
 كل جبار في أخدعيه ، وفرضت الذلة على جاجم الأكاسرة ، وأطارت النعرة من
 معاطس القياصرة .

قوم ابتسلوا الموت نفوسهم ، فرفعوا في الحياة رؤوسهم ؛ يركبون من البر والبحر

كل غارب ، ويلتمسون بالجيش دار المحارب ؛ أحمت أنوفهم حياة القفر ، وأعزّت نفوسهم الرمال المُرّ ؛ فكانت بلادهم عذارى تُخلف ظن كل فاتح ، وعقائل لا ينتهى إليها الطيف فضلاً عن الطائف .

ثم لما جاءهم الإسلام بعزائم القرآن ، وعزّز ما فيهم من خيم كريم ، وطبع سليم ، بصلافة الايمان ؛ اندقت سيولهم من منابها ، وخرجت منابهم من قنابها ؛ وملكوا ما بين الصين وبحر الظلمات فى أقل من مائة عام ، وأتوا من الأعمال ما لو حدثوا أنفسهم به من قبل لقل إنه من الأحلام . على أنهم لم يلبثوا بعد ذلك العز الأمتع ، والسناء الأسنع ، أن انصاعوا انصياع الكواكب عند انكدارها ، وأسرعوا إلى الهبوط سرعة المياه عند انحدارها . وذلك بتجردهم عما كان قد كساهم الإسلام من فضائل ، وأهّب فيهم القرآن من عزائم ، وبسقوطهم فى مثل ما كان قد سقط فيه أعداؤهم من الأعاجم ؛ وبانفاسهم فى الشهوات البدنية ، وانصرافهم إلى السفسافات الزمنية ؛ وولوعهم بالانتقاض على أمرائهم ، واشتغال الأمراء بأغراضهم وأهوائهم ، وتخلّف العلماء عن تقويم منآدهم ، وردعهم عن فسادهم . ففشى الفساد فى جنباتهم ، وطار الطيش بمذباتهم ، وتنازعوا ففلشت ريحهم ، وجاءت تباريحهم ؛ وتذكروا ؛ حتى لو عرّضوا على السلف فى أجدانهم لجهلهم ، وتغيروا ، حتى لو نُشِر الآباء وتلاقوا بأبنائهم لأهلهم ؛ فجنوا من انقلاب أخلاقهم فقد خلّاقهم ، ونالوا من اعوجاج مسالكهم ، ضياع ممالكهم ؛ وبعد أن كانت أفتهم ملء العرائين ، وحميتهم ملء الحيازيم ، صاروا يرضون بكل حطة ، ويسلكون من الهوان كل خطة ، وهووا عن صهوات ذلك المجد العظيم ، وأخرجوا من جنّات وعيون وكنوز ومقام كريم .

وكان من أنفاس ما سدّهم الله إلى فتحه ، وقيض لهم بالجهاد الطويل وسائل ربحه ، هذه الجزيرة الأندلسية الخضراء ، الخطّة العذراء ، والدرّة الدماء ، والبقعة الجامعة بين الشمس والأفياء ، الرافلة فى حلل موشية من حوك الأرض وطرّاز السماء ، فأتوها من كل فج ، بين محتسب ومكتسب ، وراغب فى الدنيا وماهد للآخرة ،

وساموا ولايتها بالنفقات الوجيمة ، والبطشات الذريعة ؛ والنفوس السائلة أنهارا ، والجماجم الطائرة أسرابا ، والجيش يتلو الجيش ، والبعث يردف البعث ، وما زالوا يغاورونها بخيل لا تنحط لبودها ، وفوارس لا تفارقها زرودها ، ويريقونها من بين أيديها ومن خلفها ، وعن أيمانها وشمالها ، إلى أن ذلّوا أعرافها ، وألأنوا أعطافها ؛ فخيّم الإسلام بعقرتها تخيم من أجمع الاعمار ، وسكن إليها سكنى من ألقى عصا التسيار ، وأمدتهم جزيرة العرب بأفلاذ أكبادها ، ورمّت أعداءهم بأنجاد أجنادها ؛ وكانوا لولا العصبية بين القيسية واليمينية ، والخلاف على الخلافة بين الأموية والعباسية ، وما أضيف إلى ذلك من ملاحم بين القبائل العربية والبربرية ؛ قد ألحقوا بالأندلس جميع الأرض الكبيرة ، وصارت لهم جوف جبال البرانس أندلسات كثيرة ؛ ولكن اشتغالهم بفتحهم الداخلية ، وانهماكهم بمشاجراتهم العائلية ، وبقاء ما بقى في طباعهم من حمية الجاهلية ، واستبدالهم ملوك الطوائف ، بجيوش الصوائف ، وحركات الفساد ، بحركات الجهاد ، ورضاهم عن تحمل الهزائم ، بدلا من تجريد العزائم ؛ كل ذلك أعاد تقدمهم تأخرا ، وردّ تجمعهم تبعثرا ، حتى صار عدوهم في الجزيرة قسما لهم مشاركا ، وخليطاً معهم مشابكا ؛ وكان هو لم يبق له من البلاد إلاّ الجبال والصخور ، ولم يملك إلاّ ما تركه له العرب من مسارح الغزلان وأوكار النصور ؛ وكانوا هم رتعوا في كل روض نصير ، وملك كبير ، ومالوا إلى طعام أنيق وفراش وثير ، وجروا من التيه مطارف سندس وحرير ، وأغرّتهم السعة بالدعة ، وأقصى بهم الرخاء إلى الارتخاء ، وأورثتهم رفاهية العيش قلة الانتخاء . وشتان بين من أليف الترف ومال إلى الهوى ، وبين من لزم الشظف وطوى على الطوى . ولله در من قال عن وقعة بطرنة بقرب بلنسية ، وقد مُخِّص فيها المسلمون :

لبسوا الحديد إلى الوغى ولبستمُ حُلَّ الحرير عليكم ألوانا

ما كان أقربهم وأحسنكم بها لو لم يكن ببطرنة ما كانا

وهكذا لم يزل الخشوشن يفتك بالمتنعم ، حتى دوّخه ؛ والمحروم يوقع بالمترف ، إلى

أن ربحه ؛ والشقاق مع ذلك بين المسلمين لا تنطفيء ناره ، ولا تنقطع أخباره ، والإصلاح بينهم تُخفق مساعيهم ، والشر أبداً تَجَادَعُ أفاعيه ؛ لا ينجع في عقولهم ما يبلغ نصيح ، ولا يعوج بأسماعهم نذير خطب ؛ ولا يمولون على شاهد نقل ، ولا دليل عقل ، ولا يعتبرون بحلول بَشَقٍ واقع على بَشَقٍ . تنزل بهم كل هذه القوارع وهم في سكرتهم يعمهون ، ويقرأ عليهم الدهر كل يوم سورة الفاتية فلا يتدبرون ، ولا يسمعون ، و (يفتنون في كلِّ عامٍ مرةً أو مرّتين ثم لا يتوبون ، ولا هم يذكرون) وأخيراً تناثروا بَدَدًا ، وتطايروا قِدَدًا ، فكل بلدة دولة وأمير ، ومنبر وسرير ؛ وكل جار لجاره مناظر لا نظير ، يحجور عنيه ولا ينحير ، ولا يغار عايه بل يغير !

وتفرقوا شيعاً فكلُّ مدينةٍ فيها أمير المؤمنين ومنبر

وهم في أثناء هذا يتسابقون في ميدان الاستماتة ، بعضهم على بعض ، بالطاغية الذي يساومهم على المناصرة بتسليم الحصون ، وتعطيل الثغور ، والانهزام بلا سيف ، والرضى بكل حيف ، ويواضئون على حوزة الإسلام علناً (ويأخذون عرضَ هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا) والعدو كل يوم يتقدم ، وحوض الإسلام كل يوم يتهدم ؛ والخلاصة : ما زال يطغى وهم يحسرون ، ويمدوهم يحجزون ، ويطول وهم يقصرون ، إلى أن عادوا إلى عالمنا كس . وصوت خافت ، واثقوا - كما يقال - طوع كل شامت ؛ وتوقع كل عاقل انفاقرة "كبرى" . وأن من هو باق بسيف البحر لبس بثابت ؛ وما كانت إلا شقاقة في إثناء الأندلس أراد العدو أن يستصفي سُودَها ، وبقيّة فيما وراء البحر صمم أن يقتلع جذرها ، وجاءهم ذلك حين لم يبق مرابطون ولا موحدون ، ولا أبطال يجاهدون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون ، بل حينما كل ملك بالعدوة مشغول بسد فتوقه ، وحفظ حقوقه ؛ سعيد بأن يثبت في مكانه ، راضٍ بأن يخلص من عادية جيرانه ، بل من عائلة إخوانه . فكيف يستطيع أن يركب البحر لينازل الطواغيت ، ويجمع من الإسلام ذلك الشمل الشتيت ؟ فأراد الله أن يتركهم وشأنهم ، وهو تعالى المحي المميت . واستأسد بذلك العدو ، فلم يزل يواشهم

ويكافهم ، ويفادهم القتال ويراوحهم ، حتى أجهضهم عن أمكانهم ، وجفلهم عن مساكنهم ، وأركبهم طبقاً عن طبق ، واستأصلهم بالقتل والأسر كيفما اتفق ؛ وردوا في الحافرة ، وصاروا رهن هوى الأمة الظافرة . ومن اختار منهم الدجن انتقلوا تدريجاً إلى دين الطاغية ولسانه ، ففسروا الدنيا والآخرة ، وصاروا عبرة في العالمين (وتلك الأيام نداولها بين الناس ، وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء ، والله لا يحب الظالمين)

نعم ؛ حواضر كالبحار الزاخرة ، كانت تموج بالبشر ؛ وحصون كالجبال الشاخبة ، تحصى بالآلوف وتسكب فيها جياذ الفكر ، وجيوش كانت حصى الدهناء ، ورمال البطحاء ، ومساجد كانت في الجمع المشهورة تفص بالآلوف من المصلين ، ومدارس كانت مكتظة بالآلوف من القراء والطلابين ، وما شئت من إسلام وإيمان ، وحديث وفرفان ، وأذان يملأ الآذان ، وما أردت من نحو ولغة وطب ، وحكمة ومعان وبيان ، بلاغة عربية عرباء ، يحرسها علماء كنجوم السماء ^(١) ؛ وما أردت من عيش خضل

(١) قال العلامة دوزي المستشرق الكبير الهولاندي ، أوثق أوربي كتب عن الأندلس ، وذلك في كتابه « مباحث عن تاريخ اسبانية وآدابها في القرون الوسطى »
Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le moyen âge ما يلي :

« انهم كتبوا (يعني الاسبانيول) تاريخ وطنهم الذي منه عدة مقاطعات تولاهما العرب مدة ثمانية قرون ، وذلك بدون أن يعرفوا لغة العرب . ولما لم يكونوا قادرين على مراجعة الكتب العربية كان لا مناص لهم من الخطب عند كل خطوة كلما أرادوا الكلام عن الدول العربية أو عن الحرب والسلم بين المسيحيين ، ولهذا تجد كثيراً من الحقائق التي هي في الدرجة القصوى من البال بجهولة عندهم مع أنها متعلقة بأخبار عمالئك النصاري ، وذلك لأن هذه المعلومات لا توجد في الكتب اللاتينية ولا الاسبانيولية بل في كتب مؤرخي العرب وأدبائهم وشعرائهم ، لأن اسبانية المسلمة هي البلاد الأوربية التي في القرون الوسطى كتب فيها أكثر من الجميع ، والتي كان فيها المذهب التاريخي أكمل وأدق منه في أي مكان ،

وزمن نفس ، وحزرات أنفس ، وضججات قلوب . كل هذا عاد كهشيم المحتظر ، كأن لم يغن بالأمس ، ولم يبق منه إلا آثار صوامت ، وأخبار تتناقلها الكتب ، كأنه لم يعمر الأندلس من هذه الأمة عامر ، ولا سمر فيها سامر . قال تعالى : (وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَمَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ) .

وبقيت الأمة العربية تنوح على هذا الفردوس المفقود الذى هبط منه أهل بأعمالهم ، نحواً من أربعة عام . نواح الثاكل لولده لا يريد أن يدسى مصابه ، ولا يفتأ يذكر فصاله ؛ ولما كنت من حملة هذه الأمة الباكية على ذلك الفردوس الضائع ، أولعت من أوائل صباى بقراءة تزيخ الأندلس ، والتقيب عن كل ما يتعلق بالعرب فى تلك الجزيرة . حتى إني لما اطعنت على رواية « آخر نبي سراج » للكاتب الأفراسى "الكبير" رينه توبريان» بدرت بنقلها إلى "عربية وذياتها بتاريخ للأندلس بشرته من أربعين سنة ؛ ثم نقلت نسختها بأحمرها . فأعدت طبعه منذ إحدى عشرة سنة . وقد قلت فى خاتمة كتابى ذلك مايناسب أن أعيدته هنا ، زعياً لكون الغرض الذى حدانى يومئذ إلى نشر ذلك المخلص ، هو نفس الغرض الذى يحدونى اليوم إلى نشر هذا المطوّل ؛ ولروح التى أملت ذلك هى التى قد أملت هذا ، وكلامى الأول هو كلامى الآخر . ولو كرت الأنياء وتعددت الأعوام ، قلت :

« ولا أكنم القارىء الذى هو خائق بأن لا يحفى عليه ذلك بشفوف بصره واطف حسه ، أن الأمر غير حل فى هذا الإجملاء . من نزعة جسدسية ، وحنوة عصبية ، وهفوة للفؤاد وراء آثار بنى الجلدة . مما تستشعر فيه مرضاة هذه النفس ، العظيمة السر ، البعيدة مهوى الغرض ، الغريبة شكل الهم . وتوفر به اللذة والراحة لهذا الوجدان الداخلى ، السانح فى إثر ما يتعلق بالنفس من جميع جهاتها ، على ترجيح الأقرب فالأقرب ؛ وقد طبع الخالق الحكيم هذا المرء على حب جنسه ، والميل للاتصال بأبناء أئيه . فكأنما يتمثل بذلك صورة نفسه التى هى جزء من هذا المجموع ، لما يُحس من أن أقرب أنواع الدم إلى دمه ، هو الجارى فى عروق قومه ؛ فهو يحن إليهم ويحنو

عليهم ، ويتألم لألمهم ، ويعترّ بعزم ؛ وتراه إذا غابت أشخاصهم استأنس بآثارهم بعد الأعيان ، وارتاح إلى مواطنهم ورغب في الدوس على مواطني أقدامهم ولو بعد أزمان . وقد عهدنا الذي يصاب بعزير أو بذى قرابة يختلف إلى قبره ، ويشفى بالبكاء عنده حرارة صدره ؛ وإذا ظفر بقطعة من ملبوسه ، أو مفروشه أو برقعة من خطه ، احتفظ بها ، وغالى في قيمتها ، وجعلها مدار أنسه ، في خلوات نفسه ، وروح حياته في منتبذ مناجاته . وبناء على هذا الشعور أروع الخلق بحفظ آثار الغابرين ، وتطلعوا بغريزة فيهم إلى معرفة سائر السالفين ، ووقفوا على الأطلال الدوارس ، وبكوا على الدمن البوالى ، كأنما يجدّون عندها عهدهم مع آبائهم ، ويشدونّ لديها معهم عروة وفأهم .

إلى أن أقول : « فياليتنا نتبع الآن سنن من قبلنا ، ونقتدى بسلفنا ، ونبنى بناء أوائلنا ، ونعتبر بحمراء غرناطتنا ، وخضراء دمننا ، ونأمل في سالف عزها ، وسابق أمرها ، ونتجنبّ الفرقة التي آلت إلى فقدها ، ونسأل رسومها عما مضى من نعيمها ، فهي رسوم إن لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً ؛ فلا يكوننّ دائماً من شأننا أن نتباهى بمجد الأوائل ونفاخر بالعظم الرميم ، دون أن تقتص أثر الآباء . ونحى ذكر القديم ، ولا يبقى من نصيبنا في المجد إلا حديث سمر ، ومجرد ذكر . وما أحسن ما قال شوقي شاعر العصر :

وذا دلّ من بنى الروم حولها	إذا ما تبدّت إخوة سبعة مُردُّ
عُنيت بها حتى التقينا فهِزّها	قَيَّ عَرَبِيٌّ مَلِهَ بَرْدَتَهُ مَجْدُ
فَقَالَتْ : أَطِيبٌ بَعْدَ عَسْرٍ وَشَدَقِ؟	فَقُلْتُ نَعَمْ مَسْكُ الْأَحَادِيثِ وَالنَّدُ
عَطَلْنَا مِنَ النِّعْمِ وَطُوقَ غَيْرِنَا	تَدَاوَلَتِ الْأَيَّامُ وَانْتَقَلَ الْعَقْدُ
وَمَا ضَاعَتِ الدُّنْيَا عَلَيْنَا وَحَسْنَهَا	وَلَكِنْ عَنْ أَغْصَانِهِ رَحَلَ الْوَرْدُ

هذا ، وكان الفراغ من كتابة هذا التاريخ ، ليلة السبت الواقع في السادس والعشرين من المحرم سنة خمس عشرة وثلثمائة بعد الألف « اهـ

فأنت ترى أن الكتاب الأول قد مضى عليه أربعون سنة ، وهي مدة تسمى عمراً ، ولقد سمعت من كثير من أعيان الأمة العربية أنهم قرءوا كتابي ذاك في وقته ، وتبعوا حوادث سقوط مملكة غرناطة وجلاء المسلمين الأخير عن الأندلس باهتمام عظيم ، ودمع سجين . وقال لي بعضهم إنهم قرءوه مرتين ، وإن منهم من كان يبكي ، ومنهم من كان يتلَّهَّب وجداً ، ومنهم من كانت مهبته تذوب حسرة عند قراءته . وقد تضاعفت الآن هذه الذكرى ، و بعد مضى هذه السنين الأربعين ازداد الولوع بتاريخ الأندلس ، بازدياد الدشة المقبلة على العلم ، و بنمو الشعور العربي في جميع طبقات هذا الشعب ، سواء منهم من في الشرق ومن في الغرب ، ولا يزال هذا الشعور في نمو ، وما برحت هذه الهمم في سمو ؛ ولا عجب فإن قوة الأمة هي على قدر ما مجت من مشارب العلم ، وارتقت من درجات الثقافة الجم ، والأمة العربية في هذه المدة قد اجتازت عقبات جياداً ، وقطعت أشواطاً طويلاً ، وسارت السير الدجاء ، وشمَّرت التشمير الباعث على الرجاء : فأخذت تُخفي مؤال التاريخ عن ماضى أحوالها ؛ كما صرفت معظم نالها . في توطيد استقلالها .

ولهذا رأيت أنه من أمثل ما يمكنني أن أخدم به هذه الأمة ، قبل انصرافي من هذه الدنيا ، هو أن أهدى نشتها عن هذه القطعة "نفيسة من تاريخها" ، كتاباً شافياً للغيل ، جامعاً لأقطار هذا المبحث ، ناظراً بين القديم والحادث ، مقابلاً بين ما قاله العرب وما قاله الأفرنج .

وكنفت قدَّمتُ بين يدي هذا تأليف رحلة قمت بها من ست سنوات في أكثر أنحاء أسبانية ، لأقرن الرواية بالرؤية ، وأجعل القَدَم رِداءً للقلم ، ونويت أن أجعل الرحلة أساس الكلام وواسطة النظام ، وأن أضم التاريخ إليها ، وأفرِّع التخطيط عليها .

ومن أجل ذلك كنت نويت أن أسمي هذا الكتاب « بالحلة السندسية في رحلة الأندلسية » وأشرت إلى هذا الاسم في كتابي المنشور من سنتين ، الموسوم

« بغزوات العرب في جنوبي فرنسا وشمالي إيطاليا وفي سويسرة وجزائر البحر المتوسط » الذي عدده جزءاً من كتابي الأندلسي . إلا أنني رأيت فيما بعد أن ما نحن بسبيله قد اتسع جداً عن الرحلة ، وأن الاسم قد ابتعد عن المسمى ، وأن الكتاب قد يقع في عدة مجلدات كبار ، وقد يكون أوسع كتاب عربي كتب عن الأندلس ؛ هذا إذا فسخ الله في الأجل ، ووفق للعمل ، فمدلت إلى اسم آخر يشعر ما أنا متوخيّه من الإحاطة بقدر الطاقة ، وهو « الحلل السندسية ، في الأخبار والآثار الأندلسية » وآليت لأبغض فيه جهنّداي ، وأعقل به ما شرد عن سواي . ولم أقصد في ذلك تنبلاً على الخلق ، ولا تزيّناً فيما ليس بحق ، وإنما أردت النصح ما استطعت ، والتحريض ما قدرت . والعلم أمانة ، من حملها فقد حمل إداً وتجنّس بهراً . والتاريخ من عاجله فقد رقى حزناً ، وركب خشناً . فان كنت قرطست أو قاربت ، فقد بلغت من عملي المراد أو بعض المراد ؛ وإن كان سهمي قد طاش ، فكم قتي حام وما ورد ، وغنى وما أطرب ، ولكن شفع له الاجتهاد .

ولقد سهرت في هذا التأليف ليالي متمطيات بأصلاها ، تحقيقاً عن لفظ ، أو تنقيحاً عن اسم ، أو ضبطاً لرواية مختلف فيها ، أو لعدد أقلّ فيه الواحد وأكثر الآخر ، أو تعييناً ليوم واقعة من أيّ شهر أو من أية سنة ، أو مقابلة بين ما قاله عربي وما قاله أوروبي عن الحادثة الواحدة ، أو تعريباً لعلم إسبانيولي على الوجه الذي كان يقوله العرب ، أو تبيناً لعلم عربي كيف كان يتلفظ به الإسبانيول ، وما أشبه ذلك مما أذبت له سواد العيون ، وأحييت كثيراً من الليالي الجون . ولا أزعم مع ذلك أنني بلغت به الأمد الذي ينبغي من تعنت الحساد ، أو يعليه على تصفّح النقّاد ، ولكني بلغت فيه الجهد ، وأبليت العذر ، ولم أبق في القوس منزع ظفر .

ومما لا بد لي من الإشارة إليه في هذه المقدمة أنني اخترت النقل عن المؤلفين ما استطعت ، لتكون هذه الموسوعة في هذا الموضوع معرضاً للآراء ، ومجماً للأفكار التي يطلع منها القارئ على الصور المختلفة التي كانت عن مملكة العرب في الأندلس ،

في أذهان الذين عاشوا في ذلك العصر وكتبوا عنه ، أو في أذهان من كانوا على مقربة منه . ولم أشأ أن أصنع ما يصنعه الكثيرون من أخذ الشيء عن الآخرين وإرازه للناس كأنه من وري زنادهم ، وفيض قرائحهم ؛ فليس هذا مذهبي في الكتابة ، ولا أراه الطريقة المثلى في التأليف ؛ وإنما ينقل الانسان ما يستطيع الاتصال به من آراء الناس ورواياتهم ، ثم يشفعها برأيه الخاص ، وبالرواية التي يكون قد جزم هو بها ، أو رجحها على غيرها بحسب اجتهاده ؛ وله أن يستدل على صحة رأيه أو ثبوت روايته بما وجد من قرائن ، وآنس من تنوهد ، وللقارىء بعد ذلك أن يذهب في الترجيح والتجريح كيف شاء بحسب ما يؤديه اليه نظره .

ولهذا نقلت ما قدرت أن أعثر عليه من الفصول المتعلقة بالأندلس ، عن المسعودي ، وابن حوقل ، والقدسي ، والشريف الادريسي ، وابن الأثير ، وياقوت الحموي ، وابن عذاري ، وابن بشكوال ، وابن عميرة . وابن الأبار ، وابن خلدون ، ولسان الدين بن الخطيب ، وصاعد الطيطلي ، والهمداني ، والقاسمبندى ، والمقرئ صاحب نفح الطيب ، وغيرهم من مؤلفي العرب ؛ ونقلت أيضاً عن دوزى المستشرق الهولندي ، وعن رينو المستشرق الأفرسي ، وعن أيزيدور الباجي ، وغيره من مؤلفي القرون الوسطى ، وعن أصحاب الانسيكلوبيديّة الاسلاميّة ، وعن لاوي بروفنسال من المعاصرين ، وعن المسيوجوسه P. Gousset صاحب جغرافية اسبانية والبرتغال ، وعن بديكر ، وعن بعض علماء الاسبانيول مثل سيمونه Simonet وكوندي Conde وعن ألبار دوسيركور صاحب تاريخ المدجنين ، والموريكس Albert de Circourt وعن دو مارليس de marlès وعن كتب أخرى اسبانيولية استعنت على ترجمتها بعض أصحابى من الأسبان ، ومن غيرهم . وعزوت الروايات إلى أصحابها ، ونقلت كثيراً من الفصول منصوصها ، أو تلخيصاً مع التعليق عليها في الحواشي بما يمن لي مخالفاً أو موافقاً .

وهناك اصطلاح آخر ، جرى عليه بعض مؤلفي الافرنجة ، ونابعهم فيه الشرقيون

وهو إرسال الكلام من عندهم في الموضوع ، ثم الاستشهاد بأقوال الآخرين بادماج بعض الجمل المأخوذة عنهم ، وذلك في صلب الكلام مع الإشارة في الحاشية إلى مأخذ تلك الجمل ؛ ولست أرى في ذلك بأساً ، وإنما ألاحظ هنا أن المؤلف قد يكون له رأى خاص في مسألة من المسائل ، فيهمه تأييد رأيه ، فينقّب في الكتب على كل ما يعزّز وجهة نظره ، وكلما وقع على جملة لمؤلف رأى فيها تقوية لنظريته نقلها دون سواها ، وأدججها في كلامه ، فربما جاءت ببراء لا يعرف ما تقدمها ولا ما تأخر عنها ، وربما جاء نقل تلك الجملة من قبيل « ولا تقرّبوا الصلاة » وحذف « وأنتم سكارى » فمن المعلوم أن الحكم لا يصح باعتبار جملة واحدة لمؤلف ، وإنما يصح باعتبار مجموع كلامه بعد تصفحه بمخاضه . وهذا الذي حداني إلى نقل فصول بأصبارها ، أخذ العذق بشماريخه ، ولو كان في خلالها ما ليس عندي بثبت ، وما اضطرت أحياناً إلى رده .

وإتماماً للفائدة رأينا تزوين هذا الكتاب باطالس جغرافية ، محررة فيها أسماء البقع والمدن ، باللغة العربية ؛ ورصّناه بتصاویر لم يسبق أن اطلع عليها العرب ، وذلك لأن التصوير بالريشة قد يفعل ما لا يفعله التصوير بالقلم ، ولأن الصورة المحسوسة في العين هي أوقع من الصورة المجردة في الذهن ، فما ظمك إذا كانت الواحدة رديفاً للأخرى ؟

ولما كان المقصود بهذا الكتاب التوسع في الموضوع بقدر الطاقة ، قسمناه إلى قسمين : جغرافية وتاريخ . وبدأنا بالجغرافية لأنها سابقة للتاريخ ، ولم تقتصر في الجغرافية على ما كانت عليه إسبانية في أيام العرب أو في القرون الوسطى ، غير ناظرين إلى أحوالها الجغرافية الحاضرة ، بل جمعنا القديم إلى الحديث ونظمنا بين الحالى والحالى وقرناً ما كتبه العرب بما كتبه الأفرنج ، وإن كنا لم نحب أن نملأ الكتاب بالأرقام والاحصائيات ، في الكلبيات والجزئيات ، مما قد تمل الأنفس مطالعته .

وقد أدخلنا في القسم الجغرافي ذكر من نبغ من أهل العلم في كل بلد من البلدان التي ذكرناها ؛ ولم نحصر ذلك في العرب ، بل تجاوزناه إلى الأسبان ، ولكننا استقصينا في أسماء العرب بالبدية ما لم نستقص في أسماء أولئك ، واكتفينا من الأسبان بالمشاهير ، لأن قراءنا هم من العرب وغرضنا إنما هو تعريف ناشئة العرب بالأندلس العربية ، ولن يقرأ كتابنا من غير العرب إلا من شاء من المتخصصين . وقد كان مرادنا بادي ذي بدء أن نسرّد أسماء العلماء والأدباء المنسوبين إلى كل بلدة سرّداً مجرداً من دون ترجمة ، ثم نرد تراجم أحوالهم إلى جزأين في الآخر ، مخصصين بذلك الموضوع ؛ ولكننا رأينا في ما بعد أن السرد المجرد لا يفيد شيئاً ولا يبلغ في صدور القراء حاجة ، وأنه لا بد من شئ من ترجمة كل واحد منهم ، ومن تبين العلم الذي كان متخصصاً به ، وذلك في الأجزاء الأولى . وإن كنا عوّلنا على هذا الأسلوب فهو لا يمنعنا من أن ننتخب من هؤلاء المترجمين طبقة عبقرية وفئة ممتازة نكتب لهم في الآخر سيرةً ضافية . إن شاء الله ، تأتي فيها بمختارات من أقوالهم وأتمودجات من نظمهم ونثرهم .

هذا ولقد أحببت أن أتوجّ هذا الكتاب الذي تعبت فيه هذا التعب كله ، باسم أحد أمراء الاسلام وأقطاب الشرق ، الدين يتفق في شأنهم الكلام ممن يتلأ العيون والصدور ، ولا يكون الثناء عليه تنميق جمل وتشقيق ألفاظ ، بل يكون نفس فعله هو هو الماتف بمدحه بدون منةٍ لقائل ، ولا فضلٍ لمنّوه ، وتكون سيرته الشخصية وما أثره المستمرة هي الخلد له في الأعقاب وعلى طول الأحقاب ، وإذا رآني الناس اخترته لتتويج هذا الكتاب باسمه قالوا بأجمعهم : تالله لقد أحسن الاختيار وأتى الأمر من بابه ، وما أطرى ولا بالغ ، ولا تماق ولا داهن ، وإنما هو الحق الذي لا يجهله أحد . ولا يأتي على هذا الشرط عظيم من عظماء الاسلام قبل الأمير الكبير العلامة الخطير صاحب السمو الأمير عمر طوسون حفظ الله مهجته للاسلام والمسلمين وأمتع بطول حياته الشرق والشرقيين فقد أصبح هو في هذا العصر أمين هذه الأمة

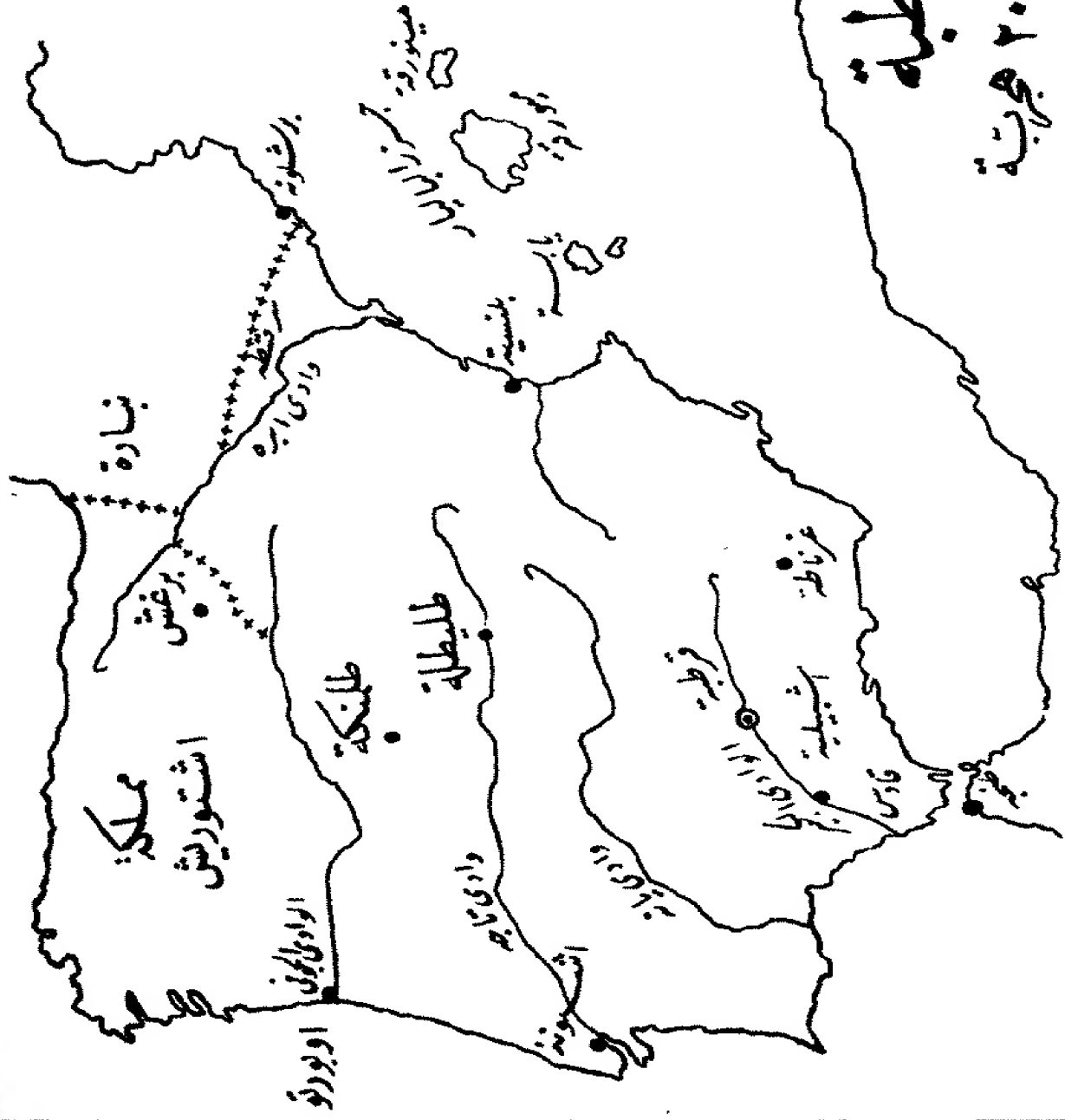
في كل ملة ، ومفزعها في كل مهمة . وإليه ارتاحت جميع الضمائر ، وعليه حامت جميع الخواطر ، وما من بَزْلَاءَ إِلَّا وقد نهض بها يشار إليه بالبنان في جميع أنحاء العالم الاسلامي لا يعمل شيئاً مما يعمل رثاء ولا سمعة ولا ابتغاء شهرة ولا أمانة ، هو الذي يزينها وليس بالذي يزين بها ، وإنما يعمل ما يعمل ابتغاء وجه الله تعالى ، وخدمة لهذه الأمة التي أبي أن يكون من أعظم أمرائها نسباً وجلاء ، بدون أن يكون من أجل أمرائها علماً وعملاً وجداً ، فكان قدوة لكل أمير لا يعرف العيب ، ولا يريد أن يضع من عمره لحظة واحدة بدون فائدة للبشر . وما أقول هذا عن متابعة للناس في شأن هذا الأمير المنقطع النظير ، ولا عن روايات معنونة ولا عن شهرة طائفة وإن كان التواتر يفيد اليقين وإن كان الناس اكيس من أن يجمعوا على مدح رجل إن لم يكن لذلك أهلاً ، وإنما أقول ما أقوله عما خبرته بنفسى وشاهدته بعينى ، وتبادلت معه فيه الكتب المتصلة والرسائل المتواترة ، مدة تزيد على خمس وعشرين سنة ، من أيام الحرب الطرابلسية إلى الحرب البلقانية ، إلى الحرب الكبرى إلى جميع الخطوب والنوازل التي حلت بالاسلام من بعدها مما قيدت خلاصته في ترجمة حياتى التي أوصيت بأن تنشر من بعدى ، واستودعتها مكتب المؤتمر الاسلامي في بيت المقدس ، وكذلك مما سجلته في تاريخ الدولة العثمانية الذي حررته تعليقاً على تاريخ العلامة ابن خلدون رحمه الله إجابة لطلب المتصدى لتجديد طبعه الحاج محمد المهدي الحبابي الفاسي وفقه الله ، ولست والله أعلم في شئ مما قيدته من أعمال الأمير الأوحى عمر طوسون مد الله ، في حياته بالذي وفاه إلا النزر الأقل مما يجب من حقه على هذه الأمة التي تعرف له من فضله عليها بقدر ما ينكر هو من ذاته ، ولست في جعلى هذا الكتاب باسمه الكريم إِلَّا الكاتب الذي عرف أن يسد ما نقصه من العلم ويتلافى ما فاته من براعة الانشاء بما وفق إليه من معرفة الفضل وألهمه من براعة الاهداء .

ولأبدأ الآن بالموضوع مستمداً من الله الصواب والسداد (وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد) .



إمارة قوطبة

في نحو سنة ٢٠٠ هـ





مملكة غرناطة وتقسيمات الجزيرة الأيبيرية والقرن الرابع عشر المسيحي



لمحة عامة

من الأمثال المفسر وبة في أوربة أن جبال البرانس — كما يقول العرب ^(١) — أو البيرانية Pyrenees كما يقول الأفرنج — هي الحد الفاصل بين أوربة وأفريقية . ويقولون : إذا تجاوزت معابر البيرانية فاعلم أنك قد دخلت في أفريقية . وربما يستغرب القارىء هذا القول بعد علمه أن في غرب البرانس (أو البيرانية) بلاداً طويلة عريضة هي من أكبر أقسام أوربة . تتألف منها مملكتان أوربيتان هما إسبانية والبرتغال فكيف يمكن أن تكون هذه البلاد من أفريقية ؟ وما الموجب ، ياليت شعري ! لضرب هذا المثل الذي قد يكون من باب المبالغة في تشبيه أسبانية والبرتغال الضاربتين في مناطق الجنوب بجاراتها سواحل أفريقية الشراية ؟ والحقيقة أنه ليس في هذا المثل شئ . من المبالغة . أما من جهة "الشجر والحجر والتراب والماء" فإن الجزيرة الأيبيرية المنفصلة عن أوربة بجبال البرانس أشبه بشلى أفريقية وبغربي آسية . ولقد جربت هذا الشعور بنفسى فور دخولى إلى أسبانية . إذ كان ذهائى إليها من طريق فرنسة أى من "شلى" ، فما عبرت الحدود الواقعة بين فرنسة وإسبانية حتى خلت نفسى سائراً في سواحل الشام بلادى . فكيف نظرت وقع نظرى على التين والزيتون والخروب والصنوبر والصير وجميع الأشجار والنباتات الحرجية التى أعرفها فى بلادى ، مع وجوه الشبه الكثيرة فى منظر الأرضين ولون التراب وتحدر الغدران يحف بها القصب والخفاء ، ومع حنين النواير فى البقاع التى لا يصح لها الشرب من الغدران ، وغير ذلك مما يخيّل لك أنك فعلاً فى سواحل سورية . ولا شك فى أن هذا التشابه بين البلادين هو الذى حدا عرب سورية على انتجاع الأندلس أكثر من أى بلاد سواها ، لأن الإنسان يحب إذا تغرب أن يقع فى أرض تشبه مسقط رأسه .

وكان الجغرافيون القدماء يقسمون الكرة الأرضية إلى مناطق سبع ، وبحسب

(١) وقد يقول لها العرب جبال البرتات

هذه المناطق تكون اسبانية وجزائر البحر المتوسط مثل سردانية وصقلية وكريت وقبرص ، وكذلك البلاد الشامية والعراقية ، منطقة واحدة . وقد شاهدت شمالي المغرب فرأيت لا يفترق عن جنوبي أسبانية . وكيف يختلف عنه وكل العاصل بينهما مضيق لا يتجاوز في بعض الأماكن أكثر من مسافة ١٥ كيلو متراً ؛ وهذا الفاصل قد جرى الماء فيه حديثاً بالنسبة إلى الأدوار الجيولوجية . وأنت إذا نظرت إلى شكل الأرض في الجزيرة الخضراء وجبل طارق ، من جهة ، وإلى شكلها في طنجة وجبل موسى وسبتة تجده واحداً ، فهي بقعة خرقها الماء من الأوقيانوس الاطلانطيقي إلى البحر المتوسط فجعلها شطرين ، ولكن لم ينزع من كل من الشطرين وحدته الطبيعية مع الآخر . وقد قيل لي : إن في برية جبل طارق نوعاً من القرادة قديم الوجود فيها ، وهذا النوع نفسه يسكن في جبل موسى المقابل لجبل طارق وذلك من جهة افريقية .

هذا من جهة الجغرافية الطبيعية . أما من جهة الجغرافية السياسية التي تتعلق بالسكان والممالك ، أو من الجهة الانتوغرافية كما يقال ، فلا شك أن الاسبانيين والبرتغاليين وإن كانوا أوربيين في سلالتهم فإنهم لاختلاطهم بالعرب والبربر والأمم السامية مدة قرون متطاولة أصبحوا أمة وسطاً بين الغرب والشرق ^(١) . وإذا صح

(١) يذهب كثير من المؤرخين إلى أن الايبيريين الذين هم سكان أسبانية الاولون هم البربر من أصل واحد . ويستدلون على ذلك بالتشابه بين عادات الفريقين . من ذلك ما رواه سترابون من أن المرأة كان لها المقام الاول عندهم إلى زمن الرومانيين وهذه العادة معروفة الآن عند الطوارق في صحراء إفريقية . ثم إن السليتين جاءوا من أوربة الوسطى فاختلفوا بالايبيريين ، كما أن قرطاجنة أرسلت إلى أسبانية مهاجرين كثيرين من إفريقية ، وقبل قرطاجنة كان الفينيقيون قد عمروها . فأنت ترى أن أسبانية ملتقى للعناصر الشرقية والغربية ، فمنها العناصر العربية التي تأتيها من شمالي البرانس ومنها العناصر الشرقية التي تأتيها من جنوبي بحر الزقاق .

ثم إنه طراً على اسبانية جاليات يونانية نزلت في أقسامها الشرقية ، وتلاها

الاقتراض الذى يذهب إليه بعضهم من أن السلالة البيضاء هى التى انتقلت من على عُنُق الدهر من المغرب إلى أوربة لم يكن العرب هم أول من أجاز من إفريقية إلى الأندلس .

إن شبه الجزيرة الايبيرية لا يتصل بأوربة إلا ببرزخ ، هو جبال البرانس ، وهى جبال شهيرة متوسط ارتفاعها سبعمائة متر عن سطح البحر تتكسر على أذيالها جاليات رومانية غلبت على جميعها ، وفى أثناء ذلك دخلها العنصر السامى أيضاً بمجىء عدد كبير من اليهود .

وبعد أن تلاقى فيها الايبيريون والسليتون واللاتينيون واليونانيون من السلائل الأوربية ، والقرطاجنيون والفينيقيون واليهود من السلائل الآسيوية . طرأت على اسبانية أمم جرمانية مثل السوييف والالانين والفندالس والقوط الذين ملكوها وكانوا الطبقة السائدة فيها عندما فتحتها العرب .

ولما جاء العرب دخلها ملايين منهم ومن البربر . فاختلطت آسية وأفريقية بأوربة اختلاطاً شديداً . وصار الغالب على اسبانية هو المدنية الشرقية ، ولا عبرة بما جرى من إجلاء العرب والبربر فيما بعد ، فإن هؤلاء قد بقى منهم فى الجزيرة عدد كبير اندمجوا فى الأهالى فى جميع المقاطعات ودانوا بالنصرانية ولا يوجد فى اسبانية مكان يخلو منهم حتى أن القشتاليين الذين هم أقل أهل اسبانية اختلاطاً بالعناصر الشرقية والذين يمثلون السلالة الايبيرية القديمة لا يخلون من عنصر دخيل من العرب والبربر .

وعلى وجه الاجمال السلالة الآرية هى الغالبة على القسم الشمالى الغربى من اسبانية ولذلك أجسامهم أقوى وعضلاتهم أصلب . ومنهم القشتاليون الذين يعدون أنفسهم محررى البلاد ، ففى أنوفهم نغمة شديدة . ومثل القشتاليين فى حية الأنوف أهل أراغون وأهل مقاطعة مرسية . أما الكستكونيون فهم أهل صناعة وعمل ، ولا يفترون كثيراً عن أهل اللندوق فى جنوبى فرنسا لأنهم جيرانهم . وأما سكان الأندلس أى المقاطعات الجنوبية فيغلب على أهلها الذكاء والجمال والسرور وحب الترف ، وذلك لأنهم من بقايا العرب ومن كان اندمج فى العرب . اه تلخيصاً عن جوسه صاحب جغرافية اسبانية والبرتغال .

أمواج البحر المتوسط من الشرق والاطلانطيقى من الغرب ، وقد حفرت المياه على منحدرها سواء من جهة الشرق أو من جهة الغرب مُسلاتاً لا تحصى وأنهاراً تتدفق وجرّدت صخورها من التراب الذى لا يزال يجحف به السيل من عشرات الآلاف من السنين .

والجيولوجيون يقولون : إنه لو حصل خلل فى توازن قشرة الأرض الصلبة أدّى إلى اضطراب أعماق البحار لما أمكن أن تكون الجزيرة الايبيرية بمنجاة من هجوم البحر من جهة الوادى الكبير فى الجنوب وجون نهر « إبره Ebre » فى الشرق حيث أن طرطوشة ليست إلا على ارتفاع مترين فقط من مصب نهر « إبره » كما أن إشبيلية لا تعلو إلا عشرة أمتار عن الوادى الكبير . ولو قدّر أن البحر ارتفع مائة متر عما هو الآن لضربت أمواجه حيطان قرطبة . ولو أن البحر انبسط على سهل اشبيلية لغمر أكثر سهول الأندلس ، ولم يقف إلا فى سفوح جبال مورينة ، sierra - morena بحيث يعود إلى التشكل ذلك البوغاز القديم الذى يسميه العلماء بالبوغاز البيتى "Détroit Bétique" الذى كان يصل البحر المتوسط بالاوقيانوس فاصلاً بين جبال إسبانية الوسطى وبين جبال شلير الثلج^(١) sierra nevada التى يعدها العلماء من جبال أفريقية والتى ذروتها المسماة بقمة مولاي الحسن تعلو عن البحر ٣٤٨١ متراً . وهذا قبل أن حصلت الهزّات الجيولوجية الكبرى التى نشأ عنها الخرق البحرى المسمى ببوغاز جبل طارق .

كذلك ضفاف نهر « إبره » كضفاف الوادى الكبير الذى كان القدماء يقولون له نهر « بتيس » هى تحت تهديد البحر الدائم ، وذلك بحسب درجة ما يمكن أن يرتفع . فإذا ارتفع بضع مئات من الأمتار فإن بنبلونة من نبرة^(٢) Panpelune

(١) nevada معناها بالاسبانيولى الثلجة فالاسبانيون يعنون بقولهم Sierra nevada سلسلة جبال الثلج وأما العرب فكانوا يسمون سلسلة هذه الجبال شلير الثلج وكانوا يطلقون على مجموعها اسم الشارات أو الشرايا وهى تعريب للفظه Sierra مع الجمع navarre (٢)

لا تعلو أكثر من أربعمائة متر ، ووتسقه Huesca لا تعلو أكثر من ٤٦٦ متراً . وكذلك لاردة هي من هذه الأماكن التي قد تفرها المياه ، وأهم من الجميع سرقسطة التي لا تعلو أكثر من مائتي متر وتطيلة التي علوها ٢٥٧ متراً

ولقد نلت وجود مواد مالحة في أعماق هذه الأودية تدل على أن البحر لم يتقلص عنها إلا من عهد قريب بالنسبة للأعمار الجيولوجية . ققلمة الجزيرة اليبيرية في وجه البحار هي في الجنوب جبال مورينه وجبال البشرات وفي الشرق جبال البرانس . وأما في الشمال فهناك جبل قنطيرية ^(١) Cantabrique التي تعلو نحواً من الفين وخمسمائة متر ثم تنقطع دفعة واحدة فوق سواحل الاطلانطيك ، حيث تصادم البحر سلسلة صخور لا تنتهي إلا عند الوادي الكبير في الجنوب . وإلى الاطلانطيك تنحدر الأنهر الأربع « مينو Minho » و « دورو Duero » ^(٢) و « تاجه Tage » « ووادي يانه Guadiana » ومنها « دورو » و « تاجه » قد حفرا أخاديد ضيقة في الأرض هي من العمق بحيث صارت فواصل طبيعية أبدية . ولا شك أنها لم تحل من تأثير في السياسة وأن لها يداً في فصل البرتغال عن أسبانية ، على حين أنه لا يوجد من جهة السكان فاصل بين الفريقين .

ثم أن القسم لأعلى من جبال اسبانية يقسم البلاد إلى قسمين : قشتالة القديمة ، وقشتالة الجديدة : ويقال لها ولبلاذ ايون Léon والاستراما دور Estramadure و« الميزيتا » meseta وهي أعلى اسبانية التي لولاها لدخل البحر على الجزيرة اليبيرية من جهات متعددة بارتفاع قليل ، ولجمال عايتها سافها .

- (١) الغالب على مؤلفي العرب أنهم كانوا يسمون هذه الجبال في شمالي اسبانية بجبال استورياس Asturias أو جبال جليقيه . وأما قنطيرية الأصلية فهي تمتد إلى الشمال الغربي حتى تلتقي بالبرانس . والطرف الشمالي الممتد من بلدة الفارو le Ferrol إلى بيونة Bayonne على الساحل يقال له جبال « شية » .
- (٢) يسميه العرب « بالوادي الجوفي »

ثم إن الفاصل بين القشتالتين les deux Castilles سلسلة أهاضيب يقال لها شارات وادى الرمل ، لكثرة رملها ، والاسبانيول حرفوا « الرمل » فجعلوها « الرامه » فهم يقولون « وادى الرامه » وهو التوجيه الأرجح Guadarrama وسلسلة أخرى يقال لها هضاب « غريدوس » Sierra de Gredos وهى متصلة بسلسلة مثلها من جهة الغرب يقال لها شارات « غاتا » والشارات البرتغالية التى يقال لها « استريلاً » Estrella كما أنها متصلة من جهة الشرق بنشود « شوريه » Seoria ومرتفعات « ديمنده » Demanda على نهر « ابره »

ولما كانت هضاب وادى الرمل عارية من الشجر الذى من طبيعته أنه يمسك الأرضين ، فقد تفككت أجزاءها بحرارة شمس القيظ وبرودة جلد الشتاء ، وتكون منها كتل كثيرة لاسيما فى الجنوب حيث هى البلاد التى يعبر عنها بقشتالة الجديدة . وأن هذه الشارات التى فى وسط اسبانية هى التى تنحدر منها مياه وادى « الدوره » Duero الذى يجرى فى قشتالة القديمة ومياه النهرين الشقيقين « تاجه » Tage و وادى « يانه » Guadiana ^(١) اللذين يتحيفان فى جريهما جبال طليطالة Tolède وهضاب « وادى لب » Guadalupe و يحترقان البلاد إلى البرتغال ، إلا أن أحدهما « تاجه » ينصب فى خليج « اشبونة » Lisbonne والآخر يلتوى عن محراه المستقيم قاصداً إلى الجنوب ، بدلا من الغرب ، فينصب بحذاء « بطايوس » Badajoz بقرب خليج فادس cadix

وغير بعيد عن مصب وادى يانه ، ينصب الوادى الكبير Guadilquivir الذى ينبع من الجبال الوسطى فى اسبانية . ولكن انصباب الأنهار من جهة البحر

(١) فى أسبانية نهران بهذا الاسم أحدهما يسير من شلير الثلج nevada ويمر ببلدة وادى آش guadis فى الجنوب والثانى الذى نذكره الآن يمر ببلاد البرتغال ويتصبب فى البحر المحيط

المتوسط في القسم الجنوبي من اسبانية هو قليل ، نظراً لاشراف شلير الثلج على البحر يتدلى إليه بدون فاصل ، فلا تسكاد تجمد الجداول مجالا للجري . وذلك مثل وادى مالقة Guadalhorce ونهر المرية ونهر شنقورينه المشتق من نهر شقر Seegur والنهر المسمى بوادى الأنيار وادى بلنسية Guadalaviar وغيرها

ويندر في الدنيا وجود ساحل مضرّس مشقّق تشقّق هذا الساحل الذي هو شاطيء البحر المتوسط من اسبانية وهو معهد زلازل وموقد حركات بركانية لم تنطفئ وآثار ذلك بارزة في الشقوق الخائلة التي تتخلّله من جبل طارق جنوباً ، إلى كتلونية شمالاً ، وأعظمها الشق الذي ينحدر منه نهر « ابره » إلى البحر . ويرجح العلماء أن الهزاهز البركانية هي التي فصلت جزيرة ميورقة عن راس « نو » nao وأن ميورقة نفسها . إن هي وأخواتها ميورقة ويابسة إلاّ حلقات من سلسلة كان من جملتها قورسيكا وسردانية .

ويظهر أن الزلازل البركانية التي شقّت بوغاز جبل طارق ، وفصلت هذا الجبل عن أمّة افريقية ، وجعلته من أوربة ، وأقامت وأقعدت أركان تلير الثلج ، وفتحت في ساحل اسبانية الشرقى فجاجاً ، وأحدثت فوق كثير من أقسام ذلك الساحل لججاً وأمواجاً ، لم تنقطع حركتها بالمرة ولا سكن توهجها ؛ فانه لا يزال هذا الشاطيء في قلق إلى يومنا هذا . وكل يعلم أنه في ٢ دسمبر سنة ١٨٨٤ وقعت زلزلة عظيمة كان معظم شدتها في مالقة وغرناطة ونواحيهما ، وذهبت طائفة من العلماء حينئذ إلى هناك وحققوا منطقة الزلازل فوجدوا أنها لم تتجاوز اسبانية السفلى ، وأنها وقفت في حذاء شارات مورنيا فكان الحاجز الذي صدّ الزلازل عن شمول اسبانية العليا هو شفير « الميزيتا » meseta الايبيرية . وهكذا رجعت من أمام هذا الحاجز إلى الورا تصديقاً لقوله تعالى (وجعلنا في الأرض رواسي أن تُميد بكم)

ولا تشتد الزلازل في اشبيلية وقرطبة شدتها في هذا الساحل من جبل طارق إلى برشلونه ، بل إن شارات الثلج أو الجبال التي يقول لها العرب جبال شلير Solair

بالرغم من غلظ أعناقها وثبوت أركانها ، ليست بمنجاة تماماً من تأثير هذه الهزات الأرضية ، يظهر لك ذلك من أودية غرناطة و وادي آش ولورقة والوادي المسمى شافورينة عند مرسية . وتستمر آثار عمل الزلازل إلى بلنسية فبرشلونة فجيرونده من كتلونية .

وكثيراً ما تتجاوز الشقوة مع السعادة ويسكن الخير مع الشر في بيت واحد ، فان هذه المنطقة هي مع زلازلها أخصب بقاع اسبانية ، ناهيك بمرج غرناطة وبساتين مالقة وجنان مرسية ولورقة وغيضة نخيل ألش وحقول القنت ، وأخيراً غوطة بلنسية التي تضارع غوطة دمشق . و بالاختصار هذا الخط البديع الذي فوقه الماء وتحتة البار والذي هو بين الشمس والأمطار قد بسقت فيه عظام الأشجار وتهدلت فوقها أصناف الثمار ، وهو لجيد الجزيرة الايبيرية كالعقد لجيد الحسناء بلا إنكار .

اسم الجزيرة الايبيرية

توخينا أن نطابق على أسبانية والبرتغال اسم « الجزيرة الايبيرية » لا لأنها فعلاً جزيرة ، قد جزر البحر عنها من الجهات الأربع ، بل فراراً من تكرار جملة « شبه الجزيرة الايبيرية » ولقد كان العرب يسمون هذه البلاد بالجزيرة الاندلسية مع معرفتهم أيضاً بأنها شبه جزيرة وأنها متصلة بالأرض الكبيرة من ناحية جبال « البرتات » أو البرانس . وقد قالوا كذلك « جزيرة العرب » مع أنها محاطة بالبحر من جهات ثلاث لا غير مثل جزيرة الاندلس . هذا ولو ارتفع البحر المتوسط قليلاً من جهة « أربونة » Narbone لغمر تلك البسائط إلى خليج « برديل » Bordeaux وصارت أسبانية والبرتغال جزيرة حقيقية

أما هذه النسبة وهي الايبيرية فهي نسبة إلى أمة قديمة يقال لها « الايبير » ibère كانت أقدم أمة عمرت تلك البلاد ، ولم يعرف قبلها هناك أمة أخرى . وجميع الذين أوطنوا هذه الجزيرة إنما جاءوا بعد أمة الايبير هذه .

اسم الجزيرة الاندلسية

أما الجزيرة الاندلسية التي كان العرب يسمون بها هذه البلاد فهي منسوبة إلى « الاندلس » وقد كثر الكلام في أصل هذه اللفظة ، ولكن أرجح الأقوال أنها مشتقة من اسم « الفاندالس » وهم جيل من الناس كانوا يسكنون بين نهر « الاودر » oder ونهر « الفيستول » vistule في شرق المانية . ويقال إنهم من أصل جرمانى ، ويقال إن بعضهم من أصل سلافي أو صقاي كما تقول العرب . وهؤلاء الفاندالس زحفوا من الشمال إلى الجنوب حتى بانغوا بوغاز جبل طارق ، وذلك سنة ٤١١ قبل المسيح . ومن هناك أجازوا إلى افريقية . فلما عرفهم أهل افريقية أطلقوا اسمهم على البلاد التي جاءهم منها وسموا هذه البلاد بالانداس . وقالوا أن عمودهم إلى المغرب كان من جهة « طريف » tarifa وقالوا بل من الجزيرة الخصراء .

وجاء في الاسيكلوبيديا الاسلامية في الجزء الأول صفحة ٣٥٤ بقلم سيولد Seybold أن الفاندالس لم يقيموا في جنوبى اسبانية إلا ثمانى عشرة سنة لا غير ، وأن بلاد جنوبى اسبانية كان يقال لها إلى ذلك الوقت « باتيكة » Batique فصار يقال لها « فنداليسيا » ومنها جاءت لفظة الأنداس ، ولما جاء العرب وفتحوا اسبانية أطلقوا عليها هذا الاسم وصاروا يقولون أنداس ، لالابقة الجنوبية المقابلة للمغرب فحسب ، بل لجميع الجزيرة الايبيرية ولجميع ما فتحوه من البلدان بعد أن عبروا بوغاز جبل طارق . فالأنداس عند العرب هي من بحر الزقاق أو بوغاز جبل طارق . إلى جبل البرانس . وربما أطلقوا لفظة الأندلس على ما وراء البرانس من أرض الأفرنجية فاما الأسبان أنفسهم فكانوا لا يعرفون هذا الاسم قبل العرب وكانوا يسمون البقاع الجنوبية من الجزيرة الايبيرية باسبانية القديمة ، كما كانوا يسمون شمالي اسبانية بأسمائها المختلفة مثل استورية التي كان العرب يقولون لها اشتورية أو اشتورياس ومثل ليون وقشتالة وأراغون الخ . ولكن بعد أن غلب العرب على تلك الأقطار

واشتهر اسم الأندلس عند الأسبانيول أنفسهم صاروا يطلقونه على جنوبي اسبانية ،
 لاسيما بعد أن بدأ العرب يتراجعون إلى الجنوب ، إلى أن انحصر هذا الاسم في مملكة
 غرناطة الصغيرة . انتهى كلام الانسيكلوبيديّة الاسلاميّة ملخصاً وقد نقل ذلك
 عنها المستشرق ليثي أو لاوي بروقتسال E. Levi - Provençal في كتابه
 (اسبانية المسلمة في القرن العاشر ^(١) المطبوع في باريس سنة ١٩٣٢)

قلنا أن هذا الاسم لا يزال يطلق إلى الآن على ولايات اسبانية الجنوبية ، مثل
 قرطبة واشبيلية وغرناطة ورُندة وماتقه وما جاورها . ولننظر الآن إلى ما قاله مؤرخو
 العرب في أصل اشتقاق لفظة الأندلس :

فال ياقوت الحموي في معجم البلدان : الأندلس يقال بضم الدال وفتحها وضم
 الدال ليس إلا ، وهي كلمة أعجمية لم يستعملها العرب في القديم وإنما عرفتھا العرب في
 الاسلام وقد جرى على الألسن أن تلزم الألف واللام . وقد استعمل حذفها في
 شعر ينسب إلى بعض العرب فقال عند ذلك :

سألت القوم عن أنسٍ فقالوا بأندلس وأندلسٌ بعيد

ثم أخذ ياقوت يبحث في بناء لفظة أندلس ومكانها من الأوزان العربية وكيف
 أنه لا يوجد لها وزن في هذه اللغة ، بحثاً ليس له طائل ، لأن هذه اللفظة هي أعجمية
 من أصلها كما قال هو فلا حاجة لعرضها على وزن عربي . ولم يقل ياقوت مصدر هذه
 اللفظة كما ذكر غيره ، ولكن نقل المقرئ في نفح الطيب عن ابن سعيد أنها إما
 سميت بالأندلس لأن هذا الاسم هو اسم ابن طوبال بن يافث بن نوح الذي نزلها
 كما أن أخاه سبت بن يافث نزل العدوّة المقابلة لها وإليه تنسب مدينة سبتة (؟)
 قال : وقال ابن غالب : إنه أندلس بن يافث والله تعالى أعلم .

وقال القلقشندي في صبح الأعشى الجزء الخامس : وقد اختلف في سبب تسمية
 الأندلس بهذا الاسم ، فقليل ملكته أمة بعد الطوفان يقال لها الأندلس بالشين المعجمة

(١) L'Espagne musulmane au xème siècle

فسمي بهم ، ثم عرب بالسين المهملة . وقيل خرج من رومة ثلاثة طوابع في زمن الروم يقال لأحدهم القندلس بالقاف في أوله وبالشين المعجمة في آخره ، فنزل القندلس هذه الأرض فعرفت به ثم عربت بابدال القاف همزة والشين المعجمة سيناً مهملة . ويقال أن اسمها في التقديم « آفارية »^(١) ثم سميت « باطقه » ثم أشبانية^(٢) ثم الاندلس باسم الأمة المذكورة . قال في تقويم البلدان : وسميت جزيرة لاحاطة البحر بها من الشرق والغرب والجنوب وإن كان جانبه الشمالى متصلاً بالبر

(١) لا نعرف ما دا أراد القلقشندي بهذه اللفظة . آفارية ، وإن لم تكن محرفة أو مصحفة فيكون الأشبه بها أن تكون « آورية » ، والحال أن بلاد الآفاريين هي في شمال القوقاس . ثم إن الشعب الآفاري هو من أصل تركي زحف من الشرق إلى الغرب في القرون الوسطى لكنه لم يتجاوز بوهيميا غرباً ووقع بين السلاف من جهة والفرنج من جهة أخرى ثم اندمج في الشعوب الأخرى لاسيما في المجر

(٢) الإيبيريون السليون هم أقدم أمة في غربي أوربة أصبحت شبه الجزيرة الإيبيرية أى إسبانية والبرتغال الحاضرتين وقسما من بلاد الغال أى جيوني فرسة وبعض شمالي إيطاليا . وقبل لاسبانية الحالية « إيبيرية » نسبة إليهم ثم تحولت هذه اللفظة إلى « هيسبرية » ، بقلب الألف ها . Hesperie وهو اسم كان اليونانيون يسمون به شبه جزيرة إيطاليا كما كان الرومانيون يسمون به شبه جزيرة إيبيرية وبعد ذلك تحولت « هيسبرية » إلى « هيسبانية » Hispanie ومنها صارت « إسبانية » Espagne والعرب كانوا يعرفون هذا الاسم إلا أنهم كانوا يجعلون السين شيئاً

وهناك توجيه آخر لاسم إسبانية ، وهو أن إشبيلية كانت في القدم مستعمرة إيبيرية ، وكان يقال لها « هيسباليس » Hispalis ولم تلبث أن صارت عاصمة « باتيكا » أى إسبانية الجنوبية ، فلا عجب أن اشتق اسم إسبانية من هيسباليس لأن اللام والنون كثيراً ما يحصل التبادل بينهما ولا نفس أن أصل البلاد التي يقال لها إسبانية هو الجيوب من إسبانية الحالية وأن اسم إسبانية لم يشمل شمالي الجزيرة الإيبيرية إلا حديثاً فلا يبعد أن يكون اسم إشبيلية القديم شمل البلاد التابعة لها ، وكثيراً ما نسمت المملكة باسم العاصمة .

وهذا التوجيه هو الذي ظهر لمحرر هذه السطور ولم أجده في كتاب وقد كاشفت

ما قاله دوزى عن اشتقاق اسم الأندلس

لم يأت دوزى فى هذه المسألة بشئ جديد ، فى كتابه المسمى « بمباحث عن تاريخ اسبانية وآدابها فى القرون الوسطى » المحرر بالفرنسية ، يقول : ان هذا الاسم كان يطلق على مقاطعة بتيكة وقد جعله العرب عاماً لجميع اسبانية ، فترجح أن لفظة اندلس مشتقة من الفندالس الذين قبل أن أجازوا إلى افريقية احتلوا جنوبى أسبانية . وهذا رأى فى هذا الاشتقاق هو قديم ، لأنه قد رواه الرازي ورد عايه بأن مقام الفندالس فى جنوب أسبانية كان قصيراً جداً ، ولكن الذى لا شك فيه هو أن أول من أطلق لفظ اندلس على مقاطعة بتيكة وعلى أسبانية كلها هم المسلمون ، فان مؤرخى شمالى أسبانية لا يعرفون هذا الاسم بل يسمون باسبانية Spania جميع البلاد التى كانت فى حوزة العرب . فاما مؤلفو العرب فيسمون البلاد بالاندلس ويذكرون وجه التسمية . وفى « أخبار مجموعة » يقول إن أندلس كان اسم الجزيرة التى نزل بها طريف . ويقال لها جزيرة طريف . من ذلك الوقت . وقال المؤرخ عريب : أن به الأستاذ المدقق السيد محمد علال الفاسى من آل الجد وهو من ثقوب الذهن وأصالة رأى وسعة الاطلاع بالمكان الذى يعرفه له كل من عرفه فأجبنى بما يلى :

إن المحدثين تكلموا عن مصدر اشتقاق هذا الاسم « اسبانية » فذهب بعضهم إلى أنه مأخوذ من لفظة « شافان » السامية ومعناها الأرنب وهو الحيوان المعروف قيل لأن الفينيقيين وجدوه بكثرة هناك . ويظن الآخرون أنها سميت « اسبانية » من لفظة « أزابانيا » وهى لفظة باسكية معناها « شاطئ » ، ونفسى تظمن لهذا التعليل لأنه منطبق تماماً على حال الجزيرة وليس فيه تغير كبير . أما كونها سميت اسبانية باسم اشيلية التى كانت تدعى « هيسباليس » فغير متعين لأنى أظن أن هذه اللفظة كانت من قبل ، أى بعد سقوط مملكة القرطاجنيين ، علماً على شبه الجزيرة كلها وأن اشيلية كانت معروفة عند الفينيقيين باسم « سيفيلا » والرومان هم الذين أبقوا اسم المملكة على خصوص هذه المدينة اه فرأى السيد علال هو إذا اشتقاقها من ازابانيا بمعنى شاطئ والله أعلم .

طريقاً نزل قبالة طنجة في الاندلس التي يقل لها اليوم حزيرة طريف . إذاً أصل الاسم كان لذلك المحل لا للبلاد كلها ، وقد ذكر غريغوار التورى Grégoire de Tours ما يدل على أن اسم المكان الذى نزل فيه طريف كان طرادوكته Traducla وهو المكان الذى أجاز منه القنادلس إلى افريقية فلما جاء البربر ونزلوا في هذا المكان سمو باندلس كل البلاد وجاء طارق من بعده فكان هذا الاسم أصبح مستعملاً

تخطيط الجزيرة الاندلسية

فل سيبولد في الانسيكوبيديا الاسلامية : إن العرب لم يكونوا ليتخصصوا من المصور الجغرافى المعكوس المنحرف الذى وضعه بطليموس من قديم الزمان ، فكانوا يصورون اسبانية بشكل مثنى غير منظم . أطرافه هى : من الجنوب طريف ورأس مراكتس ، ومن الشمال الشرقى رأس كريوس Caesus ومرسى فندر fort-Vendres وفى الشمال الغربى بلاد فينستير I mistere وكذلك كانوا يصورون جميع الشواطىء الممتدة من طريف إلى كريوس أو بالأفصل إلى طركونة وبرتغالة كأنها تغور جنوبية كما تعلم ذلك من كتاب المراكشى . ثم حبل البرانس فهمى في تصويرهم تغور شرقية للاندرلس ! ثم إنهم فيما بعد فهموا أن تشرق الاندلس إنما هو سواحل بايسية ومرسية وفهموا أن الحد الغربى هو الاقيايوس الاطلاتيكى الذى كانوا يقولون له بحر الظلمات أو البحر المظلم أو البحر المحيط لأعظم أو الاقيايوس أو القماموس أو البحر الغربى في مقابلة الشرقى الذى كانوا يقولون له البحر الرومى أو البحر الشامى أو المتوسط . وكان الحد الغربى للاندرلس عندهم ممتداً من طريف إلى رأس « سان فنسان » Cap Saint - Vincent أو رأس « روكه » Roca عند أشبونة Sisbonne ومن هناك يصير عندهم الحد الشمالى الذى يمتد وراء عايسية Galice إلى جبال البرانس فى بلاد « فونتراية » Fontarabie . وكانوا يقولون لجبال البرانس جبال البرتات أو الجبل الحاجز أو الفاصل ، ويسمون جبال قشتالة بجبل الشارات وجبال نيفاده

Névacla بجبل الثاج أو جبل شاير chulair (واصل هذه اللفظة هو سولور يوس
(Solorius

ولهذا جميع الاطالس الجغرافية المتعاقبة باسبانية العربية المنشورة إلى اليوم هي غير صحيحة ، سواء أطالس « سبرونر » و « منكه » Spruner et menka المطبوعة سنة ١٨٨٠ وأطالس دوريزين Draysen المطبوعة سنة ١٨٩٤ في كتاب اوغست مولر المسمى « بالإسلام في الشرق والغرب » أو أطالس ستانلي لانبول Sane-Poole في كتابه « العرب في اسبانية » وكلاهما قد تناقات الأغلاط الجغرافية من أيام « كازيرى » و « كوندى » و « سوزة » و « جوبرت » و « غاينغوس » و « هامر » و « ملرن » وغيرهم ، حتى أن دوزى Dozy نفسه برغم مجهوداته الكثيرة لم يترك أثراً يذكر في تصحيح جغرافية اسبانية ، وهو في ترجمته لكتاب الادريسي عن الاندلس والمغرب وتعليقه عليه لم يأت أيضاً بشئ ، من تصحيح الأغلاط التي وردت في نفس الأصل ^(١) نعم أنه في تضاعيف كتبه عن الأندلس حقق بعض أما كن

(١) عاق دوزى بعض ملاحظات على الادريسي ، إلا أن جل همه كان تحقيق الاعلام التي ذكرها الادريسي وذكر ما يقال لها بالاسبانية ، وقد رمى فقرطس في جميع ما قاله إلا في مواضع ممدودة توقف فيها أو كان في قوله نظر . وعلى كل حال فترجمته لكتاب الادريسي هي أحسن ترجمة ، وكفاها حسناً تصحيحه للأغلاط الفظيعة التي وقعت في ترجمة « جوبر » Joubert . وذهبت بالمعاني إلى أبعد ما يصل إليه التصور ومن أمثلة هذه الأغلاط أن الادريسي ذكر الروس فقال : إنهم يخلقون لحامهم ومنهم من يجمعها ويضفرها كاعراف الدواب . فوقع تصحيح في « اعراف » جعلها « اعراب » فترجم جوبر ذلك بما يلي :

la réuniment et la tressent à la manière des Arabes de Douab

أى يجمعونها ويضفرونها على نسق اعراب بلاد دواب

وجاء في كلام الادريسي عن أحد الظالمين انه « مسخ » وهو فعل مبني للمجهول

فلم يفهم جوبر لفظة « مسخ » وظنها اسم علم وترجمها هكذا on dit que c'est masth بدلا من أن يقول il fut métamorphosé ووقع جوبر في اغلاط كثيرة من هذا

لا سيما في مبحثه المسمى « بملاحظات جغرافية على بعض مقاطعات الأندلس القديمة » وذلك في كتابه المسمى « بالتنقيبات عن تاريخ اسبانية وآدابها »

Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne

وله تتقدم جغرافية اسبانية العلمية في كتابات « سافيدرا » Soavedra ولا « سيمونه »

Simoner ولا « اغيلاز » Egilaz ولا « قديره » Codera ولا « باسه » Bassar

وقد كان يجب جمع جميع ما تقدم من المعلومات المتعلقة بهذا الموضوع ، ونحياها

نحلا دقيقا ، مع طرح جميع المجازفات والأخطاء التي تراكت من أيام كزيري Gaisri

وكوندي Conde إلى أيام هامر Hamner وميرن Mehren فكم أن دوزي الكبير

عندما كتب التاريخ المسمى بتاريخ مسعى اسبانية ترك جميع ما كان تقدم عنها من

الكتابات ، وعدّها لغوا ، ورجع إلى المنابع العربية نفسها ؛ كذلك يجب العمل

الخط . أتينا بأمثله منها استدلالا على خط بعض المستشرقين . ولكن بعض هؤلاء

تعقوا جوير هذا في ترجمته السقيمة هذه . ومن هؤلاء : كاترمار ، Quatremère

ومنهم دوزي . إلا أن كاترمار وإن أصاب في أكثر ما تعقب به جوير فقد أخطأ

في بعضه مثل أن أكثر خشب مسجد قرطبة هو من الصنوبر الطرطوتي . فذهب

كاترمار إلى أن الطرطوتي هنا لا محل له وأه قد يكون محرفا عن لفظة « مرصوص » ،

والحال أنه هو الصنوبر الطرطوي المنسوب إلى طرطوشة tortose الموصوفة بجودة

الصنوبر والتي فيها دار صفة للسفن بسبب منانة خشب صنوبرها

وفد كانت ترجمة دورتي « ابرهة المشتاق في اختراق لآدق » عن نسخة مخطوطة

في مكتبة باريس . وأخرى في مكتبة اكسفورد ، وفي كليهما أغلاط نسخ تحير دوزي

وغير دوزي في ردها إلى الأصل . وأما على وجه الاجمال فقد كان اجتهد دوزي

بغنى بعض آراء بعض فيها مما أراح السائر عن أكثر حقائق العلم بالأندلس سواء

من جهة تاريخها أم من جهة جغرافيتها . وذلك في نظر الأوربيين الذين لم يكونوا

يعلمون عنها من قلة الا معلومات ناقصة وأخبارا مشوهة ولم تكن لهم عنها إلا آراء

مشوبة باهواء رجال الكنيسة

نفسه في جغرافية هذه البلاد . وهذا العمل يحتاج إلى مراجعة الكتب اللاتينية والاسبانية والعربية نفسها . وذلك أنه وإن كان التعصب الأعمى ، بعد سقوط مملكة غرناطة ، قد أخنى على كنوز أدبية هي فوق كل تقدير ، ومحا كتباً ذهب وأصبح لا يمكن إحيائها ، فانه لابد أن يكون في الشرق وفي شمال أفريقيا كتب عربية متعلقة بالأندلس يمكن الاستفادة ، جدُّ الاستفادة منها ؛ بل يجب جمع التأليف الجغرافية والتاريخية التي كتبها العرب ، من زمن ابن خردادبه ، إلى اليعقوبي ، إلى المسعودي ، إلى ياقوت ، إلى المقرئ الذي أخذ عن مائة مصنف ، هذا مع مراجعة كتب التراجم التي فيها نسبة العلماء الأندلسيين إلى بلدانهم مما تؤخذ منه معلومات جغرافية كثيرة أيضاً ، ومما يدل على انتشار العلم في اسبانية العربية بصورة مذهشة . ومما لا شك فيه أنه قبل كل شيء تلزم مراجعة المكتبة العربية الاسبانية Beblioteca Arabico - Hispana لقُدرة^(١) التي هي عشرة مجلدات وفيها تراجم علماء الأندلس ، وإن كان مع الأسف فيها تحريف أسماء كثيرة من أسماء البلاد التي ينسب إليها أولئك العلماء . انتهى ملخصاً .

وقال لاوى بروغنسال في كتابه « أسبانية الاسلامية في القرن العاشر » : إن جغرافيات العرب لم ترد فيها تفاصيل كافية شافية عن الاندلس ، ونحن مضطرون أن نقتنع بالموجود بين أيدينا منها ، مثل كتاب الهمداني الذي كتب في حوالى سنة ٩١٠ مسيحية ، وكتاب الأصطخرى الذي تاريخه ٩٢١ مسيحية ، أى أوائل عهد عبد الرحمن الناصر ، وابن حوقل الذي أكمل جغرافيته سنة ٩٧٦ والمقدسى الذي كتب كتابه في أحسن التقاسيم . بعد ابن حوقل ، فالأصطخرى ذكر أن أهم مدن

(١) Franciscus codera هو مستشرق أسباني يقال إنه من سلالة عربية واسمه قديرة دليل على ذلك . وقد علمنا من الأستاذ القسيس آسين بالاسيوس Acin palacios المستشرق الاسبانيولى المعاصر الذي أثبت أن داتى فى المهزله الالهية سرق رسالة الغفران للبعري أن قديره هو أستاذه

الاندلس في أيامه كانت شنترين ، وجبل طارق . وطليلة ، ووادي الحجارة ، وريّة ، وفحص البلوط ، وقورية ، وماردة . وقال : إن أهم الثغور لذلك العهد كانت ماردة ونفزة ووادي الحجارة وطليلة . وأما المقدسي فأحصى ثمانى عشرة كورة للاندلس (سيأتى كلام المقدسي بحروفه نقلا عن الأصل)

أما محمد بن أحمد الرازى لانداسى فله تاريخ وجغرافية للانداس ، لا يوجد لها سوى ترجمة باللغة الاسبانية قشالية ، عن ترجمة برتغالية . عن الأصل العربى الذى كتب فى أوائل القرن الرابع عشر ، وقد أمر بهذه الترجمة إلى البرتغالية دنيس ملك البرتغال . وكتاب الرازى هذا كان عمدة ياقوت الحموى عن الأنداس . وبحسب كلام الرازى كانت الأندلس إحدى وأربعين كورة : قرطبة ، وقبرة ، والبيرة ، وجيان ، وتدمير ، وناسية ، وطرطوتة ، وطرّا كونة ، ولاردة ، وبرباطانية ، ووشقة ، واطيالة ، وسرقسطة ، وباروتة . ومدينة سالم . وشنتبرية ، وراقويل ، وزوريتة ، ووادي الحجارة ، وطليلة ، وإوبيط ، وفحص البلوط ، وقريش ، وماردة ، وبضايوس . وبيجة ، واقشنونه ، وشنترين ، وقويره ، واكشيتانية ، واشبونة ، واشبيلية ، وقرمونة ، ومورون ، وشذونة . والجزيرة ، وريّة . واسجة ، وناكرونة . وأما الادريسي الذى كتب جغرافيته فى القرن الثانى عشر فالأنداس عنده ستة وعشرون أقليما - وهو تقسيم جغرافى ليس سياسى ولا إدارى - وهذه الأقليم هى : البحيرة ، وشذونة ، وحرف ، وقنباية ، واشونه ، وريّة ، والبشرات ، وبجّانه ، والبيرة . وفريّة ، وتدمير ، وقونسه ، وأرجيرة ، ومريبطر ، واقواطم ، والفلّجّه ، والبلاطة ، والفخر ، وقصر أبى دنيس ، والبلاط . وبلاطة ، والشارات ، وأرنيدة ، والزيتون ، والبرتات ، وممرية . قال : وقد رأينا أن الشاميين نزلوا فى البيرة ، وأن أهل الأردن نزلوا فى المقة ، وأن أهل فلسطين نزلوا فى شذونة ، وأن أهل حمص نزلوا فى اشبياه ، وأن أهل قنّسرين سكنوا جيّان ، وأن أهل مصر كانوا فى بيجة ومرسية ؛ فكانت هذه المدن فى زمن الخلافة الأموية امصاراً . وأما سائر السكور

فتشكلت فيما بعد ، مثل كور الجنوب العربى وهى : مورون ، ولبله ، وماردة ، وشنترين ، وتاكرونه ، وريّة ، وبجّانه ، أوى رُنْدَة ، ومالقة ، واطريّة . وسنة ٣٥٠ عند ما تولى الحكم المستنصر كانت الثغور خطأً منحنيًا مارًا بالقسم الشمالى من الأندلس من شرقية إلى الغرب ، يبتدىء من جنوبى برشلونة ويمتد شمالاً بغرب ، وذلك من عند بر بستر ووشقة ، ثم يتصل بوادى إبره شمالى تطيلة ، ثم يصعد من هذا الوادى إلى هارو ، ثم يعود فينحني صوب الجنوب تابعاً مجرى الوادى الجوفى أى دويره ، إلى المحيط الاطلانتيكى بعد أن يمر بالمدين التالية : أشمه ، وسيمينكاس ، وزموره ، ولاميغو ، وبورثه . وأما المسعودى فيقول فى مروج الذهب الذى تاريخه سنة ٣٢٧ للهجرة : إن الثغر الشمالى يمتد من طرطوشة إلى افراغة إلى لاردة . انتهى وسيأتى كلام المسعودى بحروفه .

عدد سكان أسبانية

لا شك أن العصر الذى بلغت فيه أسبانية ذروة نموها هو العصر الرومانى ، فقد قيل أنه كان فيها أيام الرومان من ثلاثين إلى أربعين مليون نسمة . ولكن لم يوجد وثائق تاريخية تؤيد بلوغ أهالى الجزيرة الايبيرية هذا العدد . ثم أسها كانت فى نمو عظيم أيام العرب ، يستدل على ذلك بكثرة مدنها الحافلة لعهد العرب ، فقد كان فيها نحو من أربعين مدينة عربية ، ومنها قرطبة التى أحزر عدد سكانها بنحو من مليونى نسمة ، كما سيأتى الكلام فى هذا المبحث . إلا أنه مع الأسف لا يوجد عندنا وثائق يعرف منها بالضبط عدد المسلمين الذين كانوا فى أسبانية لعهد الناصر مثلاً ولا عدد مجموع السكان من مسلمين ومسيحيين فى ذلك العصر

ومن باب الحزر والتخمين أقول إنه لا يمكن أن يكون عدد مسلمى الاندلس لعهد الناصر والمستنصر أقل من خمسة عشر مليوناً . ولما أجلى الاسبانيول المسلمين واليهود هبط عدد سكان أسبانيا ، لهذا السبب ولسبب آخر هو كشف اميركة التى هاجروا إليها ، هبوطاً عظيماً . ففى سنة ١٥٩٤ كان عدد سكان أسبانية نيفاً وثمانية

ملايين ، ومضى على ذلك قرنان ولم يزد عدد الأهالي أكثر من مليون واحد ، ففي سنة ١٧٦٨ كان في أسبانية تسعة ملايين ومائة وستون ألفاً من السكان ، ثم ازداد هذا العدد في زمن آل بربون إلى عشرة ملايين ، وذلك في أوائل القرن الثامن عشر . وسنة ١٨٣٢ كانوا احد عشر مليوناً ، وسنة ١٨٤٩ كانوا ١٤ مليوناً ، وفي أوائل هذا القرن العشرين صاروا ٢١ مليوناً ، والآن هـ ٢٢ مليوناً و٣٣٨ ألفاً

ومعدل كثافة السكان بالنسبة إلى مساحة الأرض هو ٤٠ نسمة في الكيلومتر الواحد ، هذا بالتعديل المتوسط . وأسباب عدم ترايد السكان كما في الممالك الأخرى ، لا تنحصر في الهجرة ، بل هناك أسباب أخرى ، مثل عدم تناسب في توزيع الأراضي ، ومثل فدح الضرائب ، ومثل التعامل بالربا . ومن حملة هذه الأسباب ندور الحراج والغابات . فاناس يرحلون إلى اميركة من "مقر ولاسيما من بلاد البشكونس ولاردة ووشقة وحيرونة . وأكثر الذين يرحلون من الجنوب هم أهالي المرية والقفنت ، ففي السنة يرحل زهاء مائتي ألف . وهم يرحلون إلى المكسيك والارجنتين وسائر أمريكا . ومنهم من يرحل إلى المغرب وإلى الجزائر . وفي عمالة وهران ١٧٥ ألف اسانيولي

أقوال العرب عنه جغرافية الأندلس

قول ابن حوقل

قال ابن حوقل الذي خرج راحلاً من مدينة السلام سنة ٣٣١ ، ووصف جميع ماشاهده ؛ وأما الأندلس فجزيرة كبيرة فيها عامر وعامر ، وطولها من الشهر في عرض نيف وعشرين مرحلة ، وتقلب عايبها المياه الجارية والشجر والتمر والرخص والسعة في الأحوال من الرقيق الفاخر والخصب الظاهر . نلى أسباب التهلك الفاشية من أكثرهم ، ولما هم بها من رغد العيش وسعته وكثرته . يملك ذلك أهل منهم وأرباب صنائعهم لقلة مؤسهم وصلاح بلادهم . ويساوى ملكهم بقلة شغلهم وسقوط تكلفه بشيء . يحذرهم

وحال يخافه ، إذ لا خوف عليه ولا رقبة لأحد من أهل جزيرته مع عظم مرافقه وجباياته ووفور خزائنه وأمواله . ومما يدل بالقليل منه على كثيره أن سكة دار ضربه على الدينار والدرهم ضربتها في كل سنة مائتا ألف دينار ، يكون ، عن صرف سبعة عشر دينار ، ثلاثة آلاف ألف درهم وأربعمائة ألف درهم ، هذا إلى صدقات البلد وجباياته وخرجاته واعشاره وضماناته ومراصده والأموال المرسومة الواردة والصادرة والجوالى والرسوم على بيوع الأسواق . ومن أعجب أحوال هذه الجزيرة بقاؤها على من هي في يدهم مع صغر أحلام أهلها وضمة نفوسهم ونقص عقولهم وبعدهم من البأس والشجاعة والفروسية والبسالة ولقاء الرجال ومراس الانجساد والأبطال ، وعلم موالينا^(١) عليهم السلام بمحلتها في نفسها ومقدار جباياتها ومواقع نعمها ولذاتها^(٢)

(١) في النسخة التي عندنا من « المسالك والممالك » لابن حوقل وهي المطبوعة في لندن سنة ١٨٧٣ يقول : وعلم موالينا عليهم السلام بمحلتها في نفسها الخ ، وأما في نفع الطيب نقلا عن ابن حوقل فيقول : ، مع علم أمير المؤمنين بمحلتها في نفسها الخ ،
(٢) كلام ابن حوقل هنا لا يقره عليه أحد من أهل العلم الذين أجمعوا على وصف أهل الأندلس بخلاف هذه الأوصاف التي ينزهم ابن حوقل بها ، وأقروا بمكان أهل الأندلس من سعة العقول وعلو الهمم وشدة البأس وسائر المناقب التي بلغوا بها ذرى أحسن مدينة وجدت في القرون الوسطى ، إلا خصلتين كانتا بدون شك سبب بوارهم أحدهما كثرة الانقراض على ملوكهم وحب الشقاق فيما بينهم ، والثانية شدة الانغماس في الترف الذي أدى إلى رجحان عدوهم عليهم في الحروب بما كان عليه من الخشونة والصبر على الشدائد ، والذي يظهر لنا أن ابن حوقل إنما أراد تصغير شأن أهل الأندلس يومئذ أغراء لبني العباس ، وهو من أتباعهم بشن الغارة عليها وإعادتها إلى إلى حضن الخلافة العباسية ، فقال ما قال على سبيل الدعاية لا غير ، وإلا فإن كثيراً مما قاله مخالف للمحسوس ومنقوض بالاجماع ، وقد نقل المقرئ في نفع الطيب عن ابن سعيد مكملاً هذا الكتاب ما يلي :

لم أر بدأ من إثبات هذا الفصل وإن كان على أهل بلدى فيه من الظلم والتعصب ما لا يخفى ، ولسان الحال في الرد أنطق من لسان البلاغة ، وليت شعري إذ سلب أهل هذه الجزيرة العقول والآراء والهمم والشجاعة ، فمن الذين دبروها بآرائهم وعقولهم

فأما مغرب هذه الجزيرة ، فن مدخل هذا الحايج المذكور ^(١) ومصب مائه

مع مرادة أعدائها المجاورين لها من خمسمائة سنة ونيف ؟ ومن الذين حووها ببسالتهم من الأمم المتصلة بهم في داخلها وخارجها نحو ثلاثة أشهر على كلمة واحدة في نصرة الصليب ؟ وإنى لأعجب منه إذ كان في زمن قد دلفت فيه عباد الصليب إلى الشام والجزيرة ، وعاثوا كل العيث في بلاد الاسلام ، حيث الجمهور والقبة العظمى ، حتى أنهم دخلوا مدينة حلب . وما أدراك ، وفعلوا فيها ما فعلوا وبلاد الاسلام متصلة بها من كل جهة ، إلى غير ذلك مما هو مسطور في كتب التواريخ . ومن أعظم ذلك وأشدّه أنهم كانوا يتغلبون على الحصن من حصون الاسلام التي يتمكنون بها من بسائط بلادهم فيسبون ويأسرون فلا تجتمع همم الملوك المجاورة على حسم الداء في ذلك ، وقد يستعين به بعضهم على بعض فيتمكن من ذلك الداء الذي لا يطب ، وقد كانت جزيرة الأندلس في ذلك الزمان بالضد من البلاد التي ترك وراء ظهره . وذلك موجود في تاريخ ابن حيان وغيره اه قلت : لم يقصد بن سعيد بما قاله عن تخاذل مسلمي الشام ، الحروب الصليبية المعهودة التي تجلت فيها هذه الحالة بعينها لأن ابن حوقل عاش قبل الحروب الصليبية بمائة وخمسين سنة ، وإنما قصد حروب الروم البيزنطيين التي كانت سجالا بينهم وبين المسلمين . وحادثة حلب هذه كانت سنة ٣٥١ أي في عصر ابن حوقل ، وسي الدمشق من حلب بضعة عشر ألف صبي وصبية وفعل الأفاعيل . ولكن المسلمين في أمر المخاذل سواسية لاشرق منهم يقدر أن يندد بغرب ولا غرب يقدر أن يندد بشرق إلا من رحم ربك (١) قوله المدكور يشير به إلى ما ورد له من كلام سابق عند ذكره لبلاد المغرب وذلك في الصفحة ٧٣ من كتابه المسالك والممالك طبعة ليدن ، فان ابن حوقل يقول في تلك الصفحة ما يلي : فأما ناحية البربر الذين بنوا حتى طيجة وأزيلة والبصرة وظاهر فاس فأكثرهم في ضمن ولد ادريس بن عبد الله وهو ادريس بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، وهم في غاية من طيب العيش ورفاهيته وخصبه ورخص الأسعار وطيب الأهوية والأغذية . وكانت حالهم فيما تقدم أزيد من هذه الحال صلاحاً . وفي وقتنا هذا فقد تدانت أحوالهم وصلحت أمورهم وعمر طريقهم . ولم يزل أهل هذا النسب منظوراً إليهم مرعية حقوقهم عند بني أمية على سالف الدهر . وأدركت عبد الرحمن أبا المطرف بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ابن مروان يحافظ عليهم مرة ويسوقهم بالعصا مرة لما كان تظاهر به أبو العيش من

عند البحر المحيط من نواحي « لبلّة » (niebla) « وجبل العميون » (Gibraleon) آخذاً على « ألب » (Hielba) و « شلب » (Silves) إلى أن يتصل « بشنطرة » (eintre) ذاهباً على « سمورة » (Zamora) وليون (Léon) واربونة (narbonne) من بلاد جليقية^(١) إلى أقاصى (بياض بالأصل) ومشرقها . فمن مشرق جليقية إلى الخليج الرومى على نواحي « سرقصة » وضواحي « وسكة »^(٢) وطرطوشة وجميع بلاد الأفرنجية من جهة البر ، وجنوبها الخليج المذكور من تجاه جزيرة صقلية إلى بلاد بلنسية ومرسية والمرية ومالقة والجزيرة إلى ركن البحر المحيط وأول أرضها المعمورة على الخليج الرومى ، فمن أشبيلية إلى طرطوشة وهى آخر المدن التى على البحر المتصلة ببلاد الأفرنجية ، ومن جهة البر ببلاد (علجسكس) وهى بلاد حرب من النصارى ، ثم تتصل ببلد (بسكونس) وهى أيضاً نصارى ، ثم ببلاد الجلالقة ، فتنتهى الأندلس إلى حدين : حد إلى دار الكفر ، وحد إلى البحر . وما ذكرته من المدن على البحر وغيره فمدن كبار عامرة ولم تزل الأندلس فى أيدي بنى مروان إلى هذه الغاية . ومن مشاهير مدنها القديمة جيان (Jian) والاسبانيول قبح السيرة وخبث المعاملة لبنى السيل وكثرة العيلة ، وذلك أن عبد الرحمن هذا (يعنى به الخليفة عبد الرحمن الثالث الأموى الملقب بالناصر وكان ابن حوقل من أبناء عصره) وأهله يملكون الأندلس ويحاذون هذه الناحية وبينهم أصل الخليج الخارج إلى بلد الروم عن قرب مسافة ما بين العدوتين ، حتى انهم ليرى بعضهم ماشية بعض وصور أشجارهم وزروعهم ويتبينون الأرض المفلوحة من الأرض البور وعرض الماء فى ذلك يكون ١٢ ميلا

(١) المعهود أن العرب كانوا يقولون جليقية لشمالى الأندلس ، وقد يقولون لها غاليسية كما يقول الاسبانيول ، وإذا كان كذلك فاربونة (Narbonne) ليست من بلاد جليقية المذكورة . والذي يظهر أن ابن حوقل أراد بجليقية هنا البلاد المسماة بلاد الغال من الأفرنجية وهى بلاد تقع أربونة فيها

(٢) الغالب أن أهل الأندلس يقولون سرقسطة ووشقة ولكن ابن حوقل كثيراً ما يتابع اللفظ الاسبانيولى فتجد بينه وبين جغرافى العرب بعض الاختلاف فى الاسماء

يلفظونها الآن خيان (بالخاء على عادتهم في قلب الجيم خاء) وطليلة (Toledo)
 ووادي الحجارة (والاسبانيون يكتبونها هكذا Guadalajara وكان العرب
 يسمونها أيضاً مدينة الفرج) وجميعها قديمة ولم يحدثوا بها بالاسلام غير مدينة بجانة
 (Pechina) وهي المرية (نقل القلقشندي في صبح الأعشى عن تقويم البلدان أن
 مدينة مرسية هي إسلامية محدثة بنيت في أيام الأمويين) وهي على حدود رستاق
 البيرة وشمترين على ظهر البحر المحيط . وبالاندلس قلاع كثيرة ترد إلى مصر والمغرب
 وأكثر جهازهم الرقيق من الجوارى والغلمان ، من سى أفرنجة وجالية والخدم
 الصقالبة .

وجميع من على وجه الأرض من الصقالبة الحصيان من جاب ^(١) الأندلس ،

(١) ذكر لافي يروفسان في كتابه « اسبانية المسلمة في القرن العاشر » ان لفظة
 صقالبة كان يطلقها العرب على الأرقاء الذين كانوا يشترونهم من أوربة . وأصل ذلك
 أن الجيوش الجرمانية عند ما كانت تغزو بلاد السلاف كانت تسكن من السبي منهم
 وإذا رجعت من غزواتها بالأسرى باعتهم من عرب اسبانية . ولما كان هؤلاء الأرقاء
 من جنس السلاف سماهم العرب صقالبة ، وصارت لفظة الصقالبة تطلق على جميع هؤلاء
 الممالك . فان . وفي زمان الرحالة ابن حوقل في أواسط القرن العاشر كانوا يسمون في
 اسبانية صقالبة جميع الممالك الذين من أصل أوربي والذين كانوا يخدمون في الشرطة
 أو في الجند أو في قصر الخلافة . وقد ذكر أنه لما كان يحول في الأندلس ، لعهد
 الحكم المستنصر ابن الناصر . لم يكن الصقالبة أى الممالك كلهم من الجنس السلافي بل
 كان منهم جم غفير من سى « كلايره » و « لومباردية » و « كلونية » و « غاليسية »
 وكان أكثر وصولهم إلى الأندلس بواسطة غزاة البحر من المغاربة والاندلسيين ،
 وأما الذين منهم كانوا يرشحون لخدمة الحرم في القصور فقد كانوا يخصوصهم . وكان
 تجار اليهود عندهم كما قال دوزى معامل للخصى أهمها معمل فردون Verdune في فرنسا
 فكانوا بعد خصيمهم يبيعونهم في الأندلس ، ونظرا لأنهم كانوا يأتون بهم صفاراً
 فكانوا يتعلمون العربية بسرعة وينشأون في الاسلام انتهى .

وأقول إن ترجمة لفظة سلاف بصقالبة آتية من كون أحد أصناف الأمة السلافية

لأنهم بها يخلصون ، ويفعل ذلك بهم تجار اليهود عند قرب البلد . وجميع ما يسي إلى خراسان من الصقالبة فباقي على حالته ، ومقدد على صورته ؛ وذلك أن بلد الصقالبة طويل فسيح ، والخليج الآخذ من بحر الروم ممتدًا على القسطنطينية واطرابزنده يشق بلدهم بالعرض ، فنصف بلدهم بالطول يسيه الخراسانيون ، والنصف الشمالي يسيه الأندلسيون ، من جهة جيايقية وافرنبجة وانكبردة Lombardia وقلورية Calabria وبهذه الديار من سبيهم الكثير باق على حاله

وريو ^(١) Rio كورة عظيمة خصيبة ، ومدينتها « ارجدونة » ومنها كان عمر ابن حفصون الخارج على بنى أمية ، وخص البلوط متصل بديار ابن حفصون كورة واسعة خصيبة . واسقف رستاق حسن ومدينته غافق ^(٢) . وبالأندلس غير ضيعة فيها الألوف من الناس لم تمدن . وهم على دين النصرانية روم ، وربما عصوا في بعض الأوقات ولجأ قوم منهم إلى حصن ، فطال جهادهم لأنهم في غاية العتو والتمرد ، وإذا خاموا ربة الطاعة صعب ردهم إلا باستنصاهم ، وذلك شئ يطول . وماردة وطليلة من أعظم مدن الأندلس وأشدها منعة ^(٣) وثغور الجلالة « ماردة » و « نفزة » ^(٤)

ومنهم من يسكن الآن في يوغسلافية ، يقال لها الاسكلافون Esekklavon أو الاسكلابون فعربها العرب اسقلابون ، ثم جمعوها على صقالة أو صقالب . قال المنبجي :

يجمع الروم والصقالب والبلغار فيها وتجمع الآجالا

(١) الغالب على العرب أنهم يقولون « ريه » لا « ريو » فابن حوقل تابع فيها لفظ الاسبانيول .

(٢) سياى ذكرها كلها .

(٣) سياى إن شاء الله في القسم التاريخي من « الحلل السندسية » أخبار ثورات هاتين البلدين على بنى أمية وهم في عنفوان أمرهم وريعان قوتهم .

(٤) نفزة بفتح فسكون فراى بلدة بالأندلس جاء في معجم البلدان ما يلي : قال السلفي : نفزة بكسر النون قبيلة كبيرة منها بنو عميرة وبنو ملاحان المقيمون بشاطبه . ينسب إليها أبو محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن الفقيه النفزي أحد الأئمة على

و « وادى الحجارة » و « طايطة » . ومدينة الجلالة مما يلي ثغور الأندلس يقال لها « سمور » (Zamora) وعظيم الجلالة بمدينة يقال لها « ليون » (Léon) فيها سلطانهم وعدتهم بعد سمورة ، ومدينة يقال لها « أوبيت » (Ovido) وهي بعيدة عن بلد الاسلام ، وليس في أصناف الكفر الذين يلون الأندلس (يريد أن يقول أنهم يجاورون الأندلس) أكثر عددا من الأفرنج ، غير أن الذين يلون المسلمين منهم فئة ضعيفة شوكتهم ، قبيلة عدتهم ، وفيهم إذا ملوكوا طاعة ، وحسن نصيحة ، ومحاسن كثيرة ، وإنيهم يرغب أهل الأندلس عن الجلالة بأولادهم ، والجلالة أصدق محاسن ، وأقل طاعة ، وأشد قوة ، وأكثر بأساً وبسالة ، وفيهم غدر . وهم في عرض طريق الأفرنجية .

وأعظم مدينة بالأندلس قرطبة ، وايس بجميع المغرب عندى لها تنبيه في كثرة أهل وسعة رقعة ، وفسحة أسواق ، ونظافة محال ، وعمارة مساجد . وكثرة حمامات وفنادق . ويزعم قوم من أهلها أنها كأحد جاني بغداد : وذلك أن عبد الرحمن بن محمد ^(١) ابنى في عربها مدينة تعرف بازهراء في سفح جبل يعرف بجبل « بطاش » ^(٢)

مذهب مالك وله تصانيف . وأبو العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمن النفري الأندلسي سمع مشايخنا ودخل نيسابور وأصبهان ، وخرج من بغداد سنة ٦١٣ ودخل شيراز . وأبو عبد الله محمد بن سليمان الميالي النفري . وهو ابن أخت غانم بن الوليد بن عمرو ابن عبد الرحمن المخزومي أبي محمد من الأندلس . روى عن خالد . مات في شوال سنة ٥٢٥ ومولده سنة ٤٣٤ قال أبو الحسن المقدسي : وأبو محمد عبد الغفور بن عبد الله ابن محمد بن عبد الله النفري ، وله تصانيف مات في ربيع الآخر سنة ٥٣٩ وأبوه من أهل الرواية مات في سنة ٣٧ هـ .

(١) يريد به عبد الرحمن الثالث الأندلسي الملقب بالناصر أعظم ملوك ذلك القطر بل أعظم ملوك عصره

(٢) العرب يسمونه جبل العروس والمعروف أن قرطبة هي مبنية في سفوح شارات موريتنا

وخط فيها الأسواق ، وابتنى الحمامات والخانات والقصور والمتنزهات واجتلب إلى ذلك بناء العامة ، وأمر مناديه بالنداء : ألا من أراد أن يبنى داراً أو يتخذ مسكناً بجوار السلطان فله أربعمائة درهم ، فتسارع الناس إلى العمارة ، فتسكثفت وتزايدوا فيها ، فنكادت أن تتصل الأبنية بين قرطبة والزهراء ، وانتقلوا ببيت مالهم وديوانهم وخزائنها . وقد نقل جميع ذلك وأعيد إلى قرطبة تطهيراً منهم بها ، وتشاؤماً بموت رجالهم فيها ، ونهب سائر ذخائرهم .

وسمعت من غير ثقة ممن يستنبطن حالهم أن لعبد الرحمن بن محمد ، مما اتجه له جمعه من مال الأندلس وجباياتها ، من حقوقها وغير واجبها إلى سنة ٣٤٠ نحو عشرين ألف ألف دينار ، ولست أشك على ما يوجهه النظر ، وتواطأ به الخبر ، في ما جمعه الحكم بعد هلاك أبيه ، من خدمه والمصادر الذين كانوا في جملة ، وإلى وقتنا هذا عن أسباب الأندلس ولوازمها وجباياتها وخراجها وأعشارها وصدقاتها وجوالبها^(١) تمام أربعمائة ألف دينار . وليس لهذا المال في وقتنا هذا بموضع من مواضع الأرض نظير ، غير ما في يد أبي تغلب الغضنفر بن الحسن بن عبد الله بن حمدان ، فانه مما يملكه الخاص والعام بالعراق وديار ربيعة ، جمع من تركة أبيه ما يضاهيه ويزيد عليه زيادة بينة .

وقرطبة وإن لم تكن كأحد جانبي بغداد فهي قريبة من ذلك ولاحقة به إن شاء الله ، وهي مدينة حصينة ذات سور من حجارة ومحال حسنة ، وفيها كان مسكن سلطانهم قديماً ، وداره داخل سورها ، وأكثر أبواب هذه الدار مشرعة في البلد من غير جهة . ولها بابان يشرعان في نفس السور إلى الطريق الآخذ على الوادي من الرصافة ، والرصافة مساكن أعالي البلد متصلة بأسفلها من ربضها ، مشبكة أبنتها ، محيطة بها ، مستديرة عليها من شرقها وشمالها وغربها . فأما الجنوبية

(١) الجوالي جمع جلية وهي ما يؤخذ من أهل الذمة المقيمين في دار الاسلام

منها فهو إلى واديهها ، وعليها الطريق المعروف بالرصيف ، والأسواق والبيوع والخانات والحمامات ومساكن العامة بر بضها ^(١) ، ومسجد جامعها جليل في نفس المدينة ، والحبس منه قريب ، وقرطبة هذه بائنة بنفسها عن مساكن أرباضها ظاهرة ، ودُرتُ بها في غير يوم في قدر ساعة ، وقد قطعت شمس حمسة عشر دقيقة ماشياً .

واللهراء أيضاً مسجد جامع دون جامع البلد في المحل والتقدير والكبر ، وعلى سورها سبعة أبواب حديد . وليس لها نظير بالغرب فخامة حال ، وسعة تلك ، وابتداءً بخيد الثيب والكسي . وفراشة كراع ، وكثرة حلى ، وإن لم يكن لها في عيون كثير من الناس حسن نارع . وليس خبوتهم خلاوة في أعين ، ولا لهم بأفانين الفروسية وقوانييب . ولا باشجاعة وطرقهم . وأكثرت حيوتهم في القمل بالكيد ، ومما يدل على ذلك أني لم أر قط بها أحداً أجري فرس فوره . تردون هجين . ورجلاه في الركب . ولا يستطيعون ذلك . ولا ينغى عن أحدهم . وكل ذلك لخوفهم من السقوط إلى فشل فيهم عند تقهتهم وتواضعهم على نزاع أرجانهم من ركهم ، ولم تطلق قط جريدة عند الرحمن . ولا من سبقه من آت . حمسة آلاف فارس . فمن يقبض رزقه ويحتم عليه ديوانه لأنه مكى المؤونة بأهل تغور ، ثم ينوبه من كيد العدو الذي يجاوره من الزوم ، ولا عدو عابه سواهم . وقما يكثر لحم . ورمما طرقه في الأحايين مراكب الروس والترك والصقالبة والمجماكية . وعم جيل من أجيال الترك المجاورين لأرض الخزر والمغار ، وسكوا في أعمال الأندلس وربما انصرفوا خاسرين .

وبالأندلس غير محباب من التجارة كالزبيب والرقيق والحديد والرصاص ، وضروب من الفرش ، كقطع الأرمني الحسن . وعندهم تعمل اللبود المشهورة في جميع الأرض بالجودة والصبغ الحسن . ولهم من الألوان والأصباغ والحشائش التي يلون بها الحرير وأنواع الصوف والنياب . ما ليس في بلد من بلدان الأرض له نظير حسناً

(١) سيأتي الكلام مفصلاً عن خطط قرطبة ومعه أطلس خاص بها على ما كانت عليه أيام العرب

وكثرة . فأما أسعارهم فتضاهى النواحي الموصوفة في الرخص ، وكثرة فواكههم مع طيبة فيها فكالمباحة التي لا ثمن لها . وملابسهم نظيفة ، إلى طيب عيش يناله عوامهم وقل من يصير إليه أهله من أهلها إلا على الفاره من المركوب ، ولا يعرف فيهم المهنة والمشى إلا أهل الصنائع والأرذال ، وأكثر ركوبهم البغال وفيها يتفاخرون وبها يتكاثرون . ولهم منها نتاج في جزائرهم^(١) لم أر مثله في معادن البغال المذكورة ، ومواضعها المشهورة ، كارمينية والران ، ونتاج برزعة ، وباب^(٢) الأبواب ، وشروان شاه ، لأنها توضع عندهم ، وتنجب في بلدهم ، ويجلب إليهم أيضاً منها شىء حسن الشية ، عظيم الحاق ، كثير الثمن والطالب من ميورقة ، وهي جزيرة في بحرهم منقطعة تلى ناحية الفريجة ، واسعة الخير ، كثيرة الثمار ، رخيصة الماشية ، لكثرة المراعى ، غزيرة النتائج والمواشى . معدومة الجوائح ، قليلة الآفة ، فليس بها عاهة ولا وحش يؤذيهم في سائمتهم ، ورأيت منها غير بغل بيع بخمسمائة دينار ، وإليها ترغب ملوكهم وإياها يستوطئون ، ويؤثرون فيما يركبون . فأما ما تبلغ قيمته منها المائة والمائتى دينار فأكثر من أن يحصى . وليس ذلك لأنها أزيد على البغال الموصوفة في حسن السير وسرعة المشى ، بل لعظم خلقها ، وحسن شياتها ، واختلاف ألوانها ، وجمال مناظرها وعلو ظهورها ، وصحة قوائمها .

ذكر المسافات بها من قرطبة إلى «مراد»^(٣) مرحلة ، ومن مراد إلى «غرغيره»^(٤) يوم . ثم إلى اشبيلية يوم ، وهي مدينة كثيرة الخير والفواكه والسكر ، والتين خاصة ، وهي على وادى قرطبة (أى الوادى الكبير) . ومن اشبيلية إلى «لبلة»^(٥)

(١) لا سيما جزيرة ميورقة

(٢) يقال باب الأبواب للبلاد المسماة اليوم بطاغستان

(٣) هو عند الأَسبان Moratalla

(٤) الإدريسي يقول عن هذا المحل الغيران

(٥) هى التى يقول لها الأَسبان Niebla وهى وطن بنى الجد الفهريين الذين هم اليوم

يومان . وهى مدينة صالحة القدر ، عليها سور . ومنها إلى « جبل »^(١) العيون « يومان ، وهى مدينة قديمة أزلية كثيرة الخير ، ومن جبل العيون إلى « ألب »^(٢) ثلاثة أيام ، وهى أيضاً مدينة قديمة ذات سور ، ومن ألب إلى « أخشنة »^(٣) وهى مدينة مشهورة عظيمة كثيرة الخير ، أربعة أيام ، ومن أخشنة إلى مدينة « شلب »^(٤) ستة أيام ، ومن شلب إلى « قصر أبى »^(٥) دانس « خمسة أيام ، وهى مدينة صالحة خصيبة ، ومنها إلى المعدن ، وهو فم النهر ، إلى مدينة « لشبونة »^(٦) يوم ، ومن لشبونة إلى شنترين^(٧) يومان ، ومن شنترين إلى « يابرة »^(٨) أربعة أيام ، ومن يابرة إلى « جليانة » يومان ، ومن جليانة إلى « ألبش » يوم ، ومن ألبش إلى « بطليوس »^(٩) عدوة النهر ، يوم ، ومن بطليوس إلى « قنطرة »^(١٠) السيف « أربعة أيام ، ومن قنطرة السيف إلى « ماردة »^(١١) يومان ، ومن ماردة إلى « مدراين »^(١٢) يومان ، ومن

بفاس وما زال يظهر منهم التوابغ سواء فى الأندلس أو فى المغرب . وكان نزوحهم من لبله إلى مالقة أولاً ثم إلى إشبيلية ثم إلى فاس

(١) Gebraleon عند الاسبانيول

(٢) Huelva هى عند الاسبانيول وأكثر ما يقول لها العرب « أونيه »

(٣) Oseonba عند الاسبان

(٤) Selves عندهم

(٥) Abidanis

(٦) Lisbonne و Lisboa

(٧) Santirem

(٨) Evora عند الاسبانيول وهى بلدة سكانها اليوم ١٦ ألفاً ولكنها كانت ذات

بال فى أيام العرب ولا تزال عليها المسحة العربية إلى اليوم وهى من أعمال البرتغال وسند كرها فيما بعد .

(٩) Badajoz كانت من حواضر الأندلس وسيأتى خبرها الوافى بقدرها

(١٠) Alcantara عند الاسبانيول

(١١) merida وهى أيضاً من أمهات الأندلس وسيأتى ذكرها

(١٢) medellin وكان الرومان يقولون لها metellinum

مدائن إلى « ترجيلة »^(١) يومان ، ومن ترجيلة إلى « قصرش »^(٢) يومان . ومن قصرش إلى « مكناسة » يومان . ومن مكناسة إلى « مخاضة البلاط » يوم ، ومن مخاضة البلاط إلى « طابيرة »^(٣) خمسة أيام ، ومن طابيرة إلى طليطلة ثلاثة أيام . ومن قرطبة إلى بطليوس في جهة المغرب على الجادة ست مراحل . ومن قرطبة إلى بلنسية اثنتا عشرة مرحلة . ومن قرطبة إلى المرية ، فريضة بجانة ، سبعة أيام ، ومن المرية إلى مرسية خمسة أيام .

وجميع هذه المدن المذكورة مشهورة بالفلات والتجارات والكروم والعمارة والأسواق والعيون والحمامات والخانات والمساجد الحسنة ، وفيها ما يزيد على بعضها في المحال والجباية والارتفاع والولاية والقضاة والمحلفين على رفع الأخبار ، وتأمل الأحوال ، وليس بها مدينة غير معمورة ، ذات رستاق فسيح إلى كور ، إلا ولها ضياع كثيرة ، وأكارة واسعة ، وماشية وسائمة ، وعدة وكراع وعبيد . ومن قرطبة إلى كركويه^(٤) ، مدينة فيها منبر ولها أسواق وبها حمامات وفنادق ، أربعة أيام ، وفي كل ليلة ينزل بقرية آهلة ، ومن كركويه إلى « قلعة رباح »^(٥) يوم ، وهي مدينة كبيرة ذات سور من حجارة ، ولها واد كبير هي عليه ، منه شربهم ، ويزرعون عليه ، وبها أسواق وحمامات ومتاجر ، والطريق على قرى ذات عمارة ومن قلعة رباح إلى « ملقون » مرحلة ، وهي مدينة على نهر ، لها سور من تراب ، وهي دون قلعة رباح في الكبر ، ونهرها يعرف باسمها ، ومنه شرب أهلها . ومنها إلى « أبلش » مرحلة ، وهي قرية فيها فندق وعين منها شربهم آهلة ، ومن

(١) ترجيله هي Trajillo

(٢) قصرش هي Caseres

(٣) Talavera de la Reina

(٤) Caracuel وقال يلاج الأوبيطى Pélage D'oviedo هي - caraqui أى

كما يلفظها العرب

(٥) Calatrava

أبلش إلى طليطلة مرحلة ، وطليطلة مدينة كبيرة جليلة مشهورة ، أكبر من بجانة ، ذات سور منيع ، وهي على وادي تاجة . وغايه قنطرة عظيمة ، ويقال إن طولها خمسون باعاً ، ويصير واديها إلى الوادي المنصب إلى شنترة .

ومن طليطلة إلى « مغم »^(١) مرحلة . وهي قرية كبيرة بها معدن الطفل الأندلسي ، ومن مغم إلى « امر » مرحلة ، وهي مدينة كبيرة ذات سوق ومحل ، وتسكن نحو وادي كس . ومن امر إلى وادي الحجرة ، وهي مدينة كبيرة ، وأشهر الحل مسور بحجرة . وهي ذات أسوف وفندق وحمامات وحمام ومختلف فيها تسكن ولاية التغور كأحمد بن يعلى وعاب ، وعنديها كثير جهاد جليقية ، ومنها إلى « شعراء تقوارير » مرحلة ، وبها ميهل تهرله الزرق ، ومن شعراء تقوارير إلى « مدينة سلم » مرحلة . ومن مدينة سلم إلى مدينة عاب بن عبد الرحمن ، ولها سور عظيم ورساتيق وإقليم واحد ومشيية . رفهة في جميع أسبابها ، وهي أكثر الأندلس حرباً وغزواً . انتهى كلام ابن حوقل .

قول ياقوت الحموي

وقال ياقوت الحموي في معجم البلدان :

قال ابن حوقل التاجر الموصل . وكان قد طوف البلاد ، وكتب ما شاهدته : أما الأندلس فحزيرة كبيرة ، فيها سمر وغامر . طولها نحو الشهر . في نصف وعشرين مرحلة ، تغاب عليها المياه الجارية والشجر والثر والرخص والسمة في الأحوال . وعرض فم الخابج الخارج من البحر المحيط قدر اثني عشر ميلاً ، بحيث يرى أهل الجانبين بعضهم بعضاً ويتبينون زروعهم وبيادرهم . قال : وأرض الأندلس من على البحر تواجه من أرض المغرب تونس . وإلى « طبرقة » إلى « جزائر مزغناي » ثم إلى « أنكور » ثم إلى « سبتة » ثم إلى « أربلي » ثم إلى البحر المحيط . وتتصل

الأندلس في البر الأصغر من جهة جليقية ، وهو جهة الشمال ، ويحيط بها الخليج المذكور من بعض مغربها وجنوبها ، والبحر المحيط من بعض شمالها وشرقها من حد الجلالة على كورة « شنترين » ^(١) إلى « اشبونة » ^(٢) ثم إلى جبل الغور ، ثم إلى ما لديه من المدن إلى جزيرة جبل طارق ، المحاذي لسبته ، ثم إلى « مالقة » ثم إلى « المرية » فرضة « بجانة » ^(٣) ثم إلى بلاد « مرسية » ^(٤) ثم إلى « طرطوشة » ^(٥) ثم تتصل ببلاد السكفر مما يلي البحر الشرقى في ناحية أفرنجية ، ومما يلي المغرب ببلاد « عأجسكس » ^(٦) وهم جيل من الانكبرد ^(٧) ثم إلى بلاد « بسكونس » ^(٨) ورومية الكبرى في وسطها ، ثم ببلاد الجلالة حتى تنتهي إلى البحر المحيط

ووصفها بعض الأندلسيين بأنهم من هذا وأحسن . وأنا أذكر كلامه على وجهه قال : هي جزيرة ذات ثلاثة أركان مثل شكل المثلث ، قد أحاط بها البحران

(١) Santarem (٢) Lisbonne (٣) Béchina (٤) Marcie (٥) Tortose

(٦) نظن أنه يعنى بهذا الاسم الجبل الذى يقال له عندهم Cuskaldonac والاسبان

يقولون vascongados

(٧) يريدون بهم اللومباردين وقد جاء تعريفه الانكبرده في معجم البلدان قال :

الانكبرده بالفتح ثم السكون وفتح الكاف وضم الباء الموحدة وسكون الراء ودال مهملة وهاء بلاد واسعة من بلاد الافرنج بين القسطنطينية والاندلس تأخذ على طرف بحر الخليج من محاذة جبل القلال وتمر على محاذة ساحل المغرب مشرقاً إلى أن تتصل ببلاد قلورية انتهى . قلت هذا الوصف لا ينطبق إلا على مملكة إيطالية الحاضرة الممتدة من جبل القلال غرباً وهو الجبل المشرف على مدينة نيس إلى بلاد كالبرة شرقاً وهي التي يعنها بقوله قلورية . عليك لمعرفة جبل القلال بمراجعة كتابنا « غزوات العرب في أوربة » .

(٨) هم الباسك في شمالى أسبانية وجنوبى فرانسة والعرب يقولون لهم الباشكنس

أوالباسكنس ولغتهم يقال لها vascuence ومن هذه اللفظة قال لهم العرب ذلك لأن الفاء (v) هي دائماً باء عند العرب .

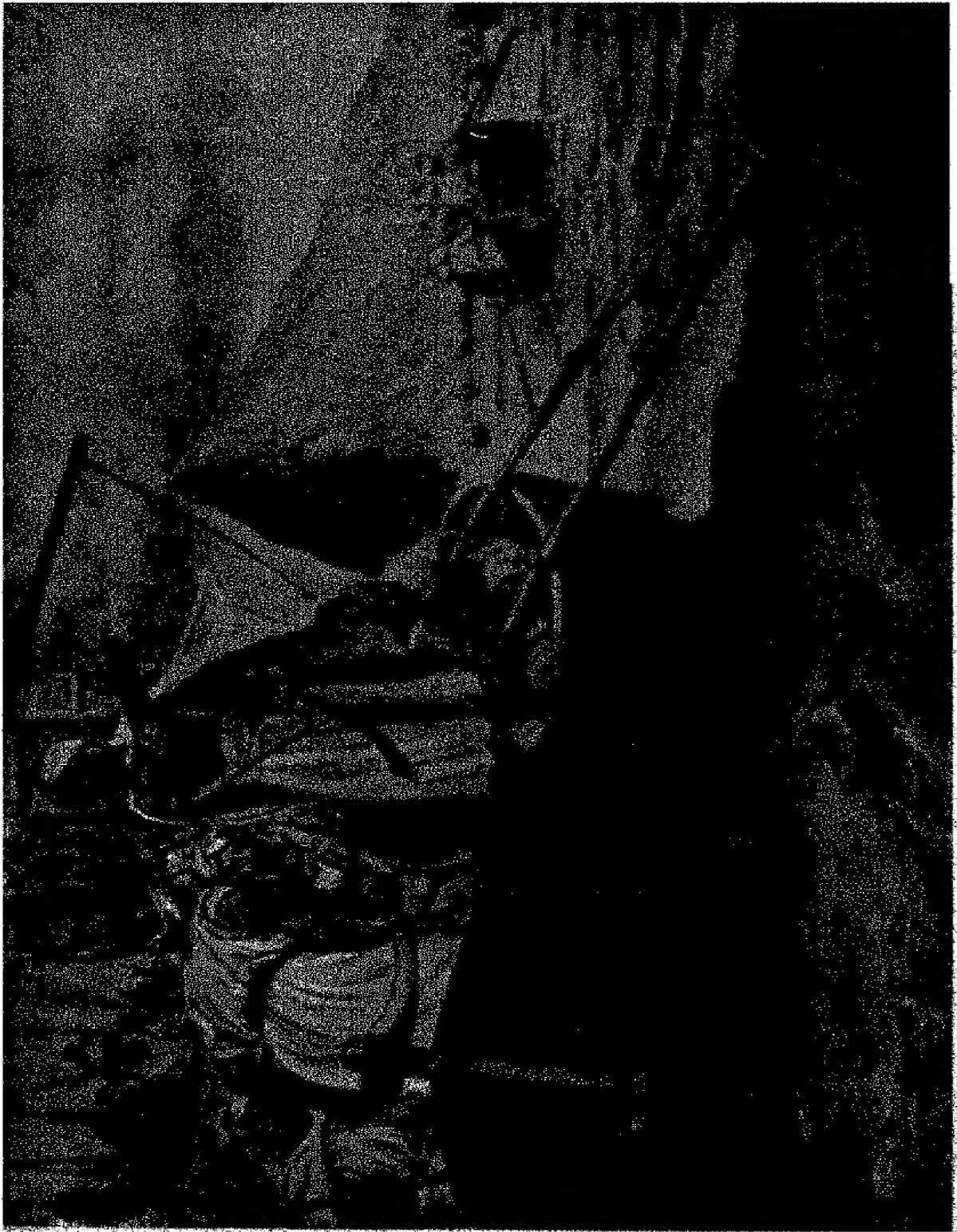
الحيط والمتوسط ، وهو خليج خارج من البحر المحيط ، قرب سلا من بر البربر .
 فالركن الأول هو في هذا الموضع الذي فيه صنم قادس ، ^(١) وعنده مخرج البحر
 المتوسط الذي يمتد إلى الشام ، وذلك من قبلى الأندلس . والركن الثانى شرقى
 الأندلس بين مدينة « أربونة » ^(٢) ومدينة « بُرديل » ^(٣) وهى اليوم بيد
 الافرنج بازاء جزيرتي « ميورقة » و « منورقة » مجاورة من البحرين المحيط والمتوسط
 ومدينة أربونة تقابل البحر المتوسط ، ومدينة برديل تقابل البحر المحيط . والركن
 الثالث هو ما بين الجنوب والغرب من حير جليقية ، حيث الجبل الموفى على البحر ،
 وفيه الصنم العالى المشبه بصنم قادس ، وهو البلد الطالع على بريطانيا ^(٤) . فالضاح
 الأول منها أوله حيث مخرج البحر المتوسط الشامى من البحر المحيط ، وهو أول
 الزقاق فى موضع يعرف بجزيرة طريف من « الأندلس يقابل قصر ممدودة بازاء
 سلا فى الغرب الأقصى من البر المتصل بأفريقية وديار مصر ، وعرض الزقاق ههنا
 اثنا عشر ميلا ، ثم تمر فى القبلة إلى الجزيرة الخضراء من بر الأندلس المقابلة لمدينة
 سبتة . وعرض الزقاق ههنا ثمانية عشر ميلا . وطوله فى هذه المسافة إلى ما بين
 جزيرة طريف وقصر ممدودة إلى المسافة التى ما بين الجزيرة الخضراء وسبتة نحو
 العشرين ميلا . ومن ههنا يتسع البحر الشامى إلى جهة المشرق ، ثم يمر من الجزيرة
 الخضراء إلى مدينة « مائة » ^(٥) إلى حصن « المنكب » ^(٦) إلى مدينة « المرية » ^(٧)
 إلى قرطاجة ^(٨) الخافاء ، حتى تنتهى إلى جبل « قاعون » ^(٩) الموفى على مدينة « دانية » ^(١٠)

(١) على ربوة من الأرض كان هذا الصنم إلى جنوبى المكان المسمى الآن سان
 فرناندو وهو من بناء الفينيقيين وكان خبر بنائه محفوراً على أعمدة الفولاذ بأحرف
 فينيقية . وقد عمر فينيقيو صور قادس من منذ ١١٠٠ قبل المسيح ثم فى سنة ٥٠١ قبل
 المسيح فتحها فينيقيو قرطاجنة .

(٢) Narbonne فى جنوبى فرنسا (٣) Beaurdeaux (٤) جزيرة انكلترا

(٥) Malaga (٦) Amonacar (٧) Almeria (٨) Carlagène

(٩) Caoun (١٠) Dénia



مرود العرب لأول مرة من المغرب إلى الأندلس سنة ٧١٠ ب.م

ثم ينعطف من داية إلى شرق الأندلس ، إلى حصن « قليره » ^(١) إلى بلنسية . ويمتد كذلك شرقاً إلى « طَرَ-كونة » ^(٢) إلى « برتلونة » ^(٣) إلى « اربونة » إلى البحر الرومى ، وهو الشامى ، وهو المتوسط .

والضلع الثانى مبدؤه كما تقدم من جزيرة « طريف » ^(٤) آخذاً إلى الغرب فى الحوز المتسع الداخلى فى البحر المحيط ، فيمر من جزيرة طريف إلى « طرف الأغرة » ^(٥) إلى جزيرة « قادس » ^(٦) وههنا أحد أركانها . ثم يمر من قادس إلى بر المائدة ^(٧) ، حيث يقع نهر إشبيلية فى البحر ، ثم إلى جزيرة « شاطيش » ^(٨) إلى وادى « يانة » ^(٩) إلى « طبيرة » ^(١٠) ، ثم إلى « تننترية » ^(١١) إلى « شاب » ^(١٢) ، وههنا عطف إلى أتبونة وتننترين . وترجع إلى طرف العرف . مقابل شاب وقد يقطع البحر من شلب إلى طرف العرف مسيرة خمسين ميلاً . وتكون أتبونة وتننترية وتننترين على يمين من حوز طرف العرف . وهو حبل منيف داخلى فى البحر نحو أربعين ميلاً ، وعليه كنيسة الغراب ^(١٣) المشهورة . ثم بدور من طرف العرف مع البحر المحيط فيمر على حوز « الريحانة » وحوز « المدرة » وسائر تلك البلاد متلاً إلى الجوف ^(١٤) . وفى هذا الخير هم الركن الثانى .

(١) Culera (٢) Tarracone (٣) Barcelonne (٤) Tarrila

(٥) Tratalgar (٦) Cadix (٧) Almeida (٨) Salles

(٩) Guadiana (١٠) Tavira (١١) Cintra (١٢) Silves

(١٣) ينكر ذكر كنيسة الغراب فى جغرافيات العرب وتحرير خبرها وجود

أسطورة مآلها أن الرومان فى صدر النصرانية قتلوا قديساً مسيحياً اسمه صان فنان فى بلنسية وطرحوا تجاليد فى البرية لئلا تأكلها الوحوش فجاء غراب وحمله من أكل الضواري له ولا تعلم لآى سبب أريد نقل جثته هذا القديس من شرق الأندلس إلى غربها ؟ وإنما نعلم أنه فى أيام عبد الرحمن الداخل صدر الأذن للنصارى بنقلها إلى كنيسة فى طرف مقاطعة الغرب على البحر المحيط .

(١٤) الجوف فى اصطلاح إخواننا المغاربة والاندلسيين هو الشمال وقد فكرت

كثيراً فى وجه هذا الاصطلاح فلم يظهر لى شىء يصح التعويل عليه ولا عثرت على نص

والضلع الثالث ينمط في هذه الجهات من الجنوب إلى الشرق ، فيمر على بلاد جليقية وغيرها حتى ينتهى إلى مدينة برديل (Bordeaux) على البحر المحيط المقابل

يفيد سبب تسميتهم الشمال بالجوف وقد سألت أهل الذكر عن أعتقد بعلمهم فأبدي كل واحد ما عنده : فالسيد علال الفاسى يظن أنه لما كان الجوف واقعاً شمالي مكة فقد غلب على أهل الحجاز أن يقولوا لكل شمال جوفاً ثم سرى هذا الاستعمال من الحجاز إلى المغرب والأندلس . وهو وجه وجيه لأن مدينة الجوف هي في وسط البرية إلى الشمال من الحجاز وإلى الغرب من العراق وإلى الشرق من الشام ، وكما غلب على الناس جميعاً في الشام أن يقولوا للجنوب قبلة نظراً لكون الكعبة هي إلى الجنوب من الشام يجوز أن يكون الحجازيون سمو الشمال جوفاً لكون الجوف ونواحيها هي في شمالهم وأنت ترى أنهم يقولون للشمال شاماً بغلبة الاصطلاح المبني على كون الشام هي إلى الشمال من الحجاز وفي كثير من الصكوك تجدهم يكتبون : يحده من القبلة كذا ومن الشام كذا وقد أجابني الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي رئيس المجمع العلمى العربى بأنه يستحسن رأى الأستاذ علال الفاسى في هذه اللفظة ويقول إنهم في الحجاز يعبرون عن الشمال بالشام وإنه وجدت في أوراق الطايو التركية القديمة ما ورد فيه لفظة « يمنى » بمعنى الجنوب فانهم في الحجاز نفسه كما عبروا عن الشمال بالشام فقد عبروا عن الجنوب باليمن وهو شيء طبعى بالنسبة لهم ثم قال الشيخ المغربى : إلا أنه يوجد في الأندلس بلدان باسم الجوف كما يظهر من معجم البلدان أحدهما في غربى الأندلس على البحر المحيط والآخر في إقليم كشتونية فالى أى جوف انتسب هذا الاصطلاح ؟ هل هو الجوف الذى في الشرق أم الحوف الذى في الأندلس ؟ وأما الأستاذ الاب انسطاس الكرملى فقد أجابنى بما يلى : الجوف : الشمال وهو من اصطلاح المغاربة جاء في كتاب الادريسي وفي اللوحة البدرية : وسبب هذه التسمية هو ان الذين سمو بهذا الاسم ربح الشمال أو الشمال نفسه هم سكان البلاد الواقعة في جنوبى بحر الروم فاذا هبت الشمال عندهم جاءتهم من « جوف » ذىالك البحر فلذلك عرفوها بهذا الاسم كأنهم أشاروا إلى أصل مهبها فحذفوا واكتفوا باللفظ الظاهر الاشارة إليه انتهى . أما دوزى ففي كتابه « متمم المعاجم العربية » ذكر في صفحة ٥٣٥ ما يلى : جوفى : شمالي . هذا المعنى كثير الاستعمال لدى المؤلفين المغاربة ربح جوفى : ربح الشمال انتهى . قلت : أما فى الأندلس فلا يكادون يعبرون عن الشمال إلا بالجوف .

لأربونة على البحر المتوسط ، وهنا هو الركن الثالث ، وبين أربونة وبرديل الجبل الذى فيه هيكل ازهرة ، الحاجز بين الأندلس وبين بلاد أفرنجية العظمى ، ومسافته من البحر نحو يومين للقاصد . ولولا هذا الجبل لالتقى البحران ، ولكانت الأندلس جزيرة منقطعة عن البر ، فاعرف ذلك ! فان بعض من لا علم له يعتقد أن الأندلس يحيط بها البحر فى جميع أقطارها لكونها تسمى جزيرة ، وإيس الأمر كذلك ، وإنما سميت جزيرة بالغلبة ، كما سميت جزيرة العرب وجزيرة « أقور »^(١) وغير ذلك وتكون مسيرة دورها أكثر من ثلاثة أشهر . ليس فيها مايتصل بالبر إلا مقدار يومين كما ذكرنا وفى هذا الجبل المدخل المعروف بالأبواب^(٢) الذى يدخل منه من بلاد الأفرنج إلى الأندلس ، وكان لا يرام ولا يمكن أحداً أن يدخل منه لصعوبة مسلكه فذكر بطليموس أن قَلَوْ بَطْرَةَ ، وهى امرأة كانت آخر ملوك اليونان ، أول من فتح هذه الطريق وسهلها بالحديد والخل .

قلت : ولولا خوف الاضجار والاملال لبسطت القول فى هذه الجزيرة ، فوصفها كثير . وفضائلها جمة ، وفى أهلها أئمة وعلماء وزهاد ، ولهم خصائص كثيرة ، ومحاسن لا تحصى ، وإتقان لجميع ما يصنعونه ، مع غلبة سوء الخلق على أهلها ، وصعوبة الانقياد^(٣) . وفيها مدن كثيرة ، وقرى كبار ، يحجى ذكرها فى أماكنها من هذا الكتاب حسب ما يقتضيه الترتيب إن شاء الله تعالى ، وبه العون والعصمة انتهى كلام ياقوت فى المعجم .

-
- (١) هى إقليم الموصل وآمد وديار بكر وديار ربيعة وما إليها .
 (٢) ولذلك عرف حتى عند العرب بلفظة « البرتات » أى الأبواب بلغات الأفرنج
 (٣) وهذا هو الأمر الذى كان سبب ضياع هذا الفردوس على العرب فما حصله عرب الأندلس بحزمهم وحسن ترتيبهم أضاعوه بشدة لإنشغالهم واستمرار تشغيهم والله أمر هو بالغه .

قول الشريف الإدريسي

وقال الشريف الإدريسي في كتابه « نزهة المشتاق إلى اختراق الآفاق » وهو أشهر جغرافية عربية - - الكلام الآتي :

الجزء الأول من الأقليم الرابع مبدأوه من المغرب الأقصى حيث البحر المظلم ، ومنه يخرج خليج البحر الشامي ماراً إلى المشرق ، وفي هذا البحر المرسوم بلاد الأندلس المسماة باليونانية « أشبانية » وسميت جزيرة الأندلس بجزيرة لأنها شكل مثلث ، وتضيق من ناحية المشرق حتى يكون بين البحر الشامي والبحر المظلم المحيط بجزيرة الأندلس ٥ أيام . ورأسها العريض نحو من ١٧ يوماً . وهذا الرأس هو في أقصى المغرب في نهاية انتهاء المعمور من الأرض ، محصور في البحر المظلم ، ولا يعلم أحد ما خلف هذا البحر المظلم ^(١) ولا وقف بشر منه على خبر صحيح ، لصعوبة عبوره ، وظلام أنواره وتعاضم أمواجه ، وكثرة أهواله ، وتسلط دوابه ، وهيجان رياحه ، وبه جزائر كثيرة ، ومنها معمورة ومغمورة . وليس أحد من الربانين يركبه عرضاً ولا ملجأً ، وإنما يمرّ منه بطول الساحل ، ولا يفارقه . وأمواج هذا البحر تندفع منفاقة كالجبال ، لا ينكسر ماؤها ، وإلا فلو تكسّر موجه لما قدر أحد على سلوكه . والبحر الشامي ^(٢) فيما يحكي كان بركة منعازة مثل ما هو عليه الآن ببحر طبرستان ^(٣) لا تتصل مياهه بشيء من مياه البحر .

وكان أهل المغرب الأقصى من الأمم السالفة يغيرون على أهل الأندلس فيضرون بهم كل الاضرار . وأهل الأندلس أيضاً يكابدونهم ويحاربونهم جهد الطاقة ، إلى أن كان زمان الاسكندر ^(٤) ووصل إلى أهل الأندلس ، فاعلموه بما هم

(١) خلفه بر اسمه أمريكا حاول العرب العبور إليه من قبل وقيل وصلوا إليه

(٢) أي المتوسط

(٣) أي بحر الخزر أو قزوين Caspienne

(٤) من عادة مؤرخينا نقل روايات العامة ومن عادة العامة أنهم كلما رأوا أثراً

عليه من التناكر مع أهل السوس ، فأحضر الفعلة والمهندسين ، وقصد مكان الزقاق ، وكان أرضاً جافة ، فأمر المهندسين بوزن الأرض ، ووزن سطوح ماء البحرين ، ففعلوا ذلك فوجدوا البحر الكبير يشف علوه على البحر الشامى بشئ يسير ، فرفعوا البلاد التى على الساحل من بحر الشام ، ونقلها من أخفض إلى أرفع . ثم أمر أن تحفر الأرض التى بين طنجة و بلاد الأندلس ، فحفرت حتى وصل الحفر إلى الجبال التى فى أسفل الأرض . وبى عندها رصيفاً بالحجر والجيار افراغاً ، وكان طول البناء ١٣ ميلاً ، وهو الذى كان بين المحررين من المسافة والبعده ، وبى رصيفاً آخر يقابله مما يلي أرض طنجة . وكان بين الرصيفين سعة ستة أميال فقط . فلما أكمل الرصيفين حفر الماء من جهة البحر لأعظم شراً . وقد بسيلد وقوته بين الرصيفين ، ودخل البحر الشامى ، ففاض . وهدمت مدن كثيرة كانت على الشطين معاً ، وغرق أهلها . وطفى الماء على الرصيفين نحو ١١ قمة . فلما الرصيف الذى يلي بلاد الأندلس فانه يظهر فى وقت صفاء البحر ، فى جهة الموضع المسمى راصفيحة ظهوراً بديناً ، طوله على خط مستقيم (هما لم نقيس الكتابة) وقد رأينا عياناً ، وحرينا على طوله مع هذا البناء . وأهل الجزيرتين يسمونه القنطرة ، ووسط هذا البناء يوافق الموضع الذى فيه حجر الأيال على البحر .

وأما الرصيف الآخر الذى بناه الاسكندر فى جهة بلاد طنجة ، فان الماء حمله فى صدره ، واحتقر ما خافه من الأرض ^(١) ، وما استقر ذلك منه حتى وصل إلى متوغلا فى القدم أو خبراً أحاطت به الظلم نسبوه إلى الاسكندر أو إلى هرقل أو إلى العالقة أو إلى الجن وهلم جرا .

(١) علماء الجيولوجية يذهبون إلى أن إتصال البحر المحيط بالبحر المتوسط كان نتيجة زلازل ونوازل طبيعية بها الله تعالى مرج البحرين يلتقيان وإن ذلك لم يكن من عهد شديد التوغل فى القدم بالنسبة إلى الادوار الجيولوجية وعليه فتكون حكاية الاسكندر وفتح بحر الزقاق لينبع الغارات بين أهل السوس وأهل الأندلس هى من جملة الخرافات التى يروى مثلها فى كل مكان عن الاسكندر ولو كان منع الغارات

الجبال من كلتي الناحيتين . وطول هذا الجواز المسمى بالزقاق ١٣ ميلا ، وعلى طرفه من جهة المشرق المدينة المسماة بالجزيرة الخضراء ، وعلى طرفه من ناحية المغرب المدينة المسماة بجزيرة طريف . ويقابل جزيرة طريف في الضفة الثانية من البحر مرسى القصر المنسوب لمصمودة ، ويقابل الجزيرة الخضراء في تلك العدو مدينة سبتة . وعرض البحر بين سبتة والجزيرة الخضراء ١٨ ميلا ، وعرض البحر بين جزيرة طريف وقصر مصمودة ١٣ ميلا وهذا البحر في كل يوم وليلة يبحر مرتين ، ويمتلى مرتين ، فعلا دائماً ، ذلك تقدير العزيز الحكيم .

وأما على ضفة البحر الكبير من المدن الواقعة في هذا البحر المرسوم فهي « طنجة » و « سبتة » و « نكور » و « نادر » و « المزمة » و « مايلا » و « هُنين » و « بنو وزار » و « وهران » و « مستفانم » فأما مدينة سبتة فهي تقابل الجزيرة الخضراء ، وهي سبعة أجبل صغار متصلة بعضها ببعض معمورة ، طولها من المغرب إلى المشرق نحو ميل ، ويتصل بها من جهة المغرب ، وعلى ميلين منها ، جبل موسى وهذا الجبل منسوب لموسى بن نصير ، وهو الذي كان على لديه افتتاح الأندلس في صدر الإسلام . وتجاوره جنات وبساتين وأشجار وفواكه كثيرة ، وقصب سكر ، وأترج ينجهز به إلى ما جاور سبتة من البلاد ، لكثرة الفواكه بها . ويسمى هذا المكان الذي جمع هذا كله (بليونش)^(١) . وبهذا الموضع مياه جارية ، وعيون والحروب بين الشعوب يقتضى أن يحال بين الفريقين المتغاورين بيجر لامتلاآت كرة الارض ترعا وخلجاً وما الناس بعد ذلك يبالغى مرادهم من السلام لانه قد يغير بعضهم على بعض بالسفن وكم من أمة أغارت على أمة أخرى وبينهما أبحر بحيلة وأبعاد لا يكاد يتصورها العقل فالحدث الذي روه عن الاسكندر هو غريب ، وأغرب منه ذلك التعليل الذى جعلوا وصل ما بين البحرين من أجله

(١) مما أرويه عن بليونش هذه أنها جنة غناء ولكن طريقها في غاية الوعورة ولهذا قال أحدهم :

بليونش جنة ولكن طريقها يقطع النياطا
بجنة الخلد لا يراها إلا الذى جاوز الصراطا

مطرودة ، وخصب زائد ، ويلى المدينة من جهة المشرق جبل عال يسمى « جبل المنية »^(١) وأعلاه بسيط ، وعلى أعلاه سور بناه محمد بن أبى عامر عند ما جاز إليها من الأندلس وأراد أن ينقل المدينة إلى أعلى هذا الجبل فمات عند فراغه من بنيان أسوارها ، وعجز أهل سبتة عن الانتقال إلى هذه المدينة المسماة بالمنية ، فكشوا في مدينتهم ، وبقيت المنية خالية ، وأسوارها قائمة ، وقد نبت حطب الشعراء فيها . وفي وسط المدينة بأعلى الجبل عين ماء لطيفة لكنها لا تجف البتة ، وهذه الأسوار التي تحيط بمدينة المنية تظهر من عدوة الأندلس لشدة بياضها . ومدينة سبتة سميت بهذا الاسم لأنها جزيرة منقطعة ، والبحر يطيف بها من جميع جهاتها ، إلا من ناحية المغرب ، فإن البحر يكاد ياتقى بعضه ببعض هناك ، ولا يبقى بينهما إلا أقل من رمية سهم ، واسم البحر الذى يابى شلاً بحر الزقاق ، والبحر الآخر الذى يليها فى جهة

(١) دوزى يقرأ هذه الجملة : جبل الميا ، لا جبل المنية ونحن نقول لا مانع من ذلك ولكن نكثر تسمية المصايف والمرتبات عند العرب باسم منية ، بالكسر وفى مصر من هذه المياه ما لا يحصى منها ما هو بالمفرد ومنها ما هو بالتثنية ومنها ما هو بالجمع . وقد عد الزيدى فى التاج نحواً من مائة وتسعين منية بالمفرد . وزيادة على ثلاثين بالتثنية هكذا : منيتا طاهر وأمامه . منيتا فاتك ومزاح ، منيتا السويد والطبل الخ وعدة منيات أو منيات بالجمع هكذا : منى مرزوق ، منى جعفر ، منى مغنوج ، منى غصين الخ وكل هذا فى مصر . وفى الشام بعض منيات ، أيضاً منها : المنى ، بقرب طرابلس الشام وهى تلفظ بالامالة على عادة الشام . وفى الأندلس عدة منى ذكر منها الزيدى منية عجب ، منها خلف بن سعيد المتوفى سنة ٣٠٥ ولم يذكر غيرها . ولكن لافى بروفنسال فى كتابه « اسبانية المسلمة فى القرن العاشر » قال إن بالأندلس عدة أما كن اسم الواحد منها : منية . وإنما يلفظها الأندلسيون بالضم ويظن أن أصل اللفظة يونانى ثم دخلت فى لغة القبط بمعنى ميناء أو محط أو دير . وكان فى قرطبة منية الناعورة ، للخليفة الناصر وهو منزه معروف و منية عبد الله ، و منية المغيرة ، و منية عجب ، ولم يذكر ياقوت من منى الأندلس سوى منية عجب ولم يذكر من منى مصر إلا منية أبى الخصب واضع عشرة أخرى

الجنوب يقال له بحر بسول ، وهو مرسى حسن يُرْسَى فيه فيُكِنُّ من كل ريح .
و بمدينة سبتة مصايد للحوت ولا يمد لها بلد في إصابة الحوت وجلبه ، ويصاد بها
من السمك نحو من مائة نوع ، ويصاد بها السمك المسمى بالتنين الكبير ، وصيدهم
له يكون زرقاً بالرماح وهذه الرماح لها في أسننها أجنحة بارزة تنشب في الحوت
ولا تخرج ، وفي أطراف عصيها شرائط القنب الطوال ، ولهم في ذلك دربة وحكمة
سبقوا فيها جميع الصيادين .

ويصاد بمدينة سبتة شجر المرجان الذي لا يمد له صنف من صنوف المرجان
المستخرج بجميع أقطار البحار . و بمدينة سبتة سوق لتفصيله وحكّه وصنعه خرزاً
وثقيه وتنظيمه ، ومنها يتجهز به إلى سائر البلاد ، وأكثر ما يحمل إلى « غانة »
وجميع بلاد السودان ، لأنه في تلك البلاد يستعمل كثيراً . ومن مدينة سبتة إلى قصر
مصمودة في الغرب ١٣ ميلاً وهو حصن كبير على ضفة البحر ، تشأبه المراكب والحراريق
التي يسافر فيها إلى بلاد الأندلس ، وهي على رأس المجاز الأقرب إلى ديار الأندلس
ومن قصر مصمودة إلى مدينة طنجة غرباً ٢٠ ميلاً . ومدينة طنجة قديمة أرلية ،
وأرضها منسوبة إليها . وهي على جبل عال مطل على البحر ، وسكنى أهلها منه في
سند الجبل إلى ضفة ^(١) البحر ، وهي مدينة حسنة لها أسواق وصناع ، وفعلة وبها
انشاء المراكب ، وبها أقلاع وحط ، وهي على أرض متصلة بالبر فيها مزارع وغلات
وسكانها برابر ينسبون إلى صنهاجة . ومن مدينة طنجة ينمطف البحر المحيط الأعظم
آخذاً في جهة الجنوب إلى أرض « تشمس » وتشمس كانت مدينة كبيرة ذات
سور من حجارة يشرف على نهر « سفدر » وبينها وبين البحر نحو ميل ، ولها قرى
عامرة باصناف من البربر ، وقد أفنتهم الفتن وأبادتهم الحروب المتوالية عليهم . ومن
تشمس إلى قصر عبد الكريم ، وهو على مقربة من البحر ، وبينه وبين طنجة ،
(١) سند الجبل ما قالك منه وعلا عن السفح فأما الآن فقد ارتفعت طنجة إلى
أعلى الجبل وهي مدينة حسنة كما قال ، عمرها الله بأهلها

يومان ، وقصر عبد الكريم مدينة صغيرة على ضفاف نهر « لكس » وبها أسواق على قدرها يباع بها ويشتري ، والأرزاق بها كثيرة والرخاء بها شامل . ومن مدينة طنجة إلى مدينة « أزيلا » مرحلة خفيفة جداً ، وهي مدينة صغيرة جداً ، وما بقي منها الآن إلا نزر يسير ، وفي أرضها أسواق قريبة . وأزيلا هذه ، ويقال أصيلا ، عليها سور . وهي متعاقبة على رأس الخليج المسمى بالزقاق ، وشرب أهلها من مياه الأنار . وعلى مقربة منها في طريق القصر مصب نهر سفرد ، وهو نهر كبير عذب تدخله المراكب ، ومنه يشرب أهل تشمس التي تقدم ذكرها . وهذا الوادي أصله من مائتين يخرج أحدهما من بلد « دنهاجة » من جبل « البصرة » والماء الثاني من بلد كتامة ، ثم يلتقيان ، فيكون منهما نهر كبير . وفي هذا النهر يركب أهل البصرة في مراكبهم بأمّعتهم حتى يصلوا البحر فيسيروا فيه حيث شاءوا . وبين تشمس والبصرة دون المرحلة على الظهر . والبصرة ^(١) كانت مدينة مقتصدة عليها سور

(١) بعد أن ذكر ياقوت البصرة المشرقية في معجم البلدان عاد فذكر البصرة المغربية فقال : بلد في المغرب في أقصاه قرب السوس خربت . قال ابن حوقل وهو يذكر مدن المغرب من بلاد البربر : والبصرة مدينة مقتصدة عليها سور ليس بالمنيع ولها عيون خارجها عليها بساتين يسيرة وأهلها ينسبون إلى السلامة والخير والجمال وطول القامة واعتدال الخلق وبينها وبين المدينة المعروفة بالأقلام أقل من مرحلة وبينها وبين مدينة يقال لها تشمس أقل من مرحلة أيضاً . ولما ذكر المدن التي على البحر قال : ثم تعطف على البحر المحيط يساراً وعليه من المدن قريبة منه وبعيدة جرماية ، و « ساوران » و « الحجى » على نحر البحر ودونها في البر مشرقاً ، الأقلام ، ثم البصرة وقال البشاري : البصرة مدينة بالمغرب كبيرة كانت عامرة وقد خربت وكانت جليلة . وكان قول البشاري هذا في سنة ٣٧٨ . وقرأت في كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري الأندلسي : بين فاس والبصرة أربعة أيام قال : والبصرة مدينة كبيرة وتعرف ببصرة الكتان كانوا يتبايعون في بدم أمرها في جميع تجاراتهم بالكتان وتعرف أيضاً بالحرم لأنها حرم التربة وسورها مبنى بالحجارة والطوب وهي بين شرفين ولها

ليس بالحصين ، ولها قرى وعمارات وغلات ، وأكثر غلاتها القطن والقمح ، وسائر الحبوب بها كثيرة ، وهي عامرة الجهات ، وهوؤها معتدل ، وأهلها أعفاء ، ولهم جمال وحسن أدب . وعلى نحو ١٨ ميلا مدينة « باب أقلام » ^(١) وهي من بناء عبدالله بن ادريس ، بين جبال وشعار متصلة ، والمدخل إليها من مكان واحد . وبالجملة فإنها خصيبة كثيرة المياه والفواكه ، وعلى مقربة منها مدينة « قرت » وهي على سفح جبل منيع ، لا سور عليها ، ولها مياه كثيرة وعمارات متصلة . وأكثر زراعتهم القمح والشعير وأصناف الحبوب . وكل هذه البلاد منسوبة إلى بلاد طنجة ومحسوبة منها . وفي جنوب البصرة على نهر « سبو » الآتي من ناحية فاس قرية كبيرة كالمدينة الصغيرة يقال لها « ماسنة » وكانت قبل هذا مدينة لها سور وأسواق وهي الآن خراب . وعلى مقربة منها مدينة « الحجر » وكانت مدينة محدثة لآل ادريس ، وهي على جبل شامخ الذرى ، حصينة منيعة ، لا يصل أحد إليها إلا من طريق واحد ، والطريق صعب المجاز ، يسلكه الرجل بعد الرجل ، وهي خصيبة رفهة كثيرة الخيرات ، وماؤها فيها ، ولها بساتين وعمارات ، ومن مدينة سبتة عشرة أبواب وماؤها زعاق وشرب أهلها من بئر عذبة على باب المدينة وفي بساتينها آبار عذبة ونساء هذه البصرة مخصوصات بالجمال الفائق والحسن الرائق ليس بأرض المغرب أجل منهن . قال أحمد بن فتح المروفي بابن الحزاز التهرتي يمدح أبا العيش عيسى بن ابراهيم بن القاسم .

قبح الاله الدهر إلا قينة بصرية في حمرة وبياض
الخر في لحظاتها والورد في وجناتها والكشح غير مفاض
في شكل مرجى ونسك مهاجر وعفاف سنى وسمت إباح
تيهت ، أنت خالصة وبرقة عوضت منك ببصرة فاعتاضى
لا عذر للحمراء في كلنى بها أو تستفيض بأبجر وحياض

قال : ومدينة البصرة مستحدثة أسست في الوقت الذى أسست فيه أصيلة أو قريامنة

(١) ورد ذكرها في ثقلنا عن ياقوت هنا

السابق ذكرها بين جنوب وشرق إلى حصن « تطاون » مرحلة صغيرة ، وهو حصن في بسيط الأرض ، وبينه وبين البحر الشامي خمسة أميال . وتسكنه قبيلة من البربر تسمى بجكسة^(١) . ومنه إلى « أنزلان » وهو مرسى فيه غمارة ، نحو من ١٥ ميلا وأنزلان مرسى عامر ، وهو أول بلاد غمارة . وبلاد غمارة جبال متعالة بعضها ببعض كثيرة الشجر والغياض وطولها نحو من ثلاثة أيام . ويتصل بها من ناحية الجنوب جبال « السكواكب » وهي أيضاً جبال عامرة كثيرة الخصب ، وتمتد في البرية مسيرة ثلاثة أيام حتى تنتهي قرب مدينة فاس . وكان يسكنها غمارة إلى أن طهر الله منهم الأرض ، وأفى جمعهم ، وخرب ديارهم ، لكثرة ذنوبهم ، وضعف اسلامهم وكثرة جراتهم ، وإصرارهم على الزنا المباح ، والمواربة الدائمة ، وقتل النفس التي حرم الله بغير الحق ، وذلك من الله جزاء الظالمين . وبين سبتة وفاس على طريق « زجان » ثمانية أيام . وعلى مقربة من أنزلان حصن « تقساس » على البحر ، وبينهما نصف يوم ، وهو حصن معمور في غمارة ، لكن أهله بينهم وبين غمارة حرب دائمة ، ومن تقساس إلى قصر « تاركنا » وله مرسى . ومنه إلى حصن « مسيكاسه » نصف يوم ، وهو لغمارة . ومن مسيكاسة إلى حصن « كركال » ١٥ ميلا ، وهو أيضاً لغمارة . ومن حصن كركال إلى مدينة « بادس » مقدار نصف يوم ، وبادس مدينة متحضرة فيها أسواق وصناعات قلائل ، وغماره ياجأون اليها في حوانجهم ، وهي آخر بلاد غماره . ويتصل بها هناك طرف الجبل ، وينتهي طرفه الآخر في جهة الجنوب ، إلى أن يكون بينه وبين بلد بني « تاوده » أربعة أميال ، وكان بهذا الجبل قوم من أهل « مزكلدة » أهل جرأة وسفاهة وتجاسر على من جاورهم ، فأبادهم سيف الفتنة ، وأراح الله منهم . ومن مدينة بادس إلى مرسى « بوزكور » ٢٠ ميلا ،

(١) كان هذا في القرن السادس للهجرة وهو القرن الذي عاش فيه الشريف الإدريسي ولكن في القرن العاشر للهجرة عمرت تطاون بالاندلسيين بعد جلائهم الأخير وصارت من المدن الكبار المكدودة من القواعد زادها الله من فضله .

وكانت مدينة فيما سالف لكنها خربت ولم يبق لها رسم ، وتسمى في كتب التواريخ « نكور » وبين بوزكور وبادس جبل متصل يُعرف بالأجراف ، ليس فيه مرسى . ومن بوزكور إلى المزمة ٢٠ ميلا ، وكانت به قرية عامرة ومرسى توسق المراكب منه . ومن المزمة إلى واد بقرها ، ومنه إلى طرف « ثغال » ١٢ ميلا . وهذا الطرف يدخل في البحر كثيراً ، ومنه إلى مرسى « كرت » ٢٠ ميلا وبشرقي كرت واد يأتي من جهة « صاع » ومن كرت إلى طرف جون داخل في البحر ٢٠ ميلا ، ومن كرت إلى مدينة « مليلة » في البحر ١٢ ميلا ، وفي البر ٢٠ ميلا .

ومدينة مليلة مدينة حسنة متوسطة ذات سور منيع وحال حسنة على البحر ، وكان لها قبل هذا عمارات متصلة وزراعات كثيرة ، ولها بئر فيها عين ألزية كثيرة الماء ، ومنها شربهم ، ويحيط بها من قبائل البربر بطون بطوية .

ومن مليلة إلى مصب الوادي الذي يأتي من « آقرسيف » ٢٠ ميلا ، وأمام مصب هذا النهر جزيرة صغيرة . ويقابل هذا الموضع من البرية مدينة « جراو » ومن مصب وادي آقرسيف إلى مرسى « تافركنيت » على البحر ، وعليه حصن منيع صغير ٤٠ ميلا . ومن تافركنيت إلى حصن تابجريت ثمانية أميال ، وهو حصن حصين ، حسن عامر أهل وله مرسى مقصود . ومن تابجريت إلى « هُنين » على البحر ١١ ميلا ومنها إلى « تلمسان » في البر ٤٠ ميلا . وفيما بينهما مدينة « ندرومة » وهي مدينة كبيرة عامرة أهلة ، ذات سور وسوق ، موضعها في سند ، ولها مزارع ولها واد يجري في شرقيها ، وعليه بساتين وجنات وعمارة وسقى كثير .

وهنين مدينة حسنة صغيرة في نحر البحر ، وهي عامرة ، عليها سور متقن وأسواق وبيع وشراء ، وخارجها زراعات كثيرة ، وعمارات متصلة . ومن هنين على الساحل إلى مرسى « الوردانية » ستة أميال ، ومنها إلى جزيرة « القشقار » ثمانية أميال ، ومنها إلى جزيرة « إرشقول » و « يروي » « ارجكون » وكانت فيما سالف حصناً عامراً له مرسى وبادية وسعة في الماشية والأموال السائمة ، ومرساها في جزيرة فيها

مياه ومواجل كثيرة للمراكب ، وهي جزيرة مسكونة ، ويصب بحضانها نهر مَلَوِيَّة . ومن مصب الوادي إلى حصن « أسلان » ستة أميال على البحر ، ومنه إلى طرف خارج في البحر ٢٠ ميلا ، ويقابل الطرف في البحر جزيرة الغنم ، وبين جزائر الغنم وأسلان ١٢ ميلا . ومن جزائر الغنم إلى بني وزَّار ١٧ ميلا ، وبني وزَّار حصن منيع في جبل على البحر ، ومنه إلى « الدفالي » وهو طرف خارج في البحر ١٢ ميلا ، ومن طرف الدوالي إلى طرف « الحرشة » ١٢ ميلا ، ومنه إلى « وهران » ١٢ ميلا . وقد ذكرنا وهران وأحوالها فيما صدر من ذكر الأقليم الثالث ، والله المستعان

فانرجع الآن إلى ذكر الأندلس ووصف بلادها ، ونذكر طرفاتها ، وموضوع جهاتها ، ومقتضى حالاتها ، ومبادئ أوديتها . ومواقعها من البحر ، ومشهور جمالها وعجائب بقعها ، وذاتى من ذلك بما يجب بعون الله تعالى فقول :

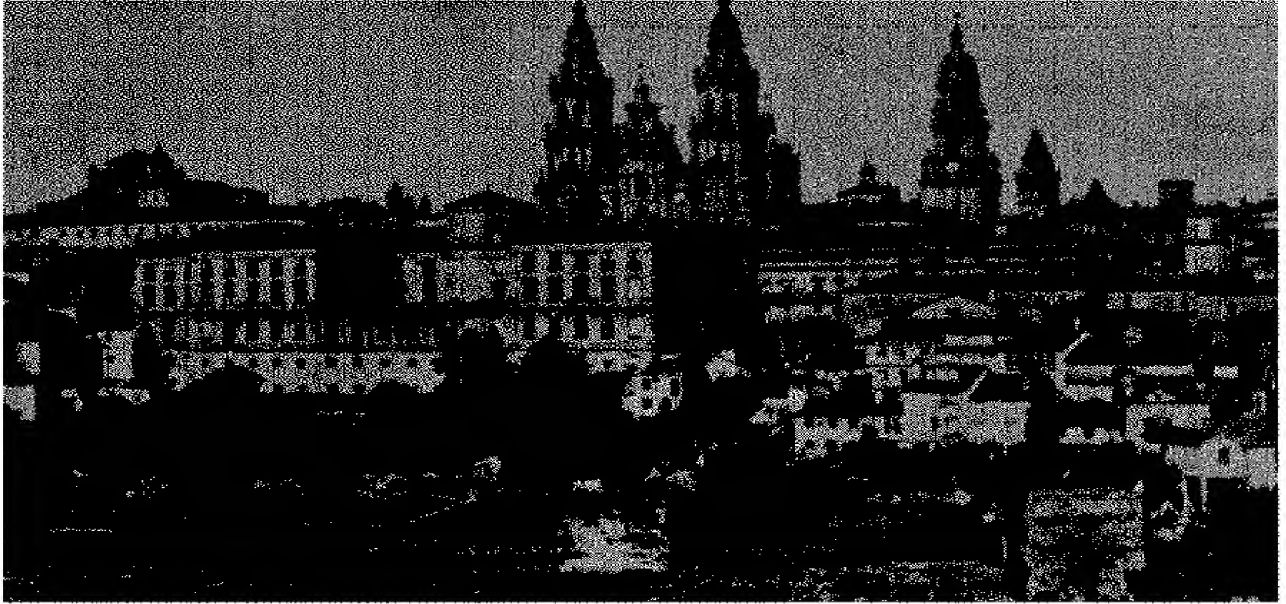
أما الأندلس في ذاتها فشكل مثلث يحيط بها البحر من جميع جهاتها الثلاث ، فجنوبها يحيط به البحر الشامي ، وغربها يحيط به البحر المظلم ، وشمالها يحيط به بحر الانقلاشيين^(١) من الروم . والأندلس طولها من كنيسة الغراب التي على البحر المظلم إلى الجبل المسمى بهيكل الزهرة ألف ميل ومائة ميل ، وعرضها من كنيسة « شنت ياقوب »^(٢) التي على أنف بحر الانقلاشيين إلى مدينة المرية التي على بحر الشام ستانة ميل .

وجزيرة الأندلس مقسومة من وسطها في الطول بجبل طويل يسمى الشارات^(٣) وفي جنوب هذا الجبل تأتي مدينة طليطلة . ومدينة طليطلة مركز لجميع بلاد الأندلس (١) يريد بالانقليش أو بالانقلاشيين الانكليز وكان من عادة العرب أن يقلبوا السين والزاي شيئا في أكثر الاحيان .

(٢) العرب يقولون شنت ياقوب أو شنت ياقب والاسبان يقولون : سانتياغو دو كومبستله ، Santiago De Compostela وهي أقدس كنيسة عند الاسبانول وفيها قبر يعقوب أحد الحواريين .

(٣) Sierra وقد صارت الشارات تفيد معنى سلسلة جبال .

وذلك أن منها إلى مدينة قرطبة ، بين غرب وجنوب ، تسع مراحل ، ومنها إلى لشبونة غرباً تسع مراحل ، ومن طايطالة إلى شنت ياقوب على بحر الانقليشيين تسع

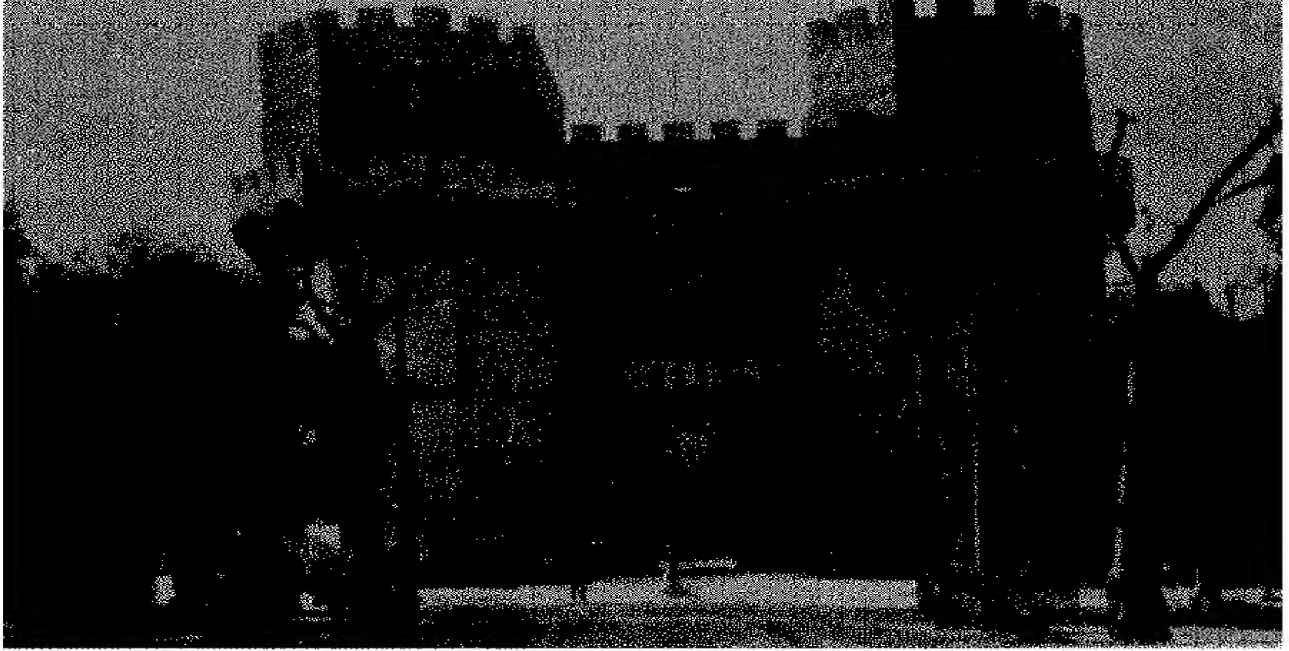


مدينة شانت ياقب أقدس بلدة عند الاسبانيين



متنزه في شانت ياقب

مراحل ، ومنها إلى « جاقة » ^(١) شرقاً تسع مراحل ، ومنها إلى مدينة بلنسية ،
بين شرق وجنوب ، تسع مراحل ، ومنها أيضاً إلى مدينة المرية على البحر الشامي
تسع مراحل .



برج سرافوس (بلنسية)

ومدينة طليطلة كانت في أيام الروم مدينة الملك ومدار لولاتها ، وبها وجدت
مائدة سليمان بن داود ، مع جملة ذخائر يطول ذكرها . وما خلف الجبل المسمى
بالشارت في جهة الجنوب يسمى اشبانية ، وما خلف الجبل في جهة الشمال يسمى
قشالة . ومدينة طليطلة في وقتنا هذا يسكنها سلطان الروم القشتاليين .

(١) جاقة من بلاد سرقسطة بلدة فيها اليوم ٥٠٠٠ نسمة من السكان وهي مركز
ناحية « سوبراربي » ولها سور يرجع تاريخ بنائه إلى القرن العاشر وقد أنشئ خط
حديدى بين جاقة Jaca واولورون Oloron يختصر بنحو مائة كيلو متر المسافة بين
باريز ومجريط .



متنزه النخل (بلنسية)

والأندلس المسماة اشبانية أقاليم عدة ، ورساتيق جملة ، وفي كل إقليم منها عدة مدن نريد أن نأتى بذكرها مدينة مدينة بحول الله تعالى . ولنبدأ الآن منها بإقليم البحيرة ^(١) وهو إقليم مبدأه من البحر المظلم ، ويمرّ مع البحر الشاميّ ، وفيه من البلاد جزيرة طريف ، والجزيرة الخضراء ، وجزيرة قادس ، وحصن « أركش » ^(٢) ، و« بكة » ^(٣) و« شريش » ^(٤) ، و« طشانة » ^(٥) ، و« مدينة ابن السليم » ^(٦) ، وحصون كثيرة كالمدن عامرة ، سنأتى بها في موضوعها ويتلوه إقليم « شذونة » ^(٧) ، وهو من إقليم البحيرة شمالا ، وفيه من المدن

(١) Le Lago de la janda (٢) Arcos (٣) Becca (٤) Jeres (٥) Tocina (٦) Grazalema وأظن اسمها محرفاً عن قرية سالم ، وهي الآن قرية كبيرة في برية تبعد عن رندة ٢٥ كيلو متراً إلى الجنوب وقد زرتها بالسيارة لما كنت في رندة (٧) Sidonia

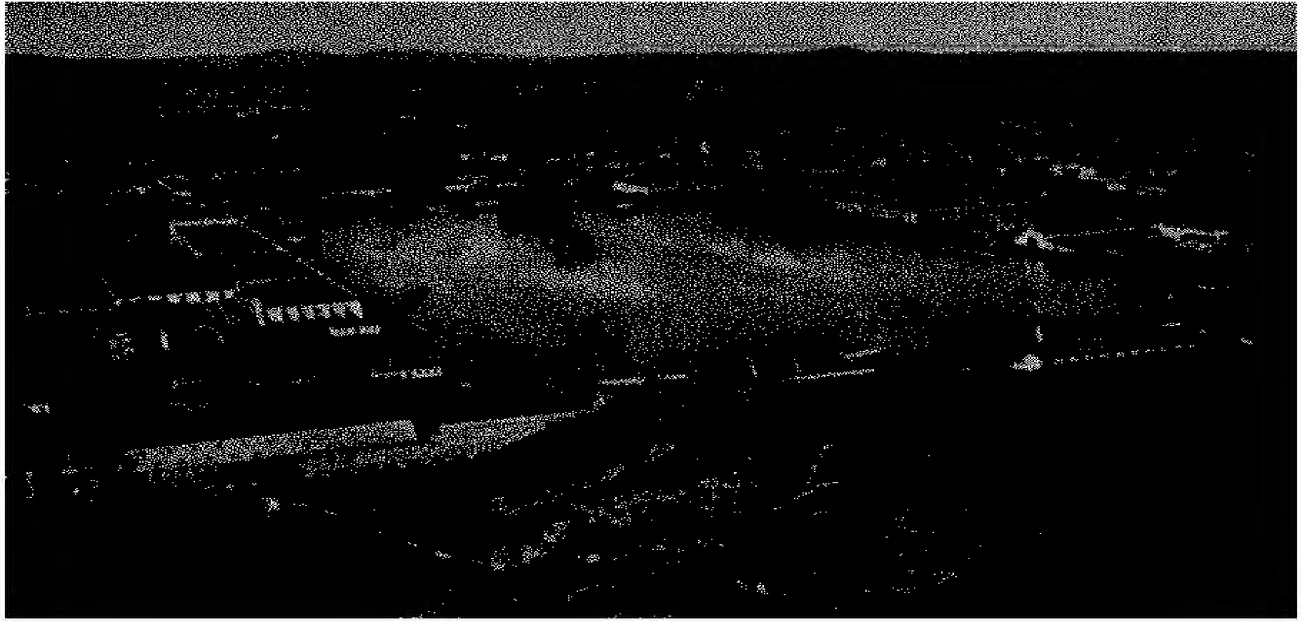
مدينة « اشبيلية » ^(١) ، ومدينة « قرمونة » ^(٢) ، و« غلسانة » ^(٣) ، وحصون كثيرة . ويتلوه اقليم الشرف ، وهو ما بين اشبيلية و « لبله » ^(٤) والبحر المظلم ، وفيه من المعاقل « حصن القصر » ^(٥) ومدينة لبله و « ولبة » ^(٦) وجزيرة « شلطيش » ^(٧) وجبل العيون . ثم يليه اقليم « الكنبنانية » ^(٨) وفيه من المدن قرطبة و « الزهراء » ^(٩) و « استجة » ^(١٠) و « بيانة » ^(١١) و « وقبرة » ^(١٢) و « اليانة » ^(١٣) وبه جملة حصون كبار سند كرها بعد هذا . ويلى اقليم الكنبنانية اقليم « اتونة » ^(١٤) وفيه حصون عامرة كالمدن ، منها لورقة واشونة وهو اقليم صغير . وياليه مع الجنوب اقليم « رية » ^(١٥) وفيه من المدن مدينة مائقة و « ارتذونة » ^(١٦) و « مرلة » ^(١٧) و « بْبَشْطَر » ^(١٨) و « لايكنصاد » ^(١٩) وغير

(١) Sevilla (٢) Carmona بلدة ذات موقع نادر في الدنيا مبنية على جبل مشرف على سائط لا ينتهى البصر إلى مداها وقد زرتها بالسيارة من اشبيلية
(٣) غلسانه هي اليوم عند الاسبانيول medina Sidonia (٤) nichla
(٥) Hisnalcasar (٦) Hulba (٧) Saltes (٨) La campina
(٩) medina Az-zahra (١٠) Ecija (١١) Baena
(١٢) cabra (١٣) Lucina (١٤) usona (١٥) Rio
وليعلم القارئ أننا التزمنا ترجمة الأعلام العربية بما يقابلها من الأسماء الاسبانيولية وترجمة الأعلام الاسبانية بما كان يقوله لها العرب وتحرينا في ذلك جهد الطاقة ولم نبق في قوس البحث منزع ظفر حتى حققنا كل هذه الأسماء إلا ما ندر فان معرفتها بلساني العرب والافرنج شرط في فهم جغرافية الأندلس وتاريخها وبدون ذلك لا تتحصل للقارئ صورة تامة عنها في ذهنه ولم نكتف بترجمة الأعلام من العربي إلى الاسبانيولي ومن الاسبانيولي إلى العربي مرة واحدة بل ربما كتبنا اسم المكاتب الواحد باللغتين مرتين وثلاثاً لا نمل من ذلك حتى يرسخ في ذهن القارئ بالتكرار وإلا فانه لا يحفظ هذه الأعلام المتبادلة من قرأها مرة واحدة .

(١٦) Archidona وقد يكتبها العرب بالجيم (١٧) marbella

(١٨) Bobachtero (١٩) هذه اللفظة لم ندر حقيقتها

هذه من الحصون . ويتلو هذا الاقليم « البشارات » ^(١) وفيه من المدن « جيان » ^(٢) وجملة حصون وقرى كثيرة تشف على ستمائة قرية ، يتخذ بها الحرير . ثم اقليم « بجانة » ^(٣) وفيه من المدن « المرية » ^(٤) و « برجة » ^(٥) وحصون كثيرة منها « مرشانة » ^(٦) و « برشانة » ^(٧) و « طرجالة » ^(٨) و « نالش » ^(٩) ويتلو

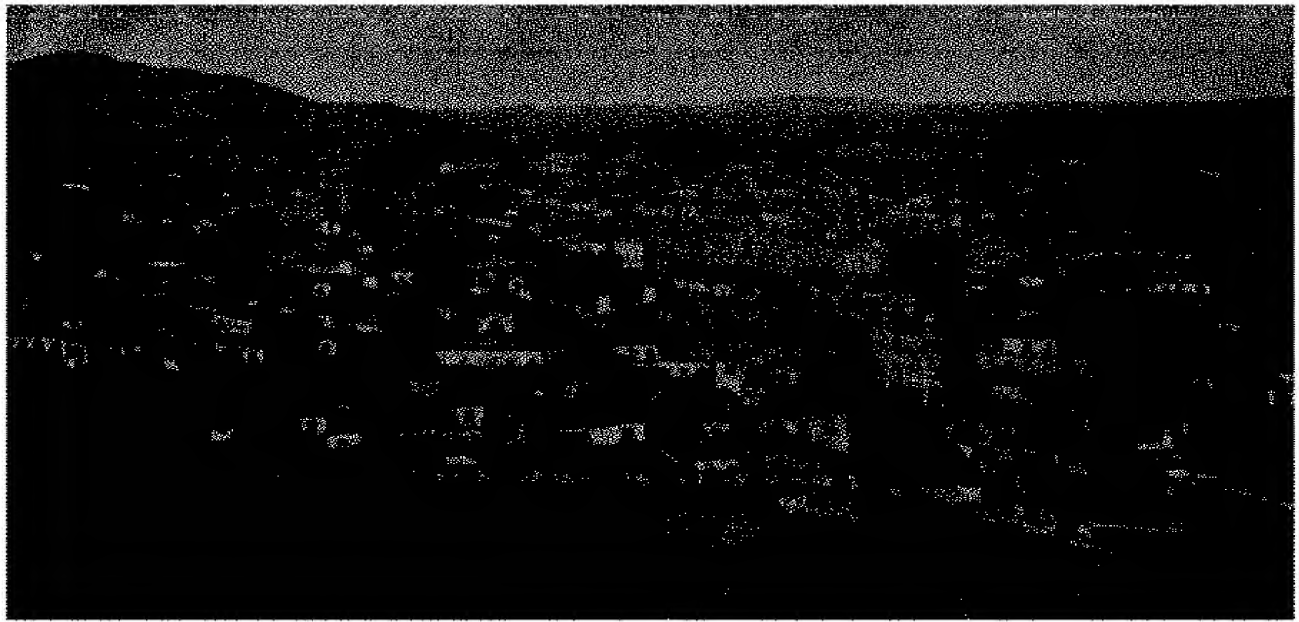


صورة مرسى قرطاجنة

في جهة الجنوب اقليم « البيرة » ^(١٠) وفيه من المدن « اغرناطة » ^(١١) و « وادي آش » ^(١٢) و « المنكب » ^(١٣) وحصون وقرى كثيرة . ومنها إقليم « فريرة » ^(١٤)

- (١) Sierra (٢) jaen واصل اسمها في زمن الرومان usiense وكان القشتاليون يقولون لها Gien (٣) Béchina (٤) Almeria (٥) Berja (٦) merchana هي من مقاطعة بجانة وقد درست ولا تزال منها بقايا في دسكرة يقال لها ترك ، Terque (٧) برشانة Purchina هي أيضا من مقاطعة بجانة (٨) Targela (٩) velez (١٠) vera (١١) Grenade (١٢) Guadix (١٣) Almonacar (١٤) Ferreira

وهو يتصل باقليم البشارات ، وفيه مدينة « بسطة » ^(١) وحصن « تشكر » ^(٢) الموصوف بالمنعة . وفيه حصون كثيرة وسنأتي بها بعد . ثم كورة « تدمير » ^(٣) وفيها من المدن « مرسية » ^(٤) و « اوريوله » ^(٥) و « قرطاجنة » ^(٦) ، و « لورقه » ^(٧) و « مولة » ^(٨) و « جنجالة » ^(٩) ويتصل بكورة « كونكة » ^(١٠) وفيها « الش » ^(١١) و « القنت » ^(١٢) و « شقورة » ^(١٣) و يايه اقليم « ارغيرة » (؟) وفيه من البلاد



مدينة قرطاجنة

« شاطبة » ^(١٤) و « شقر » ^(١٥) و « دانية » ^(١٦) وفيه حصون كثيرة . و يايه اقليم مرباط وفيه من البلاد « بلنسية » ^(١٧) و « مرباطر » ^(١٨) و « بُريانة » ^(١٩) و حصون

-
- Murcie (٤) Todmir (٣) Tixar (٢) Baza (١)
 Mola (٨) Lorca (٧) Cartagène (٦) Orihuela (٥)
 Alicante (١٢) Elche (١١) Cuenca (١٠) Chinchilla (٩)
 Se gur (١٥) Jatiba أو Chativa (١٤) Segura (١٣)
 Brienne (١٩) Murviedro (١٨) Valence (١٧) Denia (١٦)

كثيرة . ويليه مع الجوف إقليم « القواطم » ^(١) وفيه من البلاد « الفنت » ^(٢) و « شنت » ^(٣) ماريه « المنسوبة لابن رزين . ويتصل به إقليم « الوجلة » ^(٤) وفيه من البلاد « سرته » ^(٥) و « قلعة رباح » ^(٦) و « فته » ^(٧) ويلى هذا الاقليم اقليم « البلاطة » ^(٨) . وفيه حصون كثيرة منها ومن أكبرها « بطروش » ^(٩)



الساقية العتيقة (الش)

و « غافق » ^(١٠) وحصن ابن هارون (؟) وغيرها دونها في الكبير . ويلى هذا الاقليم غربا اقليم « الفقر » (؟) وفيه من البلاد « شنت » ^(١١) ماريه « و « مارتلة » ^(١٢) و « شلب » ^(١٣)

- (١) دوزى يظن أن الاسم محرف بالنسخ وأن أصله « القواسم » ونحن نرجح أنه محرف عن « القواطم » ، وسيأتى الكلام على ذلك (٢) puente
(٣) Albarracine (٤) لم ندرأ هو عربي أم معرب ؟ وهى Walaja
(٥) Zarruta (٦) Calatrava (٧) Puente (٨) البلاطة أى البلوطين
نسبة إلى فخص البلوط (٩) Pedroche (١٠) Gafic
(١١) Santa Maria (١٢) Martela (١٣) Silves

و حصون كثيرة وقرى . ويلي هذا الاقليم اقليم « القصر » ^(١) وفيه القصر المنسوب
« لأبي دانس » وفيه « يابرة » ^(٢) و « بطليوس » ^(٣) و « شريشة » ^(٤) و « ماردة » ^(٥)
و « قنطرة » ^(٦) السيف و « قوراية » ^(٧) . و يليه اقليم البلاط وفيه مدينة « البلاط » ^(٨)



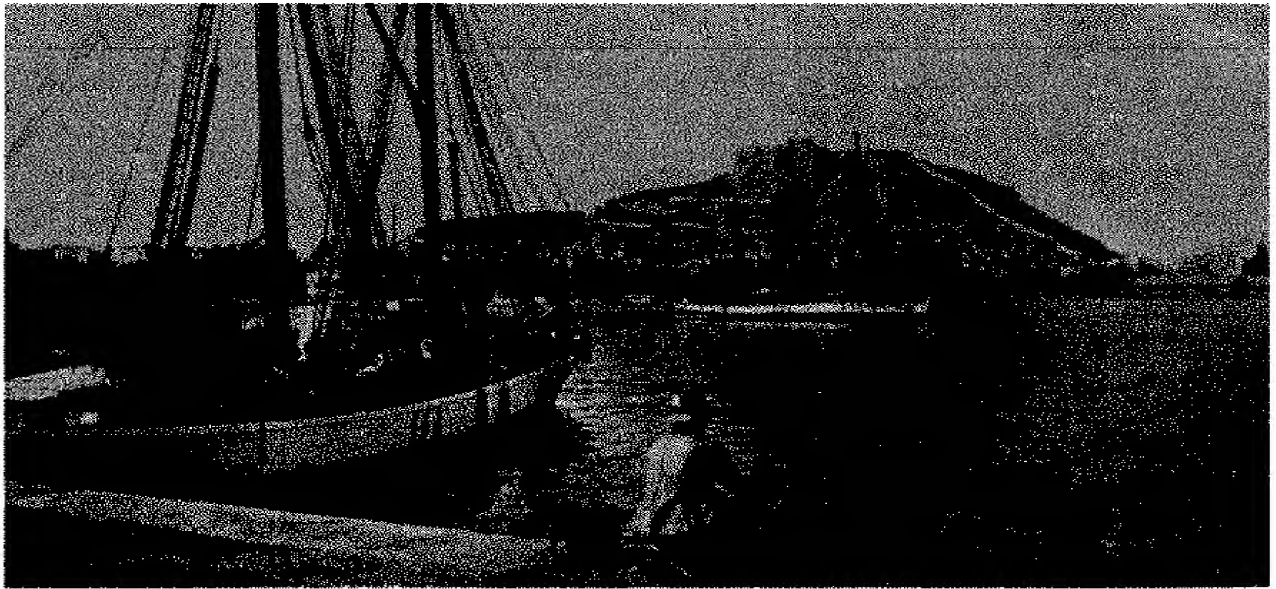
غيزة من غياض الش

ومدين ^(٩) . ويلي هذا الاقليم اقليم بلاطه ^(١٠) وفيه « شترين » و « لشبونة »
و « شنترة » و يليه اقليم الشارات وفيه « طابيرة » ^(١١) و « طليطالة » ^(١٢)

(١) Cacer (٢) Evora (٣) Badjoz (٤) Xerex de Estramador وهي عند العرب شريشة إلا أنها غير شريش التي منها أبو العباس
الشريشي شارح المقامات الحريية (٥) Merida (٦) Alcantara (٧) Coria (٨) Albalat

(٩) Medellin (١٠) بورة البلاطة في أيام العرب كانت تشتمل على شترين
Santarem واشبونة Lisbonne أو Lisboa وشنترة Cintra ويقال لها في هذه
الأيام « استرمادوره ، البرتغالية (١١) Talavera (١٢) Toledo

- و « وجرىط » ^(١) و « الفهمين » ^(٢) و « وادى الحجارة » ^(٣) « اقليش » ^(٤)
 و « وبنده » ^(٥) ويليه أيضاً إقليم « أرنيط » ^(٦) وفيه من البلاد « قلعة أيوب » ^(٧)
 وقلعة « دروكة » ^(٨) ومدينة « سرقسطة » ^(٩) و « وشقة » ^(١٠) و « تطيلة » ^(١١)
 ثم يليه إقليم الزيتون وفيه « جاقة » ^(١٢) و « لاردة » ^(١٣) و « مكناسة » ^(١٤)
 و « افراغه » ^(١٥) ويليه إقليم « البرتات » ^(١٦) وفيه « طرطوشة » ^(١٧) و « طركونة » ^(١٨)



مرسى الفنت

- (١) Madrid (٢) بلدة من أعمال طليطله اسمها عربي منسوبة إلى بنى فهم
 على ما ورد في معجم البلدان لياقوت وقد ذكرنا ما قال في موضع آخر
 (٣) Guadalajara وقد يقول لها العرب مدينة الفرج محرقة (٤) Aclès
 (٥) Huete (٦) أظن أن أرنيط هي التي يقال لها Arenedo
 (٧) Calatayud (٨) Daroca (٩) Saragosse
 (١٠) Huesca (١١) Tudela (١٢) Jaca (١٣) Lerida
 (١٤) Méquinensa (١٥) Fraguas (١٦) جبال البرتات هي جبال
 البرانس أو جبال البيرانه (١٧) Tortosa (١٨) Tarracona



متنزه راميرو (الفنت)

و « برشلونة » ^(١) وبلى هذا الاقليم غرباً اقليم « مرمرية » ^(٢) وفيه حصون خالية ، ومما بلى البحر حصن « طشكره » ^(٣) و « كشتالى » ^(٤) و « كتنده » ^(٥) فهذه كلها أقاليم اشبانية المسمى جعلتها بالأندلس . فأما جزيرة « طريف » ^(٦) فهي على البحر الشامى ، فى أول المجاز المسمى ، بالزقاق ، ويتصل غريبها ببحر الظلمة . وهى مدينة صغيرة ، عليها سور تراب ، ويشقها نهر صغير ، وبها أسواق وفنادق وحمامات ، وأمامها جزيرتان صغيرتان تسمى احدهما « القنتير » ^(٧) وهما على مقربة من البر . ومن جزيرة طريف إلى الجزيرة الخضراء ثمانية عشر ميلا ، تخرج من الجزيرة إلى « وادى » ^(٨) النساء « وهو نهر جار ، ومنه إلى الجزيرة » ^(٩) الخضراء

Barcelone (١) Marmaria (٢) Tixar (٣)

Castello (٤) Cutenda (٥) Tariffa (٦)

(٧) لم نعرف اسمها بالاسبانى (٨) الاسبانيول يقولون Guadannasi

وذلك أنهم حكوا فى لفظها العرب وهؤلاء فى الأندلس كانوا يملون الألف كثيراً
(٩) الاسبانيول بحسب عادتهم من قلب الجيم خاء والسين والزاي ثاء يقولون

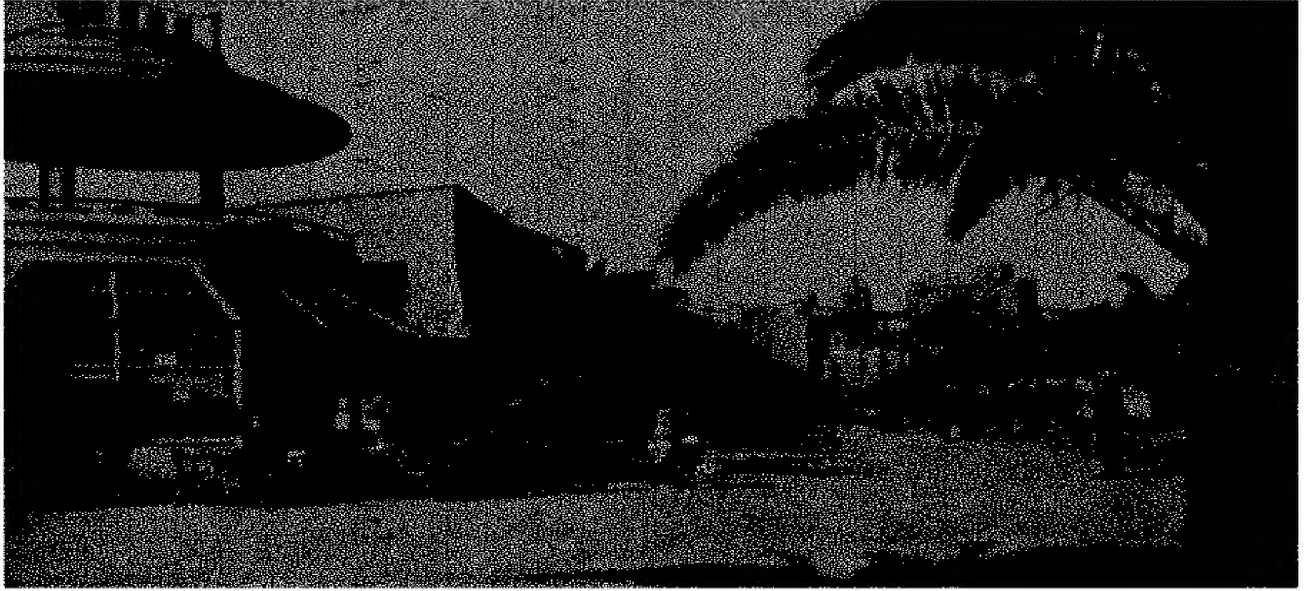
وهي مدينة متحضرة لها سور حجارة مفرغ بالجيار ، ولها ثلاثة أبواب ودار صناعة داخل المدينة ، ويشقها نهر يسمى نهر العسل ، وهو حلو عذب ، ومنه شرب أهل المدينة ، ولهم على هذا النهر بساتين وجنات بكلتي ضفتيه معاً . وبالجزيرة الخضراء إنشاء وإقلاع وحط ، وبينها وبين مدينة سبتة مجاز البحر ، وعرضه هنالك ثمانية عشر ميلاً . وأمام المدينة جزيرة تعرف بجزيرة « أم حكيم » وبها أمر عجيب ، وهو أن فيها بئراً عميقة كثيرة الماء حلوة ، والجزيرة في ذاتها صغيرة مستوية السطح ، يكاد البحر يركبها ^(١) والجزيرة الخضراء أول مدينة افتتحت من الأندلس في صدر الاسلام ، وذلك في سنة ٩٠ من الهجرة ، وافتتحها موسى بن نصير من قبل الروانيين ، ومعه طارق بن عبد الله بن ونمو الزناتي ، ومعه قبائل البربر . فكانت هذه الجزيرة أول مدينة افتتحت في ذلك الوقت ، وبها على باب البحر مسجد يسمى بمسجد الرايات ، ويقال إن هناك اجتمعت رايات القوم للرأي ، وكان وصولهم اليها من جبل طارق وإنما سمى جبل طارق لأن طارق ^(٢) بن عبد الله بن ونمو الزناتي لما جاز بمن معه من البرابر

والخثيرة . وقد ذكرت في إحدى مقالاتي عن رحلتي إلى الأندلس أن للقوم رغبة شديدة في حرف « الخاء » ثم طالعت بعد ذلك كتاب « السفر إلى المؤتمر » لصديقي العلامة أحمد زكي باشا المصري رحمه الله وفيه فصل عن رحلته إلى الأندلس سنة ١٨٩٣ فوجدته يقول في صفحة ٣٨٧ ما يلي : « لاحظت دوران حرف الخاء في غالب كلماتهم التي يكون فيها شين أو جيم أو سين بحيث لو سمعهم رجل من أهل المزاح لاستمنح السماح وقال أن لغة القوم تدور على حرف الخاء » قال : وقد سمعته يقولون « الخثيرة » فسألت فاعلموني بأنها الجزيرة الخضراء . فقد توارد الخاطر مع الخاطر

(١) قد يوجد الماء الحلو أحياناً في وسط البحر إذا انقشعت عنه موجة الماء المالح شرب منه ركاب السفن .

(٢) لا نعلم لماذا ينسب الشريف الإدريسي طارق المنسوب إليه جبل الفتح بخلاف ما هو شائع ، فانه يجعله طارق بن عبد الله بن ونمو الزناتي والمشهور أن اسم أبيه زياد وأن عبد الله هو جده جاء في « البيان المغرب » في أخبار المغرب ، لابن (٦ - ج أول)

وتحصنوا بهذا الجبل ، أحس في نفسه أن العرب لا تثق به ، فأراد أن يزيح ذلك عنه ، فأمر بإحراق المراكب التي جاز فيها ، فتبرأ بذلك عما اتهم به .
وبين هذا الجبل والجزيرة الخضراء ستة أميال ، وهو جبل منقطع عن الجبال



صورة طرا كونة من كلونية

مستدير ، في أسفله من جهة البحر كهوف ، وفيها مياه قاطرة جارية ، وبمقربة منه مرسى يعرف بمرسى الشجرة . ومن الجزيرة الخضراء إلى مدينة اشبيلية خمسة أيام . وكذلك من الجزيرة الخضراء إلى مدينة مالقة خمس مراحل خفاف ، وهي مائة ميل . ومن الجزيرة الخضراء إلى مدينة اشبيلية طريقان طريق في الماء ، وطريق في البر ، فأما طريق الماء فمن الجزيرة الخضراء إلى الرمال في البحر ، إلى موقع نهر «برباط»^(١)

عذارى المراكشي الجزء الأول المطبوع في د ليدن ، بتصحيح المستشرق الشهير الهولندي دوزي Dozy وذلك سنة ١٨٤٨ أن طارق هو ابن زياد بن عبد الله بن ولفو بن ودغوم بن نبرغاسن بن ولهاص بن يطومت بن نفاوة . وأجمع مؤرخو العرب على أنه ابن زياد

(١) يقول دوزي في ترجمة كلام الادريسي أن نهر برباط يمر بقرب الموضع

المسمى اليوم Alola de los Gazules

٢٨ ميلا ، ثم إلى موقع نهر « بكة »^(١) ستة أميال ، ثم إلى الحلق المسمى « شنت »^(٢) بيطر « ١٢ ميلا ، ثم إلى « القناطر »^(٣) وهي تقابل جزيرة قادس ١٢ ميلا ، وبينهما مجاز سمته ستة أميال . ومن القناطر تصعد في النهر إلى رابطة « روطة »^(٤)



صورة طرا كونة متزة المحطة

٨ أميال ، ثم إلى « المساجد »^(٥) ٦ أميال ثم إلى مرسى « طبرشانة »^(٦) إلى « العطوف »^(٧) إلى « قبطور »^(٨) إلى « قبطل »^(٩) . وقبطور وقبطل قريتان في وسط النهر ، ثم إلى جزيرة ينشتالة^(١٠) ثم إلى الحصن الزهر^(١١) إلى مدينة اشبيلية

(١) Becca وهي بقرب طرف الأغر Sancti petri (٢)

(٣) هي الجزائر التي يقال لها عند الاسبانيول Iles des lions

(٤) بلدة محصنة على جون قادس والاسبانيول يكتبونها هكذا : Rola

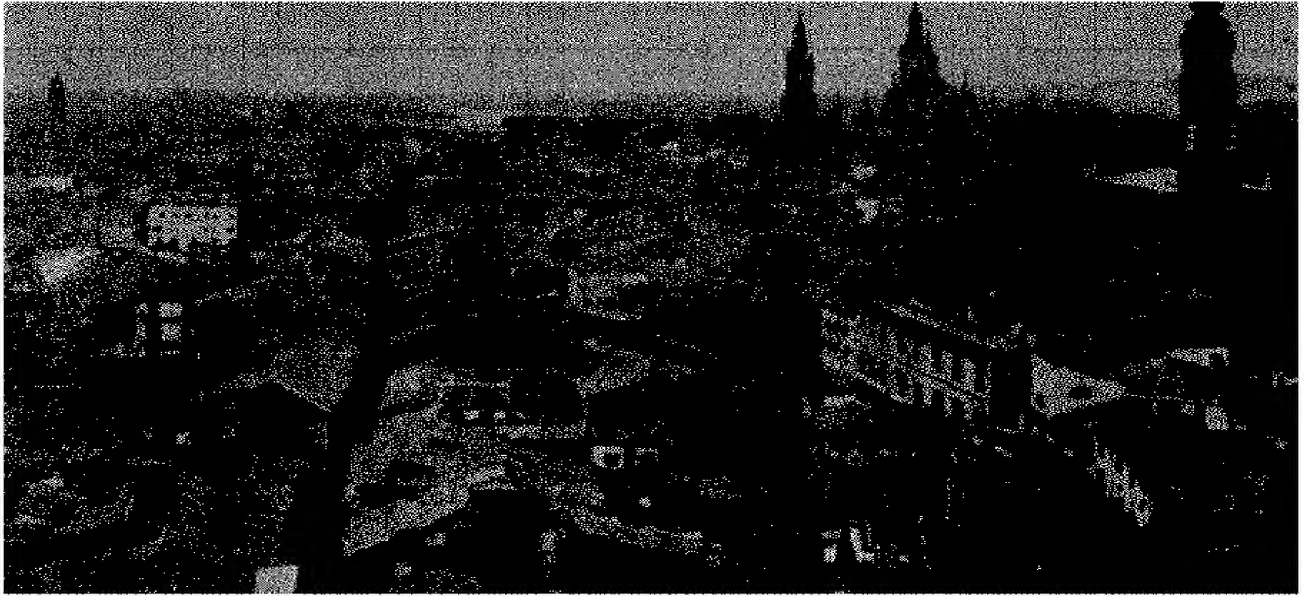
(٥) يقول الاسبان للمساجد San Locar ويقال إن أصلها Solucar وإنها محرفة

عن Solis Lucos (٦) Tebugena (٧) لم نعلمه

(٨) Captor (٩) Cabtal (١٠) Jenechtelà

(١١) لم نعرف هل يسميه الاسبان باسمه العربي أم له عندهم اسم آخر ؟

فذلك من اشبيلية إلى البحر ٦٠ ميلا . وأما طريق البر فالطريق من الجزيرة إلى « الرتبة » ثم إلى نهر « برباط » ^(١) إلى قرية « فيسانة » ^(٢) وبها المنزل . وهي قرية كبيرة ، ذات سوق عامرة ، وخلق كثير . ومنها إلى مدينة « ابن السليم » ^(٣) إلى جبل « مُنت » ^(٤) ثم إلى قرية « عسلوكة » ^(٥) ، وبها المنزل . ثم منها إلى



صورة سرقسطة أو الثغر الأعلى ، منظر عمومي ،

« المدائن » ^(٦) إلى « زيرد » ^(٧) الحباله » وبها المنزل ، ثم إلى اشبيلية مرحلة . ومدينة اشبيلية مدينة كبيرة عامرة ذات أسوار حصينة ، وأسواق كثيرة ، وبيع وشراء ، وأهلها مياسير ، وجل تجارتها بالزيت ، يتجهز به منها إلى أقصى المشرق

(١) مر ذكره (٢) Faisana

(٣) هذه التي يقال لها عند الأسبان « غرازالما » ، Grasalema

(٤) mont

(٥) لم نعرف هذه القرية ولا عرفنا هل هذا هو اسمها الحقيقي أم هو محرف ؟

(٦) ما اطلعنا على هذه المدائن

(٧) ولا على حقيقة هذا الاسم الآخر

والمغرب ، برأ وبحراً ، وهذا الزيت عندهم يجثم من « الشرف »^(١) وهذا الشرف هو نافذة أربعين ميلاً ، وهذه الأر بعون ميلاً كلها تمشى في ظل شجر الزيتون والتين ، أوله بمدينة اشبيلية وآخره بمدينة « لبلبة »^(٢) وكله شجر الزيتون وسعته ١٢ ميلاً وأكثر ، وفيه فيما يذكر ثمانية آلاف قرية عامرة أهلة بالحمامات والديار الحسنة . وبين الشرف وأشبيلية ثلاثة أميال . والشرف سمي بذلك لأنه مشرف من ناحية اشبيلية ممتد من الجنوب إلى الشمال . وهو تل تراب أحمر ، وشجر الزيتون مفروسة به من هذا المكان إلى قنطرة لبلبة . واشبيلية على النهر الكبير ، وهو نهر قرطبة

ومدينة لبلبة مدينة حسنة أزية ، وهي متوسطة القدر ، ولها سور منيع . وبشرقيها نهر يأتيها من ناحية الجبل ، ويجاز عليه في قنطرة إلى مدينة لبلبة . وبها أسواق وتجارات . ومنافع . وشرب أهلها من عيون في مرج من ناحية غربيها . وبين مدينة لبلبة والبحر المحيط ستة أميال .

وهناك على ذراع من البحر تطل مدينة « ولبة »^(٣) وهي مدينة صغيرة متحضرة ، عابها سور من حجارة ، وبها أسواق وصناعات ، وهي مطلة على جزيرة « شاطيش »^(٤) وجزيرة شاطيش يحيط بها البحر من كل ناحية ، ولها من ناحية الغرب اتصال بأحد طرفيها إلى مقربة من البر ، وذلك يكون مقدار نصف رمية حجر . ومن هناك بجوزون لاستقاء الماء لشربهم ، وهي جزيرة طولها نحو من ميل وزائد ، والمدينة منها في جهة الجنوب ، وهناك ذراع من البحر يتصل به موقع نهر لبلبة ، ويتسع حتى يكون أزيد من ميل ، ثم لا يزال الصعود فيه في المراكب إلى أن يضيق ذلك الذراع حتى

(١) لا يزال يقال له الشرف إلى اليوم

(٢) Niebla وكان اسمها عند الرومان « ايلبلوله » فتلفظ العرب بها أقرب إلى

الاسم الروماني القديم

(٣) Hueloa واسمها الروماني القديم « أونبة » Onba وهكذا كان يقول لها

العرب وربما قالوا « ولبة »

(٤) Saltés

يكون سعة النهر وحده مقدار نصف رمية حجر ، ويخرج النهر من أسفل جبل عليه مدينة ولبة ، ومن هناك تتصل الطريق إلى مدينة لبله . ومدينة شلطيش ليس لها سور ولا حظيرة ، وإنما هي بنيان يتصل بعضه ببعض ، ولها سوق وبها صناعة الحديد الذى يعجز عن صنعه أهل البلاد لجفائه ، وهي صنعة المراعى التى ترمى بها السفن والمراكب الحاملة الجافية ، وقد تغلب عليها المجوس ^(١) مرات ، وأهلها إذا سمعوا بخطر ^(٢) المجوس فروا عنها واخلوها . ومن مدينة شلطيش إلى جزيرة قادس ١٠٠ ميل ، ومن جزيرة قادس المتقدم ذكرها إلى جزيرة طريف ٦٣ ميلا . ومن جزيرة شلطيش مع البحر ماراً في جهة الشمال إلى حصن « قسطلة » ^(٣) على البحر ١٨ ميلا وبينهما موقع نهر يانة ، وهو نهر ماردة وبطليوس ، وعليه حصن « مارتلة » ^(٤) المشهور بالتمعة والحصانة . وحصن قسطلة على نحر البحر ، وهو عامر آهل ، وله بساتين وغلات شجرتين كثيرة ، ومنه إلى قرية « طيرة » ^(٥) على مقربة من البحر ١٤ ميلا ، ومن القرية إلى مدينة « شنت » ^(٦) ماريه « الغرب ١٢ ميلا . ومدينة شنت ماريه على معظم البحر الأعظم ، وسورها يصعد ماء البحر فيه إذا كان المد ، وهي مدينة متوسطة القدر . حسنة الترتيب ، لها مسجد جامع ومنبر وجماعة وبها المراكب واردة وصادرة ، وهي كثيرة الأغاب والتين .

ومن مدينة شنت ماريه إلى مدينة شاب ٢٨ ميلا ، ومدينة شاب حسنة ، في بسيط من الأرض ، وعليها سور حصين ، ولها غلات وجنات ، وشرب أهائها من (١) يريد بالمجوس النورماندين الذين كانوا يطرقون سواحل فرنسا وأسبانية وغيرهما وكانوا في الماضي مجوساً ثم بعد طول ترددهم إلى البلدان الجنوبية استقروا في غربي فرنسا وتركوا العبث ولصوصية البحر ودخلوا في النصرانية .

(٢) استعمل الادريسي « الخطوط » بالمعنى الذى تستعمله فيه العامة وهو الحضور أو السفر وأما في الفصحح فهو مصدر خطر الشيء بالبال

(٣) Castella أو Casella (٤) Martola (٥) Tavira

(٦) Santa Maria ويقال لها Santa maria de Algaroe ويقال لها أيضا

« فارو » وهي من البرتغال

واديها الجارى بجنوبها ، وعليه ارحاء البلد ، والبحر منها غربا على ثلاثة أميال ، ولها مرسى فى الوادى ، وبها الانشاء ، والعمود بجبالها كثير ، يُحمل منها إلى كل الجهات . والمدينة فى ذاتها حسنة الهيئة ، بديعة المباني . مرتبة الأسواق ، وأهلها وسكان قراها عرب من الين وغيرها ، وهم يتكلمون بالكلام العربى الصريح ، ويقولون الشعر وهم فصحاء نبلاء ، خاصتهم وعامتهم . وأهل بوادى هذا البلد فى غاية من الكرم ، لا يجارهم فيه أحد . ومدينة شلب على إقليم الشنشين^(١) ، وهو إقليم به غلات التين الذى يحمل إلى أقطار الغرب كلها ، وهو تين طيب علك لذى شهى . ومن مدينة شلب إلى بطليوس ثلاث مراحل . وكذلك من شلب إلى حصن « مارتلة » ثلاثة أيام . ومن مارتلة إلى حصن ولبة مرحلتان خفيفتان . ومن مدينة شلب إلى حلق « الراوية »^(٢) ٢٠ ميلا وهو مرسى وقرية ومنه إلى قرية « شقرش »^(٣) على مقربة من البحر ١٨ ميلا ومنه إلى طرف الغرب ، وهو طرف خارج فى البحر الأعظم ١٢ ميلا ، ومنه إلى « كنيسة الغراب »^(٤) ٧ أميال .

وهذه الكنيسة من عهد الروم إلى اليوم لم تتغير عن حالها ، ولها أموال يتصدق بها عليها . وكرامات يحملها الروم الواردون عليها ، وهى فى طرف خارج فى البحر وعلى رأس الكنيسة عشرة أغربة لا يعرف أحد فقدها وعهد زوالها ، وقسيسو الكنيسة يخبرون عن تلك الأغربة بفرائب يتهم الخبىر بها ولا سبيل لأحد من المجتازون بها أن يخرج منها حتى يأكل من ضيافة الكنيسة ، ضريبة لازمة وسيرة دائمة ، لا ينتقلون عنها ولا يتحولون منها ، وورثها الخلف عن السلف ، أمر معتاد متعارف دائم ، والكنيسة فى ذاتها كنيسة عامرة بالقسيسين والرهبان ، وبها أموال مدخرة ، وأحوال واسعة وأكثر هذه الأموال محبسة عليها فى أقطار الغرب وبلاد

(١) Chinchin

(٢) يقول دوزى أن حلق الزاوية مقاطعة هناك

(٣) Sagres (٤) تقدم ذكرها

وينفق منها على الكنيسة وخدامها وجميع من يلوذ بها ، معما يكرم به الأضياف
الواردون على الكنيسة المذكورة ، قلوا أو كثروا .

ومن كنيسة الغراب إلى القصر مرحلتان . وكذلك من شلب إلى القصر أربع
مراحل . و « القصر » ^(١) مدينة حسنة متوسطة على ضفة النهر المسمى « شطوبر » ^(٢)
وهو نهر كبير تصعد فيه السفن والمراكب السفرية كثيراً . وفي ما استدار بها من
الأرض كلها أشجار الصنوبر ، ولها الانشاء الكثير ، وهي في ذاتها رطبة العيش
خصيبة كثيرة الألبان والسمن والعسل والاحوم . وبين القصر والبحر ٢٠ ميلا .
ومن القصر إلى « يبورة » ^(٣) مرحلتان .

ومدينة يبورة كبيرة عامرة بالناس ، ولها سور وقصبة ومسجد جامع ، وبها الخصب
الكثير الذي لا يوجد بغيرها من كثرة الحنطة واللحم وسائر البقول والفواكه ،
وهي أحسن البلاد بقعة ، وأكثرها فائدة ، والتجارات إليها داخلية وخارجية ، ومن
مدينة يبورة إلى مدينة بطليوس مرحلتان في شرق . ومدينة بطليوس مدينة جليلة
في بسيط الأرض ، وعليها سور منيع ، وكان لها ربح كبير ، أكبر من المدينة في
شرقيها فخلا بالفتن . وهي على ضفة نهر « يابة » ^(٤) وهو نهر كبير ويسمى النهر
الغور ، لأنه يكون في موضع يحمل السفن ، ثم يغور تحت الأرض حتى لا يوجد

(١) وهي الآن بلدة صغيرة ليس فيها أكثر من ٢٥٠٠ نسمة وفيها آثار قديمة

ويقول لها الاسبانول Alcacer do jal

(٢) Chetvubar وهذا الاسم هو اسم بلدة اليوم على هذا النهر

(٣) ويقال لها أيضاً « يابره » بضم الباء وبالاسبانول Evora وهي الآن بلدة
ليس فيها أكثر من ١٦ ألف نسمة وكانت هذه البلدة شهيرة في زمان الرومانيين
واستولى عليها العرب سنة ٧١٥ مسيحية ثم استردها الاسبان سنة ١١٦٦ وكان يجلس
فيها ملوك البرتغال أحيانا وإذا دخل إليها الانسان إلى هذه الساعة يظنها مدينة عربية
لكثرة مباني العرب فيها وغلبة طرز الانشاء العربي على مبانيها

(٤) Guadiana

منه قطرة فسعى الغور لذلك ، وينتهى جريه إلى حصن مارتلة ، ويصب في قريب من جزيرة شلطيش . ومن مدينة بطليوس إلى مدينة اشبيلية ٦ أيام على طريق حجر بن أبي خالد ، إلى جبل العيون ^(١) ، إلى اشبيلية . ومن مدينة بطليوس إلى مدينة قرطبة على الجادة ٦ مراحل . ومن بطليوس إلى مدينة ماردة على نهر يانة شرقاً ٣٠ ميلاً ، وبينهما حصن على يمين المارّة إلى ماردة .

ومدينة ماردة كانت دار مملكة « لماردة » ^(٢) بنت هرسوس الملك ، وبها من البناء آثار ظاهرة ، تنطق عن ملك وقدره ، وتعرب عن نخوة وعزّة ، وتفصح عن غبطة . فمن هذه البناءات ان في غربي المدينة قنطرة كبيرة ذات قسيّ ، عالية الذروة ، كثيرة العدد ، عريضة المجاز . وقد بنى على ظهر القسيّ أقباء تتصل من داخل المدينة إلى آخر القنطرة ، ولا يرى الماشى بها . وفي داخل هذا « الداموس » ^(٣) قناة ماء تصل المدينة . ومشى الناس والدواب على تلك الدواميس . وهى متقنة البناء ، وثيقة التأليف ، حسنة الصنعة . والمدينة عاليا سور حجارة منجورة من أحسن صنعة واثق بناء . ولها في قصبتها قصور خربة . وفيها دار يقال لها دار الطبيخ ، وذلك أسها في ظهر مجلس القصر ، وكان الماء يأتى دار الطبيخ في ساقية ، هى الآن بها باقية الأثر ، لا ماء بها ، فتوضع صحاف الذهب والفضة بأنواع الطعام في تلك الساقية على الماء حتى تخرج بين يدي الملائكة ، فترفع على الموائد . ثم إذا فرع من

(١) Jibralion

(٢) المعروف أن مدينة ماردة بنيت سنة ٢٣ قبل المسيح بناها بوبليوس كاريزيوس ونمت نمواً عظيماً حتى صار يقال لها رومة الاسبانية وفي زمان القوط صارت قاعدة ولاية لوزيطانية وقيل أنه كان لها ٨٤ باباً وخمسة حصون و ٣٧٠٠ برج واستولى عليها العرب بقيادة موسى بن نصير سنة ٧١٣ مسيحية واستردها الاسبانيول سنة ١٢٢٨ مسيحية ومنذ استردها الاسبانيول سقطت أهميتها وسند كرها في الكلام على قواعد الأندلس .

(٣) الداموس هو الفترة أو ما يستتر الانسان به .

أكل ما فيها وضعت في الساقية ، فتستدير إلى أن تصل إلى يد الطباخ بدار الطبخ ، فيرفعها بعد غسلها . ثم تمر بقية ذلك المساء في سرور القصر . ومن أغرب الغريب جلب الماء الذي كان يأتي إلى القصر على عمد مبنية تسمى « الأرجالات »^(١) ، وهي أعداد كثيرة باقية إلى الآن قائمة على قوام ، لم تخل بها الأزمان ولا غيرتها الدهور ، ومنها قصار ومنها طوال ، بحسب الأماكن التي وجب فيها البناء ، وأطولها يكون غلوة سهم ، وهي على خط مستقيم . وكان الماء يأتي عليها في قنّ مصنوعة ، خربت وفنيت ، وبقيت تلك الأرجالات قائمة يخيل إلى الناظر إليها أنها من حجر واحد ، لحكمة إتقانها ، وتجويد صنعها . وفي وسط هذه المدينة احناء قوس ، يدخل عليه الفارس بيده علم قائم ، عدة أحجاره ١١ حجراً فقط ، في كل عضادة منها ثلاثة أحجار ، وفي القوس أربعة أحجار حنّيات . وواحد قفل ، فكانت الجلة ١١ حجراً . وفي الجنوب من سور هذه المدينة قصر آخر صغير ، وفي برج منه كان مكان مرآة ، كانت الملكة ماردة تنظر إلى وجهها فيها . ومحيط دوره ٢٠ شبراً ، وكان يدور على حرفه ، وكان دورانه قائماً . ومكانه إلى الآن باقٍ . ويقال إنما صنعته ماردة لتحاكي به مرآة ذي القرنين التي صنعها في منار الاسكندرية .

ومن مدينة ماردة إلى قنطرة السيف يومان . وقنطرة السيف^(٢) من عجائب

(١) هذه اللفظة لم تمر بنا أصلاً مع اتساع اللغة والذي يظهر لنا أن عامة الأندلس استعملوها بمعنى « الأرجل » جمع « رجل » بكسر فسكون وقد يأتي جمعه أيضاً على « أرجال » فتكون الأرجالات جمع الجمع وذلك كما جمعوا « الرجل » بفتح فضم على رجال ثم جمعوا رجالاً على رجالات . ومعنى تسمية هذه الأعمدة التي يجري فوقها الماء « أرجالات » هو أن قنّ الماء قائمة عليها وهي لهذه الأقنية أشبه بالأرجل

(٢) هذه البلدة هي الآن صغيرة وموقعها على الضفة الجنوبية من نهر تاجه وشهرتها بالجسر الذي فيها وكان العرب لذلك يسمونها القنطرة والاسبان يقولون لها الآن Aleantara وكان ينسب إليها نظام فرسان القنطرة وكان هذا النظام تأسس سنة ١٨٧٦ مسيحية في قلعة سان يوليان دوبرال لأجل حماية ثغور المسيحيين في وجه العرب فلما

الأرض . وهو حصن منيع على نفس القنطرة . وأهلها متحصنون فيه ، ولا يقدر لهم أحد على شيء . والقنطرة لا يأخذها القتال إلا من بابها فقط . ومن مدينة قنطرة السيف إلى مدينة « قورية » ^(١) مرحلتان خفيفتان ، وقورية الآن مدينة في ملك الروم ، ولها سور منيع ، وهي في ذاتها أزلية البناء واسعة الفناء من أحسن المعاقل ، وأحسن المنازل . ولها بوايد شريفة خصيبة ، وضياح طيبة محببة ، وأصناف من الفواكه كثيرة ، وأكثرها الكروم وشجر التين .
ومن قورية إلى « قلورية » ^(٢) ٤ أيام . ومدينة قلورية مدينة على جبل مستدير ،

بدأ العرب يتراجعون بسبب قنطرة وتفرق كلمتهم تقدم هذا النظام إلى القنطرة وجعل مركزه فيها وصار رئيس فرسان القنطرة يجب أن يكون من بيت الملك وأما الجسر فهو روماني واقع إلى الشمال الغربي من البلد كان بناؤه سنة ١٠٥ بعد المسيح وهو من الحجر المحبب طوله ١٨٨ متراً وعرضه ٨ أمتار وهو على ستة أقواس اثنان منها في الوسط فوهة كل منها ١٥ متراً وعلوه ٥٨ متراً وله برج علوه ١٣ متراً . وفي بلدة القنطرة كنيسة اسمها سانتا مارية الكبير Almocoher بنيت في القرن الثالث عشر في محل جامع .

(١) Coria قال ياقوت في معجمه هي من عمل ماردة وهي النصف بينها وبين زموره مدينة الأفرنج

(٢) Coimbra يقول لها العرب « قلورية » قاعدة مقاطعة من مقاطعات البرتغال وعدد سكانها اليوم يناهز ٢٠ ألفاً وفيها مدرسة جامعة ومرصد فلكي وهي قسمان المدينة العليا والمدينة السفلى وهذه متصلة بنهر « منديق » Mondego وكان اسم قلورية عند الرومان هو « آمينيوم » Aeminium ثم في القرن التاسع أطلقوا عليها اسم « كونمبريكا » Conimbrica وهي مدينة قديمة خربت وانتقل أهلها إلى هذه . وقد استولى عليها العرب فيما استولوا عليه من الجزيرة الأندلسية ثم استرجعها النصارى منهم سنة ٨٧٢ أي بعد فتح المسلمين لها بقليل ثم استردها المسلمون سنة ٩٧٨ مسيحية في زمن الحكم المستنصر الأموي رحمه الله على يد غالب مولاه وجاء في النسخ أن الحكم عمرها واعتنى بها . ثم عاد النصارى فاستولوا عليها سنة ١٠٦٤ بعد سقوط الدولة الأموية في قرطبة وذلك على يد فرديناند الأول البشتالي الذي بقي يحاصرها ستة أشهر إلى أن ملكها .

وعليهما سور حصين ، ولها ٣ أبواب ، وهي في نهاية من الحصانة ، وهي على نهر « منديق » ^(١) وجريه على غربيها ، ويتصل جري هذا النهر إلى البحر ، وعلى مصبه هناك حصن « منت ميور » ^(٢) ولها على النهر أرحاء . وعليه كروم كثيرة وجنات ولها حروث كثيرة متصلة بالغربي منها إلى ناحية البحر ، ولها أغنام ومواش ، وأهلها أهل شوكة في الروم ، ومن القصر المتقدم ذكره إلى مدينة « لشبونة » ^(٣) مرحلتان ، ومدينة لشبونة على شالي النهر المسمى تاجة وهو نهر طليطلة ، وسعته أمامها ستة أميال ويدخله المد والجزر كثيراً ، وهي مدينة حسنة ممتدة مع النهر ، ولها سور ، وقصبة منيعة ، وفي وسط المدينة حمامات حارة في الشتاء والصيف ، ولشبونة على نحر البحر المظلم وعلى ضفة النهر من جنوبه ، قبالة مدينة لشبونة ، حصن المعدن ، وسمى بذلك لأنه عند هيجان البحر يقذف هناك بالذهب والتبر ، فاذا كان زمن الشتاء قصد إلى هذا الحصن أهل تلك البلاد فيخدمون المعدن الذي به إلى انقضاء الشتاء ، وهو من عجائب الأرض ، وقد رأيناه عياناً . ومن مدينة لشبونة كان خروج المغررين ^(٤) في ثم آلت إلى البرتغال وصارت عاصمة ملكهم ولذلك العهد زحف إليها أبو يعقوب يوسف سلطان الموحدين ليسترجعها للإسلام فامتعت عليه . وبقيت عاصمة للبرتغال إلى سنة ١٢٦٠ حينما جعلوا العاصمة في لشبونة ولكن الملك دنيس عوض قلعية بتعمل المدرسة الجامعة من لشبونة إليها . وفي زمن ياقوت الحموي (المتوفى سنة ٦٢٦) كان المسلمون قد فقدوها لأنه قال : وهي اليوم بيد الافرنج خذلهم الله

(١) Mondego (٢) Montemayor

(٣) لشبونة أو لشبونة Lisbonne أو Lisboa وسيأتي الكلام عليها مفصلاً

(٤) قصة الاخوة المغرورين هذه قصة شهيرة صارت الآن معلومة عند أهل هذا العصر بعد أن بقيت مدة طويلة مدفونة في كتاب الادريسي ، هذا الذي لم تتداوله الأيدي ، وإنما كان يطلع عليه بعض المستشرقين من علماء الافرنج ، وبعض المطالعين من العرب على خزائن الكتب . وقليلاً ما هم . وبقي الأمر كذلك إلى سنة ١٨٩٢ ، وكنت في باريز ، وكان عمري ٢٢ سنة . فقرأت في جريدة النشرة الأسبوعية التي كان ينشرها الأستاذ العلامة ابراهيم الحوراني باسم جمعية الأميركيين في بيروت ، وذلك

ركوب بحر الظلمات ، ليعرفوا ما فيه وإلى أين انتهاؤه ، كما تقدم ذكرهم ، ولهم بمدينة مقاله مترجمة ، عن مجلة أميركية ، لا أتذكر الآن اسمها ، يقول فيها بمناسبة كشف قارة أميركية : إنه شائع من مجلة الأخبار كون العرب وصلوا إلى أميركية قبل كولمبوس وذلك بركوبهم البحر قاصدين الغرب من جهة الأندلس . ويقول : ليس عندنا نحن معلومات عن هذا الشأن تستند إلى وثائق خطية ، وإنما هو كلام متواتر بين الناس ، فكنا نود لو عرفنا ما عند العرب من هذا الموضوع ، وأردف الأستاذ الحوراني ذلك بداء إلى علماء العرب أن افترضنا بما عندكم عن هذه المسألة .

ففي الحال فكرت في هذه المسألة ، وقلت أنا في باريز وأمامي المكتبة العمومية العظيمة ، فيمكنني أن أبحث فيها ما شئت وذهبت إلى خزانة الكتب الكبرى Bibliothèque National وبمجرد وصولي أمام ذلك البحر الخضم من الكتب فكرت أن حادثاً كهذا لا يمكن أن ينشأ إلا في كتب العرب المؤلفة عن الأندلس ورجحت أن أبدأ البحث في كتب الجغرافية على كتب التاريخ ، وقلت في نفسي أن أشهر جغرافية عربية في القرون الوسطى هي جغرافية الشريف الإدريسي ، فطلبت فهرس الكتب العربية ، ووجهت نظري إلى كتب الجغرافية ، فعثرت على كتاب « نزهة المشتاق » ، إلى اختراق الآفاق ، للسيد الإدريسي ، وبدأت بتصفحه ، ولم أكن طالعه من قبل ، فما مضى ربع ساعة حتى عثرت على هذه الواقعة ، وهي التي يسردها الإدريسي حسبما هو مكتوب في المتن . فكان ذلك عجباً ، لأن ما كنت أقدر له حتى أصل إليه أياماً طوالاً ، من بحث وتنقيب في مختلف الكتب ، قد وصلت إليه في ربع ساعة . فنسخت ماورد عن الاخوة المغرورين أو المغررين بتمامه ، وذهبت فكتبت مقالة بعثت بها إلى جريدة ثمرات الفنون في بيروت أوردت فيها في عرض الجواب على سؤال النشرة الاسبوعية وسؤال علماء أميركية ماجاء في كتاب الشريف الإدريسي بالحرف . ثم علقت على ذلك توجيهها للكلام يساعد على استخلاص المعنى ، وهو أن الاخوة المغرورين خرجوا من أشبونة أولاً ، إلى ناحية الغرب ، في نحر البحر ، وساروا ١٢ يوماً . فلم يجدوا شيئاً ، فانعطفوا إلى ناحية الجنوب ، فساروا ١٢ يوماً أخرى ، فوصلوا إلى جزيرة لم يجدوا فيها إلا غنماً لحومها مرة لا تؤكل ، فانعطفوا أيضاً إلى الجنوب ، وجروا ١٢ يوماً ، إلى أن وصلوا إلى جزيرة وجدوا فيها بشراً ، وأخذوا إلى أمير الجزيرة ، وجرى معهم ماجرى ، كما هو وارد في

لشبونة بموضع من قرب الحمة ، درب منسوب إليهم يعرف بدرب المغررين إلى آخر الكتاب . وأزيد الآن هذا بيانا فأقول : الذى يلوح لى أنهم وصلوا أولا إلى جزيرة من جزائر الانطيل ، التى هى بين أميركة الشمالية ، وأميركة الجنوبية ، ومجموع هذه الجزائر هو بين ١٠ و ٢٧ درجة من العرض الشمالى ، وبين ٦٢ و ٨٧ درجة من الطول ، فى غربى خط نصف النهار ، المار بباريز . وكان أول وصول كريستوف كولومبوس إلى جزيرة من أميركا كهذه فى ١٢ أكتوبر سنة ١٤٩٢ ، وجزر الانطيل تنقسم إلى الانطيل الكبرى ، وهى إلى الشمال الغربى ، والانطيل الصغرى ، وهى إلى الجنوب الشرقى ، وهذه الجزر صغيرة لا تحصى ، والذى يظهر أن الاخوة المغرورين بعد أن ساروا ١٢ يوماً خطأ مستقيماً إلى الغرب ، ولم يجدوا شيئاً . خافوا من التلف ، فرجعوا إلى الجنوب ، وكانوا لو صبروا وتابعوا جريهم خطأ مستقيماً ، وصلوا إلى ساحل القارة المسماة الآن بأميركا الشمالية ، ولكنهم يتسوا من الوصول إلى البر من جهة السير نحر إلى الغرب ، فساروا إلى الجنوب ، لعلمهم يجدون البر هناك . فوصلوا الجزيرة التى وجدوا فيها الغم ، ولم يجدوا البشر ، فحيث يتسوا ، وعادوا جنوباً إلى الشرق . فوصلوا إلى إحدى جزائر الخالدات أو جزائر أسور Acores وهذه الجزائر كما هو معلوم . مسكونة من قديم الزمان ، وهى واقعة بين ٢٧ و ٣٣ و ٤٠ درجة من الطول الغربى ، و ٣٦ و ٥٠ و ٣٩ و ٤٥ من العرض الشمالى . وهى أقرب قليلاً إلى أوربة منها إلى افريقية . وقد جاء فى الاسيكلوبيديا الافرنسية الكبرى أن جزر آسور كان وصل إليها القرطاجنيون . ثم النورمنديون ، ثم العرب . تجد هذا فى الجزء الأول صفحة ٤٣١ . ثم يقول أنهم لم يكشفوا هذه الجزائر إلا فى القرن الخامس عشر ، حينما وصل إليها البرتغاليون ، وأن هؤلاء بدأوا باستعمارها سنة ١٤٤٤ ، ولم تنكشف جميع هذه الجزائر دفعة واحدة ، بل الواحدة بعد الأخرى .

قال وإنه كان قد قصدوا بعد البرتغال قوم من الفلمنك ، ثم قال ولما طرد العرب من اسبانية التجأ منهم أناس إلى هذه الجزر ؛ ونشروا فيها المدنية . أما الخالدات ويقال لها كنارى Canaries فهى أقرب إلى افريقية منها إلى أوربة ، وهى ممتدة من الشمال إلى الجنوب بين ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٥ من العرض الشمالى ، وممتدة من الشرق إلى الغرب بين الدرجة ١٥ و ٤٠ و ٣٠ و ٣٠ من العرض الغربى عن باريز ، وليس بين إحدى الخالدات المسماة فورت افنطوره Fortaventura وبين رأس جنوبى من مراكش

الأبد . وذلك أنه اجتمع ثمانية رجال ، كلهم أبناء عم ، فأنشأوا مراكباً حتملاً ، وأدخلوا فيه

غير مائة كيلو متر لا غير وربما كان وصولهم إلى إحدى جزائر الخالدات أرجح ، لانهم من هناك ذهبوا بهم إلى مرسى أسفى (قرب) ما بين الخالدات ومراكش . وبالاختصار الاخوة المغرورون كانوا قد وطأوا البر الاميركى بأرجلهم ، ولكنهم بقلة عددهم ، وقلة الوسائل التى كانت فى أيديهم ، لم يتقدموا الى الامام . ويغلب على الظن أن كريستوف كولومبوس لم يكن يحمل قصة المغرورين هذه ، وأنه سمع بنزولهم فى إحدى الجزر بعد مسيرة ٢٤ يوماً فى الاوقيانوس الاطلانطيكى ، ناحرين الغرب ثم منعطفين إلى الجنوب ، فاستنتج من ذلك أن وجود البر وراء بحر الظلمات أمر لا بد منه ولكن لا بد أيضاً من أن يكون الملججون فى هذا البحر العظيم عدداً كبيراً . وتكون معهم جميع الأقوات والأدوات والأسباب اللازمة ، وأن يكونوا سائرين فى عدة سفن ، بعضها فى ائر بعض . ولذلك بقى كولومبوس مدة طويلة ، يراجع الملك فرديناند والملكة ايزابله حتى أقنعهما بتزويده بكل ماطلبه ، لعله أن السفر شاق وطويل ، وأن أمامه أهوالاً . ولذلك كلفت رحلته هذه حتى كشف أميركا مبلغاً قدره بثلاثمائة وستة وثلاثين ألفاً وخمسمائة فرنك افرنسى . وهو مبلغ جسيم بالنسبة إلى ذلك الوقت ، وسار بثلاث سفن كبيرة وكان سفره من جزيرة « شاليش » قبالة « أوبنة » فى غربى أسبانية ، إلى جزر الخالدات ، ومنها بقى يخوض بحر الظلمات ٣٢ يوماً . إلى أن وصل إلى إحدى الجزر وهى التى سماها سان سالقادور . ومن المحقق أن قضية وجود بر وراء بحر الظلمات ، لم تكن تولدت فى مخيلة كولومبوس بل هى فكرة قديمة معروفة وكان كولومبوس قد اطلع على كتاب « صورة الأرض » تأليف الكردينال بطرس دالى Pierre D'Ailly مطران كمبراي Combray ، وهو تأليف كتبه هذا المطران سنة ١٤١٠ ، وحشر فيه معلومات كثيرة تتعلق بصورة الأرض ، منها ما نقله عن التوراة ، ومنها ما نقله عن اليونان ، ومنها ما أخذه عن العرب ، كما جاء فى الانسيكلويدية الكبرى الافرنسية ، فى ترجمة كولومبوس . وقد ورد فى هذا الكتاب أن أرسطو وشارحه ابن رشد لم يكونا يعتقدان أنه يوجد بين ساحل إفريقيا الغربى وساحل الهند الشرقى مسافة شاسعة البعد ، فطالعة كولومبوس هذا الكتاب بنوع خاص كانت تحمله على الاعتقاد بالوصول إلى الهند من طريق بحر الظلمات ولا تعاباً برواية الادريسي عن عدة أيام السفر التى رواها عن المغرورين ، فانه إنما روى عن أفواه

من الماء والزاد ما يكفيهم لأشهر ، ثم دخلوا البحر في أول طاروس الريح ^(١) الشرقية فجزوا بها نحواً من ١١ يوماً ، فوصلوا إلى بحر غليظ الموج ، كدر الروائح كثير التروش ^(٢)

الناس ، ولم يجتمع بالاخوة المذكورين . والأرجح أن سفرهم استمر أكثر مما قال ، لأن كولبوس بقي يلجج في الجزر الخالدات إلى أول جزيرة وطنها من أميركا مدة ٣٢ يوماً ، وهذا ثابت تاريخاً ، وغاية ما يستفاد من العبرة في قصة المغرورين ، أن العرب حاولوا اختراق بحر المحيط ، والوصول إلى البر الذي يقال له اليوم أميركا .

هذا وجاء في صبح الأعشى للقلقشندي عند ذكر ملوك مملكة « مالي » في السودان الغربي ما يلي : انه تولى منهم الملك منسى موسى بن أبي بكر ، قال في « العبر » : وكان رجلاً صالحاً ، ومملوكاً عظيماً له أخبار في العدل تؤثر عنه ، وعظمت المملكة في أيامه إلى الغاية ، وافتتح الكثير من البلاد ، قال في « مسالك الأبصار » : حكى ابن أمير حاجب والى مصر عنه أنه فتح بسيفه وحده أربعاً وعشرين مدينة من مدن السودان ذوات أعمال ، وقرى وضياع . قال في « مسالك الأبصار » قال ابن أمير حاجب : سألته عن سبب انتقال الملك إليه فقال : إن الذي قلني كان يظن أن البحر المحيط له غاية تدرك فجهز مئين من السفن وشحنها بالرجال والازواد التي تكفيهم سنين ، وأمر من فيها أن لا يرجعوا حتى يبلغوا نهايته ، أو تنفذ ازوادهم ، فعابوا مدة طويلة ، ثم عاد منها سفينة واحدة ، وحضر مقدمها ، فسأله عن أمرهم فقال . سارت السفن زماناً طويلاً حتى عرض لها في البحر في وسط اللجة واد له جرية عظيمة ، فابتلع تلك المراكب وكنت آخر القوم ، فرجعت بسفينتي ، فلم يصدقه . فجهز التي سفينة . ألفاً للاولاد ، وألفاً للازواد . واستخلفني ، وسار بنفسه ليعلم حقيقة ذلك . وكان آخر العهد به وبمن معه قال في « العبر » وكان حجه في سنة أربع وعشرين وسبعمائة في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون . اهـ ومعناه أن هذا الحادث إن كان وقع فيكون في أول القرن الثامن من الهجرة وقد ورد هذا الخبر في الجزء الخامس من صبح الأعشى فليراجع هناك

(١) هذه اللفظة غير عربية ومعناها هبوب الريح .

(٢) هكذا في الأصل وربما كان المعنى مناسباً لسياق الكلام الذي تقدمه فان فعل

ترش في العربي معناه ساء خلقه

قليل الضوء ، فأيقنوا بالتلف ، فردوا قلاعهم في اليد الأخرى ، وجروا في البحر في ناحية الجنوب ١٢ يوماً ، فخرجوا إلى جزيرة الغنم ، وفيها من الغنم مالا يأخذه عدو ولا تحصيل ، وهي سارحة لا راعى لها ، ولا ناظر إليها ، فقصدوا الجزيرة فنزلوا بها ، فوجدوا عين ماء جارية وعليها شجرة تين برى ، فأخذوا من تلك الغنم فذبجوها ، فوجدوا لحومها مرة لا يقدر أحد على أكلها فأخذوا من جلودها وساروا مع الجنوب ١٢ يوماً إلى أن لاحت لهم جزيرة ، فنظروا فيها إلى عمارة وحرث فقصدوا إليها ليروا ما فيها ، فما كان غير بعيد حتى أحيط بهم في زوارق هناك ، فأخذوا وحملوا في مركبهم إلى مدينة على ضفة البحر ، فأنزلوا بها في دار ، فأرأوا رجالاً شقراً زعرأ شعور رؤوسهم شعورهم سبطة ، وهم طوال القدود ، ولنسائهم جمال عجيب ، فاعتقلوا منها في بيت ثلاثة أيام ، ثم دخل عليهم في اليوم الرابع رجل يتكلم باللسان العربي ، فسألهم عن حالهم وفي ما جاءوا ، وأين بلدهم ، فأخبروه بكل خبرهم ، فوعدهم خيراً ، وأعلمهم أنه ترجمان الملك ، فلما كان في اليوم الثاني من ذلك اليوم أحضروا بين يدي الملك ، فسألهم عما سألهم الترجمان عنه ، فأخبروه بما أخبروه به للترجمان بالأمس : من أنهم اقتحموا البحر ليروا ما به من الأخبار والعجائب ، ويقفوا على نهايته . فلما علم الملك ذلك ضحك ، وقال للترجمان خبر القوم أن أبي أمر قوماً من عبيده بركوب هذا البحر ، وأنهم جروا في عرضه شهراً ، إلى أن انقطع عنهم الضوء ، وانصرفوا من غير حاجة ، ولا فائدة تجدى . ثم أمر الملك الترجمان أن يعدم خيراً ، وأن يحسن ظنهم بالملك ، ففعل . ثم صرفوا إلى موضع حبسهم ، إلى أن بدأ جرى الريح الغربية ، فعمّر بهم زورق ، وعصبت أعينهم . وجرى بهم في البحر برهة من الدهر . قال القوم : قدرنا أنه جرى بنا ثلاثة أيام بليالها ، حتى جيء بنا إلى البر ، فأخرجنا وكتفنا إلى خلف وتركنا بالساحل إلى أن تضحى النهار ، وطلعت الشمس ونحن في ضنك وسوء حال ، من شدة الأكتاف ، حتى سمعنا ضوضاء وأصوات ناس فصحننا بأجمعنا

(٧ - ج أول)

فأقبل القوم إلينا ، فوجدونا بتلك الحالة السيئة فحلونا من وثاقنا ، وسألونا فأخبرناهم بخبرنا ، وكانوا برابر ، فقال لنا أحدهم : أتعلمون كم بينكم وبين بلدكم ؟ قلنا : لا . فقال : إن بينكم وبين بلدكم مسيرة شهرين . فقال زعيم القوم وأسفى ! فسمى المكان إلى اليوم « أسفى » ، وهو المرسى الذى فى أقصى المغرب ، وقد ذكرناه قبل هذا . ومن مدينة لشبونة Lisbonne^(١) مع النهر إلى مدينة شنترين Santaren^(٢) شرفا ثمانون ميلا والطريق بينهما لمن شاء فى النهر أو فى البر ، و بينهما فحص « بلاطة » ، ويخبر أهل لشبونة وأكثر أهل الغرب أن الخنطة تزرع بهذا الفحص : فتقيم بالأرض أربعين

(١) Lisbonne

(٢) Santaren مستعمرة رومانية كان يقال لها فى زمن قيصر سكالايس Scallabis فأطلق عليها اسم « ريزيديوم يولوم » وقد تحول اسمها بعد النصرانية إلى سننا ايرين أى القديسة ايرية وهى فديسة شهيدة عند الاسبانيول . والبلدة تعد مصراع وادى تاجه وكان لها شأن عظيم فى تاريخ البرتغال وقد استولى عليها العرب فيما استولوا عليه من البلدان ثم استرجعها منهم الاذفونش السادس ملك قشتالة سنة ١٠٩٣ وفى زمن أبى يعقوب يوسف سلطان الموحدين حاول المسلمون استردادها فردهم عنها الدون سانجه Don Sancho وفى هذه البلدة غرق فى النهر البرفس الفونس ابن يوحنا الثانى ملك البرتغال وكان الابن الوحيد لآبيه وكان عروساً وعمره لم يتجاوز السادسة عشرة فذهب لاستقبال آبيه بمتطيا حواده فرحاً لحملته غرارة الشباب على الخوض فى النهر فأخذته النهر وكانت فاجعة عظيمة لا تزال مراثيها عند البرتغال محفوظة إلى اليوم . وقد وقعت هذه المأجعة فى ١٣ يوليو سنة ١٤٩١ هذا وقد سقطت مكانة شنترين اليوم فالآن جميع سكانها عشرة آلاف نسمة وفيها بعض آثار من زمن العرب وأسوار وقصر عربى يقولون له « الكازار » Alcaazr كما يقولون لكل قصر عربى وفيها برج يقال له برج « كباساس » Cabacas كان فى أصله منارة مسجد . قال ياقوت الحموى عن شنترين : كلمتان مركبتان من شنت كلمة ورين كلمة وكسر الراء وياء مشاة من تحت ونون مدينة متصله الأعمال أعمال باجه فى غربى الاندلس ثم غربى قرطبة وعلى نهر تاجه قريب من انصبايه فى البحر المحيط وهى حصينة بينها وبين قرطبة خمسة عشر يوماً وبينها وبين باجة أربعة أيام وهى الآن للافرنج ملكت فى سنة ٥٤٣ هـ

يوماً فتحصد ، وأن السكيل الواحد منها يعطى مائة كيل ، وربما زاد ونقص .
ومدينة شنترين على جبل عال كثير العلو جداً ، ولها من جهة القبلة حافة عظيمة
ولا سور لها ، وبأسفلها ربض على طول النهر ، وشرب أهلها من مياه عيون ، ومن
ماء النهر أيضاً ، ولها بساتين كثيرة وفواكه عامة ، ومباقل ، وخير شامل . ومن
مدينة شنترين إلى مدينة بطليوس ^(١) أربع مراحل ، وعلى يمين طريقها مدينة
يلبش ^(٢) ، وهى فى سفح جبل ، ولها سور منيع ، ورقعة فرحة ، وبها عمارة وأسواق
وديار كثيرة ، ولنسائها جمال فائق ، ومنها إلى بطليوس ١٢ ميلاً . ومن ماردة ^(٣)
إلى حصن « كركوى » ^(٤) ثلاث مراحل ، ومن كركوى إلى مدينة « قلعة رباح » ^(٥)
على ضفة نهر يانة . وهذا النهر يأتى من مروج فوقها ، فيمر بقرية يانة ^(٦) إلى قلعة
رباح ، ثم يسير منها إلى حصن « أرندة » ^(٧) ومنه إلى ماردة ، ثم يمر بمدينة بطليوس
فيصير منها إلى مقربة من « شريشة » ^(٨) ، ثم يصير إلى حصن « مارتلة » ^(٩)
فيصب فى البحر المظلم .

ومن قلعة رباح ^(١٠) إلى قلعة « ارلية » ^(١١) يومان ، وهو حصن منيع ، ومنه

- (١) Badajoz عاصمة بنى الألفس وسيأتى الكلام عليها تفصيلاً
- (٢) بالأسبانيولى Elvas استرجعها ملك ليون من العرب سنة ١١٦٦
- (٣) بالأسبانيولى Merida وهى من قواعد الأندلس مر ذكرها وسيأتى أيضاً
- (٤) Karacuel أو Caraqui
- (٥) Calatrava (٦) Ana (٧) Aranda
- (٨) شريشة الوارد ذكرها هنا يقال لها عند الأسبانيولى Xeres de Estramadura وهى غير شريش البلدة المشهورة بقرى اشبيلية التى ينسب اليها الشريشى شارح مقامات الحريرى وسيأتى ذكرها .
- (٩) يقول الأسبانيولى لهذا الحصن Martola
- (١٠) حرف الأسبانيولى قلعة رباح إلى كالاتراية وسيأتى الكلام عليها .
- (١١) عند الأسبانيولى Aralia

إلى طليطلة مرحلة . ومن قلعة رباح في جهة الشمال إلى حصن البلاط ^(١) مرحلتان ومن حصن البلاط إلى مدينة « طلبيرة » ^(٢) يومان . وكذلك من مدينة « قنطرة السيف » ^(٣) إلى المخاضة أربعة أيام ، ومن المخاضة إلى طلبيرة يومان وكذلك من مدينة ماردة إلى حصن مدلين ^(٤) مرحلتان خفيفتان ، وهو حصن عامر أهل ، وفيه خيول ورجال لهم سرايا وطرقات في بلاد الروم . ومن حصن مدلين إلى « ترجالة » ^(٥) مرحلتان وهما خفيفتان ، ومدينة ترجالة كبيرة كالحصن المنيع ، ولها أسوار منيعة وبها أسواق عامرة وخیل ورجل يقطعون أعمارهم في الغارات على بلاد الروم ، والأغلب عليهم اللصوصية والحداع . ومنها إلى حصن « قاصررس » ^(٦) مرحلتان خفيفتان ، وهو حصن منيع ومحرس رفيع ، فيه خيل ورجل يغاورون في بلاد الروم . ومن مكناسة إلى مخاضة البلاط يومان . ومن البلاط إلى « طلبيرة » ^(٧) يومان ، ومدينة طلبيرة

(١) Balat

(٢) Talavera وسيأتي الكلام عليها وهي من المدن المذكورة وقد خرج منها رهط من العلماء .

(٣) Alcantra وسيأتي الكلام عليها .

(٤) Medellin

(٥) ترجالة يقول لها الاسبانيول Trugillo قال في دليل بديكر أنها اليوم قرية فيها ١٢٥٠ نسمة وفيها حصن من أيام العرب رعمه الفرنسييس في زمن بونابرت لما كانوا في أسبانية

(٦) يقول الاسبانيول لهذه البلدة Cecaes جاء في دليل بديكر أن سكانها ١٦٩٠٠ وأن القسم القديم منها مبني على رابية تحيط به أسوار وأبراج وأبواب وأن القسم الجديد هو في الجانب الأدنى منها ثم أن في القسم الأعلى كنيسة يقال لها « سان ماتيو » مبنية مكان المسجد الجامع وفيه أيضاً مكان القصر الذي كان في أيام العرب ويوجد في هذه البلدة في شارع الدانه Aldana رقم ١٠ بيت عربي لا يزال محفوظاً على حاله .

(٧) يوجد في الأندلس ثلاث بلاد باسم طلبيرة هذه وقرية إلى الجنوب منها

على ضفة نهر تاجة ، وهى مدينة كبيرة ، وقلعتها أرفع القلاع حصناً ، ومدينتها أشرف البلاد حسناً ، وهو بلد واسع المساحة ، شريف المنافع ، وبه أسواق جميلة الترتيب ، وديار حسنة التركيب ، ولها على نهر تاجة أرحاء كثيرة ، ولها عمل واسع المجال ، وإقليم شريف الحال ، ومزارعها زاكية ، وجهاتها حسنة مرضية ، أزلية العمار ، قديمة الآثار ، وهى من مدينة طليطلة على سبعين ميلاً .

ومدينة طليطلة من طلبيرة شرقاً وهى مدينة عظيمة القطر ، كثيرة البشر حصينة الذات ، لها أسوار حسنة ، فيها حصانة ومنعة وهى أزلية ، من بناء « العماقة » ^(١) وقليل ما رؤى مثلها اتقاناً ، وشماخة ^(٢) بنيان ، وهى عالية الذرى ، حسنة البقعة ، زاكية الرقعة ، وهى على ضفة النهر الكبير المسمى « تاجة » لها قنطرة من عجيب البنيان ، وهى قوس واحدة والماء يدخل تحت تلك القوس كله بعنف وشدة جرى ،

يقال لها طلبيرة البقعة Talavera La Vega ويوجد على ضفة وادى يانة بقرب بطليوس قرية يقال لها طلبيرة . وأما المقصود هنا فهى الكبرى ويقال لها طلبيرة رينه De La Reina وهى الآن بلدة صغيرة سكانها عشرة آلاف لكنها واقعة فى بقعة جميلة على نهر تاجة ولها جسر مركب من ٣٥ قوساً وفيها باب رومانى قديم وفيها أبراج يقال لها « البرآناس » من بناء العرب يعود تاريخها إلى سنة ٩٣٧ مسيحية ولعل اللفظة محرفة عن « البرانية » أى الأبراج البرانية . ومن طلبيرة هذه يذهبون إلى الزهرة فى شاربات « غريدوس » وإلى وادى اللب Guadalupe . وبالقرب من طلبيرة بلدة قلصادة Colzada وهى بلدة ينسب إليها بعض أهل العلم من العرب

(١) يقول دوزى عند شرح هذه اللفظة أن العرب كانوا يعنون بالعملاق كل عظيم الجثة . فكأنه يريدان يقول أنه لا يجب أن يفهم أن العماقة الساميين الذين هم من بلاد العرب والذين كانت الحروب بينهم وبين اليهود هم الذين بنوا طليطلة وإنما قصدوا بذلك شعباً عظام الجثث وقد جرت العادة عند الناس أنهم كلما رأوا بناء عظيماً شامخاً نسبوه إلى العماقة أو إلى الجن أو إلى الاسكندر وما أشبه ذلك مما يهولهم من منظره .

(٢) المعروف فى اللغة شمع يشمخ شمعاً وشموخاً ولم نجد شماخة وربما كانت هذه اللفظة من جملة خطأ النسخ

ومع آخر القنطرة ناعورة ارتفاعها في الجو ٩٠ ذراعاً ، وهي تصعد الماء إلى أعلى القنطرة ، والماء يجري على ظهرها فيدخل المدينة . ومدينة طليطلة كانت في أيام الروم دار مملكتهم ، وموضع قصدهم ، ووجد أهل الاسلام فيها عند افتتاح الأندلس ذخائر كادت تفوق الوصف كثرة ، فمنها أنه وجد بها ١٧٠ تاجاً من الذهب مرصعة بالدر ، وبأصناف الحجارة الثينة ، ووجد بها ألف سيف مجوهر ، ماسكى ، ووجد بها من الدر والياقوت أكيال وأوساق . ووجد بها من أنواع آنية الذهب والفضة مالا يحيط به تحصيل ، ووجد بها مائدة سليمان بن داود ، وكانت في مايدكر من زمردة وهذه المائدة اليوم في مدينة رومة .

ولمدينة طليطلة إساتين محدقة بها وأنهار جارية مخترقة ، ودواليب دائرة ، وجنات يانعة ، وفواكه عديمة المثال ، لا يحيط بها تكيف ولا تحصيل ، ولها من جميع جهاتها أقاليم رفيعة . وقلاع منيعة ، تكتنفها . وعلى بعد منها في جهة الشمال الجبل العظيم المتصل المعروف بالشارات ، وهو يأخذ من ظهر مدينة سالم إلى أن يأتي قرب مدينة قلورية . في آخر المغرب . وفي هذا الجبل من الغنم والبقر الشيء الكثير الذي يتجهز به الجلابيون إلى سائر البلاد ، ولا يوجد شيء من أغنامه وأبقاره مهزولاً ، بل هي في نهاية السمن ، ويضرب بها في ذلك المتل ، في جميع أقطار الأندلس . وعلى مقربة من طليطلة قرية تسمى مغام^(١) ، وجبالها وترابها

(١) عند الأسبانيول Magham وقد ذكر ياقوت هذه البلدة وقال أنه يقال لها أيضاً مغامه ، بالفتح فيهما وقال إنه ينسب إليها أبو عمران يوسف بن يحيى المغامى ومحمد بن عتيق بن فرج بن أبي العباس بن اسحق التجيبى المغامى المقرئ الطليطلى أبو عبد الله لقي أبا عمرو الداني وعليه اعتمد وروى عن أبي الربيع سليمان بن ابراهيم وأبي محمد بن أبي طالب المقرئ وغيرهم وكان عالماً بالقراءة وجوهاً إماماً فيها ذا دين متين وكان مولده لتسع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة ٤٢٢ هـ ومات بأشبيلية في منتصف ذي القعدة سنة ٤٨٥ هـ وحبس كتبه على طلبة العلم الذين بالعدوة وغيرها . قال : وفيها معدن الطين الذي تغسل به الرقوس ومنها ينقل إلى سائر بلاد المغرب .

الطين المأكول ، الذى ليس على قرارة الأرض مثله ، يتجهز به منها إلى أرض مصر وجميع بلاد الشام والعراقات وبلاد الترك ، وهو نهاية في لئادة الأكل ، وفى تنظيف غسل الشعر^(١) . ولطليطة فى جبالها معادن الحديد والنحاس ، ولها من المناير فى سفح هذا الجبل مجرىط^(٢) ، وهى مدينة صغيرة ، وقلة منيعة معمورة ، وكان لها فى زمن الاسلام مسجد جامع ، وخطبة قائمة ، ولها أيضاً مدينة الفهمين^(٣) ، وكانت مدينة متحضرة ، حسنة الأسواق والمباني ، وبها مسجد جامع ، ومنبر وخطبة ، وهى كلها اليوم مع طليطة فى أيدي الروم ، وملئها من القشتالين ، وينتسب إلى الأذفونش الملك وفى الشرق من مدينة طليطة إلى مدينة وادى الحجارة ٥٠ ميلا وهى مرحلتان ومدينة وادى الحجارة حصينة حسنة كثيرة الأرزاق والخيرات ، جامعة لاشتات المنافع والغلات ، وهى مدينة ذات أسوار حصينة ، ومياه معينة ، ويمجرى منها بجهة غربها نهر صغير ، لها عليه بساتين وكروم ، وجنات وزراعات ، وبها من غلات الزعفران الشيء الكثير . يتجهز به منها ، ويحمل إلى سائر العائلات والجهات . وهذا النهر يجرى إلى جهة الجنوب ، فيقع فى نهر تاجه الأكبر فيمده . ونهر تاجه

(١) الغسل بالكسر ما يغسل به الرأس من خطمى وطين واشنان ونحوه . عن لسان العرب .

(٢) هى التى يقول لها الاسبان مدريد وهى اليوم عاصمة اسبانية ومن أهم مدن أوربة وقد كانت مجرىط فى زمن الادريسي خرجت من يد الاسلام ومثلها طليطة فلذلك قال أنه كان لمجرىط فى زمن الاسلام مسجد جامع وخطبة قائمة وسند كر طليطة تفصيلا وتؤيد ما يجب تأييده من كلام الادريسي عنها ونزد ما هو من قبيل الأساطير مثل قوله : أن طليطة هى من بناء العماقة

(٣) قال ياقوت فى معجم البلدان : الفهميين كأنه جمع فهمى اسم قبيلة الفهميين بالأندلس من أعمال طليطة انتهى ولم يذكر زيادة على ذلك ونحن نعلم أنه يقال الفهميون لفهم الجرات بطن من لحم وأنه يوجد أيضاً فى الأزد بطن اسمهم فهم بن غنم ابن دوس بن عدنان منهم جذيمة بن مالك بن فهم الملك الأبرص راجع تاج العروس

المذكور يخرج من ناحية الجبال المتصلة بالقلعة ^(١) والفنت ^(٢) فينزل ماراً مع المغرب إلى مدينة طليطلة ^(٣) ، ثم إلى طليطيرة ^(٤) ، ثم إلى المخاضة ^(٥) ، ثم إلى القنطرة ^(٦) ثم إلى قنيطرة محمود ^(٧) ثم إلى مدينة شنترين ^(٨) ، ثم إلى لشبونة ^(٩) ، فيصب هناك في البحر . ومن مدينة وادي الحجارة إلى مدينة سالم ^(١٠) شرفاً ٥٠ ميلاً . ومدينة سالم هذه مدينة جليله في وطاء من الأرض ، كثيرة القطر كثيرة العمارات والبساتين والجنان ، ومنها إلى مدينة شنت مارية ابن رزين ^(١١) أربع مراحل خفاف ، ومنها إلى الفنت أربع مراحل . وبين شنت مارية والفنت مرحلتان ، وشنت مارية والفنت مدينتان عامرتان ، هما أسواق فائمه ، وعمارات متصلة دائمة ، وفواكه عامة وكانا في الاسلام منازل القواطم ^(١٢) . ومن مدينة سالم إلى مدينة قلعة

(١) يقول دوزى في ترجمته لكلام الادريسي هنا إن المقصود بهذه القلعة هي قلعة كبريال وهي إلى الشمال الغربي من « الفنت » ،

(٢) الفنت هذه هي التي يقول لها الاسبانيول « البونت » Alpuente

(٣) Toledo (٤) Talevera De La Reina

(٥) لا نعلم ماذا يقول الاسبانيول لهذا المكان

(٦) هي قنطرة السيف بلدة معروفة ينسب إليها في زمن العرب جماعة من أهل العلم والاسبان يقولون Alcantra (٧) لم نعلم ماذا يقول الاسبانيول لهذه البادية

(٨) Santaren وهي مدينة مشهورة سيأتى ذكرها

(٩) Lisboa عند البرتغال أو Lisbonne وسيأتى ذكرها

(١٠) Medinaceli عند الاسبانيول بحذف الميم

(١١) عند الاسبانيول Albarrazin

(١٢) غريب جداً ذكر الادريسي هؤلاء « القواطم » بدون التعريف عنهم بشئ . ولذلك لم يفهم هذه اللفظة أحد من مترجمي كلام الادريسي ومفسريه ونحن أشكل علينا أيضاً فهمها ولم يذهب فكرنا إلى أنها « القواطم » ، بالفاء الموحدة لأنه لم يسمع أن قوماً من الفاطميين سكنوا بتلك الأرض واشتهروا بها واشتهرت بهم وكذلك من العادة أن يقال لهم « الفاطميون » ، أو « الطالبيون » ، أو « الهاشميون » ، ولم نسمع

أيوب^(١) . ٥٠ ميلاً شرقاً ، وهي مدينة رائقة البقعة ، حصينة شديدة المنعة ، بهية الأقطار كثيرة الأشجار والأثمار . وعيونها مخترقة ، وينابيعها مغدودة ، كثيرة الخصب ، رخيصة الأسعار ، وبها يصنع الفغار المذهب ، ويتجهز به إلى كل الجهات . ومن مدينة قلعة أيوب إلى قلعة دَرَوْقه^(٢) ١٨ ميلاً . ودروقة مدينة صغيرة متحضرة ، كثيرة العامر

بقوم اسمهم القواطم يسكنون في شمالى الأندلس فبقى علينا أن نعلم ما المراد بالقواطم بالقاف المثناة ، فالعلامة دوزى يظن أنها محرقة عن « القواسم » لأنه كان في الفنت فخذ يقال لهم « بنو قاسم » ولا يزال هذا الاسم Beni Cassim يطلق على مكان بشرق الفنت إلى اليوم . قال دوزى : فيجوز أن يكون قيل لهم فيما بعد القواسم ، ثم تحرفت القواسم هذه بطول الزمن إلى قواطم . قلنا : أن وجود أناس في تلك البقعة كان يقال لهم بنو قاسم لاشك فيه وقد رأيت في معجم البلدان ذكر مكان في تلك الناحية قال ياقوت عنه أنه من عمل بنى قاسم . ثم إن دوزى نفسه يقول إن بنى قاسم هؤلاء من ذرية عبد الملك بن قطن الفهرى أمير الأندلس المشهور الذى كان قبل بنى أمية فأنا أظن أن القواطم غير محرقة عن القواسم بل محرقة عن القواطن وذلك نسبة إلى عبد الملك بن قطن المذكور فإن ذرية هذا الرجل ينبغي أن يقال لهم « القطنيون » فالناس استثقلوا جمع ذرية ابن قطن على القطنيين كما جمعوا بنى فهم على الفهميين لثقل الأولى وخفة الثانية فاختراروا للأولى جمع التفسير وقالوا قواطن يريدون به بنى قطن . ومثل هذا الجمع كثير عند العرب . وأما انقلاب نون قواطن إلى ميم بحيث صارت قواطم فإن بين النون والميم تبادلاً كثيراً كما لا يخفى فهذا وجه خطر يالها عن هذه اللفظة والله أعلم

(١) الاسبانيول يقولون لها « كالاتايود » Galatayud وهي بلدة على وادى شلون جاء في دليل بديكر أنه يشرف على هذه البلدة حصن اسمه قلعة أيوب بنى العرب في القرن الثامن للمسيح وأن أذفونش الأول ملك أراغون انتزع قلعة أيوب سنة ١١١٩ من أيدي العرب . والمشهور أن باني قلعة أيوب هو أيوب بن حبيب اللخمي ابن أخت موسى بن نصير . وسنأتى على ذكرها تفصيلاً

(٢) هذه البلدة هي على ٣٥ كيلو متراً من قلعة أيوب ، والاسبان يقولون لها « داروكة » Daroca جاء في دليل بديكر أن هذه البلدة ازدهرت في زمان العرب

غزيرة البساتين والسكروم ، وكل شئ ، بها كثير رخيص . ومن دروقة إلى مدينة سرقسطة ^(١) ٥٠ ميلا . وكذلك من مدينة قلعة أيوب إلى مدينة سرقسطة ٥٠ ميلا ومدينة سرقسطة قاعدة من قواعد مدن الأندلس ، كبيرة القطر ، أهلة ممتدة الأطناب ، واسعة الشوارع والطرافات ، حسنة لديار والمساكن . متصلة الجنات والبساتين ، ولها سور منى من الحجارة حصين . وهى على ضفة النهر الكبير المسمى إيره ^(٢) ، وهو نهر كبير ، يأتى بعضه من بلاد الروم ، وبعضه من جهة جبال قلعة أيوب ، وبعضه من نواحي قاهرة ^(٣) ، فتجتمع مواد هذه الأنهار كلها فوق مدينة تطيله ^(٤) ثم تنصب إلى مدينة سرقسطة . إلى أن تنتهى إلى حصن حبره ^(٥) . إلى موقع نهر الزيتون ، ثم إلى طرطوسة فيجتاز نهر بها إلى البحر .

ومدينة سرقسطة هى المدينة البيضاء . وسميت بذلك لكثرة جصها وجيارها ، ومن خواصها أنها لا تدخنها حية البتة . وإن جلدت اليها وأدخلت المدينة ماتت وحيًا بلا تأخير . ولمدينة سرقسطة حसर عظيم يجتاز عليه إلى المدينة ، ولها أسوار منيعة ، ومبان رفيعة ، ومنها إلى وثقة ^(٦) ٤٠ ميلا . ومن وثقة إلى لاردة ^(٧) ٧٠ وكان لها سور طوله ثلاثة كيلومترات وعليه ١١٤ برجاً وكان لدروقة قلعه مبنية على صخر عظيم من ماء العرب وسيأتى ذكرها بأوسع من هذا

(١) Saragosse وهى من قواعد الأندلس الكبار كان العرب يسمونها بالغر الأعلى وسند كر عنها كل ما يلزم عند الوصول إلى مكائها من جغرافية الأندلس

(٢) Ebro وسيأتى الكلام على هذا النهر ومنبعه ومجره .

(٣) Calahorra وهى بلدة قديمة على ضفة نهر سيدا كوس Cidacos اشتهرت

بشدة أهلها فى مقاومة الرومانيين ومنها إلى شوربة ، ٩٩ كيلومتر .

(٤) Tudela (٥) Chibrana

(٦) الاسبانيول يقولون لها Huesca وهى مدينة قديمة جدا وكان الرومانيون

يسمونها أوسكه Osea وعمرت فى زمان العرب وبقيت فى أيديهم إلى سنة ١٠٩٦ ثم صارت قاعدة لمملكة أراغون وهى على مسافة ٢٢ كيلومترا من سرقطة وسكانها اليوم ١٣٠٠٠ نسمة وسيأتى ذكرها .

(٧) هذه البلدة هى من عمل كتلونية فيها اليوم ٢٣٠٠٠ نسمة والاسبان يقولون

ميلا . ومدينة لاردة مدينة صغيرة متحضرة . ولها أسوار منيعة ، وهى على نهر كبير ومن مكناسة ^(١) إلى طرطوشة ^(٢) مرحلتان وهما ٥٠ ميلا ، ومدينة طرطوشة مدينة على سفح جبل ، ولها سور حصين ، وبها أسواق وعمارات ، وصناع وفعلة ، وإنشاء المراكب الكبار من خشب جبالها ، وبجبالها يكون خشب الصنوبر الذى لا يوجد له نظير فى الطول والفاظ ، ومنه تتخذ السوارى والقرى ^(٣) وهذا الخشب الصنوبر الذى بجبال هذه المدينة أحمر صافى البشرة ، دسم لا يتغير سرياً ، ولا يفعل فيه السوس ما يفعله فى غيره ، وهو خشب معروف منسوب . ومن طرطوشة إلى موقع النهر فى البحر ١٢ ميلا ، ومن مدينة طرطوشة إلى مدينة طركونة ^(٤) ٥٠ ميلا .

ومدينة طركونة على البحر ، وهى مدينة اليهود ، ولها سور رخام ، وبها أبنية حصينة وأبراج منيعة ، ويسكنها قوم قلائل من الروم ، وهى حصينة منيعة ، ومنها

لها ليريدہ Lerida وكان الرومانيون يسمونها ايلرده Herda وهى مدينة قديمة جداً أيضاً وجدت فيها مسكوكات من زمان الايبيريين وعليها رأس ذئب . وفى السنة ٤٩ قبل المسيح هزمت فيها جيوش قيصر جيوش أعدائه المنتسبين إلى بومبي . وكان اسديلاء العرب عليها سنة ٧١٣ مسيحية واسترجعها الاسبان سنة ١١١٧ وسيأتى ذكرها الاسبان يلفظونها مكينفسه Mequinenza وهى من شارات ساحل كتلونية

(٢) عند الاسبان تورتوزه Tortosa وكان الرومان يقولون لها درتوزه Dertosa وقال لها العرب طرطوشة وسيأتى ذكرها بما يليق من التفصيل .

(٣) السوارى جمع سارى وهو الخشبة المعترضة فى وسط السفينة ويكون عليه الشراع وهو معروف . وأما الفرى فليس فى اللغة بهذا المعنى بل القرى جمع قرية وهى البلدة . ولكن يوجد فى اللغة القرية ، بتشديد الياء وهى عود الشراع الذى يجعل فى عرضه من أعلاه والمعروف أنه يجمع على قرايا . ورد ذلك فى تاج العروس وقال الزيدى : والعامّة تقول القرية بالتخفيف أى أن الادريسي جرى فى جمعه القرية على القرى بجرى العامة لأنه من بعد تخفيفها صار جمعها على قرى هو الأولى وقد لحظنا أن الادريسي يستعمل كثيرا من الالفاظ العامة ولحظ ذلك دوزى من قبل

(٤) Tarragona والاسبانيول يقولون لها طركونه كالعرب وهى مدينة بحرية

إلى برشلونة ^(١) في الشرق ٦٠ ميلا ، ومن مدينة طرّكونة غرباً إلى موقع نهر إبره ٤٠ ميلا ، وهذا الوادي ههنا يتسع سعة كثيرة ، ومن موقع النهر إلى رابطة « كشتالى » ^(٢) غرباً على البحر ١٦ ميلا ، وهى رابطة حسنة ، حصينة منيعة ، على نهر البحر الشامى ، يسكنها قوم أخيار ، وبالقرب منها قرية كبيرة وبتصل بها عمارات ومزارع ، ومن رابطة كشتالى غرباً إلى قرية « يانة » Ianna قرب البحر ٦ أميال ، ومنها إلى حصن « بنشكله » ^(٣) ٦ أميال ، وهو حصن منيع على ضفة البحر ، وهو عامر أهل ، وله قرى وعمارات ومياه كثيرة . ومن حصن بنشكله إلى عقبة « ابيشة » ^(٤) ٧ أميال ، وهو جبل معترض عال على البحر والطريق عليه لاند من السلوك على رأسه ، وهو صعب جداً . ومنه إلى مدينة « بوريانه » ^(٥) غرباً ٢٥ ميلا

سكانها ٢٤ ألفا ، مشرفة على البحر تعلوه إلى حد ١٦٠ مترا وهى مدينة قديمة ايبيرية ولا يزال فيها مسكوكات من ذلك العهد . استولى عليها الرومانيون وحصنوها وجعلوها مرسى شهيراً وصارت مركزاً لهم فى اسبانية وأقام بها أغسطس الرومانى سنة ٢٦ قبل المسيح وجعلها قاعدة للمقاطعة المسماة « اسبانية الطركونية » وفيها ابنية رومانية ومشهد للتمثيل وبعد النصرانية صارت مركز اسقفية ولما جاء القوط سنة ٤٧٥ للمسيح جعلوا عليها سافلها واستولى عليها العرب سنة ٧١٣ واسترجعها الاسابانيول بعد ذلك بأربعمئة سنة وصارت تابعة لبرشلونة

(١) Barcelona وهى قاعدة كتلونيه وأكبر مدن اسبانية وأوسعها تجارة وأكثرها صناعة وسيأتى ذكرها تفصيلا

(٢) دوزى يعتقد أن هذه الرابطة هى التى يقول لها الاسبانول Castillo De Chiver وهى بقرب قلعة شيفر أو شير

(٣) ويقول لها الاسبانول « بنيسكولا » Penuscola ونسمى جبل طارق بلسانية لأنها فى جزيرة متصلة بالبر بلسان من الرمل وكان هذا الحصن فى يد العرب إلى سنة ١٢٣٣ إذ أخذه منهم جاك الأول ملك أراغون .

(٤) هى بالاسبانيول Abicha

(٥) الاسبانول يقولون لبوريانه Burriano أى بوريانه بالتشديد . وتأمل فى ما ورد فى دليل بديكر فى كلامه على البلاد التى بين طرطوشة وبلنسية قال : إن

ومدينة بوريانه مدينة جليلة عامرة كثيرة الخصب والأشجار والسكروم ، وهي في مستو من الأرض ، وبينها وبين البحر نحو من ثلاثة أميال . ومن بوريانه إلى « مرباطر » ^(١) وهي قرى عامرة وأشجار ومستغلات ، ومياه متدفقة ، ٦٠ ميلا ، وكل هذه الضياع والأشجار على مقربة من البحر . ومنها إلى « بلنسية » غرباً ١٢ ميلا .

ومدينة بلنسية قاعدة من قواعد الأندلس ، وهي في مستو من الأرض ، عامرة القطر ، كثيرة التجار والعمار ، وبها أسواق وتجارات ، وخط واقلاع ، وبينها وبين البحر ٣ أميال مع النهر ، وهي على نهر جار ينتفع به ، ويسقى المزارع ، ولها عليه بساتين وجنات ، وعمارات متصلة . ومن مدينة بلنسية إلى مدينة سرقسطة ٩ مراحل على « كتندة » ^(٢) وبين بلنسية وكتندة ٣ أيام ، ومن كتندة إلى « حصن الرياحين » مرحلتان ، وهو حصن كثير الخلق عامر بذاته . ومن حصن الرياحين إلى « القنت » ^(٣) يومان ، ومن مدينة بلنسية إلى جزيرة « شقر » ^(٤) ١٨ ميلا ، وهي على نهر شقر

فسطلون البلاتة Castellon De La Plana هي مدينة زاهرة سكانها ٢٨ ألف نسمة وهي مركز تجارة للبرتقال ولها فرضة على البحر اسمها « غراو » ، والقطار الحديدي يمر منها في مكان اسمه المجر Migares على جسر ثلاثة عشر قوساً راكب فوق قناة قسطلون المشتقة من النهر . وهذه التحفة البديعة من بدائع هندسة العرب تسقى تلك الأراضي منذ ستمائة سنة ثم تفيض من هناك إلى مدينة فيلارريال Villarreal وهي مدينة سكانها ١٦ ألفاً ويوجد فيها بساتين البرتقال وبينها بعض أشجار النخل والنساء تحمل هناك أباريق غريبة ترجع إلى عهد قديم ، ثم إن مياه المجر هذا لا تزال تتوزع على الأراضي إلى بوريانه التي هي أيضاً من الأماكن المشهورة بالبرتقال .

(١) Murbiter أو Merviedero

(٢) الاسبانيول يقولون Centenda

(٣) Alicante » »

(٤) Rio Jucar » أي نهر شقر وعليه بلدة اسمها الصيرة

وجزيرة شقر المذكورة حسنة البقاع ، كثيرة الأشجار والثمار والأنهار ، وبها ناس وجلة ، وهى على قارعة الطريق الشارع إلى مرسية . ومن جزيرة شقر إلى « شاطبة »^(١) ١٢ ميلا . ومدينة شاطبة مدينة حسنة ، ولها قصاب ، يضرب بها المثل فى الحسن والمنعة ويعمل بها من السكاغد ما لا يوجد له نظير بمعمور الأرض ، ويعم المشارق والمغرب ومن شاطبة إلى « دانية »^(٢) ٢٥ ميلا ، وكذلك من شاطبة إلى بلنسية ٣٢ ميلا ، وكذلك من بلنسية إلى مدينة دانية ، على البحر مع الجون ٦٥ ميلا ومن بلنسية إلى حصن « قلييرة »^(٣) ٢٥ ميلا ، وحصن قلييرة قد أهدق البحر به ، وهو حصن منيع ، على موقع نهر شقر ، ومنه إلى مدينة دانية ٤٠ ميلا ومدينه دانية على البحر عامرة حسنة ، لها ر بص عامر ، وعابها سور حصين ، وسورها من ناحية المشرق فى داخل البحر ، قد بنى بهندسة وحكمة ، ولها قصبة منيعة جداً ، وهى على عمارة متصلة وشجرات تين كثيرة وكروم ، وهى مدينة تسافر اليها السفن ، وسها بنشأ أكثرها ، لأنها دار انشاء السفن ، ومنها تخرج السفن إلى أقصى المشرق ، ومنها يخرج الاسطهل للغزو ، وفى الجنوب منها جبل عظيم مستدير يظهر من أعلاه جبال « يابسة »^(٤) فى البحر ، ويسمى هذا الجبل جبل قاعون^(٥)

والعرب يسمونها جزيرة شقر والصيرة وهى تحريف الجزيرة

(١) الاسبانيول يقولون لها Jatiba ويقلبون الجيم خاء على عادتهم

(٢) Denia ولا بد من لفظ الألف بالامالة حتى يفهم الاسبانيولى أن المراد

هو هذه البلدة . ومن المعلوم أن عرب الأندلس كان أكثر لفظهم بالامالة . ولما كنت فى الأندلس أردت الذهاب من القنت إلى دانية فلفظت هذه بغير امالة لأجل قطع تذكرة السفر فلم يفهموا منى فى بادى الأمر .

(٣) دوزى يقول انه « كوليره » Cullera

(٤) يابسة هى جزيرة Ibiza أعلى قمة فيها تعلو ٤٧٥ متراً

(٥) Càoun

ومن مدينة شاطبة إلى بكيران غرباً ٤٠ ميلاً ، وحصن « بكيران » ^(١) حصن منيع عامر كالمدينة ، وله سوق مشهوده ، وحوله عمارات متصلة ، تصنع به ثياب بيض تباع بالآثمان الغالية ، ويعمر الثوب منها سنين كثيرة ، وهى من أبدع الثياب عتاقة ورقة ، حتى لا يفرق بينها وبين الكاغد فى الرقة والبياض . ومن بكيران إلى دانية ٤٠ ميلاً . ومن حصن بكيران إلى مدينة « الش » ٤٠ ميلاً . ومدينة الش ^(٢) مدينة فى مستو من الأرض ، ويشقها خليج يأتى إليها من نهرها ، يدخل المدينة من تحت السور ، فيتصرفون فيه ، ويجرى فى حمامها ، ويشق أسواقها وطرقاتها ، وهو نهر مليح سبخى ، وشرب أهل المدينة من الخوابى ، يجلب إليها من خارجها ، ومياهها المشروبة من مياه السماء . ومن مدينة الش إلى مدينة « وريواله » ^(٣) ٢٨ ميلاً ، ومدينة أوريولة على ضفة النهر الأبيض هو نهرها ونهر مرسية ، وسورها من ناحية الغرب على جريته ، ولها قنطرة على قوارب ، يدخل إليها منها ، ولها قصبة فى نهاية من الامتناع ، على قنة جبل ، ولها بساتين وجنات ، ورياضات دانية ، وبها من الفواكه ما لا تحصيل له ، وبها رخاء شامل ، وبها أسواق وضياع . وبين أوريولة والبحر ٢٠ ميلاً . وبين أوريولة ومدينة مرسية ١٢٠ ميلاً ، ومن مدينة أوريولة إلى « قرطاجنة » ٤٥ ميلاً .

ومن مدينة دانية المتقدم ذكرها على الساحل إلى مدينة « لقنت » ^(٤) غرباً

(١) حصن بكيران هو فى جنوبى شاطبة والاسبانيول يكتبونه Bocayrant

(٢) Elehe وهى ذات النخل وسيأتى الكلام عنها . وأظن بنى الالشي فى

دمشق أصلهم منها

(٣) هى بالاسبانيولى أوريواله Orihuela والعرب يقولون لها اريوله وربما

يضعون الواو بعد الألف ولكن وردت فى جغرافية الادريسى وغيره بزيادة ألف

بعد الواو أى اريواله وتكررت على هذا الشكل ويقال لهذه البلدة تدمير باسم الأمير

الذى كان فيها يوم أخذها منه العرب صلحا

(٤) الاسبانيول يقولون أليكنت Alicante والعرب يقولون القنت بالآلف

على البحر ٧٠ ميلا . ولقنت مدينة صغيرة عامرة ، وبها سوق ومسجد جامع ومنبر ويتجهز منها بالحلفاء إلى جميع بلاد البحر . وبها فواكه وبقل كثير وتين وأعناب ولها قصبة منيعة عالية جداً في أعلى جبل ^(١) ، يصعد اليه بمشقة وتعب ، وهي أيضاً مع صفرها تنشأ بها المراكب السفرية والحراريق . وبالقرب من هذه المدينة ، وبالقرب منها ، جزيرة تسمى « ابلناصة » ^(٢) وهي على ميل من البر ، وهي مرسى حسن ، وهي مكن لمراكب العدو ، وهي تقابل « طرف الناظور » ^(٣) ، ومن طرف الناظور إلى مدينة القنت ١٠ اميال ، ومن مدينة القنت في البر إلى مدينة الش مرحلة خفيفة ، ومن مدينة القنت إلى « حلق بالش » ^(٤) ٥٧ ميلا وبالش مع مراسى افواه أودية تدخلها المراكب ومن بالش إلى جزيرة الفيران ^(٥) ميل . وبين هذه الجزيرة والبر ميل ونصف ، ومنها إلى طرف « القيطال » ^(٦) ١٢ ميلا ، ومنه إلى « برتمان » ^(٧) الكبير ، وهو مرسى ، ٣٠ ميلا ، ومنه إلى مدينة « قرطاجنة » ^(٨) ١٢ ميلا . ومدينة قرطاجنة ، وهي فرضة مدينة مرسية .

واللام وأحيانا لقنت بلام دون ألف وجميع هذه المدن سياى الكلام عليها في مواضعها (١) الاسبانيول يقولون لهذه القصة التي بأعلى الجبل حصن « سانتا برباره ،

Castillo De Santa Barbara

(٢) هنا خطأ في النسخ ولا يوجد ابلناصه وإنما الجزيرة اسمها بلانة وهي في جنوبي القنت .

(٣) طرف الناظور هو سانتا بولو Santa Polo

(٤) بالش هي Bèlich ومرساها يقول له الاسبانيول Mar Menor

(٥) اسم هذه الجزيرة عند الاسبان Isla Grosa

(٦) القيطال Cap De Palos

(٧) برتمان الكبير هو عند الاسبان Puerto Pormann وكان يقال له أيام

الرومان Pertus Magnus

(٨) أحسن مرسى في أسبانية وسياى ذكرها

وهي مدينة قديمة أزلية ، لها مرسى ترسى بها المراكب الكبار والصغار ، وهي كثيرة الخصب والرخاء المتتابع ، ولها إقليم يسمى « الفندون »^(١) وقليل ما يوجد مثاله في طيب الأرض ، وجودة نمو الزرع فيه ، ويحكى أن الزرع فيه يشمر بسقى مرة واحدة ، واليه المنتهى في الجودة .

ومن مدينة قرطاجنة على الساحل إلى « شجانة »^(٢) ٢٤ ميلا ، وهو مرسى حسن وعليه بقربه قرية ، ومنه إلى حصن « آقلة »^(٣) ١٢ ميلا ، وهو حصن صغير على البحر ، وهو فرضة « لورقة » ، وبينهما في البر ٢٥ ميلا . ومن حصن آقلة إلى وادي « بيرّة »^(٤) في قعر الجون ٤٢ ميلا . وعلى مصب النهر جبل كبير وعليه حصن بيرّة

(١) يظن دوزى أنه واقع تحريف لم يظهر معه أصل الكلمة

(٢) Chadjena

(٣) جاء في دليل بديكر عند ذكر مدينة لورقة قال أن سكانها ٣٠ ألف نسمة وكانت تسمى إلوكرو Ilucro في زمن الرومانين فقال العرب لها لورقة وهي مبنية إلى الشمال الغربي من شارات كانو ، ويشقها وادي « الأنطين » والبلدة القديمة لا تزال شوارعها ضيقة وهي تذهب صعدا فوق الصخور إلى أن تتصل بحصن عربي لا يزال ماثلا وفيها كنيسة اسمها سفتامارية مبنية في المكان الذي خيم فيه الأذفونش الملقب بالحكيم قبل أن أخرج هذه البلدة من أيدي العرب سنة ١٢٣٤ وإلى الشمال شارات كانو والخط الحديدي يمر في مكان يقال له « نوغلت Nogalte » كان ميداناً للوقائع الشداد بين عرب غرناطة والمسيحيين وهناك على البحر مرسى آكيلاس اه فهذه هي آقلة التي يشير إليها الادريسي

(٤) Vera جاء في كتاب « صفة مملكة غرناطة » المنقول عن « معيار الاختبار » لابن الخطيب ما يلي عن بيره هذه وضبطها بفتح فسكون : « بلدة صافية الجو رحيبة الدو يسرح فيها البعير ويجم بها الشعير ويقصدها من مرسية واحوازاها العير فسا كنها بين تجر وابتغاء أجر ، وواديها نيلي الفيوض والمدود ، مصرى التخوم والحدود ، إن بلغ إلى الحد المحدود ، فليس رزقه بالمحصور ولا بالمعدود ، إلا أنها قليلة المطر ، مقبحة

المطلّ على البحر ، ومن الوادى إلى الجزيرة المسماة « قربُنيرة » ^(١) ١٢ ميلا ، ثم إلى « الرصيف » ستة أميال ، ثم إلى « الشامة البيضاء » ثمانية أيام ، ثم إلى طرف « قابطة » ^(٢) ابن أسود « ستة أميال . ومن طرف القابطة إلى المرية ١٢ ميلا . ومن مدينة قرطاجنة إلى مرسية في البر ٤٠ ميلا .

ومدينة مرسية قاعدة أرض تدمير . وهى فى مستو من الأرض ، على النهر الأبيض ، ولها ربح عامر أهل ، وعاليها وعلى ربضها أسوار حصينة ، وحظائر متقنة والماء يشق ربضها ، وهى على ضفة النهر المعروف ، ويجاز إليها على قنطرة مصنوعة من المراكب . ولها أرحاء طاحنة فى المراكب ، مثل طواحن سرقسطة . التى هى تركب فى مراكب تنتقل من موضع إلى موضع ، وبها من البساتين والأشجار والعمارات مالا يوجد بتحصيل ، ولها كروم ، وبها شجر التين كثير ، ولها حصون وقلاع وقواعد وأقاليم معدومة المثال . ومن مدينة مرسية إلى مدينة بلنسية خمس مراحل ، ومن مرسية إلى المرية على الساحل ٥ مراحل ، ومن مرسية إلى قرطبة عشر مراحل ، ومن مرسية إلى حصن شقورة ^(٣) ، ٤ مراحل ، ومن مرسية إلى « جنجالة » ^(٤) ٥٠ على الخطر ، مثلومة الأعراض والأسوار ، مطعة لداعى الوار ، خليفة الحسن المغلوب ، معلة بالماء المجلوب ، آخذة بكظام القلوب ، خاملة الدور ، قليلة الوجوه والصدور ، كثيرة المشاجرة والشور ، وذهل أهلها فى الصلاه شائع فى الجمهور ، وسوء ملكة الأسرى من الذائع بها والمشهور .

(١) Carbonera (٢) Cap De Gata

(٣) النهر الذى تشرب منه مرسية كان يقال له فى القديم تادر Tader والاسبانيول يقولون له سيفغوره Segura والعرب يقولون له شقورة وسيأتى الكلام على شقورة وغيرها تفصيلا والادريسي يسميه بالنهر الأبيض ودوزى يقول إن Guadalaviar الذى يمر ببلنسية هو النهر الأبيض وكذلك جاء فى دليل بديكر ولكن تعريب Guadalaviar هو وادى الاييار .

(٤) يقول الاسبانيول لهذه البلدة شنشيلة Chinchilla وهى على ٢٩٨ كيلومتراً من مجريط وفيها يتلاقى خطان حديدان خط مرسية وخط قرطاجنة وهى مبنية على

ميلا . ومدينة جنجالة متوسطة القدر ، حصينة القلعة ، منيعة الرقعة ، ولها بساتين وأشجار وعليها حصن حسن ، ويعمل بها من وطاء الصوف مالا يمكن صنعه في غيرها باتقان الماء والهواء ، ولنسائها جمال فائق وحصافة .

ومن جنجالة « إلى » كونكة » يومان ، وهي مدينة أزيلية صغيرة ، على منقع ماء مصنوع قصداً ، ولها سور ، وليس لها ربح ، ويصنع بها من الأوطية المتخذة من الصوف كل غريبة . ومن كونكة إلى قلصة ^(١) ثلاثة مراحل شرقاً ، وقلصة حصن منيع يتصل به أجبل كثيرة ، بها شجر الصنوبر الكثير ويقطع بها الخشب ويلقى في الماء ، ويحمل إلى دانية وإلى بلنسية في البحر ، وذلك أنها تسير في النهر من قاصة إلى جزيرة شقر ، ومن جزيرة شقر إلى حصن « قاليري » وتفرغ هناك على البحر ، فتعلا منها المراكب ، وتحمل إلى دانية ، فتنشأ منها السفن الكبار ، والمراكب الصغار ، ويحمل إلى بلنسية منه ما كان عريضاً ، فيصرف في الأبنية والديار . ولا تزال عادة ارسال الخشب في النهر إلى جزيرة شقر إلى قليرة النخ إلى

راية عليها حصن وفي جوانبها كهوف يسكن فيها الناس ومنها يمتد الخط الحديدي إلى بلدة يقال لها « ألبره » على نحو ٤ كيلو مترا من جنجالة ثم إلى محل يقال له عند الاسبانيول ألمصا Almansa ولا شك أنه محرف عن المصنع جاء في دليل بديكر أن هناك خزاناً بناه العرب طوله ألفا متر وعرضه ألفا متر وعمقه ثمانون متراً وهو منى على واد بين جانبيه سد وهناك حصن عربي مبني على حجر أبيض مشرف على السهل . قلت ولقد مررت على جنجالة والمصنع في طريقى إلى مرسية وأنا بالقطار وشاهدت هذا الخزان في أثناء المسير . وقد ضبطت ياقوت الحموي اسم شنشالة بالناء فقال شنشالة وبخط الاشتوى شنتجيل بالياء . وسيأتى ذكرها في موضعه

(١) الخط الحديدي من مرسية يمر على قرية اسمها « غرنجة » ثم على « قلصة » ويقول لها الاسبانيول كاللوزة Callosa وهي بلدة صغيرة منظرها لا يزال عرياً مبنية بجذء جندل كبير وفيها بيوت كثيرة منحوتة في الجندل وحولها برتقال ونخل . ولم يعرف دوزى قلصه هذه فوضع عليها علامة وقال إن أحرفها غير بينة وكتبها

هكذا : Calaca

يومنا هذا . ومن قلصة إلى شنت مارية ثلاث مراحل ، وكذلك من قلصة إلى « الفت » أيضاً مثل ذلك ، ومن « قونكة » ^(١) إلى « وبذى » ^(٢) ثلاث مراحل و « وبذى » و « اقليش » ^(٣) مدينتان متوسطتان ، ولها أقاليم ومزارع عامرة ، وبين وبذى واقليش ١٨ ميلا ، ومن اقليش الى شقورة ٣ مراحل وشقورة حصن كالمدينة ، عامر بأهله ، وهو في رأس جبل عظيم متصل ، منبع الجهة ، حسن البنية ، ويخرج من أسفله نهران ، أحدهما نهر قرطبه ، المسمى بالنهر الكبير ، والثاني هو النهر الأبيض الذى يمر بمرسية ، وذلك أن النهر الذى يمر بقرطبة يخرج من هذا الجبل من مجتمع مياه كالغدير ، ظاهر في نفس الجبل ، ثم يفوص تحت الجبل ، ويخرج من مكان في أسفل الجبل ، فيتصل جريه غربا إلى جبل « نجدة » ^(٤) ، إلى « غادرة » ^(٥) ، إلى قرب مدينة « أبدة » ^(٦) ، إلى أسفل مدينة « بياسة » ^(٧) ، إلى حصن « اندوجر » ^(٨) ، إلى « القصير » ^(٩) ، إلى « قنطرة اشتشان » ^(١٠) ،

(١) يأتي المسافر من مجريط قاصدا إلى ساحل البحر عن طريق جنجالة فيمر ببلدة يقال لها « غيتاف » Getafe على ١٤ كيلو مترا من مجريط وبعد ذلك يمر ببلدة يقال لها « بنتو » Pinto ثم ببلدة يقال لها بلدمورو Valdemoro - ومن المعلوم أن المورو عند الأسبان هو المسلم - ثم إن الخط الحديدي يمر ببقعة مربعة مسقية يقال لها بقعة جرامة Jarama ومن هذه البقعة يصل المسافر إلى نهر تاجه وهناك بلدة يقال لها « أرنجويس » Arenjuez على مسافة ٥٠ كيلو مترا من مجريط ومنها يصل إلى مدينة قونكة وهي بلدة قديمة جداً كانت من مراكز العرب استرجعها من أيديهم الازفونش الثامن سنة ١١٧٧ بعد حصار طويل وهي الآن قسبان المدينة القديمة والمدينة الجديدة وعدد سكانها ١٢ ألفا والقديمة مبنية على صخور شائعة

(٢) Huete هي اقليش هي Ucles

(٤) Nadjda (٥) Gadira (٦) Ubeda (٧) Baeza

(٨) Andojar (٩) Al - Kosair (١٠) Pont D'échtechàn

إلى قرطبة إلى حصن « المدور »^(١) إلى حصن « الجُرف »^(٢) إلى حصن « لورة »^(٣) إلى حصن « القليعة »^(٤) إلى حصن « قطنيانة »^(٥) إلى « الزَّرَّادة »^(٦) إلى اشبيلية ، إلى « قبطل »^(٧) إلى « قبتور »^(٨) ، إلى « طبرشانة »^(٩) ، إلى « المساجد »^(١٠) ، إلى قادس ، ثم إلى بحر الظلمات .

وأما النهر الأبيض الذى هو نهر مرسية فانه يخرج من أصل الجبل ، ويحكى أن أصلهما واحد ، أعنى نهر قرطبة ونهر مرسية . ثم يمر نهر مرسية فى عين الجنوب إلى حصن « افرد »^(١١) ، ثم إلى حصن « موله »^(١٢) ، ثم إلى مرسية ، ثم إلى أور يواله إلى المدور ، إلى البحر ، ومن شقورة إلى مدينة « سرتة »^(١٣) مرحلتان كبيرتان ، وهي مدينة متوسطة القدر ، حسنة البقعة ، كثيرة الخصب ، وبالقربة منها حصن . . .^(١٤) ، ومن حصن . . . إلى طليطلة مرحلتان . ومن أراد من مرسية إلى المرية سار من مرسية إلى قنطرة « اشكابة »^(١٥) إلى حصن « لبرالة »^(١٦) إلى حصن « الحمة »^(١٧) إلى مدينة « لورقة »^(١٨) ، وهي مدينة غراء حصينة ، على ظهر جبل

(١) Almodovar (٢) Aljorf (٣) Lora (٤) Alcoléa
(٥) Cantillana (٦) Az - Zarrada (٧) Cabtal
(٨) Cabtor (٩) Trébugena (١٠) يقول الاسبانيول
للمساجد سان لوكار San - Locar ويقال ان أصلها Solus Lucos (١١) Ferez
(١٢) Mula (١٣) يقول لها الاسبانيول Almonacid De Zorita
(١٤) موضوع فى الأصل بعد لفظة حصن ثلاث نقط . ثم موضوع جملة « ومن
حصن ، وبعدها أيضاً ثلاث نقط . وبعدها جملة « الى طليطلة ، وهذا فى النسخة
المطبوعة فى ليدن المترجمة الى الافرنسية بقلم دوزى وفى الحاشية مذكور انه « حصن
قنة ، أو دقة ، أو دقيه ، اشارة الى ان اللفظة غير محققة . ثم ان دوزى يقول بعد
هذا ان هذا البلد هو الذى يقال له Hita Calatrava

(١٥) قنطرة اشكابة هي Cantarilla

(١٦) Lebrilla

(١٧) الحمة يقول لها الاسبانيول Alhama وفى الاندلس حمات متعددة

(١٨) تقدم ذكرها وسيأتى مرة أخرى

ولها أسواق وربض في أسفل المدينة ، وعلى الربض سور ، وفي الربض السوق ،
والرهادرة ^(١) ، وسوق العطر ، وبها معادن تربة صفراء ، ومعادن مغرة ، تحمل
إلى كثير من الأقطار . ومن حصن لورقة إلى مرسية ٤٠ ميلا ، ثم من لورقة إلى
« آبار الرتبة » ^(٢) إلى « حصن يثرة » ^(٣) مرحلة ، وهذا الحصن حصن منيع ،
على حافة مطلة على البحر . ومن هذا الحصن إلى « عقبة شقر » ^(٤) ، وهي عقبة
صعبة المرقى ، لا يقدر أحد على جوازها راكباً ، وإنما يأخذها الركبان رجالة ، ومن
العقبة إلى « الرابطة » ^(٥) مرحلة ، وليس هناك حصن ولا قرية ، وإنما بها قصر
به قوم حراس للطريق ، ومن هذه الرابطة إلى المرية مرحلة خفيفة

ومدينة المرية كانت في أيام الماسم ^(٦) مدينة الاسلام ، وكان بها من كل الصناعات
كل غريبة ، وذلك أنه كان بها من طرز الحرير ٨٠٠ طراز ، يعمل بها الخلل
والديباج والسقلاطون والاصبهاى والجرجانى ، والستور المكثلة والثياب المعينة ،
والخمر والعتابى ، والمعاجر ، وصنوف أنواع الحرير ، وكانت المرية قبل الآن يصنع بها
من صنوف الآلات النحاس والحديد ، إلى سائر الصناعات ، ما لا يحصى ولا يكفى ،
وكان بها من فواكه واديها الشئ الكثير الرخيص ، وهذا الوادى المنسوب إلى
بجانة Bichena بينه وبين المرية ٤ أميال ، وحوله جنات وبساتين وأرجاء ، وجميع
نعمها وفواكهها تجلب إلى المرية ، وكانت المرية إليها تقصد مراكب البحر من

(١) لم يظهر لنا معنى هذه اللفظة واطننا من تحريف النساخ

(٢) Ar - Rataba . ومن يقرأ « الرتبة » يظنها لأول وهلة بالضم فالتكون أى
المنزلة والحال انها محركة بفتح الأول والثانى والثالث فالرتبة هى الخلل الذى بين الأصابع
(٣) هى التى تقدم ذكرها وتلفظ بفتح أولها وهى غير البيرة المشهورة التى منها
مدينة غرناطة

(٤) Mujacar (٥) Arrabita

(٦) أى أيام دولة المرابطين يوسف بن تاشفين ورهطه

الاسكندرية والشام كله ، ولم يكن بالأندلس كلها أيسر من أهلها مالا . ولا أتجر منهم في الصناعات وأصناف التجارات تصريفاً وادخاراً .

والمرية في ذاتها جبلان وبينهما خندق معمور ، وعلى الجبل الواحد قصبتها المشهورة بالحصانة . والجبل الثانى منهما فيه رُبضها ويسمى جبل « لاهم » Lahem والسور يحيط بالمدينة و بالرِض . ولها أبواب عدة ولها من الجانب الغربى رِض كبير عامر يسمى رِض الحوض ، وهو رِض له سور عامر بالأسواق والديار والفنادق والحمامات . والمدينة في ذاتها مدينة كبيرة كثيرة التجارات ، والمسافرون اليها كثيرون وكان أهلها مياسير ، ولم يكن في بلاد أهل الأندلس أحضر من أهلها نقداً ، ولا أوسع منهم أحوالا . وعدد فنادقها التى أخذها عد الديوان فى التعيين ألف فندق ، إلا ثلاثين فندقا ، وكان بها من الطرز أعداد كثيرة ، قدمنا ذكرها . وموضع المرية من كل جهة استدارت به صخور مكدسة ، وأحجار صلبة مضرسة ، لا تراب بها ، كأنما غرِبلت أرضها من التراب وقصد موضعها بالحجر ، والمرية فى هذا الوقت الذى ألقنا كتابنا فيه ، صارت ملكا بأيدي الروم ، وقد غيروا محاسنها وسبوا أهلها . وخرَّبوا ديارها ، وهدموا مشيّد بنيانها ، ولم يبقوا على شىء ^(١) منها . والمرية منابر

(١) ان الشريف ابا عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الجودى الحسنى المعروف بالشريف الادريسي ولد سنة ٤٩٣ للهجرة وفق ١١٠٠ لليلاد وكانت ولادته فى سبته وقد توفى سنة ٥٦٠ للهجرة وفق ١١٦٦ لليلاد وقد حصل العلم فى قرطبة ولذلك قيل له القرطبي ولما اتصل بخدمة دجار الثانى ملك صقلية قيل له الصقيلى وقد صنع للملك المذكور قبل وفاته بقليل صورة للارض كانت اكمل ما عرف لذلك العهد وكرة أرضية من فضة وألف كتابه هذا نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، وقد اكمل تأليفه قبل سنة ٥٤٨ . وأما استيلاء العدو على مدينة المرية فقد كان يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الاولى سنة ٥٤٢ أى قبل تأليف كتاب الادريسي هذا بست سنوات واستشهد فى وقعة الاستيلاء عليها الامام الرشاطى المحدث الكبير صاحب كتاب « اقتباس الانوار والتماس الازهار فى نسب الصحابة ورواة الآثار » وهو أبو محمد

منها مدينة برجة ^(١) ودلاية ^(٢) . وبين المرية وبرجة مرحلة كبيرة . وبين برجة ودلاية نحو من ٨ أميال . وبرجة أكبر من دلاية ، ولها أسواق وصناعات وحروث ومزارع . ومن المرية لمن أراد مائة طريقان ، طريق في البر وهو تحليق ^(٣) وهو ٧ أيام والطريق الآخر في البحر وهو ١٨٠ ميلا . وذلك أنك تخرج من المرية إلى قرية البجانس ^(٤) على البحر ستة أميال ، ومن قرية البجانس يمر الطريق في البر إلى برجة ودلاية . ومن قرية البجانس إلى آخر الجون ، وعليه برج مبني بالحجارة ،

عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن خلف بن احمد بن عمر اللخمي الرشاطي المري جاء في نفح الطيب أنه بعد أخذ النصارى مدينة المرية هذه المرة رجعت إلى ملك المسلمين واستنقذها الله تعالى على يد الموحدين وبقيت في أيدي الاسلام سنين . وكان أول الولاة عليها حين استولى عليها أمير المسلمين عبد المؤمن بن علي رجلا يقال له يوسف ابن مخلوف فثار عليه أهل المرية وقلوه وقدموا على أنفسهم الرميى فأخذها النصارى منه عنوة وأحصى عدد من سبي من أبكارها فكان ١٤ ألفاً . قال في النفح : ولما أخذت المرية أقبل إليها السيدان أبو حفص وأبو سعيد ابنا أمير المؤمنين عبد المؤمن فحصر النصارى بها وزحف إليها أبو عبد الله بن مردنيش ملك شرق الأندلس محاربا لها فكانا يقاوتان النصارى والمسلمين داخلا وخارجا . ثم رأى ابن مردنيش العار على نفسه في قتالهما مع كونهما يقاوتان النصارى فارتحل فقال النصارى ما ارتحل ابن مردنيش إلا وقد جاءهم مدد فاصطالحوا ودخل الموحدون المدينة وقد خربت وضعفت إلى أن أحيا رمقها الرئيس أبو العباس احمد بن كمال واشتهر من ولايتها في مدة بني عبد المؤمن في المائة السابعة الأمير أبو عمران بن أبي حفص عم ملك إفريقية أبي زكريا ثم استبد بأمر المرية أحد بني الرميى الذين أخذ النصارى البلدة من جدهم ثم آلت إلى بني الأحمر أصحاب غرناطة . ثم ذهبت فيما ذهب من ملكهم عند ما انطوى بساط الأندلس والله غالب على أمره انتهى ملخصاً وسأني على هذه الوقائع بتفصيل عند ما نصل إلى التاريخ إن شاء الله .

(١) Berja (٢) Dalias عند الاسانيول . وسيأتي ذكر برجة ودلاية .

(٣) لعله يريد الارتفاع والدوران لأنه طريق في الجبال .

(٤) لم نهند إلى معرفة هذه القرية ولا اهتدى دوزي

مصنوع لوقيد النار فيه عند ظهور العدو في البحر^(١) ، ستة أميال ، ومن هذا الطرف إلى مرسى البيرة ٣٢ ميلا ، ومنه إلى قرية « عذرة »^(٢) على البحر ١٢ ميلا . وقرية عذرة مدينة صغيرة لا سوق لها ، وبها الحمام والفندق ، وبها بشر كثير ، وبغربها ينزل نهر كبير ، منبعه من جبل شاير ، ويجتمع بمياه برجه وغيرها فيصب عند عذرة في البحر ، ومن عذرة إلى قرية « بليسانة »^(٣) ٢٠ ميلا ، وهي قرية آهلة على شاطئ البحر ، ومنها إلى « مرسى الفروج »^(٤) ، ١٢ ميلا ، وهو مرسى كالحوط صغير . ومنه إلى قرية « بطرنة »^(٥) ٦ أميال ، وبها معدن التوتية

(١) عند ما ذهبنا من مالقة إلى الجزيرة الخضراء بالسيارة الكهربائية على شاطئ البحر لم نكن نجتاز أكثر من خمسمائة متر حتى نرى برجاً مخروطي الشكل على أكمة مشرفة على البحر أشبه بمنارة مسجد . فهذه الأبراج كانت في القديم توقد في رؤوسها النيران إذا طرق العدو البلاد وكانت تقابلها أبراج في الداخل فتى شاهد الناس النيران خفوا إلى محل الواقعة . وأما البرج الذي يذكره الإدريسي هنا فيقول له الاسبانيول

Puerta elema

(٢) هذه القرية هي المرسى الذي ركب منه أبو عبد الله محمد بن الأحمر آخر ملوك المسلمين في الأندلس قاصداً إلى المغرب فرسى به السفين بمرسى مليلة وهذا حسبا جاء في كتاب « أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر » الذي لم يذكر اسم مؤلفه وقد عثرنا على نسخة منه مطبوعة بمدينة مينيخ الألمانية سنة ١٨٦٣ مع ترجمة ألمانية وحواش للمستشرق الألماني « مارك يوس مولر » وطبعناه مضافاً إلى الطبعة الثانية من كتابنا مختصر تاريخ الأندلس تذييلاً على ترجمتنا « لآخر بني سراج » وقد طبع كتابنا هذا أول مرة سنة ١٣١٥ وثاني مرة سنة ١٣٤٣ وسنأثر عنه وعن « أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر » عند الوصول إلى القسم التاريخي من « الحلل السندسية » لا سيما أن مؤلف هذا الكتاب قد ألفه سنة ٩٤٧ أي قبل تأليف نفح الطيب بنحو من ٩٣ سنة وكان حياً في أثناء الكائنة الأندلسية على أثر سقوط غرناطة واحتضار حشاشة الاسلام في الأندلس كما يظهر من تاريخ كتابه . والاسبانيول يقولون لهذه القرية

Adra القرية

(٣) هي عند الاسبانيول Torre De Melicena

(٤) هو المسمى Castillo De Ferro (٥) هي Paterna عند الأسبان

التي فاقت جميع معادن التوتية طيباً ، ومنها إلى قرية « شلبونة » ^(١) ١٢ ميلا ، ومن شلبونة إلى مدينة المنكب في البحر ٨ أميال . « والمنكب » ^(٢) مدينة حسنة متوسطة كثيرة مصايد السمك ، وبها فواكه جمّة ، وفي وسطها بناء مربع قائم كالصنم أسفله واسع ، وأعلىه ضيق ، وبه حفيران من جانبيه متصلان من أسفله إلى أعلاه وبأزائه من الناحية الواحدة في الأرض حوض كبير يأتي إليه الماء من نهر ميل ، على ظهر قناطر كثيرة معقودة من الحجر الصلد فيصب ماؤه في ذلك الحوض ، ويذكر أهل المعرفة من أهل المنكب أن ذلك الماء كان يصعد إلى أعلى المنار ، وينزل من الناحية الأخرى ، فيجرى هناك إلى رحي صغيرة . كانت . وتبقى موضعه الآن على جبل مطل على البحر . ولا يعلم أحد ما المراد بذلك ؟

ومن مدينة المنكب في البر إلى مدينة أغراطة ٤٠ ميلا ، ومن المنكب على البحر إلى قرية « شاط » ^(٣) ١٢ ميلا ، وبقريّة شاط زبيب حسن الصفة ، كبير المقدار أحمر اللون ، يصحب طعمه مرارة ، ويتجهّز به إلى كل البلاد الأندلسية . وهو منسوب إلى هذه القرية . ومن قرية شاط إلى قرية « طرّش » ^(٤) على ضفة البحر

(١) هي عند الاسبان Salobrena والعرب تقول لها في الغالب « شلوبانية » ونظرا للامالة في لهجة الأندلس فقد يقولون « شلوبينية » وهكذا ضبطها ياقوت في معجم البلدان . وأما لسان الدين بن الخطيب فكتبها بالآلاف لا بالياء وسنذكر وصفه لها وقال ياقوت : هي من أعمال كورة البيرة على شاطئ البحر كثيرة الموز وقصب السكر والشاه بلوط . قال : ينسب إليها أبو علي عمر بن محمد بن عمر الأزدي النحوي إمام عظيم مقيم باشيلية وهو حي أو مات عن قريب أخبرني خبره أبو عبد الله محمد ابن عبد الله المرسى يعرف بأبي الفضل وكان من تلاميذه . اهـ . قلت هو أبو علي الشلوبيني النحوي المشهور وكان يقال له أبو علي الشلوبين وقد مات ياقوت الحموي وهو حي بل أبو علي الشلوبين عاش بعد ياقوت ١٩ سنة لأن ياقوت مات سنة ٦٢٦ والشلوبين مات سنة ٦٤٥ بين يدي حصار الاسبانيول لاشيلية قبل أخذهم أياها بقليل

(٢) يقول لها الاسبانيول Almunécar

(٣) شاط يقول لها الاسبانيول Jete (٤) يقول لها الاسبان Turrox

١٢ ميلا. ومنها إلى قصبة «مرية بلّيش»^(١) ١٢ ميلا، وهو حصن على ضفة البحر صغير المقدار ويصب بمقربة منه في جهة المغرب نهر الملاحه ، وهو نهر يأتي من ناحية الشمال ، فيمرّ بالحمة ، ويتصل باحواز حصن صالحه^(٢) ، فيقع فيه هناك جميع مياه صالحه ، وتنزل إلى قرية «الفشاط»^(٣) وتصب هناك في غربى حصن مرية بلّش في البحر ، ومن مرية باش إلى قرية «الصيرة» ولها طرف يدخل في البحر ، ٧ أميال . ومن طرف قرية الصيرة إلى قرية «بزليانة»^(٤) ٧ أميال .

وهي قرية كالمدينة في مستو من الأرض ، وأرضها رمل ، وبها الحمام والفنادق وشباك يصاد بها الحوت الكثير ، ويحمل منها إلى تلك الجهات المجاورة لها ، ومن برليانه إلى مدينة مالقة^(٥) ٨ أميال ، ومدينة مالقة مدينة حسنة عامرة أهلة ، كثيرة الديار ، متسعة الأقطار ، بهيّة كاملة سنّية ، أسواقها عامرة ، ومتاجرها دائرة ، ونعمها كثيرة ، ولها فيما استدار بها من جميع جهاتها شجر التين المنسوب إلى رية وتينها يحمل إلى بلاد مصر والشام والعراق ، وربما وصل إلى الهند ، وهو من أحسن التين

(١) ان دوزى يرى في لفظة « مرية » عند عرب الأندلس معنى البرج الذى « يرى » منه أو الذى توقد فيه النار إذا طرق العدو . فقول الادريسي « مرية بلش » معناه البرج الخاص بهذا الأمر من ابراج بلش البحرية ويستشهد على صحة رأيه بقول البكرى « مرية بجانة » وأما بلش هذه فهي بلش مالقة ويقال لها عند الاسبان Velez ويقال لهذه المرية Torre Del Marre

(٢) الاسبان يسمونه Saliha أو Zalia وقد خرب من بعد جلاء العرب عن غرناطة .

(٣) Al - Fachat

(٤) بزليانة عند الاسبانول Las Ventas De Mesmiliana

(٥) قال عنها ابن الخطيب فى « معيار الاخبار » ما أقول فى الدرّة الوسيطة وفردوس هذه البسيطة أشهد لو كانت يوماً لكانت عيداً فى الأيام تبعث لها بالسلام مدينة السلام وتلقى لها يد الاستسلام محاسن بلاد الاسلام أى دار وقطب مدار وهالة أبدار وكثر تحت جدار الخ ، ويكتبها الاسبان Malaga وسيأتى وصفها مشبعاً

طيباً ، وعذوباً ، ولمدينة مالقة ربضان كبيران . ربض « فنتالة » ^(١) وربض « التبانين » ^(٢) وشرب أهلها من مياه الآبار ، وماؤها قريب الغور ، كثير عذب ، ولها واد يجرى في أيام الشتاء والربيع ، وليس بدائم الجرى . وسندكرها بعد هذا بحول الله تعالى وقوته .

ولنرجع الآن إلى ذكر مدينة المرية فنقول : ان الطريق من مدينة المرية الى اغرناطة البيرة ، فمن أراد ذلك خرج من المرية إلى « بجانة » ^(٣) ستة أميال ، ومدينة بجانة كانت المدينة المشهورة قبل المرية ، فانتقل أهلها إلى المرية ، فعمرت وخربت بجانة ، فلم يبق منها الآن إلا آثار بنيانها ، ومسجد جامعها قائم بذاته ، وحول بجانة Pechina جنات و بساتين ، ومتنزّهات وكروم ، وأموال كثيرة لأهل المرية وعلى يمين بجانة ، وعلى ستة أميال منها « حصن الحمة » ^(٤) والحمة في رأس جبل ويذكر المتجولون في أقطار الأرض أن مامثل هذه الحمة في المعمور من الأرض وأتقن منها بناء ولا أسخن منها ماء ، والمرضى والمعلّون يقصدون إليها من كل الجهات فيلزمون المقام بها إلى أن تستقلّ عليهم ، ويشفوا من أمراضهم وكان أهل المدينة في أيام الربيع يدخلون اليها مع نساءهم وأولادهم باحتفال من المطاعم والمشارب والتوسع في الاتفاق وربما بلغ المسكن بها في الشهر ثلاثة دنانير مرابطية ، وأكثر وأقل . وجبال هذه الجهة كلها حصصٌ يحتقر ويحرق ، وينقل إلى المرية ، وبه جميع عقد بنيانهم وتخصيصهم ، وهو بها وعندهم كثير ، رخيص لكثرتهم . ومن مدينة بجانة إلى قرية « بني عبدوس » ^(٥) ٦ أميال ، ومنها إلى حصن « مندوجر » ^(٦) ٦ أميال ، وبه المنزل

(١) ربض فنتانة في مالقة يقول له الاسبانيول Fontanella

(٢) ربض التبانين أى أصحاب التبن

(٣) Bachana أو Bechina

(٤) الحمة التى هى هنا هى Al Hamma

(٥) بنى عبدوس يكتبها الأسبانيول Benabdoux (٦) Monto - jar

لمن خرج من المرية ، وهى مرحلة خفيفة . وحصن مندوجر على جبل تراب أحمر ، والجبل على ضفة نهر ، والمنزل فى القرية منها ، ويبيع بها للمسافرين الخبز والسمك ، وجميع الفواكه ، كل شىء منها فى إبانة . ثم إلى حمة « غشّر » ^(١) ثم إلى الحمة المنسوبة إلى « وشتن » ^(٢) ، ومنها إلى « مرشانة » ^(٣) ، وهو على مجتمع النهرين ، وهو من أمنع الحصون مكاناً ، وأوثقها بنياناً ، وأكثرها عمارة ، ومنها إلى قرية « بلذوذ » ^(٤) ، ثم إلى « حصن القصير » ^(٥) ، وهو حصن منيع جداً ، على قم مضيق فى الوادى ، وليس لأحد جواز إلا بأسفل هذا الحصن ، ومنه إلى خندق « فير » ^(٦) ، ثم إلى « الرتبة » ^(٧) ، ثم إلى قرية « عبله » ^(٨) ، وبها المنزل . ومن قرية عبله إلى حصن « فنيانة » ^(٩) ، ثم إلى قرية « حنصل » ^(١٠) ، ثم إلى أول فحس عبله ، وطول هذا الفحص ١٢ ميلاً ، وليس به عوج ولا أمت ، وعن شمال المارّ جبل شلير الثلج ، وفى حضيض هذا الجبل حصون كثيرة ، منها حصن « فريرة » ^(١١) ينسب إليها الجوز ، وذلك أن بها من الجوز شيئاً ينفرط فى غير رضى ولا يعدله فى طعمه شىء . من الجوز من غيرها من الأقطار

ومن حصن هذا الجبل حصن « دِلر » ^(١٢) ، وبه من الكثرى كل عجيبة ، وذلك أن الكثرى به يكون منها فى وزن الحبة الواحدة رطل أندلسى ، وأما الأعم

(١) هذه الحمة عرفها دوزى بأنها حمة أوجيجر Hamma Ujjar

(٢) أما حمة « وشتن » فلم يعرفها ورجح تصحيف الاسم

(٣) Merchena قال فى دليل بديكر : مرشانة مدينة قديمة جداً أهلها اليوم ١٢ ألف

نسمة مبنية فى مكان مرتفع حولها أسوار مشعثة فيها قصور أدواق أركوس « اركش » وهى ملقى خطى الحديد بين غرناطة واشيلية

(٤) هى بالأسباني Bolud (٥) Al - Kosaïr

(٦) خندق فير هو Fabair

(٧) Arrataba (٨) Abia (٩) Finana

(١٠) Conçol (١١) Ferreira (١٢) Dilar

منها فكثرتان في رطل واحد ، ولها مذاق عجيب . ومن آخر فحص عبلة إلى خندق آش ، ثم إلى مدينة وادي آش ^(١) وهي مدينة متوسطة المقدار ، ولها أسوار محدقة ، ومكاسب مؤنقة ، ومياه متدفقة ، ولها نهر صغير دائم الجرى ، ومنها إلى قرية « دشمة » ^(٢) وبها المنزل . ومنها إلى « الرتبة » ثم إلى قرية « أفرافيدة » ^(٣) ثم إلى قرية « ود » ^(٤) وهي قرى متصلة . ومنها إلى مدينة أغرناطة ٨ أميال . ومدينة وادي آش رصيف يجتمع به طرق كثيرة ، فمن أراد منها مدينة بسطة خرج منها إلى جبل عاصم ^(٥) ثم إلى قرية . . . إلى مدينة بسطة ^(٦) وبينهما ٣٠ ميلا . ومدينة بسطة متوسطة المقدار ، حسنة الموضع ، عامرة آهلة . لها أسوار حصينة ، وسوق نظيفة وديار حسنة البناء ، رائقة المغنى . وبها تجارات وفعالة لضروب من الصناعات ، وعلى

(١) Guadix وهي من مشهورات مدن الاندلس قال عنها لسان الدين : هي مدينة الوطن ومناخ من عبر أو قطن للباس ماطهر والله ما بطن وضع شديد وناس شديد ومعدن حديد ومحل عدة وعديد وبلد لا يعتل فيه إلا النسيم ومرأى ينجل منه الصباح الوسيم كثيرة الجداول والمذاب مخضرة الجوانب إلى الفواكه الكثيرة والكروم الاثيرة والسقى الذى يسد الخلة ويضاعف الغلة وسندها (مكان من جملها وسند الجبل هو مادنا منه) معدن الحديد والحديد ومعقلها أهل للناج والسرير وهي دار حساب وارث واكتساب وماؤها مجاج الجليد وهوؤها يذكي طبع البليد إلا أن ضعيفها يضيق عليه المعاش وناقها يتعذر عليه الاتعاش وشيخها يخطو على قصبة الارتعاش فهي ذات برد وعكس وطرده الح وسنى إن شاء الله بوصفها

(٢) هي دجمة أو دشمة لا فرق كما يقال أرجدونة وارشدونة والاسبان

يكتبونها Déchima (٣) Atraferida

(٤) هي بالاسبانيولى Wod

(٥) لم يعرفه دوزى ولا نحن عرفنا عنه إلا أنه جبل عاصم .

(٦) يورا : بروا : فروا : بروه غير محقق هذا الاسم

(٧) الاسبانيول يقولون بازه Baza وهي مدينة قديمة وقد ازدهرت كثيرا في

أيام العرب وسكانها الآن ١٤ ألف نسمة قال لسان الدين عن هذه البلدة : « بسطة بلد

مقربة منها حصن « طشكر »^(١) الذى فاق جميع حصون الأندلس منعة ، وعلواً ورفعة ، وطيب تربة وهواء . وليس لأحد موضع يصعد منه الى هذا الحصن إلا موضعان ، وبين الموضع والموضع ١٢ ميلاً ، على طرق مثل شراك النعل ، ومدارج النمل ، وبأعلاه الزرع والضرع والحصاد والمياه ، واليه الانتهاء فى الحصب وجودة الحصانه . وكذلك من وادى آش إلى جيان ثلاث مراحل خفاف

ومدينه جيان^(٢) حسنة كثيرة الحصب ، رخيصة الأسعار ، كثيرة اللحوم والعسل ، ولها زائد على ثلاثة آلاف قرية كلها يربى بها دود الحرير ، وهى مدينة كثيرة العيون الجارية تحت سورها ، ولها قصبة من أمنع القصاب وأحصنها يرتقى اليها على طريق مثل مدرج النمل ، ويتصل بها جبل « كور »^(٣) . وبمدينة جيان

خصيب ومدينة لها من اسمها نصيب (أى بسطة) دوحها متدللد وطيب هوائها غير متبدل وناهيك من بلد اختص أهله بالمران فى معالجة الزعفران وامتازوا به عن غيرهم من الخيران يتخلل مدينتها الجدول المتدافع الناقع للغال النافع ، ثياب أهلها بالعير تتأرجح وحوورها تتجلى وتتبرج وولدائها فى شط أنهارها المتعددة تتفرج ولها الفحص الذى يسافر فيه الطرف سعياً ولا تعدم السائمة به رياء ولا رعباً والله در القائل :

فى بلدة عودت نفسى بها إذ فى اسمها طه وياسين

الجأنى الدهر إلى عالم يؤخذ منه العلم والدين

إلا أن تربتها تفضح البناء ، وإن صحبه الاعتناء ، فأسوارها تسجد عند الإقامة ، وخذلها لا كسارها تلقامة ، ورياحها عاصفة ، ورعودها قاصفة ، والعدو فيها شديد الفتكات ، معمل الحركات ، وساكنها دائم الشكاة ، وحدها قليل ، وعزيزها لتوقع المكروه ذليل اه قال هذه الجمل الاخير لانها يوم وصفها ابن الخطيب كانت ثغر آمن ثغور غرناطة . وفتحها فرديناند وايزابلا سنة ١٤٨٩ قبل فتحهما غرناطة باربع سنوات ولا تزال المدافع التى فتحها بها معروضة وكنيستها صان مكسيمو هى فى مكان المسجد الجامع ولا تزال آثار القصر العربى دار الحكومة ماثلة والخط الحديدى يمر منها إلى وادى آش بين شاربات بسطة وجبلكون ويدور حتى لا ينزل إلى الوادى العميق المسمى بالغور Gor (١) يقول له الاسبانيول Tixcar (٢) سيرد ذكرها والاسبانيول يقولون

ليان خيان على عادتهم فى قلب الجيم خاء (٣) Cour

بساتين وجنات ، ومزارع وغللات القمح والشعير والباقلأ وسائر الحبوب ، وعلى ميل منها نهر « بلون » ^(١) وهو نهر كبير ، وعليه أرحاء كثيرة جداً ، وبها مسجد جامع وجلة وعلماء . ومن مدينة جيان إلى مدينة « يياسة » ^(٢) ٢٠ ميلا ، ويياسة تظهر من جيان ، وجيان تظهر من يياسة ، ويياسة على كدية ^(٣) تراب مطلة على على النهر الكبير المنحدر إلى قرطبة ، وهي مدينة ذات أسوار وأسواق ومتاجر ، وحولها زراعات ، ومستغلات الزعفران بها كثيرة . ومنها إلى « أبدة » ^(٤) في جهة الشرق ٧ أميال وهي مدينة صغيرة ، وعلى مقربة من النهر الكبير ، لها مزارع وغللات قمح وشعير كثيرة جداً ، وفيما بين جيان وبسطة ووادي آش حصون كثيرة ، عامرة بمدنة آهلة ، لها خصب وغللال نافعة كثيرة ، فمن ذلك أن بشرق جيان وقبالة يياسة حصناً عظيماً يسمى شوذر (Joder) وإليه ينسب الحلاط الشوذري ^(٥) ومنه في الشرق إلى حصن « طوية » ^(٦) ١٢ ميلا ، ومنه إلى حصن « قيشاطة » ^(٧) وهو حصن كالمدينة له أسواق وربض عامر ، وحمام وفنادق ، وعليه جبل يقطع به من الخشب التي تخرط منه القصاع والمخابي والأطباق وغير ذلك ، مما يعم بلاد الاندلس وأكثر بلاد المغرب أيضاً . وهذا الجبل يتصل ببسطة . وبين جيان وهذا الحصن مرحلتان ، ومنه إلى وادي آش مرحلتان ، ومنه إلى أغرناطة . مرحلتان ومن وادي آش المتقدم ذكرها إلى أغرناطة ٤٠ ميلا

(١) Guadabellon

(٢) والاسبانيول يكتبونها Baeza وسيأتي ذكر هذه المدن كلها

(٣) العرب يقولون كدية للتراب الغليظ الصلب

(٤) Ubeda بلدة قديمة من زمن اليبيريين لكنها الآن ساقطة

(٥) لم يعرف دوزي ماهو الحلاط الشوذري ؟ ولا نحن عرفناه إلا أن يكون

محرفاً عن الخليط وهو شراب من تمر وزبيب ويكون أهل هذا البلد يتقنونه فاشتهر بهم

(٦) Toyo (٧) بالاسبانيولي « كيساده » Quesada والخط الحديدي

يمتد من يياسة إلى أبدة إلى شوذر إلى قيشاطة

ومدينة اغرناطة محدثة من أيام الثوار بالأندلس ، وإنما كانت المدينة المقصودة البيرة (Vera) ، فخلت وانتقل أهلها إلى اغرناطة ، ومدّنها وحصّن أسوارها وبنى قصبتها حيّوس الصنهاجي ^(١) ، ثم خلفه ابنه بادس بن حيّوس ، فكمّلت في أيامه وعمرت إلى الآن . وهي مدينة يشقها نهر يسمّى « حدرو » ^(٢) وعلى جنوبها نهر الثلج المسمى « شنيل » ^(٣) ومبدأه من جبل شلير ، وهو جبل الثلج ، وذلك أن هذا الجبل طوله يومان وعلوه في غاية الارتفاع ، والثلج به دائماً في الشتاء والصيف : ووادي آش واغرناطة في شمالي الجبل ، ووجه الجبل الجنوبي مطل على البحر ، يرى من البحر على مجرى (... بياض بالأصل) ونحوه وفي أسفله من ناحية البحر برجة ودلاية ، وقد ذكرناها في ما سبق . ومن أغرناطة إلى مدينة المنكب على البحر ٤٠ ميلا ، ومن أغرناطة إلى مدينة « لوشة » ^(٤) مع جرية النهر ٢٥ ميلا . ومن المنكب إلى مدينة المريّة ١٠٠ ميل في البحر ، ومن المنكب إلى مدينة مالقة ٨٠ ميلا .

ومدينة مالقة مدينة حسنة حصينة ويعلوها جبل يسمّى جبل « فأره » ^(٥) ، ولها قصبة منيعة وربضان ، لأسوارها ، وبها فنادق وحمامات ، وبها من شجر التين ما ليس بأرض ^(٦) ، وهو التين المنسوب إلى ريّة . ومالقة قاعدة ريّة ، ومن مالقة

(١) سيّاتي خبره في باب التاريخ .

(٢) الاسبانيول يقولون له « دررو » Darro ، (٣) Xenil

(٤) الاسبانيول يقولون : لوجه ويسمونها بسان فرنسيسكو وموقعها جميل في سفح جبل على الضفة الجنوبية من نهر شنيل وكانت أعمر مما هي الآن في أيام العرب وكان يقال أن لوشة والحة هما مفتاحا غرناطة . وقد استولى فرديناند وايزابله على لوشة بمساعدة جيش من الانكاز وذلك سنة ١٤٨٨ ولا تزال في لوشة بقايا آثار العرب

(٥) الاسبانيول يقولون للاكة التي عليها حصن مالقة Gibrai - Faro وليس بينه وبين البحر إلا مسافة أمتار معدودة وقد صعدت إلى هذا الحصن ورأيت لا يزال على ما كان أيام العرب . (٦) قال الشاعر :

مالقة حيث يا تينها السفن من أجلك يا تينها

(٩ - ج أول)

إلى قرطبة في جهة الشمال أربعة أيام ، ومن مالقة أيضاً إلى غرناطة ٨٠ ميلا . ومن مالقة إلى الجزيرة الخضراء مائة ميل ، ومن مالقة إلى اشبيلية خمسة مراحل ، ومن مالقة إلى « مَرْبَلَّة » ^(١) في طريق الجزيرة الخضراء ٤٠ ميلا ، ومَرْبَلَّة مدينة صغيرة متحضرة ، ولها عمارات وأشجار تين كثيرة ، وفي الشمال منها قلعة « بُبْشْتَر » ^(٢) ، وهي قلعة في نهاية الامتناع والتحصين ، والصعود إليها على طريق صعب .

وأما ما بين مالقة وقرطبة من الحصون المانعة التي هي حواضر في تلك النواحي فمنها مدينة « ارشذونه » ^(٣) و « انتقيرة » ^(٤) ، وبينها وبين مالقة ٣٥ ميلا . وكانت ارشذونه هذه وانتقيرة مدينتين أخلتها الفتن في زمان الثوار بالأندلس . بعد دولة ابن أبي عامر القائم لدولة بني أمية . ومن ارشذونه إلى حصن « اثير » ^(٥) ٢٠ ميلا وهو حصن حسن حصين ، كثير العمارة أهل ، وله سوق مشهورة ، ومنه إلى باغُه ^(٦) ١٨ ميلا ، وباغُه مدينة صغيرة القدر ، لكنها في غاية الحسن . لكثرة مياهها ،

نهي طبيبي تنه في علقى ما لطبيبي عن حياتى نهى !

(١) هي Marbella على الطريق بين مالقة والجزيرة الخضراء وقد قطعنا هذه الطريق بالسيارة الكهربية والذي أتذكره أننا بقينا ست ساعات من مالقة إلى الجزيرة

(٢) يقول لها الاسبانيول Barbaxter أو Bobastro

(٣) وقد يكتبها العرب بالجيم أى أرجدونة وهكذا جاءت في معيار الاختبار ، لابن الخطيب الذي هجاها هجواً مرأ فقال : شر دار ، وطلل لم يبق منه الا جدار ، وقومها ذوو بطر وأشر ، وشيوخها تيوس في مسالخ البشر ... الخ

(٤) Ontequera بلدة في سفح شارات توركالس بديعة الموقع وهي بلدة زراعية فيها من السكان ٢٣ ألفا وفي رأسها حصن عربي قديم وفيها برج يسمى اليوم بلوطة وبقرّب هذه البلدة كانت الواقعة التي هزم فيها أبو عبد الله الزغل سلطان غرناطة جيشا اسبانيولياً بقيادة سيفوتنس وأغيلار وذلك سنة ١٤٨٣ .

(٥) الاسبانيول يكتبون هذا الاسم هكذا : Isnajar

(٦) اسم هذه البلدة في القديم ايباغوم Epagnum والعرب كانوا يقولون لها باغه والاسبانيول اليوم يقولون لها Priego

والماء يشق بلدها ، وعليه الارحاء داخل المدينة ، ولها من الكروم والأشجار ما لا مزيد عليه ، وهي في نهاية الخصب والرخاء . ويلبها في جهة المشرق الحصن المسمى « بالقبذاق » ^(١) وبينهما مرحلة خفيفة ، وحصن القبذاق كبير عامر ، وهو في سفح جبل ينظر إلى جهة الغرب ، وبه سوق مشهورة ، ومنه إلى حصن « بيانة » ^(٢) مرحلة صغيرة ، وبيانة حصن كبير في أعلى كدية تراب ، قد حُفَّت بها أشجار الزيتون الكثيرة ، ولها مزارع الحنطة والشعير . ومن حصن بيانة إلى « قبرة » ^(٣) مرحلة خفيفة . وحصن قبرة كبير كالمدينة حصين المسكان ، وثيق البنيان ، وهو على متصل أرض وطيئة وعمارات ومزارع . ومنه إلى مدينة قرطبة ٤٠ ميلا ، ويتصل به بين جنوب وغرب مدينة « اليسانة » ^(٤) وهي مدينة اليهود ، ولها ربض يسكنه المسلمون وبعض اليهود ، وبه المسجد الجامع ، وليس على الربض سور ، والمدينة مدينة منحصنة بسور حصين ، ويطوف بها من كل ناحية حفير عميق القعر والسروب ،

(١) بالاسبانيولى Alcabdzac ويقولون أيضا Alkaudette

(٢) إذا جاء المسافر من جيان إلى غرناطة بالسيارة مر بوادي « غواردية » الذي هو إلى الجنوب الشرقي ثم أنه يمر بشارت « اليسانة » ثم بشارت الأنوار حيث هناك منظر جميل من جهة جل الثلج شلير ثم يمر بشارت البيرة حتى ينتهي إلى مرج غرناطة وأما الخط الحديدي فيمر بغياض الزيتون الخاصة بجيان وينتهي إلى بلدة يقال لها الدون جيمينو ثم يصل إلى « مرتوس » ثم إلى بلدة يقال لها « الكوديت » (ويقال لها القبذاق) ثم يمر بالناحية التي يسقيها وادي الحوز Guadajoz ثم يصل إلى « لك » وه بيانة ، Luque - Baena فلك هي Luque قرية إلى الشمال وأما بيانة Baena فهي إلى الجنوب وهي بلدة سكانها ١٥ ألفاً . ومن هناك يمر الخط يبلدة « قبرة » ، Cabra وأصل اسمها في القديم « ايغابروم » Igabrum وسكانها ١١ ألف نسمة وموقعها جميل وهي على الصبب الشمالي من شارات قبرة . ثم يقطع الخط نهر قبرة وشاراتها فيصل إلى اليسانة Lucena وهي اليوم بلدة سكانها ٢١ ألفاً

(٣) تقدم ذكر « قبرة » مع بيانه واليسانة .

(٤) تقدم ذكرها في هذه الصفحة نفسها

وقائض مياهها قد ملأ الحفير ، واليهود يسكنون بجوف المدينة ، ولا يداخلهم فيها مسلم البتة وأهلها أغنياء مياسير ، أكثر غنى من اليهود الذين بسائر بلاد المسلمين ، ولليهود بها تحذّر وتحصن من مضدّهم . ومن اليسانة إلى مدينة قرطبة ٤٠ ميلاً ، وبلى هذه الحصون حصن « بُلاى » ^(١) Aguilar De La Frontera وحصن « مُنْتُرُك » ^(٢) وهى فى ذاتها حصون يسكنها البربر من أيام الأمويين ، ومن حصن بُلاى إلى مدينة قرطبة ٢٠ ميلاً ، وبالترب من بُلاى حصن « شنت » ^(٣) ياله « وهو حصن على مدّرة ، والماء منه بعيد . ومنه إلى استجة » ^(٤) فى الغرب ١٥ ميلاً . ومن حصن شنت ياله

(١) وهو Aguilar De La Frontera

(٢) يقول الأسبانيول لهذا الحصن Monturque

(٣) Santa Ella

(٤) الأسبانيول يقولون اسبجه Ecija والخط الحديدى يخرج من قرطبة إلى وادى الجوز Guadajoz ثم إلى وادى القصر ، ثم إلى كزلوطه ، ثم إلى استجة التى هى على ٥٦ كيلو متراً من قرطبة وكان الرومان يقولون لها استيجى Astigi وكان لها عظمة فى زمان الرومانيين وأما الآن فهى بلدة صناعية سكانها ٢٢ ألف نسمة وشوارعها لا تزال ضيقة كشوارع المدن العربية وحرها شديد فى الصيف وهذا هو السبب فى ضيق شوارعها . وأما ضواحيها فملى خصب عظيم وعلى مقربة منها بلدة يقال لها « لويزيانة » ثم إن الخط الحديدى على مائه كيلو متر من قرطبة يصل إلى مدينة « مرشانة » Marchena وهى بلدة قديمة جداً مبنية على محل عال وحوّلها أسوار وعلى ١٠٨ كيلومترات بلدة يقال لها « بردى » Paradas وبعدها بلدة يقال لها الرحل Arahah وعلى مسافة ١٢٨ كيلومتراً يصل الخط إلى « مورور » وهى على وادى ياره ، ويوجد بقرب شارح مورور حصن عربى ومقاطع للبرمر . ثم يصل الخط إلى أتريرة Utrera ثم إنه من أشيلية إلى أتريرة يقطع وادى ياره Guadaira بازاء الوادى الكبير فيمر بمكان يقال له حصن الفرح Aznalfarache ثم ببلدة « كورية » ، وأما أتريرة فبلدة فيها ١٥ ألف نسمة أهلها زراعى ورعاة أغنام . ومن أتريرة يذهب الخط فى سهول الوادى الكبير فيمر ببلدة يقال لها « قنطرلة » ، ثم ببلدة يقال لها عند الأسبانيول « لبريجه » ، وكان العرب يقولون لها « نبريشة » ، وأهلها ١١ ألف

إلى قرطبة ٢٣ ميلا . ومدينة استجة على نهر أغرناطه المسمى شنيل وهي مدينة حسنة ولها قنطرة عجيبة البناء من الصخر المنجور ، وبها أسواق عامرة ، ومتاجر قائمة ، ولها بساتين وجنات ملتفة ، وحدائق زاهية . ومن استجة إلى قرطبة ٣٥ ميلا ومن استجة في جهة الجنوب إلى حصن اشونة ^(١) نصف يوم . وحصن أشونة حصن ممدّن كثير الساكن ومنه إلى « بلشانة » Belicena ومدينة بلشانة Belicena حصن كبير عامر ، له حصانة ووثاقة . يحيط به شجر الزيتون . ومن استجة إلى مدينة قرْمُونِه Carmona ٤٥ ميلا ، وهي مدينة كبيرة يضاهي سورها سور اشبيلية وكانت فيما سلف بأيدي البرابر ، ولم يزل أهلها أبداً أهل نفاق ، وهي حصينة على رأس جبل حصين منيع ، وهي على فحس ممتد ، جيد الزراعات ، كثير الاصابة في الحنطة والشعير ومنه في الغرب إلى اشبيلية ١٨ ميلا ، وقد ذكرنا اشبيلية فيما سبق . ومن مدينة قرْمُونِه إلى شريش Jerez من كورة شذونه Sidonia ٣ مراحل . وكذلك من مدينة اشبيلية إلى شريش مرحلتان كبيرتان جداً

نسمة ولها كنيسة أصلها جامع . ومنها يمر المسافر بمكان يقال له الكرفو Elcurvo فيرى آثار حصن عربي قديم يقول له الأسبانيول « ملغاريجو » Melgarejo ومن هناك يصل إلى « شريش » والأسبانيول يسمونها خريس Jerez وذلك لأنهم يلقبون الجيم والشين خاءاً وسيأتى الكلام على شريش في مكانه

(١) عند الأسبانيول أوسينا Ossuna يخرج المسافر من قرطبة بالقطار الحديدى القاصد إلى مالقة فيمر على جسر فوق الوادى الكبير طوله ٢٠٠ متر ويخترق ناحية « كامبينا » Campina التى يسقيها وادى الجوز وبعد مسافة ٥٠ كيلو مترا يمر ببلدة « ممتيلة » Momtilla ثم ببلدة « منت ميور » Montemayor ثم يتقدم إلى مدينة « اغيلار » Agiler وفيها حصن عربى هو حصن بلاى ثم يمر على بحيرتين اسم إحداهما « زونار » والأخرى « رينكون » وبالقرب منهما حصن عربى قديم وعلى مسافة ٧٦ كيلو متراً بلدة « بنت شنيل » وعلى مسافة ١٠٠ كيلو متر بلدة الروضة Roda وفيها ملقى الخططين الحديدين خط غرناطة - مالقة وخط اشبيلية - قادس . وكل هذه النواحي ملائى بشجر الزيتون ومن الروضة يذهب الخط الحديدى إلى مرشانة ثم إلى أشونة وهي بلدة رومانية قديمة أعطاها قيصر حقوق المدن الرومانية

ومدينة شريش متوسطة حصينة مسورة الجناات ، حسنة الجهات ، وقد أطافت بها الكروم الكثيرة ، وشجر الزيتون والتين ، والحنطة بها ممكنة ، وأسمارها موافقة ومن شريش إلى جزيرة فادس Cadix ١٢ ميلا فن شريش إلى القناطر ٦ أميال ، ومن القناطر إلى جزيرة فادس ٦ أميال ، ومن اشبيلية المتقدم ذكرها إلى قرطبة ٣ مراحل ولها ٣ طرق طريق « الزنجيار » Az - Zambadjar وطريق « لورة » Lora وطريق الوادي ، فأما طريق الزنجيار فقد ذكرناها ، وهي من اشبيلية إلى قرمونة مرحلة . ومن قرمونة إلى استجة مرحلة . ومن استجة إلى قرطبة مرحلة . وأما طريق لورة فن اشبيلية إلى منزل « أبان » Aban ثم إلى « ماراش » Marlich ثم إلى حصن « القليعة » Coléa وبه المنزل ، وعند مسيرك من مرلس إلى القليعة تبصر حصن قطنيانه Cantillanna على الشمال والمنزل القليعة وهي ضفة النهر الكبير ، يجاز إليها في المركب ، ومن حصن القليعة إلى الغيران^(١) إلى حصن لورة ، وهو يعد عن الطريق نحو رمية سهم ، وعلى يمين المار حصن كبير عامر ، على ضفة النهر الكبير ، ومن لورة إلى قرية « صدف »^(٢) ويقابلها على يسار السالك على جبل عال حصن منيع ، وقلة متحصنة تسمى « شنت فيكة »^(٣) وهي معقل للبربر من قديم الزمان .

(١) هذه التي يقول لها ابن حوفل « غرغرة » ،

(٢) الصدف ككتف بطن من كندة قال الزبيدي في تاج العروس في شرح القاموس : ينسبون اليوم إلى حضرموت وإذا سبت اليهم قلت هو صدفى حركة كراهة الكسرة قبل ياء النسب قاله ابن دريد وأشد :

يوم لمدان ويوم للصدف ولقيم مثله أو تعترف

وقال غيره : هو صدف بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن حيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حير ابن سبأ . وينسب إليه خاق من الصحابة وغيرهم وقد نزلوا بمصر واختلطوا بها ومنهم يونس بن عبد الأعلى الصدفى وغيره اه . وهذه القرية في الأندلس نزلها أناس من الصدف وعمرت بهم فقليل لها الصدف

(٣) الاسبانول يقولون لها : Siete Filla

ومن صدف إلى قلعة « ملبال » ^(١) وهى على نهر ملبال وهو نهر مدينة « فرنجلوش » ^(٢) ومن هذه القنطرة إلى مدينة فرنجلوش ١٢ ميلا . ومن القنطرة إلى قرية « شوشيل » ^(٣) وهى قرية كبيرة على نهر قرطبة المسمى بالنهر الكبير ، ومنها إلى « حصن مُراد » ^(٤) وبه المنزل ، ومن حصن مراد إلى الخنادق إلى حصن المدور ، ثم إلى السوانى ^(٥) ثم إلى قرطبة ، وهى المنزل . وبين أشبيلية وقرطبة ٨٠ ميلا على هذا الطريق ، ومن حصن المدور الذى ذكرناه إلى فرنجلوش ١٢ ميلا ، وهى مدينة حصينة منيعة ، كثيرة الكروم والأشجار ، ولها على مقربة منها معادن الفضة ، بموضع يعرف بالمرج ، ومنها إلى حصن « قسنطينة » ^(٦) الحديد ١٦ ميلا ، وهذا الحصن حصن جليل ، عامر أهل ، وبجباله معادن الحديد الطيب المتفق على طيبه وكثرته ، ومنه يتجهز إلى جميع أقطار الأندلس ، وبقرية منه حصن « فرّيش » ^(٧) وبه مقطع للرخام الرفيع الجليل الخطير ، المنسوب إليه ، والرخام الفريشى أجل الرخام بياضاً وأحسنه ديباجا ، وأشدّه صلابة ، ومن هذا الحصن إلى « جبل العيون » ^(٨) ٣ مراحل خفاف ، ومن شاء المسير إلى قرطبة أيضاً من إشبيلية ركب المراكب ، وسار صاعداً فى النهر إلى أرحاء « الدرّادة » ، إلى عطف منزل « ابان » ، إلى « قطنيانة » ، إلى « لورة » ، إلى حصن « الجرف » ، إلى « شوشيل » ، إلى

(١) لم يعرفها دوزى ولا عرفناها نحن

(٢) الاسبانيول يقولون لفرنجلوش Hornachuelos

(٣) Chouchabil

(٤) هذا الحصن اسمه عند الاسبان Mratalla

(٥) الاسبانيول أخذوا لفظة السانية فيما أخذوه من لغة العرب وهى الآلة الرافعة

للواء وأصلها العرب مع أدواته والسانية أيضاً الناقة يستقى عليها من البئر من فعل سنا ارتفع ويقال أيضاً سنوت الباب فتحته . والاسبانيول يكتبون السانية : Acéna

(٦) قسنطينة الحديد Constantine De Fer

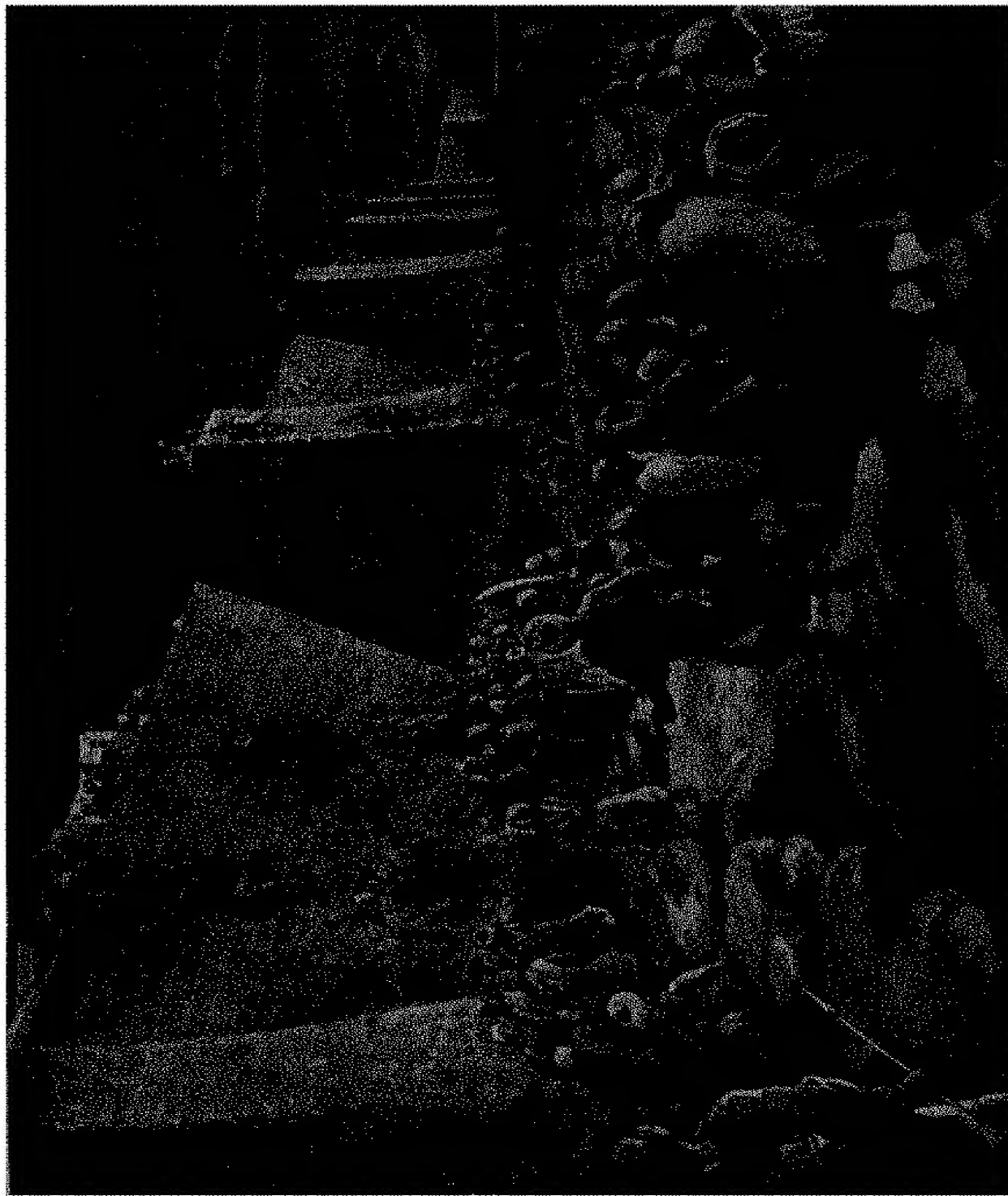
(٧) Firriche (٨) Gibraléone

موقع نهر « ملبال » ، إلى حصن « المدور » ، إلى « وادى الرمان » ، إلى أرحاء « ناصح » ^(١) إلى قرطبة ، ومدينة قرطبة قاعدة بلاد الأندلس ، وأم مدنها ، ودار الخلافة الاسلامية .

وفضائل أهل قرطبة أكثر وأشهر من أن تذكر ، ومناقبهم أظهر من أن تستر ، وإليهم الانتباه ، فى السناء والبهاء ، بل هم أعلام البلاد ، وأعيان العباد ، ذكروا بصحة المذهب ، وطيب المكسب ، وحسن الزى فى الملابس والمراكب ، وعلو الهمة فى المجالس والمراتب ، وجميل التخصص فى المطاعم والمشارب ، مع جميل الخلائق ، وحميد الطرائق ، ولم تخل قرطبة قط من أعلام العلماء ، وسادات الفضلاء ، وتجارها مياسير ، لهم أموال كثيرة ، وأحوال واسعة ، ولهم مراكب سفينة ، وهم عليّة ، وهى فى ذاتها مدن خمس ، يتلو بعضها بعضاً ، بين المدينة والمدينة ، سور حاجز ، وفى كل مدينة ما يكفيا من الأسواق والفنادق والحمامات وسائر الصناعات ، وفى طولها من غربتها إلى شريقها ٣ أميال ، وكذلك عرضها من باب القنطرة إلى باب اليهود بشمالها ميل واحد . وهى فى سفح جبل مطلق عليها يسمّى جبل العروس ، ومدنيتها الوسطى هى التى فيها باب القنطرة .

وفىها المسجد الجامع ، الذى ليس بمسجد المسلمين مثله ، بنية وتنميكا ، وطولا وعرضا ، وطول هذا الجامع مائة باع مرسله ، وعرضه ٨٠ باعا ^(٢) ، ونصفه مسقف

(١) Nacih (٢) يقول دوزى نقلا عن لابورد Laborde فى كتابه « وصف أسبانية » : Description De L'Espagne : إن طول مسجد قرطبة فى حاله الحاضرة هو ٦٢٠ قدماً وعرضه ٤٤ قدماً وهكذا قرر ماندوس Mandoz فى كلامه عن هذا المسجد . وكان فيه أيام العرب ١٤٠٠ سارية أما الآن فهى ٨٥٠ سارية لا غير كما قال البارون شاك Schack قلت : أخبرنى المهندس هرناندز الذى كان دليلى فى قرطبة بهو من الموكلين بالجامع الأعظم أن طول المسجد هو ١٧٥ متراً وأن عرضه ١٢٥ متراً وأخذ القلم وحسب ذلك بالتريع فوجد أن المسقف والصحن يتسعان لثمانين ألف مصل أما لافى بروفنسال المستشرق الافرنسى صاحب « أسبانية المسئلة



عساكر العرب في حصار فرجانية وهم يستسلمون حصارها سنة ١٩١٢ ب . د .

ونصفه صحن للهواء ، وعدد قسِيّ مُسَقَّفِهِ ١٩ قوساً ، وفيه من السواري ، أغنى سواري مُسَقَّفِهِ ، بين أعمدته ، وسواري قِبَلَتِهِ ، صفاراً وكباراً ، مع سواري القبة الكبرى وما فيها : ألف سارية . وفيه ١١٣ ثُرِيّاً للوقيد ، أكبرها واحدة منها تحمل ألف مصباح ، وأقلها تحمل ١٢ مصباحاً . وسقفه كله سماوات خشب مسمّرة في جوائزسقفه ، وجميع خشب هذا المسجد الجامع من عيدان الصنوبر الطرطوشي^(١)

في القرن العاشر ، فقال إن : طول المسجد هو ١٨٠ متراً وعرضه ١٣٠ وسند كر فيما سيأتي أثناء الكلام على قرطبة كل ما يتعاق بهذا المسجد

(١) الصنوبر الطرطوشي مضرب الأمثال في الصلابة والثبات هذا وقد نقل المقرئ في النسخ كلام الادريسي هنا ملخصاً فقال : وقال بعض المؤرخين حين ذكر قرطبة ما ملخصه : هي قاعدة بلاد الأندلس ودار الخلافة الإسلامية ، وهي مدينة عظيمة وأهلها أعيان البلاد وسراة البلاد في حسن المآكل والمشارب والملابس والمراكب وعلو المهتم وبها أعلام العلماء ، ومسادات الفضلاء ، واجلاد الغزاة وأنجاد الحروب ، وهي في تقسيمها خمس مدن يتلو بعضها بعضاً . وبين المدينة والمدينة سور عظيم حاجز ، وكل مدينة مستقلة بنفسها ، وفيها ما يكفي لأهلها من الحمامات والأسواق والصناعات . وطول قرطبة ثلاثة أميال في عرض ميل واحد . وهي سفح جبل مطل عليها ، وفي مدينتها الثالثة وهي الوسطى القنطرة والجامع الذي ليس في معمور الأرض مثله ، وطوله مائة ذراع في عرض ثمانية . وفيه من الدواري الكبار ألف سارية ، وفيه مائة وثلاثة عشر ثوريا للوقود ، أكبرها تحمل ألف مصباح . وفيه من النقوش والرقوم ما لا يقدر أحد على وصفه . وقبلته صناعات تدهش العقول . وعلى فرجة المحراب سبع قسِيّ قائمة على عمد ، طول كل قوس فوق القامة . قد تحير الروم والمسلمون في حسن وضعها . وفي عضادتي المحراب أربعة أعمدة اثنان أخضران ، واثنان لازورديان . ليس لهما قيمة . لفاستهما ، وبه منبر ليس على معمور الأرض أنفس منه ولا مثله في حسن صنعته ، وخشبه ساج وآبنوس وبقم وعود قافلي ، ويذكر في تاريخ بني أمية أنه أحكم عمله ونقشه في سبع سنين ، وكان يعمل فيه ثمانية صنّاع ، لكل صانع في كل يوم نصف مثقال محمدى ، فكان جملة ما صرف على المنبر لا غير عشرة آلاف مثقال وخمسون مثقالاً . وفي الجامع حاصل كبير ملان

ارتفاع حد الجائزة منه شبر وافر ، في عرض شبر إلا ثلاثة أصابع ، في طول كل

من آنية الذهب والفضة لأجل وقوده ، وبهذا الجامع مصحف يقال إنه عثمانى ، وللجامع عشرون باباً مصفحات بالنحاس الأندلسي ، مخزومة تخريماً عجيباً بديعاً ، يعجز البشر ويهرهم ، وفي كل باب حلقة في نهاية الصنعة والحكمة ، وبه الصومعة العجيبة التي ارتفاعها مائة ذراع بالملكي المعروف بالرشاشي ، وفيها من أنواع الصنائع الدقيقة ما يعجز الواصف عن وصفه ونعته . وبهذا الجامع ثلاثة أعمدة حمر ، مكتوب على الواحد اسم محمد ، وعلى الآخر صورة عصا موسى وأهل الكهف ، وعلى الثالث صورة غراب نوح ، والجميع خلقه ربانية .

وأما القنطرة التي بقرطبة فهي بديعة الصنعة ، عجيبة المرمى ، فاقت قناطر الدنيا حسناً . وعدة قسمها سبعة عشر قوساً سعة كل قوس منها خمسون شبراً ، وبين كل قوسين خمسون شبراً . وبالجملة فمحاسن قرطبة أفضل المحاسن ، وأعظم من أن نحيط بها وصفاً انتهى ما يخصاً وهو وإرتكرك بعضه مع ما قدمته فلا يتخلو من فائدة زائدة والله الموفق وما ذكره في طول المسجد وعرضه مخالف لما مر ، ويمكن الجواب بأن هذا الذراع أكبر من ذلك ، كما أشار إليه هو في أمر الصومعة ، وكذلك ذكره في عدد السواري ، إلا أن يقال : ما تقدم باعتبار الصغار والكبار ، وهذا العدد الذي ذكره هنا إنما هو للكبار فقط كما صرح به والله تعالى أعلم . وأما الثريات فقد خالف في عددها ما تقدم ، مع أن المتقدم هو قول ثقات مؤرخي الأندلس ، ونحن جلبنا النقل من مواضعه وإن اختلفت طرقه ومضموناته انتهى . قلت : أي من قرأ هذا التلخيص ، وكان طالع جغرافية الشريف الإدريسي ، يعلم أن هذا النقل الذي نقله المقرئ ، إنما نقله عنه ولكن ملخصاً كما صرح هو بذلك . ولم نعلم سبب تحامى المقرئ نسبة هذا النقل والتصريح باسم الكتاب الذي نقل عنه . وعلى كل حال فظاهر للعيان أن الكلام ملخص عن نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، غير أنه لا بد هنا من بعض ملاحظات : الأولى أن هناك غلطاً في النسخ ، إما في كتاب الإدريسي أو في كتاب نفح الطيب نفسه ، مثل أن الجامع الأعظم طوله مائة ذراع في عرض ثمانين . والحال أن الإدريسي كما في نسخة باريز ونسخة أو كسفورد لم يقل مائة ذراع ، وإنما قال مائة باع مرسل في ثمانين باعاً . والفرق بين الباع والذراع غير خاف على أحد . وأنه يستحيل قول الإدريسي إن الجامع هو مائة ذراع في ثمانين ، لأن الإدريسي عرف قرطبة بنفسه ، ووصف المسجد

جائزة منها ٣٧ شبراً ، وبين الجائزة والجائزة غلظ جائزة . والسموات التي ذكرناها

الاعظم وصف من رأى لامن سمع ، فلا يمكن أن يقع في خطأ فظيع كهذا . ولقد أشار المقرئ بأنه يمكن أن يكون هذا الذراع الذي ذكره الادريسي أكبر من الذراع الذي حسب بموجبه غيره من المؤرخين ، ممن ذكروا أن طول الجامع من القبلة إلى الجوف ثلاثمائة وثلاثون ذراعاً وعرضه من الغرب إلى الشرق مائتان وخمسون ذراعاً ، فمهما كان هذا الذراع يزيد على ذلك الذراع فيبقى البون شاسعاً ، والصحيح أن الادريسي إنما قال مائة باع في ثمانين ، لا مائة ذراع في ثمانين . والملاحظة الثانية هي في اختلاف عدد الثريات ، فالادريسي يقول مائة وثلاث عشرة ثريا ، وهو مخالف لما قاله غيره ، مثل ابن الفرضي مثلاً الذي قال أنها مائتان وثمانون ثريا ، ومثل ابن سعيد الذي نقل عن ابن بشكوال فقال أنها مائتان وأربع وعشرون ثريا . وليس الاختلاف هنا بشيء فإن الثريات هي مما يزيد وينقص بحسب الوقت ، لأنها آنية منقولة وليست من قبيل المساحة التي هي شيء ثابت محسوس . وتأويل هذا الفرق هو أنه يوم عرف الادريسي مدينة قرطبة لم يكن في الجامع الأعظم أكثر من ١١٣ ثريا ، فإن الادريسي نفسه ذكر كون قرطبة لعهد قدا تنقصت منها الحوادث بتوالي الفتن ، ونزع أهلها إلا اليسير ، فلا جرم أن النقص الذي لحق بأهلها وبكل شيء يخصها قد وصل إلى ثريات جامعها ، فسقط عددها إلى النصف عما كانت كما سقط عدد الخدمة في الجامع فقد ورد في كلام ابن الفرضي أنه كان يتصرف في المسجد بين أئمة ومقرئين وأمناء ومؤذنين وسدنة وموقدين مائة وتسعة وخمسون شخصاً . وروى غيره أنهم كانوا ثلاثمائة ، والحال أن الادريسي لا يذكر غير ستين شخصاً فيظهر أن هذا العدد هو الذي كان في زمانه ، أي بعد تقلص العمران في قرطبة .

والملاحظة الثالثة هي من جهة سقوط كلمات في النسخ أو اختلافها ، ففي نسخة نفح الطيب يقول نقلا عن الادريسي إنه كان يعمل في المنبر ثمانية صناع ، وفي نسختي باريز واكسفورد يقول ستة ، وفي نسخة نفح الطيب يقول : وفي الجامع حاصل كبير ملان من آنية الذهب والفضة لأجل وقوده . وفي نسختي باريز واكسفورد يزيد على الذهب والفضة لفظة المسك . وفي نسخة نفح الطيب يذكر أن الصومعة ارتفاعها مائة ذراع بالمسكى المعروف بالرشاشي . والحال أنه في النسختين المذكورتين يذكر الرشاشي بدون المسكى . والملاحظة الرابعة هي أنه في نسخة نفح الطيب يقول

هى كلها مسطحة ، فيها ضروب الصنائع المنشأة من الضروب المسدسة والمورّبي !
وهى صنع الفصّ وصنع الدوائر والمداهن ، لا يشبه بعضها بعضاً ، بل كل سماء منها
مُكتَفٍ بما فيه من صنائع قد أحكم ترتيبها ، وأبدع تلوينها بأنواع الحجرة الزنجفريّة ،
والبياض الاسفيذاجى ، والزرقة اللازوردية ، والزرقون الباروقى ، والخضرة الزنجارية ،
والتكحيل النقسى ، تروق العيون ، وتستميل النفوس ، باتقان ترسيمها ، ومختلفات
ألوانها وتقسيمها . وسعة كل بلاطة منها ، اعنى من بلاطات مسقفه ٣٣ شبرا ، وبين
العمود والعمود ١٥ شبراً ، ولكل عمود منها رأس رخام وقاعدة رخام . وقد عقد
بين العمود والعمود على أعلى الرأس قسىّ غريبة ، فوقها قسىّ آخر ، على عمد من
الحجر المنجور متقنة . وقد جصّص الكل منها بالحصّ والجيار ، وركبت عليها فحور
مستديرة ناتئة ، بينها ضروب صناعات الفسفس بالمغرة . وتحت كل سماء منها إزار
خشب فيه مكتوب آيات القرآن .

ولهذا المسجد الجامع قبلة يُعجز الواصفين وصفها ، وفيها إتقان يبهر العقول تنميقها
وكل ذلك من الفسيفساء المذهب والملون ، مما يمت صاحب القسطنطينية العظمى
إلى عبد الرحمن المعروف بالناصر لدين الله الأموى . وعلى هذا الوجه ، أعنى وجه
المحراب ، سبع قسى قائمة على عمد ، وطول كل قوس منها أشف من قامة ، وكل هذه
القسى مزججة صنعة القرط وقد أعيت المسلمين والروم بفريب أعمالها ، ودقيق
تسكويرها ووضعها . وعلى أعلى الكل كتابان مسجونان بين بحرين من الفسيفساء

إن فى الجامع ثلاثة أعمدة حجر ، على الواحد اسم محمد وعلى الآخر صورة عصا موسى
وأهل الكهف ، وعلى الثالث صورة غراب نوح . وهذا لا يوجد فى النسخة التى نقلنا
عنها المطبوعة فى ليدن وفقاً لنسختى باريز وأوكسفورد ، والخبر كله غريب ، لأن
التصوير مكروه ، ولا سيما فى المساجد . وقد أوردنا هذه الملاحظات لأجل الاستدلال
على ما بين النسخ من الاختلافات فايكن الراوى من النسخ على حذر ، ولا يجوز له أن
يحزم بخبر إلا بعد أن ينخل رواياته نخلاً دقيقاً ، ويقابل بينها بأجمعها فيعتمد على المتواتر
الذى أجمع عليه الرواة أو الذى ترجح بالأقل لدى الجمهور وبالخصوص على ما طابق المحسوس

المذهب ، في أرض الزجاج اللازوردى وتحت هذه القسي التي ذكرناها كتابان مثل الأولين مسجونان بالفسيفساء المذهب في أرض اللازورد ، وعلى وجه المحراب أنواع كثيرة من التزيين والنقش ، وفي عنادتي المحراب ٤ أعمدة اثنان أخضران ، واثان لازورديان لا تقوم بمال . وعلى رأس المحراب خصة رخام قطعة واحدة مشبوكة محفورة منمقة بأبدع التنميق من الذهب واللازود وسائر الألوان وعلى وجه المحراب مما استدار به حظيرة خشب بها من أنواع النقش كل غريبة .

ومع يمين المحراب المنبر الذي ليس بعمور الأرض مثله صنعة خشب آبنوس وبقس وعود المحمر ، ويحكى في كنب توار يخ بن أمية أنه صنع في نجارته ونقشه ٧ سنين ، وكان عدد صناعه ستة رجال . غير من يخدمهم نصرها ، والكل صانع مهم في اليوم نصف مثقال محمدي . وعن شمال المحراب بيت فيه عدد وضوت ذهب وفضة ومسك لوقيد الشمع في ايلة ٢٧ من شهر رمضان المعظم . ومع ذلك ففي هذا المخزن مصحف يرفقه رجالان اتقاه ، فيه أربع أوراق من مصحف عثمان بن عفان ، وهو المصحف الذي خطه يمينه رضى الله عنه ، وفيه نقط من دمه ، وهذا المصحف يخرج في صبيحة كل يوم جمعة ، ويتولى اخراجه رجالان من قوامة لمسجد . وأماهم رجل ثلث بشمعة ، وللمصحف عشاء بديع الصنعة . دنقوش بأغرب ما يكون من النقش وأدقه وأعجبه ، وله بتوضع المصلى كرسى يوضع عليه ويتولى الامام قراءة نصف حزب منه ثم يرد إلى موضعه .

وعن يمين المحراب والمنبر باب يفضى إلى القصر بين حائطي الجامع في ساباط متصل ، وفي هذا الساباط ٨ أبواب منها ٤ تنفاق من جهة القصر ، و ٤ تنفاق من جهة الجامع . ولهذا الجامع عشرون باباً مصفحة بصفائح النحاس وكواكب النحاس ، وفي كل باب منها حائقتان في نهاية من الأتقان ، وعلى وجه كل باب منها في الحائط ضروب من الفص المتخذ من الحجر الأحمر المحكوك ، أنواعاً شتى ، وأجناساً مختلفة من الصناعات والتريش وصدور البزاة . وفيما استدار بالجامع في أعلاه لتمدد الضوء

ودخوله إلى المسقف متكآت رخام ، طول كل متكأ منها قدر قامة ، في سعة ٤ أشبار في غلظ ٤ أصابع . وكلها صنُع مسدّسة ومثمنة ، مخرّمة منفوذة لا يشبه بعضها بعضاً

والجامع في الجهة الشمالية الصومعة الغربية الصنعة الجليلة الأعمال الرائقة الأشكال التي ارتفاعها في الهواء مائة ذراع بالذراع الرشاشي^(١) منها ٨٠ ذراعاً إلى الموضع الذي يقف عليه المؤذن بقدميه ، ومن هناك إلى أعلاها ٢٠ ذراعاً ويصعد إلى أعلى هذه المنارة بدرجين أحدهما من الجانب الغربي والثاني من الجانب الشرقي إذا اقترق الصاعدان أسفل الصومعة لا يجتمعان إلا إذا وصلا أعلاها . ووجه هذه الصومعة كله مبطن بالكذّان اللّكّي ، منقوش من وجه الأرض إلى أعلى الصومعة صنع مثمّنة تحتوي على أنواع من الصنع والتزييق والكتابة والملون ، وبالأوجه الأربعة الدائرة من الصومعة صفان من قسي دائرة على عمد الرخام الحسن . والذي في الصومعة من العمد بين داخلها وخارجها ٣٠٠ عمود بين صغير وكبير . وفي أعلى الصومعة بيت له أربعة أبواب مغلقة ، يبيت فيه كل ليلة مؤذنان . وللصومعة ١٦ مؤذناً ، ويؤذنون فيها بالدولة لكل يوم مؤذنان على توال . وفي أعلى الصومعة على القبة التي على البيت ثلاث تفاحات ذهب ، وتفاحتان من فضة ، وأوراق سوسنية ، تسع الكبيرة من التفاحات ٦٠ رطلا من الزيت . ويخدم الجامع كله ٦٠ رجلاً وعليهم قائم ينظر في أمورهم ، وهذا الجامع متى سها أمامه لا يسجد لسهوه قبل السلام ، بل يسجد بعد السلام .

ومدينة قرطبة في حين تأليفنا هذا الكتاب طحنتها رحي الفتنة ، وغيرها حلول المصائب والأحداث ، مع اتصال الشدائد على أهلها ، فلم يبق بها منهم الآن إلا الخلق اليسير ، ولا بلد أكبر اسماً منها في بلاد الأندلس .

(١) الذراع الرشاشي يقال أنه الذراع المسكى وهو ثلاثة أشبار

ولقرطبة القنطرة التي علت القناطر فخراً في بنائها واتقانها ، وعدد قسيتها ١٧ قوساً بين القوس والقوس ٥٠ شبراً ، وسعة القوس مثل ذلك ٥٠ شبراً ، وسعة ظهرها المعبور عليه ٣٠ شبراً . ولها ستائر من كل جهة تستر القامة . وارتفاع القنطرة من موضع المشى إلى وجه الماء في أيام جفوف الماء ٣٠ ذراعاً ، وإذا كان السيل يصل الماء منها إلى نحو حلوقها . وتحت القنطرة يمترض الوادي رصيف سد مصنوع من الأحجار القبطية والعمد الجاشية ^(١) من الرخام . وعلى هذا السد ثلاثة بيوت أرحاء ، في كل بيت منها أربع مطاحن ^(٢) .

ومحاسن هذه المدينة وشماختها أكثر من أن يحاط بها خُبراً ومن مدينة قرطبة إلى مدينة الزهراء ٥ أميال ، وهي قائمة الذات بأسوارها ورسوم قصورها ، وفيها قوم سكان بأهلهم وذرائعهم ، وهم قليلون ، وهي في ذاتها مدينة عظيمة مدرجة البنية ، مدينة فوق مدينة ، سطح الثالث الأعلى يوازي على الجزء الأوسط ، وسطح الثالث الأوسط يوازي على الجزء الأسفل ، وكل ثلث منها له سور . فكان الجزء الأعلى منها قصوراً يقصر الوصف عن صفاتها . والجزء الأوسط

(١) قد ترجم دوزي و الاحجار القبطية ، بالاحجار المصرية وقال عن و العمدة الجاشية ، لعلها مصحفة وأصلها و الخاشنة ، ونحن نقول : لم يرد استعمال و الخاشنة ، وإنما يقولون و الخشنة ، ونرى الأقرب أن تكون هذه اللفظة بالسین المهمة لبالشين المعجمة وأنها و الجاسية ، أى الصلبة

(٢) لا تزال جدران المطاحن قائمة إلى الآن وإليها أشرت بقولي في القصيدة التي نظمها يوم زرت قرطبة

وتلك الطواحين الشهيرة لم تزل كأن تركوها أمس لم تتغير ومنها :

ولما رأيت المسجد الجامع الذي بقرطبة من فوق فوق التصور
عضضت على كفى بكل نواجذى وقلت لعيني اليوم دورك فاهمري

وسندكرها كلها في محلها

بساتين وروضات والجزء الثالث فيه الديار والجامع . وهي الآن خراب في حال الذهاب .

ومن مدينة قرطبة إلى المرية ٨ أيام . ومن قرطبة إلى اشبيلية ٨٠ ميلا . ومن قرطبة إلى مالقة ١٠٠ ميل . ومن قرطبة إلى طليطلة ٩ مراحل ، فمن أرادها سار من قرطبة في جهة الشمال إلى عقبة « أرلش »^(١) ١١ ميلا . ومنها إلى دار البقر^(٢) ٦ أميال « ثم إلى بطروش »^(٣) ٤٠ ميلا . وحصن « بطروش » حسن كثير العارة ، شامخ الحصانة ، لأهله جلادة وحزم على مكافحة أعدائهم ، ويحيط بجبالهم وسهولهم شجر البلوط الذي فاق طعمه طعم كل بلوط على وجه الأرض ، وذلك أن أهل هذا الحصن لهم اهتمام بحفظه وخدمته ، لأنه لهم غلة وغياث في سنى الشدة والمجاعة . ومن حصن

(١) Arlech

(٢) يقول الاسبان لدار البقر Castillo Del Bacar

(٣) Bedroches جاء في دليل بديكر أن الخط الحديدي من مجريط إلى بطليوس يمر بقرية « غيتاف » Getafe وتكون وراعه جبال وادى الرمل Guadarrama ثم يصل الخط إلى بلدة « القدور » Algodor ومنها ينشعب خط كستيليجو - طليطلة . ثم يجاز الخط شعاب جبال طليطلة الفاصلة بين وادى تاجة ووادى يانة ثم يمر ببلدة « الموناسيد » Almonacid وفيها حصن عربي ثم ببلدة « ماسكاراك » Mascaraque ثم ببلدة « مورة » Mara وفيها بقايا حصن وهي على ٩١ كيلو مترا من مجريط ثم ببلدة « أورغاز » Orgaz وفيها أيضاً حصن كبير ثم ببلدة « منسنيق » Manzanéque ثم « ايبانش » Ybenes وعن يمينه وادى الأرزة ، Guadalerza ثم ببلدة « أورده » ، Urda ثم يصل إلى بلدة ريال Ciudad Real التى بقربها بلدة « الأراك » Alarcos وهذه الشهيرة بالوقعة التى انتصر فيها الموحدون على الأذفنش الثامن صاحب قشتالة سنة ١١٩٥ ثم يمر بارض قلعة رباح ثم ببلدة « برتلانو » Puertellano ثم ببلدة اسمها « المدور » (غير حصن المدور الذى هو من عمل قرطبة) ثم ببلدة « صان كنتين » San Quintin ثم « بيلد نياش » Valdepénas بقرب مشتى يقال له وادى الكدية ثم يصل بعدد ٢٧١ كيلو مترا من مجريط إلى « المعدن » Almaden وفيها حصن عربي (١٠ - ج أول)

بطروش إلى حصن « غافق » ^(١) ٧ أميال ، وحصن غافق حصن حصين ، ومقل جليل ، وفي أهله نجدة وحزم ، وجلادة وعزم ، وكثيراً ما تسرى إليهم سرايا الروم فيكتفون بهم في إخراجهم عن أرضهم ، وانقاذ غنائمهم منهم ، والروم يعلمون بأسهم وبسالتهم فيناحرون ^(٢) أرضهم ويتحامون عنهم . ومن قلعة غافق إلى جبل « عافور » ^(٣) مرحلة ، ثم إلى دار البقر مرحلة ، ثم إلى قلعة « رباح » ^(٤) ، وهي قاعة حسنة ، وقد سبق ذكرها . وكذلك الطريق من قرطبة إلى بطليوس . . من قرطبة إلى دار البقر المتقدم ذكرها مرحلة ، ومنها إلى حصن « بندر » ^(٥) مرحلة ، ثم إلى « زواغة » مرحلة ، وزواغة حصن عليه سور تراب ، وهو على كدية تراب ، ومنه إلى نهر « اثنه » ^(٦) مرحلة . ومنه إلى حصن « الحدش » ^(٧) مرحلة ، وحصن

وفيه معدن من أغنى معادن الزئبق في العالم ومن هناك يمر الخط بين « شيلون ، Chillon و « بطروس ، Pedroches بواد اسمه « وادي الميس » Guadalmez ويدخل في عمل قرطبة فيمر ببلدة « بلال قصر ، Belalcazar ثم بلدة « المورشون ، Almorchon حيث ينشعب من الخط شعبة إلى قرطبة . وعلى مسافة ٤٠٨ كيلو مترت يصل إلى « مدلين ، Medellin وعلى ٤٥١ كيلو مترا يصل إلى ماردة اه محصلا . ثم قال دوزى : إن البلوط الذي نسه الادريسي إلى بطروس يرجع أنه السكتنا لا البلوط المعهود واستدل على ذلك بأن بطره القلعي يسمى السكتنا بطروش

(١) يقول الأسبان لغافق Ghalie

(٢) في النسخة التي ترجم عنها دوزى يقول : « ينافرون أرضهم ويتحامون عنهم ، ولا معنى هنا للجملة « ينافرون أرضهم ، والأقرب أن تكون « يناحرون أرضهم ، أي هم ساكنون في نحر أرضهم ولكنهم لشدة بأسهم تراهم يتجنبون التعرض لهم

(٣) جبل عافور لم يعرفه دوزى ولا نحن اهتدينا له وإنما نعلم أن العرب تقول : وقع في عافور أي في شر وعفار ومثله وقع في عاور

(٤) Calatrava

(٥) يظن دوزى أن « بندر ، مصحف عن « بندر ، إذ هناك نهر بهذا الاسم Benbezar

(٦) لم نعلمه ولا عرفنا حقيقة الاسم

(٧) هو الذي يقول له الأسبان Alenje

الحنش منيع شامخ الندوة ، مطلّ الغلوة شاهق البنية ، حامى الأفنية . ومنه إلى مدينة ماردة مرحلة لطيفة ، ثم إلى بطليوس مرحلة خفيفة . فذلك من قرطبة إلى بطليوس ، ٧ مراحل . وبشمال قرطبة إلى حصن « ابال » مرحلة ، وهو الحصن الذى به معدن الزبيق ، ومنه يتجهز بالزبيق والزنجفر إلى جميع أقطار الأرض ، وذلك أن هذا المعدن يخدمه أزيد من ألف رجل ، فقوم للنزول فيه وقطع الحجر ، وقوم لقطع الحطب لحرق المعدن ، وقوم لعمل أواني لسبك الزبيق وتصعيده ، وقوم لشأن الأفران والحرق . قال المؤلف : وقد رأيت هذا المعدن فأخبرت أن من وجه الأرض إلى أسفله نحو من مائتى قامة وخمسين قامة ^(١) . ومن قرطبة إلى اغرناطة ٤ مراحل وهى مائة ميل . وبين اغرناطة وجيان ٥٠ ميلا وهى مرحلتان .

وأما بحر الشام الذى عليه جنوب بلاد الأندلس ، فبدأه من الغرب ، وآخره حيث انطاكية ، ومسافة ما بينهما ٣٦ مجرى . فأما عروضه فمختلفة ، وذلك أن مدينة مالقة يقابلها من الضفة الأخرى « المزمة » و « قادس » و بينهما عرض البحر مجرى يوم واحد بالرياح الطيبة المعتدلة . وكذلك « المرية » يوازئها فى الضفة الأخرى « هُنين » وعرض البحر بينهما مجريان . وكذلك أيضاً مدينة « دانية » يقابلها من الضفة الأخرى « تَنَس » و بينهما ٣ مجاري . وكذلك مدينة برشلونة تقابلها من عدوة الغرب الأوسط « بجانة » و بينهما ٤ مجار فى عرض البحر ، والمجرى مائة ميل وأما جزيرة « يابسة » فانها جزيرة حسنة كثيرة الكروم والأعناب ، وبها مدينة حسنة صغيرة متحضرة ، وأقرب برّ إليها مدينة دانية ، و بينهما مجرى . وفى شرقى جزيرة يابسة جزيرة ميّورقة ^(٢) ، و بينهما مجرى ، وبها مدينة كبيرة ، لها

(١) نقل لافى بروفسال كلام الادريسي هذا إلى كتابه عن أسبانية

(٢) أقمت بجزيرة ميورقة عشرين يوماً وجولت فيها ، ولشدة ما استلطفتها أخذت عنها معلومات كثيرة ، واقتنيت كتباً من تاريخها بالأسبانيولى ، وجمعت أسماء العلماء والادباء الذين نبغوا من أهلها من عرب وأسبانيول ، وعزمت أن أفردا بتاريخه

مالك وحارس ذورجال وعدد وأسلحة وأموال ، وبالشرق منها أيضاً جزيرة مينورقة
تقابل مدينة برشلونة ، وبينهما مجرى ، ومن مينورقة إلى جزيرة سردانية ٤ مجار . فهذا
ما أردنا ذكره .

ماقاله عن إقليم الأندلس

أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني

في كتابه « صفة جزيرة العرب »

ذكر الأقاليم السبعة التي كان الجغرافيون الأولون يقولون بها ، فذكر الأندلس
في الاقليم الثالث فقال : الاقليم الثالث حده منتهى أرض الحبشة ، مما يلي أرض
الحجاز ، إلى نصيبين ، إلى أقصى الشام ، إلى البحر الذي بين أرض مصر وبين الشام
إلى وسط البحر الذي يلي الأندلس مما يلي المغرب .

ثم ذكر معرفة قسمة الأقاليم لبطليموس فقال : فأما بطليموس وقدماء اليونانيين
فإنهم رأوا أن طباع الأقاليم وجبلتها لا تكون إلا طرائق من المشرق إلى المغرب ،
متجاورة بعضها إلى بعض ، من خط الاستواء إلى حيث يقع القطب الشمالي ، خمسين
درجة ، وهو ضعف الميل وزيادة جزءين وكسر ، وقد حد في قانونه عرض كل إقليم
منها وساعات نهاره الأطول ، على وسطه دون طرفيه ، بقول من تقل عنه ، فجعل
وسط الاقليم الأول مدينة سبا بمأرب من أرض اليمن ، وجعل العرض ستة عشر
جزءاً وربعاً وخمساً ، وساعات نهاره الأطول ثلاثة عشر سواء ، وعرض الاقليم
الثاني منتهى الميل ، وهو ثلاثة وعشرون جزءاً وخمسة أسداس ، وساعات
نهاره الأطول ثلاث عشرة ونصف ، والثالث إقليم اسكندرية ، وعرضه ثلاثون

وشقيقتها مينورقة ويابسة واسميه « الاصول المعركة » والنصون المورقة في محاسن جزيرة
ميورقة ، ولعله يكون جزءاً من هذه الموسوعة إن شاء الله

جزءاً وسدس وخمس جزء ، وساعاته أربع عشرة ، والرابع إقليم بابل ، وعرضه ستة وثلاثون جزءاً وعشر ، وساعات نهاره الأطول أربع عشرة ونصف . والاقليم الخامس عرضه أربعون جزءاً ، وتسعة أعشار ، وثلاث عشر ساعة ، وساعاته خمس عشرة ساعة والاقليم السادس عرضه خمسة وأربعون جزءاً ونصف وسدس عشر ، وساعات نهاره الأطول خمس عشرة ساعة ونصف ، والاقليم السابع عرضه ثمانية وأربعون جزءاً ونصف وثلاث عشر ، ونهاره الأطول ست عشرة ساعة . وقد حدّ أفاصيا وأدانيها وبعض ما تشتمل عليه من البلاد المشهورة فقال : إن الاقليم الأول يمر على وسطه من المشرق إلى المغرب على المواضع التي يكون نهارها الأطول وعرضها ما ذكرناه وابتدأؤه حيث يكون نهاره الأطول اثنى عشرة ساعة وثلاثة أرباع ساعة ، وعرضه اثنا عشر جزءاً ونصف . وانتهاءه حيث يكون نهاره الأطول ثلاث عشرة ساعة ورباعاً وعرضه عشرين جزءاً ورباعاً ، ووسط هذا الاقليم مدينة سبأ ، وما كان في مثل عرضها من مواضع الأرض ، وابتدأؤه من المشرق من أقاصى بلاد الصين الخ .

ولما وصل إلى الأقليم الرابع قال : ويمر الأقليم الرابع على وسطه من المشرق إلى المغرب على المواضع التي يكون نهارها الأطول وعرضها ما قد ذكرناه ، وابتدأؤه من الموضع الذي انتهت اليه ساعات الأقليم الثالث ، وعرضه إلى حين يكون نهاره الأطول أربع عشرة ساعة وثلاثة أرباع ساعة ، وعرضه ثمانيةً وثلاثين درجة . ووسط هذا الاقليم بالتقريب مدينة أصبهان من مواضع ، وابتدأؤه من المشرق آخر أرض الصين وتبت وبلخ وخراسان والجبيل وأرض الموصل وشمال الشام ، وبعض الثغور ، وبحر الشام وجزيرة قبرص ، وبلاد طنجة ، إلى أن ينتهى إلى حد المغرب من دون البحر المظلم . ويمر الاقليم الخامس على وسطه من المشرق إلى المغرب على المواضع التي يكون نهارها الأطول وعرضها ما قدمنا ذكره . وابتدأؤه من الموضع الذي انتهى إليه عرض الاقليم الرابع ، ساعاته إلى حيث يكون نهاره الأطول خمس عشرة ساعة ورباعاً وعرضه ثلاث وأربعون درجة ، ووسط هذا الاقليم بالتقريب مدينة مرو ، وما

كان في مثل عرضها من مواضع الأرض . فابتدأوه من المشرق داخل بلاد الترك وشمال خراسان وأذربيجان وكورأرمينية وبلاد الروم وسواحل بحر الشام الشمالية والأندلس إلى أن ينتهى إلى حد المغرب من دون البحر المظلم .

ثم نقل عن بطليموس قوله : لما انقسمت دائرة البروج بأربعة أقسام ، وهى المثلثات ، لأن كل قسم منها ثلاثة أبراج ، على طبيعة من الطبائع الأربع ، التى هى النار والأرض والهواء والماء ، انقسم عامر الأرض بأربعة أقسام ، كل قسم منها منسوب إلى قسم من المثلثات فى الطباع ، لأن كل محيط بطبع ما أحاط به على قدر طبيعته (إلى أن يقول) فلما كانت هذه الأشياء كذلك ، كان موضع سكنها ينقسم إلى أربعة أرباع متساوية فى العدد للمثلثات ، ثم أتى على ذكر الربع المنسوب إلى « أوروبا » - يريد بها أوربة - فقال : ان الأمم الكلية التى تسكن فى هذه الأجزاء هى أهل بلاد الصقابة وبلاد برطانية وغالطية وجرمانية وباسترائية وإيطالية وغالية وأبولية وطورينية وقلطيقية وسبانية (إلى أن قال) عن طبائع أهل هذه البلدان : يجب أن يكون أهل هذه البلدان ، فى أكثر الأمر ، بسبب رئاسة هذا المثلث ، وبسبب الكواكب التى تشترك فى تديره ، غير خاضعين ، محبين للحرية والسلاح والتعب ، محاربين ، أصحاب سياسة ونظافة ، كبار الهمم ، ولما كان المشتري والمريخ مشتركين فيهم ، إذا كانا فى الحال المنسوبة إلى العشيتات ، وكانت الأجزاء المتقدمة من هذا المثلث مذكرة ، والمتأخرة مؤنثة ، عرض لهذه الأمم ألا يكون لهم غيره فى أمر النساء (إلى أن يقول) : وأما بلاد إيطالية منها وبلاد أبولية - يريد نابولى - وبلاد غالية - جنوبى فرنسا ووسطها - وبلاد صقيلية ، فانها تشا كل الأسد والشمس ولذلك صار سكانها أصحاب سياسة ، وأصحاب اصطناع المعروف ، وأصحاب مؤساسة . وأما بلاد طورينية منها وبلاد فالتي - يريد بها بلاد السلتيين Celtes وهم أمة كانت تجاور الغالين والايبيريين - وبلاد سبانية ، فانها تشا كل الرامى والمشتري ولذلك صار سكانها سليمى القلوب محبى النظافة . انتهى .

هذا ما جاء في كتاب الهمداني من جغرافي العرب وحكائهم عن اسبانية ، وأما قضية تأثير الكواكب في طباع سكان الأرض ، وما نقله الهمداني عن بطليموس القلودي من هذا الباب فهو معدود اليوم من النظريات البالية ، التي عدل الناس عنها ، لا سيما أننا لا نراها مطردة ولا غالبية حتى نحكم بصحتها .

ما ذكره أبو العباس أحمد المقرئ صاحب كتاب نفح الطيب عن بلاد الأندلس من الجهة الجغرافية

اعلم أعزك الله أنه لا يزال نفح الطيب من أعظم المراجع التي يعول عليها المحققون في أخبار الأندلس ، برغم كل ما عليه من مأخذ ومغامز ، وما فاتته من مباحث ومسائل ، وذلك لأن صاحبه اتصل بكتب كثيرة لم يتيسر لغيره الاطلاع عليها ، وشافه في الشرق والغرب عدداً كبيراً من الجلة وحاضريهم ، وكان المقرئ نفسه مولماً بأخبار الأندلس ، متخصصاً فيها حافظاً من أنبائها ، وكلام علمائها ، ونظم شعرائها ، ولا سيما من أقوال لسان الدين بن الخطيب ، وزير بني الأحمر الشهير بما يكاد يكون من المعجزات ، ولما كان قد رحل إلى المشرق ، كأكثر علماء المغرب ، وحج البيت الحرام خمس مرات ، وزار المدينة المنورة ، والبيت المقدس ، انتهى في طوافه إلى دمشق الشام التي أخذت بمجامع فؤاده ، فالتقى بها عصا التسيار ، وتعرف بكثير من علماء الشام وأدبائها وسرائها ، فكان ذكر الأندلس أمامهم ملهيج لسانه الدائم ، وغرام قلبه الملازم ، فأرادوه أولاً على تأليف كتاب يتضمن مرويّاته عن لسان الدين بن الخطيب ، فصحت عزيمته على ذلك ، وبدأ بكتابة هذا الكتاب سنة تسع وثلاثين وألف للهجرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية . إلا أنه بعد ما بدأ به بدا له أن يتوسع في الموضوع ، ولا يقتصر على أخبار لسان الدين وحده فكان عند ما شرع بهذا التأليف سماه « عرف الطيب في التعريف بالوزير ابن

الخطيب » ثم لما أجمع التوسع في الموضوع عاد فسمى كتابه « بتفتح الطيب ، من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب » وهو امرى اسم لائق بمسماه ، ولفظ موافق لمعناه ، ولا أظنه يوجد اسم ألدّ للقارىء من اسم « نفتح الطيب » كما أن الملايسة ظاهرة بين قوله « غصن الأندلس الرطيب » ومزايا الأندلس الطبيعية في كثرة جناتها وبساتينها ووفرة فواكهها ورياحينها ، وما انصفت به من الخصب والنعاء ، وجمعت من زكاء الأرض إلى خير السماء ، ولما كان لسان الدين بن الخطيب في هذا الكتاب الحصة الكبرى في الآثار المروية ، والأصوات المحكية ، لم يكن من العجيب أن يجعل اسمه فيه وقد كان في الأصل هو المقصود بالتأليف . هذا وقد كان تأليف المقرئ للفتح حينما كان مقياً بالشام ، ولذلك قال عنه في المقدمة ما يلي :

« وله بالشام تعاق من وجوه عديدة ، هدية لتأمله إلى الطريق السديدة ، أولها أن الداعى لتأليفه أهل الشام ، أتقى الله ما أثرهم ، وجعلها على مرّ الزمان مديدة ، ثانيها أن المتأخرين للأندلس هم أهل الشام ، ذوو الشوكة والتجدة الحديدية ، ثالثها أن غاب أهل الأندلس من عرب الشام الذين اتخذوا بالأندلس وطناً مستأنفاً وحاضرة جديدة . واربعا أن غرناطة برل بها أهل دمشق ، وسموها باسمها ، لشبهها بها في القصر والنهر ، والدوح والزهر ، والغوطة الفيحاء ، وهذه مناسبة قوية العرى شديدة »

قد يكون كلام المقرئ هذا مما لا يعجب بعض التأثيرين على السجع في أخريات هذه الأيام ولكنه ذو معنى كبير ، وفيه تصريح خطير ، ولذلك فإن ثورة هذه الفئة على السجع ، والعاصلة ، ليس من شأنها أن تغل من حد رغبتنا في نقل كلام يعود على وطننا الشامي بشقص كذا من الفخر لم يوفره لغيره ثقة كبير ، كأبي العباس أحمد المقرئ المغربي ، إن لم يكن هو حجة في أخبار الأندلس فياليت شعري من يكون هو الحجة ؟ ! فنحن رواة عنه ، ونقله من نصوصه بأسجاعها وفواصلها وحروفها وحرركاتها

نعم إن « نفح الطيب » هو كتاب أدب ، أكثر منه كتاب تاريخ ، وقد قيل فيه ، وكاد يالحق بالأمثال السائرة : إنه « نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، الذى من لم يقرأه فليس بأديب » ولكنه إلى هذا الوقت لا يزال عمدة المنقبين عن آثار الأندلس سواء فى التاريخ أو فى الجغرافية أو فى الأدب أو فى المحاضرة برغم كل ما فاتته منها ، ولا أزال أنا أستقى من منابعه برغم ما تقمت عليه فى كتابي « مختصر تاريخ الأندلس » الذى حررته ذيلًا على « آخر نبى سراج » Dernier Des Abencerrage الرواية التى من قلم شاتوبريان الكاتب الأفرنسى الشهير ، وقد ترجمتها إلى العربية واردقتها بتاريخ للأندلس ونشرتهما سنة ١٣١٥ .

فيناسب أن أعيد هنا ما كنت قلته من ٤٠ سنة ، وهو منقول بالحرف عن صفحة ٦٠ و ٦١ و ٦٢ و ٦٣ من ذلك الكتاب ، طبعته الثانية بمطبعة المنار وهو هذا (تحت عنوان) « تمهيد »

إنما حداني إلى تذييل هذه الرواية أمران : الأول إعانة القارىء على فهم الحوادث ومعرفة المواقع ، بما تُفقد بدونه لذة المطالعة . والثانى ما رأيته من اختصار جرم الرواية ، فأثرت اردافها بذيل يطيل من قدها ، ويزيد فى حجمها ، ويكون فيه من حقائق الوقائع التاريخية ما لا يقصر فكاهة عن موهوم الرواية الغرامية ، فجاءت روايتنا ذيلًا ، وإن لم نرج أن تكون طاووسًا ، وليست هذه أول مرة جرّت فيها الروايات أذيالًا ، واتخذت القصص أذنانًا طوالًا .

وما أقصد بهذا الذيل استقصاء تاريخ الأندلس الإجمالى إلا ما اضطر اليه مساق الكلام . فقد كنت منذ نشأتى ممن لا يحبون التأليف فيما كثر فيه التأليف ، وطال فيه المقال كأنما أعده تكرارًا لسابق ، أو إعادة لصدى ، وأراه خلوا من كل براءة . وأخبار الأندلس مستفيضة فى التواريخ شرقًا وغربًا ، ومعروفة عند الأدباء بما لا يكون التأليف فيه سوى زيادة فى عدد الكتب . وإنما يستحب الانشاء فى ما ندر

فيه الكلام وعز البحث ، وطمست الأعلام ، فاذا قرأته العامة ، بل الخاصة ، سقطت منه على جديد ذى طلاوة ، ولم تسأمة النفوس ، لعدم تداولها مطالعته المرة بعد الأخرى مدارس كتب القواعد التى لا تتغير .

فأشد الأقسام عوزاً إلى البحث من تاريخ هذه البلاد - التى لا تزال نحسبها عربية لكون أحسن أيامها ما كان من أيام العرب فيها - إنما هو القسم الأخير ، وأحوج طائفة من أخبارها إلى التدوين ما تعلق بدور الجلاء ، وعصر الخروج من بلاد كانت مدة الضيافة فيها ثمانمائة سنة ، وذلك لأن هذا الحادث الكبير الذى هو من أضخم الحوادث فى الإسلام وقع على حين خمول من القرائح العربية ، وبعد مرور زمن العلم والفلسفة عند معشر الناطقين بالضاد ، ولدى إقحاط البلاد بالأدمغة المتوقدة ، وعقم الأمة عن الرؤوس المولدة ، بحيث فاته من التأليف والكتابة فيه ما لم يكن ليفوته لو وقع قبل ذلك بقرنين أو ثلاثة ، فانه لا عطر بعد عروس .

نعم لا أنكر أن (كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب) للعلامة المقرئ هو من أوفى الكتب بأخبار الأندلس وآدابها : حقيبة أنباء ، وقمطر حوادث وخزانة آداب ، وكشكول لطائف ، وديوان أشعار ، وقد كان عهد تصنيفه على أثر النازلة الكبرى بياق الأندلس . وامتصاص سؤر الكاس ، وعفاء الأثر الأخير من سلطان المسلمين فيها ، بحيث أمكن صاحبه ذكر سقوط مملكة غرناطة ، واستيلاء الاسبانيول على الجميع ، وختم الدولة الإسلامية فى تلك الديار ، ولكنه كثير من مؤرخينا أو مؤلفينا الذين لا يرعون النسبة بين الأشياء ولا ينتبهون إلى قاعدة أن الحسن إنما هو تناسب الأعضاء ، فقد بحث فى هذا الخطب الجال ، والحادث العمم ، بحثاً هو دون حقه بدركات ، وأتى عليه كما يأتى على واقعة متوسطة البال ، من الوقائع التى أشار إليها فى بطن كتابه واستوعبه فى أوراق يسيرة ، كانت لطافتها تكون فى كثافتها ، فان التناسب يقضى باعطاء كل مقام من المقال ما يكافيه ، ويقوم بحقه ويحى على قدره . ولو فسح الفاضل المقرئ رحمه الله لواقعة سقوط مملكة غرناطة ،

وحادث اقراض أمر الاسلام بالأندلس ، ما فسحه في تاريخه للنثر الكثير ، الذى ينفى عن كله بعضه من الخطابات التى صدرت عن لسان الدين بن الخطيب ، أو وجهت إليه ، أو إلى غيره ، أو الشعر الغزير الذى كثير منه حقيق بالاسقاط من ذلك المجموع ، والقصص التى يروىها عن بعض المشايخ مع طول أناة غريب فى الاستقصاء ، مع أنه ليس فيها ما يرفع أقدارهم إلى السماء ، لكان ذلك أجزل فائدة وأسنى موقعاً ، وكانت الناس قد شفت غليلها من خبر هذه الطامة التى لكل الحوادث سلوان يستلها ، وليس لها سلوان ، كما قال أبو البقاء الرندى ، ولكفينا مؤونة النقل عن كتب الافرنج فيما يختص بالعرب ، وحسبك أنه ذكر جميع وقائع السلطان أبى عبد الله بن الأحمر ، وعمه الزغل ، وذهب تلك المملكة ، وما جرى فى ضمنه من الحروب وما حصر من المدن ، فى مسافة من التاريخ ، استوعبت أطول منها رسالة ، واحدة صادرة عن ذلك السلطان إلى الشيخ الوطاسى صاحب فاس فى موضوع أبرد ما فيه ، مع طوله ، أنه اعتذار عن سقوط آخر ممالك المسلمين بالأندلس على يده ، بأن الخطب غير نادر المثال ، وأن بغداد ، دار خلافة بنى العباس ، قد أصابها ما أصاب غرناطة ! فانظروا هل هذا مما يؤثر على طوله ، أو مما ترتاح الأنفس إلى قبوله ، على فرض صحة تمثيله ؟ وإن كان العذر فى ذلك ما يقال من أن صاحب النفع قد ألفه وهو نضو أسفار ، خال من الأسفار ، ليس لديه من العدة ما يستعين به على الإطالة ، والأخذ بالأطراف ، فسبحان الله ! كم يتلهى بعض علمائنا بحفظ ما لا ينفع عن تعليق ما ينفع ؟ ! وهذا الفاضل المقرئ قد أملى عن ظهر قلبه أربعة مجلدات كبار ، أودعها من التاريخ والجغرافية والقصص والنسكات ، وحشاها من الشعر والنثر والتراجم والتصوف . غثاً وسميناً ، ما لا أظن حافظة تتمكن من اختزانه بين صدغين ، وتركنا فى التاريخ المهم من تفصيل الوقائع الشداد ، والمعارك التى سالت فيها أنهر الدماء ، فى دور النزاع الأخير ، عيالا على الافرنج ، مضطرين إلى الأخذ من مصنفاتهم ،

فكنا وإياهم في أخذ تاريخنا عنهم كما كنا في أخذ لغتنا عن صحاح الجوهري^(١) ولا لشك أن في ديار المغرب من التواريخ عن كارثة الأندلس الأخيرة ما يستوفي شرحها^(٢) ولسكنه لم يشتهر عندنا في المشرق غير نفح الطيب من متأخر التأليف ، وهذه هي الحال معه ، فلا عجب أن ساقنا حب الاستقصاء ، واقتفاء أثر أبناء الجلفة ، إلى أخذ أخبارنا عن الأجانب وتلونا : (هذه بضاعتنا ردت إلينا) اه هذا ما كتبه عن نفح الطيب يوم كنت في السابعة والعشرين من العمر ، ولست من بعد مضي تسع وثلاثين سنة على ذلك القول براجع عنه اليوم من حيث الجوهري ، وإن كنت أراي الآن أقل قسوة ، وأكثر عطفاً على المقرئ وأعظم تقديراً لما أملاه في كتابه ، ولا عجب فالذي عند الشيخ من سعة الطبع ، وقبول العذر ، ليس عند الشاب .

(١) إن الجوهري كان فارسياً فلما ألف كتابه الصحاح في لغة العرب قيل إنه قال لهم : خذوا لغتكم عن هذا الرجل الأعجمي . فجعلت أنا هذه الجملة من قبيل المثال . ولما طبعت كتابي هذا طبعته الثانية بمطبعة المنار وكان الأستاذ الأكبر فقيده الاسلام في هذا العام السيد محمد رشيد رضا رحمه الله هو المتولى تصحيح الطبع أخذته الغيرة من جماتي هذه فعلق عليها في الحاشية ما يلي : يعني أخذ العرب لغتهم عن الجوهري وهو أعجمي النسب . ولكنه صار من العرب لغة وأدباً وديناً وكتابته الصحاح أحد معاجم اللغة وقد ألف العرب قبله وبعده معاجم تغني عنه وليس فيه شيء لا يوجد في غيره اه . قلت وهذا لا يمنع من أن تكون تلك الجملة قد قلت وأن يكون المثال مطابقاً للحال . (٢) كنت يومئذ أظن ذلك ولكني لم أجد هذه الضالة بعد البحث والاستقراء إلا ما كان من وجداني . أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر ، وكتاب محمد بن عبد الرفيح الأندلسي المتوفى عام اثنين وخمسين وألف أي بعد الجلاء الأخير بخمس وثلاثين سنة اطلعت منه على فصل نقله عنه الشيخ أبو عبد الله محمد أبو جندار في كتابه تاريخ رباط الفتح ، وشياً من . أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ،

وعلى كل حال فقول المستشرق د لافي روفسال ، Lévi - Provençal في الانسيكلوبيديّة الاسلاميّة L' Encyclopédie De L'islam إن نفح الطيب هو الوثيقة الوحيدة التي في أيدنا عن حادثة خروج العرب الهائي من أسبانية ليس بصحيح

ولنبداً الآن وقد أردنا أن ننقل ما جاء في النسخ من المعلومات الجغرافية عن الأندلس لتقارن بينها وبين معلومات سائر مؤلفي العرب كابن حوقل والادريسي وياقوت وغيرهم . قال في الجزء الأول في صفحة ٦٣ من الطبعة الأولى المنسوبة إلى المطبعة الأزهرية المصرية ما يلي :

الباب الأول

في وصف جزيرة الأندلس ، وحسن هوائها ، واعتدال مزاجها ، ووفور خيراتها واستوائها ، واشتمالها على كثير من المحاسن واحتوائها ، وكرم بقعتها التي سقتها سماء البركات بأنوائها ، وذكر بعض مآثرها المجلوة الصور ، وتعداد كثير مما لها من البلدان والكور ، المستمدة من أضوائها ، فأقول :

محاسن الأندلس لاتستوفي بعبارة ، ومجاري فضلها لا يشق غباره ، وأننى تجارى وهي حائزة قصب السبق ، في أقطار الغرب والشرق ؟ ! قال ابن سعيد : إنما سميت بالأندلس ابن طوبال بن يافث بن نوح لأنه نزلها كما أن أخاه سبت بن يافث نزل العدو المقابلة لها واليه تنسب سبته ^(١) . قال : وأهل الأندلس يحافظون على قوام اللسان العربى لأنهم إما عرب أو متعربون ^(٢) انتهى . وقال الوزير لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله تعالى في بعض كلام له أجرى فيه ذكر البلاد الأندلسية ، أعادها الله تعالى للإسلام ، ببركة المصطفى عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى السلام ما نصه : خص الله تعالى بلاد الأندلس من الربيع وغدق السقيا ، ولذاذة الأقوات وفراهة الحيوان ، ودرور الفواكه ، وكثرة المياه ، وتبحر العمران ، وجودة اللباس ، وشرف الآنية ، وكثرة السلاح ، وصحة الهواء ، وبيضاض ^(٣) ألوان الانسان ، ونبل

(١) هذه من الروايات التي هي أشبه بالأساطير

(٢) هذا القول ليس كالذى قبله بل هو في غاية الصحة

(٣) عند ما كنت في غرناطة نازلاً في فندق الحمراء أحسن فنادقها كنت أسأل عن الاماكن والبقاع دليل ذلك الفندق وكان من الأدباء فقلت له ذات يوم : جئت

الأذهان ، وفنون الصنائع ، وشهامة الطبايع ، ونفوذ الادراك ، واحكام التمدن ، والاعتماد بما حرمة الكثير من الأقطار ، مما سواها . انتهى .

وقال أبو عامر السلى في كتابه المسمى « در القلائد و غرر الفوائد » : الاندلس من الأقليم الشامى ^(١) وهو خير الأقليم وأعدلها هواء و تراباً ، وأعذبها ماء ، وأحسنها حيواناً ونباتاً ، وهو أوسط الأقليم ، وخير الأمور أوسطها

قال أبو عبيد البكرى : الاندلس شامية في طبيها وهوائها ، يمنية في اعتدالها واستوائها ، هندية في عطرها وذكاها ، أهوازية في عظم جباياتها ، صينية في معادن جواهرها ، عدنية في منافع سواحلها ، فيها آثار عظيمة اليونانيين أهل الحكمة وحاملى الفلسفة ، ^(٢) ، وكان من ملوكهم الذين أنثروا الآثار بالاندلس هرقلس ، وله

إلى أسبانية من جهة فرنسة فكنت أضن أن سكان الصقع الشمالى منها أوضاً وجوهاً وأشرق جمالاً من سكان الجنوب فرأيت الأمر بالعكس إذ أنى كست كلما تقدمت إلى الجنوب أرى الوجوه أحسن والقود أرقش والنعمة أظهر . فأجابى فوراً : هذا صحيح يعلمه كل احد وذلك لأننا نحن فى الجنوب عرب

(١) يريد أنها موازية للشام وأنها على خط واحد ومن المعلوم أن القطر الشامى هو فى الجغرافية مثال الاعتدال

(٢) لليونانيين فى أسبانية آثار لا تسكر ، لكنها لا تذكر بالقياس إلى آثار الفينيقيين والقرطاجنيين والرومان والذى يلوح لنا أن أبا عبيد البكرى حمل أكثر ما فى أسبانية القديمة من الآثار على تأثير اليونانيين . وهذا خطأ . أو أنه خلط بينهم وبين الفينقيين والقرطاجنيين والرومان . والحقيقة أن اليونانيين جاءوا إلى السواحل الأسبانية من جهة البحر المتوسط ، ويظن أن اتجاعهم لهذه السواحل وقع بين سنة ٦٣٠ وسنة ٥٧٠ قبل ميلاد المسيح ، ولم ينحصر تبسطهم فى سواحل البحر المتوسط ، بل اخترقوا بحر الزقاق ، وامتدوا على سواحل غاليسية وقتنبرية ، ومع هذا فأكثر ما كانت لهم مستعمرات مو فى السواحل الشرقية التى هى اليوم سواحل كتلونية إلى بلنسية ودانية . وكانوا يسمون مستعمراتهم هذه أمبورياس Ampurias وتوابعها ، ومنها كانوا يتقدمون إلى الداخل لاجل التجارة مع الايبيريين ، وأكثر ما بقى عنهم من الآثار إنما

الأثر في الصنم بجزيرة قادس وصنم جيليقية ، والأثر في مدينة طر^(١) كونة^(٢) الذي لا نظير له .

قال المسعودي : بلاد الأندلس تكون مسيرة عمائرها ومدنها نحو شهرين ، ولهم من المدن الموصوفة نحو من أربعين مدينة . انتهى باختصار . ونحوه لابن اليسع إذ قال : طولها من أربونة إلى أشبونة ، وهو قطع ستين يوماً للفراس المجد . وانتقد بأميرين : أحدهما أنه يقتضى أن أربونة داخلية في جزيرة الأندلس ، والصحيح أنها خارجة عنها ، والثاني أن قوله ستين يوماً للفراس المجد اعياء وافراط ، وقد قال جماعة أنها شهر ونصف . قال ابن سعيد : وهذا يقرب إذا لم يكن للفراس المجد . والصحيح ما نص عليه الشريف من أنها مسيرة شهر . وكذا قال الحجارى . وقد سألت المسافرين المحققين عن ذلك فعملوا حساباً بالمراحل الجيدة أفضى إلى نحو شهر بنيف قليل . قال الحجارى في موضع من كتابه إن طول الأندلس من الحاجز إلى أشبونة ألف ميل ونيف أ هـ . وبالجملة فالمراد القريب من غير مشاححة ، كما قاله ابن سعيد وأطال في ذلك ، ثم قال بعد كلام : ومسافة الحاجز الذى بين بحر الزقاق والبحر المحيط بأر بمون وجد في خرابات أمبورياس وروزاس ، وهى من آنية الزجاج ، ومن الفخار الملون ، ومن الحلى ، ومن بعض التماثيل ، مثل تمثال اسكولاب المحفوظ في متحف برشلونة ، ووجدت أيضاً بعض قطع من الفسيفساء ، ووجدت مسكوكات مضروبة في أمبورياس وروزاس اللتين يظهر أنهما أول المدن الأسبانية التى وقع فيها ضرب السكة ، وكان لليونانيين في أمبورياس وروزاس ودانية معابد للالهة ديانة Diane التى هى من معبودات آسية في الأصل

(١) إن الذى أثر الآثار العظيمة في طر كونة الباقية إلى يومنا هذا تدهش الناظر وتذهل الخاطر ، إنما هو أغسطس الرومانى الذى أقام بها سنة ٢٦ قبل المسيح ، فبنى فيها الهيكل العظيم لعبادة الآلهة رومة ، وكانت فيها هياكل أخرى وأبنية يقصر عنها الوصف . وأما قادس فقد كان استولى عليها الفينيقيون ، ثم آلت إلى الرومانيين ، وسكن بها أناس من اليونانيين ، وترك الجميع فيها آثاراً مذكورة . وهيكل قادس المشهور عند العرب بصنم قادس هو من آثار الفينيقيين

ميلا ، وهذا عرض الأندلس عند رأسها من جهة الشرق ، ولقلته ، سميت جزيرة ، وإلا فليست بجزيرة على الحقيقة ، لاتصال هذا القدر بالأرض الكبيرة ، وعرض جزيرة الأندلس في وسطها عند طليطلة ستة عشر يوماً .

وانفقوا على أن جزيرة الأندلس مثلثة الشكل ، واختلفوا في الركن الذي في الشرق والجنوب في حير أربونة ، فمن قال إنه في أربونة . وإن هذه المدينة تقابلها مدينة برديل التي في الركن الشرقى الشلى أحمد بن محمد الرازى ، وابن حيان . وفي كلام غيرهما أنه في جهة أربونة ، وحق الأمر الشريف ، وهو أعرف بتلك الجهة لتردده في الأسفار براً وبحراً إليها ، وتفرد به هذا الفن . فان ابن سعيد : وسألت جماعة من علماء هذا الشأن فأخبروني أن الصحيح ، ذهب إليه الشريف ، وأن أربونة وبرشلونة ^(١) غير داخلتين في أرض الأندلس . وأن الركن الموفى على بحر الزقاق بالشرق بين برشلونة وطركونة ^(٢) في موضع يعرف بإدى « زنقة طو » ، وهناك الحاجز الذى يفصل بين الأندلس والأرض الكبيرة ، ذات الألسن الكثيرة ، وفي هذا المكان جبل البرت ، الفاصل في الحاجز المذكور ، وفيه الأبواب التي فتحتها ملك اليونان بالحديد والنار وأخل ، ولم يكن للأندلس من الأرض الكبيرة قبل ذلك في البر . وذكر الشريف أن هذه الأبواب في مقابلتها في بحر الرقاق البحر الذى بين جزيرتى ميورقة ومنورقة ، وقد أخبر بذلك جمهور المسافرين لتلك الناحية . ومسافة هذا الجبل الحجز بين الركن الجنوبى والركن الشمالى أربعون ميلا قال : وشمال الركن المذكور عند مدينة برديل ، وهى من مدن الأفرنجية ، مطلة على البحر المحيط ، في شمال الأندلس . قال ويتقهقر البر بعد تميز هذا الركن إلى

(١) أما أربونة Narbonne فغير داخلة في الجزيرة الايبيرية وأما برشلونة فهي داخلة فيها لأن كل ما هو جنوبى جبال البرانس هو داخل في الجزيرة

(٢) كلا لجبال البرتات ليست بين طركونه وبرشلونة بل هى إلى الشمال منهما وهى الحاجز بين الأندلس والأرض الكبيرة

الشمال في بلاد الفرنجة ، ولهم به جزائر كثيرة ، وذكروا من الركن الشمالى عند « شنت ^(١) ياقوه » من ساحل الجلالة في شمال الأندلس ، حيث تبتدىء جزيرة « برطانية ^(٢) الكبيرة » فيتصور هنالك بحر داخل بين ارضين ، من الناس من يجعله بحراً منفرداً خارجاً من البحر المحيط ، لطوله الى الركن المتقدم الذكر عند مدينة برديل ^(٣) . وذكر الشريف : ان عند شنت ياقوه في هذا الركن المذكور ، على جبل بمجمع البحرين ، صنما مطالا مشبهاً بصنم قادس .

(١) Santiago (٢) Grande - Bretagne

(٣) إن سكان أسبانيا الاصلين لم يتركوا كتابات تاريخية ولا جغرافية عن بلادهم ، كما يصرح به الاستاذ رافائيل بالستر Ballester أحد علماء التاريخ في اسبانية الذى ألف أحسن تاريخ لتلك المملكة ، ونشر كتابه سنة ١٩١٧ ، ثم أعيد طبعه مراراً ، لاقبال الناس عليه ، بما فيه من تحقيق وتمحيص ، واختصار لا يفوت معه معنى مهم ، واجتناب للخوض في مالم يثبت بطريقة علمية . فهو الذى يقول : إن جميع ماورد من المعلومات القديمة عن أسبانية إنما جاء في كتب الرومان واليونان ، وهى أيضاً معلومات ناقصة ، ومنها ما ليس مستنداً إلى وثائق يركن إليها . ثم قال إن أقدم كتاب ورد فيه ذكر أسبانية هو كتاب الاوديسه Odyssée المنسوب إلى هوميروس ، وهو ديوان شعر شهير ، وقد جاء فيه ذكر أسبانية تحت اسم « سيكانيه » Sicania وأنها بقعة خصبة في أقصى المغرب . وفي المائة الخامسة قبل المسيح كان اليونان يعرفون جنوبي أسبانية ، ويسمون ذلك القطر ببلاد تارتسيد Tarteside ويعرفون أيضاً القسم الشرقى من أسبانية ، ويقولون له « ايبيرية » نسبة إلى نهر ايره ، وقد شمل هذا الاسم فيما بعد سائر شبه الجزيرة الايبيرية . أما اسم « اسيرية » Hesperia فيظهر أنه كان اسماً شعرياً أطلقه اليونان على جميع الاقاليم الغربية . ولم يكن جغرافيو اليونان بادية ذى بدىء يعرفون خليج غشقونية Gascogne ، وكانوا يظنون أن أسبانية إنما هى على مساواة غالية ، أى جنوبي فرنسا . وبقي الامر كذلك إلى القرن الرابع قبل المسيح ، فجاء سائح اسمه بيتياس Pythéas فاطلع على أن في شمالى اسبانية إلى الغرب بحراً يجعل أسبانية عبارة عن شبه جزيرة

ومن ذلك الوقت صار يقال لأسبانية شبه الجزيرة الايبيرية . وأول ما عرف الأقدمون من أسبانية هو السواحل الجنوبية والشرقية ، أى من جبال البيرانس إلى

والركن الثالث بمقربة من جبل الأغن ؟ حيث صنم فادس . والجبل المذكور يدخل من غربه مع جنوبه بحر الزقاق من البحر المحيط ، ماراً مع ساحل البحر الجنوبي الى جبل البرت المذكور . انتهى .

والكلام في مثل هذا طويل الذيل . قال الشيخ أحمد بن محمد بن موسى الرازى : بلد الاندلس هو آخر الاقليم الرابع الى المغرب ، وهو عند الحكماء بلد كريم البقعة ، طيب التربة ، خصب الجنب ، منبجس الانهار العزار ، والعيون العذاب ، قليل الهوام ذوات السموم ، معتدل الهواء والجو والنسيم ، ربيع وخريف ومشتاء ومصيفه على قدر من الاعتدال ، وسيطة من الحال . لا يتولد في احدها فصل يتولد منه فيما يتلوه انتقاص ، تتصل فواكه اكثر الأزمنة ، وتدوم متلاحقة غير مفقودة . أما الساحل منه ونواحيه فيبادر ببا كوره . واما الثغر وجهاته ، والجبال المخصوصة يبرد الهواء ، فيتأخر بالكثير من ثمره ، فمادة الحيرات بالبلد متبادية في كل الاحيان ، وفواكه على الجملة غير معدومة في كل اوان . وله خواص في كرم النبات توافق في بعضها أرض الهند المخصوصة بكرم النبات وجواهره ، منها ان المحلب وهو المقدم في الافاوية ، والمفضل في أنواع الأشتان ^(١) لا ينبت بشىء من الأرض الا بالهند والاندلس ، والاندلس المدن الحصينة ، والمعقل المنيع ، والقلاع الحريزة ، والمصانع

أعمدة هرقل التي هي بوغاز جبل طارق ، وأما السواحل الجنوبية فكانت عندهم تنتهى برأس سان فنسان Saint - Vincent كما أن الساحل الشمالى كان ينتهى برأس اورتغال Ortegal فكان الاولون يتصورون سواحل أسبانية من جهة الجنوب تصوراً صحيحاً ، أما من جهة الغرب فكانت في تخيلهم أقصر مما هي في الواقع . فاما أواسط أسبانية فلم تعرف إلا في المائة الثانية قبل المسيح . قال المؤرخ رافائيل بالستر : إن بين أسبانية وأفريقية تشابهاً عظيماً من الجهة الجغرافية ، وقال أيضاً إن أحسن وصف لاسبانية مما تركه الاقدمون هو ما جاء في كتاب سترابون الجغرافى اليونانى الذى وجد قبل المسيح بقرن واحد .

(١) بضم أوله هو الحمض الذى يغسل به الأيدي وقد يكسر أوله

الجليلة ، ولها البرّ والبحر ، والسهل والوعر ، وشكلها مثلث ، وهي معتمدة على ثلاثة أركان ، الأول هو الموضع الذى فيه صنم قادس المشهور بالأندلس ، ومنه مخرج البحر المتوسط الشامى ، الآخذ بقبلى الأندلس . والركن الثانى هو بشرق الأندلس ، بين مدينة نربونة ، ومدينة برديل ، مما بايدى الفرنجة اليوم ، بازاء جزيرتى ميورقه ومنورقة ، بمجاورة من البحرين ، البحر المحيط والبحر المتوسط ، وبينهما البر الذى يعرف بالابواب ، مسيرة يومين . ومدينة نربونة تقابل البحر المحيط . ^(١) والركن الثالث منها هو ما بين الجوف ^(٢) والغرب من حيز جليقية ، حيث الجبل الموفى على البحر ، وفيها الصنم العالى المشبه بصنم قادس ، وهو الطالع على بلد برطانية . قال : والأندلس اندلسان فى اختلاف هبوب رياحها ، ومواقع أمطارها ، وجريان انهارها : اندلس غربى ، واندلس شرقى . فالغربى منها ما جرت أوديته الى البحر المحيط الغربى ، وتمطر بالرياح الغربية ، ومبتدأ هذا الحوز من ناحية المشرق مع المفازة الخارجة مع الجوف ، الى بلد شنتمرية ، طالماً الى حوز « اغريطة » ^(٣) المجاورة لطليطلة ، مائلاً الى الغرب ، ومجاوراً للبحر المتوسط ، الموازى لقرطاجنة الخلفاء ، التى من بلد لورقة ، وللحوز الشرقى المعروف بالأندلس الأقصى . وتجرى أوديته الى الشرق ، وأمطاره بالرياح الشرقية ، وهو من حدّ جبل البشكنس ، هابطاً مع وادى « ابره » ^(٤) الى بلد « شنت » ^(٥) مرية ، ومن جوف هذا البحر وغربه المحيط ، وفى القبلة منه البحر الغربى ، الذى منه يجرى البحر المتوسط ، الخارج الى بلد الشام ، وهو البحر المسمى ببحر « تيران » ^(٦) ومعناه الذى يشق دائرة الارض ، ويسمى البحر الكبير . انتهى .

(١) سهو من الناسخ فان نربونة تقابل البحر المتوسط

(٢) المغاربة والاندلسيون يقولون للشمال الجوف كما تقدم الكلام عليه وسنعود اليه

(٣) أظن أنه المكان الذى يقول له الاسبانيول Agredas

(٤) Ebro (٥) Santa Maria

(٦) يكتب بالافرنسية هكذا Tyrrhenienne وهو البحر الذى يفصل بين

إيطالية وقورسقة وسردانية وصقلية

قال أبو بكر عبد الله بن عبد الحكم المعروف بابن النظام : بلد الاندلس عند علماء أهل اندلسان : فالاندلس الشرق منه ما صبت أوديته الى البحر الرومي المتوسط ، المتصاعد من أسفل أرض الأندلس الى المشرق ، وذلك ما بين مدينة تدمير الى سرقسطة . والاندلس الغربى ما صبت أوديته الى البحر الكبير المعروف بالحيط ، أسفل من ذلك الحد ، الى ساحل المغرب . فالشرق منهما يطر بالرياح الشرقية ، ويصلح عليها ؛ والغربى يطر بالرياح الغربية ، وبها صلاحه ، وجباله هابطة الى الغرب ، جبلا بعد جبل . وإنما قسمته الاوائل جزئين لاختلافهما فى حال امطارهما ، وذلك انه مهما استحكمت الرياح الغربية ، كثر مطر الاندلس الغربى ، وقحط الأندلس الشرقى ، ومتى استحكمت الرياح الشرقية كثر مطر الأندلس الشرقى ، وقحط الغربى . وأودية هذا القسم تحرى من الشرق الى الغرب ، بين هذه الجبال . وجبال الاندلس الغربى تمتد الى الشرق ، جبلا بعد جبل ، تقطع من الجوف الى القبلية ، والودية التى تخرج من تلك الجبال يقطع بعضها الى القبلية ، وبعضها الى الشرق ، وتنصب كلها الى البحر المحيط ، بلاندلس القاطع الى الشام ، وهو البحر الرومي . وما كان من بلاد جوف الأندلس من بلاد جليقية وما يابها ، فإن أوديتها تنصب الى البحر الكبير المحيط بناحية الجوف^(١) (وصية الأندلس) تشكل مكن على مثل الشكل

(١) تقدم لنا أن اخواننا المغاربة اصطالحوا على تسمية الشمال بالجوف ، وأنا بحثنا كثيرا حتى نعلم وجه هذه التسمية ، لانه ليس فى كتب اللغة ما يدل على أن الجوف يعنى به الشمال ، بل الجوف فى اللغة هو المظمن من الارض ، وهو داخل الشئ : فن الانسان بطنه ، ومن البيت داخله . ولا مناسبة بين الشمال والجوف فى شئ . ومع هذا فلا تكاد فى جميع كتب الاندلس تجد معنى الشمال معبرا عنه بغير الجوف ، بما حدانا أن نسأل اخواننا المعروفين بسعة الاطلاع فى اللغة ، واصالة الرأى فى توجيه معانى الالفاظ ، عما يرونه من وجه هذا الاصطلاح ، فالسيد علال القاسى من رؤوس أدباء المغرب ، رأى كما تقدم الكلام عليه ، أن الجوف بلاد واقعة فى شمال مكة فكما أن الجنوب يسمى بالقبلية فى بلاد الشام ، أصبح الجوف علما على الشمال بالنسبة الى أهل الحجاز ، ومن هنا غلب هذا الاستعمال فى المغرب والاندلس . وقد استحسن

المثلث ، ركنها الواحد فيما بين الجنوب والمغرب ، حيث اجتماع البحرين عند صنم

هذا الرأي الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق .
وأما الأستاذ الأب انسطاس الكرملي فقال إلى القول بأن الذين أطلقوا الجوف على الشمال لا بد أن يكونوا أهالي شمالي أفريقية لأن الريح الشمالية تهب عليهم من جوف البحر المتوسط فصار كل شمالي عندهم جوفاً . ثم أنه جاءني جواب في هذا الموضوع من الأستاذ الشيخ خضر حسين التونسي يقول فيه : إن أهل تونس كما يسمون الجنوب بالقبلة ، يسمون الشمال بالجوف . وتجدهم هذا الاستعمال فاشياً في تحديد الأرضين ، ويظهر أنه جاء إلى تونس من الأندلس ، وكنت أخبرت الأستاذ الخضر عما ظهر للأستاذ علال الفاسي من جهة هذا الاستعمال ففي جوابه قال لي أنه قد خطر ذلك على باله ، ولكن لم يطمئن إليه لأن هذه الكلمة بهذا المعنى لم تستعمل إلا بالمغرب والأندلس . ويظهر أن أصل استعمالها هو في الأندلس ، فربما كان السبب فيه أن العرب دخلوا الأندلس من جهة الجنوب ، فكان الجوف عندهم هو داخل البلاد ، وهو في الشمال كما لا يخفى ، فصار الشمال عندهم مرادفاً للجوف

وأما كاتب هذه السطور فقد كنت من أول الأمر أظن أن العرب لما كانوا قد دخلوا الأندلس من الجنوب ، وتوغلوا فيها إلى الشمال ، وصلوا إلى ما يسمونه بالأرض الكبيرة ، شمالي البرانس ، وهي وسط القارة الأوروبية ، لا طرفها كما هي أسبانية فصاروا يقولون للأرض الكبيرة جوفاً ، ولما كانت الأرض الكبيرة هي في الشمال نحراً ، صار الشمال والجوف عندهم مترادفين . وقد جاءني من السيد علال الفاسي مؤخراً كتاب يقول فيه : « وأما رأيكم فقد وجدت ما يستأنس له به في كلام ابن خلدون فقد جاء عنده في صفحة ٣٠٣ مالفظة : « وقال هوروشوش أن نيرون قيصر انتقض عليه أهل مملكته ، فخرج عن طاعته أهل بريطانيا من أهل الجوف ، ورجع أهل أرمينية والشام إلى طاعة الفرس اه .

وخلاصة القول أن الاستاذين عبد القادر المغربي وعلال الفاسي يميلان إلى القول بأن الجوف استعمل للشمال لوقوع بلاد الجوف في شمالي مكة ، كما استعملت القبلة لمعنى الجنوب لوقوعها في شمالي الشام ، وأن العلامة الكرملي يرى التسمية المذكورة بدأت عند أهل شمالي أفريقية ، لكون الرياح الشمالية تهب على بلادهم من جوف البحر المتوسط ، وأن العلامة خضر حسين التونسي يذهب إلى رأي قريب من رأي

قادس . وركنها الثاني في بلد جليقية ، حيث الصنم المشبه صنم قادس ، مقابل جزيرة بريطانية . وركنها الثالث بين مدينة نربونة ، ومدينة برديل من بلد الفرنجة ، بحيث يقرب البحر المحيط من البحر الشامي المتوسط فيكادان يجتمعان في ذلك الموضع فيصير بلد الأندلس جزيرة بينهما في الحقيقة ، لولا أنه يبقى بينهما برزخ برية صحراء وعمارة مسافة مسيرة يوم للراكب منه المدخل إلى الأرض الكبيرة ، التي يقال لها الأبواب ، ومن قبله يتصل بلد الأندلس بتلك البلاد المعروفة بالأرض الكبيرة ، ذات الألسن المختلفة .

قال : وأول من سكن بالأندلس على قديم الأيام ، فيما نقلته الاخبار يون ، من بعد عهد الطوفان ، على ما يذكره علماء عجمها ، قوم يعرفون بالانداس ، معجمة الشين بهم سمي المكان ، فحرب فيما بعد بالسين غير المعجمة ، كانوا الذين عمروها ، وتناسلوا فيها وتداولوا ملكها دهرًا ، على دين التمجس والإهمال والإفساد في الأرض ، ثم أخذهم الله بذنوبهم ، فحبس المطر عنهم ، ووالى القحط عليهم ، وأعطش بلادهم حتى نضبت مياهها ، وغارت عيونها ، ويبست أنهارها ، وبادت أشجارها ، فهلك كثيرهم ، وفر من قدر على الفرار منهم ، فافترت الأندلس منهم وبقيت خالية ، فيما يزعمون ، مائة سنة و بضع عشر سنة ، وذلك من حد بلاد الفرنجة إلى حد بحر الغرب الأخضر

هذا العاجز ، وهو أن العرب جاؤا الأندلس من الجنوب ، فكان داخلها أو جوفها هو الشمال في نظرهم ، وفي الواقع ، فأطلقوا كلمة الجوف على كل ما هو شمالي . وإنما الفرق هو في أني أنا أظن أن الجوف عند العرب لم يكن جوف الأندلس نفسها ، ولكن جوف القارة الاوربية كلها ، لأن الأندلس في ذاتها هي طرف بالنسبة إلى القارة المذكورة ، فالأندلس وجزر البحر المتوسط وإيطالية هي بالنسبة إلى أوربة معدودة من الاطراف ، والجوف هو وسط القارة . ولما كان هذا الوسط هو في الشمال بالنسبة إلى أهل المغرب وعرب الأندلس ، فقد أطلق هؤلاء اسم الجوف على الشمال وكلام ابن خلدون فيه ما يدل على هذا ، لأنه يذكر انتقاض أهل بريطانيا ، وهم أهل شمالي فرنسا وجزيرة انكلترا ، ويعدم أهل وسط أوربة فهذه هي الآراء المختلفة في هذا التوجيه والقارىء أن يختار منها ما يشاء

وكان عدّة ما عمرتها هذه الامة البائدة مائة عام و بضع عشرة سنة . ثم ابتعث الله لعمارها الافارقة ^(١) ، فدخل اليها بعد اقفارها تلك المدة الطويلة ، قوم منهم ، أعلام

(١) أى أهل أفريقية . وهذا رأى الذى قاله ابن النظام معروف فى أوربة . قال رافائيل بلاستر فى تاريخ أسبانية ما خلاصته : إن الذين عمروا أسبانية قبل الجميع هم الليقوريون Ligures والايبيرون Ibères والسلتيون Celtes فأما أصل الليقوريين فجهول ، ولا يعرف وجودهم إلا من بعض أسماء البقاع ، وكل ما يقال عن أصلهم فهو رجم بالغيب : وأما الايبيرون فقد ذهب قوم إلى أن أصلهم هو من آسية ، وقيل إنهم من أصل سامى أفريقى ، وذلك لشدة التشابه بين الايبيين وبين قبائل الاطلس ، والبرابر والطوارق ، سواء فى الملامح ، أو فى المنازع والأخلاق ومن المؤرخين من يرى أن الايبيين هم أجداد الباشكنس الحاليين ، ويستدلون على هذا ببعض أدلة لغوية . أما السلتيون فهم شعب طراً من آسية على غربى أوربة والوسط منها وقد اتجمعوا أسبانية فى القرن السادس قبل المسيح ، وأقاموا بغربها وموسطتها ، وتلاقوا مع الايبيين ، ولم يطرد أحد الفريقين الآخر . وكانت نتيجة تساكن هذين العنصرين تولد اسم « السلتيبير » Celtibères أى السلتى الايبيرى وهو اسم أطلق على الايبيين الذين فى أواسط أسبانية وقد عرف هذا الاسم منذ سنة ٢١٨ قبل المسيح وبالاختصار كانت اسبانية لذلك العهد منقسمة إلى ما يلى :

القسم الشمالى الشرقى الذى يقطنه الباشكنس ، مثل يسقاية ونبارة ، ووشقة ، والفاردول Vardules فى « قيوسقوا » Guipuzcoa . والايبرجيت Illergetes فى لاردة . والكوزيتان Cosétanes فى طركونة ، واللاسيثان Lacétanes فى برشلونة والاوزيتان Ausétanes ، والانديجيت Indigètes فى جرندة Gérone ، والايديتان Edetans فى بلنسية ، والباستيئان Bastitans فى لقنت ومرسية ، والترديتان Turdetans والتردول Turdules والتارتيز Tarteses فى الجنوب من بوغاز جبل طارق إلى وادى يانه Guadiana . ثم القسم المتوسط ، وسكانه الاوريثان Orétans فى جهات المانش . والكاريتان Carpétans فى طليطلة . والاريتاك Arévaques فى شوريه Soria ونومانسية Numancia مع المقاطعات السلتيبرية الممتدة من الوادى الجوفى Dourv إلى أرض بالنسية Palencia (هى غير بلنسية Valencia) حيث يسكن القاسيون Vaceens

ملك أفريقية تخفيفاً منهم ، لإبحال توالى على أهل مملكته ، وتردد عليهم ، حتى كاد يفنيهم ، فحمل منهم خلقاً فى السفن مع قائد من قبليدعى أبطريقس ، فأرسوا بريف الأندلس الفرى ، واحتلوا بجزيرة فادس ، فاصابوا الأندلس قد أمطرت وأخصبت فجرت أسهارها ، وانفجرت عيونها ، وحييت أشجارها ، فنزلوا الأندلس مغتبطين وسكنوها معتمرين وتوالدوا فيها ، فكثروا ، واستوسعوا فى عمارة الارض ، ما بين الساحل الذى أرسوا فيه غربها ، إلى بلد الأفريجة من شرقها ، ونصبوا من أنفسهم ملوكاً عليهم ، ضبطوا أمرهم ، وتولوا على إقامة دولتهم ، وهم مع ذلك على ديانة من قباهم من الجاهلية ، وكانت دارممالكهم « طاقية » ؟ الخراب اليوم ، من أرض أشبيلية ، اخترعها ملوكهم وسكنوها ، فانسق ممالكهم بالأندلس مائة وسبعة وخمسين عاماً ، إلى أن أهلكهم الله تعالى ونسخهم بعجم رومة ، بعد أن ملك من هؤلاء الأفرقة فى دولتهم تلك أحد عشر ملكاً .

ثم صار ملك الأندلس إلى عجم رومة . ومالكهم أشبان بن طيطش ؟ وباسمه سميت الآن اس اشبانية . وذكر بعضهم أن اسمه أصهبان . وحيل باسم العجم ، وقيل بل كان مؤند بأصهبان ، فغلب اسمها عليه ^(١) ؟ وهو الذى بنى إشبيلية . وكان اشبانية اسماً خالصاً لبلد اشبيلية . الذى كان ينزله اشبان هذا ثم غاب الاسم بعده على الأندلس كله . فالعجم الآن يسمونه اشبانية ، لأنار اشبان هذا فيه ، وكان أحد الملوك الذين

ثم القسم الثالث الذى يقطنه القنطاريون Cantabres أهل سنت اندر (أوشنت ادرم) والاستوريون Astures (أو الاشوريون) والغاليسيون Gallaïques أهل غاليسيا Galicia وقبائل سلتيه ساكنة بين البحر المحيط والوادي الجوفى والأمة التى يقال لها اللوزيتانيون Lusitains وهم أقوى أمة ايبيرية بين الوادي الجوفى ووادي يانه أى البرتغال وشمالى الاسترامادور . وإلى الشرق من لوزيتانية كان يسكن الفتونيون Vettons وكان فى جزيرتى ميورقة ومينورقة قوم يقال لهم ، الجيمناز ، Ginnèses وفى جزيرة يابسة قوم يقال لهم ، البيتيوز ، Pytienses

(١) لم نعث على شيء من هذا فى كلام المحققين

ملكوا أقطار الدنيا ، فبازعوا ، وكان غزا الأفاقة ، عند ما ساطه الله عليهم في جموعه ففض عسا كرم ، وأنحن فيهم ، ونزل عليهم بقاعدتهم « طالقة »^(١) وقد تحصنوا فيها منه ، فابتنى عليهم مدينة أشبيلية اليوم . واتصل حصره وقتاله لهم ، حتى فتحها الله عليه وغلبهم ، واستوت له مملكة الأندلس بأسرها ، ودان له من فيها ، فهدم مدينة طالقة ونقل رخامها وآلاتها إلى مدينة أشبيلية ، فاستتم بناءها . واتخذها دار مملكته واستغلاظ سلطانه في الأرض ، وكثرت جموعه ، فعلا ، وعظم عتوه . ثم غزا إيليا ، وهي القدس الشريف ، من أشبيلية ، بعد سنتين من ملكه ، خرج اليها في السفن فغنمها وهدمها وقتل فيها من اليهود مائة ألف واسترق مائة ألف ، ونقل رخام إيليا وآلاتها إلى الأندلس وقهر الأعداء ، واشتد سلطانه . وإنهى .

ودكر بعض المؤرخين : أن الغرائب التي أصيبت في مغامم الأندلس أيام فتحها كائنة سايمان عايه الصلاة والسلام ، التي ألغاها طارق بن زياد بكنيسة طليطلة . وقليلة^(٢) الدر التي ألغاها موسى بن نصير بكنيسة ماردة ، وغيرهما من ظرائف الذخائر ، إنما كانت مما صار لصاحب الأندلس من غنيمة بيت المقدس . إذ حضر فتحها مع بختنصر^(٣) ، وكان اسم ذلك الملك بريان ؟ وفي سهمه وقع ذلك ومثله ، مما كانت الجن تأتي به نبي الله سايمان^(٤) ، على نبينا وعايه وعلى جميع الأنبياء الصلاة والسلام . انتهى .

(١) جاء ذكر طالقة هذه في معجم البلدان لياقوت قال : طالقة ناحية من أعمال أشبيلية بالأندلس . وقرأت أسماء علماء من العرب منسوبين إلى طالقة
(٢) تصغير قلة بمعنى جرة

(٣) المعروف أن الذي فتح بيت المقدس من ملوك بابل هو نوكدنصر الثاني ابن نابوبولصر وكان قد خلف أباه سنة ٦٠٤ قبل المسيح وهو الذي حصر بيت المقدس مرتين سنة ٥٩٧ ثم سنة ٥٨٦ وسبى بنى إسرائيل السبى الشهير المعروف بسبى بابل .

(٤) هذه كلها من أساطير الأولين

وقال غير واحد من المؤرخين ، كان أهل المغرب الأقصى يضرون بأهل الأندلس لاتصال الأرض ، ويتقون منهم الجهد الجهد في كل وقت ، إلى أن اجتاز بهم الاسكندر^(١) ، فشكوا حالهم اليه . فأحضر المهندسين ، وحضر إلى الزقاق ، فأمر المهندسين بوزن سطح الماء من المحيط والبحر الشامي ، فوجدوا المحيط يعلو البحر الشامي بشيء يسير فأمر برفع البلاد التي على ساحل البحر الشامي ونقلها من الحضيض إلى الأعلى ، ثم أمر بحفر ما بين طنجة و بلاد الأندلس من الأرض ، حفرت حتى ظهرت الجبال السفلية ، وبنى عليها رصيفاً بالحجر والجيار بناء محكماً ، وجعل طوله اثني عشر ميلاً ، وهي المسافة التي كانت بين البحرين ، وبنى رصيفاً آخر يقابله من ناحية طنجة ، وجعل بين الرصيفين سعة ستة أميال ، فلما كمل الرصيفان حفر من جهة البحر الأعظم وأطلق فم الماء بين الرصيفين ، فدخل في البحر الشامي ، ثم فاض ماؤه فأغرق مدناً كثيرة ، وأهلك أمماً عظيمة . كانت على الشطين^(٢) ، وطفا الماء على الرصيفين إحدى عشر قامة . فأما الرصيف الذي يلي بلاد الأندلس فانه يظهر في بعض الأوقات إذا نقص الماء ، طهوراً يذنباً مستقيماً ، على خط واحد ، وأهل الحزيرتين يسمونه القنطرة . وأما الرصيف الذي من جهة المدوة ، فإن الماء حمله في صدره ، واحتفر ما خلفه من الأرض اثني عشر ميلاً . وعلى طرفه من جهة المغرب قصر الجواز ، وسبته ، وطنجة . وعلى طرفه من الناحية الأخرى جبل طارق بن زياد ، وجزيرة طريف ، وغيرها والجزيرة الخضراء ، وبين سبته والجزيرة الخضراء ، عرض البحر انتهى مائلاً . وقد تكرر بعضه مع ما جلبناه ، والمذريتين ، لارتباط الكلام بعضه ببعض .

وقال ابن سعيد . ذكر الشريف^(٣) أن لاحظ لأرض الأندلس في الاقليم

(١) ومتى اجتاز بهم الاسكندر ؟

(٢) بمقتضى هذه الأساطير يكون الاسكندر اتقى الضرر الأخف بالضرر الأشد

(٣) يعنون بالشريف الشريف الإدريسي

الثالث قال : ويمر بجزيرة الأندلس الاقليم الرابع على ساحلها الجنوبي ، وما قاربه من قرطبة واشبيلية ومرسية وبلنسية ، ثم يمر على جزيرة صقلية ، وعلى ما في سمتها من الجزائر ، والشمس مدبرة له . والاقليم الخامس يمر على طليطلة ، وسرقسطة ، وما في سمتها إلى بلاد أرغون التي في جنوبها برشلونة ، ثم يمر على رومية وبلادها ، ويشق بحر البنادقة ، ثم يمر على القسطنطينية ، ومدبرته الزهرة . والسادس على ساحل الأندلس الشمالى الذى على البحر المحيط وما قاربه ، وبعض البلاد الداخلة في قشتالة وبرتقال وما في سمتها . وعلى بلاد برجان والصقالبة والروس ، ومدبره عطار ، ويمر الاقليم السابع في البحر المحيط ، الذى في شمال الأندلس ، إلى جزيرة انقلطرة ، وغيرها من الجزائر ، وما في سمتها من بلاد الصقالبة و برجان ^(١) . قال البيهقي : وفيه تقع جزيرة تولى ، وجزيرتا أجيال والنساء ، وبعض بلاد الروس الداخلة في الشمال والبلغار ومدبره القمر . اهـ

وقال بعض العلماء ما معناه إن النصارى أعطوا عن الآخرة بستاناً متصلاً من البحر المحيط بالأندلس إلى خليج القسطنطينية وعندهم عموم الشاه بلوط ، والبندق ، والجوز ، والفسق ، وغير ذلك مما يكون أكثر وأمكن في الاقاليم الباردة ، والتمر عندهم معدوم ، وكذا الموز وقصب السكر ، وربما يكون شيء من ذلك في الساحل . لان هواء البحر يديء . اهـ

قال ابن حيان في المقتبس : ذكر رواة المعجم أن الخضر عليه السلام وقف على أشبان المذكور وهو يحرق الأرض بفدن له أيام حرائته : فقال له : يا أشبان إنك

(١) برجان بالجيم بلد من نواحي الخزر ، قاله ياقوت في معجم البلدان ، قال المنجمون هو في الاقليم السادس ، وطوله أربعون درجة ، وعرضه خمس وأربعون درجة ، وكان المسلمون غزوه في أيام عثمان رضى الله عنه ، فقال أبو نجيد التميمي :

بدأنا بجيلا نزل عرشهم كتاب تزجى في الملاحم فرسانا
وعدنا لأشبان بمثل عداتهم فعادوا جوالى بين روم وبرجانا

لذو شأن ، وسوف يحطيك زمان ، ويعليك سلطان . فإذا أنت غلبت على ايليا ،
فأرفق بذرية الانبياء . فقال له اشبان : أساخر بى رحلك الله ؟ أنى يكون هذا منى
وأنا ضعيف متهين حقير فقير ؟ ليس مثلى ينال السلطان ! فقال له : قد قدر ذلك
فيك من قدر فى عصاك اليابسة ما تراه فنظر اشبان إلى عصاه فإذا بها قد أورقت
فريع لما رأى من الآية ، وذهب الحضر عنه ، وقد وقع الكلام بخلده ، ووفرت فى
نفسه الثقة بكونه . فترك الامتهان من وقته ، وداخل الناس ، وصحب أهل البأس
منهم ، وسما به جرّه ، فارتقى فى طاب السلطان حتى أدرك منه عظيما ، وكان
منه ما كان ، ثم أتى عليه ما أتى على القرون قبله . وكان ملكه كله عشرين سنة
وتمادى ملك الاشبانين بعده إلى أن ملك منهم الاندلس خمسة وخمسون ملكا
ثم دخل على هؤلاء الاشبانين من عجم رومة أمة يدعون البشتواقات وملكهم
طلوئش بن بيطه ، وذلك زمن بعث المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، أتوا
الاندلس من قبل رومة ، وكانوا يملكون أفرنجة معها ، وبيعثون عمالهم اليها ، فاتخذوا
دار مملكتهم بالاندلس مدينة ماردة ^(١) ، واستولوا على مملكة الاندلس ، واتصل

(١) المعروف أن الذين نوا ماردة هم الرومانيون ، وذلك قبل المسيح بخمسة وعشرين
سنة لا غير ، وسموها « أوغستا أميريتا » Augusta Emerita وكانت قاعدة ولاية
« لوزيتانيا » ثم عظمت ونمت حتى صار يقال لها « رومة الاسبانيولية » ودخل عليها
القوط وهى بهذه الحالة . وأما « الشتولقات » فلم نعرف من يعنى بهم مؤرخونا ؟ وهم
معدورون فى عدم تمحيص التاريخ فى القرون الوسطى التى كان التاريخ القديم فيها
لا يزال فى مهد الطفولية سواء فى الشرق أو فى الغرب والمظنون أنهم يريدون بهم
الفيزيقوط Visigots أما « أشبان » هذا فلم نعرفه ، ولا عرفنا عنه شيئا ، ولا سمعنا
بغزوه بيت المقدس ولا باخضرار العصا فى يده . وجل ما عرفنا عن الذين كانوا يلون
اسبانية قبل القوط أنهم من أمة « السوييف » Suèves وهى أمة جرمانية زحفت من
الشمال إلى الجنوب نظير القوط . ويقال أنها من نفس الجنس الجرمانى الذى يقال له
اليوم « سقاب » Swab وأن القوط نزعوا من أيديهم القسم الشمالى الغربى من اسبانية

ملكهم بها مدة ، إلى أن ملك منهم سبعة وعشرون ملكاً ، ثم دخل على هؤلاء .

سنة ٥٨٥ قبل المسيح ومن ذلك الوقت كانت الدولة للقوط الملقيين ، بالفيزيقوط ، وربما كان العرب رأوا فيهم جنساً آخر غير الجنس القوطي ، على حين أنهم هم قوط الغرب ، كما أن ، الأوستروقوط ، هم قوط الشرق . وكلا الفريقين استولى على إيطاليا وتقدم إلى جنوبي فرنسا ، ثم فتح القوط الغربيون اسبانية ، كما ذكرنا ، وتولى أول ملك منهم عليها سنة ٥٣١ ب م واسمه « طوديش » Theudis ، ثم « طيوديجيزل » Théodigisèle سنة ٥٤٨ ثم « أجيل » Agila سنة ٥٤٩ ثم « أتاجيلد » Atanagild سنة ٥٥٤ ثم « ليوبا » الأول Libua سنة ٥٦٧ ثم « ليوفيجيلد » Léowigild سنة ٥٧٢ ثم « هرمينيجلد » Herménigild سنة ٥٨٥ ثم « ريكاريد » Récarède سنة ٥٨٦ ثم « ليوبا » الثاني سنة ٦٠١ ثم « فيتريك » Vitceic سنة ٦٠٣ ثم « غندمار » Gondemar سنة ٦١٠ ثم « سيزبوط » Sisebut سنة ٦١٢ ثم « ريكاريد » الثاني سنة ٦٢١ ثم « سونفيل » Suintila سنة ٦٢١ ثم « ريسيمر » Ricimer سنة ٦٢٥ ثم « سيزيناند » Sisenand سنة ٦٣١ ثم « شنفيل » Chintila سنة ٦٣٦ ثم « طولغا » Tulga سنة ٦٤٠ ثم « شنداسنت » Chindasunte سنة ٦٤٢ ثم « ريسيزوينت » سنة ٦٥٢ ثم « قامبا » Vamba سنة ٦٧٢ ثم « أرفيج » Ervige سنة ٦٨٠ ثم « أحيزا » Egiza سنة ٦٨٧ ثم « فييزا » Witiza سنة ٧٠٠ ثم « رودريك » أو « لدريق » Rodrique سنة ٧١٠

والذي يلوح لنا من المقابلة بين هذه الروايات التي في بعض كتب العرب وبين تواريخ الافرنج المعول عليها أن الذين يعينهم ابن حيان بقولهم « البشتولقات » هم « الفيزيقت » أو « الفيزيقوط » أنفسهم والمشابهة بين اللفظتين ظاهرة فالقاء هي الباء والزاي هي الشين لأن من عادة العرب قلب السين والزاي شيئاً بل يقال أن أوائل الاسبان أيضاً كانوا يقلبونها شيئاً فتصير اللفظة هي « البيشيقيوت » ، واما اللام فطالما ادخلوها على الاعلام التي فيها « واو » ، مثل « بودوين » Baudwin جعلوها « بلدوين » ، ومثل « بيوGRADE » التي صارت « بلغراد » وعليه فتصير اللفظة « البشيقولت » ، ثم جمعوها على « بيشقولات » ، ثم تعاورها التصحيف الذي لا يوجد أكثر منه في نسخ العرب للألفاظ الافرنجية فان الاسم الافرنجي يحتاز عند العرب عقبتين الأولى هي اللفظ لأن العرب لا تقدر ان تتلفظ ببعض الحروف الافرنجية ولو قطعت رؤوسها

البشتولقات أمة القوط ، مع ملك لهم ، فغلبوا على الاندلس ، واقتطعوها من يومئذ

والثانية هي التحريف والتصحيح في النسخ فبعد ان يمر الاسم الافرنجي بهاتين العقبين يبعد جداً عن أصله حتى يصعب رده الى الأصل . وانا أرى ان « طوليش بن يبطه » الذى ذكره ابن حيان انه أول من ملك من « البشقولقات » انما هو « طوديش » Theudis الذى ذكر مؤرخو الافرنجة انه أول من ملك من « الفيزيقوط » أو « البيزيقوط » فى أسبانية . وكذلك « خشنش » الذى قال ابن حيان انه هو أول من تنصر من ملوك القوط انما هو « شنداسنت » الذى ملك عام ٦٤٢ وان الاسم تحرف أولاً الى « خنداشنت » ثم تصحف وتحرف فصار « خشنش » على ان مؤرخى الافرنج يذكرون ان أول ملك تنصر من ملوك القوط هو ريكاريذ الأول اى قبل عهد الذى سموه « خشنش » أو تصحف اسمه الى « خشنش » بخمسين سنة وشىء . واما « فيتيزا » الذى يسميه العرب فى كتبهم « غيطشه » فاني معتقد ان الغين ها هي تصحيف الفاء وان العرب من البداية قالوا « فيطشه » لا « غيطشه » وذلك لأنهم لفظوا الزاى شيئاً على عادتهم فصار « فيتيزه » هو « فيتيشه » ثم فخموا التاء فصار « فيطشه » . واما عدد ملوك « الفيزيقوط » فهو بحسب ما ذكر الافرنج ٢٥ ملكاً كما ترى ورواية ابن حيان عن عدد ملوك « البشقولقات » الذين اعتقد انهم هم هم هي ٢٧ ملكاً فالروايتان متقاربتان . وهناك ملاحظة . وهى ان المقرئ يروى فيما بعد قائلا : وقال جماعة : ان القوط غير البشقولقات الخ وهذا دليل على وجود روايات أخرى بان البشقولقات هم من القوط انفسهم لا سيما انه يروى عن هؤلاء ان عددهم ٢٧ ملكاً

وفى كتابنا « غروات العرب فى اوربة » نذكر مدينة طلويزة Toulouse ونقول انها كانت قاعدة ملكة التكتوزاجيين Valces Tectosages وقلت فى الحاشية ان هؤلاء هم جيل من الغولوا ولا تعلم هل هم الذين أرادهم صاحب نفح الطيب عند ذكر الأمم التى عمرت الاندلس وسماهم البشتولقات أم لا ؟ وقد تكون اللفظة مصحفة عن تشتلقات وفى صبح الاعشى يذكر الشبقات ويقول انهم ملكوا الاندلس وبلاد الاندلس معاً وان القوط خرجوا عليهم . انتهى . الا ان العلامات كثيرة على كون المراد بالبشتلقات أو البشتقات هم أمة الفيزيقوط . هذا ويظهر ان المؤرخين من أسبانيين وغيرهم يختلفون فى عدد ملوك القوط وفى اسمائهم وفى سنى ملكهم وذلك كما ترى من سلسلة ملوك القوط التى ننشرها هنا مع صورة كل واحد منهم فانك تراها مختلفة عن

من صاحب رومة، وتفردوا بسلطانهم، واتخذوا مدينة طليطلة دار مملكتهم وأقرباها سرير ملكهم، فبقى باشبيلية علم الاشبانيين، ورياسة أوليتهم (وقد كان عيسى المسيح عليه السلام) بعث الحواريين في الارض يدعون الخلق إلى ديانته، فاختلف الناس عليهم، وقتلوا بعضهم واستعجاب لهم كثير منهم. وكان من أسرعهم إجابة لمن جاءه من هؤلاء الحواريين خشن دس لك القوط، فتنصر، ودعا قومه إلى النصرانية وكان من صميم أعاضهم، وخير من تنصر من ملوكهم، وأجمعوا على أنه لم يكن فيهم أعدل منه حكما، ولا أرشد رأيا، ولا أحسن سيرة، ولا أجود تديرا، فكان الذي أصل النصرانية في مملكته، ومضى أهلها على سنته إلى اليوم، وحكموا بها، والانجيلات في المصاحف الأربعة التي يختلفون فيها من انتساخه، وجمعه، وتنقيفه. فتناست ملوك القوط بالأندلس بعده، إلى أن غلبتهم العرب عليها، وأظهر الله تعالى دين الاسلام على جميع الأديان.

فوقع في تواريخ المعجم القديمة ان عدة ملوك هؤلاء القوط بالأندلس، من عهد «اثانا وينوس»^(١) الذي ملك في السنة الخامسة من مملكة «فلبش»^(٢)

السلسلة الأولى التي نقلناها عن تواريخ محصنة افرنجية الا ان السلسلة المصورة مبدوء فيها بملوك القوط وهم لا يزالون في غالية وهي منقولة عن مجموعة عظيمة مطبوعة في برشلونة بمطبعة «بونا فيستا» Buenavista كانت قد أهديت الى الوطنى الكبير فقيده المغرب الحاج عبد السلام بنونه من عيون أعيان تطاون رحمه الله وقد أهدانا اياها أخوه الفاضل الحاج محمد العربى بنونه حفظه الله وما نشرناه في هذا الكتاب من التصاوير والرسوم منه ما أخذناه عن هذه المجموعة ومنه ما اقتنيناها في أثناء سياحتنا الى الاندلس ومنه ما أرسلنا واستجلبناه منها فيما بعد

(١) أظن هذا الاسم محرفاً وأصله «أتانا جيلدوس» وهو من ملوك القوط، وقد مر بك

(٢) فلبش القيصر الرومانى ملك من سنة ٢٤٤ للمسيح إلى سنة ٢٤٩ وكان عربى الأصل.

القيصري « لمضى اربعمائة وسبع من تاريخ الصفر^(١) المشهور عند المعجم ، إلى عهد

(١) كان أشهر تاريخ هو التاريخ المسمى باليالياني Julien وذلك أنهم قسموا السنة إلى ١٢ شهراً تبلغ عدة أيامها جميعاً ٣٥٥ يوماً فلزم حينئذ إضافة شهر جديد تكون أيامه ٢٢ أو ٢٣ يوماً ، حتى تتم المطابقة مع السنة الشمسية ، فكان هذا الشهر المضاف يأتي كل سنتين . ويكون دوره في آخر السنة بين ٢٣ و ٢٤ فبراير وكانوا يسمونه « مرسدونيوس » Mercedonius فكان دور أربع سنوات يزيد باثني عشر يوماً على عدد الأيام التي في السنوات الأربع الشمسية وأخيراً صار يأتي ١ يناير في ١٥ أكتوبر ، فاضطر يوليوس قيصر إلى اصلاح الحساب ، وأضاف إلى السنة شهرين ، أحدهما ٣٣ يوماً ، والآخر ٣٤ يوماً . ثم جاء الفلكي الاسكندري سوزستان Sosisthène فقرر للسنة ٣٦٥ يوماً ، وبقيت ست ساعات لأجل تمتع الوقت الذي يقتضيه دوران الشمس حول الأرض ، فألف من هذه الساعات يوم واحد كل أربع سنوات ، فوضعوا هذا اليوم بعد ٢٣ فبراير

وهكذا جرى اصلاح الحساب الأول ، إلا أن سنة سوزستان نفسها بقيت ناقصة باحدى عشرة دقيقة واثني عشرة ثانية عن السنة الشمسية ، وبقيت الحال هكذا من سنة ٤٧ للمسيح إلى سنة ١٥٨٢ فذه لاصلاح هذا الخلل البابا غريغوريوس الثالث عشر . فأصلح الحساب اليولياني . وسمى الحساب الجديد بالحساب الغريغوري ، ولكنه لم يسلم من الخلل أيضاً ، بحيث لا يزال علماء الفلك والتقويم يفكرون في حساب آخر ينتهي إليه الضبط ، ولكن صعوبة ترك التقليد تحول دون هذا المشروع في اوروبا ، وسنة ١٩١٧ إذ كنت من أعضاء مجلس النواب العثماني في استانبول ، تقرر عندها في المجلس العمل بالتاريخ الغريغوري كونه أصبح من التاريخ العربي ، فتم هذا القرار في مجلس النواب أو المبعوثين ، وتقدم إلى مجلس الأعيان ، فجاء الفلكي الشهير أحمد مختار باشا الغازي . واعترض على هذا التغير ، وقال : إن الحساب الغريغوري هو أيضاً غير سالم من الخطأ ، فما الفائدة في العدول عن خطأ إلى خطأ آخر؟ وبين براهين علمية صحة نظره . وبذلك عدلت الدولة العثمانية يومئذ عن اتخاذ الحساب الغريغوري ، وبقيت على الحساب الذي يقال له المارتي ، وهو حساب عربي قد رفع منه الفرق بين الشمسي والقمرى ، ولكن تركيا بعد الحرب العامة عادت فاتخذت الحساب الغريغوري . أما في زمن أغسطس قيصر فقد وضع الرومان حسابين لمواسم الزراعة أحدهما يسمى

سلسلہ نمونہ کات القوط فی اسبابانیہ

				سیدیک	۶۷-۶۸
				نور	۶۹-۷۰
				سید شفیقہ	۷۱-۷۲
				راستین	۷۳-۷۴
				فارس	۷۵-۷۶
				سید علی	۷۷-۷۸
				ایضاً	۷۹-۸۰
				فیض	۸۱-۸۲
				لاریج	۸۳-۸۴

لذريق آخرهم ، الذى ملك في السنة التاسعة والاربعين وسبعائة من تاريخ الصفر ، وهو الذى دخلت عليه العرب فأزالت دولة القوط ، ستة وثلاثون ملكا ، وأن مدة أيام ملكهم بالاندلس ثلثمائة واثنان وأربعون سنة اه .

وفال جماعة : إن القوط غير البشتولقات ، وإن البشتولقات من عجم رومة ، وإنهم جعلوا دار ملكهم ماردة ، واتصل ملكهم إلى أن ملك منهم سبعة وعشرون ملكا ، ثم دخل عليهم القوط ، واتخذوا طليطلة دار مملكة ، ثم ذكر تنصر ملكهم خشنش مثل ما تقدم ، ثم ذكر أن عدّة ملوك القوط ستة وثلاثون ملكا

وذكر الرازي أن القوط من ولد ياجوج بن يافث بن نوح ، وقيل غير ذلك اه وذكر الرازي في موضع آخر نحو ما تقدم وزيادة واه :

إن الاندلس في آخر الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة التى تقدم ذكرها التى هي ربع معمور الدنيا ، فهي موسطة من البلدان ، كريمة البقعة ، بطبع الحلقة ، طيبة التربة ، مخصبة القاع ، منبعجة العيون الثرارة ، منفجرة الأنهار الغزار ، قليلة الهوام ذوات السموم ، معتدلة اخواء أكثر الأزمان ، لا يزيد قيظها زيادة منكرة تضر بالابدان ، وكذا فصولها في أعم سنيها تأتى على قدر من الاعتدال ، وتوسط من الحال ، وفواكهها تتصل طول الزمان ، فلا تكاد تعدم ، لان الساحل ونواحيه ، يبادر بها كوره ، كما أن الثغر وجهاته ، والجبال التى يخصصها برد الهواء ، وكثافة الجو ، تستأخر بما فيها من ذلك ، حتى يكاد طرفا فاكهتها يلتقيان ، فمادة الخيرات فيها متصلة كل أوان .

كولوتيانوم Colotianum ، والآخر فالنس Vallense ووجدا مكتوبين على الحجارة وأما تاريخ الصفر فيقال إنه اصطلاح أسباني كان مبدأه أول يناير سنة ٣٨ قبل الميلاد . أى في زمن فتح أغسطس الرومانى لاسبانية ، وبقي مستعملا فيها إلى أواخر القرن الخامس عشر

ومن بحرهما بجهة الغرب يخرج العنبر الجيد ، المقدم على أجناسه في الطيب ، والصبر على النار ، وبها شجر المحاب ، المعدود في الأفوية ، المقدم في أنواع الأشنان كثير واسع . وقد زعموا أنه لا يكون إلا بالهند ، وبها فقط . وبها خواص نباتية يكثر تعدادها . انتهى ^(١) .

وقد ذكر غيره تفصيل بعض ذلك فقال : يوجد في ناحية « دلالية » ^(٢) من إقليم « البشرية » ^(٣) عود الانجوج ، لا يفوقه العود الهندي ذكاً . وعطر رائحة وقد سبق منه إلى خيران ^(٤) الصقلي صاحب المرية ، وأن أصل منبته كان بين أحجار هناك « وبأ كشونية » ^(٥) جبل كثيراً ما يتضوع ريحه ريح العود الذكي ، إذا أرسلت فيه النار ، ويبحر « شدونة » ^(٦) وجد العنبر الطيب الغربي ، وفي جبل « منت ليون » المحاب ^(٧) ، ويوجد بالأندلس القُسط ^(٨) الطيب ، والسنبِل ^(٩) الطيب ، والجنطيانة ^(١٠) تحمل من الأندلس إلى جميع الآفاق وهو عقّار ^(١١) رفيع

(١) هذه الجملة من كلام الرازي قد تقدمت ، لكن باختلاف قليل عما هي في هذا الموضع ، ونحن أحببنا أن نحافظ بقدر الامكان على نصوص المؤلفين الذين نقلنا عنهم

(٢) برجة ودلالية هما من عمل المرية

(٣) الأسبان يقولون للبشرة أو البشرات Albuxara وهي جبال عالية مشرفة

على البحر المتوسط (٤) سياق خبره

(٥) قال ياقوت : اكشونية بفتح الهمزة وسكون الكاف وضم الشين المعجمة وسكون الواو وكسر النون وياء خفيفة مدينة بالأندلس يتصل عملها بعمل أشبونة .

وهي غربي قرطبة ، وهي مدينة كثيرة الخيرات ، برية بحرية ، قد يلقى بحرهما على ساحلها العنبر الفائق الذي لا يقصر عن الهندي (٦) Sidonia

(٧) ضبطه بفتح أوله وهو شجر له حب يجعل في الطيب

(٨) بضم أوله فسكون وهو عود يتداوى به

(٩) السنبِل هنا هو نبات طيب الرائحة يتداوى به ويسمى سنبِل العصافير

(١٠) الجنطيانة هو من العقاقير المعروفة في المغرب واطباء المغرب يطلقونه على جذر

النبات المعروف عند الصيادلة بأوضنى ، هكذا كتب الينا من فاس

(١١) بفتح أوله وتشديد ثانيه والجمع عقاقير

والمرء الطيب بقلعة أيوب ، وأطيب كهرباء الأرض بشدونة ، درهم منها يعدل دراهم من المجلوبة . وأطيب القرمز قرمز الاندلس ، وأكثر ما يكون بنواحي اشبيلية ، ولبلبة ^(١) ، وشدونة ، وبلنسية ، ومن الاندلس يحمل إلى الآفاق .

و بناحية لورقة من عمل تدمير يكون حجر اللازورد الجيد ، وقد يوجد في غيرها وعلى مقربة من حضرة لورقة من عمل قرطبة معدن البلور ، وقد يوجد بجبل « شحيران » وهو شرقي « بيرة » وحجر النجادي ؟ يوجد بناحية مدينة الاشبلونة ، في جبل هنالك يتلألاً فيه ليلاً كالسراج ، والياقوت الأحمر يوجد بناحية حصن « منت ميور » ^(٢) من كورة . القلة ، إلا أنه دقيق جداً لا يصلح الاستعمال لصغره ، و يوجد حجر يشبه الياقوت الأحمر بناحية « بجانة » ^(٣) في خندق يعرف بقرية « ناشرة » أشكالاً مختلفة كأنه مصبوغ ، حسن اللون ، صبور على النار ، وحجر المغناطيس الجاذب للحديد يوجد في كورة تدمير . وحجر الشدنة « يوجد بجبل قرطبة ، كثير ، ويستعمل ذلك في التذهيب . وحجر اليهودي في ناحية حصن « البونت » ^(٤) أنفع شيء ، للحصاة وحجر المرقشينا الذهبية في جبال « ابد » ^(٥) لا نظير لها في الدنيا ، ومن الأندلس

(١) Niebla قد كررنا تعريف هذه الأسماء بالعربي وبالاسبانيولي لأن القاريء لا يقدر ان يحفظها الا بالتكرار . وان لم ترسخ في ذهنه فلا يستطيع ان يفهم تاريخ الاندلس وجغرافيتها على وجههما . فالتكرار لازم الا في التعريف بالأسماء المشهورة

(٢) Montmayor (٣) Bechina

(٤) قال ياقوت : حصن « البونت » بالضم والواو والون ساكنان والتاء فوقها نقطتان حصن بالاندلس ، وربما قالوا البنت . وقد ذكر . ينسب اليه ابو طاهر اسماعيل ابن عمران بن اسماعيل الفهرى البنتى ، قدم الاسكندرية حاجاً ، ذكره السلفى ، وكان ادبياً أريباً قارئاً ، وعبد الله بن فتوح بن موسى بن ابي الفتح بن عبد الله الفهرى البنتى أبو محمد ، كان من أهل العلم والمعرفة ، وله كتاب في الوثائق والاحكام . وله أيضاً رواية توفي في جمادى الآخرة سنة ٤٦٢

(٥) U'beda من أعمال جيان

تحمل إلى جميع الآفاق بفضلها . والمغنيسيا بالأندلس كثير . وكذلك حجر « الطلق » ^(١) ويوجد حجر اللؤلؤ بمدينة برشلونة ، إلا أنه جامد اللون . ويوجد المرجان بساحل يبرة ، من عمل المارية ، مالمقط منه في أقل من شهر نحو ثمانين ربماً . ومعدن الذهب بنهر لاردة ، يجمع منه كثير ، ويجمع أيضاً في ساحل الاشبونة ومعادن الفضة في الأندلس كثيرة ، في كورة تدمير ، وجبال جمة ^(٢) « بيجانة » ، وبإقليم « كرتش » من عمل قرطبة معدن فضة جليل . و « باشكونية » ^(٣) معدن القصدير لا نظير له ، يشبه الفضة ، وله معادن بناحية أفرنجية وليون . ومعدن الزئبق في جبل البرانس ، ومن هنالك يتجهز به إلى الآفاق . ومعادن الكبريت الأحمر والأصفر بالأندلس كثيرة . ومعادن التوتية الطيبة بساحل « البيرة » ^(٤) بقرية تسمى « بطرنة » ^(٥) وهي أزكى توتيا وأقواها في صبغ النحاس . وبجبال قرطبة توتيا وليست كالبطرنية . ومعادن الكحل أشبه بالأصفهاني بناحية مدينة طرطوشة ، يحمل منها إلى جميع البلاد . ومعادن الشبوب والحديد والنحاس بالأندلس أكثر من أن تحصى .

وما ذكرت هنا ، وإن تكرر بعضه مع ما سبق أو يأتي ، فهو لجمع النظائر . وما لم نذكره أكثر ، والله تعالى أعلم .

ومن خواص طليطلة أن حنطتها لا تتغير ولا تسوس على طول السنين ، يتوارثها

(١) بكسر فسكون وزان مثل هو حجر براق يتشظى اذا دق صحائف وشظايا يتخذ منه مضامير للحمامات بدلا عن الزجاج واجوده اليماني ثم الهندي ثم الاندلسي

(٢) لا أعلم هل هذه اللفظة هي دجمة ام جمة فان كانت دجمة وقد سقطت الدال منها في النسخ فهي عند الاسبانيول هكذا Diegma وان كانت جمة كما هي مكتوبة في النسخ فلا يبعد أن تكون اسما عربياً من أصله لا سيما انه يوجد جبال كثيرة عند العرب باسم جماء بالمد والهمز مؤنث اجم الذي لا قرن له ويقال بيت أجم أى لا شرقه له

(٣) في غربي الأندلس كانت مقاطعة يقال لها اشكونية قاعدتها مدينة شلب

(٤) Baterna (٥) Vera

الخلف عن السلف . وزعفران طايطة هو الذى يعم البلاد ، ويتجهز به الرقاق إلى الآفاق . وكذلك الصبغ السماوى . اهـ

وقال المسعودى فى مروج الذهب بعد كلام ما نصه : والعنبر كثير ببحر الأندلس ، يجهز إلى مصر وغيرها ، ويحمل إلى قرطبة من ساحل لها يقال له « شنترين » ^(١) و « شدونة » ^(٢) تباع الاوقية منه بالاندلس ثلاثة مثاقيل ذهباً ، والاوقية بالبغدادى ، وتباع بمصر أوقيته بعشرين ديناراً ، وهو عنبر جيد ، ويمكن أن يكون هذا العنبر الواقع إلى بحر الروم ، ضربته الأمواج من بحر الأندلس إلى هذا البحر لاتصال الماء . وبالأندلس معدن عظيم للفضة ومعدن للزئبق ^(٣) ليس

(١) Santarem فى البرتغال (٢) Sidonia

(٣) جاء فى كتاب « اسبابية المسئلة فى » قرن العاشر للأوى . بروفسال ما محصله : كانت المعادن من قديم الزمان معروفة فى أسانية . وكان الرومان يستخرجون منها جانباً كبيراً . وذلك كالحديد والذهب والفضة والرصاص والنحاس ، وكان الحديد منذولا . ولما دخل المسلمون إلى الأندلس لم يهتموا بالمعادن ، بل وفروا لها أعظم جانب من العناية وكانوا يستخرجون الذهب من رمال نهر لاردة ونهر شقر ونهر التاجه . وكانت الفضة فى نواحي مرسية والحة وقرطبة بمكان يقال له المرج حسبما روى الادريسي وفى « اطلقة » من عمل باجة كما قال ياقوت فى المعجم ويوجد الحديد فى تمالى الوادى الكبير بين قرطبة واشبيلية . وروى الادريسي انه كان منه فى قسططانية . وروى ياقوت انه كان منه فى وريش وكان على مسافة ١٢٥ كيلو متراً إلى الشمال من قرطبة معدن زئبق مشهور . وكان هذا المعدن معروفا عند الرومانيين ، ونفذ له المسلمون واستغلوه . وجغرافيو العرب يقولون انه فى جبل البرانس ومنه فى المحل الذى يقال له اليوم سيودادريال Ciudadreal فقد كان يوجد زئبق أيضاً هناك ، وأيضاً فى أبال بقرب قرطبة . وقال الادريسي انه رأى فى هذا المعدن الأخير ألف عامل ، منهم من كان مشغولاً باستخراج المادة من آبارها ، ومنهم من كان ينقل الحطب لأجل التحمية ، ومنهم من كان يصنع الآنية التى يستودع فيها المعدن بعد ذوبه ، ومنهم من كانوا يبنون المواقد

وكان عمق الآبار نحواً من مائة ذراع

بالجيد يجهز إلى سائر بلاد الاسلام والكفر، وكذلك يحمل من بلاد الأندلس الزعفران وعروق الزنجبيل . وأصول الطيب خمسة أصناف المسك ، والكافور ، والعود ، والعنبر ، والزعفران ، وكلها تحمل من أرض الهند وما اتصل بها إلا الزعفران والعنبر اهـ .

وهو وإن تكرر مع ما ذكرته عن غيره فلا يخلو من فائدة والله تعالى أعلم . وذكر البعض أن في بلاد الأندلس جميع المعادن الكائنات عن الثيرات السبعة الرصاص من زحل ، والقصدير الأبيض من المشتري ، والحديد من قسم المريخ ، والذهب من قسم الشمس ، والنحاس من الزهرة ، والزئبق من عطارد ، والفضة من القمر .

وذكر الكاتب ابراهيم بن القاسم القروى المعروف بالريق بلد الأندلس فقال : أهله أصحاب جهاد متصل ، يحاربون من أهل الشرك المحيطين بهم أمة يدعون

وكان يوجد زئبق وتوتية بقرب شكوبين على ساحل البحر المتوسط ، وكذلك ذكر المقرئ وجودهما في بطرته . ويظهر ان المسلمين لم يعتنوا بمعادن التنك التي في ريوتنتو ، الى الشمال الشرقى من أدنه ، ولكن كانوا يأخذون النحاس من أشكونية ، في الغرب وهي تابعة البرتغال اليوم . وكان عندهم الرصاص في دقبره ، وعندهم الملح في سرقسطة ، وكان عندهم الطفال بقرب طليطلة والكحل في نواحي طرطوشة وبسطة وكانت الأندلس موصوفة بالحجارة الثمينة ، فكان الياسنت من مالقه وحجر الكهرباء في مرسية . وأما المرمر فلم يكن يكفي البلاد بل كانوا يستوردون من الخارج وكان معدن المرمر في جبال مورينا وفي مكابيل ومن هذه قطعت أعمدة المرمر التي كانت في المرية وقد نقلت الآن إلى مجريط . وكان يوجد من الحديد في جزيرة شلطش بازام أدنه وهناك دار صناعة حسبما قال الادريسي . وفي شلطش أيضا مصايد للأسماك كان يحمل منها إلى أشبيلية ، ويقول الادريسي إنه كان من هذه المصايد في بزليانه بقرب مالقه وكان صيادو السمك في سواحل الاتلاتيك كما روى ياقوت في المعجم يبحثون عن العنبر الرمادى ولا سيما في سيتوبال وكان يقال لها الجون العنبرى عند العرب وكان أيضاً يوجد في شدونة وكانوا يجدون المرجان بقرب المرية

الجلالقة ، يتاخون حوزهم ، ما بين غرب إلى شرق ، قوم لهم شدة ، ولهم جمال وحسن وجوه ، فأكثر رقيقهم الموصوفين بالجمال منهم ، ليس بينهم وبينهم درب ^(١) فالحرب متصلة بينهم ما لم تقع هدنة . ويحاربون بالأفق الشرقى أمة يقال لهم الفرنجة ، هم أشد عليهم من جميع من يحاربونه من عدوتهم ، إذ كانوا خلقاً عظيماً في بلاد كثيرة واسعة جليلة ، متصلة العمارة ، آهله ، تدعى الأرض الكبيرة ، هم أكثر عدداً من الجليقيين ، وأشد بأساً ، وأحد شوكة ، وأعظم امداداً . وهذه الأمة يحاربون أمة الصقالبة المتصلين بأرضهم ، لخالفتهم إياهم في الديانة ، فيسبونهم ويبيعون رقيقهم بأرض الأنداس ، فلهم هنالك كثرة ، وتخصيهم للفرنجة يهود ^(٢) ذمتهم الذين بأرضهم ، وفي ثغر المسلمين المتصل بهم ، فيحمل خصيائهم من هنالك إلى سائر البلاد ، وقد تعلم الخصاء قوم من المسلمين هناك فصاروا يخصوصون ويستحلون المثلة .

قال ابن سعيد : ومخرج بحر الروم المتصاعد إلى الشام ، هو بساحل الأنداس الغربى بمكان يقال له الخفساء ، ما بين طنجة من أرض المغرب ، وبين الأنداس فيكون مقدار عرضه هناك كما زعموا ، ثمانية عشر ميلاً . وهذا عرض جزيرة طريف إلى قصر مصمودة بالقرب من سبتة . وهناك كانت القنطرة التى يزعم الناس أن الاسكندر بناها ليعبر عليها من بر الأنداس إلى بر المدوة ، ويعرف هذا الموضع بالزقاق ، وهو صعب المجاز ، لأنه مجمع البحرين . لا تزال الامواج تتطاول فيه ، والماء يدور ، وطول هذا الزقاق الذى عرضه ثمانية عشر ميلاً ، مضاعف ذلك إلى مائة .

(١) الدرب كل مدخل إلى بلاد الروم قال امرؤ القيس :

بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

(٢) تقدم الكلام فى إحدى الحواشى أن تجار اليهود كانوا يخصوصون سبي الصقالبة .

وأنه كان بحسب تعبير دوزى معمل للخصاء فى فردون Verdun وقد نقل ذلك عنه لافى بروفنسال فى كتابه «أسبانية المسلمة فى القرن العاشر» L'Espagne Musulmane

Au xem Siècle

سبته ، ومن هناك يأخذ البحر في الاتساع إلى ثمانمائة ميل وأزيد ، ومنتهاه مدينة صور من الشام ، وفيه عدد عظيم من الجزائر ، قال بعضهم : إنها ثمان وعشرون جزيرة منها صقلية ومالطة وغيرها اه . وبعضه بالمعنى . وقال بعضهم عند وصفه ضيق بحر الزقاق قرب سبته ما صورته : ثم يتسع كما امتدّ حتى يصير إلى ما لا ذرع له ولا نهاية .

وقال بعضهم : وكان مبلغ خراج الأندلس الذي كان يؤدي إلى ملوك بني أمية ، قديماً ثلاثمائة ألف دينار ، دراهم أندلسية كل سنة قوانين . وعلى كل مدينة من مدائنهم مال معلوم فكانوا يعطون جندهم ورجالهم الثلث من ذلك مائة ألف دينار ، وينفقون في أمورهم ونوائهم ومؤن أهلها مائة ألف دينار ويدخرون لحادث أيامهم مائة ألف دينار اه .

وذكر غيره : أن الجباية كانت بالأندلس أيام عبد الرحمن الأوسط ، ألف ألف دينار في السنة ، وكانت قبل ذلك لا تزيد على ستمائة ألف^(١) . حكاه ابن سعيد وقال : أن الأندلس مسيرة شهر مدن وعمائر^(٢)

(١) سيأتى ذكر دخول الدولة الأندلسية في أيام الناصر والمستنصر ، وذلك تفصيلاً عند ما نصل إن شاء الله إلى قرطبة

(٢) قال المؤرخ الأسبانيولى رافائيل بالستر في تاريخه المترجم إلى الافرنسية المطبوع سنة ١٩٢٨ ، وذلك في الصفحة ٥٢ مايلي : « كانت أسبانية الاسلامية من أغنى البلاد الاوربية وأحصاها سكانا في عصر الخلفاء ، وكان فيها ست حواضر كبرى ، وثمانون مدينة معمورة جد العمران ، وثلاثمائة مدينة من الدرجة الثانية ، هذا عدا القرى التي لا تحصى والمزارع . وكان الذهب والمرمر مبذولين في القصور والجوامع ، وكذلك العاج والحجارة الكريمة . وكانت مراسم الاحتفالات في قصور الخلفاء على غاية من الابهة الشرقية ، وقد كانت هذه الثروة ، وهذه الابهة هما ثمرة النمو الاقتصادي وتلك السعة التي كانت أسبانية تتمتع بها أوانتدهى بفضل رقي الزراعة والصناعة والتجارة اه .

وقال قاضى القضاة ابن خلدون الحضرمى فى تاريخه الكبير ما صورته : كان هذا القطر الأندلسى من العدو الشمالية من عدوتى البحر الرومى ، وبالجانب الغربى منها ، يسمى عند العجم الأندلوش ، وتسكنه أمم من افرنجية المغرب ، أشدهم وأكثرم الجلالة. وكان القوط قد تملكوه ، وغلبوا على أهله لمثين من السنين قبل الاسلام ، بعد حروب كانت لهم مع اللطينيين ، حاصروا فيها رومة ، ثم عقدوا معهم السلم ، على أن ينصرف القوط إلى الأندلس ، فصاروا فيها ، وملكوها ^(١) ، ولما أخذ الروم والاطينيون بملة

قلنا أن الحواصر الست الكبرى لا بد من أن يعنى بها قرطبة ، واشيلية ، وغرناطة ، وبلنسية ، وطليطلة . وسرقسطة . وأما الثمانون مدينة المعمورة جداً فيعنى بها المدن التى من درجة مألقة ، والمرية ، ومرسية ، وجيان ، وشاطبة ، ودانية ، وميورقة ، وطرطوشة ، وماردة ، وبطليوس ، وشتيرين ، وبرشلونة ، واشبونة وما فى ضربها . وأما الثلاثمائة مدينة من الدرجة الثانية فهى من قيل قبرة ، وبيانة ، وبياسة ، والمدور ، وقرمونة ، وشلب ، وللة ، وشريش ، ورندة ، والجزيرة الخضراء ، وبسطة ، وبرجة ، ودلاية . والش . وأوريوالة ، والنقت ، وقرطاجنة ، وشفقورة ، وشنشالة ، واقلش . وطليرة ، وقلعة رياح ، ومجريط ، ووادى الحجاره ، ومدينة سالم ، وشنتمرية ابن رزين . وقلعة أيوب . ودرقة . وتطيلة . ولاردة . وطركونة ، ووشقة . وبرشتر ، وخص البلوط ، ويابره ، وشنتره . وقطرة السيف . وجزيرة شقر ، وقوسكة ، ومرريطر ولوشة . ووادى آش . وقرية سلامة . وقادس . ويلش . واندو . وبجانة ، وطشانة ، وشنتمرية الغرب ، واشونة . وقلعة يحصب . وأسيجة . واسترقة . وبلش ، وقلعة حماد . ومورور ، واندوجر . والمنكب . والدرش . واندو . ولورقة . واونة ، ومرتلة ، ومدينة الزهراء ، وما فى ضربها . وكيفما اقصد المخمن فى تخمين عدد سكان الأندلس الاسلامية لعهد بنى أمية . فلا يقدر أن ينزل ذلك عن ١٥ مليون نسمة ، وقد يكون مناهزاً العشرين

(١) ما قاله ابن خلدون هنا هو الصحيح فان أمة اسمها « الفيزيقوط » هى أحد أقسام القوط ، ويقال إنها من أصل جرمانى ، هاجمت الرومان واقتلت معهم فى القرن الثالث للمسيح ، فقهرهم الروم أولاً ، ثم أذنوا لهم فى الإقامة على ضفاف الدانوب ومن ذلك الوقت صاروا أشبه بجيش رومانى ، وفى أوائل القرن الخامس ثار زعيم الفيزيقوط

النصرانية ، حملوا من وراءهم بالمغرب من أمم الفرنجة والقوط عليها ، فدانوا بها . وكان ملوك القوط ينزلون طليطلة ، وكانت دار ملكهم ، وربما تنقلوا ما بينها وبين قرطبة ، واشبيلية ، وماردة ، وأقاموا كذلك نحواً من أربعين سنة إلى أن جاء الله

« أالريك ، Alaric طالباً من رومة أن توليه القيادة العليا لجيوشها ، فلما أبوا إجابة طلبه هذا نهب رومة وعاث ، ومات سنة ٤١٠ م خلفه « آتولف ، Ataulf ودخل إلى بلاد الغال ، وانتصر فيها لهونوريوس الروماني على نظرائه ، فكافأه باقطاعه البلاد التي تغلب عليها ، وكان السويفيون والفاندالس والألانيون خارجين في أسبانية عن طاعة رومة ، فزحف إليهم « فاليا ، زعيم القوط ، وأدخلهم في الطاعة ، ولكن بعد أن استتب الأمر للقوط في أسبانية خرجوا هم أنفسهم عن طاعة رومة في أيام زعيمهم المسحى أوريك سنة ٤٦٧ م ، ولم يكن القوط في أسبانية أمة ذات عرق واحد ، وإنما كانوا جيشاً من أصول شتى يخضعون لرئيس ، وفي سنة ٤٧٦ م انحلت السلطنة الرومانية فبسط القوط سلطانهم على أكثر أسبانية ، ولكنهم فقدوا مقاطعاتهم في غالية ، لأن الفرنج Les Francs غلبوهم عليها ، وكان الفرنج كاثوليكين ، وكان القوط قد تنصروا لكن على مذهب آريوس ، أي كانوا لا يقولون بألوهية عيسى عليه السلام ، فوقعت العداوة بين الفريقين من أجل اختلاف الدين ، واهزم القوط في واقعة عند بواتية ، Poitiers وقل فيها أميرهم الأريك الثاني ، ولم يبق لهم في بلاد الغال سوى مقاطعة سبتيمانيا Septimanie التي قاعدتها أربونة . وفي القرن السادس للمسيح اشتدت الفتنة في أسبانية بين القوط بعضهم مع بعض ، وقتل كثير من ملوكهم غيلة ، فجاء تيودوريك ملك الأوستروقوط . أي القوط الشرقيين ، من إيطاليا ، ووضع على عرش أسبانية أحد أولاده ، ثم في سنة ٥٥٤ م ثار رجل اسمه أتاناجيلد ، وتغلب على المملكة ، وجاءت عساكر أمبراطور الروم من القسطنطينية فأبجده ، ولما كانت سنة ٥٦٨ م ثار الملك ليوفيجيلد ، وتغلب على السويفيين ، وجعل أسبانية كلها في حكم القوط ، إلا أنه كان آريوسياً المذهب ، وكان أكثر أهل أسبانية كاثوليكين ، فثارت الاكثرية عليه ؛ وأثاروا عليه ابنه هرمينجيلد ، فساق عسكراً وتغلب على ابنه وقتله ، ولكن بعد موت ليوفيجيلد خلفه ابنه ريكارد فترك هذا الآريوسية ، مذهب أبيه ، وتحول كاثوليكياً في سنة ٥٨٧ م وصارت في ذلك الوقت الكنيسة هي دين الدولة الأسبانية

بالاسلام والفتح ، وكان ملكهم لذلك العهد يسمى لذريق ، وهو سمة للوكهم ، كما أن جرجير سمة للوك صقليه اه .

ومن أشهر بلاد الأندلس غرناطة ^(١) وقيل إن الصواب أغرناطة بالهمز ، ومعناه بلغتهم الرمانه ، وكفاها شرقاً ولادة لسان الدين بها وقال « الشقندى » : أما غرناطة فإنها دمشق بلاد الأندلس ، ومسرح الأَبصار ، ومطمح الأنفس ، ولم تخل من أشرف أمائل ، وعلماء أكار ، وشعراء أفاضل ، ولو لم يكن لها إلا ما خصه الله تعالى به من المرج الطويل العريض ، ونهر شليل ، لكفاها .

وفي بعض كلام لسان الدين ما صورته : وما لمصر تفخر بنيلها ، وألف منه في شليلها ؟ ! يعنى أن الشين عند أهل المغرب عددها ألف ، فقولنا شليل إذا اعتبرنا عدد شينه كان ألف نيل ^(٢) . وفيها قيل :

غرناطة ما لها نظير ما مصر ، ما الشام ، ما العراق
ما هي إلا العروس تُجلى وتلك من جملة الصداق

وتسمى كورة « البيرة » التي منها غرناطة دمشق ، لأن جند دمشق نزلوها عند الفتح ، وقيل إنها سميت بذلك لشبهها بدمشق في غزارة الأنهار ، وكثرة الأتجار ، حكاه صاحب « منهاج الفکر » قال : ولما استولى الفرنج على معظم بلاد الأندلس انتقل أهلها إليها فصارت مصر المقصود ، والمقل الذي تنضوى إليه العساكر والجنود ^(٣) ، ويشقها نهر عليه قناطر يجاز عليها . وفي قبليها جبل شاير ،

(١) سند كرها في مكانها إن شاء الله مطولا

(٢) إن المبالغة ولو جازت في الشعر فلا يجوز أن تصل إلى هذا الحد ولا سيما أن لسان الدين قال ذلك في النثر لا في النظم

(٣) كنت ذكرت في كتابي تاريخ الأندلس الذي جعلته ذيلًا على رواية « آخر بني سراج » في صفحة ٢٣٧ من الطبعة الثانية مايلي :

« قال بعض المؤرخين إن مملكة غرناطة لعهد السلطان أبي الحسن على (والد أبي

وهو جبل لا يفارقه الثلج ، صيفاً ولا شتاء ، وفيه سائر النبات الهندي ، لكن ليس فيه خصائصه اه .

ومن أعمال غرناطة قطر « لوشة » ^(١) وبها معدن للفضة جيد ، ومنها ، أغنى لوشة ، أصل لسان الدين بن الخطيب . وهذا القطر ضخيم ، ينضاف اليه من الحصون والقرى كثير ، وقاعدته لوشة بينها وبين غرناطة مرحلة ، وهي ذات أنهار وأشجار وهي على نهر غرناطة الشهير بشنيل .

ومن أعمال غرناطة الكبار عمل « باغة » ^(٢) والعامّة يقولون « بيغة » وإذا نسبوا اليه قالوا بيغى ، وقاعدته باغة ، طيبة الزرع ، كثيرة الثمار ، عزيزة المياه ، ويجود فيها الزعفران .

ومن أعمال غرناطة « وادى آش » ^(٣) ويقال وادى الأشات ، وهي مدينة جليلة ، قد أهدقت بها البساتين والأنهار ، وقد خص الله أهلها بالأدب وحب الشعر وفيها يقول أبو الحسن بن نزار :

وادی الأشات یمیجُ وَجَدی کُلّما أذکرت ما أفضت بك النعماء
لله ظلالک والمجیرُ مسلّطٌ قد برّدت لَفَحَاتِهِ الاندَاء
والشمس ترغب أن تفوز باحظة منه فتطرف طرفها الأفياء
والنهر یبسم بالحباب كأنه سلخ نضته حية رقصاء

عبد الله آخر السلاطين المسلمين في الأندلس (كانت مشتملة على أربع عشرة مدينة عظيمة وسبع وتسعين قلعة عدا الأبراج والحصون والقرى العامرة . وورد في التاريخ العام للعلامة كنتو الشهير أن سلطنة غرناطة في تلك الأيام كانت تحتوى ثلاثين مصرا ، وثمانين مدينة صغيرة ، وعددًا لا يحصى من الأبراج والحصون والدساكر . وقد قدر بعض المؤرخين عدد بقية المسلمين في الأندلس بأربعة ملايين نسمة .

(١) Loja وسماها الأسبانيول صان فرانسيكو لوشة

(٢) أصلها « باغو » ثم سماها الأسبانيول « بريغو » Priego

(٣) تقدم عنها كلام والأسبانيول يقولون Guadis وسيرد ذكرها أيضا

فلذلك تحذره الفصوت فيلها أبدأ على جنّباته إماء
(ومن أعمال وادي آش) حصن « جليانة »^(١) وهو كبير يضاهي المدن ، وبه
التفاح الجلياني الذي خص الله به ذلك الموضع ، يجمع عظم الحجم ، وكرم الجوهر ،
وحلاوة الطعم . وذكا ، الرائحة ، والنقاء ، وبين الحصن المذكور ووادي آش
اثنا عشر ميلا .

ومن غرائب الأندلس أن به شجرتين من شجر القسطل ، وهما عظيमतان جداً ،
إحداهما بسند^(٢) وادي آش ، والأخرى بدشرة^(٣) غرناطة ، في جوف كل واحدة
منهما حائك ينسج الثياب ، وهذا أمر مشهور . قال أبو عبد الله بن جزي وغيره .
وكانت البيرة^(٤) هي المدينة قبل غرناطة ، فلما بنى لصنهاجي مدينة غرناطة
وقصبتها وأسوارها ، انتقل الناس إليها . ثم زاد في عمارتها ابنه باديس بعده .

(١) قال ياقوت الخوي في معجم البلدان : جليانة بالكسر ثم السكون وياء وألف
ونون حصن بالأندلس من أعمال وادي ياش حصين كثير الفواكه ويقال لها جليانة
التفاح لجلالة تفاحها وطيبه وريحه ، قيل إذا أكل واحد فيه طعم السكر والمسك ، منها
عبد المنعم بن عمر بن حسان الشاعر الأديب الطبيب . كان عجباً في عمل الأشعار التي
تقرأ القطعة الواحدة بعدة قواف ، ويستخرج منها الرسائل والكلام الحكيم مكتوباً
في خلال الشعر . وكان يعمل من ذلك دوائر وأشجاراً ، وصوراً . سكن دمشق ،
وكانت معيشته الضّ . يجلس بالباديين ، على دكان بعض العطارين ، كذلك لقينه ،
ووقفني على أشياء مما ذكرته ، وأنشدني لنفسه مالم أضبطه عنه . ومات بدمشق سنة ٦٠٣
(٢) السند محرّكة : ما قابلك من الجبل ، وعلا عن السفح ، وفي وطني من جبل
لبنان مكان بين عين عنوب وعيناب يقال له السند ، يعلو عن الأولى وينخفض
عن الثانية .

(٣) تقدم لنا أن الجمال التي في مملكة غرناطة كانوا يقولون لها البشرات
(٤) قال ياقوت في المعجم : الألف فيه ألف قطع ، وليس بألف وصل ، فهو
بوزن إخرطة ، وإن شئت بوزن كبريته ، وبعضهم يقول ايلبيرة ، وربما قالوا البيرة ،
وهي كورة كبيرة من الأندلس ، ومدينة متصلة بأراضي كورة قبرة ، بين القبرة

وذكر غير واحد أن في كورة سرقسطة الملح الاندراى الأبيض الصافي الأملس الخالص ، وليس في الأندلس موضع فيه مثل هذا الملح . قال : وسرقسطة^(١) بناها قيصر ملك رومة التي تؤرخ في مدته مدة الصفر قبل مولد المسيح على نبينا وعليه وعلى سائر الأنبياء الصلاة والسلام ، وتفسير اسمها : قصر السيد . لأنه اختار ذلك المكان بالأندلس وقيل إن موسى بن نصير شرب من ماء نهر « جلق »^(٢) بسرقسطة فاستعذبه ، وحكم أنه لم يشرب بالأندلس أعذب منه ، وسأل عن اسمه فقيل جلق ونظر إلى ما عليه من البساتين فشبهها بغوطة جلق الشام ، وقيل إنها من من بناء الاسكندر والله أعلم . وبمدينة برجة ، وهي من أعمال المرية ، معدن الرصاص وهي على واد مبهج ، يعرف بوادى « عذراء »^(٣) وهو محقق بالأزهار والأشجار ، وتسمى برجة^(٤) بهجة ، لبهجة منظرها ، وفيها يقول أبو الفضل بن شرف القيروانى رحمه الله تعالى :

والشرق من قرطبة ، بينها وبين قرطبة تسعون ميلا ، وأرضها كثيرة الأنهار والأشجار ، وفيها عدة مدن منها : قسطلية ، وغرناطة ، وغيرهما تذكر في مواضعها . وفي أرضها معادن ذهب وفضة وحديد ونحاس ، ومعادن حجر التوتيا في حصن منها يقال له شلوبينية ، وفي جميع نواحيها يعمل الكتان والحرير الفائق . انتهى . ثم ذكر ياقوت بعض العلماء الذين نبغوا من أهل البيرة ، وسندكر أسماءهم في متن هذا الكتاب ، عند ما نصل نحن إلى ذكر البيرة وسنقل هناك ما ذكره لسان الدين بن الخطيب عن البيرة نقلا عن الاحاطة في أخبار غرناطة ، وكذلك سندكر ما قاله غيره

(١) بناها أوغسطس قيصر ، ومنها اشتق اسمه ، وكان يقال لها قبل أن مصرها أوغسطس قيصر سلدوبة Salduba ويظهر أن العرب قالوا « السيدلابة » ،

(٢) سرقسطة واقعة على نهر « ابره » ، يشتق منه نهر جلق Gallégo جاريا إلى الشمال ، بينما نهرا شالون Jalon وهرفا Huerva يسيلان إلى الجنوب

(٣) سبق ذكرها . وفي مرج دمشق قرية يقال لها عذرا

(٤) وفي جبل لبنان قرية يقال لها برجة من اقليم الخروب . وفي اقليم سرقسطة

قصبة اسمها برجة بضم أولها ، وينسب إليها أناس من أهل العلم

رياض تعشَّها سُندُسٌ تَوَشَّتْ معاطفُها بالزهرَ
مدامعُها فوق خدَّيْ رُبَا لها نظرةٌ فتَتَّتْ مَنْ نَظَرَ
وكلُّ مكانٍ بها جنةٌ وكلُّ طريقٍ إليها سَقَرٌ
وفيها أيضاً قوله :

حُطَّ الرِّحالُ بِرُجِهْ وارتدَّ لِنَفْسِكَ بِهَجَّةِ
في قلعة كسلاح ودَّوْحَةٍ مِثْلَ لُجَّةِ
فحصنُها لك أَمْنٌ وَرَوَضُها لك فَرْجِهْ
كل البلاد سواها كغمرةٍ وهى حَجَّةِ

وباللمعة التين الذى يضرب المثل بحسنه ، ويحباب حتى للهند والصين ، وقيل
إنه ليس فى الدنيا مثله ، وفيه يقول أبو الحجاج يوسف ابن الشيخ البلوى الماتى حسبما
أنشده غير واحد ، منهم ابن سعيد :

ماتقة حَيْتَ ياتينها الفلكُ مِنْ أَجْلِكَ ياتينها (١)
نَهَى طيبي عنه فى عِلَّتِي ما اطيبي عن حياي نَهَى
وذيل عايه الامام الخطيب أبو محمد عبد الوهاب المنشى بقوله :
وَحِمَصْ لا تنس لها تينها واذكر مع التين زياتينها
وفى بعض النسخ :

لا تنس لاشبيلية تينها واذكر مع التين زياتينها

وهو نحو الأول لأن حمص هى اشبيلية لزول أهل حمص من المشرق بها حسبما

(١) الفلك : السفينة ، تذكر وتؤنث وتقال للمفرد وللجمع ، فمن المفرد المذكور قوله تعالى (فى الفلك المشحون) ومن المفرد المؤنث قوله تعالى (والملك التى تجرى فى البحر) ومن الجمع قوله تعالى (وترى الملك فيه مواخر) وقوله تعالى (حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم) وكان سيديوه يقول : الفلك هى جمع تكسير للفلك التى هى واحد

سند كره . ونسب ابن جزى في ترتيبه لرحلة ابن بطوطة البيتين الأولى للخطيب أبي محمد عبد الوهاب المالقي ، والتذييل لقاضي الجماعة أبي عبد الله بن عبد الملك فالله أعلم وقال ابن بطوطة : وبالقلة يصنع الفخار المذهب العجيب ، ويجلب منها إلى أقصى البلاد ، ومسجدها ^(١) كبير الساحة ، كثير البركة ، شهرها ، وصحنه لا نظير له في الحسن ، وفيه أشجار النارج البديعة . انتهى . وقال قبله : إن مالقة إحدى قواعد الأندلس ، وبلادها الحسان جامعة بين مرافق البر والبحر ، كثيرة الخيرات والفواكه ، رأيت العنب يباع في أسواقها بحساب ثمانية أرطال بدرهم صغير ، ورمانيها المرسي الياقوتي لا نظير له في الدنيا . وأما التين واللوز فيجلبان منها ومن أحوازها إلى بلاد المشرق والمغرب اهـ .

وبكورة اسمونة المتصلة بشنترين معدن التبر ، وفيها عسل يجعل في كيس كتان . فلا يكون له رطوبة كأنه سكر . ويوجد في ريفها العنبر الذي لا يشبه إلا الشحري .

ومن أشهر مدن الأندلس مدينة قرطبة ، أعادها الله تعالى للإسلام ، وبها الجامع المشهور ، والقنطرة المعروفة بالجسر ، وقد ذكر ابن حيان أنه بنى على أمر عمر بن عبد العزيز ^(٢) رضى الله عنه ، ونصه : وفام فيها بأمره على النهر الأعظم بدار مملكتها

(١) وهو الكنيسة الكاتدرائية الآن

(٢) جاء في كتاب أخبار مجموعة ، في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها بينهم . وهو أقدم تاريخ لعرب الأندلس — ولم يعرف اسم مؤلفه — أن عمر بن عبد العزيز لما تولى الخلافة ولي الأندلس السمع بن مالك ، فكتب إلى عمر يعلمه أن مدينة قرطبة تهدمت من ناحية غربها ، وكان لها جسر يعبر عليه نهرها ووصفه بحمله وامتناعه من الخوض فيه الشتاء عامة (قال) فان أمرني أمير المؤمنين ببنيان سور المدينة فعلت فان قبلى قوة على ذلك من خراجها بعد عطايا الجند ، ونفقات الجهاد وإن أحب صرفت صخر ذلك السور فبنيت جسرهم . فيقال والله أعلم أن عمر (١٣ - ج أول)

قرطبة الجسر الأَكْبَر الذى ما يعرف فى الدنيا مثله . انتهى . وفيها يقول بعض علماء الأندلس .

بَارِيعَ فَاقَتِ الْأَمْصَارَ قُرْطُوبَةُ مِنْهُنْ قَنْطَرَةُ الْوَادِى وَجَامِعُهَا
هَاتَانِ ثَنَانٌ وَالزَّهْرَاءُ ثَالِثَةٌ وَالْعِلْمُ أَعْظَمُ شَيْءٍ وَهُوَ رَابِعُهَا

وقال الحجازى فى المسهب : كانت قرطبة فى الدولة المروانية قبة الإسلام ، ومجتمع أعلام الأنام ، بها استقرّ سرير الخلافة المروانية ، وفيها تمحضت خلاصة القبائل المدية واليمنية ، وإليها كانت الرحلة فى الرواية ، إذ كانت مركز الكرماء ، ومعدن العلماء وهى من الأندلس بمنزلة الرأس من الجسد ، ونهرها من أحسن الأنهار ، مكتنف بديباج المروج ، مطرز بالأزهار ، تصدح فى جنباته الأطيار ، وتنعم النواعير ، ويسم النوار ، وقرطابها الزاهرة والزهراء ، حاضرتا الملك ، وأفقاه النعماء والسراء ، وإن كان قد أخنى عنها الزمان ، وغير ههجة أوجهها الحسان ، فذلك عادته ! وسل الخورنق والسدير وغمدان ، وقد أعذر باندازه ، إذ لم يزل ينادى بصروفه : لا أمان ! لا أمان ! وقد فل الشاعر :

وَمَا زِلْتُ أَسْمَعُ أَنَّ الْمَلِكَ كَتَبَ عَلَى قَدَرِ أخطارِهَا

انتهى .

وقال السلطان يعقوب المنصور بن السلطان يوسف بن السلطان عبد المؤمن بن على لأحد رؤساء أجنادها : ما تقول فى قرطبة ؟ فخاطبه على ما يقتضيه كلام عامة الأندلس بقوله : جوفها ^(١) شام ^(٢) . وغربها قام ^(٣) ، وقبلتها مدام ، والجنة هى رحمه الله أمر ببناء القنطرة بصخر السور ، وأن يبى السور باللبن ، إذ لا يجد له صخراً فوضع يداً فبنى القنطرة فى سنة إحدى ومائة

(١) أى شمالها

(٢) لم يرد شام مصدراً لفعل شم . وإنما هو الشميم والشم والشميمى وعليه لا يصح شام إلا إن كان مصدراً لفعل شام ، من باب المفاعلة . أو كان بالتشديد وأما كلام العامة فلا حاجة لتطبيقه على قواعد العربية

(٣) قم الرجل : أكل ما على الخوان ، ومثله اقم ، والمصدر هو القم والاقتمام ،

السلام . يعنى بالشمام جبال الورد ، ويعنى بالقمام ما يؤكل ، إشارة إلى محرث « الكنبانية »^(١) . ويعنى بالمدام النهر .

ولما قال والده السلطان يوسف بن عبد المؤمن لأبى عمران موسى بن سعيد العنسى : ما عندك فى قرطبة ؟ قال له : ما كان لى أن أنكلم حتى أسمع مذهب أمير المؤمنين فيها . فقال السلطان : إن ملوك بنى أمية حين اتخذوها حضرة مملكتهم لعل بصيرة : الديار المنفسحة الكبيرة ، والشوارع المتسعة ، والمباني الضخمة المشيدة ، والنهر الجارى ، والهواء المعتدل ، والخارج الناضر ، والمحرث العظيم ، والشعراء الكفايه والتوسط بين شرق الأندلس وغربها . قال فقلت : ما أنتى لى أمير المؤمنين ما أقول ! قال ابن سعيد : ولأهلها رياسة ووقار ، لا تزال سمة العلم والملك متوارثة فيهم ، إلا أن عامتها أكثر الناس فضولا ، وأشدهم تشغيياً ، ويضرب بهم المثل ، ما بين أهل الأندلس ، فى القيام على الملوك ، والتشجيع على الولاة ، وقلة الرضا بأموورهم ، حتى أن السيدأبا يحيى أخا السلطان يعقوب المنصور قيل له لما انفصل عن ولايتها : كيف وجدت أهل قرطبة ؟ فقال مثل الجمل ، إن خفت عنه الحمل صاح ، وإن أثقلته صاح ، ماندرى أين رضاهم فقصده ، ولا أين سخطهم فنجتبه ، وما سلط الله عليهم حجاج الفتنة ، حتى كان عامتها شرراً من عامة العراق^(٢) وإن العزل عنها لما قاسيته من أهلها عندى ولاية ، وإنى ، إن كلفت العود إليها ، لقائل : لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ! انتهى .

فأما القمام فلم يرد بمعنى الأكل بل بمعنى الكناسة . فلهذا أصاب صاحب النفح بقوله إن هذا من كلام عامة الأندلس

(١) Campaigna قال ياقوت : ناحية بالأندلس قرب قرطبة ينسب إليها محمد ابن

قاسم بن محمد الأموى الجالطى الكنبانى ، ذكر فى جالطة باتم من هذا

(٢) وهم كانوا السبب فى سقوط الأندلس لأن الفتنة التى أثاروها هى التى آلت

إلى سقوط هيبة الخلافة وسقوط هيبة الخلافة آل إلى ظهور ملوك الطوائف وهؤلاء

هم كانوا مبدأ اضمحلال الاسلام فى الأندلس

وقال أبو الفضل التيفاشي : جرت مناظرة بين يدي ملك المغرب المنصور يعقوب بين الفقيه أبي الوليد بن رشد ، والرئيس أبي بكر بن زهر . فقال ابن رشد لابن زهر في تفضيل قرطبة : ما أدري ما تقول ؟ غير أنه إذا مات عالم بأشبيلية فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها ، وإن مات مُطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت إلى اشبيلية . قال : وقرطبة أكثر بلاد الله كتباً ^(١) انتهى .

وحكى الامام ابن بشكوال عن الشيخ أبي بكر بن سماعة أنه دخل مدينة طليطلة مع أخيه على الشيخ الأستاذ أبي بكر الخزومي . قال : فسألنا : من أين ؟ قلنا : من قرطبة . قال : متى عهدكما بها ؟ قلنا : الآن وصلنا منها . فقال : أقربا إلى أشم نسيم قرطبة فمر بنا منه فشم رأسي وقمته وقل لي أكتب :

أقرطبة الغراء هل لي أونة إليك وهل يدنو لنا ذلك العهد
سقى الجانب الغربي منك غمامة وقمقم في ساحات ذوحاتك الرعد
إياك أسحار وأرضك روضة وتربك في استنشاقها عذو وزد
وكتب الرئيس الكاتب أبو بكر بن القبطرنة للعالم أبي الحسين بن سراج بقوله :

ياسيدي وأبي ، هوّى وجلالة
عرج بقرطبة إذا بلغتها
وإذا سعدت بنظرة من وجهه
واذكر له شوقي وشكري مُجَمِّلا
بتحية تُهدى إليه كأنما
جرت على زهر الرياض ذيولا
ورسول ودى إن طلبت رسولا
بأبي الحسين ونادى تأميلا
اهد السلام لكفّة تقبيل
ولو استطعت شرحته تفصيلا
جرت على زهر الرياض ذيولا

(١) نقل صاحب نفح الطيب عن أبي محمد بن حزم مايلي : أخبرني تليد الخصى وكان على خزانة العلوم والكتب بدار بني مروان أن عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة في كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين لا غير اه قلنا وكان عدا خزانة كتب دار الخلافة خزائن لا تخص في قرطبة

وفي باب اليهود بقرطبة يقول أبو عامر بن شهيد :

لقد أطلعوا عند باب اليهود دَبْدَرًا أَبِي الْحُسْنِ أَنْ يُكْشَفَا
تراه اليهودُ على بابها أميراً فتحسبهُ يوسفُ
واستقبحوا قولهم باب اليهود فقالوا : باب الهدى . وسند ذكر قرطبة والزهراء
والزاهرة ومسجدها في الباب المنفرد بها ، إن شاء الله تعالى ، وكذلك القنطرة ^(١)
ومن أعظم مدن الأندلس اشبيلية ، قال الشقندي : من محاسنها اعتدال الهواء ،
وحسن المباني ، ونهرها الأعظم الذي يصعد المد فيه اثنين وسبعين ميلاً ثم يحسر ،
وفيه يقول ابن سفر :

شَقَّ النَّسِيمُ عَلَيْهِ جَيْبَ قَيْصِهِ فَانْسَابَ مِنْ شَطَائِهِ يَطْلُبُ ثَارَهُ
فتضاحكت ورُقُّ الحمام بدوحها هُزْءًا فَضَمَّ من الحياء إزارَهُ
وقيل لأحد من رأى مصر والشام : أيهما رأيت أحسن ، أهدان أم اشبيلية ؟
فقال بعد تفضيل اشبيلية : شرفها ^(٢) غابة بلا أسد ، ونهرها نيل بلا تمساح اه
ويقال إن الذي بنى اشبيلية اسمه « يوليس » ^(٣) وأنه أول من سُمِّيَ « قيصر »

(١) وسند كرها نحن أيضاً عند الوصول إلى مبحث قرطبة

(٢) يعنى غابة الزيتون العظيمة المسماة بالشرف

(٣) هو يوليوس قيصر وكان قد فتح اشبيلية سنة ٤٥ ق م واتخذها حاضرة لاسبانية
كما كان « بومبي » اتخذ قرطبة . وليس يوليوس قيصر هو الذي بناها ، بل هى بلدة
عظيمة من قبل ، واقعة على طريق التجارة الأعظم ، من قادس إلى ماردة إلى طليطلة ،
ولإنما ازداد قيصر اعتناءً بها ، ثم صارت سنة ٤١١ ب م عاصمة للوندال ، وفى سنة
٤٤١ عاصمة للقوط ، وفى سنة ٥٥٧ انتقل اتانا جيلد ملك القوط ، منها إلى طليطلة ،
نظراً لتوسطها فى المملكة ، ولكن بقي يقيم بها فى الأحايين نائب الملك . واستولى
العرب على اشبيلية تحت قيادة موسى بن نصير سنة ٧١٢ ب م وسلموا قيادها فى بداية
الامر إلى غيطشة أو فيطشة Viliza وأعقبه لأنهم ذكروا لغيطشة ولأمه لهم عند الفتح

وأنه لما دخل الأندلس أعجب بساحاتها ، وطيب أرضها ، وجبلها المعروف بالشرف ، فقدم على النهر الأعظم مكاناً ، وأقام فيه المدينة ، وأحرق عليها بأسوار من صخر صلد وبنى في وسط المدينة قسبتين بديعتي الشأن ، تعرفان بأخوين ، وجعلها أم قواعد الأندلس ، واشتق لها اسمها من « رومية يوليس » ^(١) انتهى . وقد تقدم شيء من هذا .

وكان الأولون من ملوك الأعاجم يتداولون بسكناهم أربعة بلاد من بلاد الأندلس : اشبيلية ، وقرطبة ، وقرمونة ، وطليطلة ، ويقسمون أزمانهم على السكينونة بها . وأما شرف اشبيلية فهو شريف البقعة ، كريم التربة ، دائم الحضرة فرسخ في فرسخ ، طولا وعرضا ، لا تكاد تشمس فيه بقعة ، لالتفاف زيتونه .

واعلم أن اشبيلية لها كور جليلية ، ومدن كثيرة ، وحصون شريفة ، وهى من الكور المجندة ، نزلها جند حمص ، ولواؤهم في الميمنة ، بعد لواء جند دمشق وانتهت جباية اشبيلية أيام الحكم من هشام إلى خمسة وثلاثين ألف دينار ومائة دينار . وفي إقليم « طالقة » ^(٢) من إقليم اشبيلية وجدت صورة جارية من مرمر ، معها صبي ، وكان حية تریده ، لم يسمع في الأخبار ، ولا رؤى في الآثار ، صورة ألدع منها ، جعلت في بعض الحمامات ، وتعشقها جماعة من العوام . وفي كورة ماردة حصن « شنت أفرج » ^(٣) في غاية الارتفاع ، لا يعلوه طائر البتة ، لا نسر ولا غيره

ومن عجائب الأندلس البلاط الأوسط من مسجد جامع « اقایش » ^(٤) فإن

(١) سماها قصر Colonia Julia Romula

(٢) قال ياقوت : طالقة من أعمال اشبيلية بالأندلس

(٣) الأسبانيول يقولون لشنت أفرج Santa Cruz أى الصليب المقدس

(٤) عند الأسبانيول Uelès وأكثر سينات الأسبانيول يلقبها العرب شيئا مثل

برسلونة التى هى عندهم برشلونة ، وسيقيله التى يقولون لها اشبيلية . وسنتره التى يقولون لها شنترة ، وواديس التى هى عندهم وادى آش . إلى ما لا يحصى من الأعلام إلا أن ذلك غير مطرد ، فبعض الأعلام لا تزال سينها عندهم سيناً ، وذلك مثل بلنسية

طول كل جائزة منه مائة شبر واحد عشر شبراً ، وهى مربعة منحدرة ، مستوية الأطراف وقال بعض من وصف اشبيلية إنها مدينة عامرة ، على ضفة النهر الكبير المعروف بنهر قرطبة ، وعليه جسر مربوط بالسفن ، وبها أسواق قائمة ، وتجارات رابحة ، وأهلها ذوو أموال عظيمة ، وأكثر متاجرهم الزيت ، وهو يشتمل على كثير من اقليم الشرف . واقليم الشرف على تل عال ، من تراب أحمر ، مسافته أربعون ميلاً في مثلها ، يمشى به السائر في ظل الزيتون والتين . ولها فيما ذكر بعض الناس قرى كثيرة ، وكل قرية عامرة بالأسواق ، والديار الحسنة والحمامات وغيرها من المرافق .

وقال صاحب « منهاج الفكر » عند ذكر اشبيلية : وهذه المدينة من أحسن مدن الدنيا ، وبأهلها يضرب المثل في الخلاعة ، وانتهاز فرصة الزمان الساعة بعد الساعة . ويعينهم على ذلك واديهما العرج ، وناديهما البهج ، وهذا الوادى يأتيها من قرطبة ، ويمجزر في كل يوم . ولها جبل الشرف^(١) ، وهو تراب أحمر ، طوله من الشمال إلى الجنوب أربعون ميلاً ، وعرضه من المشرق إلى المغرب اثنا عشر ميلاً ، يشتمل على مائتين وعشرين قرية ، قد التحفت بأشجار الزيتون واشتملت . انتهى .

ومرسية وسرقسطة وقادس وغيرها . ولقد أخبرني والدنا الفاضل البحاثة المدقق السيد محمد الفاسى من آل الجدد الفهريين أن الأسبان القدماء كانوا أيضاً ينطقون بالسين شينا في ألفاظ كثيرة مثل Burgos برغش Vargas برকাশ اسم آل برকাশ الوجهاء في رباط الفتح ، ولذلك كان الأسبان في الماضى يكتبون السين المنطوق بها شينا بحرف X فكانوا يكتبون مثلاً اشبيلية هكذا Xévilla وارشيدونة Arxidona وشلير Xolair . وهلم جرا . قلت : وربما كان القوط أتوا بهذا النطق من الشمال لانهم هم جرمانيون في الاصل ، وكل حرف S في اللغة الجرمانية ينطق به شينا ، وهو عندهم اصطلاح قديم إلا في مقاطعة هنوفر ، فهناك حرف S ينطق به سينا

(١) لا يصح أن يسمى الشرف جبلاً ، ولقد مررت به في ذهابي من أشبيلية إلى رندة ، فهو نشز ناهض قليلاً عن الأرض

ولكورة « باجة » ^(١) من الكور الغربية التي كانت من أعمال اشبيلية أيام
بنى عباد خاصية في دباغة الأديم وصناعة الكتان . وفيها معدن فضة . وبها ولد
المعتمد بن عباد ، وهي متصلة بكورة ماردة .

ولجبل طارق حوز قصب السبق بنسبته إلى طارق مولى موسى بن نصير إذ
كان أول ما حل به مع المسلمين من بلاد الأندلس عند الفتح ، ولذا شهر بجبل
الفتح ، وهو مقابل الجزيرة الخضراء ، وقد تجون البحر هنالك مستديراً ، حتى صار
مكان هذا الجبل كالناظر للجزيرة الخضراء . وفيه يقول مطرف شاعر غرناطة :

وَأَقْوَدَ قَدْ أَتَى عَلَى الْبَحْرِ مَتْنَهُ فَاصْبَحَ عَنْ قُودِ الْجِبَالِ بِمَعَزِلِ
يُعَرِّضُ نَحْوَ الْأَفْقِ وَجْهًا كَأَنَّمَا تَرَأَى عَيْنَاهُ كَوَاكِبَ مَنَزِلِ

وإذا أقبل عليه المسافرون من جهة سبتة في البحر ، بان كأنه سرج . قال
أبو الحسن على بن موسى بن سعيد : أقبات عليه مرة مع والدي فنظرنا اليه على تلك
الصفة فقال والدي : أجز :

أنظر إلى جبل الفتح راكباً متناً لُج

فقات : وقد تفتَّح مثل الاف . فان في شكل سرج

وأما جزيرة طريف فليست بجزيرة ، وإنما سميت بذلك الجزيرة التي أمامها
في البحر مثل الجزيرة الخضراء . وطريف المنسوبة اليه بربرى من موالى موسى بن
نصير . ويقال إن موسى بعثه قبل طارق في أربعائة رجل ، فنزل بهذه الجزيرة في
رمضان سنة إحدى وتسعين ، وبعده دخل طارق . والله أعلم .

ومن أعظم كور الأندلس كورة طليطلة ، وهي من متوسط الأندلس ، وكانت
دار مملكة نى ذى النون ، من ملوك الطوائف ، وكان ابتداء ملكهم صدر المائة
الخامسة . وسماها قيصر بلسانه « بزليطلة » وتأويل ذلك : انت فارح . فعربتھا

العرب ، وقالت « طليطلة » ^(١) . وكانوا يسمونها وجهاتها في دولة بني أمية بالشعر الأدنى ، ويسمون سرقسطة وجهاتها بالشعر الأعلى . وتسمى طليطلة مدينة الاملاك لأنه فيما يقال ملكها اثنان وسبعون انسانا ، ودخلها سليمان بن داود عليهما السلام ، وعيسى بن مريم ، وذو القرنين ^(٢) ، وفيها وجد طارق مائدة سليمان ، وكانت من ذخائر أشبان ملك الروم الذي بنى أشبيلية ، أخذها من بيت المقدس ، كما مر ^(٣) . وقومت هذه المائدة عند الوليد بن عبد الملك بمائة ألف دينار . وقيل إنها كانت من زمرد أخضر ، ويقال إنها الآن برومة . والله أعلم بذلك . ووجد طارق بطليطلة ذخائر عظيمة ^(٤) منها مائة وسبعون تاجاً من الدر والياقوت والأحجار النفيسة ، وإيوان ممتلئ من أواني الذهب والفضة ، وهو كبير ، حتى قيل إن الخيل تلعب فيه فرسانها برماحهم لوسعه . وقد قيل أن أواني المائدة من الذهب ، وصحافها من اليشم والجزع . وذكروا فيها غير هذا ، مما لا يكاد يصدق الناظر فيه . وبطليطلة بساتين محدقة ، وأنهار مخترة ، ورياض وجنان ، وفواكه حسان ، مختلفة الطعوم والألوان ولها من جميع جهاتها أقاليم رفيعة ، ورساتيق مريضة ، وضياع بديعة ، وقلاع منيعة ، وبالجملة فمحاسنها كثيرة ، ولعلنا نلم ببعض متزهاتها فيما يأتي من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى

وطليطلة قاعدة ملك القوطيين ، وهي مطلة على نهر تاجة ، وعليه كانت القنطرة التي يعجز الواصفون عن وصفها ، وكانت على قوس واحد ، تكنفه فرجتان من كل جانب ، وطول القنطرة ثلاثمائة باع ، وعرضها ثمانون باعاً ، وخربت أيام الأمير محمد ،

(١) قال المؤرخ الروماني « تيت ليف » : طوليتوم Toletum مدينة صغيرة لكنها

ذات موقع حصين

(٢) هذا من أساطير الأولين

(٣) لم نقرأ هذا في تاريخ يوثق به

(٤) أما هذا فصحيح وإن تطرقت إليه المبالغة ؛ كما هو المعتاد في مثل هذه الحوادث

لما عصى عليه أهلها ، فغزاهم واحتال في هدمها . وفي ذلك يقول الحكيم عباس بن فرناس :
 أَضَحَّتْ طُلَيْطَلَةٌ مَعَطَلَةً مِنْ أَهْلِهَا فِي قَبْضَةِ الصَّقَرِ
 تَرَكَتْ بِلَا أَهْلٍ تَوَهَّلَهَا مَهْجُورَةً الْأَكْنَافِ كَالْقَبْرِ
 مَا كَانَ يُبْقِي اللَّهَ قَنْطَرَةً نُصِبَتْ لِحَمَلٍ كِتَابُ الْكُفْرِ
 وسيأتى بعض أخبار طليطلة ^(١) .

ومن مشهور مدن الأندلس المّرية ، وهى على ساحل البحر ، ولها القلعة المنيعه المعروفة بقلعة خيران ، بناها عبد الرحمن الناصر ، وعظمت في دولة المنصور ابن أبى عامر ، وولى عليها خيران ، فنسبت القلعة إليه . وبها من صنعة الديباج ما تفوق به سائر البلاد . وفيها دار الصناعة ^(٢) . وتشتمل كورتها على معدن الحديد والرخام . ومن أبوابها باب العقاب عليه صورة عقاب من حجر ، قديم عجيب المنظر وقال بعضهم : كان بالمرية لنسج طرز الحرير ثمانمائة نول ، وللحال النفيسة والديباج الفاخر ألف نول ، وللإسقاطون كذلك ، وللثياب الجرجانية كذلك ، وللأصفهانية مثل ذلك ، وللعنابي والمعاجر المدهشة ، والستور المكحلة . ويصنع بها من صنوف آلات الحديد والنحاس والزجاج ما لا يوصف ^(٣) . وفا كهة المّرية

(١) سيأتى خبر طليطلة في الجزء الأول هذا

(٢) المّرية كانت مرسى الأسطول الإسلامى الأندلسى الذى بلغ أوج عظمته في أيام عبد الرحمن الناصر ، وبقيت كذلك مدة من الزمن بعد ذهاب الناصر رحمه الله ، وفي أيام مجاهد العامرى وولده على كانت دانية مرفأً عظيماً للأسطول الإسلامى وكانت فيها دار صناعة وكانت دور صناعة في مدن بحرية أخرى مثل الجزيرة الخضراء وشلب والقنت وقستلون في كتلونية والمنكب ومالقه وقصر أبى دانيس في الجهة الغربية وجزيرة يابسة ، وفي زمن الناصر أنشئت دار صناعة عظيمة في طرطوشة ، وذلك لأن الصنوبر الطرطوشى مشهور بالصلاية

(٣) نقل لاوى بروفنسال عن مؤلفى العرب ما ذكره عن عظمة تجارة المّرية ، وأنها كانت أعظم ميناء في الأندلس ، كما قال الشقندى ، وذكر أنه كان فيها ألف إلا

يقصر عنها الوصف حسناً ، وساحلها أفضل السواحل ^(١) ، وبها قصور الملوك القديمة الغريبة العجيبة . وقد أُلِف فيها أبو جعفر بن خاتمة تاريخاً حافلاً ، سماه « بمزية المرية على غيرها من البلاد الأندلسية » في مجلد ضخيم ، تركته من جملة كتبي بالمغرب . والله سبحانه المسئول في جمع الشمل ، فله الأمر من بعد ومن قبل .

ووادى المرية طوله أربعون ميلاً في مثلها ، كلها بساتين بهجة ، وجنات نضرة وأنهار مطردة ، وطيور مفردة . قال بعضهم : ولم يكن في بلاد الأندلس أكثر مالا من أهل المرية ، ولا أعظم متاجر و ذخائر ، وكان بها من الحمامات والفنادق نحو الألف ، وهي بين الجبلين ، بينهما خندق معمور ، وعلى الجبل الواحد ، قصبتها المشهورة بالحصانة ، وعلى الآخر ربضها . والسور محيط بالمدينة والربض . وغربها ربض لها آخر يسمى ربض الحوض ، ذو فنادق وحمامات ، وخنادق وصناعات ، وقد استدار بها من كل جهة حصون مرتفعة ، وأحجار أولية . وكأثما غربلت أرضها من التراب . ولها مدن وضياع عامرة متصلة الأنهار . انتهى .

وقال ابن اليسع عند ذكر مدينة « شنترة » ^(٢) : إن من خواصها أن القمح والشعير يزرعان فيها ويحصدان عند مضي أربعين يوماً من زراعته ، وأن التفاح فيها دور كل واحدة ثلاثة أشبار وأكثر . قال لي أبو عبد الله الباكوري ، وكان ثقة : أبصرت عند المعتمد بن عباد رجلاً من أهل شنترة ، أهدى إليه أربعة من التفاح ، ما يُقْلُ الحامل على رأسه غيرها ، دور كل واحدة خمسة أشبار . وذكر الرجل بحضرة ابن عباد أن المعتاد عندهم أقل من هذا ، فإذا أرادوا أن يجيء بهذا العظم وهذا القدر قطعوا أصلها وأبقوا منه عشرة أو أقل ، وجعلوا تحتها دعائم من الخشب . انتهى .

ثلاثين فندقاً مقيدة في ديوان الخراج ، وأنها كانت مدينة صناعية من الدرجة الأولى ، وفيها المناسج الحريرية وغيرها ، ومعامل الحديد والنحاس والزجاج

(١) إلى يومنا هذا فواكه المرية مشهورة ، ومنها يجلب إلى أوربة أفضل العنب

(٢) Cintra من مدن البرتغال

وبحصن « شنش »^(١) على مرحلة من المربة التوت الكثير ، وفيها الحرير والقرمز ، ويعرف واديهها بوادي « طبرنش »^(٢) وبغربي مالقة عمل « سهيل »^(٣) وهو عمل عظيم كثير الضياع ، وفيه جبل سهيل ، لا يرى نجم سهيل بالأندلس إلا منه ومن كور الأندلس الشرقية تدمير^(٤) وتسمى مصر أيضاً ، لكثرة شبهها بها ، لأن لها أرضاً يسبح عليها نهر في وقت مخصوص من السنة ، ثم ينضب عنها ، فتزرع كما تزرع أرض مصر ، وصارت القصبه بعد تدمير مرسية ، وتسمى البستان لكثرة جناتها المحيطة بها ، ولها نهر يصب في قباياها .

واعلم أن جزيرة الأندلس ، أعادها الله للإسلام ، مشتملة على موسطة وشرق وغرب . فالموسطة فيها من القواعد المصرة التي كل مدينة منها مملكة مستقلة ،

(١) لانعلم أهي في الأصل شنشين Chinehin وقد حرقها النساخ إلى شنش ، أم هي من الأصل شنش

(٢) يقول لها الاسبانيول Tabarnax قال عنها لسان الدين بن الخطيب في د معيار الاختبار ، حاضرة البلاد المشرقية ، وثنية البارقة الأفقية ، ماشئت من تنجيد بيت ، وعصر زيت ، واحياء أنس ميت . وحمام طيب ، وشعر تنثر فيه دنانير أبي الطيب ، إلا أنها محيلة الغيوث . عادية الليوث ، ولوشكر الغيث شعيرها ، أخصبت البلاد وغيرها (٣) هو اسم عرى من أصله والاسبانيول يقولون لهذا المكان د فوانجيرولا .

Fuengirola قال لسان الدين في د معيار الاختبار ، : حصن حصين . يضيق عن مثله هدد وصير ، ويقضى بفضل كل ذي عقل رصين . سبب عزه متين . ومادة قوته شعير وتين ، قد علم أهله مشربهم ، وأمنوا مهربهم ، وأسهمت بين يديه قراه ، مائلة بحيث تراه ، وجاد بالسملك واديه ، وبالحب ثراه . وعرف شأنه بأرض الوب ، ومنه يظهر سهيل من كواكب الجنوب . إلا أن سواحل بلء الغارة البحرية . ومهبط السرية غير السرية . ومسرح السائمة الأميرية ، وخدامها كما علت أولئك هم نهر البرية اه . قلت : قوله البلى بكسر أوله معناه مباح يقال هو د حل وبل ، أى سواحل سهيل مباحة للغارات البحرية لكثرتها عليها

(٤) هي البلدة التي يقال لها أوربولة وهي من عمل مرسية

لها أعمال ضخام ، وأقطار متسمة : قرطبة ، وطليطلة ، وجيان ، وغرناطة ، والمرية ، ومالقة : فن أعمال قرطبة « استجة » و « بلسكونة » و « قبرة » و « رندة » و « غافق » و « المدور » و « اسطبة » و « بيانة » و « اليسانة » و « القصير »^(١) وغيرها . ومن أعمال طليطلة « وادي الحجارة » ، و « قلعة رباح » ، و « طلمنكة »^(٢) وغيرها . ومن أعمال جيان ، « ابذة » ، و « يياسة » ، و « قسطلة »^(٣) وغيرها ، ومن أعمال غرناطة « وادي آش » ، و « المنكب » و « لوشة »^(٤) وغيرها . ومن أعمال المرية « اندرش »^(٥) وغيرها . ومن أعمال

(١) الأسبانيول يقولون لاستجة Eciga وللكونة Balcona ولقبره Cabra ولرندة Ronda ولغافق Galie وللدرر Almodovar ولأسطبة Estepa وليانته Baessa ولأليسانة Lucana وللقصير Alkosair

(٢) الأسبانيول يقولون لوادي الحجارة Guadalajara وقلعة رباح Calatrava ولطلمنكة Salamanqua

(٣) الأسبانيول يقولون لجيان خيان بالخاء وبدون تشديد ، ويقول دوزى إن القشتاليين كانوا يقولون في القرون الوسطى جيان مخففة ، وأن أصل هذا الاسم روماني ، وهو أوسيانس Uciense فالعرب حذفوا آخر الاسم ، فبقى أوسيان ، فقلبوا السين شيئا ، ثم غلبت الجيم الشين ، وحذفوا الأول ، فاتهى الأمر بأن صارت جيان ، والله أعلم . ويقول الأسبانيول لأبذه Ubeda وليياسه Baeza ولقسطلة Castella وكل هذه الأسماء قد تقدم ذكرنا لها بالعربي وبالاسبانيولي وإنما نكررها لترسخ في ذهن القارئ

(٤) لا يخفى أن غرناطة هي عند الأسبانيول Granada ووادي آش Geiadix والمنكب Almunécar ، ولا نعلم لماذا الأسبانيول قلبوا الباء راء ، ولوشة هي عندهم Loja

(٥) لا يخفى أن المرية هي من فعل رأى بحسب رأى دوزى ، فقد قال إن هذا الاسم في أصله لم يكن علماً وأنه صفة لبرج يكون مشرفاً على البحر ، ترى منه مراكب البحر ، وتراه المراكب من البحر . وهذا الرأي ليس بعيد عن الصواب ، لانه في

مالقة « بلش و » الحامه «^(١) ، وغيرهما . وبلش من الفواكه ما بمالقة ، وبالحامة العين الحارة على ضفة واديها .

وأما شرق الأندلس ففيه من القواعد « مرسية » و « بلنسية » و « دانية » و « السهلة » و « الثغر الأعلى »^(٢) . فمن أعمال مرسية « أوريولة » و « القنت » و « لورقة »^(٣) وغير ذلك ومن أعمال بلنسية « شاطبة » التي يضرب بحسنها المثل ، ويعمل بها الورق الذي لا نظير له ، و « جزيرة شقر » وغير ذلك وأما « دانية » فهي شهيرة ، ولها أعمال ، وأما « السهلة » فإنها متوسطة بين بلنسية وسرقسطة ، ولذا عدها بعضهم من كور الثغر الأعلى ، ولها مدن وحصون . ومن أعمال الثغر الأعلى سرقسطة . وهي أم ذلك الثغر . وكورة « لاردة » والقلمة ، وتسمى بالبيضاء^(٤)

العربي يوجد فعل أراه إياه يريه إراءة وإيراء ، أى جعله ينظر فيه فهو مريه . فهذا في الأرجح أصل هذه اللفظة ، وفيما بعد أدخلوا عليها التشديد بتحريف العوام . ومع هذا فالأسبانيون لا يلفظونها بالتشديد بل يلفظونها بفتح الأول وكسر الثاني فسكون فياء فألف هكذا Almeria . وأما اندرش فيكتبونها Andarax وهي البلدة التي عينها فردياندا لاني عبد الله بن الأحمر . بعد أن أخرجه من غرناطة ، حتى يقيم بها قبل أن تحيل عليه وأخرجه إلى المغرب ، وقد ذكرها لسان الدين في معيار الاختبار ، فقال عنها : عنصر جاية ، وكن به أولو إباية ، حريها ذهب ، وتربها تبر ملتهب ، وماؤها سلسل ، وهواؤها لا يلني معه كسل إلا أنها ضيقة الأحواز والجهات ، كثيرة المقابر والقهوات ، عديمة الفرج والمنتزهات . ثقيلة المغارم . مستباحة المحارم ، أعرابها أولو استطالة ، فلا يعدم الزرع عدوانا ، ولا يفقد غير الشر بزوانا ، وطريقها غير سوى وساكنها ضعيف يشكو من قوى اه .

(١) الأسبانيون يقولون لبلش مالقة Velez Malaga ويقولون للحامة Alahama

(٢) مرسية هي Murcia وبلنسية Valencia ودانية Denia والسهلة Azaila

والثغر الأعلى هي سرقسطة Zaragoza

(٣) كلها قد تقدم ذكرها وبعض وصفها

(٤) أى سرقسطة

وكورة « تطيلة » ومدينتها « طرسونة » ^(١) وكورة « وشقة » ومدينتها تمريط ^(٢) ، وكورة مدينة سالم ، وكورة قلعة أيوب ، ومدينتها بليانة ، وكورة « برطانية » ^(٣) وكورة « باروشة » ^(٤)

وأما غرب الأندلس ففيه « اشبيلية » و « ماردة » و « اشبونة » و « شلب » ^(٥) فمن أعمال اشبيلية « شريش » و « الخضراء » و « لبله » ^(٦) وغيرها . ومن أعمال ماردة « بطليوس » و « يابرة » ^(٧) وغيرها . ومن أعمال اشبونة « شترين » ^(٨) وغيرها . ومن أعمال شلب « شنت ريه » ^(٩) وغيرها .

وأما الجزر البحرية بالأندلس فمنها جزيرة « قادس » ^(١٠) وهي من أعمال اشبيلية . وقال ابن سعيد : إنها من كورة شريش ولا منافاة ، لأن شريش من أعمال اشبيلية كما مر . قال : ويبد صنم قادس مفتاح . ولما ثار بقادس ابن أخت القائد أبي عبد الله بن ميمون ، وهو على بن عيسى قائد البحر بها ، ظن أن تحت الصنم مالا فهدمه فلم يجد شيئاً اهـ .

وهي أعنى جزيرة قادس في البحر المحيط . وفي المحيط الجزائر الخالدات ^(١١)

(١) قد تقدم ذكر هذه المدن وسيأتى الخبر عنها كلها

(٢) Tamarite - Altorricon

(٣) إن هذه الكورة هي المسماة بلطانية عند الأسبان وهي شمالى وشقة

(٤) قال ياقوت : باروشة مدينة من غربي سرقسطة بقرب من أرض الفرنج

(٥) هذه الاسماء هي Sévillla و Merida و Lisboa و Silves

(٦) Xeres و Algezira و Niebla

(٧) Evora و Badajoz

(٨) Santarem (٩) Santamaria

(١٠) Cadix وليست بجزيرة تامة ، وذلك لأنها ترتبط بالبر بخيط دقيق من التراب

قليل العرض لا يزيد على أمتار معدودات ، وهو أيضاً غير مستطيل

(١١) Canaries

السبع ، وهى غربى مدينة سلا ، تلوح للناظر فى اليوم الصاى الصاى الجو من الأبحرة
الغليظة ، وفيها سبعة أصنام على أمثال الآدميين ، تشير أن لا عبور ولا مسلك
وراءها . وفيه بجهة الشمال جزائر السعادات ^(١) ، وفيها من المدن والقرى ما لا يحصى
ومنها يخرج قوم يقال لهم المجوس ، على دين النصارى ، أولها جزيرة برطانية ^(٢)
وهى بوسط البحر المحيط ، بأقصى شمال الاندلس ، ولا جبال فيها ولا عيون ، وإنما
يشربون من ماء المطر ، ويزرعون عليه ، وقال ابن سعيد : وفيه جزيرة « شلطيش » ^(٣)
وهى آهلة ، وفيها مدينة ، وبحرها كثير السمك . ومنها يحمل مملحا إلى اشبيلية ،
وهى من كورة « لبله » مضافة إلى عمل « أوننة » ^(٤) اه .

وقال بعضهم لما جرى ذكر قرطاجنة من بلاد الاندلس : إن الزرع فى
بعض أقطارها يكتفى بمطرة واحدة ، وبها أقواس من الحجارة المقر بصة ، وفيها من
التصاوير والتماثيل وأشكال الماس وصور الحيوانات ما يحير البصر والبصيرة . ومن
أعجب بنائها « الدواميس » ^(٥) وهى أربعة وعشرون ، على صف واحد ، من
حجارة مقر بصة ، طول كل داموس مائة وثلاثون خطوة ، فى عرض ستين خطوة ،
وارتفاع كل واحد أكثر من مائتى ذراع ، بين كل داموسين انقاب محكمة ، تنصل
فيها المياه من بعضها إلى بعض ، فى العلو الشاهق ، بهندسة عجيبة ، وإحكام بديع . انتهى
« قلت » : أظن هذا عاظا فان قرطاجنة التى بهذه الصفة قرطاجنة أفريقية
لا قرطاجنة الاندلس . والله أعلم .

(١) Açores

(٢) برطانية العظمى

(٣) Saltes وهى جزيرة فى غربى الاندلس ينسب إليها أبو محمد الشلطيشى وغيره

من أهل العلم وسياق ذكرها

(٤) Huelva

(٥) الداموس هو القتره أو ما يستتر به

وقال صاحب « مناهج الفكر » عند ما ذكر قرطاجنة : وهى على البحر الرومى ، مدينة قديمة بقى منها آثار ، ولها فحس طول ستة أيام ، وعرضه يومان ، معمور بالقرى انتهى . وذكر قبل ذلك فى « لورقة » ^(١) أنه بناحيتهما يوجد حجر اللازورد ، وفى البحر الشامى الخارج من المحيط جزيرتا ميورقة ومنورقة ، وبينهما خمسون ميلا وجزيرة ميورقة مسافة يوم بها مدينة حسنة ^(٢) وتدخلها ساقية جارية على الدوام ، وفيها يقول ابن اللبانة :

بلدٌ أعارته الحمامة طوقها وكساه حلة ريشه الطاووسُ
فكانما الأنهار فيه مُدّامة وكأنّ ساحات الديار كُؤسُ

وقال يخاطب ملكها ذلك الوقت :

وغمّرت بالاحسان أرض ميورقة وبنيت ما لم يبنيه الاسكندرُ
وجزيرة يابسة ^(٣) . واستقصاء ما يتعلق بهذا الفصل يطول ، ولو تنبّع لكان تأليفاً مستقلاً ، وما أحسن قول ابن خفاجة :

إن للجنة بالأندلس مُجْتَلى حُسنٍ ورّيا نفس
فسما صبحتها من شنب ودُحى ليلتها من لَعس
وإذا ما هبّت الريح صباً صِحتُ : واشوقى إلى الأندلس !

وفال بعضهم فى طليطلة :

زادت طليطلة على ما حدثوا بلد عليه نضرة ونعيمُ

(١) - Lorca

(٢) الاسبانيول يقولون لهذه المدينة « بالما ، Palma » وأما العرب فكانوا يقولون للجزيرة ميورقة وللمدينة أيضا ميورقة . وقد أقمت بهذه البلدة عشرين يوماً فى أثناء سياحتى إلى الأندلس سنة ١٩٣٠ فرأيتها من أجل بلاد الله وأخصبها

(٣) Ibiza

الله زينهُ فوشح خضرهُ نهر الحجرَةِ والفصونُ نجومُ
ولا حرج إن أوردنا هنا ما خاطب به أديب الأندلس أبو بحر صفوان بن
إدريس الأمير عبد الرحمن ابن السلطان يوسف بن عبد المؤمن بن علي ، فانه مناسب
ونصه :

« مولاي أمتع الله ببقائك الزمان وأبناءه ، كما ضمّ على حبك أحناءهم وأحناءه ،
وأوصل لك ماشئت من المنّ والأمان ، كما نظم قلائد فخرك على لبة الدهر نظم الجمان ،
فانك الملك الهام ، والقمر التمام ، أيامك غرر وحجول ، وفرند بهائها في صفحات الدهر
يجول ، ألبيت الرعية برود التأمين ، فتناست فيك من نفيس ثمين ، وتلفت دعوات
خلدك لها باليمين ، فكم للناس من أمن بك وإيناس ، وللأيام من لوعة فيك وهيام
والأقطار من لبانات لديك وأوطار ، وللبلاد من قراع على تملكك لها وجلاد !!
يتمنون شخصك الكريم على الله ويقترحون ، ويغتبقون في رياض ذكرك
العاطر بمدام حبك ويصطبحون ، كل حزب بما لديهم فرحون ، محبة من الله ألقاها
لك ، حتى على الجاد ، ونصرأ مؤزراً تنطق به ألسنة السيوف على افواه الاغمار ،
ومن أسر سريرة ألبسه الله رداءها ، ومن طوى حسن نية ختم الله له بالجميل إعادتها
وإبداءها ، ومن قدّم صالحاً فلا بد من أن يوازيه ، ومن يفعل الخير لا يعدم جوازيه
ولما تخاصمت فيك من الأندلس الأمصار ، وطال بها الوقوف على حبك والاقتصار ،
كلها يفصح قولاً ، ويقول أنا أحق وأولى ، ويصيخ إلى إحابة دعوته ويصغى ،
ويتلو إذا بشر بك : ذلك ما كنا نبغي . تنمّرت حمص غيظاً ، وكادت تفيض فيظاً
وفالت : ما لهم يزيدون وينقصون ، ويطعمون ويحرصون ؟ إن يتبعون إلا الظن
وإن هم إلا يخرصون ! ألهم السهم الأسد ، والساعد الأشد ، والنهر الذي يتعاقب عليه
الجزر والمد ؟ أنا مصر الأندلس والنيل نهري ، وسماي التانس والنجوم زهري ، إن
تجار يتم في ذلك الشرف^(١) ، فحسبي أن أفيض في ذلك الشرف ، وإن تبجحتم بأشرف

(١) هو غابة الزيتون التي تقدم ذكرها

اللبوس ، فأى إزار اشتملتموه « كشتتموس »^(١) ؟ إلى ما شئت من أبنية رحاب ،
وروضى يشتفنى بنضرتة عن السحاب ، وقد ملأت زهراتى وهادا ونجادا ، وتوشح
سيف نهري بمحدثى نجادا ، فأنا أولا كم بسيدنا الهمام وأحق ، الآن حصحص الحق !
فنظرتها قرطبة شذراً ، وقالت : لقد كثرت نذراً ، وبذرت فى الصخر الأصم بذراً ،
كلام العدي ضرب من الهذيان ، وأنى للايضاح والبيان متى استحال المستقبح
مستحسناً ، ومن أودع أجفان المهجور وسنا ، أفس زين له سوء عمله فرآه حسناً ؟ !
يا عجباً للمرا كز تقدم على الأسنه ، واللائغار^(٢) تفضل على الأئنة ! إن ادعيتم سبقاً
فما عند الله خير وأبقى ، لى البيت المطهر الشريف ، والاسم الذى ضرب عليه رواقه
التعريف ، فى بقيعى محل الرجال الأفاضل ، فليرغم أنف المناضل ، وفى جامعى
مشاهد ليلة القدر ، فحسبى من نباهة القدر ، فما لأحد أن يستأثر على بهذا السيد
الأعلى ، ولا أرضى له أن يوطىء غير ترانى نعلا ، فأقرّوا لى بالابوة ، وانقادوا لى
على حكم النموّة ، ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة ، وكفوا عن تباريكم
داكم خير لكم عند بارىكم .

فقات غرناطة : لى المعقل الذى يمتنع ساكنه من النجوم ، ولا تجرى إلا تحته
جياذ الغيث السجوم ، فلا يلحقى من معاند ضرر ولا حيف ، ولا يهتدى إلى خيال
طارق ولا طيف ، فاستسلموا قولاً وفعلًا ، فقد أملح اليوم من استعلى ، لى بطاح
تقلدت من حداولها أسلاكاً ، وأطلعت كواكب زهرها فعادت أفلاكاً ، ومياه تسيل
على أعطافى كأدمع العشاق ، وبرد نسيم يردد ماء المستجير بالانتشاق ، فحسنى لا يطمع
فيه ولا يحتال ، فدعونى فكل ذات ذيل تختال ، فأنا أولى بهذا السيد الأعدل ،
وما لى به من عوض ولا بدل ، ولم لا يعطف على عنان مجده ويثى ، وإن أشديوماً
فأياى يعنى :

(١) Santiponce من قرى اشبيلية

(٢) الثغر محركه وقد تسكن السير : الذى فى مؤخر السرج

بلاد بها عَقَّ الشباب تمانى وأول أرض مَسَّ جلدى تُرابها
فما لكم تعزّون لفخرى وتنتمون ، وتتأخرون فى ميدانى وتتقدمون ؟ تبرأوا
إلىّ مما تزعمون ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون .

قالت مالقة : أنتركونى بيثكم هملا ، ولم تعطونى فى سيدنا أملا ؟ ولمّ ولى البحر
العجاج ، والسبل الفجاج ، والجنات الأثيرة ، والفواكه الكثيرة ؟ ! لدىّ من البهجة
ما تستغنى به الحمام عن الهديل ، ولا تجنح الأنفس الرفاق الخواشى الى تعويض عنه
ولا تبديل ، فما لى لا أعطى فى ناديك كلاماً ، ولا أنشر فى جيش فخارك أعلاماً ؟ !
فكانّ الأمصار نضرتها ازدراء ، فلم تر لحديثها فى ميدان الذكر اجراء ، لأنها
موطن لا يحظى منه بطائل ، ووطن البلاد تأولت فيها قول القائل :

إذا نَطَقَ السفيةُ فلا تُجِبْهُ خَيْرٌ من إجابته السكوتُ

قالت مرسية : أمامى تتعاطون الفخر ، وبحفرة الدر تنفقون الصخر ، إن عدت
المفاخر ، فلى منها الأول والآخر ، أين أوشاكم من بحرى ، وخرزكم من لؤلؤ بحرى ؟
وجمجمعتكم من نفثات سحرى : فلى الروض للنضير ، والمرأى الذى ما له نظير ،
ورتقانى التى سار مثلها فى الآفاق ، وتبرقع وجه جمالها بغرة الاصفاق ، فمن دوحات ، كم
لها من بكور وروحات ، ومن أرجاء ، اليها تمد أيدي الرجاء . فابنائى فى الجنة الدنيوية
مودعون ، يتنعمون فيما يأخذون ويدعون ، ولهم فيها ما تشتهى أنفسهم ولهم فيها
ما يدعون ، فانقادوا لأمرى ، وحاذروا اصطلاء جبرى ، وختلوا بينى وبين سيدنا
أبى زيد ، وإلا ضربتكم ضرب زيد ، فأنا أولاكم بهذا الملك المستأثر بالتعظيم ،
وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم .

قالت بلنسية : فيم الجدل والقراع ، وعلام الاستهام والاقتراع ، وإلام
التعريض والتعريض ، وتحت الرغوة اللبن الحريح ؟ ! أنا أحوزه من دونكم ،
فأخذوا نار تحرككم وهدونكم ، فلى المحاسن الشائخة الأعلام . والجنات التى
تلقى اليها الآفاق يد الاستسلام ، وبرصافى وجمرى أعارض مدينة السلام ، فأحموا

على الانقياد لى والسلام ، وإلا فعضوا بناً ، واقرعوا أسناناً . فأننا حيث لا تدركون وأننى ؟ ومولانا لا يهلكنا بما فعل السفهاء منا !

فعند ذلك ارتمت جرة تدمير بالشرار ، واستدّت اسهمها لنحور الشرار ، وقالت : عش رجياً ، ترعجياً ! أبعد العصيان والعقوق ، تهياناً لرتب ذوى الحقوق ؟ ! هذه سماء الفخر ، فمن ضمنك أن تعرجى ؟ ليس بمشك فادرجى ، لك الوصف والخليل . آلاّن ؟ وقد عصيت قبل أيتها الصانعة الفاعلة ، من أدراك أن تضربى وما أنت فاعلة ، ما الذى يجديك الروض والزهر ؟ أم يفيدك الجدول والنهر ؟ وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر ؟ هل أنت إلا محط رحل النفاق ، ومنزل ما لسوق الخصب فيه من نفاق ، ذراك لا يكتحل الطرف فيه بهجوع ، وقراك لا يسمن ولا يغنى من جوع ، فالأم تبرز الاماء فى منصة العقائل ؟ ولكن اذكرى قول القائل :

بلنسية ، بينى عن القلب سلوةً فانك روض لا أحنّ لزهرك

وكيف يُحب المرء داراً تقسمت على صارتى جوع وفتنة مشرك ؟

بيد أنى أسأل الله تعالى أن يوقد من توفيقك ما خمد ، ويسيل من تسديدك ما جمد ، ولا يطيل عليك فى الجهالة الأمد ، وإياه سبحانه نسأل أن يرد سيدنا ومولانا إلى أفضل عوائده ، ويجعل مصائب أعدائه من فوائده ، ويمكن حسامه من رقاب المشغبين ، ويبقيه وجيهاً فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ، ويصل له تأييداً وتأييداً ، ويمهد له الأيام حتى تسكون الأحرار لعبيده عبيداً ، ويمد على الدنيا بساط سعده ، ويهبه ملكاً لا ينبغى لأحد من بعده .

آمين ! آمين ! لا أرض بواحدة حتى أضيف إليها ألف آمينا

ثم السلام الذى يتعاقب عباقاً ونشراً ، ويتألق روتقاً وبشراً ، على حضرتهم

العلية ، ومطالع أنوارهم السنية الجليلة ، ورحمة الله تعالى وبركاته ^(١) (انتهى)

(١) يرى القارىء أن صاحب النفع يأتى بالجغرافية والتاريخ والمحاضرات والمسامرات والنظم والنثر ، كل ذلك فى نسق ، وأن الترتيب ليس هو الصفة الغالبة على تأليفه ، بل هو فى

ولما أتم الرحالة ابن بطوطة في رحلته بدخوله بلاد الأندلس ، أعادها الله تعالى للإسلام قال : فوصلت إلى بلاد الأندلس حرسها الله تعالى حيث الأجر موفور للساكن ، والثواب مذكور للمقيم والطاعن . . . إلى أن قال عند ذكره غرناطة مانصه : قاعدة بلاد الأندلس ، وعروس مدنها ، وخارجها لا نظير له في الدنيا ، وهو مسيرة أربعين ميلا ، يخترقه نهر شنيل المشهور وسواه من الأنهار الكثيرة ، والبساتين الجليلة ، والجنات ، والرياضات ، والقصور ، والكروم ، محدة بها من كل جهة ، ومن عجيب مواضعها « عين الدمع »^(١) وهو جبل فيه الرياضات والبساتين ، لا مثل له بسواها . انتهى

وقال الشنقدي : غرناطة : دمشق بلاد الأندلس ، ومسرح الأبصار ، ومطمح الأنفس . ولم تخل من اشراف أمائل ، وعلماء أكابر ، وشعراء أفاضل ، ولو لم يكن بها إلا ما خصها الله تعالى به من كونها قد نبغ فيها النساء الشواعر ، كنزهون القلبعية ، والركونية ، وغيرها . وناهيك بهما في الظرف والأدب . انتهى ولبعضهم ، يتشوق إلى غرناطة ، فيما ذكره بعض المؤرخين ، والصواب أن الأبيات قيلت في قرطبة كما مر والله أعلم .

أغرناطة الغراء ، هل لي أوبة
سقى الجانب الغدي منك غمامة
لياليك أسحار ، وأرضك جنة
وقال ابن مالك الرعيني :

رعى الله بالحمراء عيشاً قطعته
ذهبت به للأنس والليل قد ذهب

هذا سائر على قاعدة : إن الحديث شجون ، ولقد رأينا الأولى أن تبقى نسقه على غلاته ، وأن لا تتصرف إلا ماندر في ترتيبه وتبويه

ترى الأرضَ منها فِضةً فاذا اكْتَسَتْ
بشمسِ الضُّحَى عادت سبيكتُها ذَهَبٌ
وهو القائل :

لا تظنوا أن شوقى خدنا بعدكم ، أو أن دمعى جدا
كيف أسلو عن أناس مثلهم قَلَّ أن تُبْصِرَ عيني أحداً

وغرناطة من أحسن بلاد الأندلس ، وتسمى بدمشق الأندلس ، لأنها أشبه
شيء بها ، ويشقها نهر « حَذْرَه » ^(١) ويطل عليها الجبل المسمى بشاير ، الذى
لا يزول الثلج عنه شتاء ولا صيفاً ^(٢) ويجمد عليه ، حتى يصير كالحجر الصلب ،
وفى أعلاه الأزاهر الكثيرة ، وأجناس الأفاوية الرفيعة ، ونزل بها أهل دمشق ،
لما جاءوا إلى الأندلس ، لأجل الشبه المذكور . وقرى غرناطة فيما ذكر بعض المتأخرين
مائتان وسبعون قرية ^(٣) وقال ابن جزى مرتب رحلة ابن بطوطة ، بعد ذكر كلامه
ما نصه : قال ابن جزى : لولا خشيت أن أنسب إلى العصبية ، لأطلت القول فى
وصف غرناطة ، فقد وجدت مكانه ، ولكن ما اشتهر كاشتهاها لا معنى لإطالة
القول فيه . والله در شيخنا أبى بكر ابن محمد بن شيرين السبتي ، نزيل غرناطة
حيث يقول :

رعى الله من غرناطة مُتَبَوِّأً يَسُرُّ حزيناً أو يُجِيرُ طَريدًا
تبرّم منها صاحبي عند ما رأى مسارحها بالثلجِ عُدُنَ جَلِيدًا
هو الثَّغَرُ ، صان الله مَنْ أَهَلَّتْ به وما خيرُ ثَغَرٍ لا يكون بَروداً ؟

وقال ابن سعيد ، عند ما أجرى ذكر قرية نارجة ، وهى قرية كبيرة تضاهى

(١) الاسبانول يقرلون Darro

(٢) سيأتى ذكر غرناطة وقراها فى محله

(٣) هذا هو الجبل الذى قال فيه القائل وقد حل باحدى قراه :

يحل لنا ترك الصلاة بأرضهم وشرب الحيا وهو شيء محرم
فراراً إلى نار الجحيم فانها أخف علينا من شاير وأرحم

المدن قد أحدثت بها البساتين ، ولها نهر يفتن الناظرين ، وهى من أعمال مالقة :
انه اجتاز مرة عليها مع والده أبى عمران موسى ، وكان ذلك زمان صباغة الحرير عندهم
وقد ضربوا فى بطن الوادى بين مقطعاته خيما ، وبعضهم يشرب ، وبعضهم يغنى
و يطرب ، وسألوا : بيمَ يعرف ذلك الموضع ؟ فقالوا الطراز ، فقال والدى اسم طابق
مسماه ، ولفظ وافق معناه .

وقد وجدت مكان القولِ ذا سَعَةٍ فات وَجَدْتُ لسانًا فائلا فقل
ثم قال أجز :

بنارجةٍ حيثُ الطراز المُنَمَّمُ	
أقيمُ فوقَ نهرٍ تُغرُّهُ يتبسمُ	فقلت :
وسمعتُ نحوَ الهانقاتِ فأنها	فقال :
لِما أبصرتُ منَ بهجةٍ تترنمُ	فقلت :
أيا جنةَ الفردوسِ لستُ بأديمِ	فقال :
فلا يكُ حظي من جَنَّاك التندمُ	فقلت :
يعز عاينا أن نزوركِ مثلَ ما	فقال :
يزورُ خيالُ من سَلِمَى مسامُ	فقلت :
فلو أنى أعطى الخيارَ لَمَّا عَدَتْ	فقال :
محالكِ لى عَيْنُ بمرآكِ تنعمُ	فقلت :
بحيثُ الصَّبَا والطلُّ من نفثاتها	فقال :
وقَتَ لَسعَ روضٍ فيه للنهرِ أرقمُ	فقلت :
فوا أسفى ! إن لم تكن لى عودةُ	فقال :
فكنُ مالِكاً إني عايك مُتَمِّمُ ^(١)	فقلت :

(١) متمم كعظم هو متمم بن نويرة بن حمزة التميمي اليربوعي الشاعر الصحابي
أخو مالك بن نويرة الصحابي أيضا رضى الله عنهما

فأحسب هذا آخر العهد بيننا : فقال :
 وقد يَلْحَظُ الرحمنُ شَوْقِي فيرحمُ : فقلت :
 سلام ! سلام ! لا يزال مرَدَدَا : فقال :
 عليك ! ولا زالت بك السُّحُبُ تَسْجُمُ ! فقلت : انتهى .
 وقال ابن سعيد : إن كورة بلنسية ، من شرق الأندلس ، ينبت بها الزعفران
 وتعرف بمدينة التراب ، وبها كُمَثْرَى تسمى الأرزة ، في قدر حبة العنب ، قد جمع
 مع حلاوة الطعم ، ذكاء الرائحة ، إذا دخل دارا عرف بريحه ، ويقال إن ضوء
 بلنسية يزيد على ضوء سائر بلاد الأندلس ، وبها منارة ومسارح ، ومن أبدعها
 وأشهرها الرصافة ، ومُنْيَة ابن أبي عامر .

وقال الشرف أبو جعفر بن مسعدة الغرناطي من أبيات فيها :
 هي الفردوس في الدنيا أجالا لسا كنها وكارها البعوض
 وقال بعضهم فيها :

ضاقَتْ بِلَنْسِيَّةٍ بِي وَذَادَ عَنِّي غُمُوضِي
 رَقَصُ الْبِرَاغِيثِ فِيهَا عَلَى غِنَاءِ الْبَعُوضِ

وفيه لابن الزقاق البلنسي :

بلنسية إذا فكَرْتَ فِيهَا وَفِي آيَاتِهَا أَسْنَى الْبِلَادِ
 وَأَعْظَمُ شَاهِدِي مِنْهَا عَلَيْهَا وَأَنْ جَاهِلًا لِلْعَيْنِ بَادِي
 كَسَاها رَبُّهَا دِرْيَاجَ حُسْنِ لَهَا عَلَمَانِ مِنْ بَحْرِ وَوَادِي

وقال ابن سعيد أيضاً : أنشدني والدي قال : أنشدني مروان بن عبد الله بن

عبد العزيز ملك بلنسية لنفسه بمرأ كش قوله :

كَأَنَّ بِلَنْسِيَّةً كَاعِبٌ وَمَلْبَسُهَا سُندُسٌ أَخْضَرُ
 إِذَا جِثَّتْهَا سَتَرَتْ نَفْسَهَا بِأَكَامِهَا فَهِيَ لَا تَظْهَرُ

وأما قول أبي عبد الله بن عياش : « بلنسية بينى » البيتين وقد سبقا ، فقال ابن سعيد : إن ذلك حيث صارت ثغرا يصاحبها العدو ويماسيها ^(١) اهـ .

وقال أبو الحسن بن حريق يجاوب ابن عياش :
 بَلَنْسِيَّةٌ قَرَارَةٌ كُلُّ حُسْنٍ حَدِيثٌ صَحٌّ فِي شَرْقٍ وَغَرْبٍ
 فَن قَالُوا مَحَلُّ غَلَاءٍ سَعَرٍ وَمَسْقَطُ دِيْمَتِي طَعْنٌ وَضَرْبٌ
 قَل هِيَ جَنَّةٌ حُفَّتْ رُبَاهَا بِمَكْرُوهِينَ مِنْ جَوْعٍ وَحَرْبٍ
 وقال الرصافي في رصاقها :

ولا كالرُصافة من منزلٍ سَقَّتْهُ السَّحَابُ صَوْبَ الْوَلِي
 أَحِنُّ إِلَيْهَا وَمَنْ لِي بِهَا وَأَيْنَ السَّرَى مِنَ الْمَوْصِلِ
 وقال ابن سعيد : وبرصافة ^(٢) بلنسية مناظر وبساتين ومياه ولا نعلم في
 الاندلس ما يسمى بهذا الاسم إلا هذه ، ورصافة قرطبة . انتهى . ومن أعمال بلنسية
 قرية « المنصف » التي منها الفقيه الزاهد أبو عبد الله المنصفي وقبره كان بسبته يزار
 رحمه الله . ومن نظامه :

قَالَتْ لِي النَّفْسُ : أَتَاكَ الرَّدَى وَأَنْتَ فِي بَحْرِ الْخَطَايَا مُقِمٌ
 فَمَا أَذْخَرْتَ الزَّادَ ، قُلْتَ أَقْصَرَى ! هَلْ يُحْمَلُ الزَّادُ لِدَارِ الْكَرِيمِ ؟
 ومن عمل بلنسية قرية « بطرنة » ^(٣) وهي التي كانت فيها الوقعة المشهورة للصاري
 على المسلمين . وفيها يقول أبو اسحق بن يعلى الطرسوني : ^(٤)

(١) هذا كان بعد انصداع الوحدة الأندلسية وانقسام البلاد بين ملوك الطوائف
 واستئساد طواغيت الاسبانيول .

(٢) الاسبان يقولون Ruzafa وهي إلى الجنوب الشرقى من البلدة .

(٣) هي مقلوبة عن طبرنة Tabernes

(٤) نسبة إلى طرسونة من عمل سرقسطة .

لبسوا الحديد الى الوغى وليستم حُللَ الحرير عليكم ألوانا
 ما كان اقبحهم وأحسنكم بها ! لو لم يكن بيطرة ما كنا
 ومن عمل بلنسية « مينطة » ^(١) التي نسب اليها جماعة من العلماء والأدباء .
 ومن عمل بلنسية مدينة « أندة » ^(٢) التي في جبلها معدن الحديد . واما « رندة » ^(٣)
 بالراء فهي في متوسط الأندلس ، ولها حصن يعرف باندة أيضاً . وفي اشبيلية ، اعادها
 الله ، من المتفرجات والمتنزهات كثير ، ومن ذلك مدينة « طريانة » ^(٤) فانها من
 مدن أشبيلية ومتنزهاتها ، وكذلك « تيطل » فقد ذكر ابن سعيد جزيرة تيطل
 في المتفرجات . وقال ابو عمران موسى بن سعيد في جوابه لأبي يحيى صاحب سبته ،
 لما استوزره مستنصر بن عبد المؤمن ، وكتب الى المذكور يرغبه في النقلة عن الأندلس

(١) Mogente وهي بلدة صغيرة قديمة واقعة في بقعة طيبة . جاء في دليل بديكر
 انها من بناء العرب .

(٢) Onda قال ياقوت : بالضم فسكون ، مدينة من أعمال بلنسية بالأندلس ،
 كثيرة المياه والرساتيق والشجر ، وعلى الخصوص التين ، فانه يكثر بها . وقد نسب
 إليها كثير من أهل العلم اه وذ لـر ياقوت بعضهم وسنذكرهم ونذكر كل من انتسب
 إلى أندة ، وكانت أندة دار القضاة .

(٣) إن كانت رندة هي الشهيرة التي نعرفها فليست من متوسط الأندلس ، بل
 هي من الجبال الجنوبية فيها ، تارة كانت تعد من عمل قرطبة ، وطورا من عمل اشبيلية .
 وأخيرا آلت إلى مملكة غرناطة . وهي التي مها أبو البقاء صالح بن شريف الرندي
 الشاعر الشهير صاحب مرثية الأندلس : لكل شيء إذا ماتم نقصان .

(٤) قال ياقوت : طريانة حاضر من حواضر اشبيلية ، ينسب إليها الفقيه عبد العزيز
 الطرياني ، كان نحوياً بارعاً ، قرأ على أبي ذر مصعب بن محمد بن مسعود ، قرأ عليه
 صديقنا الفتح بن عيسى القصرى مدرس رأس عين اه قلت : وهي تكتب بالأسبانية
 هكذا : Triana جاء في دليل بديكر أنها مسكن الطبقة الدنيا من الشعب ، وإليها ينسب
 الفخار الطرياني المشهور ، وكان يصنع بها أحسن الزليج الاشيلي وقد أحييت هذه
 الصناعة من جديد .

إلى مراکش ، ما نص محل الحاجة منه : وأما ما ذكر سيدى من التخيير بين ترك
الاندلس ، وبين الوصول الى حضرة مراکش ، فكفى الفهم العالى من الاشارة قول القائل :

والعِزُّ محمودٌ ومُلْتَمَسٌ وألذُّهُ ما كان فى الوطن

فاذا نلت بك السماء فى تلك الحضرة ، فعلى من أسود فيها ؟ ومن ذا أضاهى بها ؟

لا رَقَّتْ بي همةٌ إن لم أكن فيك قد أملت كل الأمل

وبعدها فكيف أفارق الأندلس ، وقد علم سيدى أنها جنة الدنيا ، بما حباها

الله به من اعتدال الهواء ، وعذوبة الماء ، وكثافة الأفياء ، وأن الانسان لا يرح

فيها بين قرة عين وقرار نفس ؟

هى الأرضُ لا وِرْدٌ لَدَيْهَا مُكْدَرٌ ولا طَلٌّ مقصورٌ ولا رَوْضٌ مُجْدَبٌ

أفقى صقيل ، وبساط مديح ، وماء سائح ، وطائر مترنم بليل ، وكيف يعدل

الأديب عن أرض على هذه الصفة ؟ فياسموى الوفاء ، وياحاتم السباح ، وياجذبة

الصفاء ، كمل لمن أملاك النعمة ، بتركه فى موطنه ، غير مكدر لخاطره بالتحرك من

معدنه ، متلفتاً إلى قول القائل :

وسوّلت لى نفسى أن أفارقها والماء فى المزن أصفى منه فى الغدر

فان أغناه اهتمام مؤمله عن ارتياد المراد ، وبأغفه دون أن يشدّ قنّاً ولا أن ينضى

عيساً غاية المراد ، أنشد ناجح المرغوب ، بالغ المطلوب :

وايس الذى يَسْتَتْبِعُ الوَبْلَ رائداً كمن جاءه فى داره رائدُ الوَبْلِ

ورب فائل إذا سمع هذا التبسط على الأمانى : ماله تشطّط ، وعدل عن

سبيل التأدب وتبسط ؟ ! ولا جواب عندي إلا قول القائل :

فهذه خِطَّةٌ ما زلتُ أرقمها فاليوم أبسطُ آمالى وأحتسبكم

ومالى لا أنشد ما قاله المتنبي فى سيف الدولة :

ومن كنتَ بحراً له ياعلى لم يقبل الدرّ إلا كمارا

انتهى المقصود منه .

وقال الحجارى : إن مدينة « شريش »^(١) بنت اشبيلية ، وواديها ابن واديها ، ما أشبه سُمْدَى بسعيد ! ! وهى مدينة جليلة ، ضخمة الأسواق ، لأهلها هم وظرف فى اللباس وإظهار الرفاهية ، وتخلق بالآداب . ولا تكاد ترى بها إلا عاشقاً أو معشوقاً . ولها من الفواكه ما يعم ويفضل ، ومما اختلفت به احسان الصنعة فى المجبّنات ، وطيب جنبها يعين على ذلك . ويقول أهل الأندلس : من دخل شريش ولم يأكل بها المجبّنات فهو محروم اه .

والمجبّنات نوع من القطائف يضاف إليها الجبن فى عجّينها وتقلي بالزيت الطيب . وفى شلب يقول الفاضل الكاتب أبو عمرو بن مالك بن سيدمير

أشجّاك النسيمُ حيث يهبُ ؟ أم سَنَى البرقُ إذ يخبُ ويخبو ؟
 أم هَتوفٌ على الأراكّة تشدو أم هَتونٌ من الغمامة سكبُ ؟
 كلُّ هَذَاكَ للصَّبابة داعٍ أى صَبٍ دُموعه لا تصبُ ؟
 أنا لولا النسيمُ والبرقُ والورُ قُ وصَوَّبُ الغمام ما كُنْتُ أصبو
 ذكرَتْنِي شَلْباً ، وهيهات مِنِّي بَعْدَ ما استحكم التباعدُ شَلْبُ !

(١) Xeres أو Jerez وقد كانوا يقولون لها Xeres de la Frontera ومعناه شريش الثغر ، لأنها بقيت مدة طويلة فى أواخر مقام العرب بالأندلس هى الثغر بين المسلمين الذين كانوا فى مملكة غرناطة والاسبانيول الذين كانوا غلبوا على اشبيلية وهى اليوم ثالث بلدة فى اسبانية من جهة الثروة ، ومن أشهر مدن أوربة فى صنعة الخمر . وخمرها هو الذى يقال له « شرى » Sherry عند الانكليز والبلدة نظيفة خفيفة على الروح ، والبيوت فيها لاتزال على طراز الساء العربى . ذهبت إليها صباحا بسكة الحديد من اشبيلية ، ورجعت منها بعد الغداء إلى اشبيلية . وكان استرداد الاسبان لشريش سنة ١٢٥١ على يد الملك فرديناند الا أن العرب استرجعوها أول مرة . ثم عاد الاسبان فغلبوا عليها . ثم عاد العرب فأخذوها ثانى مرة بعد وقائع شداد . ثم عاد الأذققش الملقب بالحكيم فاستولى عليها سنة ١٢٦٤ وبقيت فى أيدي الاسبانيول من ذلك الحين . وسيأتى ذكرها مفصلاً متى وصلنا الى كورة اشبيلية

وتسمى أعمال شلب كورة « اشكونية » وهى متصلة بكورة أشبونة ، وهى ،
أعنى أشكونية ، قاعدة جليلة ، لها مدن ومعقل ، ودار ملكها قاعدة « شلب »^(١)
وبينها وبين قرطبة سبعة أيام . ولما صارت لبنى عبد المؤمن ملوك مراکش أضافوها
إلى كورة أشبيلية . وتفتخر شلب بكون ذى الوزارتين ابن عمار منها ، سامحه الله .
ومنها القائد أبو مروان عبد الملك بن بدران ، وربما قيل ابن بدرون ، الأديب
المشهور شارح قصيدة ابن عبدون التى أولها :

الدَّهْرُ يَفْجَعُ بَعْدَ الْعَيْنِ بِالْأَثَرِ فَمَا الْبُكَاءُ عَلَى الْأَشْبَاحِ وَالصُّوَرِ !؟

(١) Silves قال ياقوت الخوى فى معجمه : شلب بكسر أوله وسكون ثانيه . وآخره
باء موحدة ، هكذا سمعت جماعة من أهل الاندلس يتلفظون بها . وقد وجدت بخط بعض
أدبائها : شلب يفتح الشين . وهى مدينة بغيرى الاندلس ، بينها وبين باجة ثلاثة أيام ،
وهى غرنى قرطبة ، وهى قاعدة ولاية اشكونية ، وبينها وبين قرطبة عشرة أيام للفارس
المجد . بلغنى انه ليس بالاندلس بعد اشبيلية مثلاً ، وبينها وبين شنترين خمسة أيام .
وسمعت ممن لا احصى انه قل ان ترى من أهلها من لا يقول شعراً ، ولا يعانى الأدب ،
ولو مررت بالفلاح خلف فدائه وسألته عن الشعر قرض من ساعته ما اقترحت عليه .
وأى معنى طلبت منه . وينسب اليها جماعة منهم محمد بن ابراهيم بن غالب بن عبد الغافر
ابن سعيد العامرى من عامر بن لوى الشلبى ، وأصله من باجة يكنى أبا بكر روى عن
على بن الحجاج الاعلم كثيراً . وسمع من عبد الله بن منظور صحيح البخارى ، وكان
واسع الأدب ، تولى الخطابة ببلده مدة طويلة ، ومات لخمس خلون من جمادى الاولى
سنة ٥٣٢ ومولده سنة ٤٤٦ وامر أن يكتب على قبره :

لئن نفذ القدر السابق بموتى كما حكم الخالق
فقد مات والدنا آدم ومات محمد الصادق
ومات الملوك وأشياهم ولم يبق من جمعهم ناطق
فقل للذى سره مصرعى تأهب فانك بى لاحق

انتهى . قلنا وينسب الى شلب من العلماء جم غفير سنأتى بتراجهم عند الوصول الى

ذكر هذه المدينة

وهذا الشرح شهير بهذه البلاد الشرقية . ومن نظم ابن بدرون المذكور قوله
 العشقُ لَذَّتُهُ التَّعْنِيقُ والقُبْلُ كما مُنْغَصُّهُ التَّثْرِيبُ والمَدَلُ
 ياليتَ شِعْرِي ! هل يقضى وصالكمُ لولا المني لم يكن ذا العُمرُ يتصلُ
 ومنها نحوى زَمَانِهِ وعَلَامَتُهُ ، أبو محمد عبد الله ابن السيد البطليوسى ، فان
 شلبا بَيْضَتُهُ ، ومنها كانت حركته ونهضته ، كما فى الذخيرة . وهو القائل :

إذا سألوني عَن حَالِي وحاولتُ عُدْرًا فلم يُمكنِ
 أقول : بخير ، ولكنَّهُ كَلَامٌ يَدُورُ على الألسِنِ
 وربَّكَ يعلم ما فى الصُّدُورِ ويعلم خائِنَةَ الأَعْيُنِ

وقال الوزير أبو عمرو بن الفلاس يمدح بطليوس بقوله :

بطليوس^(١) لا أنساكَ ما اتصلَ البُعْدُ فله غَوْرٌ فى جَنَابِكَ أو نَجْدُ
 والله دَوَّحاتٌ تَحْفَكَ يَنْعَمًا تفجَّرَ وادِيها كما شققَ البرْدُ
 وبنو الفلاس من أعيان حضرة بطليوس ، وأبو عمرو المذكور أشهرهم ، وهو
 من رجال الذخيرة والمسهب ، رحمه الله تعالى . وفى شاطبة^(٢) يقول بعضهم :

نِعَمَ ملقى الرُّحْلِ شاطبة لِفَتَى طالتْ به الرُّحْلُ
 بلدةٌ أوقاتها سَحَرٌ وصَبًا فى ذَيْلِهِ بَلَلُ
 ونسيمٌ عَرَفَهُ أَرَجٌ ورياضٌ غُصْنُهَا ثَمَلُ
 ووُجوهٌ كُلُّهَا غُرُرٌ وكلامٌ كُلُّهُ مُثَلُ

وفى برجة يقول بعضهم :

إذا جئت برجةً مستوفزاً فخذ فى المقامِ وَخَلَّ السَّفَرُ
 فكلُّ مكانٍ بها جَنَّةٌ وكلُّ طريقٍ إليها سَقَرٌ

(١) سياى ذكرها مفصلا عند ذكر مدائن الغرب من الاندلس

(٢) سياى ذكرها مفصلا عند ذكر مدائن الشرق من الاندلس

واعلم أنه لو لم يكن للأندلس من الفضل سوى كونها ملاعب الجياد للجهاد ،
لكان كافياً ، ويرحم الله لسان الدين بن الخطيب ، حيث كتب على لسان سلطانه
إلى بعض العلماء العاملين ما فيه إشارة إلى بعض ذلك ما نصه : من أمير المسلمين
فلان إلى الشيخ كذا ابن الشيخ كذا وصل الله له سعادة تجذبه ، وعناية اليه تقربه
وقبولا منه يدعوه إلى خير ما عند الله ويندبه ، سلام كريم عليكم ورحمة الله وبركاته .
أما بعد حمد الله المرشد المنيب ، السميع المجيب ، معود اللطف الخفي ، والصنع العجيب
المتكفل بإنجاز وعد النصر العزيز والفتح القريب ، والصلاة والسلام على سيدنا
ومولانا محمد رسول الله ذي القدر الرفيع والعز المنيع والجناب الرحيب ، الذي به نرجو
ظهور عبدة الله على عبدة الصليب ، ونستظهر منه على العدو بالحبيب ، ونعدّه عدتنا
لليوم العصيب . والرضا عن آله وصحبه الذين فازوا بمشاهدته بأوفى النصيب ، ورموا إلى
هدف مرضاته بالسهم المصيب ، فانا كتبناه اليكم ، كتب الله تعالى لكم عملاً صالحاً
يختم الجهاد صحائف بركه ، وتمحض لأن تكون كلمة الله هي العليا جوامع أمره ،
وجعلكم ممن تهنى في الأرض التي فتحت فيها أبواب الجنة مدة عمره ، من حمراء
غرناطة ، حرسها الله تعالى ، ولطف الله هامى السحاب ، وصنعه رائق الجناب ، والله
يصل لنا وإياكم ما عودته من صالة لطفه ، عند انبئات الأسباب ، وإلى هذا أيها المولى
الذى هو بركة المغرب المشار اليه بالبزاة ، وواحد في رفعة الشأن المؤثر ما عند الله
على الزخرف الثقتان ، المتقل من المتاع الفن ، المستشرف إلى مقام العرفان ، من درج
الإسلام والإيمان والاحسان ، فإنا لما نؤثره من بركم الذى نعدّه من الأمر الأكيد
ونضمه من ودمكم الذى نحلّه محل الكثر العتيد ، ونلتصه من دعائكم التماس العدة
والعديد ، لا نزال نسأل عن أحوالكم التي ترقّت في أطوار السعادة ، ووصلت جناب
الحق بهجر العادة ، وألقت إلى يد التسليم لله والتموكل عليه بالمقادة ، ففسر بما هيا الله
تعالى لكم من القبول وبلغكم من المأمول ، وألهمكم من الكلف بالقرب اليه والوصول ،
والفوز بما لديه والحصول ، وعند ما ردّ الله تعالى علينا الرد الجميل ، وأنالنا فضله

الجزيل ، وكان لعثارنا المقيـل ، خاطبناكم بذلك لمكانكم من ودادنا ، ومحلكم من حسن اعتقادنا ، ووجهنا إلى وجهة دعائكم وجه اعتدادنا ، والله ينفعنا بحمـيل الظن في دينكم المتين ، وفضلكم المبين ، ويجمع الشمـل بكم في الجهاد عن الدين ، وتعرفنا الآن بمن له بانباثكم اعتناء ، وعلى جلالكم حمد وثناء ، ولجناب ودمك اعتزاء وانتهاء ، بتجاوز عزمكم بين حج مبرور ترغبون من أجره في ازدياد ، وتجدون العهد منه بأليف اعتياد وبين رباط في سبيل الله وجهاد ، وتؤثر مهـاد ، بين ربا أثيرة عند الله ووهـاد ، يحشر يوم القيامة شهادتها مع الذين أنعم الله عليهم من النبيـن والـصديقين ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، والله أصدق القائلين الصادقين ، حيث لا غارة لغير عدو الاسلام تُتَقَى ، الا لا ابتغاء مالمـدى الله يرتقى ، حيث رحمة الله قد فتحت أبوابها ، وهور الجنان قد زينت أترابها ، دار العرب الذين قرعوا باب الفتح ، وفازوا بجزيل المنح ، وخلدوا الآثار ، وأرغموا الكفار ، وأقالوا العثار ، وأخذوا الثار ، وأمنوا من لفتح جهنم ، بما علا على وجوههم من ذلك الغبار ، فكتبنا اليكم هذا تقوى بصيرتكم ، على جهة الجهاد من العزمين ، ونهب بكم إلى إحدى الحسينين ، والصبح غير خاف على ذى عينين والفضل ظاهر لاحدى المنزلتين ، فانكم إن حججتم أعدتم فرضاً أديتموه ، وفضلا ارتديتموه ، فأثـرته عليكم مقصورة ، وقضيته فيكم محصورة . وإذا أقمتم الجهاد ، جلبتم إلى حسناتكم عملا غريباً ، واستأنتم سعياً من الله قريباً ، وتعدت المنفعة إلى ألوف من النفوس ، المستشعرة لبأس البوس ، ولو كان الجهاد بحيث يخفى عليكم فضله لأطـبنا ، وأعنة الاستدلال أرسلنا . هذا او قدمتم على هذا الوطن ، وفضلكم غفل من الاشتهار ، ومن به لا يوجب لكم ترفيع المقدار ، فكيف وفضلكم أشهر من نحيـا النهار ، ولقاؤكم أشهى الآمال وآثر الأوطار ؟ ! فان قوى عزمكم ، والله يقويه ، ويعيننا من بركم على ما ننويه ، فالبلاد بلادكم ، وما فيها طريفكم وتلادكم وكهولها إخوانكم ، وأحداشها أولادكم ، ونرجو أن تجدوا لذكركم الله في رباها حلاوة

زائدة ، ولا تعدموا من روح الله فائدة ، وتتكيف أنفسكم فيها بكيفيات تقصر عنها خلوات السلوك إلى ملك الملوك ، حتى تغتبطوا بفضل الله الذي يوليكم ، وتروا أثر رحمته فيكم ، وتخلّفوا فخر هذا الانقطاع إلى الله في قبيلكم وبنيتكم ، وتختصوا بالعمل الطيب بالجهاد الذي يملككم ، ومن الله تعالى يدنيكم ، فنتيكم العربي ، صلوات الله عليه وسلامه ، نبي الرحمة والملاحم ، ومُعَوِّل الصوارم ، وبجهاد الفرنج ختم عمل جهاده ، والأعمال بالحواتم ، هذا على بعد بلادهم من بلاده ، وأنتم أحق الناس باقتفاء جهاده ، والاستباق إلى آماده .

هذا ما عندنا حثناكم عليه ، ونَدَبْنَاكم اليه ، وأنتم في إشار هذا الجوار ، ومقارضة ما عندنا بقدمكم على بلادنا من الاستبشار ، بحسب ما يخلق عنكم من يده مقادة الاختيار ، وتصريف الليل والنهار ، وتقاييم القلوب وإجالة الأفكار ، وإذ تعارضت الحظوظ فاعند الله خير للأبرار ، والدار الآخرة دار القرار ، وخير الأعمال عمل أوصل إلى الجنة وباعد من النار ، ولتعلموا أن نفوس أهل الكشف والاطلاع ، بهذه الأرجاء والاصقاع ، قد اتفقت أخبارها ، واتحدت أسرارها ، على البشارة بفتح قُرْب أوانه ، وأظلم زمانه ، فخرجوا الله أن تكونوا ممن يحضر مدّاه ، ويكرم فيه مسعاه ، ويسام في العمل الذي يشكره الله ويرعاه ، والسلام الكريم يخصصكم ورحمة الله وبركاته . انتهى

ولما دخل الأندلس أمير المسلمين عليّ ابن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الغتوني ، ملك المغرب والأندلس ، وأمن النظر فيها ، وتأمل وصفها وحالها ، قال : إنها تشبه عقاباً مخالبه طايطة ، وصدره قلعة رباح ، ورأسه جيان ، ومنقاره غرناطة وجناحه الأيمن باسط إلى المغرب ، وجناحه الأيسر باسط إلى المشرق . . . في خبر طويل لم يحضرني الآن ، إذ تركته مع كتبي بالمغرب ، جمعني الله بها على أحسن الأحوال .

ومع كون أهل الأندلس سُبَّاق حلبة الجهاد ، مهطعين إلى داعيه من الجبال

والوهاد ، فكان لهم في الترف والنعيم والمجون ، ومداراة الشعراء ، خوف الهجاء ، محل وثير المهاد . وسيأتى في الباب السابع من هذا القسم من ذلك وغيره ما يشفى ويكفى ، ولـسـكن سنح لى أن أذكر هنا حكاية أبى بكر الخزومى الهجاء المشهور ، الذى قال فيه لسان الدين بن الخطيب فى الاحاطة : إنه كان أعشى شديد الشر ، معروفاً بالهجاء ، مسلطاً على الأعراض ، سريع الجواب ، ذكى الذهن ، فطناً للمعاريض سابقاً فى ميدان الهجاء ، فاذا مدح ضعف شعره .

والحكاية هى ما حكاه أبو الحسن بن سعيد فى الطالع السعيد إذ قال ، حكاية عن أبيه فيما أظن : قدم المذكور ، يعنى الخزومى ، على غرناطة أيام ولاية أبى بكر ابن سعيد ، ونزل قريباً منى ، وكنت أسمع به : نار صاعقة يرسلها الله على من يشاء من عباده ، ثم رأيت أن أبدأه بالتأنيس والاحسان ، فاستدعيت به هذه الأبيات :

يَا ثَانِيَاً الْمَعْرَى فِي حُسْنِ نَظْمٍ وَنَثَرٍ
وَفَرَطَ ظَرْفٍ وَنُبُلٍ وَغَوْصٍ فَهْمٍ وَفِكْرٍ
صِلْ ثُمَّ وَاصِلْ حَفِيًّا بِكُلِّ بَرٍّ وَشُكْرٍ
وَلَيْسَ إِلَّا حَدِيثُ كَمَا زَهَا عِقْدُ دُرٍّ
وَشَادِنٍ يَتَغَنَّى عَلَى رَبَابٍ وَزَمَرٍ
وَمَا يَسَامَحُ فِيهِ الْغَفُورُ مِنْ كَأْسِ خَمْرِ
وَبَيْنَا عَهْدُ حِلْفٍ لِيَا مِيرَ حِلْفٍ كَفَرٍ
نَعَمْ فَجَدَّهَ عَهْدَا بِطَيْبِ نَسْكِرٍ وَيَسْرِ
وَالْكَأْسُ مِثْلُ رَضَاعٍ وَمَنْ كَمَثَلِكَ يَدْرِي ؟

ووجه له الوزير أبو بكر بن سعيد عبدا صغيرا قاده . فلما استقر به المجلس ، وأفغمته روائح الدُّد والعود والأزهار ، وهزت عطفه الأوتار ، قال :
دارُ السَّعِيدِ ذِي ؟ أم دار رضوان ؟ ما تشتهي النفسُ فيها حاضرُ دان !

سَقَتْ أباريقها للندِّ سَحْبَ نَدَى تحدى برَعْدٍ لأوتار وعِيدانِ
والبرقُ من كل دَنٍّ ساكب مَطَرًا يُغِي به مَيِّتَ أَفْكَارٍ وأشْجانِ
هذا النعيمُ الذى كُنَّا نَحْدِثُهُ ولا سَبِيلَ له إِلَّا بِآذَانِ
فقال أبو بكر بن سعيد : وإلى الآن لا سبيل له إلا بآذان ؟ فقال : حتى يبعث
الله ولد زنا كلما أنشدت هذه الأبيات قال إنها لأعمى . فقال : أما أنا فلا أنطق
بحرف . فقال : من صمت نجأ .

وكانت نزهون بنت القلاعى حاضرة فقالت : وتراك يا أستاذ ، قديم النعمة
بمجرد ندِّ وغناء وشراب ، فتعجَّب من تأتبه ، وتشبهه بنعيم الجنة ، ويقول ما كان
يعلم إلا بالسماع ، ولا يبلغ إليه بالعيان ! ولكن من يحىء من حصن المدور ، وينشأ
بين تيموس وبقر ، من أين له معرفة بمجالس النعيم ؟ ! فلما استوفت كلامها تنحنح
الأعمى ، فقالت له : ذبحة ! فقال : من هذه الفاضلة ؟ فقالت عجوز مقام أمك !
فقال : كذبت ! ما هذا صوت عجوز . . . الخ . ثم قال :

على وجه نزهون من الحسن مَسْحَةٌ وإن كان قد أَمسى من الضوء عارياً
قواصِدُ نزهونٍ تواركُ غَيْرِها ومن قصَدَ البحرَ استقلَّ السواقيا
(وطوينا هنا بعض محاضرات لاصلة لها بموضوعنا من جغرافية البلاد إلى أن
يقول) :

والذى رأيته لبعض مؤرخى المغرب فى سرقسطة أنها لا تدخلها عقرب ولا حية إلا
ماتت من ساعتها ، ويؤتى بالحيات والمقارب إليها حية ، فبنفس ما تدخل إلى جوف
البلد تموت . قال ولا يتسوس فيها شئ من الطعام ، ولا يعقن ، ويوجد فيها القمح
من مائة سنة ، والعنب المعلق من ستة أعوام ، والتين والخوخ وحب الملوك^(١)
والفتح والأجاص اليابسة من أربعة أعوام ، والفول والحمص من عشرين سنة ،

(١) هذا الذى يقال له الكرز فى الشرق وبالأفريقية Cerise

ولا يسوس فيها خشب ولا ثوب ، كان صوفاً أو حريراً أو كتّانا . وليس في بلاد الأندلس أكثر فاكهة منها ، ولا أطيب طعماً ، ولا أكبر جرماً . والبساتين محدقة بها من كل ناحية ثمانية أميال ، ولها أعمال كثيرة ، مدن وحصون وقرى ، مسافة أربعين ميلاً ، وهى تضاهى مدن العراق فى كثرة الأشجار والأنهار ، وبالجملة فأمرها عظيم . وقد أسلفنا ذكرها .

واعلم أن بأرض الأندلس من الحصب والنضرة ومعجائب الصنائع وغرائب الدنيا مالا يوجد مجموعه غالباً فى غيرها . فمن ذلك ما ذكره الحجارى فى المسهب أن السمور الذى يعمل من وبره الفراء الرفيعة ، يوجد فى البحر المحيط بالأندلس من جهة جزيرة برطانية ، ويجلب إلى سرقسطة ويصنع بها . ولما ذكر ابن غالب وبر السمور الذى يصنع بقرطبة قال : هذا السمور المذكور هنا لم آت تحقق ماهو ، ولا ماغنى به ، إن كان هو نباتاً عندهم ، أو وبر الدابة المعروفة ، فان كانت الدابة المعروفة فهى دابة تكون فى البحر وتخرج إلى البر ، وعندها قوة ميز . وقال حامد بن سمحون الطيب ، صاحب كتاب الأدوية المفردة : هو حيوان يكون فى بحر الروم ، ولا يحتاج منه إلا خصاه ، فيخرج الحيوان من البحر فى البر ، فيؤخذ وتقطع خصاه ويطلق ، فربما عرض للقناصين مرة أخرى ، فاذا أحس بهم وخشى أن لا يفوتهم ، استلقى على ظهره وقرج بين فخذه ، ليرى موضع خصيه خالياً ، فاذا رآه القناصون كذلك تركوه . قال ابن غالب ويسمى هذا الحيوان أيضاً « الجند بادستر » والدواء الذى يصنع من خصيه من الأدوية الرفيعة ، ومنافعه كثيرة ، وخاصيته فى العال الباردة ، وهو حار يابس فى الدرجة الرابعة

« والقنلية » ؟ حيوان أدق من الأرنب ، وأطيب فى الطعم ، وأحسن وبراً ، وكثيراً ما يلبس فراؤها ، ويستعملها أهل الأندلس من المسلمين والنصارى ، ولا يوجد فى بر البربر ، إلا ما جلب منها إلى سبتة ، فنشأ فى جوانبها . قال ابن سعيد : وقد جلبت فى هذه المدة إلى تونس حضرة أفريقية .

ويكون بالأندلس من الغزال والأيل وحمار الوحش وبقرة وغير ذلك مما لا يوجد في غيرها كثيرا . وأما الأسد فلا يوجد فيها البتة ، ولا الفيل ، ولا الزرافة وغير ذلك ، مما يكون في أقاليم الحرارة . ولها سبع يعرف « باللب » ^(١) أكبر بقليل من الذئب ، في نهاية من القحمة ، وقد يفترس الرجل ، إذا كان جائعا . وبغال الأندلس فارهة ، وخيلها ضخمة الأجسام ، حصون لاقتال لحملها الدروع وثقال السلاح والعدو في خيل البر الجنوبي . ولها من الطيور الجوارح وغيرها ما يكثر ذكره ويطول ، وكذلك حيوان البحر . ودواب بحرها المحيط في نهاية من الطول والعرض قال ابن سعيد : عاينت من ذلك العجب ، والمسافرون في البحر يخافون منها ، لثلاث تقلب المراكب ، فيقطعون الكلام ، ولها نفخ بالماء من فيها يقوم في الجو ، إذا ارتفع مفرط .

وقال ابن سعيد : قال المسعودي في مروج الذهب : في الأندلس من أنواع الأفاوية خمسة وعشرون صنفا : منها السنبل ، والقرنفل ، والصندل والقرفة ، وقصب الذريرة ، وغير ذلك . وذكر ابن غالب أن المسعودي قال : أصول الطيب خمسة أصناف : المسك ، والكافور ، والعود ، والعنبر ، والزعفران . وكلها من أرض الهند إلا الزعفران والعنبر ، فإنهما موجودان في أرض الأندلس ، ويوجد العنبر في أرض الشجر : قال ابن سعيد : وقد تسكعوا في أصل العنبر : فذكر بعضهم أنه عيون تنبع في قعر البحر ، يصير منها ما تبلعه الدواب وتقذفه . قال الحجارى : ومنهم من قال إنه نبات في قعر البحر ، وقد تقدم قول الرازى : إن الحباب ، وهو المقدم في الأفاوية ، والمفضل في أنواع الأشنان ، لا يوجد في شيء من الأرض إلا بالهند والأندلس . قال ابن سعيد : وفي الأندلس مواضع ذكروا أن النار إذا أطلقت فيها فاحت بروائح العود ، وما أشبهه . وفي جبل شاير أفاوية هندية . قال : وأما النار وأصناف الفواكه فالأندلس أسعد بلاد الله بكثرتها ، ويوجد في سواحلها قصب السكر ،

والموز ، ويوجدان في الأقاليم الباردة ، ولا يعدم منها إلا التمر . ولها من أنواع الفواكه ما يعدم في غيرها أو يقل كالتين القوطي والتين السفريّ باشبيلية . قال ابن سعيد : وهذان صنفان لم تر عيني ، ولم أذق لهما ، منذ خرجت من الأندلس ، ما يفضاهما . وكذلك التين المالح والزبيب المنكبي^(١) والزبيب العسلي والرمان السفري^(٢) والحوخ والجوز واللوز وغير ذلك مما يطول ذكره .

وقد ذكر ابن سعيد أيضاً : أن الأرض الشمالية المغربية فيها المعادن السبعة ،

(١) قال لسان الدين بن الخطيب في « معيار الاختبار » عن المنكب : مرفأ السفن ومحطها ، ومنزل عباد المسيح ومخطبها بلدة معقلها منيع وبردها صقيع ، القصر مفتوح الطيقان ، والمسجد المشرف المسكان ، والاثر المنبئ عن كان وكان ، كأنه مبرد واقف ، أو عمود في يد مثاقف ، قد أخذ من الدهر الأمان ، وتشبه بصرح هامان ، وأرهقت جوانبه بالصخر المنحوت ، وكاد أن يصل ما بين الحوت والحوت ، (يريد بأحد الحوتين برج الحوت الذي بالسما وبالثاني سمك البحر ، كناية عن الارتفاع ، أو كما يقولون : من السماك إلى السمك) غصت بقصب السكر أرضها واستوعب به طولها وعرضها ، زيبها فائق ، وجنابها رائق ، وقد مت إليها جبل الشوار بنسب الجوار منشأ الاسطول ، فوعده غير ممطول ، وأمدّه لا يحتاج إلى الطول (إلى أن يقول) هواؤها فاسد ، ووباؤها مستاسد ، التهب فيها السماء وتغيرت بالسماسم المسميات والاسماء فأهلها من أجدات ييوتهم يخرجون ، إلى جبالها يخرجون ، والودك إليها مجلوب ، والقمع بين أهلها مقلوب ، والحرباء بعرائها مصلوب

(٢) قالوا أنه لما اتسق الأمر لعبد الرحمن الداخل في الأندلس أرسل القاضي معاوية بن صالح إلى الشام ليأتيه باخته أم الاصبغ فأبت عن الانتقال وقالت : كبرت سني وأشرفت على انقضاء أجلي ولا طاقة بي على شق القفار والبحار وحسبي أن أعلم ما صار إليه من نعمة الله . ولما صار معاوية بن صالح إلى عبد الرحمن أدخل إليه تحف أهل الشام وكان في تلك التحف من الرمان المعروف اليوم بالأندلس بالرمان السفري فجعل جلساء الأمير من أهل الشام يذكرون الشام ويتأسفون عليها وكان فيهم رجل يسمى سفر فأخذ من ذلك الرمان شيئاً لطف به وغرسه حتى علق وتم وأثمر ، فهو اليوم الرمان السفري . نسب إليه

وأنها في الاندلس التي هي بعض تلك الأرض . وأعظم معدن للذهب بالاندلس ، في جهة « شنت ياقور » ^(١) قاعدة الجلالة على البحر المحيط . وفي جهة قرطبة الفضة والزئبق والنحاس في شمال الاندلس كثير ، والصفّر الذي يكاد يشبه الذهب ، وغير ذلك من المعادن المتفرقة في أماكنها ، والعين التي يخرج منها الزجاج في لبله مشهورة ، وهو كثير مفضل في البلاد ، منسوب لجبل طليطلة جبل الطفل ^(٢) الذي يجهز إلى البلاد ، ويفضل على كل طفل بالشرق والمغرب .

وبلاندلس عدة مقاطع للرخام . ودكر الرازي : أن بجبل قرطبة مقاطع الرخام الأبيض الناصع اللون والحجرى وفي « ناشرة » مقطع عجيب للعمود « بياغة » من مملكة غرناطة مقاطع للرخام كثيرة غريبة ، موشاة في حمرة وصفرة وغير ذلك من المقاطع التي بالاندلس من الرخام الحالك والمجزع . وحصى المرية يحمل إلى البلاد فانه كالدر في رونقه ، وله ألوان عجيبة . ومن عادتهم أن يضعوه في كيران الماء وفي الاندلس من الأمنان التي تنزل من السماء القرمز الذي ينزل على شجرة البلوط فيجعله الناس من الشعراء . ويصبغون به فيخرج منه اللون الأحمر ، الذي لا تفوقه حمرة .

قال ابن سعيد : وإلى مصنوعات الاندلس ينتهي التفضيل ، وللمتعصبين لها في ذلك كلام كثير . فقد اختصت المرية ومالقة ومرسية بالموشّى المذهب الذي يتعجب من صنعة أهل المشرق اذا رأوا منه شيئاً وفي « نيشتالة » ^(٣) من عمل مرسية تعمل البسط التي يغالى في ثمنها بالمشرق ، ويصنع في غرناطة وبسطة من ثياب اللباس المحرّرة ، الصنف الذي يعرف بالمبلد الختم ، ذو الألوان العجيبة . ويصنع في مرسية من الأسرة المرصعة والحصر الفتانة الصنعة ، وآلات الصفّر والحديد من

(١) Santiago وهي شنت ياقب أقدس مكان عند نصارى الاندلس

(٢) الفصيح هو الطفل بالضم وبالكسر وهو الطين اليابس

(٣) Jenechtela

السكاكين ، والمقاصد المذهبة ، وغير ذلك من آلات العروس والجندي ما يهر العقل ، ومنها تجهز هذه الاصناف الى بلاد افريقية وغيرها ، ويصنع بها وبالمرية ومالقة الزجاج الغريب العجيب ، وفخار مزجج مذهب ، ويصنع بالاندلس نوع من المفضض المعروف بالمشرق بالفسيفساء ، ونوع يبسط به في قاعات ديارهم ، يعرف بالزليجي ، يشبه المفضض . وهو ذو ألوان عجيبة ، يقيمونه مقام الرخام الملون ، الذي يصرفه أهل المشرق في زخرفة بيوتهم ، كالشاذروان وما يجرى مجراه .

وأما آلات الحرب من التراس والرماح والسروج والألجم والدروع والمغافر ، فأكثرهم أهل الأندلس ، فيما حكى ابن سعيد ، كانت مصروفة الى هذا الشأن ، ويصنع فيها في بلاد الكفر ما يهر العقول . قال : والسيوف البردليات مشهورة بالجودة ، وبردیل ^(١) آخر بلاد الأندلس من جهة الشمال والمشرق . والفولاذ الذي بأشبيلية الى النهاية . وفي اشبيلية من دقائق الصنائع ما يطول ذكره . وقد أفرد ابن غالب في « فرحة الانس » للآثار الاولى التي بالأندلس من كتابه مكانا فقال : منها ما كان من جلبهم الماء من البحر الملح الى الأرحى ^(٢) التي « بطركونة » على وزن لطيف ، وتدير محكم ، حتى طمعت به ، وذلك من أعجب ما صنع . ومن ذلك ما صنعه الاولون أيضا من جاب الماء من البحر المحيط الى جزيرة قادس ، من العين

(١) بردیل هي التي يقال لها اليوم بوردو Bordeaux التابعة لفرنسة كان اسمها الأصلي أيام الرومان بورديغاله Burdigala وكان لها شأن عظيم في أيام الرومانين وصارت الحاضرة العلوية لبلاد الغال . ثم عند ما زحف البرابرة من الشمال مثل الألينيين Alains والسويبيين Suèves والقنдал أخذ عمرانها يرجع الى الورا و سنة ٤١٣ للمسيح استولى عليها القوط ثم أخذها منهم الفرنج لعهد كلوفيس سنة ٧٢٩ شن العرب عليها الغارة وذهب دوق اkitانية التي كانت بردیل تابعة له مستصرخا شارل مارتل الى ان جرت واقعة بلاط الشهداء التي محص فيها العرب وانقطع املهم من التوغل في أوربة

(٢) تجمع الرحي على أرح ورُحى وارجاء ونادراً على ارحية

التي في اقليم الاصنام ، جلبوه في جوف البحر في الصخر الجوّف ، ذكرأ في انى ، وشقوا به الجبال ، فاذا وصلوا به الى المواضع المنخفضة بنوا له قناطر على حنايا ، فاذا جاوزها واتصل بالارض المعتدلة رجعوا الى البنيان المذكور ، فاذا صادف مسبخة بنى له رصيف وأجرى عليه هكذا الى أن انتهى به الى البحر ، ثم دخل به في البحر وأخرج في جزيرة قادس ، والبنيان الذى دخل عليه الماء في البحر ظاهر بين . قال ابن سعيد : الى وقتنا هذا .

ومنها الرصيف المشهور بالاندلس ، قل في بعض أخبار رومية : انه لما ولى يوليش المعروف بجاشر ، وابتدأ بتذريع الارض وتكسيرها ، كان ابتداءه بذلك من مدينة رومية . الى المشرق منها والى المغرب ، والى الشمال والى الجنوب ، ثم بدأ بفرش المبلة ، وأقبل بها على وسط دائرة ، الى أن بلغ بها أرض الاندلس ، وركزها شرقى قرطبة ، بابها المتطامن المعروف بباب عبد الجبار ، ثم ابتدأها من باب القنطرة قبلى قرطبة ، الى شقنذة ، الى استجة . الى قرمونة ، الى البحر ، وأقام على كل ميل سارية قد نقش عليها اسمه ، من مدينة رومية ، وذكر انه أراد تسقيفها في بعض الاماكن ، راحة للخاطرين ^(١) . من وهج الحيف ، وهول الشتاء ، ثم توقع أن يكون ذلك فساداً في الارض ، وتغيراً للطرق . عند انتشار اللصوص ، وأهل الشر فيها في المواضع المنقطعة النائية عن العمران ، فتركها على ما هي عليه .

وذكر في هذه الآثار صنم فادس الذى ليس له نظير إلا الصنم الذى بطرف جايقية . وذكر قنطره طايطة ، وقنطرة السيف ، وقطرة ماردة ، وماعب مريبطر ^(٢) .

(١) لم يرد في فصيح اللغة ، الخاطر ، بمعنى المسافر وانما هو من استعمال العوام وقد تابعهم فيه بعض المؤلفين

(٢) كان يقال لبلدة مريبطر في الماضى ساقنتو Saginto وهى مدينة ايبيرية استولى عليها القرطاجنيون في زمن انيبال الذى جاء بعد سدروبال ونازعهم عليها الرومانيون فحرق وقائع هائلة فاستولى القرطاجنيون على ساقنتو في أول الأمر الا أنها سنة ٢١٤ قبل المسيح آلت الى الرومانيين . والملعب العظيم الذى فيها هو من آثار هؤلاء .

قال ابن سعيد : وفي الأندلس عجائب . منها الشجرة التي لولا كثرة ذكر
المامة لها بالأندلس ما ذكرت ، فإن خبرها عندهم شائع متواتر ، وقد رأيت من
يشهد بخبرها ورؤيتها ، وهم جم غفير ، وهي شجرة زيتون ، تصنع الورق والنور والثر
من يوم واحد معلوم عندهم ، من أيام السنة الشمسية ^(١) .

ومن العجائب : السارية التي بغرب الأندلس ، يزعم الجمهور أن أهل ذلك
المكان إذا أحبوا المطر أقاموها ، فطر الله جهتهم ؟ ومنها صنم فادس ، طول ما كان
قائماً ، كان يمنع الرياح أن تهب في البحر المحيط ، فلا تستطيع المراكب الكبار على
الجرى فيه ، فلما هدم في أول دولة بني عبد المؤمن ، صارت السفن تجري فيه ؟
وبكورة « قبرة » مغارة ذكرها الرازي ، وحكي أنه يقال إنها باب من أبواب
الرياح ، لا يدرك لها قعر ؟ وذكر الرازي أن في جهة قلعة « ورد » جبلا فيه شق في
صخرة ، داخل كهف ، فيه فأس حديد متعاق من الشق الذي في الصخرة ، تراه
العيون وتلمسه اليد ، ومن رام اخراجه لم يطق ذلك ، وإذا رفعته اليد ارتفع وغاب
في شق الصخرة ، ثم يعود إلى حالته ^(٢) . وأما ما أورده ابن بشكوال من الأحاديث
والآثار في شأن فضل الأندلس والمغرب ، فقد ذكرها ابن سعيد في كتابه المغرب ،
ولم أذكرها أنا . والله أعلم بحقيقة أمرها .

وكذلك ما ذكره ابن بشكوال من أن فتح القسطنطينية إنما يكون من قبل
الأندلس قال : وذكره سيف عن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ، والله أعلم
بصحة ذلك . ولعل المراد بالقسطنطينية رومية والله أعلم . قال سيف : وذلك أن
عثمان ندب جيشا من القيروان إلى لأندلس ، وكتب لهم : أما بعد ، فإن فتح
القسطنطينية إنما يكون من قبل الأندلس ، فانكم إن فتحتموها ، كنتم الشركاء
في الأجر والسلام اه . قلت عهدة هذه الأمور على ناقلها ، وأنا برى . من

(١) لم نسمع بذكر شجرة كهذه في عصرنا الحاضر

(٢) وهذا المأس أيضاً لم نسمع بخبره في هذا الزمن

عهدتها^(١)، وإن ذكرها ابن بشكوال وصاحب المغرب وغير واحد، فإنها عندي

(١) قلت : ان هذا الخبر أقرب جدا إلى العقل من خبر الزيتونة التي تورق وتثمر في يوم واحد، وكذلك من خبر الفأس الذي لا يقدر أحد أن يرفعه من المغارة... بل الخبر المروى عن الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه عدا قربه للعقل له آثار ترجع إليه . وفي آخر كتابي « غزوات العرب في أوربة » الذي طبع سنة ١٣٥٢ فصل بقلم الأستاذ السيد عبد العزيز الثعالبي التونسي يتعلق بهذا الموضوع قال في أوله ان أول واضع لخطة الفتوحات الاسلامية في أوربة هو الخليفة الثالث سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه فإنه حين ندب أخاه من الرضاع عبد الله بن سعد بن أبي سرح لفتح بلاد شمالى افريقية ووافته البشائر بفوز جيوشه على جيوش جيجير والى جيطلة من قبل البيزنطيين ندب القائد بن الجليلين عبد الله بن عبد القيس وعبد الله ابن نافع بن الحصين الفهريين وكانا على الأسطول فأمرهما بالمسير إلى الأندلس وكتب لهما وصية سياسية في ذلك تلك الوصية الخالدة التي يقول فيها : إن القسطنطينية تفتح من قبل الأندلس وإنكم إن فتحتم ما أنتم بسبيله تكونون شركاء لمن يفتح القسطنطينية في الأجر . وقد اتخذ ولاية شمالى افريقية وقواد أجنادها هذه الوصية نبراساً لسياستهم الاسلامية التي يسرون عليها . وأول أمير شرع في إعداد الوسائل والمعدات لتنفيذ تلك الوصية الامير حسان بن النعمان شيخ وزراء الدولة الاموية بعد أن دان له شمالى افريقية بالطاعة فقد أنشأ بفناء قرطاجنة دار الضاعة لبناء السفن والاساطيل وصنع الاسلحة وجلب لها الصناع من قبط مصر وسار على منهاجه في ذلك مولاه طارق بن زياد بعد أن ولى المغرب فحاز بجيوشه أرض العدو وناجز الأندلسيين سنة ٩٢ ثم تلاهما في ذلك اسماعيل بن أبي المهاجر الذي تقلد إمارة شمالى افريقية في عهد عمر بن عبد العزيز فأغزى أساطيله جنوبي أوربة سنة ١٠٥ وكانت قيادتها لعبد الرحمن بن عبد الله الغافقي ولم يعد الا بعد أن أثنى في ايطالية . وهذه الغزوة تعتبر كبشير لانقاذ الايطاليين من حكم البيزنطيين الطغاة . وفي ولاية عبيد الله بن الحبحاب لافريقية جهز أسطولا كبيرا جعل إمارته لقائد جيوشه الموفق حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة الفهري ففزاها سنة ١٢٣ ونسكل فيها بالبيزنطيين أشد تسكيل . ولولم تحصل ثورة البربر ضد الحكم العربي بسبب تخميس أعشارهم لتلك شطوط إيطالية وطهرها من حكم البيزنطيين كما فعل ذلك من قبل حسان بن النعمان في شمالى افريقية . وفي سنة ٢٠٧

لا أصل لها ، وأى وقت بعث عثمان إلى الأندلس ؟ مع أن فتحها بالاتفاق إنما كان زمان الوليد ! وإنما ذكرت هذا للتنبيه عليه لا غير . والله أعلم

قال ابن سعيد : وميزان وصف الأندلس ؛ أنها جزيرة قد أحدقت بها البحار ،

بعد استقرار الدولة الأغلبية جهز زيادة الله الأكبر أسطولا بامارة قائده محمد بن عبد الله التميمي لمنازلة سردينية ثم أعاد عليها الكرة سنة ٢١٢ وكانت إمارة الجيوش في هذه المرة لقاضى القضاة الامام أسد بن الفرات فلك « مازرة » وحاصر « سر كوسة » وحول أسوارها وأدركت الامام الشهادة رضى الله عنه سنة ٢١٣ فتولى القيادة العامة صاحب اسطول الأندلس القائد أصبح المعروف بغرغوسن . وبعد أن استقرت الأمور في البلاد المفتوحة قلد زيادة الله إمارة إيطالية لابن أخيه ابراهيم بن عبد الله بن الأغلب وما زال متوالياً للجهاد حتى فتح بليرم ونابولى . له ومن شاء الاطلاع على تمة البحث فليراجع في كتابنا « غزوات العرب في أوربة » ولقد قابلت روايات الشيخ الثعالبي بالكتب المعتمدة في التاريخ فلم أجد إلا ما يؤيدها قال أبو الفداء : في أيام عثمان فتحت أفريقية وكان المتولى لذلك عبد الله بن سعد بن أبي سرح ولما فتحت أفريقية أمر عثمان عبد الله بن نافع بن الحصين أن يسير إلى جهة الأندلس فغزا تلك الجهة وعاد عبد الله بن نافع إلى افريقية ، سنة ثمان وعشرين استأذن معاوية عثمان في غزو البحر فسير معاوية إلى قبرص جيشا وسار إليها أيضا عبد الله بن سعد من مصر فاجتمعوا عليها وقتلوا أهلها ثم صولحوا على جزية سبعة آلاف دينار في كل سنة . وجاء في تاريخ « البيان المغرب » في أخبار المغرب ، لابن عذارى المراكشى خبر غزو معاوية ابن حديج لجزيرة صقلية في مائتى مركب . ولم أجد شيئا فيه نظر من كلام الاستاذ الثعالبي إلا إهماله ذكر موسى بن نصير في فتح الأندلس ، وجعله طارق بن زياد مولى لحسان بن النعمان ، والحال أن طارق كان مولى موسى بن نصير وهو الذى أغزاه الأندلس وأما قول المقرئ في النفع : وأى وقت بعث عثمان إلى الأندلس مع أن فتحها بالاتفاق إنما كان زمان الوليد . فليس بشيء لأن عثمان بن عفان رضى الله عنه أمرهم بأن يغزوا الأندلس وكانوا في ذلك الوقت يحسبون جزائر غربي البحر المتوسط كلها من الأندلس فغزوها وأرادوا أن يعملوا بفكرة عثمان بغزو نفس الأندلس الكبيرة عند أول فرصة تلوح لهم فبقيت هذه الفكرة تتخمر في رؤوس عمال الخلافة على أفريقية إلى زمن موسى بن نصير عامل الوليد الاموى فخرجت من القوة إلى الفعل

فأكثر فيها الخصب والعمارة من كل جهة ، فتي سافرت من مدينة إلى مدينة لاتكاد تنقطع من العمارة ، ما بين قرى ومياه ومزارع ، والصحارى فيها معدومة ^(١) . ومما اختصت به أن قراها في نهاية من الجبال ، لتصنع أهلها في أصناعها وتبييضها ، لثلاث تنبو العيون عنها ، فهمى كما قال الوزير بن الحماره فيها :

لَا حَتَّ قُرَاهَا بَيْنَ خُضْرَةٍ أَيْكِيهَا كَالدُّرِّ بَيْنَ زَبَرٍ جَدٍ مَكْنُونٍ

ولقد تعجبت لما دخلت الديار المصرية من أوضاع قراها التي تكدر العين بسوادها ، ويضيق الصدر بضيق أوضاعها . وفي الاندلس جهات تقرب فيها المدينة العظيمة الممصرة من مثاليها . والمثال في ذلك أنك إذا توجهت من اشبيلية فعلى مسيرة يوم وبعض آخر ، مدينة شريش ، وهى في نهاية من الحضارة والنضارة ، ثم يليها الجزيرة الخضراء كذلك ، ثم مالقة . وهذا كثير في الاندلس . ولهذا كثرت مدنها ، وأكثرها مسور من أجل الاستعداد للعدو ، فحصل لها بذلك التشديد والتزيين وفي حصونها ما يبقى في محاربة العدو ما ينيف على عشرين سنة ، لامتناع معاقها ، ودربة أهلها على الحرب ، واعتمادهم لمجاورة العدو ناطقن والضرب ، وكثرة ما تتخزن الغلة في مطاميرها ، فمنها ما يطول صبره عليها نحو من مائة سنة .

قال ابن سعيد : ولذلك أدامها الله تعالى من وقت الفتح الى الآن ، وإن كان العدو قد نقصها من أطرافها ، وشارك في أوساطها ، ففي البقية منعة عظيمة ، فأرض بقى فيها مثل اشبيلية ، وغرناطة ، ومالقة ، والمرية . وما ينضاف الى هذه الحواضر العظيمة الممصرة ، الرجاء قوى فيها بحول الله وقوته . انتهى . قلت قد خاب ذلك الرجاء ^(٢) ، وصارت تلك الارحاء للكفر معرجا ، ونسأ الله تعالى ، الذى جعل

(١) يريد بقوله إن الصحارى فيها معدومة . الاندلس القديمة ، أى الولايات الجنوبية من أسبانية . فاما شمال أسبانية فميه صحراء شاسعة واسعة جاء في دليل بديكر أن هذا البسيط المتوسط كان من جملة الصحارى لو لم يكن العرب أنشأوا له نظام رى جرّوا به المياه إليه لحياته ولا تزال بقايا آثارهم في ذلك مدهشة للناظرين

(٢) نعم خاب ذلك الرجاء كما قال المقرئ وبعد ان كان في الاندلس خمسة عشر

لهم فرجا ، وللضيق مخرجا ، أن يعيد اليها كلمة الاسلام ، حتى يستنشق أهله منه فيها أرجا . آمين !

(ومن غرائب الأندلس) البيلتان ^(١) اللتان بطليطلة ، صنعهما عبد الرحمن ، لما سمع بخبر الطلمس الذي بمدينة أرين من أرض الهند . وقد ذكره المسعودي ، وأنه يدور بأصبعه من طلوع الفجر الى غروب الشمس . فصنع هو هاتين البيلتين خارج طليطلة ، في بيت مجوف ، في جوف النهر الأعظم ، في الموضع المعروف بباب الدباغين ومن عجبهما انهما يمثلان وينحسران مع زيادة القمر ونقصانه ، وذلك ان أول انهلال الهلال يخرج فيهما يسير ماء ، فاذا أصبح ، كان فيهما سبعهما من الماء ، فاذا كان آخر النهار كمل فيهما نصف سبع ولا يزال كذلك بين اليوم واللييلة نصف سبع حتى يكمل في الشهر سبعة أيام وسبع ليال ، فيكون فيهما نصفهما ، ولا تزال كذلك الزيادة نصف سبع في اليوم واللييلة ، حتى يكمل امتلاؤهما بكامل القمر ، فاذا كان في ليلة خمسة عشر ، وأخذ القمر في النقصان ، نقصتا بنقصان القمر كل يوم ولييلة نصف سبع . فاذا كان تسعة وعشرون من الشهر لا يبقى فيهما شيء من الماء . واذا تكلف أحد حين ينقصان أن يملأهما ، وجلب لهما الماء ، ابتلعتا ذلك من حينهما حتى لا يبقى فيهما إلا ما كان فيهما في تلك الساعة . وكذا لو تكلف عند امتلاؤهما افراغهما ، ولم يبق منهما شيئاً ، ثم رفع يده عنهما ، خرج فيهما من الماء ما يملأهما في الحين . وهما أعجب من طلمس الهند ، لأن ذلك في نقطة الاعتدال ، حيث لا يزيد الليل على

مليون مسلم لم يبق منهم فيها الا خمسة عشر مغريباً في جبل طارق يتعاطون البيع والشراء وبعد ان كان فيها خمسة عشر الف مسجد احدها مسجد قرطبة الذي يسع ثمانين الف مصل لم يبق فيها الا مسجد يسع ثلاثين مصلياً داخل دار بجبل طارق تخص حكومة المغرب صليت فيه يوم زرت الجبل المذكور (وتلك الايام نداولها بين الناس)

(١) البييلة هي صهريج منحوت من رخام او حجر وكثيراً ما يذكر في تواريخ المغرب ان فلانا صنع في المسجد أو القصر بييلة أو بيلتين . وفي فاس بالمدرسة العنانية بدار الوضوء بييلة جلبها ابو عنان المريني

النهار . وأما هاتان فليستا في مكان الاعتدال ، ولم تزالا في بيت واحد ، حتى ملك النصراني ، دمرهم الله ! طليطلة ، فأراد الغنش ^(١) أن يعلم حركاتهما ، فأمر أن تقلع الواحدة منهما لينظر من أين يأتي اليهما الماء ، وكيف الحركة فيهما ، فقلعت ، فبطلت حركتهما ، وذلك سنة ٥٢٨ .

وقيل ان سبب فسادهما حنين اليهودي الذي جلب حمام الاندلس كلها الى طليطلة في يوم واحد ، وذلك سنة ٥٢٧ ، وهو الذي أعلم الغنش ان ولده سيدخل قرطبة ويمسكها ، فأراد أن يكشف حركة البيلتين ، فقال له : أيها الملك ، أنا أقلمتهما وأردهما أحسن مما كانتا ، وذلك اني اجعلهما تمتلئان بالنهار وتحسران في الليل . فلما قلعت لم يقدر على ردها ، وقيل انه قلع واحدة ليسرق منها الصنعة فبطلت ، ولم تزل الاخرى تعطي حركتها . والله أعلم بحقيقة الحال .

وقال بعضهم في أشبيلية : إنها قاعدة بلاد الاندلس ، وحاضرتها ، ومدينة الادب والاهو والطرب ، وعلى ضفة النهر الكبير ، عظيمة الشأن ، طيبة المكان ، لها البر المديد والبحر الساكن ، والوادي العظيم ، وهي قريبة من البحر المحيط ، إلى أن قل : ولو لم يكن لها من الشرف الاموضع الشرف المقابل لها ، المطل عليها ، المشهور بالزيتون الكثير ، الممتد فراسخ في فراسخ . اسكفي ، وبها منارة ^(٢) في جامعها ، بناها يعقوب

(١) Alphonse وقد يؤوله العرب الاذفئش

(٢) يقال لهذه المنارة عند الاسبانيول الخيرالده La Giralda وهي أعجوبة أشبيلية جاء في دليل بديكر أن هذه المنارة كانت منارة الجامع الأعظم بناها المهندس العربي جابر يعقوب بن يوسف سلطان الموحدين بين سنة ١١٨٤ للمسيح وسنة ١١٩٦ وقد وضع فيها بقايا أبنية قديمة لوجود كتابات رومانية لا تزال في حيطانها وهي مبنية من الطوب كلما ازداد ارتفاعها تزداد ضيقا وهي في الغاية والنهاية من تناسب الخطوط وقاعدتها مربع يبلغ ١٣ متراً و ٥٥ من جهة إلى جهة وسلك الحائط من مترين وثمانية إلى مترين وثلاثين ومن جهتها الشمالية يوجد تجويفان فيهما تصاوير محوطة من رسم لويس برকাশ Vargas . وعند ما يبلغ العلو ٢٥ متراً يصير السطح الاعلى

المنصور ، ليس في بلاد الاسلام اعظم بناء منها . وعسل الشرف يتقى حيناً لا يتحمل ولا يتبدل ، وكذلك الزيت والتين . وقال ابن مفلح : ان أشبيلية عروس بلاد الاندلس لان تاجها الشرف ، وفي عنقها سمط النهر الاعظم ، وليس في الارض أتم حسناً من هذا النهر ، يضاهي دجلة والفرات والنيل ، تسير القوارب فيه للنزهة والسير والصيد تحت ظلال الثمار ، وتغريد الاطيار ، أربعة وعشرين ميلاً ، ويتعاطى الناس السرح من جانبيه عشرة فراسخ ، في عمارة متصلة ، ومنازل مرتفعة ، وأبراج مشيدة ، وفيه من أنواع السمك ما لا يحصى ، وبالجملة فهي قد حازت البر والبحر ، والزرع والضرع وكثرة الثمار من كل جنس ، وقصب السكر . ويجمع منها القرمز الذي هو أجل من اللك الهندي وزيتونها يخزن تحت الارض أكثر من ثلاثين سنة ، ثم يستصر فيخرج منه أكثر مما يخرج منه وهو طرى . انتهى ملخصاً .

للجدران بجانب النوافذ مغطى بشبكات من الطوب ومزيناً بمحاريب . وقد أفسد المنظر البديع الذي كان لهذه المنارة ما توجوها به في أيام العهد المسيحي فان قسيس الكنيسة العظمى قد أزال القمه المخزومة التي كانت تنتهي بها المنارة وجعل مكانها أبنية مربعة تنتهي بقبة عليها كتابة وصورة امرأة تمثل « الايمان » ، وكان هذا البناء الذي شوها به هذه المنارة سنة ١٥٦٨ وعلو « الخيرالده » عن الارض ٩٣ متراً . اهـ .

هذا وقد صعدت إليها يوم زرت اشبيلية وهي من أبداع آثار العرب في أسبانية وإلها يقصد السياج من أقطار الأرض ويسرح النظر من أعلاها فيما لا نهاية له . ولكني لم أعلم من أين جاء اسمها هذا « الخيرالده » ، إلا إن كان محرقاً عن « الخالده » ويعقوب المنصور سلطان الموحدين كان من أعظم ملوك الاسلام وأفخمهم آثاراً وله في الرباط من العدو جامع حسان الشهير كان قائماً على ٤٠٠ سارية محيط كل منها ١٤ شبراً وطولها أزيد من ٢٠ شبراً ومساحة الجامع ٢٦٥٩ متراً مربعاً وكانت له منارة علوها يزيد على ٦٠ متراً ومحيطها ٢٤٠ شبراً وكانت هذه المنارة أعجوبة من الأعاجيب وكانت أشبه شيء بمنار الاسكندرية ولا تزال ماثلة تشهد بعلو همة المنصور فليست منارة اشبيلية هي الفذة من آثاره الخالدة

ولما ذكر ابن اليسع الاندلس قال : لا يتزود فيها أحد ماحيث سلك ، لكثرة أنهارها وعيونها ، وربما لقي المسافر فيها في اليوم الواحد أربع مدائن ، ومن المعامل والقري ما لا يحصى ، وهى بطاح خضر ، وقصور بيض . قال ابن سعيد : وانا أقول كلاماً فيه كفاية : منذ خرجت من جزيرة الاندلس ، وطففت في بر العدو ، ورأيت مدنها العظيمة كراكش وفاس وسلا وسبتة ، ثم طفت في أفريقية ، وما جاورها من المغرب الاوسط ، فرأيت بجاية وتونس ، ثم دخلت الديار المصرية ، فرأيت الاسكندرية والقاهرة والفسطاط . ثم دخلت الشام فرأيت دمشق وحلبا وما بينهما لم أر ما يشبه رونق الاندلس في مياهها وأشجارها ، إلا مدينة فاس بالمغرب الاقصى ومدينة دمشق بالشام . وفي حماة مسحة اندلسية . ولم أر ما يشبهها من حسن المباني والتشييد والتصنيع إلا ما شيد بمراكش في دولة بنى عبد المؤمن ^(١) ، وبعض أماكن في تونس وان كان الغالب على تونس البناء بالحجارة كلاسكندرية ، ولكن الاسكندرية أفسح شوارع وأبسط وأندع ، ومباني حلب داخلية فيما يستحسن لأنها من حجارة صلبة ، وفي وضعها وترتيبها اتقان ، انتهى . ومن أحسن ما جاء من النظم في الاندلس قول ابن سفر المريني والاحسان له عادة :

في أرض اندلس تلتذ نعماء ولا يفارق فيها القلب سراء

(١) من أحسن ما كتب عن مآثر البناء الباهرة في المغرب كتاب اسمه : مراکش ومدن الصناعة الفنية التى بها طجة وفاس ومكناس والرباط ومراكش فيه ٢٢٧ صورة لتلك الآثار الباهرة والمعالم الزاهرة مؤلفه - بيار شامبيون Peirre Champion Le Maroc et ses villes d' Art

والقارىء يجد في هذا الكتاب من المماير التى أنشأها يعقوب المنصور في المغرب ما لا يقل حسنا ونداعة وفخامة عن منارة اشيلية ويرى من مآثر المرينيين والسعديين والعائلة المالكة اليوم ما لا تنفى العبارات بأوصافه مهما ملك الكاتب من ناصية البيان . وقد قال الاخوان الكاتبان جيروم وجان تارو من مشاهير كتاب فرنسا : إن من لم يشاهد في حياته مقبرة الملوك السعديين في مراکش لم يدرك إلى أية درجة من الارتقاء بلغت المدنية الاسلامية ،

وليس في غيرها بالعيش مُنتَفَعٌ
 وأين يُعدَّلُ عن أرضٍ تحضُّ بها
 وكيف لا يُبهِجُ الابصارَ رؤيتها
 أنهارها فِخَّةٌ ، والمِسْكُ تُرْبَتُها
 وللهواء بها لطفٌ يَرِقُّ به
 ليس النسيم الذي يهفو بها سَحَرًا
 وإنما أَرَجُ الدَّدِ استثارَ بها
 وأين يبلغُ منها ما أَصَنَّهُ ؟
 قد مُيزَّتْ من جهات الأرض حين بدت
 دارت عليها نطافا أبحرُ خَفَقَتْ
 لذلك يَدِسُّ فيها الزهرُ من طَرَبِ
 فيها خَلَعَتْ عِذَارِي ما بها عِوَضُ
 والله در ابن خفاجة حيث يقول :

إن للجنة بالأندلس
 فسنى صُبْحَتها من شذب
 فإذا ماهبت الريحُ صَبًا
 مجتلى مرأى وريا نفس
 ودجى ظلمتها من لَمَسِ
 صِحتُ : وأشوقني إلى الأندلس !

وقد تقدمت هذه الأبيات . قال ابن سعيد . قال ابن خفاجة هذه الأبيات وهو بالمغرب الأقصى ، في بر العدو ، ومنزله في شرق الأندلس بجزيرة شقر . وقال ابن سعيد في المغرب مانصه : قواعد من كتاب الشهب الثاقبة ، في الانصاف بين المشاركة والمغاربة ، أول ما تقدم الكلام على قاعدة السلطنة بالأندلس فنقول : إنها مع ما بأيدي عباد الصليب منها ، أعظم سلطنة ، كثرت ممالكها ، وتشعبت في

وجوه الاستظهار للسلطان إعانتها ، وندع كلامنا في هذا الشأن وننقل ما قاله ابن حوقل النصيبي في كتابه ، لما دخلها في مدة خلافة بني مروان بها ، في المائة الرابعة ، وذلك أنه لما وصفها قال : وأما جزيرة الاندلس فجزيرة كبيرة ، طولها دون الشهر ، في عرض ثيف وعشرين مرحلة ، تغلب عليها المياه الجارية ، والشجر والثر ، والرخص والسعة في الأحوال ، من الرقيق الفاخر ، والخصب الظاهر ، إلى أسباب التملك القاشية فيها ، ولما هي به من أسباب رغد العيش ، وسعته وكثرته ، يملك ذلك منهم متهانهم ، وأرباب صنائعهم ، لقلة مؤنتهم ، وصالح معاشهم وبلادهم . ثم أخذ في عظم سلطانها ، ووصف وفور جباياتها ، وعظم مراققه ، وقال في أثناء ذلك : وما يدل بالقليل منه على كثيره ، أن سكة دار ضربه على الدراهم والدنانير ، دخلها في كل سنة ، مائتا ألف دينار ، وصرف الدينار سبعة عشر درهماً ، هذا إلى صدقات البلد وجباياتها ، وخراجاته وأعشاره ، وضرائته ، والأموال المرسومة على المراكب الواردة والصادرة ، وغير ذلك ^(١) .

وذكر ابن بشكوال أن جباية الأندلس باغت في مدة عبد الرحمن الناصر خمسة آلاف ألف دينار وأربعمائة ألف وثمانين ألفاً من السوق ، والمستخلص ^(٢) سبعمائة ألف وخمسة وستون ألف دينار ^(٣) ثم قال ابن حوقل : ومن أعجب ما في هذه

(١) نقلنا فيما تقدم جميع ما ذكره ابن حوقل عن الاندلس

(٢) هو ما يقال له اليوم « الحزينة الخاصة » وكان لسان الدين بن الخطيب يقول « مستخلص السلطان »

(٣) قال لاوى بروفنسال في كتابه « اسبانية المسئلة في القرن العاشر » ما يلي : « أما من جهة مجموع دخل الخزانة في أيام خلافة بني أمية بالاندلس لعهد الناصر فقد وردت بشأنه شهادة يزيد قيمتها صدورها عن رجل هو اميل إلى التنزيل من قدر الامويين منه إلى التعظيم من امرهم وهو ابن حوقل الذي أقام مدة بقرطبة وذلك في النصف الثاني من القرن العاشر فهو يقول إن دخل خزانة الخلافة من أول تولي الناصر إلى سنة ٣٤٠ (٩٥١) بلغ عشرين مليون دينار ذهب وثلثمائة وأربعين مليون درهم

الجزيرة بقاؤها على من هي في يده ، مع صغر أحلام أهلها ، وضعة نفوسهم ، وتقص عقولهم ، و بدمهم من البأس والشجاعة ، والفروسية والبسالة ، ولقاء الرجال ، ومراس الانجاد والأبطال ، مع علم أمير المؤمنين بمحلبها في نفسها ، ومقدار جباياتها ، ومواقع نعمها ولذاتها . قال علي بن سعيد مكمل هذا الكتاب : لم أر بدءاً من إثبات هذا الفصل ، وإن كان على أهل بلدى فيه من الظلم والتعصب ما لا يخفى ، ولسان الحال في الرد أنطق من لسان البلاغة ، وليت شعري إذ سلب أهل هذه الجزيرة العقول والآراء ، والهمم والشجاعة ، فمن الذين دبروها بآرائهم وعقولهم ، مع مراصدة أعدائها لمجاورين لها من خمسمائة سنة ونيف ؟ ومن الذين حووا ببسالتهم من الأمم المتصلة بهم ، في داخلها وخارجها ، نحو ثلاثة أشهر ، على كلمة واحدة ، في نصرة الصليب وإني لأعجب منه إذ كان في زمان قد دلفت فيه عباد الصليب إلى الشام والجزيرة وعاثوا كل العيث في بلاد الاسلام ، حيث الجمهور والقبعة المظمية ، حتى إنهم دخلوا مدينة حلب ، وما أدراك ! وفعلوا فيها ما فعلوا ، و بلاد الاسلام متصلة بها من كل جهة ، إلى غير ذلك مما هو مسطور في كتب التواريخ

ومن أعظم ذلك وأشدّه أنهم كانوا يتغلبون على الحصن من حصون الاسلام التي يتمكنون بها من بسائط بلادهم ، فيسبون ويأسرون ، فلا تجتمع هم الملوك المجاورة على حسم الداء في ذلك ، وقد يستعين به بعضهم على بعض ، فيتمكن من ذلك الداء الذي لا يطب .

وقد كانت جزيرة الأندلس في ذلك الزمان بالضد من البلاد التي ترك وراء ظهره ، وذلك موجود في تاريخ ابن حيان وغيره . وإنما كانت الفتنة بعد ذلك .

من الفضة وهو مبلغ عظيم جداً بالنسبة إلى ذلك العصر . ولقد كان هذا الدخل مضاعفاً في أيام الحكم المستنصر فبلغ إذ ذاك أربعين مليون دينار . اهـ وسنعود إلى هذا البحث عند الكلام على التاريخ

الاعلام بينة ، والطريق واضح ^(١) . فلنرجع إلى ما نحن بسبيله .

كانت سلطنة الأندلس في صدر الفتح على ما تقدم من اختلاف الولاة عليها من سلاطين أفريقية ، واختلاف الولاة داع إلى الاضطراب ، وعدم تأثر الأحوال وتربية الضخامة في الدولة ^(٢) : ولما صارت الأندلس لبي أمية ، وتوارثوا ممالكها ، وانقاد اليهم كل أبي فيها ، وأطاعهم كل عصي ، عظمت الدولة بالأندلس ، وكبرت الهمم ، واستتمت الأحوال ، وترتبت القواعد . وكانوا صدرا من دولتهم يخطبون لأنفسهم بأبناء اخلائهم . ثم خطبوا لأنفسهم بالخلافة ، ومالكوا من بر العدو

(١) هذا البحث قد تقدم عند نقلنا عن ان حوقل وهو عبارة عن مناقشة بين مسلمي الشرق والغرب كل فريق منهما يعير الآخر ويتهمة بخذلان قومه وقد أوردنا حكما في ذلك ونقلنا إن الجميع في هذا المرض سواء وانهم بعضهم يبيعون أشبه من الماء بالماء ولا حول ولا قوة إلا بالله

(٢) أصاب الكاتب هذا النحر . وما لا جدال فيه ان تعاقب الولاة المستمر على القيروان وبالتالي تعاقب امراء الاندلس الذين كانوا يولونها من فليهم لا يكاد الواحد منهم يصل إلى قرطبة حتى يأتي الخبر بعزله قد كان الاصل الاصيل في اضطراب حيل الادارة وفي وقوف الفئوحات العربية في أوربة لأن اثبات والاطراد هما من اهم شروط النجاح . فلما صار الحكم إلى بني أمية في قرطبة واستقر بها ملكهم وتوطد سلطانهم عظمت الدولة في الاندلس ورسخت العزائم وسمت الهمم واستتبت القواعد كما قال . غير أن هناك ملاحظة لا بد منها وهي أن الجهاد العربي في أوربة أيام وحدة الخلافة كان وراءه الجيوش الجرارة تزحف من أقاصى خراسان إلى فارس إلى العراق إلى الشام إلى مصر إلى المغرب فلا ينقطع مددها ولا يكاد يحصى عددها فلما انفصلت الأندلس عن الخلافة العباسية انفردت الأندلس بنفسها ولم يبق لها معول في الجهاد الا على مسلمي الأندلس وحدهم وهؤلاء دائرتهم محدودة ومادتهم منحصرة وليسوا أكفاء بأنفسهم لاهم النصرانية التي هي أمامهم كلجج البحر الاخضر . فمن بعد افتراق الأندلس عن الخلافة العباسية انقطع ما بينها . بين سائر بلاد الاسلام وأصبحت بقيمة غريبة مقطوعة الظهر الا ما كان يرد عليها في الاحايين من مجاهدين ومهاجرين من المغرب الاقصى دون سواء وشتان بين هذا المدد المحدود والمدد العام الذي كان ينظم ما بين الشرق والغرب

ما ضخمت به دولتهم ، وكانت قواعدهم إظهار الهيبة ، وتمكن الناموس من قلوب العالم ، ومراعاة أحوال الشرع في كل الأمور ، وتعظيم العلماء ، والعمل بأقوالهم ، وإحضارهم في مجالسهم ، واستشارتهم ، ولهم حكايات في تاريخ ابن حيان ، منها ما هو مذكور من توجه الحكم على خليفتهم ، أو على ابنه أو أحد حاشيته المختصين وأنهم كانوا في نهاية من الانتقال إلى الحق ، لهم أو عليهم ، بذلك أنضبط لهم أمر الجزيرة .

ولما خرخوا هذا الناموس ، كان أول ما تهتك أمرهم ثم اضمحل^(١) وكانت ألقاب الأول منهم الأمراء أبناء الخلائف ، ثم الخلفاء أمراء المؤمنين .

(١) أمراء بني أمية في قرطبة كانوا على وجه الاجمال على استقامة في أمورهم ولم يخرج منهم من يجاهر بالفسق كما خرج من أمراء بني أمية في دمشق . وكانوا في الاندلس مدعنين للحق مقيمين لشعائر الاسلام متحلين بحلى القوى ومجاهدين في سبيل الله ولم يتهتك أمرهم بسبب فسق أو ظلم أو أهمال للحكم ، ولكن اراد الله أن يكون هشام بن الحكم المستنصر فسلاً ضعيفاً لا يقدر على ادارة أمور المملكة بنفسه فاستبد بالامر الحاجب المنصور بن أبي عامر وحجر على الخليفة ولم يبق له شيئاً فاحفظ ذلك بني أمية وأعوانهم وكثيراً من أبناء البيوتات العربية الذين غصوا بمكان العامريين ولم تتحمل نفوسهم هذا الاستئثار من هؤلاء بالدولة فصاروا قاعدين لهم كل مرصد حتى يثبوا عليهم ويعيدوا الأمر كما بدأ . وكان المنصور وابنه المظفر يعملان ما يجيش في صدور الاموية وبيوتات العرب من الحقد عليهم فأخذوا باستعمال البربر وعولوا عليهم ووقعوا العداوة والبغضاء بين العرب والبربر وكان كل منهما من الحزم والتدبير بحيث استوسق له الامر فلما جاءت دولة شنجول ابن المنصور وكان فسلاً فاسد التدبير تمكن الامويون من اسقاطه واشتعلت الفتنة التي أسالت الدماء جداول في قرطبة ووقع بين العرب والبربر ما كان السبب في صدع وحدة الدولة وظهور ملوك الطوائف واستئساد طواغيت لاسانيول واسترجاعهم كثيراً من الحصون والمدن وباختصار رجع النصارى في الاندلس فكروا على المسلمين وكانوا أوشكوا أن يقلعوه من الاندلس تماماً لولا نصرة الدول المغربية كالمرابطين ثم الموحيدين ثم بنى مرين الذين نسأوا في اجل اسلام الاندلس نحواً من ثلاثمائة سنة بالاقبل

إلى أن وقعت الفتنة بحسد بعضهم لبعض ، وابتغاء الخلافة من غير وجهها الذي رتبت عليه ^(١) . فاستبدت ملوك الممالك الأندلسية ببلادها ، وسُمّوا بملوك الطوائف . وكان فيهم من خطب للخلفاء الروانيين ، وإن لم يبق لهم خلافة . ومنهم من خطب للخلفاء العباسيين المجمع على إمامتهم ^(٢) ، وصار ملوك الطوائف يتباهون في أحوال الملك حتى في الألقاب ، قال أمرهم إلى أن تلقبوا بنعوت الخلفاء ، وترفعوا إلى طبقات السلطنة العظمى ، وذلك بما في جزيرتهم من أسباب الترفه والضيخامة ، التي تتوزع على ملوك شتى فتكفيهم ، ونهض بهم للمباهاة

ولأجل توثبهم على النعوت العباسية قال ابن رشيق القيرواني :

مما يُزَهدني في أرضِ أندلسٍ تلقبُ مُعتَضد فيها ومُعتَمِد
ألقابُ مَمْلُوكَةٍ في غيرِ مَوضعِها كالحُرِّ يَحكي انتفاحاً صَوْلَةَ الأَسَدِ

وكان عباد بن محمد بن عباد قد تلقب بالمعتضد ، واقتفى سيرة المعتضد العباسي أمير المؤمنين . وتلقب ابنه محمد بن عباد بالمعتمد . وكانت لبني عباد مملكة اشبيلية ، ثم انضاف إليها غيرها . وكان خدام بني أمية يظهرون للباس في الأحيان على أبهة الخلافة ، ولهم قانون في ذلك معروف إلى أن كانت القتمة ، فاذدرت العيون ذلك التاموس ، واستخفت به . وقد كان بنو حمود من ولد إدريس العلوي ، الذين توثبوا على الخلافة في أثناء الدولة الروانية بالأندلس ، يتعاضدون ، ويأخذون أنفسهم بما يأخذها خلفاء بني العباس ، وكانوا إذا حضرهم منشد لمُدح ، أو من يحتاج إلى الكلام بين أيديهم ، يتكلم من وراء حجاب ، والحاجب واقف عند الستر يجاوب بما يقول له الخليفة . ولما حضر ابن مقانا الاشبوني أمام حاجب إدريس بن يحيى

(١) يشير إلى استئثار العامريين بالأمر وغلبتهم على الخلافة وما آل إليه ذلك من الفتنة التي بددت شمل الأمة وأظهرت ملوك الطوائف

(٢) مثل ابن مردنيس وغيره

الحمودي ، الذي خطب له بالخلافة في مالقة ، وأنشده قصيدته المشهورة التونية التي منها قوله :

وَكَاَنَّ الشَّمْسَ لَمَّا أَشْرَقَتْ فَانْتَنَتْ عَنْهَا غَيُونُ النَّاطِرِينَ
وَجْهُهُ إِدْرِيسُ بْنُ يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ بَنَ حَمُودَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
و بلغ فيها إلى قوله :

انظُرُونَا تَقْتَبِسُ مِنْ نَوْرِكُمْ إِنَّهُ مِنْ نَوْرِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

رفع الخليفة الستر بنفسه وقال : انظر كيف شئت . وانبسط مع الشاعر وأحسن إليه . ولما جاء ملوك الطوائف صاروا يتبسطون للخاصة ، وكثير من العامة ، ويظهرون مداراة الجند وعوام البلاد ، وكان أكثرهم يحاضر العلماء والأدباء ، ويجب أن يشهر عنه ذلك عند مباديه في الرياسة . ومذ وقعت الفتنة بالأندلس ، اعتاد أهل الممالك المتفرقة الاستبداد على إمام الجماعة ، وصار في كل جهة مملكة مستقلة يتوارث أعيانها الرياسة ، كما يتوارث ملوكها الملك ، ومرنوا على ذلك ، فصعب ضبطهم إلى نظام واحد ، وتمكن العدو منهم بالتفرق ، وعداوة بعضهم لبعض ، بقبيح المنافسة والطمع إلى أن انقادوا إلى عبد المؤمن وبنيه ، وتلك القواعد في رؤوسهم كامنة ، والثوار في المعقل تشور ، وتروم السكرّة ، إلى أن ثار ابن هود ، وتلقب بالمتوكل ، ووجد القلوب منحرفة عن دولة بر العدو^(١) ، مهيأة للاستبداد . فلسكها بأيسر محاولة ، مع الجهل المفرط ، وضعف الرأي . وكان مع العامة كأنه صاحب شعوذة ، يمشى في الأسواق ، ويضحك في وجوههم ، ويبادرهم بالسؤال ، وجاء للناس منه ما لم يعتادوه من سلطان ،

(١) عند ما ظهرت ملوك الطوائف وأخذ بعضهم يغزو بعضاً والعدو يستفيد من الغازي والمغزو ويهتبل كل غرة ، خاف المرابطون ومن بعدهم الموحدون أن يسقط الإسلام كله في الأندلس ، خفقوا لنجدته وأجازوا إلى الجزيرة بالجيوش الجرارة واستولوا على أكثر ما كان بأيدي ملوك الطوائف . ولكن بعض هؤلاء كانوا يجاذبونهم الحبل مثل ابن هود مثلاً وطالما استظهروا بالأسبانيول على دول بر العدو .

فأعجب ذلك سفهاء الناس وعامتهم العمياء ، وكان كما قيل :

أُمُورٌ يَضْحَكُ السُّفَهَاءُ مِنْهَا وَيَبْكِي مِنْ عَوَاقِبِهَا الْحَلِيمُ

فآل ذلك إلى تلف القواعد العظيمة ، وتملك الأمصار الجلييلة ، وخروجها من يد الاسلام ، والضابط فيما يقال في شأن أهل الأندلس في السلطان ، أنهم إذا وجدوا فارساً يبرع الفرسان ، أو جواداً يبرع الأجواد ، تهافتوا في نصرته ، ونصبوه ملكاً من غير تدبير في عاقبة الأمر ، الام يؤل ؟ وبعد أن يكون الملك في مملكة قد توورت وتداولت ، ويكون في تلك المملكة قائد من قوادها ، قد شهرت عنه وفائع في العدو ، وظهر منه كرم نفس للأجناد ، ومراعاة ، قدموه ملكاً في حصن من الحصون ، ورفضوا عيالهم وأولادهم إن كان لهم ذلك بكرسي الملك ، ولم يزالوا في جهاد وتلاف أنفس ، حتى يظفر صاحبهم بطلبته . وأهل المشرق أصوب رأياً منهم في مراعاة نظام الملك ، والمحافظة على نصابه . لئلا يدخل الحلل الذي يقضى باختلال القواعد ، وفساد التربية ، وحل الأوضاع ، ونحن نمثل في ذلك بما شاهدناه .

لما كانت هذه الفتنة الأخيرة بالأندلس ، تمخضت عن رحل من حصن يقال له أرجونة ، ويعرف الرجل بابن الأحمر ، كان يكثر مغاورة العدو من حصنه ، وظهرت له مخايل وشواهد على الشجاعة ، إلى أن طار اسمه في الأندلس ، وآل ذلك إلى أن قدمه أهل حصنه على أنفسهم ، ثم نهض فملك قرطبة العظمى ، وملك اسبيلية ، وقتل ملكها الباجي ، وملك جيان ، أحصن بلد بالأندلس ، وأجله قدرأ في الامتناع ، وملك غرناطة ومالقة ، وسموه بأمير المسلمين . فهو الآن المشار إليه بالأندلس والمعتمد عليه

وأما قاعدة الوزارة بالأندلس فانها كانت في مدة بني أمية مشتركة في جماعة يعينهم صاحب الدولة للاعانة والمشاورة ويخصهم بالجلاسة ، ويختار منهم شخصاً لمكان النائب المعروف بالوزير ، فيسميه بالحاجب ، وكانت هذه المراتب لضبطها

عندهم كالتوارث في البيوت المألومة^(١) لذلك ، إلى أن كانت ملوك الطوائف ، فكان الملك منهم ، لعظم اسم الحاجب في الدولة المرورية ، وأنه كان نائباً عن خليفهم يسقى بالحاجب^(٢) . ويرى أن هذه السمة أعظم ما تنوفس فيه وظفر به ، وهي موجودة في أمداح شعرائهم وتواريخهم ، وصار اسم الوزارة عاماً لكل من يجالس الملوك ، ويختص بهم ، وصار الوزير الذي ينوب عن الملك ، يعرف بذي الوزارتين^(٣) ، وأكثر ما يكون فاضلاً في علم الأدب ، وقد لا يكون كذلك ، بل عالماً بأمور الملك خاصة .

وأما الكتابة فهي على ضربين ، أعلاهما كاتب الرسائل ، وله حظ في القلوب والعيون عند أهل الأندلس ، وأشرف أسيائه الكاتب . وبهذه السمة يخصه من يعظمه في رسالة . وأهل الأندلس كثير والانتقاد على صاحب هذه السمة ، لا يكادون يغفلون عن عثراته لحظة ، فإن كان ناقصاً عن درجات السكال ، لم ينفعه جاهه ، ولا مكانه من سلطانه ، من تساط الألسن ، والظعن عليه وعلى صاحبه .

والكاتب الآخر كاتب الزمام^(٤) ، هكذا يعرفون كاتب الجهبذة ، ولا يكون

(١) مثل بنى أبي عبده وبنى حدير وبنى شهيد وبنى جهور وغيرهم مما سيأتى ذكره في محله .

(٢) الحاجب في زمن الحكم المستنصر كان في يده جميع أمور المملكة . ولذلك عند ما مات ووراءه ولد صغير هشام الثاني غلب الحاجب على الأمر ، وحجب الخليفة وأدى ذلك فيما بعد إلى الفتنة وسقوط الخلافة ، ولقد كان الناصر أبصر بالعواقب فأبقى المملكة بدون حجابة مدة ثلاثين سنة ووزع الأعمال بين وزرائه فراراً من حصر السلطة في الحاجب

(٣) كان هذا اللقب من أوضاع بنى العباس ومعناه وزارة القلم ووزارة السيف وأول من لقب به في الأندلس عبد الملك بن شهيد سنة ٣٢٧ في دولة عبد الرحمن الناصر (٤) ويقال له : صاحب الأشغال الخراجية ، وكانوا يقولون أحياناً لديوان المالية « ديوان الأمانة »

بالأندلس وبرّ العدو ، لانصرانياً ولا يهوديا البتة ، إذ هذا الشغل نبيه ، يحتاج إلى صاحبه عظماء الناس ووجوههم . وصاحب الأشغال الخراجية في الأندلس أعظم من الوزير ، وأكثر اتباعاً وأصحاباً ، وأجدى منفعة ، فاليه تميل الأعناق ، ونحوه تعدّ الأَكْفَ ، والأعمال مضبوطة بالشهود والنظار .

ومع هذا إن تأملت حالته ، واغترت بكثرة البناء والاكتساب ، نكب وصودر . وهذا راجع إلى تقلب الأحوال ، وكيفية السلطان

وأما خطة القضاء بالأندلس فهي أعظم الخطط عند الخاصة والعامة ، لتعلقها بأمور الدين ، وكوث السلطان لو توجه عليه حكم حضر بين يدي القاضى ، هذا وصفها في زمان بنى أمية ومن سلك مسلكهم ، ولا سبيل أن يتّسم بهذه السمة إلا من هو وال للحكم الشرعى في مدينة جليلة ، وإن كانت صغيرة ، فلا يطلق على حاكمها إلا مسدّد خاصة ، وقاضى القضاة يقال له قاضى القضاة وقاضى الجماعة .

وأما خطة الشرطة بالأندلس فإنها مضبوطة إلى الآن ، معروفة بهذه السمة ، ويعرف صاحبها في السُن العامة بصاحب المدينة ، وصاحب الليل ، وإذا كان عظيم القدر عند السلطان ، كان له القتل لمن وجب عليه دون استئذان السلطان ، وذلك قليل ، ولا يكون إلا في حضرة السلطان الأعظم . وهو الذى يحدّ على الزنا وشرب الخمر ، وكثير من الأمور الشرعية راجع إليه ، قد صارت تلك عادة تقرر عليها رضا القاضى ، وكانت خطة القاضى أوقر وأتقى عندهم من ذلك .

وأما خطة الاحتساب فإنها عندهم موضوعة في أهل العلم والفطن ، وكأن صاحبها فاض ، والمادة فيه أن يمشى بنفسه راكباً على الأسواق ، وأعوانه معه ، وميزانه الذى يزن به الخبز في يد أحد الأعوان ، لأن الخبز عندهم معلوم الأوزان ، للربع من الدرهم رقيق ، على وزن معلوم . وكذلك للثمن ، وفي ذلك من المصلحة أن يرسل المتاع الصغى الصغير ، أو الجارية الرعناء ، فيستويان فيما يأتيانه به من السوق مع الحاذق ، في معرفة الأوزان .

وكذلك اللحم تكون عليه ورقة بسعره ، ولا يجسر الجزار أن يبيع بأكثر
أو دون ما حد له المحتسب في الورقة ، ولا يكاد تخفى خيائته ، فان المحتسب يدس عليه
صبياً أو جارية يبتاع أحدهما منه ، ثم يختبر الوزن المحتسب ، فان وجد نقصاً قاس على
ذلك حاله مع الناس ، فلا تسأل عما يلقي ! وإن أكثر ذلك منه ، ولم يتب بعد الضرب
والتجريس في الاسواق نفي من البلد . ولهم في أوضاع الاحتساب قوانين يتداولونها
ويتدارسونها كما تتدارس أحكام الفقه ، لأنها عندهم تدخل في جميع المتاعات ، وتتفرع
إلى ما يطول ذكره . وأما خطة الطواف بالليل وما يقابل من المغرب أصحاب أرباع في
المشرق ، فانهم يعرفون في الأندلس بالدرابين ، لان بلاد الأندلس لها دروب باغلاق
تفاق بعد العتمة ، ولكل زقاق باث فيه له سراج معلق ، وكلب يسهر ، وسلاح معد
وذلك لشطارة عامتها ، وكثرة شرهم ، واعيانهم في أمور التلصص ، إلى أن يظهروا
على المباني المشيدة ، ويفتحوا الاغلاق الصعبة ، ويقتلوا صاحب الدار ، خوف ان يقر
عليهم ، أو يطالبهم بعد ذلك ، ولا تكاد في الأندلس تخلو من سماع : دار فلان
دخلت البارحة ، وفلان ذبحه اللصوص على فراشه . وهذا يرجع التكثير منه والتقليل
إلى شدة الوالى ولينه ، ومع افراطه في الشدة ، وكون سيفه يقطر دما ، فان ذلك لا يعدم
وقد آل الحال عندهم إلى أن قتلوا على عنقود سرقة شخص من كرم ، وما أشبه ذلك
ولم ينته اللصوص .

وأما قواعد أهل الأندلس في ديانتهم فانها تختلف بحسب الاوقات والنظر إلى
السلطين ، ولكن الاغلب عندهم اقامة الحدود ، وإنكار التهاون بتعطيلها ، وقيام
العامّة في ذلك وإنكاره ، ان تهاون فيه أصحاب السلطان ، وقد يلج السلطان في شيء
من ذلك ولا ينكره ، فيدخلون عليه قصره المشيد ، ولا يعيثنون بخيله ورجله ، حتى
يخرجوه من بلدهم . وهذا كثير في أخبارهم .

وأما الرجم بالحجر للقضاة والولاة للأعمال ، إذا لم يعدلوا ، فكل يوم . وأما طريقة
الفقراء على مذهب أهل الشرق في الدورة التي تكسل عن السكدة ، وتخرج الوجوه

للطلب في الاسواق فستقبحة عندهم الى النهاية . واذا رأوا شخصاً صحيحاً قادراً على الخدمة يطلب ، سبوه وأهانوه ، فضلاً عن أن يتصدقوا عليه ، فلا تجدد بالاندلس سائلاً إلا أن يكون صاحب عذر .

وأما حال أهل الاندلس في فنون العلوم فتحقيق الانصاف في شأنهم في هذا الباب انهم احرص الناس على التميز ، فالجاهل الذي لم يوقه الله للعالم يجهد أن يتميز بصنعة ، ويربأ بنفسه أن يرى فارغاً ، عالة على الناس ، لأن هذا عندهم في نهاية القبح . والعالم عندهم معظم من الخاصة والعامة ، يشار اليه ، ويمحال عليه ، وينبئ قدره وذكره عند الناس ، ويكرم في جوار أو اتباع حاجة وما أشبه ذلك . ومع هذا فليس لأهل الاندلس مدارس تعينهم على طلب العلم ، بل يقرأون جميع العلوم في المساجد بأجرة ، فهم يقرأون لأن يعلموا . لا لأن يخذوا جازياً . فالعالم منهم بارع لأنه يطلب ذلك العلم يباعث من نفسه ، بحمله على أن يترك الشغل الذي يستفيد منه ، وينفق من عنده ، حتى يعلم ، وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء ، إلا الفلسفة والتنجيم ، فان لهما حظاً عظيماً عند خواصهم . ولا يتظاهرون بها خوف العامة ، فانه كلما قيل فلان يقرأ الفلسفة ، أو يشتغل بالتنجيم ، اطامت عليه العامة اسم زنديق ، وقيدت عليه أنفاسه ، فان زل في شبهة رجموه بالحجارة ، أو حرقوه قبل أن يصل أمره للسلطان ، أو يقتله السلطان تقرباً لقلوب العامة . وكثيراً ما يأمر ملوكهم باحراق كتب هذا الشأن اذا وجدت ، وبذلك تقرب المنصور بن أبي عامر لقلوبهم أول نهوضه ، وإن كان غير خال من الاشتغال بذلك في الباطن ، على ما ذكره الحجارى ، والله أعلم .

وقراءة القرآن ^(١) بالسبع ورواية الحديث عندهم رفيعة . وللقه رونق ووجاهة

(١) ما رأيت في التاريخ بلداً من بلدان الاسلام يعنى أهله بقراءة القرآن بوجوهها أكثر من الاندلس

ولامذهب لهم إلا مذهب مالك^(١)، وخواصهم يحفظون من سائر المذاهب ما يباحثون به بمحاضر ملوكهم ذوى الهمم فى العلوم . وسمة الفقيه عندهم جليلة ، حتى ان المسلمين كانوا يستمّون الامير العظيم منهم الذى يريدون تنويهه بالفقيه ، وهى الآن بالمغرب بمنزلة القاضى بالمشرق ، وقد يقولون للكاتب والنحوى واللغوى فقيه ، لأنها عندهم أرفع السمات^(٢) . وعلم الاصول عندهم متوسط الحال . والنحو عندهم فى نهاية من علو الطبقة ، حتى انهم فى هذا العصر فيه منهم كأصحاب عصر الخليل وسيبويه ، لا يزداد مع هرم الزمان إلا جودة ، وهم كثيرو البحث فيه وحفظ مذاهبه ، كمذاهب الفقه . وكل عالم فى أى علم لا يكون متمكنا من علم النحو ، بحيث لا تخفى عليه

(١) كان أمل الأندلس لأول الفتح على مذهب الامام الأوزاعى إمام أهل الشام الذين كانت لهم اليد الطولى فى فتح الأندلس ، وكانت الدولة الأموية تعول عليهم قبل الجميع ، وبقى الأندلسيون على مذهب الأوزاعى إلى زمن هشام بن عبد الرحمن الداخل فى ذلك الوقت رحل زياد بن عبد الرحمن بن زياد اللخمي المعروف بشبطون إلى الشرق ، وسمع من مالك كتابه الموطأ ورحل جماعة غير شبطون كقرعوس بن العباس وعيسى بن دينار ، وسعيد بن أبى هند ، وغيرهم ممن رحل إلى الحج ، فلما رجعوا إلى الأندلس وصفوا من فضل مالك ، وسعة علمه وجلالة قدره ، ما عظم به صيته بالأندلس وكان رائدهم فى ذلك شبطون ، وهو أول من أدخل موطأ مالك إلى الأندلس مكلا متقنا . وقيل إن الامام مالك رضى الله عنه سأل بعض الحجاج الأندلسيين عن سيرة ملك الأندلس فوصفوا له سيرة الأمير هشام بن عبد الرحمن وأثنوا له عليه وكان مالك غير راض عن سيرة بنى العباس ولا سيما بعد أن فعل أبو جعفر المنصور بعلوية المدينة الافاعيل من الحبس والامانة فقال الامام مالك للأندلسيين : نسأل الله أن يزين حرمنا بمثل ملككم . فوصل الخبر إلى الأمير هشام مع ما علم من جلالة مالك وورعه فحمل الناس على مذهبه ، وقد ذكرنا هذه القصة برواياتها فى حواشينا على كتاب محاسن المساعى فى مناقب الامام أبى عمرو الأوزاعى ، الذى طبعناه من ثلاث سنوات فن شاء فليراجعها فى ذلك الكتاب .

(٢) لم يبرح هذا الاصطلاح فى المغرب إلى اليوم .

الدقائق ، فليس عندهم بمستحق للتمييز ، ولا سالم من الازدراء ، مع ان كلام أهل الاندلس الشائع في الخواص والعوام كثير الانحراف عما تقتضيه أوضاع العربية ، حتى لو أن شخصاً من العرب سمع كلام الشلوينى أبى على المشار اليه بعلم النحو في عصرنا الذى غربت تصانيفه وشرقت ، وهو يقرئ درسه ، لضحك بملء فيه ، من شدة التحريف الذى فى لسانه . والخاص منهم اذا تكلم بالاعراب وأخذ يجرى على قوانين النحو استنقلوه واستبدلوه ^(١) ، ولكن ذلك مراعى عندهم فى القراءات والمحادثات فى الرسائل . وعلم الادب المنشور من حفظ التاريخ والنظم والنثر ، ومستطرفات الحكايات ، أنبل علم عندهم ، وبه يتقرب من مجالس ملوكهم واعلامهم ومن لا يكون فيه أدب من علمائهم فهو عقل مستثقل . والشعر عندهم له حظ عظيم وللشعراء من ملوكهم وجاهة ، ولهم عليهم حظ ووظائف ، والمجيدون منهم ينفشون فى مجالس عظماء ملوكهم المختلفة ، ويوقع لهم بالصلات على أقدارهم ، إلا أن يخلت الوقت ، ويفاب الجبل فى حين ما ، ولكن هذا الغالب . وإذا كان الشخص بالاندلس نحوياً أو شاعراً فإنه يظم فى نفسه لامحالة ، ويستخف ويظهر العجب ، عادة قد جبلوا عليها .

وأما زى أهل الأندلس فغالبا عليهم ترك العام ، لاسيما فى شرق الأندلس ، فان أهل غربها لا تسكد ترى فيهم فاضياً ولا فقيهاً مشاراً إليه إلا وهو بعمامة ، وقد تسامحوا بشرقها فى ذلك . ولقد رأيت عزيز بن خطاب ، أكبر عالم بمدرسية حضرة السلطان فى ذلك الأوان ، وإليه الإشارة ، وقد خطب له بالملك فى تلك الجهة ؛ وهو حاسر الرأس ، وشبيه قد غلب على سواد شعره .

وأما الأجناد وسائر الناس فقليل منهم من تراه بعمامة ، فى شرق منها أو فى غرب وابن هود الذى ملك الأندلس فى عصرنا ، رأيت فى جميع أحواله ببلاد الأندلس وهو دون عمامة ، وكذلك ابن الأحمر الذى معظم الأندلس الآن فى يده ، وكثيراً

(١) ولا أظن هذا الاستنقال خاصاً بأهل الأندلس

ما يتزيا سلاطينهم وأجنادهم بزى النصارى المجاورين لهم^(١)، فسلاحتهم كسلاحتهم،

(١) قال ابن خلدون رحمه الله في مقدمته تحت عنوان «إن المغلوب مولع أبداً بالاقتماد بالغالب في شعاره وزيه ونخلته وسائر أحواله وعوائده»: إن النفس أبداً تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت إليه، إما لنظره بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي، إنما هو لكمال الغالب، فإذا غالطت بذلك واتصل لها، حصل اعتقاداً، فاتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به، وذلك هو الاقتداء. أو لما تراه، والله أعلم، من أن غلب الغالب لها ليس بعصية ولا قوة بأس، وإنما هو بما اتحلته من العوائد والمذاهب، تغالط أيضاً بذلك عن الغلب، وهذا راجع للاول. ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبداً بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه في اتخاذها وأشكالها، بل وفي سائر أحواله، وأظهر ذلك في الأبناء مع آبائهم، وكيف نجدهم متشبهين بهم دائماً؟

وما ذلك إلا لاعتقادهم الكمال فيهم. وانظر إلى كل قطر من الأقطار كيف يغلب على أهله زى الحامية وجند السلطان في الأكثر، لأنهم الغالبون لهم، حتى إنه إذا كانت أمة تجاور أخرى، ولها الغلب عليها، فيسرى إليهم من هذا التشبه والاقتماد. حظ كبير كما هو في الأندلس لهذا العهد مع أمم الجلالة فانك تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم وأحوالهم، حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت، حتى لقد يستشعر من ذلك الناظر بعين الحكمة أنه من علامات الاستيلاء والأمر لله اه.

قلت وقد نظرنا هذا بأعيننا في الأعصر الأخيرة عند ما ظهر غلب الغرب على الشرق بأسباب كثيرة ليس هنا موضع ذكرها فتهافت ولالة الآمور في الشرق على تقاليد الأوربيين لافي اتقان العلوم والصناعات وتنظيم أحوال الاجتماع وتسديد أمور الملك فقط، مما هو واجب حتماً، بل تهافتوا على تقليدهم في أزيائهم وملابسهم وما كلهم ومشاربهم

وبدا ذلك في أيام السلطان محمود العثماني. ولكن لم يبلغ في وقت من الأوقات حب هذا الاقتداء ما بلغه في هذا العصر، لا سيما بعد الحروب العامة، فما كادت تركيا وإيران تسترجعان استقلالهما، حتى بدأنا بالتشبه بالأوربيين في الدقيق والجليل

وأقبيتهم في الأشكر لاط وغيره كأقبيتهم ، وكذلك أعلامهم وسروجهم . ومحاربتهم بالتراس والرماح الطويلة للطنن ، ولا يعرفون الدبابيس ، ولا قسيّ العرب ، بل يعدّون قسيّ الافرنج المحاصرات في البلاد ، أو تكون للرجالة عند المصاففة للحرب ، وكثير ما تصبر الخيل عليهم أو تمهلهم لان يؤثرها

ولا تجدي خواص الأنداس وأكثر عوامهم من يمشی دون طيلسان ، إلا أنه لا يضعه على رأسه منهم إلاّ الأشيّخ المعظمون . وغفائر الصوف كثيراً ما يلبسونها حمراً وخضراً ، والصفر مخصوصة باليهود ، ولا سبيل ليهودي أن يتعمم البتة . والذؤابة لا يرخيها إلاّ العالم ، ولا يصرفونها بين الأكتاف ، وإنما يسدلونها من تحت الاذن اليسرى ، وهذه الأوضاع التي بالشرق في العالم لا يعرفها أهل الأنداس ، وإن رأوا في رأس مشرقى داخل إلى بلادهم شكلا منها أظهروا التعجب والاستطراف ، ولا يأخذون أنفسهم بتعابيحها . لأنهم لم يعتادوا ولم يستحسنوا إلاّ أوضاعهم . وكذلك في تفصيل الثياب .

وأهل الأنداس أشدّ خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون ، وغير ذلك مما يتعاق بهم ، وفيهم من لا يكون عنده إلاّ ما يقوته يومه ، فيطويه صائماً ، والكلّ والجزئي وأصدرت الحكومة التركية أوامرها بلبس القبعة حتما . ودقت مثات من الأعناق على محرد الاعتراض عليها . وحملت الأحرف اللاتينية مكان الأحرف العربية برغم ان كتابة التركية بالأحرف اللاتينية قد انحرفت هذه اللغة عن لهجتها الأصلية ، واستبدلت بها لغة غير لاولي ، ولم يكتفوا بهذا حتى أرادوا حمل الاتراك على طمس معالم كل قديم ، وتحديثوا باللغة . التاريخ التركي من أصله ، ومسحوا الألحان الشرقية وآلات الطرب الشرقي ، وتبدلوا بها الموسيقى الاوربية ، وكادوا ينقلون الى منع المآكل الشرقية لو لم تكن الاذواق أصعب مراسا من غيرها ، وكل هذا من باب إقصاء المغلوب بالغالب ، مما أشار اليه امام علم الاجتماع ابن خلدون رحمه الله ، وليس في الحقيقة بضرورة من الضرورات ، ولقد ترقى اليابانيون ، وبلغوا مبالغ الاوربيين في كل شيء ، وربما بذوهم ، ولم يزالوا يابانيين في اذواقهم وعاداتهم ، وما أخذهم ومتاركهم ، وكل شيء توارثوه عن آبائهم

و يبتاع صابوناً يغسل به ثيابه ، ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبو العين عنها . وهم أهل احتياط وتديير في المعاش ، وحفظ لما في أيديهم ، خوف ذل السؤال ، فذلك قد ينسبون للبخل . ولهم مروآت على عادة بلادهم ، لو فطن لها حاتم لفضل دقائقها على عظامه . واقد اجتزت مع والدى على قرية من قراها ، وقد نال منا البرد والمطر أشد النيل ، فأوينا إليها وكنا على حال ترقب من السلطان ، وخلق من الرفاهية ، فنزلنا في بيت شيخ من أهلها من غير معرفة متقدمة فقال لنا : إن كان عندكم ما اشترى لكم فخاً تسخنون به ، فاني أمضي في حوائجكم ، وأجعل عيالي يقومون بشأنكم ، فأعطيناها ما اشترى به فخاً . فأضرم ناراً ، فجاء ابن له صغير ليصطلى ، فضربه ، فقال له والدى : لم ضربته ؟ فقال : يتعلم استغنام أموال الناس ، والضجر للبرد من الصغر . ثم لما جاء النوم قال لابنه : اعط هذا الشاب كساءك الغليظة يزيد لها على ثيابه . فدفع كساءه إلى . ثم لما قمنا عند الصباح وجدت الصبي منتبهاً ، ويده في الكساء ، فقلت ذلك لوالدى فقال : هذه مروآت أهل الأندلس ، وهذا احتياطهم أعطاك الكساء وفضلك على نفسه ، ثم أفكر في أنك غريب ، لا يعرف هل أنت ثقة أو لص ، فلم يطب له منام حتى يأخذ كساءه ، خوفاً من انفصالك بها وهو نائم . وعلى هذا الشيء الحقيق قفس الشيء الجليل .

انتهى كلام ابن سعيد في المغرب باختصار يسير . والله درّه ، فانه أبدع في هذا الكتاب ما شاء ، وقسمه إلى أقسام ، منها كتاب وثنى الطرس ، في حلى جزيرة الأندلس . وهو ينقسم إلى أربعة كتب : الكتاب الأول : كتاب حلى العرس ، في حلى غرب الأندلس . الكتاب الثانى كتاب الشفاء للعس ، في حلى موسطة الأندلس . الكتاب الثالث : كتاب الأنس ، في حلى شرق الأندلس . الكتاب الرابع كتاب لحظات المريب ، في ذكر ما حماء من الأندلس عبّاد الصليب .

والقسم الثانى كتاب الألحان المسلية في حلى جزيرة صقلية . وهو أيضاً ذو أنواع . والقسم الثالث : كتاب الغاية الأخيرة في حلى الارض الكبيرة . وهو

أيضاً ذوا أقسام . وصور رحمه الله تعالى أجزاء الأندلس في كتاب وثنى الطرس . وقال أيضاً : إن كلا من شرق الأندلس وغربها ووسطها يقرب في قدر المساحة بعضه من بعض ، وليس فيها جزء يجاوز طوله عشرة أيام ليصدق التثليث في القسمة ، وهذا دون ما بقى بأيدي النصارى . وقدم رحمه الله كتاب حلى العرس ، في حلى غرب الأندلس ، لكون قرطبة قطب الخلافة المروانية ، واشبيلية التي مافى الأندلس أجل منها فيه . وقسمه إلى سبعة كتب ، كل كتاب منها يحتوى على مملكة منحازة عن الأخرى . الكتاب الأول : كتاب الحلة الذهبية ، في حلى مملكة قرطبة . الكتاب الثانى : كتاب الذهبية الأصبالية ، في حلى المملكة الاشبيلية . الكتاب الثالث : كتاب خدع المائقة ، في حلى مملكة مائقة . الكتاب الرابع : كتاب الفردوس . في حلى مملكة بطايوس . الكتاب الخامس : كتاب الحلب ، في حلى مملكة حلب . الكتاب السادس : كتاب المدياجة ، في حلى مملكة باجة . الكتاب السابع : كتاب الرياض المنصورة ، في حلى مملكة اشبونة . وقد ذكر رحمه الله تعالى في كل قسم ما يليق به . وصور أحراره على ما ينبغى . فأنه يحازيه خيراً . والكلام في الأندلس طويل عريض .

وفى بعض المؤرخين : طول الأندلس ثلاثون يوماً ، وعرضها تسعة أيام ، ويشققها أربعون نهراً كبيراً ، وسبعمائة من العيون والحمامات والمعادن ، ولا يحصى ، وبها ثمانون مدينة من القواعد الكبار ، وأريد من ثمانية من المتوسطة ، وفيها من الحصون والقرى والبروج ما لا يحصى كثرة . حتى قيل إن عدد القرى التي على نهر اشبيلية اثنا عشر ألف قرية . وليس في معمور الأرض صقع يجد المسافر فيه ثلاث مدن وأربعاً من يومه إلا بالأندلس .

ومن بركاتها أن المسافر لا يسافر فيها فرسخين دون ماء أصلاً . وحيثما سار في الاقطار يجد الحوانيت في الغلات والصحارى والأودية ورؤس الجبال لبيع الخبز والفواكه والخبز واللحم والحوت وغير ذلك من ضروريات الأكل .

وذكر صاحب الجغرافيا أن جزيرة الأندلس مسيرة أربعين يوماً طويلاً ، في ثمانية عشر يوماً عرضاً ، وهو مخالف لما سبق . وقال ابن سيده : أخذت الأندلس في عرض الاقليمين الخامس والسادس من البحر الشامي في الجنوب ، إلى البحر المحيط في الشمال ، وبها من الجبال سبعة وثمانون جبلاً هـ . ولبعضهم :

لله أندلسٌ وما جمعت بها من كلِّ ما ضمت لها الأهواء
فكانت تلك الديار كواكبٌ وكأنما تلك البقاع سماء
وبكل قطرٍ جدولٌ في جنَّةٍ ولعت به الأفياء والأنداء
وقال آخر :

حبذا أندلسٌ من بلدٍ لم تنزل تُنتج لي كلَّ سرور
طائرٌ شاذٍ ، وظلٌّ وارِفٌ ومياهٌ سابحاتٌ في قصُور

وقال آخر :

يا حُسنَ أندلسٍ وما جمعت لنا فيها من الأوطارِ والأوطانِ
تلك الجزيرة لست أنسى حُسنها بتماقب الأحيانِ والأزمانِ
نَسجَ الربيعُ نَباتَها من سُندسٍ موشيةٍ ببدائعِ الألوانِ
وغدا النسيمُ بها عليلاً هانماً برُبوعِها ، وتلاطمُ البحرانِ
يا حُسنَها والطلُّ ينثر فوقها دُرراً خلالَ الوردِ والريحانِ
وسواعدُ الأنهار قد مُدت إلى نُدَمائها بشقائقِ النعمانِ
وتجاوبت فيها شواذِي طيرها والتفتُ الأغصانُ بالأغصانِ
ما زُرْتُها إلا وحياتي بها حدقُ البهارِ وأنملُ السَّوسانِ
من بعدُها ما أعجبتني بلدةٌ مع ما حلَّتْ به من البُلدانِ
وحكي بعضهم ان بالجامع في مدينة اقلش بلاطاً فيه جوائز منشورة

مستوية الاطراف ، طول الجائزة منها مائة شبر وأحد عشر شبرا . وفي الاندلس جل من شرب من مائه كثر عليه الاحتلام من غير ارادة ولا تفكر ، وفيها غير ذلك مما يطول ذكره . والله أعلم . انتهى .

ما قاله المسعودى فى مروج الذهب عن الاندلس

وصاحب الاندلس كان يدعى لذريق ، هذا كان اسم ملوك الاندلس ، وقد قيل انهم كانوا من الاسبان ، وعمة أمة من ولدي فث ابن نوح ، واتصلت هنالك ، والاشهر عند من سكن الاندلس من المسلمين ان لذريق كان من ملوك الاندلس الجلائقة ، وعمة نوح من الافريجة . وأخو اندريق الذى كان الاندلس قتله ^(١) طارق مولى موسى بن نصير حين افتتح بلاد الاندلس . ودخل الى مدينة طلمطلة ، وكانت قصبة الاندلس ودار ممسكتهم . ورشقها بهر عظيم يدعى تاجه ، يخرج من بلاد الجلائقة « والوسقيد » ^(٢) وهى أمة عظيمة . فله ملوك ، وعمة حرب لاهل الاندلس

(١) لا نعلم لماذا قال المسعودى ان أخا لذريق هو الذى قتله طارق بن زياد ، على حين أن الرواية المشهورة هي أن لذريق نفسه هو الذى قتل فى المعركة التى وقعت بين المسلمين والاسبانيون . وبها انهار ملك الغوط الاندلس . وقد جاء فى كتاب أخبار مجموعة ، الذى هو أول تاريخ الاندلس بعد أن انهزم لذريق - وفى أخبار مجموعة يقول رذريق ، وهى أقرب إلى الأصل - لم يدرك فى موقع ، إلا أن المسلمين وجدوا فرسه الأبيض ، وكان عليه سرج له من ذهب مكال بالياقوت والزمرد . ووجدوا حلة من ذهب مكال بالدر والياقوت . وقد ساق الفرس فى الطين . وفى السواح وقع فيه وغرق العليج . فلما أخرج رجله نبت الحف فى الطين ، والله أعلم . كان من أمره ، لم نسمع له خبر ، ولا واحد حياً ولا ميتاً . انتهى

وقد جاء فى بعض تواريخ الاسبان أن لذريق لم يقتل فى المعركة ، وأنه فر إلى شمالى اسبانية ، وبقى يقاتل المسلمين إلى أن مات . ولكن الرواية الغالبة هي أن لذريق قتل فى المعركة .

(٢) هذه اللفظة محرفة بالنسخ ولا شك بأن مراد المسعودى ، بها أمة الباسك أو

الباشكونس وكان يقال لهم قديماً Vaseongados

كالجلالقة والافرنجة . ويصب هذا النهر في البحر الرومى ^(١) وهو موصوف بأنه من أنهار العالم ، وعليه على بعد من طليطلة قنطرة عظيمة تدعى قنطرة السيف ، بنتها الملوك السالعة ، وهى من البنيان المذكور والموصوف ، أعجب من قنطرة سنجة ^(٢) من الثغر الجزرى ، مما يلى سميساط من بلاد سرحة .

ومدينة طليطلة ذات منعة ، وعليها أسوار منيعة ، وأهلها بعد أن فتحت وصارت لبني أمية قد كانوا عصوا على الأمويين ، فأقامت مدة سنين ممتنعة ، لا سبيل للامويين إليها فلما كان بعد الخمس عشرة وثلاثمائة ، فتحها عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، وعبد الرحمن هذا هو صاحب الأندلس فى هذا الوقت . ^(٣) وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، وقد كان غير كثير من بنيان هذه

(١) أخطأ المسعودى فى قوله أن نهر تاجه ينصب فى البحر الرومى ، والحقيقة أن مصبه فى المحيط الاطلانطيكى ، ولعله وقع منه سهو فحسب نهر تاجه هو نهر إبره الذى يمر بسرقسطة ، فان هذا ينصب فى البحر الرومى .

(٢) لعله أراد سنجار ، لأننا لا نعلم بلداً اسمه سنجة فى بلاد الجزيرة : وأما سنجار فهى منها وهى على نهر . ويوجد بلدة يقال لها سنجة ، والعجم تقول لها سنكة ولكنها ليست فى الثغر الجزرى ، بل فى خراسان ، ويقال لبلادها الغور . وقد كنا نقول لعل فى جملة الثغر الجزرى ، تصحيفا ، وحققنا أن تكون الثغر الجزرى ، نسبة إلى بحر الخزر ولكن ينفى ذلك قوله ، مما يلى سميساط ، والحال أن سميساط هى مدينة من الثغر الجزرى بالعجم . فأما بلاد سرحة ، فلم نجد لها ذكرا فى بلاد الجزيرة . وإما يوجد سرحة فى اليمن : فالصحيح أنها سرجة بنقطة وهى بقرب سميساط ، على شاطئ الفرات كما ذكر ياقوت فى معجم البلدان .

(٣) أهم شئ فى التاريخ ، وهو الذى يقرب الوقائع الى الذهن ، ويجعل القارىء كأنه يراها بعينه ، هو أن يكون المؤرخ معاصراً للأشخاص الذين يصفهم ، وللوقائع التى يرويها ، لا سيما إذا كانوا من الرجال المشهورين فى التاريخ ، أو كانت الوقائع

المدينة حين افتتحها . وصارت دار مملكة الاندلس قرطبة الى هذا الوقت .

ومن قرطبة الى مدينة طليطلة نحو من سبع مراحل ، ومن قرطبة الى البحر مسيرة نحو من ثلاثة أيام . ولهم على بحر تونس من الساحل مدينة يقال لها اشبيلية . وبلاد الاندلس مسيرة عمائرها ومدنها نحو من شهرين ، ولهم من المدن الموصوفة نحو من أربعين مدينة . وتدعى بنو أمية الخلائف ، ولا يخاطبون بالخلفاء ، لأن الخلافة لا يستحقها عندهم إلا من كان مالكا للحرمين ، غير أنه يخاطب بأمر المؤمنين^(١)

التي يتحدثون عنها من الحوادث التي اشتهر خبرها : فالمسعودي ، كابن حوقل ، كان معاصرا للخليفة العظيم عبد الرحمن الناصر وهو يكتب تاريخه هذا سنة ٣٣٢ ، إلى بعد أن خرج ابن حوقل في سياحته ، وبدأ بكتابه ، بسنة واحدة : والواقعة التي محص فيها المسلمون في زمان عبد الرحمن في بلاد الجلالة عند مدينة سمورة ، وذكر المسعودي وقوعها ستة سبع وعشرين وثلاثمائة . وقتل فيها من المسلمين أربعون ألفاً ، وقيل خمسون ألفاً هذه نفسها جاء خبرها في كتاب ، أخبار مجموعة ، ولكنه جعلها في عام ستة وعشرين وثلاثمائة . ولم يذكر عدد شهداء المسلمين فيها . وإنما قال لهم هزموا أقبح هزيمة واتبعهم العدو أياما يأبى ونهم وبقتلونهم في كل محلة فلم يكذب ينجو منهم إلا قوم جمعوا أصحابهم على الويتهم . وتخلصوا إلى بلدانهم . ثم إن المسعودي يذكر أن الثغر بين المسلمين والأفراج ستة ست وثلاثين وثلاثمائة ، كان طرطوشة ، على ساحل البحر الرومي ، ثم يذكر غارات المجوس على الاندلس .

ثم هناك نقطة ذات بال وهي أن من ملك الحرمين الشريفين يحق له أن يدعى الخلافة . وهي من النظريات التي كانت تدور في ذلك العصر ، ولا تزال إلى يوم الناس هذا .

(١) ستعلم أن عبد الرحمن الثالث الملقب بالناصر عاد فادى بنفسه خليفة . وأطلق عليه مسلمو الاندلس هذا اللقب ، وذلك بعد أن ضعف شأن الخلافة العباسية واستبد بهم الأعاجم ، وتصدعت وحدة المملكة العربية . فرأى عبد الرحمن نفسه جديرا بالخلافة ، ولم يكن ذلك أحد . لانه كان أعظم ملوك عصره في عالمي الاسلام والنصرانية وسار على خطه ابيه الحكم الملقب بالمستنصر ، ولكن خاف من بعدهما خاف أضعافا الخلافة . وكان ذلك مبدء ضياع الاندلس .

وقد كان عبد الرحمن بن معاوية ، أو هشام بن عبد الملك بن مروان سار إلى الأندلس في سنة تسع وثلاثين ومائة ، فملكها ثلاثاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر . ثم هلك فملكها ابنه هشام بن عبد الرحمن سبع سنين . ثم ملكها ابنه الحكم بن هشام نحواً من عشرين سنة ، وولده ولانها إلى اليوم ، على ما ذكرنا أن صاحبها عبد الرحمن ابن محمد . وولى عبد الرحمن في هذا الوقت فتاه الحكم ، وكان أحسن الناس سيرة وأجملهم عدلاً . وقد كان عبد الرحمن صاحب الأندلس في هذا الوقت المقدم ذكره غزاً سنة سبع وعشرين وثلثمائة في أزيد من مائة ألف فارس من الناس ، فنزل على دار مملكة الجلالة ، وهي مدينة يقال لها سمورة ، عليها سبعة أسوار من عجيب البنيان ، قد أحكمتها الملوك السالفة ، بين الأسوار فصلان وخنادق ، ومياه واسعة ، فافتتح منها سورين ، ثم اسأهلها ثاروا على المسلمين ، فقتلوا منهم ، ممن أدرك الاحصاء ، ومن عرف ، أربعين ألفاً ، وقيل خمسين ألفاً . وكانت للجلالة والوسكيد على المسلمين وآخر ما كان بأيدي المسلمين من مدن الأندلس وثغورها مما يلي الأفرنجية مدينة أربونة ، خرجت عن أيدي المسلمين من مدائن الألس وثغورها سنة ثلاثين وثلثمائة ، مع غيرها مما كان في أيديهم من المدن والحصون . وبقى ثغر المسلمين في هذا الوقت ، وهو سنة ست وثلاثين وثلثمائة من شرقي الأندلس ، طرطوشة ، وعلى ساحل بحر الروم مما يلي طرطوشة آخذاً في الشمال « افراغة »^(١) على نهر عظيم ، ثم لاردة . ثم بلغني عن هذه الثغور أنها تلاقى الأفرنجية وهي أضيق مواضع الأندلس . وقد كان قبل الثلثمائة ورد إلى الأندلس مراكب في البحر فيها ألوف من الناس أغارت على سواحلهم ، زعم أهل الأندلس أنهم ناس من المجوس^(٢) ، تطراً إليهم في هذا البحر في كل مائتين

(١) Fraguas ومن عادة العرب أن يجعلوا ألفاً قبل الاسم حتى لا يبدأوا بالساكن وقد قيل في طرابلس اطرابلس وفي غرناطة اغرناطة وفي فراغة افراغة ولها نظائر .

(٢) هؤلاء هم النورمنديون وكانوا وقتئذ مجوساً

من السنين ، وأن وصولهم إلى بلادهم من خليج يعترض من بحر أوقيانوس ، وليس بالخليج الذى عليه المنارة النحاس . وأرى ، والله أعلم ، أن هذا الخليج متصل ببحر مانطش ^(١) ونيطش ، وأن هذه الأمة هم الروس الذين قدمنا ذكرهم فى ماسلف من هذا الكتاب ، إذ كان لا يقطع هذه البحار المتصلة ببحر أوقيانوس غيرهم

قول القلقشندى فى صبح الأعشى عن الأندلس

قال فى الجزء الخامس تحت عنوان « المملكة السادسة من ممالك بلاد المغرب جزيرة الأندلس » قال فى تقويم البلدان : وجزيرة الأندلس على شكل مثلث : ركن جنوبى غرى . وهناك جزيرة فادس ، وفم بحر الزقاق . وركن شرقى ، بين طر كونة ، وبين برشلونة ، وهى فى جنوبيه ، وبالقرب من بلنسية وطرطوشة وجزيرة ميورقة . وركن شمالى بميلة إلى البحر المحيط . حيث الطول عشر درجات ودقائق ، والعرض ثمان وأربعون . وهناك بالقرب من الركن المذكور مدينة شنتياقوه ، وهى على البحر المحيط فى شمالى الأندلس وعربيه . قال : والضلع الأول من الركن الجنوبي الغربى - وهو عند جزيرة فادس - إلى الركن الشرقى الذى عند ميورقة ، وهذا الضلع هو ساحل الأندلس الجنوبى الممتد على بحر الزقاق . والضلع الثانى من الركن الشرقى المذكور إلى الركن الشمالى الذى عند شنتياقوه . وهذا الضلع هو حد الأندلس الشمالى ، ويمتد على الجبل المعروف بجبل البرت ^(٢) ، الحاجز بين الأندلس وبين أرض تعرف بالأرض الكبيرة . وعلى ساحل الأندلس الممتد على بحر برديل . والضلع الثالث من الركن الشمالى المذكور إلى الركن الجنوبى المقدم الذكر ، وهذا الضلع هو ساحل الأندلس الغربى الممتد على البحر المحيط .

(١) La Manche

(٢) وربما قال العرب البرتات ، وهى لفظة افرنجية معناها الأبواب وهذا الجبل هو البرانس أو البيرانة .

قال ابن سعيد : قال الحجاجي : وطول الأندلس من جبل البرت الفاصل بين الأندلس والأرض الكبيرة ، وهو نهاية الأندلس الشرقية إلى اشبونة ، وهي في نهاية الأندلس الغربية ، ألف ميل . وعرض وسطه ، من بحر الزقاق إلى البحر المحيط ، عند طليطلة وجبل البرت ، ستة عشر يوماً . قال في تقويم البلدان : وقد قيل : إن طوله غرباً وشرقاً من اشبونة ، وهي في غرب الأندلس إلى أربونة ، وهي في شرق الأندلس ، مسيرة ستين يوماً ، وقيل : شهر ونصف . وقيل : شهر . قال : وهو الأصح .

واعلم أن جبل البرت المقدم ذكره متصل من بحر الزقاق إلى البحر المحيط ، وطوله أربعون ميلاً ، وفيه أبواب فتحها الأوائل ، حتى صار للأندلس طريق في البر من الأرض الكبيرة ، وقبل فتحها لم يكن للأندلس من الأرض الكبيرة طريق . وفي وسط الأندلس جبل ممتد من الشرق إلى الغرب ، يقال له جبل الشارة ، يقسمه بنصفين : نصف جنوبي ونصف شمالي اه . ثم ذكر القلقشندي أهم حواضر الأندلس وسنأثر عنه ما نجد جديراً بالنقل ، وذلك عند وصولنا إليها .

ماقاله ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب

في سنة أربع وثمانين افتتح موسى بن نصير أوردية من المغرب ، وبلغ عدد السبي خمسين ألفاً . اه . سمي الأندلس أوردية ، من باب تسمية البعض باسم الكل وذكر في حوادث سنة ٨٧ فتح سردانية من المغرب . وفي حوادث ٨٩ فتح جزيرتي ميورقة ومنورقة . وقال عن حوادث ٩٢ : فيها افتتح إقليم الأندلس على يد طارق مولى موسى بن نصير ، وتم موسى فتحه في ثلاث سنوات . وذكر في حوادث سنة ١٧٢ موت صاحب الأندلس أبي المطرف عبد الرحمن بن معاوية بن الخليفة هشام بن عبد الملك الأموي الدمشقي المعروف بالداخل وقال إنه : فرّ إلى المغرب عند زوال دولتهم ، فقامت معه اليانية ، وحارب يوسف الفهري ، متولى

الأندلس ، وهزمه ، وملك قرطبة في يوم الأضحى سنة ثمان وثلاثين ومائة .
وامتدت أيامه ، وكان عالماً ، حسن السيرة ، وعاش اثنتين وستين سنة . وولى بعده
ابنه هشام ، وبقيت الأندلس لعقبه إلى حدود الأربعمئة النخ .

قول المقدسى في جغرافيته الشهيرة المسماة

« أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم »

ذكر المقدسى الأندلس في جملة إقليم المغرب ، بدأ بإفريقية ، أى مملكة تونس
الحاضرة ، وتقدم إلى المغرب الأوسط ، وكان يسمى في ذلك اوقت إقليم تاهرت
ثم تقدم إلى سجلماسة ، وفاس ، والسوس الأقصى . ثم ذكر جزيرة صقلية ، وبعد
أن عدد مدنها بدأ بالأندلس فقال : وأما الأندلس فنظيرها هيطل من جانب
المشرق ، غير أننا لم نقف على نواحيها فنكورها ، ولم ندخلها فنقسمها . ويقال لها
الف ميل . وقال ابن خرداذبة : الأندلس أربعون مدينة ، يعني المشهور منها ،
لأن أحداً لم يسبقنا إلى تفصيل الكور ، ووضع القصبات ، فبعض المدن التى ذكر
هى قصبات ، على قياس مارتينا .

وسألت بعض العقلاء منهم عن الرساتيق المحيطة بقرطبة ، والمنسوبة اليها والمدن
فقال : انا نسمى الرساتاق اقليماً ، فالأقاليم المحيطة بقرطبة ثلاثة عشر مع مدنها ، فذكر
« أَرْجُونَة » « قَسْطَلَة » « شَوَذَر » « مَارْتُس » « قَنْبَاش » « فِجْ ابن لَقِيط »
« بِلَاط مَرَّوان » « حَصْن بُلْسَكُونَة » « الشفيدة » « وادى عبد الله » « قَرْسَيس »
« المائدة » « جِيَّان » - وعلى ما دل آخر الاسم هى ناحية مدنها الجفر - « تَيْغُو »
« مَارْتُس » « قانت » « غَرْبانَة » « مَنَدَيْشَة » « بَيَّاسَة » وسائر مدن اندلس
المذكورة « طَرْطُوشَة » « بَلَنْسِيَة » « مَرْسِيَة » « بَنَجَانَة » « مَالِقَة » « جزيرة
جبل طارق » « شَذْنَة » « إشبيلية » « أُخْشَنْبَة » « مَرْبَة » « شَنْتَرِين » « بَاجَة »

« لَبْلَةٌ » « قَرْمُونَةٌ » « مَوْزُورٌ » « إِسْتِجَّةٌ » .

ثم عاد بعد قليل فذكر الأندلس بشيء من التفصيل فقال : قرطبة هي مصر الأندلس سمعت بعض العثمانية يقول : هي أجلُّ من بغداد . في صحراء يطل عليها جبل ، ولها مدينة جَوَانِيَّةٌ ، وربض الجامع في المدينة وأسواق . وأغلب الأسواق ودار السلطان في الربض . قدامها واد عظيم ، سطوحهم قراميد . الجامع من حجر وجير . وسواريه رخام . حواليه مياض .

وللمدينة خمسة ابواب : باب الحديد ، باب العطارين ، باب القنطرة ، باب اليهود ، عامر . وقد دلت الدلائل ، وانفقت الآراء على انه مصر جليل ، رفق طيب ، وان ثم عدلا ، ونظراً ، وسياسة ، وطيبة ، ونما ظاهرة ، ودينياً ، وان ناحية الأندلس على سجية « هيطل » ^(٢) ابدأ ثم غزاة ، ابدأ في جهاد ونفير ^(١) مع علم كثير ، وسلطان خطير ، وخصائص ، وتجارات ، وفوائد .

وحدثني بعض الأندلسيين انها ثلاثة عشر رستاقا على خمسة عشر ميلا « أَرْجُونَةٌ » مسورة ، ليس لها بساتين وأشجار ، لكنها بلد الحبوب ، ولهم عيون ، ومزارعهم على المطر ، و « قَطْلَةٌ » على ثلاثة عشر ميلا من أَرْجُونَةٍ ، وهي في سهلة كثيرة الأشجار والزيتون والكرمات ، ومشاربهم من آبار ، ويسقون البساتين بالسواني . و « شَوَذَرٌ » على ثمانية عشر ميلا من قرطبة ، وهي في سهلة كثيرة الزيتون جداً ، شربهم من أعين ، « مَارْتُشٌ » على خمسة عشر ميلا من قرطبة ، وهي جبلية ، ليس لها غير الكرمات ، ولهم أعين . و « قَنْبَانُشٌ » على خمسة عشر ميلا ، وهي سهلية ، ذات مزارع أكثرها بموضع يقال له « قَنْبَانِيَّةٌ » مشاربهم من آبار . و « فِج ابن لقيط » على خمسة وعشرين ميلا في سهلة كثيرة المزارع ، شربهم من آبار . و « بِلَاطٌ مَرْوَانٌ » على ثلاثين ميلا ، لها واد جرّار ، سهلية ، ذات مزارع . و « بُرْيَانَةٌ » ذات

(١) هذا خلاف ما زعمه ابن حوقل . والصحيح في هذا المقام هو كلام المقدسي

(٢) يقال هيطل لبلاد ما وراء النهر : بخارى وسمرقند وما جاورهما

مزارع سهلية ، شربهم من آبار ، وفيها حصن من حجارة ، والرّبع حوله ، والجامع في الحصن ، والأسواق في الرّبع . وحصن « بُلْكُوْتَة » كثير الزيتون والأشجار ، والعيون ، مسورة بحجارة ، شربهم من عين واحدة وآبار ، على أربعين ميلا من قرطبة ، و « الشنيدة » على جبل ، كثيرة السكروم والمرايع والعنب ، شربهم من أعين وآبار ، على يومين من قرطبة ، المنزل فج ابن لقيط . و « وادي عبد الله » من نحو القبلة ، على أربعين ميلا من قرطبة . المنزل « وادي الرّثمان » سهلية ذات مزارع وأنهار وأشجار . و « قرسيس » على ستين ميلا من قرطبة . سهلية كثيرة التين والأعنان والزيتون الكبير . شربهم من أعين و « جيان » على خمسين ميلا من قرطبة . اسم الرستاق « أولبة » ومدينة جيان على جبل ، كثيرة الأعين ، قد خرب حصنها ، غير أنها منيعة بالجبل . بها اثنتا عشرة عيناً ، ثلاث عليها أرحية ، تقوم بالأندلس ، ومن ثم ميرة قرطبة وثمارها كثيرة ، وصِفَ ماشئت من طيها ورُحبها ، فإنها جنة الأندلس على ما حكى لي . ودل آخر الاسم على أنها ناحية بذيانهم بالحجارة ، باردة كثيرة الرياح ، وبكورتها حرّ ، هي في عداد النواحي قياساً على مارتندا . ومدّها الجفر^(١) ، على الجبل ، كثيرة الأودية والأرحية ، على عشرة أميال من جيان ، كلها أشجار وثمار ، وزيتون وأعنان ، على واد تجمع الفواكه . و « بَيْفُو » وهي جبلية لها أودية تخر منها عيون تدير الأرحية ، كثيرة التوت والزيتون والتين . و « مارتش » مسورة على جبل ، شربهم من أعين . كثيرة التين والزيتون والسكروم . « فانت » مسورة في قنباية . لا بساتين لها زاكية . و « غرناطة » على واد به منية ، طوله ثلاثة عشر ميلا للسلطان ، فيه من كل الثمار حسن عجيب ، سهاية كثيرة المزارع . قلت : وما المنية ؟ قل البستان^(٢) . « مَنْتِيْشَة » مسورة على واد

(١) كذا ولم يظهر لنا مراد المؤلف هنا إلا أن يكون ثمة تحريف

(٢) تقدم لنا ذكر لفظة المنية وماذا كانوا يعنون بها ، وهذا نص يؤيد ما ذكرناه

وهو أن المنية المتزّه أو البستان

كثيرة الزيتون والتين سهلية . و « يباسة » مسورة في جبل ، بناؤهم طين ، وشربهم من أعين ، كثيرة التين والسكرمات . قلت : هل تبقى لقرطبة غير هذه الرساتيق والمدن ؟ قال : لا . قلت : فاشبيلية وبجانة . . . وذكرت عدة من البلدان . قال : هذه نواح لها أقاليم ، كما تقول : القيروان وتاهرت وسجلماسة وهم يسمون الرستاق اقليما . فعلت أنها كور على قياسنا ، وأنها إن لم تكن أجل من كور هيطل فليست بأقل منها فيحصل القول ، وثبتت الدلائل ، على أن مثل المغرب كمثل المشرق ، كل واحد منهما جانبان : فكما أن المشرق خراسان وهيطل يفصل بينهما جيحون ، فكذلك المغرب والأندلس يفصل بينهما بحر الروم .

غير أنا نعجز عن تكوير الأندلس ، فتركناها على الجملة ، ووصفنا كورة قرطبة لما كثر الخبر ون عنها ، واتضح عندنا أمرها . وعرضت كتابي على شيخ من مشايخهم فقال : على هذا القياس يجب أن تكون الأندلس ثمانى عشرة كورة ، فعدت بجانة ، مالقة ، بلنسية ، تدمير ، مرقوسة ^(١) ، يابسة ، وادي الحجارة ، تطيلة ، وشقة ، مدينة سالم . طليطلة ، إشبيلية ، بطاليوس ، باجة ، قرطبة ، شذونة ، الجزيرة الخضراء وسألت آخر فقال : صدق ، وزاد ليرة ، خشنبة . ويجوز أن يكون بعض هذه البلدان نواحي ، قياساً على يلاق وكش والصفانيان . والله أعلم بالصواب .

ثم ذكر المقدسى جل شؤون هذا الاقليم فقال : هو اقليم جليل كبير طويل يوجد فيه أكثر ما يوجد في سائر الاقاليم ، مع الرخص ، كثير النخيل والزيتون ، به مواضع الحر ، ومعادن البرد ، كثير اليهود ، جيد الهواء والماء .

فأما الحر فانك تجده من مصر الى السوس الاقصى ، إلا في مواضع ، فان بها جبلاً وبلدات باردة ، والغالب على الأندلس البرد ، كثير المجذمين ، والخصيان ، والثقلاء ، والبخلاء ، قليل القصاص ، رفق ، يحبون العلم وأهله ، ويكثرون التجارات والتغرب .

(١) يعنى سرقسطة وهو أقرب إلى لفظ الاسبانيول بها

وأما المذاهب فعلى ثلاثة أقسام : أما فى الاندلس فذهب مالك وقراءة نافع .
 وهم يقولون : لا نعرف إلا كتاب الله وموطأ مالك . فان ظهروا على حنفى أو شافعى
 نفوه ، وان عثروا على معتزلى أو شيعى ونحوهما ربما قتلوه . وبسائر المغرب الى مصر
 لا يعرفون مذهب الشافعى (رحه) انما هو ابو حنيفة ومالك (رحهما) . وكنت
 يوماً اذا كر بعضهم فى مسألة فذكرت قول الشافعى (رحه) فقال : اسكت ! من هو
 الشافعى ؟ انما كانا بحرين : ابو حنيفة لأهل المشرق ، ومالك لأهل المغرب ، افتركما
 ونشتغل بالساقية ؟ ورأيت أصحاب مالك (رحه) يبغضون الشافعى قالوا : أخذ العلم
 عن مالك ثم خالفه .

وما رأيت فريقين أحسن اتفاقاً وأقل تعصباً منهم ، وسمعتهم يحكون عن
 قدمائهم فى ذلك حكايات عجيبية ، حتى قالوا انه كان الحاكم سنة حنفى ، وسنة مالكى .
 قلت : وكيف وقع مذهب أبى حنيفة (رحه) اليكم ولم يكن على سابلكم ؟ قالوا : لما
 قدم وهب بن وهب من عند مالك (رحه) وقد حاز من العلوم والفقه ما حاز استنكف
 أسد بن عبد الله أن يدرس عليه ، لجلالته وكبر نفسه ، فرحل إلى المدينة ليدرس
 على مالك ، فوجده عليلًا ، فلما طال مقامه عنده قال له : ارجع إلى ابن وهب فقد
 أودعته علمى وكفيتكم به الرحلة ، فصعب ذلك على أسد ، وسأل : هل يعرف للمالك
 نظير ؟ فقالوا : قى بالكوفة يقال له محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة . قالوا : فرحل
 اليه وأقبل عليه محمد اقبالاً لم يقبله على أحد ، ورأى فهمًا وحرصًا ، فرقه الفقه زقًا ، فلما
 علم أنه قد استقل وبلغ مراده فيه ، سيبه إلى المغرب ، فلما دخلها اختلف اليه الفتيان ،
 ورأوا فروعا حيرتهم ، ودقائق أعجبتهم ، ومساائل ما طنت على أذن بن وهب وتخرج به
 الخلق ، وفشا مذهب أبى حنيفة (رحه) بالمغرب قلت : فلم لم يفش بالاندلس ؟ قالوا
 لم يكن بالاندلس أقل منه ههنا ، ولكن تناظر الفريقان يوماً بين يدي السلطان فقال
 لهم : من أين كان أبو حنيفة ؟ قالوا : من الكوفة . فقال : مالك ؟ قالوا : من المدينة .
 قال : عالم دار الهجرة يكفيننا ؟ فأمر بإخراج أصحاب أبى حنيفة . وقال : لا أحب أن

يكون في على مذهبان . وسمعت هذه الحكايات من عدة من مشايخ الأندلس والقسم الثالث مذاهب الفاطمية ، وهى على ثلاثة أقسام : أحدها ما قد اختلف فيه الأئمة مثل القنوت في الفجر ، والجهر باليسجلة ، والوتر بركعة ، وما أشبه ذلك . والثانى الرجوع إلى ما كان عليه السلف ، مثل الإقامة مثنى التى ردها بنو أمية الى واحدة ، ومثل لبس البياض الذى رده بنو العباس إلى السواد ، والثالث ما تفرّد به مما لا يخالف الأئمة ، وإن لم يعرف له قدمة ، مثل الخيعة في الآذان ، وجعل أول الشهر يوماً يرى فيه الهلال ، وصلاة الكسوف بخمس ركعات وسجدين في كل ركعة وهذه مذاهب الشيعة ، ولهم تصانيف يدرسونها .

ونظرت في كتاب « الدعائم » فإذا هم يوافقون المعتزلة في أكثر الأصول ويقولون بمذهب الإسماعيلية . ولهم فيه سر لا يعلمونه ولا يأخذونه على كل أحد ، إلا من وثقوا به ، بعد أن يحلفوه ويماهدوه . وإنما سموا باطنية لانهم يصرفون ظاهر القرآن إلى بواطن ، وتفاسير غريبة ، ومعان دقيقة . وهذه الأصول مذاهب الأدرسية وغلبتهم بكورة السوس الاقصى ، وهى قريبة من مذاهب القرامطة .

وأهل المغرب والمشرق في مذاهب الفاطمية على ثلاثة أقسام : منهم من أقرّ بها واعتقدها . ومنهم من كفر بها وأنكرها . ومنهم من جعلها في اختلاف الأمة . وأكثر أهل اصقاية حنفيتون . وقرأت في كتاب صنفه بعض مشايخ الكرامية بنيسابور أن بالمغرب سبعة خاتقاه لهم ، فقلت لا والله ولا واحدة !

وأما القراءات في جميع الاقليم فقراءة نافع حسب الرسوم ، لا يشهد في هذه الأقاليم الستة إلا معدّل ، وحضرنا يوماً^(١) ملاكا فأمرنى أبو الطيب حمدان أن أكتب شهادتى ، فهنّيت بذلك ، ولا يأخذون الميت إلا من الرأس أو الرجلين ، ويصلون كل ترويجة ويجلسون ، ولا يسلخون الأغنام إذا شووها ، ويدخلون

(١) الملاك : الزواج

الحمامات بلا مآزر إلا القليل ، و بالمغرب رسومهم مصرية ، إلا أنهم قل ما يتطلّسون وكثيراً ما يجعلون الرداء بطاقيّن ثم يطرحونه على ظهورهم مثل العباة ، أصحاب قلانس مصبّغة ، والبربر بيرانس سود ، وأهل الرساتيق باكسية ، والسوقة بمناديل ، والتجار يركبون أحمر مصرية وبنالا ، وكل مصاحفهم ودفاترهم مكتوبة في رقوق ، وأهل الاندلس أحذق الناس في الوراق ، خطوطهم مدورة ، وبه تجارات تحمل من برقة ثياب الصوف والاكسية ، ومن اصقلية الثياب المقصورة الجيدة ، ومن افريقية الزيت والفتق ، والزعفران ، واللوز ، والبرقوق ، والمزود ، والانطاع والقرب ، ومن فاس التمر ، وجميع ما ذكرنا ، ومن الاندلس بز كثير ، وخصائص ومجائب ، ومن خصائص الاقليم المرجان ، يخرج من جزيرة في البحر اسم مدينتها مرسى الحرز ، يدخل إليها في طريق دقيق كالهدية ، من بحرها يرتفع القرن ، وهو المرجان ، لا معدن له غيرها . وهى جبال في البحر ، يخرجون إلى جمعه في قوارب ، ومعهم صلبان من خشب قد لفوا عليها شيئاً من الكتان المحلول ، وربطوا في كل صليب حبلين ، يأخذها رجلان ، فيرميان بالصليب . ويدير النواتى القارب ، فيتعاق بالقرن ثم يجذبونه ، فنههم من يخرج عشرة آلاف إلى عشرة دراهم . ثم يجلى في أسواق لهم ، ويداع جزافا رخيصاً ، ولا اشراق له قبل جايه ولا لون . وبتطيلة سمور كثير ^(١) .

وبالاندلس السفن ^(٢) الذى يتخذ منه مقابض السيوف . ويقع اليهم من البحر المحيط عنبر كثير في وقت من السنة ، ويرتفع من اصقلية نواذر كثير ابيض . وسمعت انه قد انقطع معدنه ، واستغنى عنه أهل مصر بدخان الحمامات .

وأما الارطال فكانت بغدادية في الاقليم كله ، إلا الذى يوزن به الفلفل ، فانه يشف على البغدادى بعشرة دراهم . والآن هو المستعمل في أعمال الفاطمى بالمغرب كله . والمكايل قفيز القيروان اثنان وثلاثون ثمناً ، واثنان ستة أمداد بمدّ النبى

(١) المشهور أنه بسرقسطة ولكن تطيلة هى من عملها

(٢) السفن محرّكة جلد أخش كجلود التماسيح يجعل على قوائم السيوف

صلى الله عليه وسلم . وقفيز الاندلس ستون رطلا ، والربيع ثمانية عشر رطلا . وفنيقة نصف القفيز . ومكايل الفاطمي الدوّار ، وهي التي تشفّ على وية مصر بشى . يسير قد أجم رأسها بعارضة من حديد ، وأقيم عمود من قاعها الى العارضة فوقه حديد يدور على رأس الوية ، فاذا اترعها أدار الحديد ، فمسحت فم الوية ، وصح الكيل . وأرطاله رصاص على كل رطل اسم أمير المؤمنين ، فان اجتمعت أرطال بموضع واحد بسيط صّبّها ، وطبع على كل رطل ، ولو كانت عشرة .

وأما نقوده في جميع أعماله الى أقصى دمشق فالدينار ، يزلّ عن المثقال بحبة ، أغنى شعيرة ، والسكة مدوّرة الكتابة . وله ربع صغير يؤخذان بالعدد . والدرهم أيضا زالّ له نصف يسمونه القيراط ، وربع ، وثمان ، ونصف ثمن ، يسمونه الخرنوبة ، يؤخذ الجميع بالعدد . ولا يرخصون في المعاملة بالقطع ، وسنجهم^(١) من زجاج مطبوع ، كما ذكرنا من الارطال . ورطل مدينة تونس اثنتا عشرة أوقية ، والوقية اثنا عشر درهماً .

والعجائب بهذا الاقليم كثيرة ، منها ابو قلدون ، وهي دابة تحتك بحجارة على شط البحر فيقع منها وبرها ، وهو في لين الخز ، لونه لون الذهب ، لا يفادر منه شيئاً ، وهو عزيز الوجود ، فيجمع وينسج منه ثياب تتلون في اليوم ألواناً ، ويمنع السلطان من حمل ذلك الى البلدان ، إلا ما يخفى عنهم ، ربما بلغ الثوب عشرة آلاف دينار . بأصقلية جبل تغور منه النار أربعة أشهر ، في كل عشر سنين مرة ، وسائر الاوقات يدخن ، وحوله ثلوج متلبدة ، إلا موضع الدخان .

بمدينة « إيكيجا » عيون تخرج أوقات الصلاة ثم تغور . فان قصدها رجل كان قد قتل نفساً بغير حق لم يخرج له شى .

فان قال قائل : إنك تركت كثيراً من العجائب في هذا الاقليم لم تذكرها . قيل له : إنما تركنا ما ذكره من قبلنا في تصانيفهم . ومن مفاخر كتابنا الاعراض

(١) جمع سنجة وهي ما يوزن به كالأوقية والرطل

عما ذكره غيرنا . وأوحش شئ ، في كتبهم ضد ما ذكرنا . ألا ترى أنك إذا نظرت في كتاب الجبهاني وجدته قد احتوى على جميع أصل ابن خرداذبه ، وبناء عليه ، وإذا نظرت في كتاب ابن الفقيه ، فكأنما أنت ناظر في كتاب الجاحظ والزيج الأعظم ، وإذا نظرت في كتابنا وجدته يستيع وحده يتما في نظمه . ولو وجدنا رخصة في ترك جمع هذا الأصل ما اشتغلنا به ، ولكن لما بلغنا الله تعالى أقاصي الاسلام ، وأرانا أسبابه ، وألهمنا قسمته ، وجب أن ننهي ذلك إلى كافة المسلمين . ألا ترى إلى قوله تعالى : (قل سيروا في الأرض) (أفلم يسيروا في الأرض فينظروا) وفيما نذكر عبرة لمن اعتبر وفوائد لمن سافر .

مما قاله عن الاندلس لسان الدين بن الخطيب

وقال لسان الدين بن الخطيب السلماني عن مملكة غرناطة ، وقوله هذا في الاحوال الاجتماعية يصدق على جميع الأندلس : أحوال أهل هذا القطر في الدين ، وصالح العقائد أحوال سنة ، والنحل فيهم معروفة ، فذاهبهم على مذهب مالك بن أنس إمام دار الهجرة جارية . وطاعتهم للأمراء محكمة . وأخلاقهم في احتمال المعاون الجبائية جميلة . وصورهم حسنة . وأنوفهم معتدلة غير حادة . وشعورهم سود مرسلات . وقدودهم متوسطة معتدلة ، إلى القصر . وألوانهم زهر مشربة بحمرة . وألسنتهم فصيحة عربية يتخللها أعراب كثير ، وتغلب عليهم الامالة ^(١) وأخلاقهم أبيّة في معاني المنازعات . وأنسابهم عربية ، وفيهم من البربر والمهاجرة كثير . ولباسهم الغالب على طرقاتهم الفاشي بينهم الملف المصبوغ شقاء ، وتفاضل أجناس البر بتفاضل الجدة والمقدار والسكتان والحرير والقطن والموعر والاردية الافريقية والمقاطع التونسية والمآزر المشقوقة صيفا ، فتبصرهم في المساجد أيام الجمع كأنهم الأزهار المفتحة في البطاح الكريمة ، تحت

(١) عرب الأندلس كانوا يتكلمون بالامالة ، وسنأتي بأمثال من ذلك عدد

الاهوية المعتدلة . أنسابهم حسبما يظهر من الاشتراءات والبياعات السلطانية والاجازات
عربية يكثر فيها القرشي^(١) . والفهري^(٢) . والأموي^(٣) . والانصارى^(٤) .
والاوسى^(٥) . والخزرجى^(٦) . والقحطاني^(٧) . والحجيرى^(٨) . والمخزومى^(٩) .

(١) قرشه : جمعه من مهنا وههنا وضم بعضه إلى بعض . قال الفراء : ومنه قریش القبيلة
وأبوهم النضر ابن كنانة بن خزيمه بن مدركة بن الياس بن مضر فكل من كان من ولد
النضر فهو قرشى دون ولد كنانة ومن فوقه كذا فى الصحاح . قال الزيدى فى تاج
العروس : قلت وعند أئمة النسب كل من لم يلد فهر فليس بقرشى ، قاله ابن السكبي ،
وهو المرجوع إليه فى هذا الشأن . وقيل سميت قریش بهذا الاسم حين غلب عليها قصى
ابن كلاب ، وكان يقال : تقرش القوم إذا اجتمعوا ، وكان قصى يسمى بجمعاً لجمعه
قریش بالرحلتين ، وقيل لأنهم كانوا يتقرشون البياعات فيشترونها ، أولان النضر بن كنانة
اجتمع فى ثوبه يوماً فقالوا تقرش . أولانه جاء إلى قومه يوماً فقالوا كأنه جل قریش
أى شديد . أو سموا قریش بمصغر القرش ، وهى دابة بحرية سيدة دواب البحر
وبذلك قریش سادات الناس جاهلية واسلاماً ، وقيل سموا بذلك لأنهم كانوا أهل
تجاره ، لا أصحاب زرع وضرع ، من قولهم فلان يتقرش المال ، والنسبة إلى قریش
قرشى ونادراً يقال قریشى

- (٢) هو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة وقریش كلهم ينسبون إليه
(٣) نسبة إلى بنى أمية ، وهما اميتان الأكبر والأصغر ابنا عبد شمس بن عبد
مناف من قریش ، والنسبة اليهم أموى بضم ففتح وأموى بالتحريك على التخفيف
(٤) نسبة إلى أنصار الرسول عليه السلام
(٥) نسبة إلى الأوس وهو أوس بن قيلة أخو الخزرج
(٦) نسبة إلى الخزرج وكان الخزرج والأوس أخوين ، وهما ابنا قيلة ، وهى
أمهما ، وأبوها حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء بن حارثة
الغطريف بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد من عرب اليمن
(٧) نسبة إلى قحطان أبو عرب اليمن ، وقالوا فى نسبه قحطان بن عابر بن شالح
ابن أرغشذ بن سام بن نوح عليه السلام
(٨) نسبة إلى حمير وهو ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان
(٩) نسبة إلى مخزوم وهو ابن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب وأولاده

والتنوخى (١) . والفستاني (٢) . والازدى (٣) . والقيسي (٤) . والمعافى (٥) .
والكناني (٦) . والتميمي (٧) . والهذلي (٨) . والبكري (٩) . والسكلابي (١٠) . والنمري (١١) .

حتى من قريش ومخزوم أيضاً قبيلة من عبس وهو بن مالك بن غالب بن قطيعة
ابن عبس

(١) نسبة إلى تنوخ كصبور قبيلة من اليمن ، قيل إنهم عدة قبائل اجتمعوا وتحالفوا
وقيل تنوخ ونمر وكتب ثلاثهم إخوة

(٢) نسبة إلى غسان كشداد وهو ماء نزل عليه قوم من الازد بين رمع وزيد
من اليمن ، فسموا به وهم بنو مازن بن الازد بن الغوث من عرب اليمن

(٣) نسبة إلى الازد وهو الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن كهلان بن سبأ ،
ويقال ازد شنوثة وأزد عمان وأزد السراة واستدرك الزيدى على صاحب القاموس
أزد بن عمران بن عمرو بن عامر ، وقالوا ان الازد افترقوا على سبع وعشرين قبيلة

(٤) نسبة إلى قيس عيلان وهو أخو الياس الذي هو خندف ، وكلاهما ولد مضر
وقد غلب هذا الاسم على العرب العدنانية ، فالتاس يقولون قيس ويمن

(٥) نسبة إلى معافر حتى من همدان من عرب اليمن
(٦) نسبة إلى كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر وهم خمس قبائل
بنو عبد مناة بن كنانة ، وبنو عمرو بن كنانة ، وبنو عامر بن كنانة ، وبنو ملكان
ابن كنانة ، وبنو مالك بن كنانة ، ثم بنو كنانة قبيلة أخرى في تغلب بن وائل ،
وقبيلة من كلب منهم خلف بن حامد الكناني من قضاة الأندلس

(٧) تميم كأثير ابن مرة بن أد بن طابخة أبو قبيلة من مضر مشهورة
(٨) هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر حتى من مضر

(٩) نسبة إلى أبي بكر الصديق رضى الله عنه أو إلى بني بكر بن عبد مناة بن كنانة
ابن خزيمة أو إلى بكر بن عوف بن النخع أو إلى بكر بن وائل بن قاسط بن هنب
أو إلى بكر بطن من عذرة

(١٠) كلاب في قريش هو ابن مرة وفي هوازن ابن ربيعة بن صعصعة
(١١) النمر ككتف بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن

ربيعة ، والنسبة إليه نمري بفتح الميم ، والحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر
المالكي الأندلسي هو نمري

واليعمرى ^(١) . والمازنى ^(٢) . والثقفى ^(٣) . والسلى ^(٤) . والفزارى ^(٥)
والباهلى ^(٦) . والعبسى ^(٧) . والعنسى ^(٨) . والعذرى ^(٩)

(١) يعمر بطن من كنانة وربما كان هذا اللفظ هو اليعفرى، لا اليعمرى، وذلك لأننا نقلنا كلام لسان الدين بن الخطيب عن الاحاطة طبعة مصر، وهى طبعة مشحونة غلطا وتصحيحا وتحريفا. وقد رددنا كثيراً من الفاظها إلى الاصل بالقرينة والاستدلال فان كان هذا اللفظ هو اليعمرى، فيوجد فى العرب قبيلة اسمها يعمر جاء ذكرها فى تاج العروس، إلا أنه لم ينسبها ولكن السويدي ذكر أنها من كنانة. وإن كان هو اليعفرى فيؤ يعفر هم بطن من حمير ويقال لهم الأوزاع

(٢) مازن بن مالك بن عمرو بن تميم وهم حى مشهور منهم أبو عثمان المازنى النحوى وبنو مازن أيضا من الخزرج، وبنو مازن بن منصور بن عكرمة من قيس عيلان. وبلادهم الطائف وجبالها

(٣) ثقيف كأمير أبو قبيلة من هوازن واسمه قسي بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان

(٤) نسبة إلى سليم كزبير وهو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة من قيس عيلان، وهم قبيلة كبيرة منتشرة فى الشرق والغرب، ومنهم أكثر عرب برقة

(٥) فزارة بلالام ابن ذبيان بن غضيب بن ريث بن غطفان، أبو قبيلة من غطفان منهم بنو العشراء وبنو غراب وبنو شمعخ

(٦) نسبة إلى باهلة قبيلة من قيس عيلان، وباهلة اسم امرأة من همدان كانت تحت معن بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان فنسب ولده اليها

(٧) نسبة إلى عبس اسم أصله الصفة وهو عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس. وهم رهط الخطيئة الشاعر وعروة بن الورد وإليهم ينسب عنزة بن شداد، وفى بنى هلال أحياء ينسبون إلى عبس

(٧) العنسى بسكون النون بطن من كهلان وإليهم ينسب الأسود العنسى الذى كان فى اليمامة وارتد هو ومسيلة الكذاب

(٩) عنزة بلالام قبيلة فى اليمن وهم بنو عنزة بن سعد هذيم بن سعد بن ليث ابن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة واخوته الحارث ومعاوية ووائل وصعب بنو سعد هذيم بطون كلهم عنزة وأهمهم عائد بنت مر بن أد، وكذلك منهم سلامان

والحجبي^(١) والضيبي^(٢) والسكوني^(٣) . والتميمي^(٤) . والعشمي^(٥) . والمرى^(٦) . والعقبلي^(٧)

ابن سعد في عذرة أيضا كذا قاله ابن عبيد وهم مشهورون في العشق والعفة حتى ضرب المثل بالهوى العذري ومنهم جميل بن عبد الله بن معمر صاحب بئنة ، ومنهم عروة بن حزام صاحب عفراء .

(١) جاء في تاج العروس : والحجبيون محركة بنو شبة لتوليتهم حجابة البيت الشريف
(٢) ضبة ابن أد عم تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر وأبناء ضبة
ثلاثة سعد ، وسعيد ، مصغرا ، وباسل . فسعيد وباسل لآعقب لهما فأنحصر جماع ضبة في
سعد بن ضبة وهم جهرة من جمرات العرب

(٣) السكون كصبور حي من العرب ، وهو ابن أشرس بن ثور بن كندة
(٤) في قریش تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر ، ومن تيم هؤلاء
اثنان من العشرة المبشرين بالجنة ، أبو بكر الصديق ، وأبو محمد طلحة بن عبيد الله ،
وهما يجتمعان في عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ، ويجتمعان مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في مرة ابن كعب وفي قریش أيضا تيم بن غالب بن فهر أخو لؤي بن غالب
وفي بني بكر بن وائل ، تيم بن قيس بن ثعلبة بن عكابة وفيهم أيضا تيم بن شيبان بن
ثعلبة وقبل إن تيم بن شيبان هذا هو من بني شيبان بن ذهل ثم في بني ضبة تيم اللات
ابن ذهل بن مالك بن بكر بن سعد ، وفي الخزرج تيم اللات بن ثعلبة ، قال في تاج
العروس . والتيوم كثيرون

(٥) نسبة إلى عبد شمس ، وهم بطن من قریش ، ويوجد في العرب عشمس
ابن سعد بن زيد بن مناة بن تميم ، والعب هنا قيل ضوء الشمس ، وقيل لعاب الشمس
وقيل هو العبي . بالهمز يفتح فيكسر والنسبة أيضا عشمى قال الشاعر :

وتضحك مني شيجة عشمية كأن لم ترى قبلي أسيراً يمانيا

(٦) نسبة إلى مرو هو تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر قبيلة مشهورة ،
وهناك مر ابن عمرو بن الغوث بن جلهمه من طيء وإخوته ستة عشر ، ويقال أيضاً
مرى نسبة إلى مرة بالناء . وفي قریش مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن
مالك بن النضر ثم إنه يوجد في قيس عيلان قبيلة اسمها بنو مرة ، وهو مرة بن عوف
ابن سعد بن قيس عيلان .

(٧) نسبة إلى عقيل كزبير ، وعقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر ، وفي بني فزارة
عقيل بن هلال ، وفي أشجع أيضاً عقيل بن هلال .

والفهمي^(١) . والصريحي^(٢) والجزلي^(٣) . والقشيري^(٤) . والكلي^(٥) . والقضاعي^(٦) .

(١) نسبة إلى فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان ، ردهط تأبط شرا . وفهم أيضا هم فهم الجمرات ، بطن من لحم . وفي الأزد فهم بن غنم بن دوس ، منهم جذيمة بن مالك بن فهم الملك الأبرش .

(٢) لم نقف حتى الآن على اسم قبيلة يقال لها الصريح ، وغاية ما رأينا أنه في تاج العروس يقول : (والصريحان قبيلة) ولم يزد على هذه الكلمة شيئاً - ونظراً لكثرة التحريف والتصحيف في طبعة الاحاطة التي أخذنا عنها فيغلب على ظننا أن (الصريحي) هنا إنما هو الصليحي باللام ، فاذا كان كذلك فالصليح نخذ من همدان منهم القاضي محمد بن علي الحمداني الصليحي ، وكانوا قائمين بدعوة العبيديين باليمن كما جاء في سبائك الذهب للسريدي وذكر السلطان بن رسول صاحب أنساب العرب منهم أمراء .

(٣) نسبة إلى جزيلة كسفية بطن من كندة .

(٤) نسبة إلى قشير كزير وهو قشير بن كهب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن ، وإلى هذه القبيلة ينسب الامام أبو القاسم القشيري صاحب الرسالة المشهورة .

(٥) نسبة إلى كلب بن وبرة وهو أخو نمر وتوخ كما في معارف ابن قتيبة وقال العيني : في طيء كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن الحواف بن قضاة .

(٦) قضاة قبيلة من حمير من القحطانية . وعليه جرى ابن اسحاق والكلي وغيرهما وذهب بعض النسابين إلى أن قضاة من العدنانية وأنه بن معد بن عدنان . قال ابن عبد البر وعليه الأكثر : قال السويدي : والأشهر هو الأول . قلنا وهو المعتمد عليه . إلا أن النسابة جعفر بن حبيب قال : لم تزل قضاة في الجاهلية والاسلام تعرف بمعد حتى كانت الفتنة بالشام بين كلب وقيس عيلان أيام مروان بن الحكم فالت قضاة إلى اليمن واتمت إلى حمير . وذكر ابن الأثير في الانساب هذا الاختلاف ونقل عن محمد بن سلام المصري وقد سئل انزار أكثر أم اليمن ؟ أنه قال : إن تعددت قضاة فنزار أكثر وإلا فاليمن . ومن الغريب أنه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثان كل منهما له طريق أحدهما يفيد أن قضاة من اليمن والآخر أنها من معد بن عدنان . وهذا برهان على كثرة الوضع في الأحاديث ، وقد رأيت كلا منهما في كتاب أنساب العرب لابن رسول من سلاطين اليمن .

والاصبحي (١) . والمرادى (٢) . والرعيى (٣) . واليحصي (٤) . والتجيبى (٥) .

(١) نسبة إلى ذى أصبح من حمير ، قيل هو الحارث بن عوف بن مالك بن زيد ابن سدد بن زرعة وقال بن حزم ، وهو ذو أصبح مالك بن زيد بن الغوث من ولد سبا الأصغر . وإلى هذه القبيلة ينسب سيدنا مالك بن أنس أحد أصحاب المذاهب الأربعة . وجده الأقرب هو أبو عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان الاصبحي الحميري من التابعين .

(٢) نسبة إلى مراد كغراب وهو مراد بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا ، وفي المصباح : مراد قبيلة من مذحج قال الزيدى : ومذحج هو مالك بن زيد المتقدم ذكره (٣) نسبة إلى ذى رعين كزبير قال الجوهري إنه من ولد الحارث بن عمرو بن حمير بن سبا من عرب اليمن ، ورعين حصن أو جبل فيه حصن ، وفي اليمن مخلاف يقال له شعب ذى رعين .

(٤) نسبة إلى يحصب ذكر الحافظ بن حزم فى جمهرة الانساب : أن يحصب هو أخو ذى أصبح جد الامام مالك ، وقلة يحصب بالاندلس سميت بمن نزلها من اليحصيين من حمير ، منها سعيد بن مقرون بن عفان ، والنابعة ابن ابراهيم المحدثان . والقاضى عياض بن موسى صاحب الشفاء ، وعبد الله بن محمد بن معدان اليحصي الاندلسى كتب عنه السلفى .

(٥) تجيب بالضم كما جزم به أهل الحديث ، وأكثر الأدياء : قال الزيدى فى تاج العروس : إن أهل الانساب يميلون إلى فتحه وقال القاضى عياض : إنه بالفتح كما قيدناه عن شيوخنا ، وذهب أبو محمد بن السيد النحوى إلى صحة الوجدتين ، وسمعت الاستاذ السيد رشيد رضا رحمه الله يلفظ تجيب بالضم نقلا عن أحد مشايخه فى الحديث والتاء فى تجيب أصلية عند الخليل ، وتابعه فى ذلك الفيروز أبادى مجد الدين ، ولكن الجوهري وابن فارس وابن سيدة ذهبوا إلى أنها زائدة ، والقبيلة بطن من كندة ، قال ابن قتيبة ، ينتسبون إلى جدتهم العليا ، وهى تجيب بنت ثوبان بن سليم بن مذحج وقال ابن الجوائى : هى تجيب بنت ثوبان بن سليم بن رها بن منبه بن حريث بن جلد ابن مذحج وهى أم عدى وسعد ابني أشرس بن شبيب بن السكون ، قال ابن حزم : كل تجيبى سكوفى ولا عكس . ومن تجيب كنانة بن بشر التجيبى قاتل أمير المؤمنين عثمان ابن عفان رضى الله عنه ، وهناك قبيلة أخرى اسمها تجوب منها عبد الرحمن بن ملجم قاتل أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، فهو تجيبى من مراد ثم من حمير ،

والصدفي (١) . والغافقي (٢) . والحضرمي (٣) . واللخمي (٤) .

(١) نسبة إلى صدف ككتف قيل هو صدف بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن حيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ ، وينسب إلى صدف خلق من الصحابة وغيرهم ، نزلوا بمصر واختطوا بها ، ومنهم يونس بن عبد الأعلى الصدفي صاحب الامام الشافعي رضي الله عنه ، وقد نزل من الصدف قوم بالأندلس ولهم قرية بغربي الأندلس تقدم ذكرها والنسبة إلى انصدف صدفي بالتحريك كراهة الكسرة قبل ياء النسب

(٢) بطن من عك قال ابو عبيد كان منهم في الاسلام أمراء ورؤساء ، ويوجد الغافق بالآلف واللام وهم بطن من انمار بن أراش ، وجاء في نفع الطيب أن أكثر أهالي شقورة من الأندلس ينتسبون إلى غافق ، وإلى غافق ينسب عبد الرحمن الغافقي أمير الأندلس الذي استشهد في وقعة بلاط الشهداء

(٣) نسبة إلى حضرموت وهو ابن سبأ الأصغر ، وسميت به مدينة حضرموت ويقال للعرب الذين من حضرموت حضارمة . وقد انتسب إلى هذه البلدة أعيان كثيرون من كل قطر ، وأورد في تاج العروس من أسماء الحضرميين من فقهاء ومحدثين ما ملأ صحيفة كبيرة وابن خلدون إذا انتسب يقول عن نفسه الحضرمي

(٤) قبيلة من كهلان ، جاء في أنساب العرب لابن رسول من ملوك اليمن أن اسم لحم مالك بن عدى . قال : واختلف في لحم وجذام ، فقال قوم : هم ابنا عدى بن عمرو بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . وقال ابن اسحاق : وأكثر أهل النسب على أن لحم وجذام ابنا عدى بن عمرو بن الحارث بن مرة بن أد بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان . وقال ابن الكلبي : لحم وجذام ابنا عدى بن عمرو بن الحارث بن مرة بن أد بن زيد بن يشجب بن يعرب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . قال ابن رسول : وكل هؤلاء قد أجمعوا أن لحما وجذاما في قحطان . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث محمد بن سيرين عن أبي هريرة باسناد ليس بالقوى : الايمان يمان آل لحم وجذام ، صلوات الله على لحم وجذام ، يقاتلون الكفار على رؤوس الشعف ، ينصرون الله ورسوله . وقالت فرقة : إن قنص بن معد بن عدنان هو أبو لحم ، واحتجوا بحديث روى عن بن الخطاب رضي الله عنه أنه أتى بسيف الزعمان بن المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة

(١) والجذامى

وعنده جبير بن مطعم ، فقال له عمرو ياجبير ممن كان النعمان بن المنذر ؟ فقال كان من اشلاء قنص بن معد بن عدنان يعنى من بقايا قنص ، انتهى .

قلنا فى هذه الرواية شك . وإن صححت عن جبير بن مطعم فيكون خطأ منه ، لأن لحم وجذام هم من عرب اليمن ، والقول بخلاف ذلك هو خرق للاجماع قال فى سبائك الذهب : وقد كان للخميين ملك بالحيرة من العراق وإنه كان لبقايا لحم ملك باشبيلية من الأندلس ، وهى دولة بنى عباد : وقال القضاعى فى خطط مصر أنهم حضروا فتح مصر واختطوا بها ، وفى صعيد مصر بنو سماك وبنو سهل وبنو شنوءة وبنو عدى وبنو راشد وأغاذ كثيرة من لحم ومنهم بنو عجم الذين ينسب إليهم ملوك الحيرة رهط النعمان بن المنذر واسم عجم الأصيل هو عدى ، ولما كانت عائلة محرر هذه السطور تنسب إلى المناذرة فقد راجعت سلسلة نسبهم إلى لحم فى سجل النسب الارسلانى المبدوء به سنة ١٤٢ للهجرة المتسلسل خلفاً عن سلف من ذلك التاريخ إلى الآن تحت تصديق القضاة والحكام ، والعلماء الأعلام فوجدته يقول : إن الملك المنذر الذى لقبته العرب بالمغرور هو ابن الملك النعمان أبقاوس بن الملك المنذر بن الملك المنذر ، وهو ابن ماء السماء مارية ابنة ربيعة التغلبى أخت كليب والمهلhel بن الملك امرئ القيس ابن الملك النعمان الأعور ابن الملك امرئ القيس بن الأمير النعمان ابن الملك عمرو بن الملك امرئ القيس بن الملك عمرو ، وهو بن أخت جذيمة الأبرش الذى زوجها من ابنه عدى حتى يملك على لحم . وعدى هو ابن نصر بن ربيعة بن المنذر بن تميم بن عمرو ابن سعد بن ذميل بن الحارث بن زيد بن الحارث بن إباد بن نصر بن فهم بن عامر بن زهير بن مالك بن جزيمة ابن مالك . وهو لحم بن عدى بن عمرو بن عبد شمس ، وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان جد العرب العرباء والله أعلم .

(١) نسبة إلى جذام ، وهى بضم الجيم وبالذال المعجمة . بطن من كهلان ، ويقال ان جذام كان أخا لحم ، وهذه هى الرواية المشهورة ، وإنك لتجد هذين القبيلين دائماً متلازمين . قال الجوهري : وبزعم نسبة مضر أن جذام من مضر وأنهم انتقلوا إلى اليمن فحسبوا من اليمن . ثم إن جذام هم فى مقدمة العرب الذين فتحوا مصر مع عمرو ابن العاص ، ذكر السويدي فى سبائك الذهب نقلاً عن الحمداى قال : وبالأسكندرية من جذام ولحم أقوام ذوو عدد وعدد ، وأهل شجاعة وإقدام وضرب بالسيف ورشق بالسهم ، ولهم أبام معلومة . وأخبار معروفة ، ووقائع فى البر والبحر مشهورة . ومن جذام ملوك بنى هود أصحاب سرقسطة

والسلولى (١) . والحكى (٢) . والهمداني (٣) . والمذحجى (٤) . والخشنى (٥) .

(١) سلول فخذ من قيس بن هوازن ، وفى الصحاح والعياب قبيلة من هوازن هم بنو مرة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، وسلول اسم امهم ، وهى ابنة ذهل ابن شيان بن ثعلبة ، وفى سلول هؤلاء قبل :

وإنا أناس لا نرى القتل سبة إذا ما رأته عامر وسلول

(٢) نسبة إلى الحكم وهو مخلاف فى اليمن نسب إلى الحكم بن سعد العشيرة من مذحج . قال الزيدى فى تاج العروس : ولبنى الحكم بقية كثيرة باليمن منهم بنو مطير ، وقال ابن الكلبي أن الحكم بن يتبع بن الهون بن خزيمه دخل فى مذحج منهم رهط الجراح بن عبد الله الحكيم عامل خراسان

(٣) نسبة إلى همدان بفتح فسكون ، بطن من كهلان ، واسم همدان هو أوسلة بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الحيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ قال الزيدى : والعقب من همدان فى جشم بن خيران بن نوف بن همدان ، والعقب من جشم فى فخذين لصلبه بكيل وحاشد فن بكيل فى رومان وسوران وخيران ، ومن حاشد فى سبيع بن سبع بن صععب بن معاوية بن كثير بن مالك بن جشم بن حاشد ولهم بطون متسعة باليمن انتهى .

وهم الذين نصرُوا علياً فى حرب صفين حتى قال رضى الله عنه .

فلو كنت واثماً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وإلى همدان ينسب الهمداني صاحب الأكليل وصفة جزيرة العرب ، وكان علامة فيلسوفاً ، وقد سمي بهمدان أحد حصون مملكة غرناطة والاسبانيول يقولون هندين Alhendin ، قلبوا الميم نونا ولفظوا الاسم بالامالة كما سمعوا من العرب الأندلسيين (٤) مذحج كمجلس هو مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ، وقيل بل مذحج هو ابن يحابر بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ . قال الزيدى : وهم شعب عظيم منه بطون وأفخاذ

(٥) نسبة إلى خشين كزبير وهو جابر بن خشين بن عاصم بن لؤى فى نسب فزارة وأيضاً هالك خشين بن النمر بن وبرة بن تغلب بن حلوان فى قضاعة . ومن هؤلاء جرثوم بن ناشر الخشنى رضى الله عنه ، ومنهم بشر بن حيان التابعى ، ومنهم محمد بن عبد السلام الخشنى أبو عبد الله صاحب كتاب القضاة فى قرطبة وولده محمد بن محمد

والبلوى ^(١) . والجهنى ^(٢) . والمزنى ^(٣) . والطائى ^(٤) . والاسدى ^(٥) .

وأبو ذر مصعب بن محمد بن مسعود الخثنى الأندلسى الحوى المعروف بابن أبى الركب أخذ عنه الشريشى صاحب المقامات

(١) نسبة إلى بلى كرضى قبيلة معروفة وبلى هو ابن العمرو بن الحافى بن قضاة والنسبة إلى بلى بلوى مثل علوى

(٢) نسبة إلى جهينة بضم الجيم وفتح الهاء وسكون الياء المثناه وفتح النون بعدها حتى من قضاة يسكنون اليوم فى سواحل الحجاز وعددهم كبير

(٣) نسبة إلى مزينة كجهنة قبيلة من مضر . وهو بن أد بن طابخة ، وهم رهط ابن أبى سلى الشاعر صاحب المعلقة . وهم يسكنون اليوم حول المدينة المنورة

(٤) نسبة إلى طىء بفتح الطاء وتشديد الياء وهمزة فى الآخر قبيلة من كهلان كانت منازلهم باليمن فخرجوا على أثر خروج الأزدي منها ، وانتهى أمرهم بالاستيلاء على جبلى أجأ وسلى الذين يعرفان الآن بجبلى طىء ، قال السويدي فى سبائك الذهب : وافترقوا فى أول الاسلام فى الفتوحات قال ابن سعيد : هم الآن أمم كثيرة تملأ السهل والجبل حجازاً وشاماً وعراقاً قال : وهم أصحاب الرئاسة فى العرب إلى الآن فى العراق والشام ومن بنى طىء بنو نهان ، وبنو ثعل المشهورون بالاجادة فى الرمي ، وبنو جرم الذين أعقابهم فى بلاد غزة ، وبنو بولان بفتح أوله وسكون الثانى ، ومنهم الثلاثة الذين يقال إنهم وضعوا الخط العربى . وكان منهم بنو الجراح أيام الفاطميين ، وكانت لهم رئاسة على طىء ثم صارت الآن لآل عيسى بن مهنا . ومنهم بنو سنبس طائفة بيطايح العراق ، وطائفة بدمياط من الديار المصرية ، ومنهم بنو لام فى العراق ومنهم بنو تيم الذين كان يقال لهم مصاييح الظلام ، وهم الذين مدحهم امرؤ القيس . ومنهم بنو صخر فى بلاد البلقاء . ومنهم آل فضل من ربيعة طىء ولهم رئاسة وامارة ، ومنهم بطون وأفخاذ لا يحصىها إلا خالفها كما أن الأعيان والأعلام المنسوبين إلى بنى طىء لا يحصى عددهم . ومنهم حاتم الطائى الذى ضرب به المثل فى الكرم ، وأبو تمام الطائى والبحترى كلاهما أشعر شعراء المولدين . ومنهم محي الدين بن عربى المتصوف الشهير ومنهم ابن مالك النحوى الجياني الأندلسى

(٥) نسبة إلى اسد وهو أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ، وكذلك أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وهى قبيلة أخرى

والاشجعي^(١)، والعاملي^(٢)، والخولاني^(٣)، والايادي^(٤)، والليثي^(٥)، والخنسعي^(٦)

(١) نسبه إلى أشجع وهم حى من غطفان كانوا عرب المدينة، وكان سيدهم معقل ابن سنان. قال في العبر: ان منهم بالمغرب الأقصى حياً عظيماً في جهات سجلماسة
(٢) نسبة إلى عاملة وهم حى باليمن من ولد الحارث بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ نسبوا إلى أهمهم عاملة بنت مالك بن وديعة بن قضاة، أم الزاهر، ومعاوية بن الحارث بن عدى نفسه، ومنهم عدى ابن الرقاع الشاعر قال الجوهري: ويزعم نسب مضر أنهم من ولد قاسط قال الاعشى:

أعامل حتى متى تذهبين إلى غير والدك الأكرم
ووالدكم قاسط فارجموا إلى النسب الفاخر الأقدم

قال في تاج العروس: وشذ بن الأثير حيث جعل عاملة من العماقة اهـ.
وجاء في سبائك الذهب نقلاً عن أبي عبيد أن بنى عاملة هم بنو الحارث بن مالك يعنى ابن الحارث بن مرة بن أدد وأنه كان تحته عاملة بنت مالك بن وديعة بن عفير ابن عدى قال الحمداي: وجبل عاملة من بلاد الشام وقيل إن هذه القبيلة من اليمن نزلت به فقيل له عاملة وقد يحذفون التاء فيقال جبل عامل وهو الواقع بين صيدا وصور من الشمال إلى الجنوب وبين البحر المتوسط وغور الحولة من الغرب إلى الشرق
(٣) نسبة إلى خولان بطن من كهلان وبلاد خولان في اليمن من شرقيه وقد افترقوا في الفتوحات ومنهم بنو سعد وبنو بكر وبنو قيس وبنو الأصهب وبنو حبيب وبنو عمرو وما أتذكره أننى رأيت في الجبل الأخضر من برقة مكاناً إلى الجنوب منه يقال له خولان
(٤) نسبة إلى أياد وهم حى من معد إلا أنهم يسكنون اليمن قال ابن دريد: هما إبادان إباد بنى نذار وإباد بن سود بن الحجر بن عمار بن عمرو

(٥) نسبة إلى ليث وهو ليث بن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر وفي التهذيب بنو ليث حى من كنانة

(٦) بنو خثعم بطن من أنمار بن أراش قال في العبر: بلاد خثعم مع اخوتهم بجيلة بسروات اليمن والحجاز. وقال السلطان ابن رسول في كتابه أنساب العرب: واختلف في خثعم وبجيلة فأكثر أهل النسب يقولون أنهما أبناء أنمار بن نزار بن معد ابن عدنان وأنهما لاحقاً باليمن وانتسبا عن جمل منهما إلى أنمار بن أراش بن عمرو بن غوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ.

والسكسكى^(١) . والزبيدى^(٢) . والثعلبى^(٣) . والسكلاعى^(٤) . والدوسى^(٥)

(١) نسبة إلى سكاسك حى باليمن وهما قبيلتان الأولى من كندة وهو كندة بن عفير بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد وولد لكندة أشرس وولد لأشرس سكسك ويقال له حميس وهو أخو السكون وحاشد ومالك بنى أشرس . والقبيلة الثانية هم بنو زيد بن وائلة بن حمير وزيد هذا كان يلقب بالسكاسك .

(٢) نسبة إلى زيد كزير وهم بطن من مذحج وهو منبه الاكبر بن صعب بن سعد العشيرة بن مالك وهو جماع مذحج وزيد الأصغر هو منبه بن ربيعة بن سلمة بن هازن ابن ربيعة بن زيد الاكبر قال ابن دريد : زيد تصغير زيد وهو العطية . وينسب إلى زيد عمرو بن معدى كرب الصحابى الفارس المشهور أسلم سنة تسع وشهد الفتوح واستشهد بالقادسية وقيل بنهاوند رضى الله عنه والقاضى أبو الهذيل محمد بن الوليد بن عامر الزبيدى ومحمد بن الحسين الزبيدى الاندلسى صاحب القالى ومحمد بن عبيد الله بن مذحج بن محمد بن عبد الله بن بشر الزبيدى الاشبلى للغوى نزيل قرطبة .

(٣) نسبة إلى ثعلب ويوجد فى العرب قبائل شتى باسم ثعلبة . فثعلبة فى أسد . وثعلبة فى تميم . وثعلبة بن ربيعة . وثعلبة فى قيس ، وثعلبتان فى طى . وهما ثعلبة بن جذعاء بن ذهل بن رومان بن جندب بن خارجة بن سعد بن قطرة بن طى وثعلبة بن رومان بن جندب المذكور قال الزبيدى : وقرأت فى أنساب أبى عبيد : الثعالب فى طى يقال لهم مصاييح الظلام كالربائع فى تميم . ويوجد بطن اسمه ثعلبة فى غطفان

(٤) نسبة إلى ذى الكلاع وهما من اليمن أحدهما الأكبر . وهو يزيد بن النعمان الحميرى من ولد شهاب بن وحاضة بن سعد بن عوف بن عدى بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة بن سبأ الأصغر وذو الكلاع الأصغر هو أبو شراحيل سميفع بن ناكور بن عمرو بن يعفر بن ذى الكلاع الأكبر .

(٥) الدوس بن عدنان بن عبد الله وأخطأ بعضهم فظن أنه عدنان بالنقطة الموحدة والحال أنه بالثاء المثلثة وهم قبيلة من الأزد قال ابن الجوانى النسابة : هو دوس بن عدنان بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن أزد منهم أبو هريرة الدوسى الصحابى المشهور ، ودوس أيضاً قبيلة من قيس وهم بنو قيس بن عدوان بن عمرو بن قيس عيلان .

والحوارى^(١) . والسلماني^(٢)

هذا ويرد كثير من شهادتهم ، ويقل من ذلك السلمى نسباً والدوسى والحوارى والزبيدى ، ويكثر فيهم كالانصارى والحيدى^(٣) والجذامى والقيسى والغسانى وكفى بهذا شاهداً على الاصلالة ودليلاً على العروبة .

وجندهم صنفان : اندلسى ، وبربرى . والاندلسى منهم يقودهم رئيس من القرابة وحصى^(٤) من شيوخ الممالك ، وزيتهم فى القديم شبه زى اقيالهم وأضدادهم من جيرانهم الفرنج : اسباغ الدروع ، وتعليق الترس ، وجفاء البيضات ، واتخاذ عراض الأسنة ، وبشاعة قرابيس السروج ، واستركاب حملة الرايات خلفه ، كل منهم بصفة تختص بسلاحه ، وشهرة يعرف بها . ثم عدلوا الآن عن هذا الذى ذكرنا الى الجواشن المختصرة ، والبيض المرهفة ، والدرق العربية ، والسهام الممطية^(٥) ، والاسل العطفية . والبربرى يرجع الى قبائله المرينية ، والزنازية ، والنجانية ، والمغراوية ، والمجيسية

(١) لم نجد فى ما قرأناه الى الآن قبيلة لها هذه النسبة وإنما ورد فى تاج العروس : وحوار كغراب صقع بهجر ، وكذلك بلد الحيرة بقرب الكوفة النسبة اليها حيرى وحوارى وقد تكون هذه اللفظة من جملة الألفاظ التى حرفها النساخ فأصبح لا يعرف أصلها .

(٢) نسبة الى سلمان بطن من مراد وهو سلمان بن يشكر بن ناجية بن مراد قال الرشاطى : وأهل الحديث يفتحون اللام . منهم عبدة بن عمرو وقيل ابن قيس الكوفى السلماني أسلم فى حياة النبي عليه السلام ولم يره وروى عن على وابن مسعود . وإلى هذه القبيلة ينسب الوزير العلامة لسان الدين بن الخطيب الذى تنقل كلامه الآن . ويوجد بطن من جذام اسمهم السلبيان بالآلف واللام

(٣) لعله يريد الحيدات وهم من بنى أسد بن عزي ينسبون إلى حميد بن زهير بن الحرث بن راشد كما فى التوشيح قاله الزبيدى فى تاج العروس .

(٤) الحصى بالحاء المهملة المعروف بالعقل .

(٥) نسبة إلى قبيلة من البربر اسمها اللبط معروفة بنوع من الدرق إلى النهاية فى المتانة ولكن الموصوف هنا هو السهام .

والعرب المغربية ، الى أقطاب ورؤوس يرجع أمرهم الى رئيس على رؤسائهم ، وقطب لعرفائهم ، من كبار القبائل المرينية ، يمت الى ملك المغرب بنسب . والعائم تقل في زى هذه الحضرة ، إلا ما شذف في شيوخهم وقضائهم وعلماهم والجند العربى منهم . وسلاح جموعهم العصى الطويلة المثناة بعصى صفار ذوات عرى في أوساطها ، ترفع بالانامل عند قذفها ، تسمى « بالامداس » وقسى الافرنجة يحملون على التدريب بها على الايام . والمواسم متوسطة ، وأعيادهم حسنة ماثلة الى الاقتصاد . والغنى بمديتهم فاش ، حتى في الدكاكين التى تجمع صنائعها كثيراً من الاحداث كالحفافين ومثلهم . وقوتهم الغالب البر الطيب عامة العام ، وربما اقتت في فصل الشتاء الضعفة والبوادي والفعلة في الفلاحة الذرة العربية . ومثل أصناف القطانى الطيبة .

وفوا كههم اليابسة عامة العام متعددة ، يدخرون العنب سليما من الفساد الى شطر العام ، الى غير ذلك من التين ، والزبيب ، والتفاح ، والرمان ، والقسطل^(١) ، والبلوط ، والجوز ، واللوز ، الى غير ذلك مما لا يتفد ولا ينقطع ، إلا مدة في الفصل الذى يزهد في استعماله .

وصرفهم فضة خالصة ، وذهب ابريز طيب محفوظ ، ودرهم مربع الشكل من وزن المهدى القائم بدولة الموحدين ، فى الاوقية منه سبعون درهما ، يختلف الكتب فيه : فعلى عهدنا فى شق : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » وفى شق آخر : « لا غالب إلا الله » غرناطة . ونصف ، وهو القيراط ، فى شق : « الحمد لله رب العالمين » وفى شق : « وما النصر إلا من عند الله » ونصفه ، وهو الربع ، فى شق : « هدى الله هو الهدى » وفى شق : « العاقبة للتقوى » .

ودينارهم فى الاوقية منه ستة دنانير وثلثا دينار ، وفى الدينار الواحد ثمن أوقية وخمس ثمن أوقية ، وفى شق منه : « قل اللهم مالك الملك (الى) بيدك الخير » ويستدير به قوله تعالى : « وإلهم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم » وفى شق :

(١) هو ما يقال له الكستنا

« الامير عبد الله يوسف بن أمير المسلمين ابى الحجاج بن أمير المسلمين أبى الوليد اسماعيل ابن نصر أيد الله أمره » ويستدير به : « لا غالب إلا الله » ولتاريخ تمام هذا الكتاب في وجه : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » ويستدير به : « لا غالب إلا الله » وفي وجه : « الامير عبد الله الغنى بالله محمد بن يوسف بن اسماعيل بن نصر أيد الله وأعانه » ويستدير بربع : « بمدينة غرناطة حرسها الله » .

وعادة أهل هذه المدينة الانتقال الى حلل العصور ، أوان إدراكه بما تشتمل عليه دورهم ، والبروز الى الفحوص باولادهم وعبائهم ، معولين في ذلك على شهادتهم . وأسلحتهم على أكتاد دوابهم ، واتصال أمصارهم بمحدود أرضهم ، وحليهم في القلائد والدمالج والشنوف والخلاخل الذهب الخالص الى هذا العهد في أولى الجدة ، واللجين في كثير من آلة الراجلين فيمن عداهم ، والاحجار النفيسة من الياقوت والزبرجد والزمرد ، ونفيس الجوهر كثير ممن ترتفع طبقاتهم المستندة الى ظل دولة ، أو اصالة معروفة موقرة .

وحریمهم حريم جميل موصوف بالحسن وتنعم الجسوم ، واسترسال الشعور ، ونقاء الثغور ، وطيب النشر ، وخفة الحركات ، ونبل الكلام ، وحسن المحاورة ، إلا أن الطول ينذر فيهن . وقد يبلغن من التفنن في الزينة لهذا العهد ، والمظاهرة بين المصبتات ، والتنافس بالذهبيات والدياجياب ، والتماجن في اشكال الحلى الى غاية ، نسأل الله أن يفض عنهن فيها عين الدهر ، ويكف كف الخطب ، ولا يجعلها من قبيل الابتلاء والفتنة ، وأن يعامل جميع من بها بستره ، ولا يسلبهم خفي لطفه بعزته وقدرته . انتهى . قلت : كيف لو عاش ابن الخطيب في عصرنا هذا ! فإذا كان يقول ياليت شعري ! ؟ والله الأمر من قبل ومن بعد ! .

ما ذكره المقرئ في النفع عن أنساب عرب الأندلس

قال : إنه لما استقر قدم أهل الاسلام في الأندلس ، وتنام فتحها ، صرف أهل الشام وغيرهم من العرب همهم إلى الحلول بها ، ففرل بها من جرائم العرب وساداتهم جماعة أورثوها أعقابهم ، إلى أن كان من أمرهم ما كان . فأما المدنانيون فمنهم خندف ومنهم قریش . وأما بنو هاشم من قریش فقال ابن غالب في فرحة الأنفس : بالأندلس منهم جماعة كلهم من ولد إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب . ومن هؤلاء بنو حمود ملوك الأندلس بعد انتشار ملك بني أمية . وأما بنو أمية فمنهم خلفاء الأندلس . قال ابن سعيد : ويعرفون هنالك إلى الآن بالقرشيين ، وربما عموا نسبهم إلى أمية في الآخر ، لما انحرف الناس عنهم ، وذكروا أفعالهم في الحسين رضي الله عنه . وأما بنو زهرة فمنهم ناشبيلية أعيان متميزون . وأما الخزوميون فمنهم أبو بكر الخزومي الأعمى الشاعر المشهور من أهل حصن المدور . ومنهم الوزير الفاضل في النظم والنثر أبو بكر بن زيدون ، ووالده الذي هو أعظم منه ، أبو الوليد ابن زيدون وزير معتضد بنى عباد .

قال ابن غالب : وفي الأندلس من ينسب إلى ججح ، وإلى بنى عبد الدار ، وكثير من قریش المعروفين بالفهريين من بنى محارب بن فهر ، وهم من قریش الغواهر ، ومنهم عبد الملك بن قطن سلطان الأندلس . ومن ولده بنو القاسم الأمراء الفضلاء ، وبنو الجدة^(١) الأعيان العلماء . ومن بنى محارب بن فهر يوسف بن عبد الرحمن الفهري ، سلطان الأندلس ، الذي غلبه عليها عبد الرحمن الأموي الداخل وجد يوسف عقبة بن نافع الفهري ، صاحب الفتوح بأفريقية . قال ابن حزم : ولهم بالأندلس عدد وثروة .

وأما المنتسبون إلى عموم كنانة فكثير ، وجلهم في طليطلة وأعمالها ، ولهم

(١) لمولاي سليمان سلطان المغرب تأليف خاص في نسب بنى الجدة الذين يقال لهم اليوم بنو القاسي

ينسب الوشقيون الكنانيون الأعيان الفضلاء ، الذين منهم القاضي أبو الوليد ، والوزير أبو جعفر ، ومنهم أبو الحسين بن جبير العالم صاحب الرحلة ، وقد ذكرناه في محله .

وأما هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر فذكر ابن غالب أن منزلهم بجهة أريولة من كورة تدمير . وأما تميم بن مرة بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر فذكر ابن غالب أيضاً أنهم خلق كثير بالأندلس ، ومنهم أبو الطاهر صاحب المقامات اللازمة . وأما ضبة بن أد بن طابخة فذكر أنهم قليلون بالأندلس . فهؤلاء خندف من العدنانية .

وأما قيس عيلان بن الياس بن مضر من العدنانية ففي الأندلس كثير منهم ينتسبون إلى العموم ، ومنهم من ينتسب إلى سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة ابن قيس ، كعبد الملك بن حبيب السلمي الفقيه ، صاحب الامام مالك رضى الله عنه وكالقاضي أبي حفص بن عمر قاضي قرطبة . ومن قيس من ينتسب إلى هوازن بن منصور بن عكرمة . قال ابن غالب : وهم بأشبيلية خلق كثير ، ومنهم من ينتسب إلى بكر بن هوازن قال ابن غالب : ولهم منزل بجوفى بلنسية ، على ثلاثة أميال منها وبأشبيلية وغيرها منهم خلق كثير ، ومنهم بنو حزم ، وهم بيت غير البيت الذي منه أبو محمد بن حزم الحافظ الظاهري ، وهو قارسي الأصل^(١) ومنهم من ينتسب إلى سعد بن بكر بن هوازن . وذكر ابن غالب أن منهم بغرناطة كثيراً كبنى جودي وقد رأس بعض بنى جودي . ومنهم من ينتسب إلى سلول ، امرأة نسب إليها بنوها وأبوه مرة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن . ومنهم من ينتسب إلى كلاب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن . ومنهم من ينتسب إلى نمير بن عامر بن صعصعة . قال ابن غالب : وهم بغرناطة كثير ومنهم من ينتسب إلى قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . ومنهم بلج بن بشر صاحب

(١) الأفرنج مجموعون على أنه من أصل إسبانيولي

الأندلس وآله و بنو رشيق . ومنهم من ينتسب إلى فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان . ومنهم من ينتسب إلى أشجع بن ريث ابن غطفان . ومن هؤلاء ، محمد بن عبد الله الأشجعي سلطان الأندلس وفي ثقيف اختلاف : فمنهم من قال إنها قيسية ، وإن ثقيفاً هو قيس بن منبه ابن بكر بن هوازن ، ومنهم بالأندلس جماعة ، وإليهم ينتسب الحر بن عبد الرحمن الثقفي صاحب الأندلس وقيل إنها من بقايا نمود انتهى قيس بن عيلان وجميع مضر وأما ربيعة بن نزار فمنهم من ينتسب إلى أسد بن ربيعة بن نزار . قال في فرحة الأنفس : ان اقليم هؤلاء مشهور باسمهم . بجوف مدينة وادي آش انتهى والأشهر بالنسبة إلى أسد أبداً بنو أسد بن خزيمه بن مدركة بن الياس بن مضر ، ومنهم من ينتسب إلى محارب بن عمرو بن وديعة بن بكير بن اقصى بن دعى بن جديلة بن أسد ابن ربيعة ، . قال ابن غالب في فرحة الانفس : ومنهم بنو عطيه أعيان غرناطة . ومنهم من ينتسب إلى النمر بن قاسط بن هنب بن اقصى بن دعى بن جديلة بن أسد كبنى عبد البر الذين منهم الحافظ ابو عمر بن عبد البر ، ومنهم من ينتسب إلى تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب ، كبنى حمديس أعيان قرطبة ، ومنهم من ينتسب إلى بكر بن وائل كالبكريين أصحاب أونية وشلطيش ، الذين منهم أبو عبيد البكري صاحب التصانيف . انتهت ربيعة .

وأما إياد بن نزار ، وقد يقال انه ابن معد ، والصحيح الاول ، فينتسب إليهم بنو زهرة المشهورون بأشبليية وغيرهم . انتهت العدنانية . وهم الصريح من ولد اسماعيل عليه السلام .

واختلف في القحطانية ، هل هم من ولد اسماعيل ؟ أو من ولد هود ؟ على ما هو معروف ، وظاهر صنيع البخاري الاول ، والاكثر على خلافه . والقحطانية هم المعروفون باليمانية ، وكثيراً ما يقع بينهم وبين المضرية وسائر العدنانية الحروب بالأندلس ، كما كان يقع بالشرق ، وهم الاكثر بالأندلس ، والملك فيهم أرسنخ ، إلا ما كان من

خلفاء بنى أمية ، فان القرشية قدمتهم على الفرقتين ، واسم الخلافة لهم بالشرق . وكان عرب الأندلس يتميزون بالعمائر والقبائل والبطون والافخاذ ، إلى أن قطع ذلك المنصور بن أبي عامر الداهية الذي ملك سلطنة الأندلس ، وقصد بذلك تشتيتهم ، وقطع التحامهم وتمصبهم في الاعتزاء ، وقدم القواد على الأجناد ، فيكون في جند القائد الواحد فرق من كل قبيل ، فانحسرت مادة الفتن والاعتزاء بالأندلس ، إلا ما جاءت على غير هذه الجهة .

قال ابن حزم : جامع أنساب اليمن من جرم بن كهلان ، وحمير بن يشجب ابن يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، وقيل قحطان بن الهمة يسع بن تيهان بن نابت بن اسماعيل ، وقيل قحطان بن هود ابن عبد الله بن رباح بن جارف بن عاد بن عوص بن إرم بن سام . والخلف في ذلك مشهور ، فمنهم كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، ومنهم الأزدي ابن القوثر بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ، واليهيم ينتسب محمد بن هاني . الشاعر المشهور الليثي ، وهو من بنى المهلب . ومن الأزدي ينتسب إلى غسان ، ومن بنو مازن بن الأزدي ، وغسان ماء شر بوا منه . وذكر ابن غالب ان منهم بنى القسيبي من أعيان غرناطة ، وكثير منهم بصالحه ، قرية على طريق مالقة ، ومن الأزدي ينتسب إلى الأنصار على العموم ، وهم الجرم الفقير بالأندلس .

قال ابن سعيد : والمعجب أنك تعلم هذا النسب بالمدينة ، وتجد منه بالأندلس في أكثر بلدانها ما يشد عن العدد كثرة . ولقد أخبرني من سأل عن هذا النسب بالمدينة فلم يجد منه إلا شيخاً من الخرج ، وعجوزاً من الأوس . قال ابن غالب : وكان جزء الأنصار بناحية طليطلة ، وهم أكثر القبائل بالأندلس في شرقها ومغربها انتهى . ومن الخرج بالأندلس أبو بكر عبادة بن عبد الله بن ماء السماء ، من ولد سعد بن عبادة ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو المشهور بالموشحات . وإلى قيس بن سعد بن عبادة ينتسب بنو الأحمر سلاطين غرناطة ، الذين كان لسان

الدين بن الخطيب أحد وزرائهم ، وعليهم اقترض ملك الأندلس من المسلمين ، واستولى العدو على الجزيرة جميعاً كما يذكر . ومن أهل الأندلس من ينتسب إلى الأوس أخى الخزرج ، ومنهم من ينتسب إلى غافق بن عك بن عديان بن أزان بن الأزد . وقد يقال عك بن عدنان بالنون . فيكون أخاً معد بن عدنان وإيس بصحيح قال ابن غالب : من غافق : أبو عبد الله بن أبي الخصال الكاتب ، وأكثر جهات شقورة ينتسبون إلى غافق . ومن كهلان من ينتسب إلى همدان ، وهو أوسلة ابن مالك بن زيد بن أوسلة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان ، ومنزل همدان ^(١) مشهور ، على ستة أميال من غرناطة . ومنهم أصحاب غرناطة بنو أضحى . ومن كهلان من ينتسب إلى مذحج . ومذحج اسم أكمة حمراء بالين ، وقيل اسم أم مالك وطىء بن أدد بن زيد بن كهلان . قال ابن غالب : بنو سراج الأعيان من أهل قرطبة ينتسبون إلى مذحج . ومنزل طىء بقبلى مرسية . ومنهم من ينتسب إلى مراد بن مالك بن أدد . وحصن مراد بين أشبيلية وقرطبة مشهور . قال ابن غالب : وأعرف بمراد منهم خلقاً كثيراً . ومنهم من ينتسب إلى عنس بن مالك بن أدد ومنهم بنو سعيد مصنفو كتاب المغرب . وقلة بنو سعيد مشهورة في مملكة غرناطة . ومن مذحج من ينتسب إلى زبيد قال ابن غالب : وهو منبه بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد . ومن كهلان من ينتسب إلى مرة بن ادد بن زيد بن كهلان . قال ابن غالب : منهم بنو المنتصر العلماء من أهل غرناطة . ومنهم من ينتسب إلى عاملة . وهى امرأة من قضاة ، ولدت للحرث بن عدي بن الحرث مرة بن أدد فتسب ولدها منه إليها . قال ابن غالب : منهم بنو سمالك القضاة من أهل غرناطة . وقوم زعموا أن عاملة هو ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وقيل هم من قضاة .

(١) الاسبان يسمون هذا المكان « هدين » Hendin لأنهم قلبوا الميم نوناً ثم لفظوا الألف بالأمالة فصارت كاليا .

ومن كهلان خولان بن عمرو بن الحرث بن مُرّة . وقلعة خولان مشهورة بين الجزيرة الخضراء واشبيلية . ومنهم بنو عبد السلام أعيان غرناطة . ومنهم من ينتسب إلى المعافرين يعفر بن مالك بن الحرث بن مرة ، منهم المنصور بن أبي عامر صاحب الأندلس . ومنهم من ينتسب إلى نخم بن عدى بن الحرث بن مرة . منهم بنو عباد أصحاب اشبيلية وغيرها . وهم من ولد النعمان بن المنذر صاحب الحيرة . ومنهم بنو الباجي أعيان اشبيلية ، وبنو وافد الأعيان . ومنهم من ينتسب إلى جذام ، مثل ثوبة بن سلامة صاحب الأندلس ، وبنو هود ملوك شرق الأندلس . ومنهم المتوكل ابن هود الذي صحت له سلطنة الأندلس بعد الموحدين . ومنهم بنو مردنيش أصحاب شرق الأندلس . قال ابن غالب : وكان لجذام جزء من قلعة رباح . واسم جذام عامر ، واسم نخم مالك ، وهما ابنا عدى

ومن كهلان من ينتسب إلى كندة ، وهو ثور بن عفير بن عدى بن مرة بن أد ، ومنهم يوسف بن هرون الرمادي الشاعر . ومنهم من ينتسب إلى تَجِيب ، وهي امرأة أشرس بن السكون بن أشرس بن كندة . ومن كهلان من ينتسب إلى خُثَم بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الفوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ومنهم عثمان بن أبي نسمة ^(١) سلطان الأندلس . وقد قيل أنمار ابن نزار بن معد ابن عدنان . انتهت كهلان .

وأما حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان فمنهم من ينتسب إلى ذى رُعَيْن . قال ابن غالب : وذو رُعَيْن هم ولد عمرو بن حمير في بعض الأقوال ، وقيل هو من ولد سهل بن عمرو بن قيس بن معارية بن جُشم بن عبد شمس بن وائل بن الفوث بن قَطَن بن عَرِيب بن زُهَيْر بن إِيْمَن بن الهمَيْسَع بن حمير . قال : ومنهم أبو عبد الله الحنّاط الأعمى الشاعر . قال الخازمي في كتاب النسب : واسم ذى رُعَيْن

(١) أكثر الافرنج يحملون عثمان بن أبي نسمة هذا الذي تزوج بابنة الكونت اود ملك غاليا بربريا ولم نعلم سندهم في ذلك

عَريم بن زيد بن سهل . وَوَصَلَ النِّسْب . وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى ذِي أَصْبَح . قَالَ
ابن حزم : هُوَ ذُو أَصْبَحَ بن مالك بن زيد من ولد سبا الأصغر ابن زيد بن سهل
ابن عمرو بن قيس ، وَوَصَلَ النِّسْب . وَذَكَرَ الْحَازِمِيُّ أَنَّ ذَا أَصْبَحَ مِنْ كَهْلَان . وَآخِرُ
أَنَّ مِنْهُمْ مَالِكَ بن أنس الإمام ، والمشهور أنهم من حمير . وَالْأَصْبَحِيُّونَ مِنْ أَعْيَانِ
قَرْطَبَةِ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى يَحْصَبُ قَالَ ابن حزم : إِنَّهُ أَخُو ذِي أَصْبَحَ ، وَهُمْ كَثِيرٌ
بِقَلْعَةِ بَنِي سَعِيدٍ ، وَقَدْ تُعْرَفُ مِنْ أَجْلِهِمْ فِي التَّوَارِيخِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ بِقَلْعَةِ يَحْصَبُ . وَمِنْهُمْ
مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى هَوَازِنَ بن عوف بن عبد شمس بن وائل بن الغوث . قَالَ ابن غالب
وَمَنْزَلُهُمْ بِشَرْقِ أَشْبِيلِيَّةِ وَالْهَوَازِنِيُّونَ مِنْ أَعْيَانِ أَشْبِيلِيَّةِ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى
قُضَاعَةَ بن مالك بن حمير ، وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ قُضَاعَةُ بن معد بن عدنان ، وَلَيْسَ بِمُضْضٍ
وَمِنْ قُضَاعَةَ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى مَهْرَةَ ، كَالْوَزِيرِ أَبِي بَكْرٍ بن عمار ، الَّذِي وَثَبَ
عَلَى مَلِكِ مَرْسِيَّةِ ^(١) ، وَهُوَ مَهْرَةُ بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قُضَاعَةَ . وَمِنْهُمْ
مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى خَشِينِ بن تنوخ ، قَالَ ابن غالب : وَهُوَ بن مالك بن فهم بن نمر
ابن وبرة بن تغلب . قَالَ الْحَازِمِيُّ : تَنُوخٌ هُوَ مَالِكُ بن فهم بن تيم الله بن
أسد بن وبرة . وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى بَلِيٍّ بن عمرو بن الحاف بن قُضَاعَةَ . وَمِنْهُمْ
الْبَلَوِيُّونَ الْأَشْبِيلِيُّونَ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى جُهَيْنَةَ بن أسود بن أسلم بن عمرو بن
الحاف بن قُضَاعَةَ . قَالَ ابن غالب : وَبِقَرْطَبَةِ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى
كَلْبِ بن وبرة بن تغلب بن حلوان ، كَبْنِي أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الَّذِينَ مِنْهُمْ بَنُو جَهْوَرٍ مَلُوكِ
قَرْطَبَةِ وَوَزَرَائِهِمْ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى عَذْرَةَ بن سعد هذيم بن زيد بن أسود بن
أسلم بن عمرو بن الحاف بن قُضَاعَةَ . وَمِنْهُمْ أَعْيَانُ الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ بَنُو عَذْرَةَ

وَمِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى حَضْرَمَوْتِ مِنْهُمْ الْخَضْرَمِيُّونَ بِمَرْسِيَّةِ
وَعَرْنَاطَةِ وَأَشْبِيلِيَّةِ ^(٢) وَبَطْلَيْوُسَ وَقَرْطَبَةَ . قَالَ ابن غالب : وَهُمْ كَثِيرٌ بِالْأَنْدَلُسِ ،

(١) وَهُوَ الَّذِي قَتَلَهُ الْمُعْتَمِدُ بن عبادَ صَاحِبِ أَشْبِيلِيَّةِ لِهَجْوِهِ إِيَّاهُ هَجْوًا مُقْدَعًا

(٢) ابْنُ خَلْدُونِ صَاحِبُ التَّارِيخِ هُوَ مِنْ حَضْرَمَةِ أَشْبِيلِيَّةِ وَلَا تَزَالُ فِي إِسْبَانِيَا

وَنَائِقُ خَطِيئَةٍ تَثْبُتُ أَمْلَاكَ بَنِي خَلْدُونِ فِي ذَلِكَ الصَّقْعِ

وفيه خلاف ، قيل : إن حضرموت هو ابن قمحطان ، وقيل هو حضرموت بن قيس ابن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن جيدان بالجيم بن قَطَّان ابن العريب بن الغرز بن نبت بن أيمن بن الهيسع بن حمير . كذا نسق النسب الحازمي ومن أهل الأندلس من ينتسب إلى سلامان ، ومنهم الوزير لسان الدين بن الخطيب حسبما ذكر في محله .

وقد رأيت أن أسرد هنا أسماء ملوك الأندلس من لدن الفتح إلى آخر ملوك بني أمية ، وإن تقدم ، ويأتي ذكر جملة منهم بما هو أتم مما هنا فنقول : طارق بن زياد مولى موسى بن نصير ، ثم الأمير موسى بن نصير ، وكلاهما لم يتخذ سرير السلطنة ثم عبد العزيز بن موسى بن نصير ، وسريه اشبيلية ، ثم أيوب بن حبيب اللخمي وسريه قرطبة . وكل من يأتي بعده فسريه قرطبة ، والزهراء والزاهرة بجانيها ، إلى أن انقضت دولة بني مروان ، على ما ينبه عليه ، ثم الحر بن عبد الرحمن الثقفي ، ثم السَّمْع بن مالك الخولاني ، ثم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي ، ثم غنبة بن سحيم السكبي ، ثم عذرة بن عبد الله الفهري ، ثم يحيى بن سلمة السكبي ، ثم عثمان بن أبي نسعة الخثعمي ، ثم حذيفة بن الأحوص القيسي ، ثم الهيثم بن عبيد السكابي ثم محمد بن عبد الله الأشجعي ، ثم عبد الملك بن قَطَّان الفهري ، ثم بلج ، ثم بشر ابن عياض القشيري ، ثم ثعلبة بن سلامة العاملي ، ثم أبو الخطار بن ضرار السكبي ، ثم ثوبة بن سلامة الجذامي ، ثم يوسف بن عبد الرحمن الفهري . وههنا انتهى الولاية الذين ملكوا الأندلس من غير موارثة ، أفرادا ، عددهم عشرون ، فيما ذكر بن سعيد ، ولم يتعدوا في السمة لفظ الأمير قال ابن حيان . مدتهم ، منذ تاريخ الفتح من لنريق ساطان الأندلس النصراني ، وهو يوم الأحد لخمس خلون من شوال سنة اثنتين وتسعين إلى يوم الهزيمة على يوسف بن عبد الرحمن الفهري ، وتغلب عبد الرحمن بن معاوية المرواني على سرير الملك بقرطبة ، وهو يوم الأضحى لعشر خلون من ذي الحجة سنة ثمان وثلاثين ومائة - ست وأربعون سنة وخمسة أيام اه .

ثم كانت دولة بنى أمية ، أولهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك
ثم ابنه هشام الرضى . ثم ابنه الحكم بن هشام . ثم ابنه عبد الرحمن الأوسط . ثم
ابنه محمد بن عبد الرحمن . ثم ابنه المنذر بن محمد . ثم أخوه عبد الله بن محمد . ثم ابن
عمه عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله . ثم ابنه الحكم المستنصر ، وكرسيهما
الزهراء . ثم هشام ابن الحكم . وفى أيامه بنى حاجبه المنصور بن أبى عامر الزاهرة . ثم
المهدى محمد بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر . وهو أول خلفاء الفتنة ، وهدمت فى
أيامه الزهراء والزاهرة ، وعاد السرير إلى قرطبة . ثم المستعين سايمان بن الحكم بن
سليمان بن الناصر ، ثم تخلت دولة بنى حمود العلويين ، وأولهم الناصر على بن حمود
العلوى الادريسى . ثم أخوه المأمون القاسم بن حمود . ثم كانت دولة بنى أمية الثانية
وأولها المستظهر عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر . ثم المستكفى محمد
ابن عبد الرحمن بن عبد الله . ثم المعتمد هشام بن محمد بن عبد الملك بن الناصر ،
وهو آخر خلفاء الجماعة بالأندلس . وحين خلع اسقط ملوك الأندلس الدعوة للخلافة
المروانية ، واستبدت ملوك الطوائف كابن جهور فى قرطبة ، وابن عباد باشبائية ،
وغيرهما ، ولم يمد نظام الأندلس إلى شخص واحد إلى أن ملكها يوسف بن تاشفين
الملثم من بر العدو ، وفك بملوك الطوائف ، وبعد ذلك ما خاضت له ولا لولده على
ابن يوسف ، لأن بنى هود نازعوه فى شرقها بالشعر ، إلى أن جاءت دولة عبد المؤمن
وبنيه . فما صفت لعبد المؤمن بمحمد بن مردنيش الذى كان ينازعه فى شرق الأندلس
ثم صفت ليوسف بن عبد الرحمن بموت ابن مردنيش ، ثم لمن بعده من بنيه ،
وحضرتهم مراکش . وكانت ولايتهم تتردد على الأندلس وممالكها ، ولم يواووا على
جميعها شخصاً واحداً لعظم ممالكها ، إلى أن انقرضت منها دولتهم بالمتوكل محمد بن
هود من بنى هود ، ملوك سرقسطة ، وجباتها ، فملك معظم الأندلس بحيث يطلق عليه
اسم السلطان ، ولم ينازعه فيها إلا زيان بن مردنيش فى بانسية من شرق الأندلس ،
وابن هلالة فى طبرة من غرب الأندلس . ثم كثرت عليه الحوارج قريب موته

ولما قتله وزيره ابن الرميحى بالمرية زاد الأمر إلى أن ملك بنو الأحمر . وكان عرب أهل الأندلس فى المائة السابعة يخطبون لصاحب افريقية السلطان أبى زكريا يحيى ابن أبى محمد عبد الواحد بن أبى حفص . ثم تقلصت تلك الظلال ، ودخل الجزيرة الانحلال ، إلى أن استولى عليها حزب الضلال . والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

نظرة إجمالية

إن اسبانية والبرتغال ليستا على وجه الاجمال معروفتين حق المعرفة عند الناس ومهما اتسعت المعلومات عنهما فالناس تعلم عن أكثر البلدان الأوربية ما لا تعلمه عنهما ، لأن الممالك المعدودة كأنموذجات للمدينة الحاضرة ، والعواصم التى يقصد إليها السياح لأجل الفرجة والاستشفاء أو البحث . ويؤمها الطلبة لأجل تحصيل العلوم ، ليست فى اسبانية ولا فى البرتغال ، وإذا رجعنا إلى طبيعة الأرض ، وبداعة المناظر فايس فى الجزيرة الايبيرية فى الحقيقة من تنوع المناظر الساحرة ما فى إيطاليا مثلاً ، كما أن السائح لا يرى فيها تلك المروج الزمردية ، والبحيرات اللطيفة ، والجبال الشائخة ، المعجمة بالثلج ، ولا مسارح اللمحات التى يراها فى سويسرة ، ولكن مما لا جدال فيه أن مواقع معدودة من اسبانية والبرتغال تعد من أبدع مواقع العالم ، وأنها المثل الأعلى من جهة الجنان والبساتين .

أما من جهة المدينة فهى فى جنوبي اسبانية راجعة الى أشد أدوار التاريخ توغلاً فى القدم ، وقد كان للفينيقيين فى هذه البلاد دور طويل عريض ، وقد أثروا فيها آثاراً لاتزال بقاياها ماثلة إلى الآن ، ثم جاء الرومانيون ، وكانت لهم طبيعة عمرانية معروفة لهم شرقاً وغرباً ، فوجدوا مجال العمل فى اسبانية ذاسعة ، فعملوا ، وبنوا ، وأثروا ، وأثلوا ، وتركوا آثاراً ناطقة بفضلهم ، وجسوراً وأقنية معلقة منبثة عن شأوهم ، وملاهى وهياكل ، كالتى فى ماردة ، وطرق كونة ، ومريبطر ، وغيرها مما لا يدرسه الزمان ، ولا ينال منه الحدثان .

وجاء بعد ذلك العرب فأثّلوا في الجزيرة الايبيرية ، أو الجزيرة الاندلسية على رأيهم ، حضارة عربية شرقية بلغت من الأبهة ، والفراهة ، وسلامة الذوق ، سدره المنتهى ، فلا تكاد تمر بـمكان إلا للعرب فيه آثار باهرة ، وعنهم أخبار تتحدث بها السامرة ، ولا يزال نظام سقيا الجنان ، وتوزيع المياه على الارضين ، هو النظام الذى رتبوه في أيامهم ، ثم انه لا ينكر ان الفن المسيحى ، سواء في القرون الوسطى ، أو من بعد عهد النهضة Renaissance قد ترك في اسبانية آثاراً فاخرة ، ومبانى فخمة ، كقصر الاسكوريال مثلاً .

فالذين يقصدون إلى اسبانية من السياح لا تخيب آمالهم ، ولا تذهب نفقاتهم سدى ، وذلك لأن السائح الأوربى يجد دائماً في اسبانية أشياء جديدة بالنسبة اليه . فالبلاد كلها عبارة عن جزيرة يحيط بها البحر من جهاتها الثلاث ، وتحيط بها جبال البرانس الشاخنة من الجهة الرابعة ، فهي معزلة في مكانها ، متبذدة من اوربة زاوية خاصة بها ، غير متأثرة بغيرها ، محتفظة بجميع مميزات وخصائصها ، لا هى شرقية تماماً ، ولا هى غربية تماماً ، بل هى متوسطة بين اوربة وأفريقية ، واصله بين المشرق والمغرب ، منظوية في أحناء وجودها هذا المستقل على أسرار لا يعرفها إلا من أكثر من التجوال فيها ، وقرن السير بالنظر .

وهناك شعب شديد الحزوانة قائم بذاته ، لا يشبه غيره ، ولا يريد أن يتشبه بغيره ، وله مأخذ ومتارك لا ينزل عنها ، وهو بفطرته لا يحب تقايد الشعوب الاخرى ، بل هو من قديم الزمان مستمسك بأوضاعه ، متعال عن السير وراء أقرانه ، لا يرضى بما لديه بدلاً ، ولا يبتغى عما ائتمله جواً .

نعم من جهة الصناعة وفن الرسم والتصوير قد يقلد الاسبانيول سواهم ، بل يجد الناظر في كنائسهم وقصورهم آثاراً للفن الايطالى ، الذى يدور على محاكاة الطبيعة . وكذلك يجد في رسومهم وتصاويرهم تأثير الفن الفرنسى ، والفللمنكى ، بل ليس في اسبانية فن تصوير خاص بها ، ولا فن بناء خاص بها ، وإنما هى محاكاة للامم

الغربية الأخرى مع جزء فيها من الطبع الأسباني . وإذا كان السائح الأوروبي لم يعرف بلاد الشرق ، أو لم يقيض له أن يزور بلاد الإسلام ، فانه يجد في أسبانية آثاراً عربية ، تكفيه لأخذ صورة حقيقية عن المدنية الإسلامية ، التي منها في الأندلس أمثلة كافية ، وقطع تعد من أنفس وأرقى ما تركه العرب من الآثار في الأرض .

وأما السائح الشرقي فانه يقضى سياحته في أسبانية متأملاً ، غائصاً في بحار العبر هائماً في أودية الفكر . كلما عثر على أثر عربي خفق له قلبه ، واهتزت أعصابه ، وتأمل في عظمة قومه الخالين ، وما كانوا عليه من بعد نظر ، وعلو همم ، وسلامة ذوق ، ورفق يد ، ودقة صنعة . وكيف سمت بهم همهم إلى أن يقوموا بتلك الفتوحات في ما وراء البحر في بحبوحة النصرانية ، وملتطم أمواج الأمم الأوربية ، وأن يبنوا فيها بناء الخالدين ويشيدوا فيها ألوفاً من الحصون ، وأن يملأوها أساساً وغراساً ، كأنهم فيها أبد الآبدن ، فلا يزال قلب السائح المسلم في الأندلس مقسماً بين الإعجاب بما صنعه آباؤه فيها ، والابتهاج بما يعثر عليه من آثارهم ، وبين الحزن على خروجهم من ذلك الفردوس الذي كانوا مملوكوه ، والوجد على ضياع ذلك الارث الذي عادوا فتركوه ، وأكثر ما يغلب عليه في سياحته هناك هو الشعور بالألم ، فهو لا يزال يسير بين تأمل وتألم ، وتفكر ، وتحسر ، لكنه يريد مع ذلك أن يقتري هذه الآثار ، وأن يعيش في مساكن أولئك الآباء ، وأن يخاطب الأحجار ، وذلك لأنه لهوى النفوس سرائر لا تعلم ، من جماتها أنها تنزع إلى البكاء عند دواعي الوجد ، كما ترتاح إلى الطرب عند بواعث السرور ، وأنها قد تهتف بالأمرين معاً ، وتجمع الضدين شرعاً ، وأن كل ما هو حنين وتذكار ، وولوع بعد الأعيان بالآثار ، هو من سرائر البشرية ، ومما هو غالب على النفس الناطقة .

العمارة والفن في اسبانية

هذا ، وإذا حاولنا تحليل الإنشاء العمراني الذي يعول عليه في اسبانية وجدناه ينقسم إلى أربعة أدوار : روماني ، وقوطي ، وعربي ، وأوربي متجدد ، فالروماني أعظم آثاره متجلية في مدينة ماردة ، قاعدة « لوزيتانيا » التي بناها أغسطس ، ففيها الجسر الذي كانت له ٨١ حنية ، وفيها القناتان المعلقتان ، وفيها الملهى التمثيلي ، وفيها ملهى التمثيل البحري وفيها الملعب العام ، وفيها هيكل المريح الذي تحول فيما بعد كنيسة وفيها قوس النصر الشهيرة ، وغير ذلك من المباني الخالدة . وطركونة فيها عدة هياكل وملهى تمثيلي ، وملعب وحمامات ، وجميعها من أفخم المباني الرومانية التي يقيد بها التاريخ لتلك الأمة العظيمة . وسقوبية Ségopice هي ذات القناة المعلقة التي طولها ٨١٨ متراً ، منها ٢٦٦ متراً راكبة على طاقين من الحنايا ، الواحد فوق الآخر ، عدد قناطرها ١١٩ قنطرة ، وهو أكمل وأروع بناء روماني في اسبانيا .

وأما القوطي فأقدم آثاره في « أوبيط » Oviedo وهي كنيسة « سان ميكال دولينو » San Mikal de Lino من بناء رامير الأول (٨٤٢ - ٨٥٠) وكنيسة



القناة الرومانية المعلقة في شقوبية

« سانتا مارية نارنكو » Naranco وغيرها . وفي برشلونة اديار البندكتيين « سان بابلو دالكبو San Pablo delcampo و « سانت بدرو دولاس بويلاس » San Pedro de Las Puellas من أبنية القرن العاشر .

وبعد ذلك لعهد بداية السكرة الاسبانيولية على العرب ظهرت صنعة جديدة في البناء تدل عليها كنائس ذلك الوقت ، يكثر في بنائها شكل الصليب ، ويقل الزخرف ، وتتماز بالرصانة والمتانة . ومن هذا النوع كنيسة « سانت ياقو دو كومبوستيلا » De Compostela التي يرجع بناؤها إلى سنة ١٠٦٠ ، وقد امتد إلى سنة ١٠٩٦ وهي تقليد لكنيسة « سان سرنين » في طلوزة . وعلى نسق هذه الكنيسة بنيت كنيسة « سان ايزيدورو » في ليون بين سنتي ١٠٦٣ و ١١٤٩ و « سانتا مارية » في « كورنية » وسان بدرو في وشقة وغيرها . ثم في القرن الثاني عشر بدأوا في اسبانية يقلدون نسق البناء المعروف في فرنسا ، ويقال له هناك غوتيق Gothique وأصله نسبة إلى القوط ، ولكنه ليس بالقوطي الاسبانيولي القديم ، فبنيت كنائس في طلمنكة ، وطر كونة ولاردة ، وتطيلة ، وآبله ، وسقوية ، على هذا النسق . وقد فاقت في الضخامة جميع ما تقدمها .

وفي مدينة برغش Burgos كنيسة كبرى بناها المطران موريسيو سنة ١٢٢١ تحتوي مجموعة فنون البناء في الثلاثة الاعصر الاخيرة لذلك العهد . وكان يقال انها أبداع كنيسة في اسبانية . بناها الاستاذ يوحنا الكولوني Jean Cologne وكان من بلدة كولونية بناؤون كثيرون يعملون في اسبانية ، وكانوا يتوخون في ذلك العهد مناغة الابنية العربية . ويحاولون التفوق عليها . فكنيسة برغش بنيت سنة ١٢٢١ وبعد ذلك بقليل ، عند ما حولوا المسجد الأعظم في طايطة الى كنيسة في سنة ١٢٢٧ اجتهدوا في أن يعطوه من السعة والاتقان والفضامة والضخامة ما لم يكن ممهوداً إلى ذلك الوقت ، وليس في اسبانية كنيسة أوسع رقعة من كنيسة طايطة سوى كنيسة اشبيلية . ثم بعد بناء كنيسة طايطة أشأوا الكنيسة الكبرى في ليون ،

(٢٠ - ج أول)

ذات الصور البديعة على البلور ، وتبع ذلك كنيسة « آبله » Avila ثم في القرن الرابع عشر والخامس عشر جدّ طرز آخر للبناء يميل إلى توسيع الداخل ، ومنه كنيسة سانت ياقو في طليطلة ، وكنيسة « استورقة » Astorca وكنيسة سان بنيتو في « بلد الوليد » Valladolid ودير « البرّال » Parrel في سقوية ، وفي « نبارة » Navarre كنيسة بنبلونة Panpelonne وهي أشبه بكنائس فرنسة . وأبهى تلك الكنائس كلها الكنيسة العظمى في رتسلونة . بناها فابر الميورقي . وفي القرن الخامس عشر بنيت كنيسة أشبيلية مكان الجامع الكبير الذي كان فيها ، وهي أوسع بنية في ذلك العصر ، بناها معلمون من هولاندة ، وكانوا قد بدأوا يقلدون العرب في نقش الكتابات على أحجار المباني العامة ، وتطريس الخطوط على الأبواب

وأما في كتلونية فانهى طرز اشياء الكنائس بأن أصبح مطابقاً تمام المطابقة لطرز بنائها في فرنسة ، ولد كشف الاسبانيول أميركة ، وبلغت اسبانية ما بافته من العظمة والبسطة في القرن الخامس عشر . ازداد الاسبان تفنناً في البناء . وشادوا تحت تأثير العز ، ونشوة الساطن ، وكثرة الخيرات ، مباني مذهشة ، تستحق السياحة من البلاد النائية ، وذلك من قبيل « سان بابلو » و « سان غريغوريو » في بلد الوليد ، و « سنتا كروس » في سقوية ، وفي ذلك العصر نبغ « خيل دوسيلو » الذي يعد عبقرى وقته في البناء . إلا أنه قد دخل إذ ذاك في هندسة الكنائس في أسبانية بدعة لم تكن تزيدها بهاء ولا رونقا ، وهي جعل موضع خاص في وسط البيعة لأجل الأخبار والقسيسين ، مما كان يخل بالهندسة ، وينافي وحدة الخطوط .

وكذلك هناك بدعة أخرى . ليست بأقل منها هجئة ، وهي الاجتهاد في منع النور عن الكنائس ، وإبقاء داخلها مظلماً بقدر الامكان . وهذه العادة فاشية في أكثر بيع أوربة حتى يظن الغريب الجاهل بالأوضاع أن الظلمة هي مستحبة في فانون الكنيسة ، وأن النور مكروه فيه . ولا نظن أحداً يكابر في هذه الحالة

وأما طرز البناء العربي فهو على العكس من ذلك فهو يكره الظلام ، ويجب

النور ، كما تشهد ذلك في جميع المساجد والمباني العمومية التي شادها المسلمون في الأندلس وغيرها ، فأما مسجد قرطبة فهو أعظم مسجد في أسبانية ، ومن أعظم المساجد في الاسلام ، لا أظن مسجداً يفوقه في السعة سوى المسجد الحرام ، وسوى المسجد الأقصى . وربما كان جامع ابن طولون في مصر بهذا المقدار . ولم يقع إنشاء المسجد الأعظم في قرطبة دفعة واحدة ، بل وقع شيئاً فشيئاً ، كما سيأتى تفصيل ذلك ، فكان يزداد فيه كلما ازداد سكان قرطبة . وترى الافرنج الذين يدخلون إليه يؤوّلون سمته هذه بأنه بناء قوم كانوا يحملون بأن الاسلام لابد أن يعم العالم ، فان المسقوف والصحن من هذا المسجد يسمان ثمانين ألف مصل يصلون وراء إمام واحد .

فأما النقش والفُسَيْفِساء اللذان في هذا المسجد فلا شك في كونها من الصنعة الميرنطية ، كما أنه لا شك في أن صنّاع المسلمين تعلموها وتفنّنوا فيها ، وقد تفنّنوا في الحِط والنحت والنقش والزينة بما جعل لهم أسلوباً خاصاً معروفاً بهم منسوباً إليهم ، تجده في مساجدهم ، وقصورهم ، وحماماتهم ، وأبراجهم ، وأبوابهم ، وكل بناء يولونه شطراً من عنايتهم .

ومما تمتاز به المباني الاسلامية نقش آيات القرآن الكريم ، والأحاديث الشريفة والامثال ، والأشعار ، في الحيطان والسقوف ، وفوق الابواب ، وفي الامكنة المعروضة للنظر ، بما ازداد به الابنية سناء ، والابهاء بهاء ، ويعد من نفائس الزينة التي تزدهر بها هذه المعاهد . ولقد رأيت في رُندة قاعة انكشفت جديداً ، حيطانها كلها من المرمر ، وقد حُفر عليها سورة الفتح من أولها إلى آخرها . وكان الاسبانيول يوم أجلاوا العرب عن الاندلس إذا رأوا بناء متقناً ، وضنوا به أن يجعلوه دكا ، أبقوه ماثلاً ، لكنهم غطوا بالجلس جميع ما على الحيطان من الكتابات العربية ، حتى يمحوا أثر الاسلام من بلادهم بالمرّة .

ولبت ذلك ديدنهم إلى هذا العصر الذي شعروا فيه بأن السياح إنما تقصد بلادهم لأجل مشاهدة الآثار العربية ، فرجعوا يتقبون عنها في كل سهل وجبل ،

وكما انكشف لأحدهم منها شيء عدّ نفسه قد عثر على كنز ، وصارت المجالس البلدية تمنع هدم أى أثر قديم للعرب ، وإن كان متداعياً إلى الخراب اكتفوا بتقويم شعثه ، وأبقوه على هيئته . وقد يكون الشارع ضيقاً ولا يسمحون بتوسيعه ، إذا استلزم ذلك هدم الأبنية العربية .

ومما يُعجب به الافرنج من مساجد الأندلس جامع في طليطلة يقال له اليوم « سانتو كريستو دولالوز » Dela Luz تاريخ بذته كما يفهم من الكتابة التى في مدخله سنة ٩٢٢ مسيحية . ولا استرجع الأسبانيول طليطلة في القرن الحادى عشر المسيحى حولوه كنيسة ، ولم يغيروا فيه إلا الجهة الشرقية . وفى هذا المسجد بقايا نقوش عربية بديمة . ويقال إن الأذفونش السادس الذى احتال على ابن ذى النون حتى أخذ من يده طليطلة قد سمع أول قداس بعد استيلائه على هذه البلدة في هذا المسجد نفسه . وفى طليطلة أيضاً من أمثلة الصنعة العربية كنيس لليهود يقصد إليه السياح لمقاسة بنائه . وقد بقى في الأندلس من الآثار العربية التى يشار إليها بالبنان قصر الجعفرية في سرقسطة ، ومنارة اشبيلية شهيرة ، وباب ساحة المارنج في هذه البلدة ، والقصر Alcazar الذى بناه ملك بطريرك القشتل وسكن على طرز العربى بأيدى بنائين من العرب .

فأما حمراء غرناطة فلا ترال إلى يوم الماس هذا زينة اسبانية وحليتها ، ومقصد المتفرجين من جميع الأقطار يزورها في دور السنة من سبعين الى مائة ألف متفرج ، ومن أغرب ما سمعت أن بعضهم يقيم الشهر والشهرين والثلاثة في غرناطة ، وقفها يمضى يوم إلا ويقصد فيه إلى الحمراء حتى يتمتع نظره بما فيها من نفائس الصنعة ، وبدائع الطبيعة ، لأن موقع الحمراء الطبيعى هو أيضاً نادر في الدنيا . ومما يحمد الله عليه أن صناعة البناء الأندلسية هى محفوظة كلها في المغرب ، لا تختلف في شيء عما كانت عليه في الأندلس ، وإن الزليج الذى تزين به الحيطان والساحات ، والذى يشبه القاشانى في المشرق ، لا يزال يصنع ويتنافس به .

هذا ، وبعد أن استرد الاسبان بلاد الانداس من أيدي العرب ، وصار هؤلاء تبعه لهم تحت اسم المدجنين ، والاسبان يقولون مدجّر Mudéjar بقيت الصنعة العربية زاهرة ، يبنى بها الاسبان أنفسهم ، ويدخلونها حتى في بعض كنائسهم ، وقد يجمعون بينها وبين الصنعة القوطية . ومن القصور المبنية على الطراز العربي قصر « الافانتادو » في وادي الحجارة ، وقصر اسمه « كازادل كاردون » Casa del Cardon في برغش ، من بناء مهندس عربي اسمه محمد ، من سقويبة ، تاريخ بنائه يرجع الى القرن الخامس عشر .

ولا تخلو اسبانية من أبنية قلدوا فيها الصنعة الايطالية بعد عصر التجدد Renaissance ثم رغبوا في زيادة التزيين والتزويق والتخريم والترصيع ، حتى سمي هذا الطرز من البناء بطرز الصياغة . وكان البنّاءون من الطليان يطوفون في اسبانية ، ويننون القصور لأمرائها بحسب الصنعة الايطالية ، وربما أرسل بعض المترفين من اسبانية إلى جنوة ، فأوصوا على رسوم لقبور موتاهم ، وبنوا بحسبها في بلادهم . ولم يكن الطليان وحدهم هم الذين يبنون بمقتضى الهندسة الجديدة في اسبانية بل كان هناك بناءون من فرنسة وهولاندة وبلجيكة وكان أشهر هؤلاء « أنريك دوايغاس » Enrique de Egas الذي همدس مدرسة « سنتا كروز » في بلد الوليد ، وعدة مستشفيات في طليطلة وغرناطة وسانت ياقو .

واشتهر من المعمّنين في ذلك العصر « فيايب فيكاري » Vigarni « وسيلو » Siloe الذي بنى كنائس غرناطة وكنيسة مالقة . واشتهر أيضاً دياغو دوريانو Diego Deriano الذي له ابنية شهيرة في اشبيلية . مثل دار البلدية ، وكذلك في تلك الحقبة بنيت في بياسة دار بلدية فاخرة . وفي أبذة كنيسة سانتا مارية المشهورة بناها المهندس المسمى « بلد البيرة » وهو الذي بنى كنيسة جيان . واشتهر أيضاً « ريبارا » ناني دار البلدية في شريش . ومن المدن الشهيرة بالمباني المشيدة بحسب الطراز الجديد طلمنكة Salamanca ذات الاديار والمدارس ، ومدينة القلعة

Alcala وقونكة . ثم جاء عهد فيليب الثانى ، وكان الميل فيه إلى الفخامة ، مع عدم الاعتناء بالزخرف ، وبحسب هذا الاسلوب بُنى الاسكوريال الشهير كما لا يخفى .

ثم جاء مهندسون أحبوا الخروج عن قواعد الفن ، ونزعوا منزع عدم التقيد مثل « جوفاره » Juvara الذى بنى قصر آل ربون الملوكى ، ويقال انه من أنفس آثار هذا الأسلوب الجديد الحر الذى يسميه الاسبان باسم « روكوكو » Rococo وكذلك يمدون مدخل كنيسة مرسية من طرف هذا الاسلوب . وبالأجمال فى اسبانية من جميع أساليب الفنون النفيسة ، وكلها تستحق النظر . وفيها عدا الكنائس وقصور الملوك والمباني العمومية منازل للنبل والمترفين فى كثير من المدن ، يجدر بالسائح أن يعوجوا عليها ، مثل قصور « آل بينافنت » Benavente فى بياسة ، وآل مدينة سالم Medinaceli فى « كوغولودو » Cogoludo وقصور « فالاسكو » Velasco « وميراندا » Miranda فى برغش وقصور « مندوزه » Mendoza فى وادى الحجارة ، وغيرها من قصور المثلثات النبيلة .

فأما صناعة النحت فقد وجد منها آثار قديمة ترجع إلى زمن الرومانيين ، لكنها شخوص معدودة . ثم وجدت تماثيل قليلة من أوائل عهد النصرانية . ولكن فن النحت ، فى اسبانية لم يبلغ درجة تستحق الذكر إلا فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر ، وإن وجد فى اسبانية بعض تماثيل تعد من طرف الفن فيكون ذلك من صنع الطليان أو الفرنسيين ، وفى كنيسة طركوة أمثلة من جميع أساليب النحت المعروفة حتى إن من جماتها محراباً باقياً من عهد المسلمين . وقد كان الغراب على بلاد « نبرة » الأسلوب الافرنسى فى النحت . كما ترى ذلك فى دير بنبلونة وأما كن أخرى وأجل ما فى اسبانية من التماثيل تماثيل السيدة مريم العذراء ، تجد منها نفائس فى اشبيلية وطرطوشة وميورقة وطليلة وغيرها . وأكثر ما تنحت التماثيل هو للأموات من ملوك وأمراء وأحبار وأعيان . وأشهر هذه تماثيل الملك فرديناند فى برغش ، وتماثيل الأسقف « فرنسيس دولونا » Deluna فى كنيسة سرقسطة . وكذلك تماثيل الأسقف

« دوسار قنتس » De Cervantes في اشبيلية وأرباب الفن يترنمون دائماً بذكر تماثيل برغش ، التي هي من خرط خيل « سيلو » Siloe ويعجبون بقبور كارلس الثالث وامراته في بنبلونة « وجوان كرادو » Grado في زمورة . ثم إنه في كنيسة سرقسطة المسماة « بالسيو » وفي كنيسة طركونة تماثيل يقول أهل الصنعة إنها يتألم في بابها .

ولو جاء الكاتب يحصى ما في اسبانية من التماثيل الشهيرة ، والتصاوير المستعذبة والتهويل المعروفة ببداعة الصنعة ، لطال به الأمر ، فان هذه البلاد ملأى بهذا النوع منه ما هو من عمل صنّاع طليان ، ومنه ما هو من عمل صنّاع البلدان الشماليه ، كفرنسة والمانية وبلجكة وهولاندة . ومن أشهر المتفنيين في النحت من أمة الاسبانيول « الونزو برّوغيت » Berruguete الذي كانت له حظوة لدى الامبراطور شارلكان في بلد الوليد ، فقد ترك هذا المِفَنُّ آثاراً كثيرة ، أثيرة ، يطول تعدادها . ومثله « بياترو توريجياني » Torrigiani . ومما يجب ذكره أن مملكة أراغون كانت لها مملكة قوية في صناعة النحت ، امتازت بها على غيرها من الأقطار الاسبانية واشتهر من صنّاعها « داميان فورمان » Forment ، كما أنه كان في قشتالة من الصنّاع المشهورين « كسبار بسرّة » Becerra أقام مدة طويلة في رومة ، وقد رجع منها أستاذاً كبيراً في النحت والتصوير معاً ، وكان يؤثر العمل في الخشب على العمل في الحجر ، وأحسن آثاره المذبح الذي في استورقة . ومن اشتهر في اشبيلية « مارتينس مونتانس » Montanes المدود من فحول هذا الفن ، وكان أسلوبه وطنياً محضاً ، غير متأثر بأى فن أجنبي . ونفع في القرن الثامن عشر نحات أصله طلياني ، مولود في مرسية اسمه « زار سيلو » Zarcillo وكان له مذهب خاص لا يقلد فيه غيره .

أما من جهة التصوير فلم يوجد في اسبانية بقايا تصوير من عهد القوط الأولين وإنما بقيت تصاوير راجعة إلى القرون التي كان فيها العرب مالكين لاسبانية . وان السامح يجد في الاسكوريال ، وفي المكتبة الوطنية في مجريط ، وفي أكاديمية التاريخ

في هذه العاصمة ، كتباً أثرية تشتمل تضاعيفها على صور يأخذ منها صورة ذهنية عن درجة هذا الفن في اسبانية لعهد العرب ، ومنها صور لبعض القصور العربية ، وكان يسمى هذا النوع من الرسم بالبيزنطى . ثم دخل في اسبانية التصوير الافرنسى ، ومنه آثار تذكر في طلمنكة ، و بنبلونة ، وتطيلة ، ودخل من جهة أخرى التصوير الايطالى واشتهرت له نفائس في بلمسية وكتلونيه وجزيرة ميورقة ، وامتاز بنصاعة الألوان ، ودقة التقاطيع ، وغلب عليه الجمال . وقد وجد في اسبانية نوع من التصوير لا يخلو من الصنعة العربية منه مذبح دير « بيادره » Piedra

وعلى كل حال فلا الفن الافرنسى ، ولا الفن الايطالى ، بلع في اسبانية في التصوير ما بلغه الفن الفلمنكى ، فلقد اشتهر من مصورى الفلمنك الذين كانت اسبانية معرضاً لبدائعهم « جان فان أيك » Van Eyck ونبغ مصورون اسبانويليون في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، هم من مقلدى الطريقة الفلمنكية . وفي كل مقاطعة من أسبانية يجد العارف بهذا الفن مساحة منتقلة اليها من مملكة أجنبية . ففي الشمال مثل نبرة وأراغون تسود الريشة الافرنسية ، وفي الشرق مثل بلمسية وميورقة تسود الريشة الإيطالية ، وأما في برشلونة فتوجد آثار الرسم الافرنسى والألماني والإيطالى على السواء ، وأبداع أمثلة التصوير الاراعونى والقشالى يجدها الإنسان في سقوية وآبله ، وفي المتحف الآتارى في مجريط ، كما أنه يجد أنفس قطع الفن السكتلونى في كنيسة برشلونة ، وكذلك يجد في متحف بلمسية وميورقة نفائس كثيرة . وفي اشبيلية يتجأى أيضاً الفن الفلمنكى عياناً ، لأن أعظم مصور في هذه البلدة وهو « كاسترو » Castro كان من أتباع الطريقة الفلمنكية ، ثم طرأت على اشبيلية طريقة جديدة طليانية الأصل تميل إلى محاكاة الواقع بمخاديفه ، وعدم الاسترسال إلى التخيل ، واشتهر بها مصور اسمه « زور باران » Zurbaran ولا تنس آثار مصورى البنادقة الذين من عملهم أمائيل أنيقة في الاسكوريال وقصر مجريط . وكان قد نبغ من رجال الفن البندقى مصور يقال له « تتوان » Tetuan ونبغ له تلميذ يونانى الأصل

أطلق عليه الأسبان لقب « الكريكو » Greco وقد رأيت لهذا الكريكو صوراً كثيرة في طليطلة

وفي القرن السادس عشر نبع في مصوري اسبانية رجل يقال له « هريره » Herrera يعدّه الاسبانيول الفن الوطنى الأكبر ، لأنه يمثل الرصانة والشدة والحمية والصفات التى تغلب عليهم . وكان أهل بلنسية معروفين بحسن الذوق فى التصوير ونبع فيهم نوابغ فى هذا الفن ، ولكن تأثير الفن الايطالى ظاهر فى تصاويرهم ، ومن أشهر هؤلاء « ريبالتا » Ribalta ثم « اسبينوزة » Espinosa تلميذه ثم « ريباره » Ribera . وليس فى اسبانية مدرسة أحدث عهداً فى التصوير من مدرسة غرناطة ومن نبغ فيها « الونزوكانو » Cano . وفى القرن السابع عشر نبغ « مورلو » Murillo الذى يحبه الاسبانيول أكثر من غيره ، وقد كان فى فنه من مقلدى الطبيعة ، أميناً للحقيقة ، لا يؤثر الخروج عنها ، وكان له ميل إلى محاكاة أذواق العامة وله تلاميذ كثيرون مثل « اوزوريو » Osorio و « طوبار » Tobar وظهر فى ذلك العصر أيضاً « فلاسكس » Velazquez وأصله من شاب وقد تبع فى التصوير الطريقة الاشبيلية ، وترك آثاراً يفتخر بها الاسبانيول ، مثل صورة فليب الرابع ، وصورة الدون كارلوس ، ولم يسن لنفسه طريقة يقال إنها طريقة مدرسيه ليتابعه الناس فيها ، بل لم يكن يتقيد بأسلوب خاص به . وفى مجرى نبغ « جوان كارينيو » Carreno فى أوائل القرن السابع عشر ، وكان مصوراً للبلاط الملوكى فى أواخر عهد آل هبسبورغ ، ثم اشتهر « سيريزو » Cerezo و « فرنسيسكو ريزى » Rizzi الذى يحاكي فى تصويره الألوان المستحبة فى الشرق . ومن مصورى القرن السابع عشر فى مجرى « ليوناردو » Leonardo ثم « مينوز » Munoz : وفى أواخر القرن السابع عشر نبغ « كولو » Coello وكان يحاكي الفلمنكيين بسطوع الألوان واشعاع النور ، وشثونة التقاطيع . وبه ختمت دولة التصوير القديمة فى اسبانية ، وقيل انه مات كدا ، لأن البلاط الملوكى استدعى إليه « جيوردانو »

Jiordano وفي زمن آل بوربون نبغ « بالومينو » Palomino ولكن البوربون في القرن الثامن عشر اعتمدوا على مصورى الفرنسيس ، وروجوا بضائعهم . وفي أواخر القرن الثامن عشر ، إلى أوائل التاسع عشر ، اشتهر « فرنسيسكو غويا » Goya وكان هذا الرجل أعجوبة في طريقته ، يرسل نفسه على سجيته ، ولا يعرف المحابة ، وقد تعرض غويا هذا لجميع المواضيع ، وله تصاوير دينية معلقة في كنائس طليطلة وبلنسية ومجريط ، إلا أنه لم يكن يحسن إلا هذا اللون ، ولم يكن الناس يحبون تصاويره إلا لخشونتها ، ولمذهبه في الصراحة ، لارثاء فيها . والصورة التي رسمها لعائلة كارلوس الرابع هي في الحقيقة مخراة ناطقة بعظائم أمور . وله تصاوير ملاعب الثيران ، وديوان التفتيش ، وتصاوير تمثل حرب الاستقلال ، أجاد فيها إلى الغاية ويقال إنه أقدر مصور مثل أعياد الاسبانيول . وجاء خلفا له مصور يقال له « مدرازو » Madrazo

ثم جاء العصر الأخير فنبغ « براديللا » Pradilla « وبنليور » Benlliure واضرابهما ، فأتقنوا الصور التاريخية ، وفق هوى الاسبانيول في الغرام بالماضى المجيد ، والافتتان بالعظيم والمحزن والمناظر القاسية . ثم ظهر المصور « فورتوفى » Fortuny وهو من كتلونية ، اعتنى بالحياة العصرية ، وكان له ملكة تامة في ايجاد تناسب الألوان ، على نمط نساجى خراسان وكشمير . وبالجملة فالاسبانيول أصحاب دولة في التصوير والنحت ، وربما كانوا أدرى بتمثيل أحوالهم الداخلية ، والأشكال التي ترتاح إليها نفوسهم من سائر الأمم ، ولو كان الآخرون أعلى منهم كعباً في الفنون النقيسة على وجه العموم

كلام القاضى أبى القاسم صاعد بن أحمد الأندلسى الطليطلى

المتوفى سنة ٤٦٢ هـ وذلك عن الأنـدلس العربية فى كتابه « طبقات الأمم »

قال تحت عنوان « العلوم فى الأنـدلس » : وأما الأنـدلس فكان فيها أيضاً بعد تغلب بنى أمية عليها جماعة عُـنيت بطلب الفلسفة ، ونالت أجزاء كثيرة منها ، وكانت الأنـدلس قبل ذلك فى الزمان القديم خالية من العلم ، لم يشتهر عند أهلها أحد بالاعتناء به إلا أنه يوجد فيها طليسات قديمة فى مواضع مختلفة ، وقع الاجماع على أنها من عمل ملوك رومية ، إذ كانت الأنـدلس منتظمة بمملكـتهم

ولم تزل على ذلك عاطلة من الحكمة إلى أن افتتحها المسلمون فى شهر رمضان سنة اثنتين وتسعين من الهجرة ، فتمادت على ذلك أيضاً لا يعنى أهلها بشىء من العلوم إلا بعلوم الشريعة ، وعلم اللغة ، إلى أن توطد الملك لبنى أمية ، بعد عهد أهلها بالفتنة ، فتحرك ذوو المـهم لطلب العلوم ، وتنهبوا لإشارة الحقائق على حسب ما يأتى ذكره بعد أن شاء الله تعالى .

وأما دين أهل الأنـدلس فدين الروم من الصابئة أولاً ثم النصرانية إلى أن افتتحها المسلمون فى التاريخ الذى ذكرناه ، وأما ملكهم فكان لطوائف من الأمم مختلفة ، تداولوها أمة بعد أمة ، فمن تلك الأمم الروم وكان عمالهم ينزلون مدينة طائفة العتيقة المجاورة لاسبيلية . واتصل ملكهم بها زمناً طويلاً إلى أن غلبتهم عليها القوط . فانسخ الملك الرومى منها ، واتخذ القوط مدينة طليطلة ، من مدائن العتيقة قاعدة لملكه ، وملكوا الأنـدلس أغـم ملك قريباً من ثلاثمائة سنة ، إلى أن غلبهم المسلمون عليها فى التاريخ الذى قدمنا ذكره ، واقتعد ملوكهم قرطبة وطنا ، ولم تزل مركزاً لملك المسلمين بها إلى زمان الفتنة ، وانتشار الأمر على بنى أمية . فافترق عند

ذلك شمل الملك بالأندلس ، وصار إلى عدة من الرؤساء ، حالهم كحال الطوائف من الفرس .

وأما حدود الأندلس ، فإن حدها الجنوبي منها الخليج الرومي ، الخارج مما يقابل طنجة في موضع يعرف بالزقاق ، سمته اثنا عشر ميلا ، ثم ينتهي إلى مدينة صور من مدائن الشام . وحدها الشمالي والغربي ، البحر الأعظم المسمى أوقيانوس المعروف عندنا ببحر الظلمة . وحدها الشرقي الجبل الذي فيه هيكل الزهرة اوصل ما بين البحرين : بحر الروم ، والبحر الأعظم ، ومسافة ما بين البحرين في هذا الجبل ثلاث مراحل ، وهو الحد الأصغر من حدود الأندلس ، وحدها الأكبر كبران الجنوبي والشمالي ، ومسافة كل واحد منهما نحو ثلاثين مرحلة ، ومسافة حدها الغربي نحو من عشرين مرحلة ، ووسط الأندلس مدينة طليطلة العتيقة ، التي كانت قاعدة القوط . وعرضها ٣٩ درجة و ٥٠ دقيقة ، وطولها ٢٨ درجة بالتقريب ، فصارت بذلك في التقريب من وسط الاقليم الخامس ، وهي في وقتنا هذا الذي هو سنة ستين واربعمائة قاعدة الأمير أبي الحسن يحيى بن اسماعيل بن عامر بن مطرف بن موسى بن ذي النون عظيم ملوك الأندلس . وأقل بلاد الأندلس عرضاً المدينة المعروفة بالجزيرة الخضراء ، على البحر الجنوبي منها ، وعرضها ٣٦ درجة ، وأكثر مدنها عرضاً بعض المدائن التي على ساحلها الشمالي ، وعرض ذلك الموضع ٤٣ درجة ، فمعظم الأندلس في الاقليم الخامس ، وطائفة منها في الاقليم الرابع ، كأشبيلية ، ومالقة ، وقرطبة ، وغرناطة ، والمرية ، ومرسية . وهذا الجبل الذي ذكرنا فيه هيكل الزهرة الذي هو الحد الشرقي من الأندلس ، هو الحاجز ما بين الأندلس وبين بلاد افرنسة من الأرض الكبيرة ، التي هي بلاد افرنجة العظمى والأندلس آخر المعمور في المغرب ، لأنها كما ذكرنا منتهية إلى بحر الأوقيانوس الأعظم اه

التقسيمات الجغرافية

القشتالتان وليون

لم تكن اسبانية في الماضي مملكة واحدة كما هي الآن ، بل كانت أقساماً شتى ، وممالك مستقلة بعضها عن بعض . وبعد أن غلب العرب على جميعها ، ولم يبق موضع قدم منها لم يستولوا عليه ، بقيت صخرة لاذ بها ملك يقال له « بلاى » ، دخل في كهف منها بثلاثمائة رجل ، فلم يزل العرب يقاتلونه حتى مات أصحابه جوعاً ، وترامت طائفة منهم إلى الطاعة ، فلم يزالوا ينقصون حتى بقى فى ثلاثين رجلاً ، معهم عشرين سوة أصرّوا على الامتناع فى ذلك الكهف ، الذي كان يصعب الوصول اليه ، وجعلوا يقتاتون من العسل الذي كان النحل يمجّه فى خروق الصخرة ، فاستخف بهم المسلمون وتركوهم وقالوا على ما فى رواية « أخبار مجموعة » : ثلاثون عجباً ما عسى أن يكون أمرهم ! ؟ فهؤلاء ، بعد رجوع المسلمين عنهم عادوا فخرجوا من الصخرة غير خاضعين ، واعصوب حولهم كل من نزع به فى تلك الأرض عرق الأنفة عن الخضوع للأجنبي ، ورأس بلاى هذا تلك العصاة التى لم تزل تنمو وتغلظ ، حتى صارت اشارة حقيقية ، ثم مملكة يحسب حسابها . ثم تكونت منها سلطنة قشتالة التى هى أول حكومة اسبانيولية استقلت عن العرب بعد أن دانت لهم جميع الجزيرة الايبيرية .

ثم لما بدأ العرب يتراجعون إلى الجنوب ، بسبب الفتن التى كانت تقع بينهم وبين البربر ، وتقع فيما بينهم بعضهم مع بعض ، جعلت قشتالة تسترد شيئاً فشيئاً من البلدان التى كان المسلمون قد استعمروها ، وصار المسلمون يجلبون عن الشمال إلى الجنوب ، فلذلك انقسمت قشتالة الى ما يقال له « قشتالة القديمة » و « قشتالة الجديدة » وجميع قشتالة Royaume de deux Castilles واقعة بين جبال « استورياس » Asturies و « بسقاية » Biscaye من الشمال ، ومملكتي « اراغون » و « بلنسية »

من الشرق ، ومملكة « مرسية » والاندلس من الجنوب ، و « الاسترامادور » و « ليون » من الغرب . فأما « قشتالة القديمة » Castilla la Vieja فهي إلى الشمال وأما « قشتالة الجديدة » Castilla la Heuva فهي إلى الجنوب . والبسيط المرتفع الايبيري الذي يقول له الاسبانيول « ميزيتا » Meseta يشتمل على القشتالتين وليون والاسترامادور . وليس في هذا البسيط شيء ينطبق على ما يتخيله الناس ، وما تسير به الأخبار عن خصب اسبانية ، وكرم تربتها . وطيب نجعتها ، واعتدال هوائها . والحقيقة ان اسبانية التي كسبت تلك الشهرة ، وقيل انها جنة الله في أرضه ، هي مقاطعات اسبانية الجنوبية والشرقية ، وقطعة من وادي إربره لاغير . ومتوسط ارتفاع هذا البسيط الذي نحن في صدده عن سطح البحر هو ٨٠٠ متر يحده من الشمال جبال اشتورياس Asturias وجبال قنتبرية Cantabres ومن الشرق الجبال المسماة بالايبيرية ومن الجنوب شارلات موريتا . وقولنا انه ليس مطابقاً للصفة التي يتخيلها الناس عن اسبانية لا ينبغي أن يكون فيه أودية عميقة ، ذات زرع وصرع ، وإن كان يوجد بجوانبها بسائط ، هي في الحقيقة غير فائقة للسكنى . من قسوة هوائها ، وكثرة أرضها . وأما تقسيمات قشتالة القديمة التي أوتدها جبال قنتبرية في الشمال والتي ربيتها بواسطة « الوادي »^(١) الجوفي « أي « دورو » Douro ووادي « إربره » ووادي

(١) هذا النهر أول منابعه مكان يقال له أوربيون Urbion على علو ٢٢٥٥ متر عن سطح البحر بين شارلات دومندا Demanda وشارلات سان لورانزو Lorenzo وشارلات سيبوليرا Cebollera وهي التي منها تنحدر مياه نهر إربره أيضا . وأصل اسمه دورو Duero مشتق من لفظة « دور » Dour ، ومعناها الغزارة ، واتصال هذا النهر بنهر إربره كان له تأثير في الوحدة الأسبانية . أي في توحيد قشتالة مع أراغون . والوادي الجوفي هذا يجري على ارتفاع سبعمائة متر فوق سطح البحر ، فهو يسقى بسائط في غاية الاتساع ، إلى أن يصل إلى بلد الوليد ، التي هي على يمينه ، وفي أول مجراه ينحدر انحداراً خفيفاً حتى يصل إلى الحدود بين أسبانيا والبرتغال ، فهو ينصب هناك بجرية شديدة في مضائق تجعل منه نهراً هائلاً ، ويصير مجراه في غاية العمق ، وفي بعض

« بَسِيورقة » Pisuerga فهي ست مقاطعات : الاولى « برغش » Burgos ومساحتها ١٤١٩٦ كيلو متراً مربعاً ، وعدد سكانها نحو من ٣٥٠ ألف نسمة . والثانية « آبله » Avila ، ومساحتها ٨٠٤٧ كيلو متراً مربعاً . وعدد سكانها ٢١٠ آلاف نسمة ، والثالثة « سقوية » Ségovie ومساحتها ١٠٣١٨ كيلو متراً مربعاً ، وعدد سكانها زهاء ١٧٠ ألف نسمة . والرابعة « شورية » Soria ومساحتها ١٠٣١٨ كيلو متراً مربعاً وعدد سكانها ١٦٠ ألف نسمة . والخامسة « لوكروني » Logrono ومساحتها ٥٠٤١ كيلو متراً مربعاً ، وعدد سكانها ١٩٠ ألف نسمة . والسادسة « شنت اردم » أو « شنت اندر » Santander ومساحتها ٥٤٦٠ كيلو متراً مربعاً ، وعدد سكانها نحو من ٣٠٠ ألف نسمة .

أما قشتالة الجديدة فهي في قلب اسبانية تتوسطها شارات « وادي الرمل » Guadarrama وأعلى قنة فيها ترتفع عن سطح البحر ٢٣٨٥ متراً وهي إلى الشمال من قشتالة الجديدة ، وأما شارات مورينا فهي منها إلى الجنوب الغربي ، وفيها يمر « وادي تاجه » Tago « وادي شقر » Xucar و « مَنَزَانارس » Manzanares « وادي يانة » Guadiana وهي تشتمل على المقاطعات الآتية:

الاما كن ترتفع ضفافه مائتي متر عن سطح المياه ، وأحياناً تتقارب الضفتان تقارباً شديداً ، وينحصر الماء انحصاراً عجيباً ، وتتكون من هذا الوادي شلالات ، لو استخدمت قوتها الكهربائية لجاءت بالخوارق ، ولكنه عند ما يدخل في بلاد البرتغال ينسط في الأراضي ، ويعود هادئاً . وللوادي الجوفي أنهر تمده من اليمين ومن الشمال ، منها دوراتون Duraton وسيغه Cega وأداجه Adaja وزابارتيال Zapartiel وطورماس Tormes ويقال انهم يفكرون في شق جداول بين هذه الأنهار ، حتى يمكن المجيء على الماء من طلنكة ، التي هي على نهر طورماس ، إلى زمورة ، التي هي على الوادي الجوفي . ونهر أداجه هو نهر آبله ، ولكن أراضيها لا تستفيد منه كما يجب ، ونهر زابارتيال وهو نهر مدينة الكبو . وأما نهر طورماس ، فانه يسقى بسططلنكة ويتصبب إلى الوادي الجوفي على مقربة من البرتغال وأما اشقوية فان نهرها هو المسمى بآرسما Aresma

مقاطعة « مجريط » Madrid ومساحتها نحو من ٨٠٠٠ كيلومتر مربع ، وعدد سكانها ٨٨٠ ألف نسمة . و « طليطلة » ومساحتها ١٥٣٣٤ كيلو متراً مربعاً ، وسكانها نحو من ٤١٥ ألف نسمة . و « سيوداد ريال » Ciudad - Real ومعناها البلدة الملكية ، وهي محدثة بعد مجي العرب ، ومساحتها ١٩٧٤١ كيلو متراً مربعاً ، وسكانها ٣٨٠ ألف نسمة . و « قونلة » Cuenla ومساحتها ١٧١٩٣ كيلو متراً مربعاً ، وأهلها ٢٧٠ ألفاً . و « وادي الحجارة » Guadalajara^a ومساحتها ١٢١٩٢ كيلو متراً مربعاً ، وسكانها ٢١٠ آلاف .

وأما مملكة « ليون » Léon فكانت حدودها من الشمال الاشتورياس ، ومن الشرق والجنوب الشرقي قشتالة القديمة ، ومن الجنوب نجرًا « الاسترامادور » L'Estrémadure ومن الغرب غاليسية - وبلاد البرتغال ، وليون اليوم هي عبارة عن المقاطعات التالية :

نفس ليون ومساحتها ١٥٣٧٧ كيلو متراً مربعاً ، وسكانها ٤٠٠ ألف نسمة . « وطمسكه » Salamanqua ومساحتها ١٢٣٢١ كيلو متراً مربعاً ، وسكانها ٣٣٥ ألفاً . و « زمورة » Zamora ومساحتها ١٠٦١٥ كيلو متراً مربعاً ، وسكانها ٢٨٠ ألفاً . و « بلد الوايد » Valladolid ومساحتها ٨١٤١ كيلو متراً مربعاً ، وسكانها ٢٨٥ ألفاً و « بالنسية » Palencia - هي غير بلنسية Valencia التي على البحر المتوسط - ومساحتها ٨٤٣١ كيلو متراً مربعاً ، وسكانها نحو من ٢٠٠ ألف نسمة . ولقد كانت هذه المقاطعات التي في قلب اسبانية تعد من فيافي بني أسد ، لولا ما ساق اليها العرب من مياه ، وشقوا من جداول ، واتخذوا من وسائل ، حتى اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، وكانوا إذا عدموا الينابيع المتفجرة ، التي تلزم لأجل الري ، يبادرون إلى إنشاء البرك ، والمصانع الهائلة ، يجمعون اليها المياه السائلة في الشتاء ، على نمط ما كانوا يعملون في اليمن ، وذلك مثل البركة التي في « منسا » Mansa وهي تحريف المصنع ، وأما بعد رحيل العرب فقد تهدمت المصانع وطمست

تلك القنى ، ورجعت هذه الأرضون إلى قسوتها الأولى ، وتبدلت من خضرتها غبرة وصارت تلك الغلات من حنطة وحبوب وزعفران سداداً من عوز ، في أما كن معلومة ، وبقي ذلك الى العصر الحاضر الذى عمت به المدنية ، وامتدت السكك الحديدية ، فماد الأهالى يمتنون بهذه الأراضى ، ويستندرون خيراتها ، لأنهم أصبحوا قادرين على اخراجها الى الخارج ، بواسطة السكك الحديدية ، وصاروا يميرون بمنطقتهم بلاد البرتغال ، وقويت رغبتهم فى زراعة قصب السكر ، والشمندر . وقد كان فى أسبانية من عشرين سنة أكثر من ثمانين معملاً للسكر

بلاد البشكنس

أما بلاد البشكونس فهى ثلاث مقاطعات : الأولى « غيوسكوه » Guépuzco ، والثانية « بسقاية » Biscaye أو Vizcaya والثالثة « ألبة » بالتحرريك Alava ومساحة جميعها ٧٠٧٥ كيلو مترا وعدد سكانها نحو من سبعمائة ألف . وهم أمة مستقلة بنفسها ، تسكن إلى الشرق من جبال قنتبرية ، على أبواب فرنسا ، وأصل اسم هذه الأمة هو « الباسقونفادوس » Vascongados ومنه اشتق اسمها الحالى « الباسك » أو « الباسكس » Les Basques . وكان العرب يقولون لهم الباشكونس ، ومنهم من يقيم على حدود « نباريه » Navarre ومجموعهم يقارب مليوناً أو أكثر . ومنهم جمٌ فى أرض فرنسا ، ولغة الجميع واحدة مختصة بهم . ومنهم من يتكلم بالأسبانى أو الفرنسى ، ولكن نحواً من نصف مليون لا يتكلمون بغير لغة الباشكونس . وهم من أشد أمم الأرض استمساكاً بقوميتهم ، واحتفاظاً بخصوصيتهم ، يزعمون أنهم أقدم أمة فى أوربة ، ولا نزاع فى أنهم هم بقايا الشعب الايبيري القديم ، والثمة الخالصة المحضة التى لم تدخل عليها شائبة من ذلك الشعب القديم . أشداء جبليون ، موثقو الخلق ، تغلب عليهم السمرة ، إلا من كان منهم (٢١ - ج أول)

في أعلى الجبال ، فيقلب عليه اللون الأشقر ، شَمّ الأنوف ، محدّدو الأذقان ، شعورهم مائلة إلى السواد ، وكان لهم زىّ خاص بهم لا يعرفون سواه ، ولكن قد بدأ هذا الزى يضمحل ، ولم يبق منه إلا طاقية من الصوف يقال لها البوانه Laboina لا يزالون يلبسونها على رؤوسهم ، وهى زرقاء في مقاطعة غيبوسقوه ، وحمراء في بسقاية وبيضاء في ألبّة . والبشكونس الذين في أرض فرنسة أيضاً يحافظون عليها . وأما من جهة عاداتهم القديمة فمنهم من تركها ، ومنهم من لا يزال بعض عليها بالنواجذ ، مثل أهل بسقاية . وتجدهم يستعملون محاريثهم القديمة ، ومجالات تجرها البقر ، وعليها نيرٌ مزخرف مغطى بجلد ضان . وعندهم نوع من الرقص في أعيادهم ومواسمهم يسمونه « أوريسكو » Aureescu يجرونه على صوت مزمار صغير يسمى « دولسينيه » Dulsinya مع قرع الطبول .

والبشكونس من أشدّ أمم الأرض حباً بالحرية وألفةً عن قبول الضيم ، وكانوا يردّون غارات العرب من الجنوب ، كانوا يردّون غارات الفرنج من الشمال وكانت مواقع بلادهم الجبلية تساعد على رد غارات هذه الأمم العظيمة ، فأن مساكنهم أكثرها في الجبال تحيط بها الأوعار ، والأرض كما يقل تقاقل مع أهلها . وهم الذين أوقعوا بجيش شارلمان وهو منصرف عن سرقة بعد أن عجز عن أخذها . وسيأتى في كتابنا هذا عند الوصول إلى التاريخ تفصيل جميع ما وقع بين البشكونس والعرب . ولم يخضع البشكونس لملوك ليون ، وملكو نبرة ، وملكو قشتالة في الآخر ، إلا على شرط احترام هذه الدول لعاداتهم وقواعدهم . وكانت لهم امتيازات يقال لها « فيورس » Fueros ولم تزل امتيازاتهم هذه محفوظة ، إلى أن جرت الحروب الداخلية المسماة بالكارلوسية ، واتى آخرها كان سنة ١٨٧٦ فن بعدها أزالته الحكومة الأسبانية امتيازاتهم وأخضعتهم للخدمة العسكرية ، ولقانون احتكار الملح ، واحتكار الدخان .

وهم يسمون أنفسهم بنير الاسم الذى يسميهم به الأسبان ، أى الباسقونفادوس ،

الذى منه جاء اسم الباشكونس ، الذى كان يسميهم به العرب . فاسمهم هم بلغتهم هو « أوسكالدوناك Euscaldunac ولا يعرف معنى هذه الكلمة . وفي لغتهم لا يضعون آل التعريف قبل الاسم بل بعده . وهذا الاصطلاح ليس بنادر ، بل اللغة السويدية واللغة الدانمركية واللغة البلغارية واللغة الرومانية فيها ذلك . وليس في هذه اللغة المثني بل عندهم المفرد والجمع . وعلامة الجمع هي الكاف (K) وكذلك لا يوجد عندهم فرق بين المذكر والمؤنث في التعبير . وقد غلب ذلك على لسانهم حتى إذا تكلم البشكونسى بالفرنسية يقول . هذا المرأة Ce Femme بدلا من هذه المرأة . وأما من جهة الأفعال فربما كان بينهم بعض المشابهة مع العرب ، فانه إذا أراد البشكونسى أن يقول مثلا : أنا أجي . « يقول « أنا عمل أجي . » وإذا أراد أن يقول لك « ستأكل » قال « عليك أن تأكل » وكذلك هم مثل العرب في كثرة المترادفات في لغتهم ، برغم أن لغتهم في أصلها فقيرة ، وهى لم تسهل إلا بالالفاظ الكثيرة الاجنبية ، من غشقونى ، وفرنسى ، واسبانيولى ، وعربي . بحيث إذا تجرد هذا اللسان من هذه الالفاظ الداخلة عليه لا يبقى منه إلا ما يعبر عن الاشياء المادية والمحسوسة ، فهو في هذا أشبه بالتركي . وليس عند الباشكونس لفظة تعبر مثلا عن « الروح » واسم الله عندهم « السيد الذى فى العلى » وعندهم « الارادة » يعبر عنها بلفظة تفيد « الفكر والشهوة والتمنى » وقد اجتهد كثير من العلماء فى درس لغة الباشكونس ، ولكن صعوبة هذا الدرس جاءت من كثرة اختلاف لهجات هذه الأمة ، فان القرية الواحدة لا تتكلم بلهجة القرية التى تجاورها ، فصارت اللهجات لا تحصى . وهذا شأن كل لغة الكتابة فيها نادرة ، وشأن كل شعب تغلب عليه الأمية . ومع هذا فقد أحصى الأمير لويس بونابرت ٢٥ لهجة باشكونسية ، يمكن إعادتها إلى ثمانية أصول بالتحليل الدقيق . وهذه الأصول الثمانية تتلخص فى ثلاثة عامة . أما الأصول الثمانية فهى : اللابوردى ، والسولتى ، والنبارى الأدنى الشرقى ، والنبارى الأدنى الغربى ، والنبارى الأعلى الشمالى ، والنبارى الأعلى الجنوبى ، والغيبوشقى ،

والبسقاني ، ويمكننا أن نرد أيضا هذه اللهجات المختلفة إلى شرق وغربي ، فالسواني والنباري الادني هما الشرقي ، والبسقاني هو الغربي . واللهجات الاخرى هي المتوسطة بينهما . وبلاد الباشكونس لا تخلو من أجناس غربية عنها ، وليس فيها مقاطعة خالية من الغرباء غير « غيبوسقوه » وبلاد نبارة نصفها أو أقل من الباشكونس . وأمايونة وبنبلونة وبلباو فلا يتكلمون فيها بلغة الباشكونس ، وقد بدأت هذه اللغة تنحل وتضمحل بغلبة الاسبانيولي والافرنسي عليها . ولا عجب في ذلك ، فان مكتوباتها نادرة ، ولم يعثر الباحثون على كتب بهذه اللغة ترجع إلى أعلى من القرن العاشر للمسيح ، قيل إنهم وجدوا صحيفة قديمة من سنة ٩٨٠ فيها تحديد مقاطعة بيثونة Bayonne ، وقيل إن هذه الصحيفة نفسها ليست بوثيقة لا يعترضها الشك .

وقد كشف أحد الرهبان اليسوعيين جدولا فيه ثمانية عشر كلمة من لغة الباشكونس ، وذلك في كتاب مخطوط لزاثر افرنسي زار كنيسة سنت ياقو في القرن الثاني عشر ، وأقدم كتاب عند الباشكونس طبع سنة ١٥٤٥ ، وهو ديوان شعر مشتمل على قصائد دينية ، وأخرى غرامية . وقد طبعوا أيضا ترجمة الانجيل الى هذه اللغة سنة ١٥٧١ ، وذلك على نفقة مجلس نبارة وجميع ما هو مكتوب بلغة الباشكونس يبلغ ستمائة مجلد لا أكثر . وأكثر الذين كتبوا هذه الكتب هم مؤلفون تلقوا ثقافة افرنسية أو قشتالية ومعظمها في مواضيع دينية ، وعن حياة القديسين . نعم يوجد من الباشكونس من تلقوا ثقافة اسبانيولية أو افرنسية ، وأجادوا الكتابة ، لكن باللغة الافرنية واللغة الاسبانية ، وقد جمع بعض المؤلفين كثيراً من قصص الباشكونس وتقاليدهم وأخبارهم . وأحسن المجاميع في هذا الموضوع هو ما كتبه يوليان فيسون Viuson الذي له على الباشكونس بحث في الانسيكلوبيديا الافرنية السكيري^(١) .

(١) في هذه الأيام الأخيرة انبرى الكاتب الافرني المسمى فرنسوا دوهوركو François Duhourcan فنشر في جريدة عطارد فرنسة Mercure de France بحثاً طويلاً عن البشكنس ، لانه من الكتاب المعجيين بهذه الامة ومثانة أخلاقها

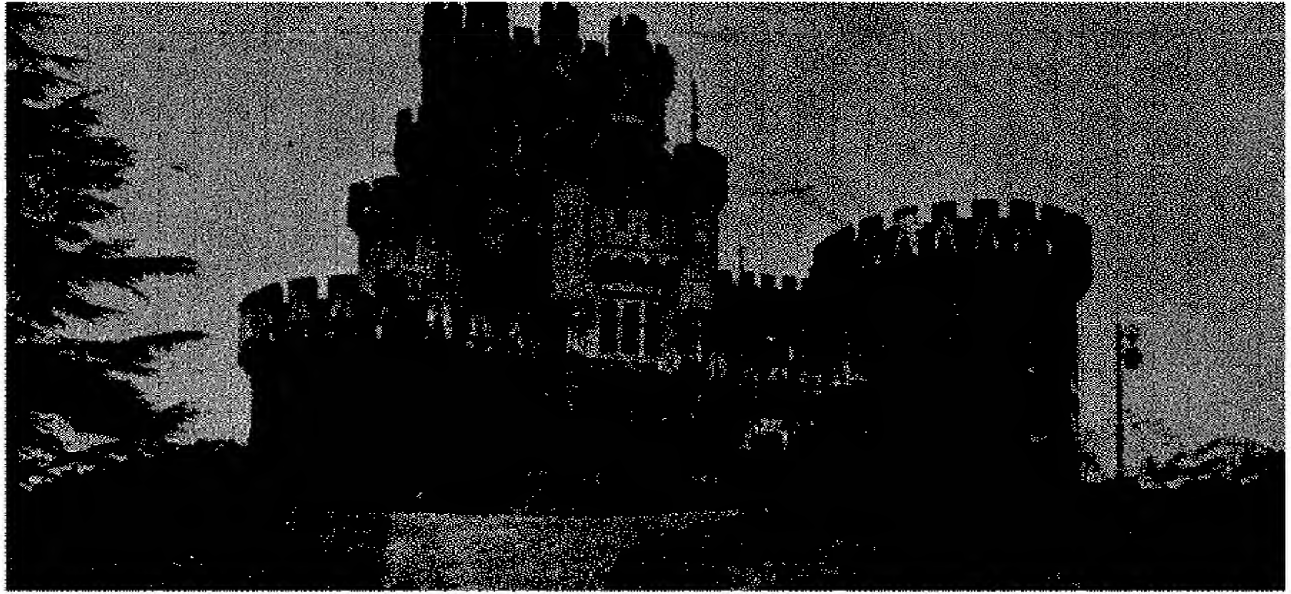
أما الباشكونس الذين في أرض فرنسة فهم يسكنون مقاطعات لا بورد Labourd ونباره السفلى La basse Navarre وسول Soule ومساحة هذه المقاطعات الثلاث

وشدة استمساكها بأوضاعها القديمة . فالباشكنس يزعمون أنهم أقدم أمة على وجه الأرض وأنهم لم يطرأوا على أسبانية من مكان آخر ، بل كانتهم نزلوا من السماء إلى أرضها ، ولكن المؤرخين مع اقرارهم بشدة توغل هذه الأمة في القدم ، يذهبون إلى أنها هي أيضاً طارئة على اسبانيا من مكان آخر ، ومن جعلتهم المسيو دوهوركو ، يرى ان أصل أهالي الجزيرة الايبيرية هو الجنس الايبيري ، وأن الفرق بين البشكنس وسائر الاسبانيول أن البشكنس هم ايبيريون اقحاح ، وان سائر الاسبانيين هم ايبيريون امشاج ، وان الايبيريين شعب قوقازى طراً على أسبانية ، عن طريق البحر المتوسط وجنوب فرنسة ، فنزل على المنحدرين الشمالى والجنوبى من الپيرانس . وقد حاول الكاتب المذكور أن يستدل على أصل البشكنس وقرابتهم من الأمم الأخرى بأدلة من لغتهم ، وهو منزع كنا في مقدمة من نبه عليه ، ولنا رسالة في ذلك قرأناها في مؤتمر المستشرقين المنعقد في ليدن سنة ١٩٣١ ونشرناها في مجلة المقتطف ، وعنوانها « علاقة اللهجات بالتاريخ » ، إذ لا نرى هذا الباحث مخطئاً في تنقيبه عن أصل هذه الأمة من جهة تشابه لغتها مع لغات أمم أخرى . فهل وفق دوهوركو إلى بلوغ مراده ؟ الجواب أنه من المعلوم أن اللغة البشكنسية هي أقدم من اليونانية واللاتينية ، ولم يثبت كونها فرعاً من لغة السنسكريت الهندية ، بل يظن الباحثون أن أصلها لغة منقرضة فرض العلماء وجودها فرضاً ، وهي في هذا أشبه باللغة الاتروسكية Etrusque فان هذه اللغة أيضاً ليست فرعاً من فروع السنسكريت ، فيظهر للمسieur دوهوركو أن الاتروسكيين والبشكنس من أصل واحد ، وقد وجد بعض الكلمات في لغة البشكنس تشبه كلمات أخرى في لغة الاتروسك . من ذلك كلمة « لار » ، فهي تفيد معنى « رئيس » في لغة البشكنس ، وهي كذلك في لغة الاتروسك ، فمن هنا استدل على كون هذين الشعبين من أصل واحد ، ولما كان الرومانيون أصلهم من الاتروسك ، وصل إلى الاستنتاج بأن البشكنس هم أولاد عم الرومان ، وأصل الأصل هو من القوقاز ، وليس هذا الرأي بكرة ، فقد زعم اليزه ركلوز الجغرافى الشهير من خمسين سنة أنه يوجد بين لغتي البشكنس والكرج تشابه ، وان أصلهما لغة كانت شائعة في آسية الصغرى منذ آلاف وآلاف من السنين ، ولم تكن هذه اللغة لآمن اللغات الآرية ولا السامية ولا الاورالية.

هى ستة آلاف كيلومتر مربع . فأما المقاطعات التى يسكنونها فى اسبانية فقد تقدم ذكرها ، وهى جزء من ثلاثين من مساحة الجزيرة الأيبيرية بحسب تعريف اليزى « ركلوس » الجغرافى الشهير *Lisée Reculs* و بلادهم فيها قابلية زراعية ، وفيها معادن كثيرة كالفصدير والرصاص والحديد ولكنهم من حمة الزراعة لم يكونوا ممن بلغ شأواً عالياً . ومن الباشكونس مهاجرون كثيرون إلى أميركة كل سنة ، فلهذا عددهم يقل فى بلادهم الأصلية يوماً فيوماً .

وقد فحص الأطباء مثل الدكتور بروكا والدكتور فالسكو من مجريط جاجم الباشكونس من سبعين سنة ، وأخذوا منها عدداً كبيراً من مقابر تلك البلاد ، كما انهم ميزوا جاجم الأحياء ، فوجدوا أن هذه الأمة فيها نوعان من الجاجم ، منها النوع الذى يزيد طوله على عرضه بنحو الربع ، ومنها الذى يتساوى طوله بعرضه . ويقال عن أخلاق الباشكونس انهم كثيرو الخيالات ، سريعو الانفعالات ، وان عندهم خرافات قديمة لم يتخلصوا منها حتى الآن ، ولكن فطرتهم الأصلية مبنية على الاستقامة ، وعندهم حسن معاشرة ومخالقة ، إلا أنهم بطاشون عند الغضب ، ومع ان الرصانة غالبية على طباعهم ، فانهم يحبون الألعاب ، ويتأذون بالماكل والمشارب وحسن الوفاة ، واكرام الضيف عندهم مما لا يفوقهم فيه أحد . ونساؤهم حلائل أمينات ، وأمهات مربيات ، إلا أن التدين عندهن بالغ درجة الوسواس ، لاسيما عند البنات اللواتى ينسن من الحيض ، وكثيراً ما ينتهى أمر العانس من هؤلاء بالجنون . والباشكونسى بطبيعته ذكى الفؤاد ، شهم ، عزيز النفس ، صعب المقادة ، واذا تعلم وتهذب ففيه قابلية كبيرة للترقى ، أما خرافاتهم القديمة فنما أن الانسان اذا رأى امرأة يوم الاثنين تحت نافذة بيته فى ذلك الاسبوع يحصل له بلا ، واذا صاح الديك فى أول الليل فيكون هذا الصباح علامة على كون الديك أحس بمرور الساحرات وهو خطر يتلافونه بأخذ قبضة من الملح وذرها فى أرض البيت ، والمتزوج يوم عرسه يجتهد أن يمسك بذيل من ثوب زوجته ويضعه تحت ركبته حتى يكون فيما بعد

هو السيد في البيت ، وكان للباشكونس اعتقاد عظيم بالسحر ، وكانت السحرة عندهم في كل مكان ، وكانت لهم اجتماعات يتداعون اليها ، ويعتقدون ان هؤلاء السحرة لهم علاقات مع الشيطان وأنهم يدفعون شره ، ولكن هذه الخرافات قد بدأت تضيع شيئا فشيئا .



حصن بوترون في بيلباو من بلاد الباشكونس

وقد كان للباشكونس دور مهم في حروب استرداد الاندلس من أيدي المسلمين وبهذا السبب تميزت بينهم عائلات كثيرة ، ورأست وعزت وبرزت ، وبتوالي الزمن صارت نبيلة . ففي قشتالة وليون الملك هو المالك لجميع الأرض ، أما في نبرة ، حيث مواطن الباشكونس ، فالملك يشاركه في ملك الأراضي هؤلاء النبلاء الذين ساعدوه على طرد المسلمين ، ولهذا عندهم هناك ثلاث طبقات : النبلاء ، والعامه ، والطبقة المتوسطة بينهما . وفي « آلبه » الأهالي ينقسمون إلى نبلاء وإلى عامه ، وذلك لأن منهم من حارب المسلمين ، ومنهم من خضع لهم ، فالذين خضعوا لهم هم الممدودون من صنف العامه .

ولهذا حصل التمايز بينهما ، أما في « إسقاية » و « غويبوسقوه » و « لابورد »

حيث لم يتمكن المسلمون ، ولم تكن لهم ولاية ، فجميع الأمة معدودة من النبلاء ، لأنه ليس فيها من أسلم ، ولا من خضع للإسلام . والنبالة في هذه المقاطعات يقال لها نبالة أرض ، لا نبالة دم ، والفرق بينهما أن الذين أخرجوا المسلمين بالحرب صارت لهم حقوق متائلة ، واستولوا على الأراضي التي كانت صارت إلى العرب ، وأقاموا فيها أكثارين من عبيدهم وجنودهم ، فصار هؤلاء بمرور الأيام عائلات نبيلة ذوات اقطاع ، وأما نبلاء الأرض فهم الذين توارثوا أراضيهم من القديم ، وحفظوها خلقاً عن سلف ، لأنه لم يقع عليها فتح ، وأما القوانين والأعراف التي يمشي الباشكونس عليها فهي عبارة عن عادات واصطلاحات قديمة مختلطة بقوانين جديدة ولكل ناحية عادات تختلف عن غيرها . وأكثرها يدور حول الامتيازات التي نالها بعض الأهالي ، وتملكوا بها الأراضي في حروبهم مع العرب . وهذا هو خلاصة ما يقال عن الباشكونس ، إحدى الأمم الأيبيرية وأقدمها ، ونزيد عليه أن باشكونس فرنسة و باشكونس اسبانية عقدوا سنة ١٩٠٢ مؤتمراً في « فونتارابية » سموه مؤتمر اتحاد الباشكونس .

عود إلى ليون وقشتالة

ثم نعود إلى تفصيل ما أجملناه عن ايون والقشتاليتين بقدر الامكان فنقول : الحدود بين فرنسة واسبانية من جهة الشمال الغربي هي وادي « بيداسوا » Bidassoa الذي يجري بين « هنداي » Hendaye و « فونتارابية » Fontarabie وهناك جزيرة اسمها جزيرة الحجل ، في وسط النهر اتفقت فرنسة واسبانية من قديم الزمان على جعلها منطقة متحايدة ، وفيها تلاقى الكردينال مازارين مع الدون « دوهارو » ، لأجل عقد صالح البرانس ، وتقرير زواج بنت فيليب الرابع ولويس الرابع عشر ، وفي هذه الجزيرة نفسها انعقد سنة ١٤٦٤ مؤتمر بين لويس الحادي عشر ملك فرنسة ، وهنري الرابع ملك قشتالة ، وفيها أيضاً ودّع فرنسوا الأول ملك فرنسة أولاده وعانقهم وهم ذاهبون رهائن إلى مجريط ، بحسب معاهدة سنة ١٥٢٦

وفي هذه الجزيرة أيضاً تقرررت بين فرنسة واسبانية مصاهرة مزدوجة ، وذلك سنة ١٦١٥ بعقد نكاح ايزابلة ابنة هنرى الرابع ملك فرنسة على فليب الرابع ملك اسبانية وعقد نكاح حنة النمساوية أخت فيليب الرابع هذا على لويس الثالث عشر .



مدينة ايرون

ويوجد على وادى بيداسوا جسر مشترك طوله ١٣٠ متراً ، والنقطة المتوسطة منه هى الحد الفاصل بين المملكتين ، فاذا تجاوزته إلى الغرب فأنت فى مقاطعة « غينبوسكو » من بلاد الباشكونس . وأول مدينة تستقبلك هى مدينة « ايرون » Irun وعدد سكانها بضعة عشر ألف نسمة ، وهى بلدة عصرية ذات موقع جميل على الضفة اليسرى لوادى بيداسوا . ثم على مسافة عشرين كيلومتراً من هناك تصل إلى مدينة « سان سيباستيان » Saint - Sebastien والباشكونس يقولون لها « دونوستيا » Donostiya ويقولون لها أيضاً « أيروشولو » Eruchulo وهى قاعدة مقاطعة « غينبوسكوا » وموقعها من أبدع المواقع . وفيها كانت تصيف العائلة المالكية فى أسبانية ، ونبلأ الاسبانيول يقصدونها للترهة ، وعدد سكانها يقرب من خمسين ألف نسمة . وهى قسبان ، قديم وجديد ، وحوها جبال يصعد إليها المتنزهون ، وعليها حصون منها جبل « ايقلدو » Igueldo وجبل « العليا » Iia وعلى خمسين كيلومتراً

من هناك مدينة « طولوزه » Tolosa وهى بلدة صغيرة ، سكانها ستة آلاف نسمة ، وموقعها بهيج ، وفيها معامل للورق ، وهى على نهر « أوريه » ، وبالقرب منها على مسافة عشرين كيلو متراً بلدة « زومرارة » Zumarraga وهى بلدة على نهر أوروله Urola ، ولها أيضاً منظر بديع . ومن هذه البلدة خرج « ميكال لويس دوليكازي » De Ligazpe فاتح جزر الفيليبين سنة ١٥٦٩ ، وله فيها تمثال ، وبالقرب منها بلدة صغيرة يقال لها « فرغاره » Vergara والبلاد هناك كلها جبال وأودية ، إلى أن يصل المسافر إلى بسيط « ألبه » Alava ولألبه ذكر كثير فى كتب العرب . وهذا البسيط تنحدر إليه جداول أهمها نهر يقال له « زادوره » وقاعدة مقاطعة ألبه مدينة « فيتورية » وكانت معروفة عند العرب ، ويقال إنهم كانوا يقولون لها سنت مرية ؟ وهى بلدة صناعية ، سكانها ٣٥ ألفاً ، يقال أن بانيها هو « إيوفيجلد » ملك البيزيقوت Leovigilde بناها سنة ٥٨١ بعد يوم كان له على الباشكونس ، ثم إن الأذفونش الثامن ملك قشتالة انتزعها من يد النصارين سنة ١١٩٨ وفيها تمثال لرحل يقال له « ماتيومورازيه » من زعماء الباشكونس ، كان يدافع عن امتيازاتهم . والبلدة قسبان عتيق وجديد ، والعتيق هو القسم الأعلى . وفى هذه البلدة ، أى فيتورية ، جرت معركة بين الانكليز والفرنسيين فى ٢١ يونيو سنة ١٨١٣ وكانت هذه المعركة ختام حرب أسبانية فى زمان نابوليون الأول . ثم هناك بلدة يقال لها « كستيلو » وبلدة أخرى يقال لها « أرغانزون » وهما من البلاد الصغيرة القديمة . ثم بلدة « ميرانده » وهذه سكانها خمسة آلاف نسمة ، وفيها حصن قديم وهى على نهر إبره

ومن جهة البحر يوجد بلدة يقال لها « غوتارية » Guelaria وبلدة يقال لها « زوميا » Zumaya على مصب نهر أوروله ، وبلدة يقال لها « سيستونه » Cestona وفى تلك الناحية دير كبير منسوب إلى القديس أغناطيوس لويولا Ignacio de Loyola مؤسس رهبانية الجزويت ، وهو مبنى فى مكان الميت الذى ولد فيه لويولا . وعلى البحر مرسى يقال له « ديفا » Deva سكانه ثلاثة آلاف ، وبلدة أخرى اسمها « ليكتيو »

Lequeitio سكانها أربعة آلاف ، ولها مرسى بديع . ثم بلدة « موتريكو » Motrico وأهلها صيادو سمك ، وفيها تمثال من رخام للجنرال « داميان » المولود في موتريكو ، والمقتول في واقعة طرف الأغر سنة ١٨٠٥ ثم بلدة « أونداروه » Ondarroa وهي مرسى مكانه صيادو سمك أيضاً ، وبلدة « الزولة » Alzola وفيها حمامات معدنية تنفع لأجل مرض المثانة ، وبلدة « الجويبار » Elgoibar وبلدة أخرى اسمها « إيبار » وفي كليتيهما معامل للسلاح . ثم بلدة دورنغو Durango ولها واد خصيب وفيها كنيسة « سان بطرودو طبيره » من أقدم كنائس الباشكونس ، وبلدة يقال لها « آموريبيطه » Amorebieta وبلدة يقال لها « غرنيقه » Guernica وسكانها



بيلباو

٣٥٠٠ ، ولها موقع في غاية الجمال ، وكانت في القديم قاعدة لمقاطعة « بسقاية » وهناك وادٍ بديع يقال له « مينداكا » Mundaca وكان للإمبراطوره أوجيني زوجة نابوليون الثالث قصر للأنزهة في تلك البقعة . ثم بلدة « برميو » Bermeo وسكانها عشرة آلاف ، وفيها بيمارستان للمجانين يخص ثلاث مقاطعات الباشكونس . ثم بلدة « بيلباو » Bilbao وسكانها ٩٥ ألفاً ، وهي على نهر « نرفيون » Nervion وهي

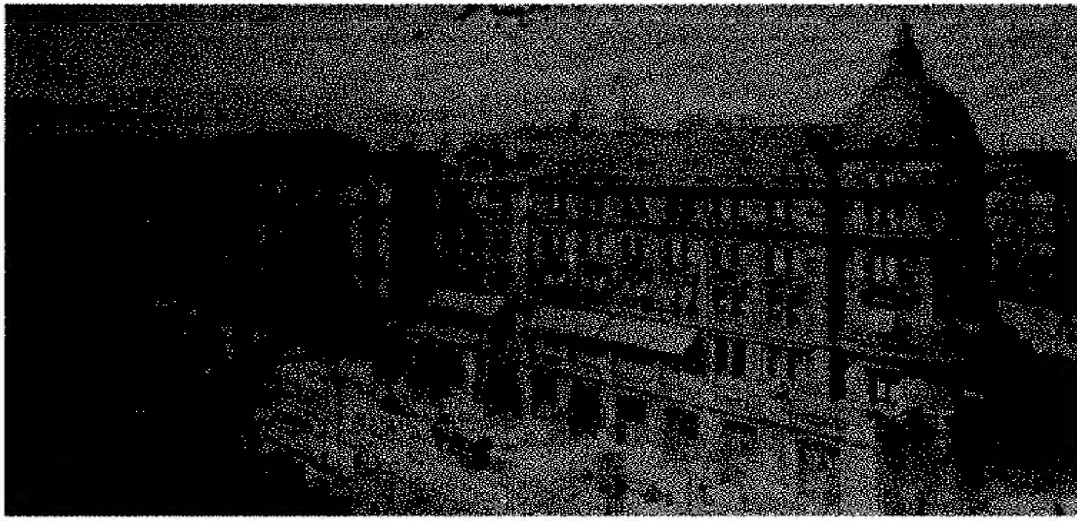
قاعدة مقاطعة بسقاية ، تحيط بها جبال مغطاة بالحراج ، وتبعد عن البحر ١٢ كيلومتراً ولها تجارة واسعة ، وهي قسيان . المدينة الجديدة ، والمدينة القديمة . فالقديمة هي على الضفة اليمنى للنهر ، والجديدة هي على الضفة اليسرى . وعلى النهر خمسة جسور ، وقد أصلحوا النهر حتى صارت البواخر التي محمولها أربعة آلاف طن تدخل فيه . ولهذه البلدة مرسى على البحر عند مصب النهر يقال له « العبـره » El - Ebra وهذه المدينة معدودة من المدن الغنية ، بسبب معادن الحديد التي بجانبها ، وفيها مبانٍ جديدة بالذكر ، ومعاهد خيرية ، منها ملجأ للعميان وللخرس ، وفيها معامل ، ويقال إن باني هذه المدينة هو « لويس دوهارو » Haro أمير بسقاية ، وذلك سنة ١٣٠٠



الحمام في بلباو

وفي تلك الناحية بلدة « ارانغورن » Arenguren وفيها معامل للورق ، و بلدة « كارانزا » Carranza وفيها ينابيع معدنية والمهم هناك هو مدينة « سانت اندر » Santander وهي مدينة بحرية سكانها سبعون ألفاً . وهي قاعدة مقاطعة بهذا الاسم ، وهي بلدة قديمة ، كانت تنتهي إليها طريق رومانية ، وكان العرب يقولون لها « شنت أدرم » وأحياناً « شنت اندر » وهي قسيان : القسم الأعلى ، وهو المدينة القديمة ، وأزقتها ضيقة ، والقسم الأدنى ، وهو المدينة الجديدة ومرساها بديع ، وتجارها واسعة ، وهي من أهم المرافئ البحرية في شمالى اسبانية

ثم مدينة « أوردونية » وهى على وادى « نرثيون » وعدد سكانها ٣٥٠٠ وجميع مناظر تلك البلاد شائعة نظراً لكثرة الجبال والأودية والغابات فيها .
ثم نعود إلى الجهة الداخلية ، وهى التى يمر بها نهر ابره ، فمن مدن هذه الجهة « بريفسكا » Briviesca وهى بلدة صغيرة سكانها ٣٥٠٠ اجتمع فيها نواب البلاد سنة ١٣٨٨ وقرروا أن ولى عهد قشتالة ينبغى أن يحمل لقب « برنس الاشتورياس »



أحد البيوت المالية فى ايلباو

وبقربها بلدة « أونيه » One وفيها دير لابندكتيين اسمه سان سلفادور ، مبني سنة ١٠١١ وفيه أربعة قبور من قبور الملوك وهناك قرية « كينتانا بالاً » Qnintanapalla التى فيها سنة ١٦٨٢ تزوج كارلوس الثانى ملك اسبانية بمارية لويز من آل بربون ، فى زمن لويس الرابع عشر . وقرية « توركادة » التى ينسب اليها « تومادوتوركادة » Torquemada رئيس ديوان التفتيش الشهير فى اسبانية . وفي تلك البلاد مساكن كثيرة منحوتة فى الجبال . ومن الأماكن المذكورة فيها قرية « دويناس » Duenas التى تلاقى فيها فرديناند ملك أراغون مع ايزابلا ملكة قشتالة قبل زواجهما وعلى وادى دورو Duero الذى يقول له العرب « الوادى الجوفى » بلدة « ارانده » Aranda وهى صغيرة بديعة المنظر ، وهناك مدينة « صان استبان »

San Estevan de Gormaz وكان العرب يقولون لها « شنت استابين » وفيها حصن قديم من أيام حروب العرب . ومدينة « اوسما » Osma وهي بلدة ايبيرية عتيقة ، كان لها ذكر في الدور العربي ، وبالقرب منها على شفير واد عميق دمن حصن عربي قديم . وقرية « المازان » Almazan ، وفيها مسارح نظربذيعه ، وآثار أسوار قديمة ، وقنطرة على الوادي الجوفي طولها ١٦٣ متراً . ومدينة « الكامبو » Medina del Campo وهي صغيرة ، وكان فيها قصر اسمه « قصر موتا » Castillo de la Mota مبني من سنة ١٤٤٠ كانت تؤثره الملكة ايزابلا ملكة قشتالة ، زوجة الملك فرديناند ، وتقيم به وماتت فيه سنة ١٥٠٤ ومن مدينة « الكانبو » أو « الكامبو » إلى « زمورة » ٩٠ كيلو مترا بالسكة الحديدية ، وبينهما بلدة « تورو » Toro مبنية على جبل شاهق مدهش فوق الوادي الجوفي

برغش

وأما برغش ، Burgos فهي مركز مقاطعة بهذا الاسم ، وسكانها يزيدون على ثلاثين ألفاً ، وهي مركز قيادة عسكرية ، ومقر رئاسة أساقفة ، وموقعها على يفتاع من الأرض في القسم الشمالي من قشتالة ، يسقيها نهر اسمه « ارلنسون » Arlençon تراه أكثر السنة شحيحا ، لكن له فيضانات مدهشة . وفي برغش حصن على راية مشرفة على البلد ، لم يبق منه إلا رسوم طامسة . وفي أسفل هذه الراية الكنيسة الكبرى وهي من أبدع بدائع الصنعة القوطية في اسبانية . ولبرغش سهل مربع يسقيه جدول اسمه « بيكو » وأقنية من ارلنسون . وهذه البلدة هي من أقرس مدن اسبانية بردا ، يتسلط عليها ربح الشمال ، وقد يقع فيها الثلج في شهر يونيو وفي الشتاء يصح أن يقال فيها :

لا ينجح الكلب فيها غير واحدة من الصقيع ولا تسرى أفاعيها
وأما في القيظ فهي من أشدها حرارة ، يهب عليها ربح الجنوب المحرق فيشوي



مدينة برغش « منظر عمومي »

الوجوه ، وعليها يصدق المثل الذي يقال عن مجريط وهو : تسعة أشهر شتاء ، وثلاثة أشهر جهنم الحراء .

وفي برغش أبنية تعد من أجل ما يوجد في اسبانية ، وأهمها الكنيسة الكبرى بدأ بنائها الملك فرديناند الثالث الذي يقال له القديس فرديناند ، وذلك سنة ١٢٢١ واستمروا يبنون فيها ويزخرفون ويزينون مدة ثلاثمائة سنة . فتأمل كم فيها من بدائع وتصاوير وتماثيل وتحاريم ، تعد في الدرجة الأولى من درجات الفن . ويوجد غير الكنيسة الكبرى كنائس أخرى تقصدها السياح . مثل كنيسة سان نيقولا ، وكنيسة سان اشتابين ، وكلها على طرز البناء القوطي ، وكذلك في هذه البلدة حصن قديم يقال له « كاستيليو » يصعدون إليه من باب عربي اسمه قوس سان اشتابين وكان يسكن فيه ملوك قشتالة . وفي هذا الحصن احتفل بزواج السيد لذريق دو بيفار المسمى بالقمبيدور الشهير في التاريخ الذي يجعله الاسبانيول بطلمهم القومي ، نظراً لشجاعته واقدامه . برغم أنه كان ظالماً غداراً ، ناقص الذمام ، عديم الوفاء . مما ثبت في التاريخ ثبوتاً لا ريب فيه ، ولسكن الشعب الأسباني تعامى عن ذلك وخلق لهذا

الرجل محاسن لم تكن فيه ، حتى يمكنه تمام الاعجاب به ، وقد ولد لذريق البيفارى De Buver هذا سنة ١٠٢٦ ومات سنة ١٠٩٩

وسنأتى على ذكره فى قسم التاريخ ، ونروى كيفية استيلائه على بلنسية ، واحراقه القاضى ابن حجاج فى ساحة تلك البلدة ، بحجة أنه خبأ عنه بعض خزائنه والحقيقة انه إنما أراد إلقاء الرعب فى قلوب أهل بلنسية . حتى لا ينحفوا عنه شيئاً من الأموال التى كان يطمع فيها . وقد كانت ولادة هذا البطل الغشوم فى برغش ، ومكان البيت الذى ولد فيه لا يزال معروفاً . وفى دار البلدية مخدع فيه عظام السيد المذكور . وقد كانت من قبل مدفونة فى دير « كاردينية » Cardena ، وتقلبت هذه العظام على حالات شتى إلى أن جمعوها سنة ١٨٨٣ فى دار البلدية فى برغش . وبالقرب من دير كاردينية ، كانت تسكن امرأة السيد ، وهى المسماة « شمانة » وكانت ابنة الكونت دياغو من « اوبيط » diego d'oviedo فاشها بعد أن مات زوجها وأخرجت من بلنسية سكنت فى برغش إلى أن ماتت ^(١) سنة ١١٠٤ .

(١) اختلف الناس فى أمر هذا البطل الاساسى اختلافاً شديداً من كونه عبقري بساله وأصاله متحلياً بجميع مزايا الابطال، إلى كونه سيداً عملساً سفاكاً للدماء ، غداراً نهاباً ، ليس فيه شئ من مزايا الكرام ، وقد كتب المؤرخون سيرته بترقادح ومادح ، وقد وجد فى مكتبة دير سان ايزيدور فى ليون مخطوط نشر سنة ١٧٩٢ يتكلم عن هذا السيد . ولكن أحسن كتاب عن السيد باعتراف الافرنج انفسهم هو المخطوط الذى عثر عليه دوزى فى غوته Gotha سنة ١٨٤٤ وهو كتاب كتبه الكاتب العربى ابن بسام بعد موت السيد بعشر سنوات ، لازيادة . وكان ابن بسام يعرف السيد معرفة شخصية فوصفه عن معرفة تامة ، ولم يكن يذكره إلا ويردف اسمه باللعنة ، ولذلك إذا قال فيه خيراً فلا بد من تصديقه ، لانه كلام عدو بحق عدوه ، فهو يقول عن السيد ما يأتى : برغم هذا كله لا بد من الاعتراف بأن هذا الرجل الذى كان بقمة إلهية فى وقته ، بحبه للمجد ، ومثانة خلقه ، ورباطة جأشه ، وشجاعته الخارقة للعادة ، كان أعجوبة وقته ، وكان النصر لا يفارق رايته ، وكانوا يقرأون سير أبطال العرب بحضوره ، ولما وصلوا إلى سيرة المهلب أعجب بها اعجاباً شديداً ، انتهى .

ويقال ان باني برغش هو « رودريغس بورسالوس Rodriguez Porcelos » كونت قشتالة ، بناها سنة ٨٨٤ ، وكانت من قبل تابعة للاشتورياس ، ولكن الملك «أوردونيو» الثاني Ordono قتل ذرية بورسالوس ، فاستقلت المدينة واتخذت لنفسها حكومة جمهورية ، ثم في زمن « فرنان غونزاليز » Farnen Gonzales صارت قاعدة قشتالة^(١) ثم عند ما اتحدت قشتالة وليون مملكة واحدة كانت هي مركز قشتالة القديمة . وفي برغش هذه هزم الفرنسيين في زمن نابليون الجيوش الاسبانية . ومن مباني برغش المشهورة القصر المسمى « بالكردون » Caza del Cordón وهو قصر بناه أمير الجيوش « فاليسكو » في أواخر القرن الخامس عشر على يد البناء المشهور المسلم محمد السقوبى Mahomat de Segovia وفي برغش دير للراهبات شهير أصله مقسّف للملك قشتالة ، ثم حوّل الأذفونش الثامن سنة ١١٨٧ ديراً للراهبات ، وكان فيه مائة من هؤلاء المتبتلات . ولم يبق الآن سوى ثلاثين . ويقال للواحدة منهن

هذا كلام بن بسام بحق السيد ، ترجمه دوزى من العربية ، ونحن الآن نترجمه إلى العربية عودا على بدء ، والله أعلم بمكان الأصل . ومنه يعلم أن السيد كان بطلا حقيقياً ، لا بطلا خيالياً ، وإنما الناس محلوه محاسن لم تكن فيه وربما أضافوا إليه مقابح تجاوزوا فيها الحدود ولكن بما لا مشاحة فيه أن الشر غالب عليه ، وانه أحرق القاضى ابن جحاف فى ساحة بلنسية ، لكونه خبأ عنه أمواله . أما شجاعته وإقدامه فما لا يختلف فيه اثنان ، وكان ملكاً قشتالة واراغون فرديناند ورامير يتنازعان على مدينة كالاهوره Calahorra فلولا السيد لم يتغلب ملك قشتالة على ملك اراغون ، وسنأتى بقصة السيد على وجهها فى القسم التاريخى من هذا الكتاب ، وإنما اكتفينا الآن بالإشارة إليها . (١) وقرأت فى كتاب «الصلة» لأبى القاسم خلف بن بشكوال ترجمة صادق بن خلف ابن صادق بن كليل الأنصارى من طليطلة فقال عنه إنه سكن برغش . فمن هنا يظهر أن العرب استولوا على برغش وسكنوا بها . هذا إلا إذا كان المقصود بالبلدة الى سكن بها صادق بن خلف الأنصارى هي قرية « برغش » بفتح الباء Bargos التى فى وادى الرمل على مسافة ٦٣ كيلو مترا من مجريط . فاما برغش المدينة المشهورة فهى بضم الباء Burgos

« سنيوره » أى سيدة ، ولا يقال « أخت » كما يقال لغيرهن .

وفى هذا الدير كنيسة خزانة فيها راية عربية أخذها الأسبان من المسلمين فى وقعة العقاب . وأما دير كوردينية فهو من أقدم الأديار ، كان بناؤه سنة ٥٣٧ وبنائه سنشه Sancha أم الملك تيودوريق . وهناك دير آخر تاريخ بنائه يرجع إلى سنة ٥٩٣ فى قرية صغيرة بقرب برغش يقال له دير سيلوس Silos بانيه الملك « ريكاريد » Récarèd وهو اليوم للبندكتيين

بلد وليد

ثم بلد الوليد Valladolid وهذه اللفظة عربية محرفة عن « بلد الوالى » . هكذا سماها العرب ، فأضاف إليها الأسبان حرف الدال ، فصار الانسان يتوهم أنها بلد بناها رجل يقال له الوليد ، وهى الآن مركز مقاطعة بهذا الاسم . سكانها فوق السبعين ألفاً وموقعها فى مرج أفتح ، على الضفة اليمنى من وادى بسيورقة . وكانت هذه البلدة مقراً للملك قشتاله ^(١) وفيها تاهل فرديناند بايزابلاً سنة ١٤٦٩ وفيها مات كريستوف كولومب فى ٢١ مايو سنة ١٥٠٦ وفيها أفام فيليب الثانى وفيليب الثالث ، وكذلك نابوليون الأول جعل فيها مركزه عند ما فتح أسبانية ، وفيها كنيسة كبرى بدأوا بها سنة ١٥٨٥ على يد « هريرة » من البنائين المشهورين ، طول المسقوف من هذه الكنيسة ١٢٢ متراً ، وعرضها ٦٢ متراً ، وفيها مدرسة جامعة ، عدد طلبتها يقارب خمسة آلاف ، وأساتذها خمسون ، وفيها خزانة كتب تشتمل على ٣٥ ألف مجلد . منها

(١) قال فى صبح الأعشى : مدينة وليد بفتح الواو وكسر اللام وسكون المثناة من تحت ودال مهملة فى الآخر . وموقعها فى أواخر الاقليم الخامس من الاقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول احدى عشرة درجة واثنتا عشرة دقيقة والعرض ثمان وثلاثون درجة وثلاث دقائق . قال فى « تقويم البلدان » : وهى من أحسن المدن وهى فى الغرب من طليطلة فى جنوبى جبل الشارة الذى يقسم الاندلس نصفين . قال : ويحلها الفونش ملك الافرنج فى أكثر أوقاته



الساحة الكبرى « بلد الوليد »

ثلاثمائة مخطوط ، وأمام المدرسة الجامعة تمثال للكاتب الاسبانيولى الشهير « ميشال دوسرفافنتس » Cervantes صاحب كتاب « الدون كيشوط » . وفي هذه البلدة متحف كان فى أصله مدرسة يقال لها مدرسة « سانتا كروز » Santa Cruz وعلى باب هذه البناية القديمة صورة المطران « مندوزا » ساجداً أمام القديسة « تيريزه » وفى هذا المتحف مجموعة من تماثيل خشبية نادرة فى بابها ، لأشهر نحاتى أسبانية ، وفيه من نقائس التصاوير والتماثيل ما يدهش السائحين .

وفى هذه البلدة أيضاً كنيسة يقال لها كنيسة المجدلية ، فيها قبر بانيتها « الدون بدور دولاغاسكا » de Lagasca وفيها كنيسة يقال لها كنيسة « سانتامارية لانطيقا » la Antigua هى من الكنائس الاثرية ، ومدرسة يقال لها مدرسة « سان غريغوريو » ، بناها البناء الشهير « فيغارنى » فى أواخر القرن الخامس عشر . على بابها شجرة نسب الملوك الكاثوليكين أى فرديناند وأيزابلا والمطران الونزو دو برغش . وفى بلد الوليد ايضاً كنيسة سان بابلو ، بدأوا ببنائها سنة ١٢٧٦ ثم جددوها سنة ١٤٦٣ الكردينال « توركادا » وفيها ست أو سبع كنائس غير التى ذكرت . وكلها من الأبنية الموصوفة

بحسن الصنعة . وبالقرب من بلد الوليد بلدة « شنت طانكش » ، وأصل اسمها في زمن الرومانيين « سبتيمانكة » Septimanea ثم انقلب إلى سيمينكاس Simancas والعرب يقولون لها « شنت طانكش » وفيها حصن مودعة فيه أوراق دولة اسبانية من القديم ، وهى ثمانون ألف اضبارة ، تشتمل على ٣٣ مليون وثيقة .

وبالقرب من سيمينكاس مدينة قديمة صغيرة اسمها « طورد زلاس » Tordsillas ومن مدن تلك الجهة « أريفالو » Arévalo وهى بلدة قديمة صغيرة ، سكانها أربعة آلاف نسمة ، وكانت فى الماضى معدودة من مفاتيح مملكة قشتالة . ثم مدينة « آبله »^(١)

(١) قد سكن المسلمون فى آبله لأول فتح العرب لاسبانيا ، وانتسب اليها جماعة من أهل العلم ، منهم أناس هاجروا منها إلى فاس ، وقد ذكر لى الاديب المدقق السيد محمد الفاسى من بنى الجد الفهرين أن أبا عبد الله محمد بن ابراهيم بن احمد العبدري الآبلى المتوفى فى فاس سنة ٧٥٧ للهجرة ، أصل أجداده من آبله ، نزحوا منها إلى تلمسان وبها ولد أبو عبد الله هذا ، ثم انتقل إلى فاس ومات بها ، وهو تلميذ العالم الرياضى الكبير اس السناء المراكشى ، والشيخ العلامة ابن خلدون

وقد وجدت فى آبله بلاطة تاريخ الكتابة التى عليها سنة ٨٠١ للهجرة ، نقلها لاوى بروفنسال ، وقال إن هذه البلاطة وجدت بقرب باب القصر Alcazar فى آبله ، وهى هذه : « هذا قبر عبد الله بن يوسف السبي (٤) المقتول على ظلم (٤) ظه وملكه عام ض ١ لهجرة نبيها محمد صلى الله عليه وسلم (٤) الله يجمعنا معه فى الجنة النعيم لاحول ولا قوة إلا بالله »

قال لاوى بروفنسال إن هذا التاريخ يوافق سنة ١٣٩٨ - ٩٩ مسيحية . قلنا إن آبله هى من المدن التى أخلاها المسلمون من أوائل الفتح . مثل شقوية ، وسمينكاس ، واستورة . وليون ، وزموره وغيرها ، نعم ان المنصور بن أبى عامر كان قد غزا فيما بعد هذه البلاد كلها . واستولى عليها ، بعد أن أوقع بجيوش جميع أمم الاسبانيول ، وأعاد شمالى اسبانية إلى ملك الاسلام . ولكن لم يمحض على ذلك إلا قليل ، حتى كانت الفتنة فى قرطبة ، وسقطت الخلافة . وصار المسلمون يستعين بعضهم على بعض بالنصارى ونجمت ملوك الطوائف ، وأصبحت الحالة أشبه بالفوضى ، فاسترجع النصارى جميع تلك المدن ، منها ما أخذوه بالقوة ، ومنها ما اشترطوا التخلي عنه لأجل النصرة التى كان

Avila وسكانها ١٢ ألف نسمة ، وهى مركز مقاطعة بهذا الاسم ، ومركز أسقف ، وموقعها على سطح رابية منقطعة من الجهات الثلاث ، وأمامها الجبال التى يقال لها شارات « مالاغون » من جهة الشرق ، وشارات آبله من جهة الشمال الغربى . وهواء هذه البلدة هو فى غاية القسوة ، وقد تنازع الأسبانيول والعرب هذه البلدة مدة أربعة قرون متوالية ، ولم تدخل فى حوزة المسيحيين نهائياً إلا سنة ١٠٩٠ فى زمن الاذفونش السادس ، فحصنها الاذفونش ، وجدد فيها أبنية كثيرة ، وبقيت إلى القرن السابع عشر من أحفل مدن اسبانية وكان فيها جم غفير من الموريسك ، أى العرب الذين نصرهم الأسبانيول ظاهراً ، ولبثوا مسلمين باطناً ، وكانت هذه المدينة عامرة بهم ، فلما طردوهم فى سنة ١٦١٠ ، وهو الجلاء الأخير ، سقطت هذه المدينة سقوطاً تاماً . وفى آبله من الكنائس ما يعدّ فى الطبقة الأولى بين كنائس أسبانية ، على كثرة احتفال الأسبانيول بالكنائس ، وبذلهم فى بنائها ما عزوهم . ومن أشهرها كنيسة « سان سلفادور » San Salvador وهى مبنية من الحجر المحبب ، ينحالها الناظر إليها حصناً من الحصون . وهى من القرون الوسطى ، وبابها بديع الصنعة ، وفى داخلها تصاوير لأشهر المصورين ، وفيها قبر المطران « الفونسو دومادر يغال » من عمل النحات الشهير « فاسكو زارزا » Zarza ، وفيها كنيسة « سان بدرو » ودير « سانتو توماس » بناه الملك الكاثوليكيون ، أى فرديناند وايزابلا سنة ١٤٨٢ ، وفيه قبر البرنس جوان الذى مات سنة ١٤٩٧ ؛ وكان الولد الوحيد لفرديناند وايزابلا وسور آبله القديم طوله ٢٤٠٠ متر ، ولم يكمله إلا سنة ١٠٩٩ . وفى آبله ماتت

يرجوها منهم كل من الفريقين المتقاتلين فى قرطبة ، إذأ فى سنة ٨٠٠ للهجرة لم يكن فى آبله مسلمون غير المدجنين ، فان آبله كانت قبل تاريخ هذه الكتابة بثلاثمائة سنة رجعت إلى النصرانية ، فان كان قد بقى فيها مسلمون فيكونون ممن اختاروا « الدجن » أى الإقامة تحت حكم النصارى ، من دجن دجنا ودجوننا أى أقام بالمكان وألفه واستأنس به . وأصل استعماله للحمام والحيوانات ، يقال الحيوانات الداجنة ، ضد الحيوانات البرية



سور مدينة آبله

القديسة « تريزا » Teresa ، ولها هناك دير مشيد في محل البيت الذي ولدت فيه سنة ١٥١٥ ، وهذه القديسة هي شفيعة آبله . وفيها أيضاً كنائس أخرى متقنة مثل « سان سغوندو » Segundo و « سان فيسنت » Vicente نسبة إلى القديس فيسنت الذي يقال انه في سنة ٣٠٣ للمسيح قتل من أجل عقيدته المسيحية . وهناك صخرة هي في داخل الدير ، يقال إن القديس المذكور قتل عليها . وفي آبله ساحة منسوبة إلى المنصور بن أبي عامر . وبالقرب من آبله واد بهيج ، يقال له « وادي البرش » Alberche ، وفيه بلدة مشهورة بنوع من العنب يسمى البيلو Albillo ويقال لهذه البلدة « سبريروس » Cebberos

ومن مدن قشتالة « فيلالبة » Villalba واقعة على واد متسع تحيط به أهاضيب من شارات وادي الرمل ، وهي على حدود قشتالة الجديدة . وفي تلك الجهة قرية يقال لها « شارمارتين » Charmartin وهي التي فيها كانت نابليون الأول عند ما استسلمت له مدينة مجريط .

ومن مدن قشتالة « أوليدو » Olmedo وهي صغيرة ، ثلاثة آلاف نسمة ،

إلا أنها كانت ذات شأن في الماضي ، وكانت مسكن نبلاء قشتالة ، حتى ضرب المثل بها ، فكانوا يقولون : من أراد أن يسود في قشتالة ، فعليه أن يستند على أوليدو وأريفالو . ثم بلدة يقال لها « كوكو » Coco كان لها شأن عظيم في القديم ، ولكنها اليوم قرية صغيرة . و بلدة سقوبية Ségovia ، وكل هذه البلاد قريبة من مجريط ، والسكة الحديدية تمر على سقوبية ثم تدخل في نفق وادي الرمل ، وطوله ٢٧٠٠ متر وإذا أفاض الانسان من هذا النفق وقع نظره على سهل قشتالة الأفيع ، فشاهد أجمل ما تقع عليه العين . وفي تلك الناحية دير الاسكور يال الشهير ، ثم مجريط

وهذه البلدة هي اليوم عاصمة أسبانية ، وسكانها يزيدون على ثمانمائة ألف وفيها مدرسة جامعة ، ومركز اسقفية ، وموقعها على ٦ ، ١ ، ٣١ من الطول الغربي من خط نصف النهار الباريزي ، وعلى ٤٠ ، ٢٤ ، ٣٠ من العرض الشمالي ، وهي تعلو عن سطح البحر ٦٤٠ متر

مجريط Madrid

قال ياقوت في معجم البلدان : مجريط بفتح أوله ، وسكون ثانيه ، وكسر الراء ، وياء ساكنة ، وطاء : بلدة بالأندلس ينسب إليها هارون بن موسى بن صالح بن جندل القيسي الأديب القرطبي ، أصله من مجريط ، يكنى أبا نصر ، سمع من أبي عيسى الليثي وأبي علي القالي ، روى عنه الخولاني ، وكان رجلا صالحا صحيح الأدب ، وله قصة في القالي ذكرتها في أخباره من كتاب الأدباء - يعني كتابه معجم الأدباء - ومات المجريطي لأربع بقين من ذي القعدة سنة ٤٠١ قاله ابن بشكوال . اهـ

ومن غريب الأمور أن ياقوت ذكر مجريط في مكانين من كتابه ، ففي الأول ذكرها في صفحة ٣٨٨ من الجزء السابع من معجمه ، الطبعة الأولى المصرية المصححة بقلم الشيخ احمد بن الأمين الشنقيطي ، ثم في صفحة ٣٩٤ من الجزء نفسه ، عاد فذكر مجريط هي نفسها وترجمها غير الترجمة الأولى فقال : مجريط بالفتح ثم السكون وكسر الراء ، وياء ، وآخره طاء مهملة : مدينة بوادي الحجاره ، اختطها محمد بن عبد الرحمن

ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك . ينسب إليها سعيد بن سالم الثغري ، ساكن مجريط ، يكنى أبا عثمان . سمع بطليطلة من وهب ابن عيسى ، وبوادي الحجارة من وهب بن مسرة وغيرهما ، وكان فاضلاً ، وقصد السماع عليه ، ومات لعشر خلون من شهر ربيع الآخر سنة ٣٧٦ قاله ابن الفرضي انتهى نقلاً عن بغية الملتبس

والذي يلوح لنا أنه كتب عن مجريط أولاً ، وانتهى منها ، ثم تلقى معلومات جديدة عنها فبدلاً من أن يلحقها بما تقدم له في شأن مجريط ، عاد فترجمها مرة أخرى وينسب إلى مجريط عدد من أهل العلم في الاسلام منهم أبو محمد عبد الله بن سعيد المجريطي^(١) وعبد الرحمن^(٢) بن عبد الله بن حماد المجريطي . وهارون بن موسى ابن صالح ابن جندل القيسي القرطبي ، أصله من مجريط ، وأبو العباس يحيى بن محمد ابن فرج بن فتح ، المعروف بابن الحاج^(٣) المجريطي ، توفي بقرطبة سنة ٥١٥ وأبو يعقوب يوسف بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حماد^(٤) المجريطي ، توفي بمجريط نفسها سنة ٤٧٣ وعبد الرحمن بن عيسى بن عبد الرحمن بن الحاج المجريطي ، سكن قرطبة ، وكان

(١) سمع من علماء طليطلة وعلماء قرطبة وتوفي بالمشرق سنة ٣٩٠ أو في السنة التي بعدها

(٢) أخذ عن ابن مدراج وعبدوس بن محمد وأبي بكر الزبيدي وابن الهندي وابن العطار وابن أبي زمنين وكان فاضلاً ثقة متواضعاً قال ابنه يوسف بن عبد الرحمن : توفي أبي رحمه الله في صفر سنة ٤٠٧ وهو ابن ٧٧ سنة

(٣) كان من علماء الأدب والعربية قال ابن بشكوال : وقد أخذ عنه أصحابنا وكان أحد العدول وتوفي رحمه الله يوم الاثنين لاربع بقين من ربيع الأول سنة ٥١٥ بقرطبة ودفن بمقبرة أم سلة حضرت جنازته اهـ

(٤) روى عن أبي عبد الله بن الفخار وأبي عمر الطلنكي وأبي محمد الشنتجالي ورحل إلى المشرق حاجاً ولقي أبا ذر الهروي ويحيى بن نجاح ولقي بركة ميمون ابن طريف وباطر ابلس أبا الحسن بن المنمر وقرأ عليه كتابه في الفرائض وكان أبو يعقوب ابن الحاج هذا ثقة حسن الخط من بيت خير وفضل توفي بمجريط سنة ٤٧٣

يكنى بأبي الحسن^(١) . وأبو الحسن غريب بن خلف بن قاسم الخطيب القيسي الجريطى نزيل مالقه ، كان من أهل العلم ، وله تصنيف

وأعظم المنسوين إلى مجريط أبو القاسم مسلمة بن أحمد الجريطى الفلكى الكياموى الشهير . ومن ينسب إلى مجريط سعيد بن سالم الجريطى المعروف بأبي عثمان الثغرى الذى ذكره ياقوت ، وينسب إلى مجريط أبو العباس يحيى بن عبد الرحمن ابن عيسى بن عبد الرحمن بن الحاج ، كان ساكناً فى قرطبة . وتولى قضاء جيان ، وقضاء مرسية ، وقضاء غرناطة ، ثم تولى قضاء قرطبة بعد أبي الوليد بن رشد ، وكان قاضياً جليلاً ، توفى^(٢) سنة ٥٩٨ .

وأما أبو يعقوب يوسف بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حماد الجريطى الذى قلنا إنه توفى بمجريط سنة ٤٧٣ . فاذا كان القشتاليون استولوا على مجريط سنة ١٠٨٣ فينبغى أن تكون وفاته وقعت فى مجريط بعد استرداد الاسبانيول لهذه البلدة . وأخبرنى مهندس اسبانيولى مدقق متخصص بعلم الآثار اسمه فرناندس من أهل قرطبة أنه لما استولى الأسبان على مجريط كان فيها أربعة جوامع

كان بناء مجريط فى زمن العرب ضرورة عسكرية ، لأنهم جعلوها قلعة فى وجه القشتاليين ، ولولا القلعة ما تكونت ثمة بلدة ، إذ ليس إلا بلد محتل ، وماء ضحل ، وبقيت فى أيدي العرب مدة طويلة إلى أن تمكن الاسبانيول من إرجاعها سنة ١٠٨٣ وذلك على يد الأذفونش السادس ، وكانت القلعة العربية فى مكان القصر الملوكى الحالى وهذا القصر هو أنغم بناء فى هذه العاصمة الآن ، وكان الشروع ببناؤه سنة ١٧٦٤

(١) قال ابن الأبار فى التكملة : يعرف بالمجريطى لان أصله منها أخذ القراءات عن أبى القاسم بن النحاس وتولى القضاء برندة وحدث عنه ابنه القاضى أبو العباس يحيى بن عبد الرحمن وكان مولده سنة ٤٧٣ وتوفى سنة احدى وعشرين وخمسمائة

(٢) ترجمه ابن الأبار . فقال : انه اخذ القراءات عن أبيه وقرأ على أبى بكر ابن العربى وأبى زيد الخزرجى وأبى بكر بن سمجون وتولى قضاء جيان ومرسية وغرناطة ثم قضاء قرطبة بعد ابن رشد وكان معدوداً فى رجالها مع الجزالة والعدالة والايثار للحق

هذا ، ولما دخلها الاسبانيول حوّلوا مسجدها الكبير إلى كنيسة باسم السيدة العذراء وأعطوا مجريط امتيازات كثيرة ، وصارت لذلك العهد مدينة لابأس بها ، تمتد إلى باب « لاتينه » Latina و باب « سرّاده » Cerrada ، و باب « وادى الحجارة » و باب « سانتو دومينكو » Sato Domingo و باب « سان مارتين » San Martin و باب « الصول » Del Sol ، ووقع بين أهل مجريط وأساقفة أسبانية دعوى على مشاعات البلدة ، فصدر الحكم بأن تكون المراعى لرجال الكنيسة وأن تكون الغابات للمدينه .

وفى سنة ١٣٢٩ جمع فرديناند الرابع أول مجلس للأمة الاسبانية فى مجريط وفى سنة ١٣٨٣ التجأ إلى اسبانية لاوون ملك أرمينية شريداً ، فولّوه على مجريط ، ولكن بعد وفاته رجعت البلدة إلى حكم قشتالة ، وفى سنة ١٣٩٠ حصلت فى مجريط فتن متتابة أيام كان الملك هنري الثالث صغيراً فانتقلت العائلة المالكة إلى سقوية . ثم تجددت هذه الفتن فى زمن هنرى الرابع بين سنتى ١٤٥٤ و ١٤٧٤ ، ولم تستقر أحوال مجريط إلا فى زمن الملوك الكاثوليكين ، أى فرديناند وايزابلا سنة ١٤٧٧ وفى زمن شارل كان ثارب مجريط عليه ، وانضمت إلى الحزب الذى كان يأبى الانقياد للحكم المركزى ، إلا أن هذا الحزب انتهى أمره بالفشل ، فدخل شارل كان مجريط سنة ١٥٢٤ و بعد ذلك بسنة ، لما وقع فرنسوا الأول ملك فرنسة أسيراً فى يد الامبراطور شارل كان ، بعد معركة « بايئه » Pavia جى . به إلى مجريط ، واعتقلوه مدة فى البرج المسمى « لوجانس » Lujanes ثم نقلوه إلى القصر Alcazar ، وكان عدد أهالى مجريط فى أوائل القرن السادس عشر لا يتجاوز ثلاثة آلاف نسمة .

والذى فكر فى جعل مجريط عاصمة اسبانية هو فيليب الثانى ، وذلك سنة ١٥٦٠ وقبلها كانت العاصمة طليطلة . وكان فى طليطلة كرسى الأسقف الأكبر ، فكانت هذه المدينة عاصمة اسبانية فى الدين والدنيا ، وكان الاحتكاك الدائم لا يخلو من حوادث تبعث على الاختلاف ، فأخذ فيليب الثانى يفكر فى الانتقال إلى مركز

آخر يتوسط المملكة من جميع الجهات ، فلم يجد أفضل من مجريط ، على علاقتها ، وقحولة أرضها ، وعظمتها من أكثر المواهب الطبيعية التي تقوم بها عمارة البلدان . فانه فكر في سرقسطة ، فوجدها منحرفة إلى الشمال . وفي برغش وليون ، فلم يجد فيهما التوسط اللازم الذي جعله نصب عينيه ، وفي قرطبة واشبيلية ، فوجدهما ضاربتين في الجنوب ، وكان مراده على كل حال أن يغادر طليطلة فراراً من مجاورة أحبار الكنيسة فاختر مجريط ، برغم وقوعها في أرض قليلة الخيرات ، لا تجري فيها أنهار ولا تمتاز بزراع ولا ضرع ، كما أن هواءها جامع بين الأضداد ، فمن نوافح البرد القارس ، إلى لوافح الحر المحرق ، ففي أيام الشتاء قد تنزل درجة الحرارة في الميزان إلى ١١ تحت الصفر ويتجمد الماء أكثر فصل الشتاء ، وفي الصيف تصعد الحرارة إلى الدرجة ٤٣ في الظل ، كأنه حر الساحل الجنوبي ، ثم ان هواء مجريط ، إما أن يكون شديداً عاصفاً ، يصرع الرجل الماشي في الشارع ، وإما أن ينقطع تماماً ، حتى لا يطفئ المصباح ، فتقلبات الأحوال الجوية في هذه العاصمة أعجوبة من الأعاجيب ، ومن أمثالهم : لا تترك معطفك قبل ٢٠ مايو .

ولما انتقل فيليب الثاني إلى مجريط كان فيها ٢٥٠٠ بيت ، و ٢٥ ألف نسمة ، فضاقت على رجال الدولة والجند . وصدرت الأوامر بانزال الأمراء والقواد وأصحاب المناصب في البيوت الكبيرة ، فمن ذلك الوقت امتنع الناس عن بناء الدور الفيحاء ، وصار الأغنياء منهم يعتمدون السكنى في المنازل الحقيمة ، حتى لا ينزل رجال الدولة في دورهم . فلذلك بقيت مجريط لا تتقدم إلى الأمام مدة طويلة ، مع ان الفن لذلك العهد كان بلغ أوج الترقى ، واستمرت هذه الحالة على مجريط إلى أن جاء آل بوربون ملوكاً على اسبانية ، فشرع كارلس الثالث ، أفضل ملوك هذه العائلة ، في عمارة مجريط والاعتناء بشأنها . ولما استعفى كارلس الرابع من عرش اسبانية سنة ١٨٠٨ جاء يوسف بونابرت ، وأخذ يوسع شوارع مجريط ، ويهدم حاراتها القديمة ، والأديار التي كانت تضيق بها الأرض بما رحبت ثم ذهب حكم نابليون ، وأعيد حكم آل

بربون ، وجاء فرديناند السابع ، فأخذ يمتنى بتوسيع مجريط وتزيينها ، إلى أن كسبت شكل عاصمة حقيقية .

وأشهر ساحة في مجريط هي التي يقال لها « باب الشمس » Peurta del Sol ومن هذه الساحة يمتد شارعان ، أحدهما المسمى شارع « القلعة » Alcala وهو أوسع شوارع المدينة وأبهاها ، وبه تسير جميع المراكب في الاحتفالات ، والثاني شارع « جيرونيمو » وفيه أعظم المخازن وأغناها .

وفي مجريط أكاديمية للفنون النفيسة ، وفيها متحف المدفعية وفيه آثار ونقائس كثيرة . وفيه قاعة تسمى القاعة العربية ، جمعوا إليها كل ما قدروا عليه من مخلفات العرب ، من رايات ، وعمائم ، وأثواب ، وأحذية ، وسيوف ، ومن جملتها سيف أبي عبد الله بن الأحمر ، آخر ملوك غرناطة . وقد اشتمل هذا المتحف أيضاً على غنائم كثيرة مما حازه الإسبانول في فتح أميركة ، وتلك المستعمرات الواسعة ، وكذلك في هذا المتحف تذكارات كثيرة من أيام حروب الكرلوسيين .

وحروب الكرلوسيين تشغل من تاريخ اسبانية حيزاً كبيراً ، بحيث لا يفهم القارىء حقيقة تاريخ اسبانية في القرن الماضي بدون أن يعرف قضية الكرلوسيين هذه . فلذلك رأينا تلخيصها فيما يلي :

الدون كارلوس البربونى المولود سنة ١٧٨٨ المتوفى سنة ١٨٥٥ كان ابن كارلس الرابع ، ملك أسبانية ، واخا فرديناند السابع . فلما حمل نابليون الأول فرديناند هذا على الاستعفاء واعتقله ، كان الدون كارلس مع أخيه في الاعتقال ، فلما عاد فرديناند الى الملك ، بعد سقوط نابليون سنة ١٨١٤ عاد الدون كارلس أيضاً مع أخيه ونظراً لكون فرديناند لم يعقب ولداً ، كان كارلس هو ولي العهد الشرعى ، وحوله اجتمع رجال الكنيسة والرهبان والنبلاء الذين يكرهون مبادئ الثورة ، وجميع من كان من أنصار الملكية المطلقة ، وأصحاب الامتيازات والاقطاعات ، فصار الدون كارلس يناوئ أخاه الملك ، ولم يتمكن فرديناند من العرش في وسط هذه المزاهاز الآ بواسطة

جيش أنجده به فرنسا سنة ١٨٢٣ ، واشتدت العداوة بين الأخوين ، فتزوج الملك فرديناند بمارية كرسطينا من ملوك الصقليتين ، وولد له منها الأميرة ايزابلا ، فصارت هي في نظر أبيها وارثة الملك . والحال ان قانون أسبانية كان يحصر الارث في الذكور ، فادى الامر الى الحرب بين حزب الملك وحزب الدون كارلس ، ومزقت هذه الحروب الأمة الأسبانية تمزيقاً ، وانفقت فرنسا وانكلترا ، فعضدتا الملك فرديناند في وجه أخيه ثم مات الملك سنة ١٨٣٣ فقامت مقامه زوجته الدونة مارية ، وعضدتها فرنسا وانكلترا ، فانهزم كارلس الى البرتغال ، لمصاهرة بينه وبين الدون ميكال ملك البرتغال . الآن حزب الدون كارلس كان كبيراً ، وثار معه المقاطعات التي كانت تكره النظام المركزي ، فاشتعلت نار الفتنة في الاستورياس ، وبلاد الباشكونس ، ونبارّه ، واراغون ، وكتلونية . واشتدت الحرب الأهلية في أسبانية ، الى ان وقع الخلف أخيراً بين زعماء حزبه ، ففشلوا ، واضطر كارلوس الى الفرار سنة ١٨٣٩ ، والتجأ الى فرنسا في زمن الملك لويس فيليب ، واعتقل فيها .

ثم نزل عن دعواه لشخصه وخلفه ابنه الدون المسمى كارلس أيضاً ، فاخذ هذا يثير حزبه على ابنة عمه ، وجرت وقائع وحروب في أيامه ، كما جرت في أيام أبيه . وما زال يقاتل ويثير الفتنة الى أن مات . فخلفه أخوه الدون جوان . ثم خلف الدون جوان ولده الدون كارلس أيضاً ، وذلك سنة ١٨٦٨ ، وسماه حزبه كارلس السابع ، ودخل أسبانية ، وأثار الفتنة ، نظير عمه وجده . وتغلب على عساكر الدولة الأسبانية ، وقام بتشكيل وزارة ، واوشك ان يستولى على العرش . واستمرت هذه الحالة مدة أربع سنوات ، الى أن تغلبت الدولة الأسبانية في الآخر عليه ، فانهزم الى الخارج ، فصار يجول في الاقطار الى ان مات . وانتهت الشحنة الكارلوسية .

ثم نعود الى ذكر مدينة مجريط فنقول : انه فيها دار لمجلس النواب ، يقال لها دارالمؤتمر Palacio del Congreso وهي بناء فخم ، انشأه المهندس . نرسيزو بشكوال Pascual . وأمام الرتاج اسدان من مكب الرمل ومدافع غنهما الاسبان من

المراكشيين في واقعة تطوان سنة ١٨٦٠ . وفي مجريط متحف يقال له متحف البرادو Prado ، بدأوا به سنة ١٧٨٥ ، وهو قسبان ، أحدهما للتماثيل ، والآخر للتصوير . وفيه آثار ايدي مشاهير المصورين والنحاتين ، ممن تقدم لنا ذكرهم في الفصل المتعلق بالفن ، ومن غيرهم . فهو من أحفل متاحف أوربة بلا نزاع ، يختلف اليه عشاق الفن ما شاؤا ان يختلفوا ، ولا يزالون يرون فيه أشياء جديدة . وفيها جنة النبات Gardin Botanique ، وقد بدأوا بها سنة ١٧٧٤ الا ان دليل بديكر يجعلها دون حديقة النباتات التي في بلنسية ، ودون حدائق النباتات التي في البرتغال .

وفي مجريط ساحة يقال لها ساحة الشرق ، في نهايتها ملهى التمثيل الملوكي . وأما قصر مجلس الشيوخ فانه في طرف من المدينة ، بينما مجلس النواب هو في الطرف الآخر .

وأما خزانة الكتب الوطنية ففيها عدا الكتب ، وعدا الوثائق التاريخية ، متحف يقال له متحف الفن الحديث ، ومتحف آخر يقال له متحف الآثار القومية . وقد بدأوا ببناء دار الكتب هذه سنة ١٨٦٦ ، وانتهوا منها سنة ١٨٩٤ ، وامام رتاجها تماثيل المشاهير من رجال أسبانية ، وفي داخلها تماثيل ملوكهم وملكاتهم . وأول من جمع هذه الكتب في مجريط هو الملك فيليب الخامس ، وذلك من مائتين وخمس وعشرين سنة . وسنة ١٨٦٦ اشترت الحكومة مجموعة كتب مخطوطة كانت تخص دوق اوشونة ، و اضافها الى هذه المكتبة . ومجموع ما تشتمل عليه من الكتب هو ستمائة وخمسون الف مجلد ، منها ثلاثون الف مخطوط ، والفان وسبعة وخمسون كتاباً طبعت في بداية عهد الطباعة . وفيها عشرون الف ورقة من الوثائق . وثلاثون الف صورة يدوية . وفيها ثمانمائة طبعة من كتاب الدون كيشوط . والبناء هو سبع طبقات من الحجر والحديد ، وفي قاعة القراءة ٣٢٠ كرسيًا . ولما ذهبت الى مجريط سنة ١٩٣٠ كنت أذهب كل يوم الى هذه المكتبة ، وفيها اطلعت على كتب كثيرة تتعلق بالأندلس ، ثم اقتنيت أكثرها فيما بعد ذلك ، ونسخت بخط يدي

يومئذ قسما من كتاب اخبار مجموعة ، وهو أول تاريخ عربى لمسلمى الاندلس ، يصل الى زمان الناصر ، وقسما من كتاب القضاة بقرطبة ، لأبى عبد الله محمد الحشنى وأما خزانة الآثار القومية ففيها مائتا ألف وثيقة ، جمعت من كل الأطراف ، ولا سيما من كنيسة آبله . وتحت المكتبة أقباء ملأى بالآثار القديمة التى قبل التاريخ وعظام بشرية ، وهناك مكان للمعاديات الشرقية ، ومنسوجات قبطية ، وآنية أصلها من قبرص ، وكثير من المصنوعات الايبيرية ، والتماثيل العتيقة ، مما يحار له العقل . ويقضى السائح الأيام والأشهر وهو يقضى منه العجب ، ويوجد قاعات لآثار القرون الوسطى : من كتابات ، وقطع فنية ، ونواويس . وهناك قاعة خاصة بآثار العرب ، والآثار المسيحية التى يطلق عليها اسم الطراز المدجّن ، والاسبانيول يقولون المدجّر ، وأكثر هذه الآثار العربية مأخوذة من أشبيلية وقرطبة وسرقسطة وغرناطة وفى القاعة العربية أسطرلابان عريان ، أحدهما تاريخ صنعه سنة ١٠٦٧ مسيحية ، وهو أقدم أسطرلاب معروف اليوم . وفيها تحت الزجاج مجموعة عظيمة من الصحن والآنية العربية . وإلى الحائط الغربى من القاعة العربية قوسان من باب الجعفرية ، فى سرقسطة ، وقطع من البهو الملوكى فى الجعفرية المذكورة ، وباب عربى جىء به من ليون ، وحوض للوضوء جىء به من مدينة الزهراء فى قرطبة ، وآثار من جامع بناء محمد الثالث فى غرناطة . وإلى الحائط الجنوبى باب عربى من خشب وجدوه فى « دروقه » ، وإلى الحائط الشرقى مجموعة من الزليج ، وفى الوسط فوارة أشبه بفوارة قاعة الأسود فى الحمراء ، وفورتان من قرطبة ، ويوجد سيوف عربية ، وخواتم ، وآنية من العاج ، وغير ذلك من نفيس صناعات العرب . ومما يوجد فى هذا المخزن مفاتيح مدينة وهران يوم دخلها الاسبانيول سنة ١٥٠٩

وفى الطبقة الأولى من خزانة الآثار هذه توجد آثار مكسيكية قديمة ، حازها الاسبانيول يوم فتحوا تلك البلاد ، وآثار غريبة ، وآنية خزفية ، ومنسوجات من أميركا الجنوبية ، وفُسيفساء من صنعة أميركا الشمالية القديمة وغير ذلك مما وجدوه فى المكسيك وكولومبية وكوبا وغيرها .

ومكتبة مجريط هي من أغنى مكاتب أوربة بلا نزاع ، سواء في الكتب ، أوفى الآثار أو في التحف النفيسة ، وفيها أيضاً نفائس من صنعة فارس وتركيا والهند ، وتماثيل صينية ، ومصنوعات من العاج من عمل الصين ، وفيها أيضاً من صناعة اليابانيين وبلاد الفيليبين ، وفيها معرض للمسكوكات القديمة ، من زمان قرطاجنة فما بعدها ، وغير ذلك مما لا يكاد يحيط به العقل .

وفي مجريط تمثال لكريستوف كولومب منصوب في ساحة منسوبة إليه . وتمثال للملكة إيزابلا الكاثوليكية ، وتماثيل أخرى لأعظم الرجال . وفيها متحف للعلوم الطبيعية أنشأه سنة ١٧٧١ ، يوجد فيه كثير من الحيوانات والطيور والحشرات والهورام والبقايا المتحجرة . ولما كانت مجريط خالية من الماء في وسطها فقد جرّوا إليها قناة يقال لها « لوزويّة » Lozoya ، وأنشأوا خزّاناً يفيض إليه الماء في أعلا نقطة من المدينة ، وهذا الخزّان يسع ١٨٠ ألف متر مكعب من الماء ، وهناك برج عال ارتفاعه ٣٧ متراً تتفرق منه المياه على الحاضرة . وأوسع ساحة في مجريط هي الساحة التي يقال لها « ساحة الشرق » Plaza de Oriente أنشأها يوسف بونا برت لما كان ملكاً على أسبانية ولكثرة ما أنشأ من الساحات صاروا يقولون له « Rey Plazuelas » ومعناه ملك الساحات . وقد هدم لأجل توسيع هذه الساحة عدة أديار وكنيسة وخمسة مائة بيت . وفيها أربعون تمثالاً للملوك القوط والأسبان . وفي مجريط دار للسلاح مشهورة ، وكان أصلها في بلد الوليد ، فنقلها فيليب الثاني إلى مجريط ، وفيها أسلحة من جميع الأنواع ، منها ما جاء هدية من اليابان إلى فيليب الثاني ، ومنها أسلحة مكسيكية . وفيها رايات باقية من زمن شارل كان وفيليب الثاني ، وكذلك دروع ومغافر كانت لشارل كان وفيها أيضاً عمامة وأسلحة منسوبة لخير الدين بربروس ، قيل إنهم أخذوها في موقعة تونس سنة ١٥٣٥ ، وفيها أسلحة علي باشا أمير البحر التركي ، مع ثيابه وراية تركية ، مما أخذه الأسبان في واقعة لينط الشهيرة سنة ١٥٧١ ، وفيها رايات لمشاهير قواد أسبانية . وخيمة من مصنوعات تركية ، كانت لفرنسوا الأول ملك فرنسا وقد أخذها

الاسبانيول في وقعة « باثيا » التي أسرف فيها ، وفيها سيوف باركها البابوات لأن أصحابها جاهدوا في المسلمين ، مثل الملك هنري الرابع صاحب قشتالة ، والأمبراطور شارل كان وفيليب الثاني ، وفيليب الثالث ، وفيليب الرابع ، وفيها أسلحة تركية من صنعة القرن السادس عشر والسابع عشر ، وبقايا غنائم أخذوها يوم فتحوا وهران سنة ١٧٣٢ ، وفيها أسلحة شارل كان يوم نازل تونس ، ويوم انكسر عن مدينة الجزائر . وفيها أسلحة كانت للملك فرديناند الكاثوليكي ، وقلما وجد سلاح للملك من ملوك أسبانية إلا ومنه بقية في هذا المخزن

وفي مجريط دار يقال لها أكاديمية التاريخ ، بنيت سنة ١٧٣٨ ، وفيها متحف يحتوي على أسلحة ايبيرية قديمة ، وعلى مجموعة مسكوكات ، ومن جملة ما فيها راية عربية كانت من قبل في كنيسة سان اشتبان . وأما من جهة الكتب ففيها ٤٤ ألف مجلد ، من أصلها ألفان من المجلدات المخطوطة ، وأكثرها عائد لتاريخ أسبانية وأما الكنائس فحدث عنها ولا حرج ، ففي اسبانية تكون القصة لا يتجاوز سكانها عشرة آلاف نسمة ، ولا تعدم فيها كنيسة متقنة تستحق أن يقصد السياح اليها ، فكيف تكون ياليت شعري ! حاضرة المملكة التي جلس فيها ملوك اسبانية من ثلاثمائة سنة ؟ وأشهرها الكنيسة الكاتدرائية التي يقال لها كنيسة سيدة المدينة Nuestra Senoira de la Almudena

هذا وقد ترددت في أثناء مقامي بمجريط على مكتبة أكاديمية التاريخ ، وعثرت فيها على كتب كثيرة . وقطفت من أزهارها . ونسخت بقدر ما أمكنني الوقت ، واني لذا كر الآن بعض الكتب التي استجلبت نظري ، من أسفار تلك المملكة وهي : « تاريخ علماء الاندلس » لأبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي المعروف بابن الغرضي ، وكتاب « الحلال الموشية في الأخبار المراكشية » . و « الروضة الغناء في أصول الغناء » ، و « تفريج الكرب عن كرب أهل الأرب . في معرفة لامية العرب » لمحمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد بن زاكور ، و « نظم السر والعقيان » في شرف (٢٣ - ج أول)

بيت بنى زيتان ، وذكر ملوكهم الأعيان ، ومن ملك من أسلافهم فى مامضى من الزمان ، و « عمدة الطبيب فى معرفة النبات » ، لابن بطلان ، و « نزهة المشتاق ، فى اختراق الآفاق » للشريف الإدريسي ، الذى نقلنا عنه كل ما قاله عن الاندلس فى كتابنا هذا وكتاب « فتوح أفريقية » ، وكتاب « القواعد المسطرة ، فى علم البيطرة » لعلى بن عبد الرحمن بن هذيل بن محمد الفزارى . وكتاب « فضالة الاخوان فى طببات الألوان » ، لأبى الحسن طلى بن محمد بن القاسم بن محمد بن أبى بكر بن الوزير التجيبي الاندلسى . و « تقييد الرسائل » من انشاء الفقيه القاضى الكاتب ابن المطرف ابن عميرة . و « عقد الجمان ، فى تاريخ أهل الزمان » لبدر الدين أبى محمد محمود بن احمد بن موسى العيني . و « الروض المhton ، فى أخبار مكناسة الزيتون » ، لمحمد ابن احمد بن محمد بن محمد بن عازى العثمانى المكناسى . و « نتيجة الاجتهاد ، فى المهادنة والجهاد » ، لاحمد بن المهدي الغزالى القاسى . وكتاب « الاكتفا فى أخبار الخلفاء » ، لأبى مروان عبد الملك بن الكردبوس . وكتاب « الدرة المضية ، فى اللغة التركية » ، لزين الدين عبد الرحمن بن أبى بكر العيني . و « القوانين السكايية ، لضبط اللغة التركية » ، لشمس الدين محمد بن نور الدين على بن زين الدين . وكتاب « استخراج ملح المعادن » . وكتاب « تأييد الملة » . و « الذخيرة » لابن بسام ، ورسالة بفضل الاندلس لأبى الوليد اسماعيل بن محمد الشقندى . و « حكاية الجارية تودور » ، وما كان من حديثها . وكتاب الجغرافية فى مساحة الأرض وعجائب الأسقاع والبلدان . وقصة الست زمرّد الستورية . و « التكلة » لابن الأتار . ودقتر لرسم الكتب الموضوعة فى خزائن يمنى المحراب من الجامع الأعظم (يريد جامع قرطبة) . ودقتر لرسم الكتب الموضوعة فى خزائن بسرى المحراب من الجامع الأعظم . وكتاب « فوائد الموائد » تأليف يحيى بن عدى ، وقيل تأليف جمال الدين أبى الحسن المعروف بالجزار . وكل هذه الكتب نظرت فيها بقدر ما وسع الوقت . وكتاب فوائد الموائد كثير النكات ، يقرأه الانسان للتسلية . أوله : « الحمد لله الذى جعل الطعام رزقاً للعباد ، وقواماً للأجساد ، وسبباً لدم البغلاء ، ومدح الأجواد ، أحمده على ما منح من طيبات رزقه ، ومعرفة

السكرام من خلقه ، رازق الاطعمة الشهية ، ومسخر النفوس السخية ، الخ » . وأجل كتاب رأيته في هذه المكتبة هو « الفلاحة في الارضين » ، لابي زكريا يحيى بن محمد ابن احمد بن العوام الاشبيلي . وهو جزآن ، وعدة صفحاته ٨٤١ . ويندر أن يكون في هذا الفن كتاب أجل قدرًا منه . وقد قرأت في مجلة المجمع العلمى العربى التى تصدر فى دمشق أنه مترجم إلى الافرنسية وقد نسخت من هذا الكتاب عدة صفحات ورأيته ينقل كثيراً عن الفقيه الامام أبى عمر احمد بن محمد بن حجاج فى كتابه « المقنع » وهو المؤلف سنة ست وستين واربعائة ، نقل فيه صاحبه عن الرازى ، واسحق ابن سليمان ، وثابت بن قرّة وغيرهم . وكذلك نقل ابو زكريا يحيى بن محمد بن العوام الاشبيلي صاحب كتاب الفلاحة هذا عن كتاب الشيخ أبى عبد الله محمد بن ابراهيم ابن الفصّال الاندلسى ، الذى بنى كتابه على تجاربه الخاصة ، ونقل عن كتاب الحكيم الشيخ ابى الخير الاشبيلي ، وهذا مبنى على تجارب المؤلف وعلى آراء جماعة من الحكماء والفلاحين . ونقل عن كتاب الحاج الفرناطى . وكتاب ابن أبى الجواد ، وكتاب غريب بن سعد ، ونقل عن حكماء اليونان ، وأيضاً عن كتاب الفلاحة النبطية المشهور المبنى على أقوال جملة من الحكماء منهم آدم ، وصغريت ، وينبوشاد ، وأخنوخا ، وماسى ، ودونا ، وكانترى ، وغيرهم . وأما تاريخ ابن الفرضى ، ورسالة الشقندى فى فضل الانداس ، فقد نقل عنهما صاحب النفح ما شاء .

الاسكوريال L'escurial

ومن ضواحي مجريط قرية الاسكوريال Escorial أو Escurial ومعناها معدن الحديد ، والقرية قسمان : القرية القديمة تسمى « أباجو » ، والقرية الجديدة وتسمى « الريبة » وعدد سكان هذه ثلاثة آلاف نسمة . وهى مصيف لاهل مجريط ، وفيها الدير الشهير الذى يسميه الاسبانيون Rial Monasterio de San Lorenzo del Escorial وهو الذى بناه فيليب الثانى ، وذلك انه فى حصار مدينة سان كنتين سنة ١٥٥٧ أصابت مدافعه كنيسة باسم القديس « لورنزو » ، وهو جندى روماني

من أصل اسبانيولى ، توفى شهيداً فاراد فيليب أن يعوض القديس من هدم تلك الكنيسة المبنية على اسمه ببناء دير عظيم ، جعل فيه أيضاً مدفن والده شارل كان ، الذى كان تحلى عن الملك من تلقاء نفسه ، واختار العزلة والنسك ، وصح فيه قول المتنبي :
ويمشي به العكاز في الدَيْرِ راهباً وما كان يَرْضَى مَشْيَ أَشَقَرٍ أَجْرَدَا

وكان فيليب الثانى يريد أن يقتنى أثر أبيه فى التنسك والاعتزال ، فبعد ان بحث نحواً من سنتين عن مكان لهذا الغرض اصابه فى جوار مجريط بقرية الاسكوريال ، فاستدعى اليه المهندس الطليطلى الشهير « جوان بوتستا » ، وبدأ بالعمل سنة ١٥٥٩ ، ولكن المهندس مات بعد أن بدأوا بالبناء ، فخلفه عليه « جوان دوهريره » الذى هو من تلاميذه ، وكان الأول تعلم البناء فى رومة ، وأما الثانى فكان تحصله فى بروكسل . وكان فيليب الثانى يشترك بنفسه فى الشغل ، و يأخذ ويعطى مع الصناع ، ولا يتركهم يعملون شيئاً بدون رأيه وقد بذل همه فوق تصور العقل لاجل اكل هذه البنية التى قل ان يوجد مثيها فى الدنيا . وقد انتهوا من العمل ووضع الصايب على القبة سنة ١٥٨١ ، وآخر حجر وضع فى هذا المير كان وضمه فى ١٣ سبتمبر سنة ١٥٨٤ ، وأما المقبرة الملوكية فها تمت الا فى زمن فيليب الرابع ، حفيد فيليب الثانى . وقد خمنوا نفقات هذه البناية الكبرى بستة عتس مليوناً وخمسةائة الف بسيطة . وطرز هندسة هذا المير هو طرز عصر التجدد الثانى فى ايطالية ، وهو الذى يعتمد فى جلاله على مجرد تناسب الاقسام ، وليس فى الاسكوريال شىء من الزينة ولا الزخرف ، وجميع تلك الجدران لا يتخللها غير نوافذ صغيرة . واذا نظرت الى هذا البناء العظيم حسبت انه قلعة أو سجن . ولما أراد فيليب الثانى ان يزين داخل المير بالتصاوير التى لا بد منها نظراً للذهب الكاثوليكي ، استجداد بعض مصورى ايطالية المشاهير مثل « تيبالدى » و « كامبيازو » و « زوكارو » وأما من اسبانية فقد استدعى « جوان فرناندىس » و « نافاريت الكرونى » .

وقد انتقد الكثيرون من أساطين الفن بناء الاسكوريال ، وقالوا إنه ليس له

من مزية غير السعة والكثرة ، وانه ليس فيه ذوق ولا قوة توليد ، ولا فضل اختراع ، وكل ماهناك فهو خطوط هندسية مستقيمة ، تسود عليها بساطة زائدة ، ينجحها الطمع . وقد علل بعضهم هذه البساطة الزائدة بكون فيليب الثانى كان هو الأمر الناهى فى اختيار الأشكال التى لم يكن يستحسن منها إلاّ البسيط الساذج . وكان كلما جاءه المهندسون بشئ من الزخرف رفضه فجاءت بنايته هذه أشبه فى ببوستها وجهامة منظرها بالبرية التى تحيط بها . أما طول البناية فهو ٣٠٦ أمتار والعرض هو ١٦١ مترا ، ولها أربعة أبراج . وفى وسطها كنيسة ذات قبة عالية و برجين عظيمين ، فى كل منهما جرس كبّار وإلى الشرق والشمال من هذه الكنيسة المقر الملوكى ، وإلى الغرب ساحة خارجية ، وإلى الجنوب الدير الحقيقى وحواشيه وأما كن القسيسين .

واللاسكوريال رتاج عظيم ، عليه تمثال القديس لورانزو ، يعلو أربعة أمتار ، ورأسه ويداه من المرمر ، وفى يده اليمنى مشواة من النحاس المذهب ، إشارة إلى كيفية استشهاد القديس ، الذى يقال إنه أميت على آلة مثلها . وفى الكنيسة ست اسطوانات ، عاها تماثيل ملوك العهد القديم ، وجميع الرؤوس والأيدى من الرخام الأبيض ، والتيجان والصوالة من النحاس المذهب . وقبة الصليب ترتفع ٩٥ مترا ، والكنيسة فى غاية الاتساع ، وفيها ٤٨ مذبحاً وعلى حيطانها تصاوير الوقائع الدينية الكبرى ، مثل البشارة ، والحمل ، وولادة عيسى ، وعبادة الملائكة له ، وملوك الجوس ، وبنى إسرائيل فى البادية ، واليوم الآخر ، وهزيمة بنى إسرائيل للعالمقة ، وغير ذلك . وأما مقبرة الملوك فهى مجاورة للمذبح الأعظم ، وذلك حتى تقام القداسات اليومية على عظام الملوك المدفونين وفى هذه المقبرة زخرف كثير ، يخالف لقاعدة البساطة التى كان فيليب الثانى قد جعلها إماماً له فى بناء هذا الدير . والسبب فى ذلك هو أن هذه المقبرة قد أكملها خلفاؤه من بعده ، والمدافن واقعة ضمن محاريب فى الحيطان ، وكل مدفن فيه ناووس من الرخام الأسود ، عليه كتابة باسم الدفين . وفى هذه المقبرة ستة وعشرون ناووساً ، لم يبق منها غير قليل خالياً ، وليس جميع الملوك

مدفونين هنا ، بل فيليب الخامس ، وفرديناند السادس ، ونساؤهما ، ليسوا فيها .
وهناك مقبرة أخرى فيها أجساد الأمراء والأميرات ، ممن لم يصل إلى العرش .
وفي هذا الدير خزانة كتب عظيمة ، واقعة في بهو طوله ٥٢ متراً ، فوق الرتاج
الذى منه الدخول إلى المقر الملوكى . وفي هذه الخزانة من نوادر الكتب والآثار
ما يستحق كل اعتبار . من ذلك كتب الصلاة التى كان يصلى بها شارل كان وفيليب
الثانى ، ومخطوط اسبانيولى يتضمن قصيدة فيرجيل الشاعر الرومانى التى تسمى
« ايناييد » Eneide ، والأنجيل الأربعة ، فى مجموعة كتبت لكونراد الثانى ، قيصر
ألمانية ، وأبجرت فى زمن هنرى الثالث ، وتاريخها سنة ١٠٥٠ ، ومخطوط فيه رؤيا
يوحنا ، تاريخه القرن الخامس عشر . وفيها مصحف شريف بخط مغربى مذهب كبير
الحجم ، اتصل بالاسبانيول سنة ١٥٩٤ ، وقد سألت عنه بعد زيارتى للاسكوريال ، السيد
الشريف الأجل ، مؤرخ المغرب فى هذا العصر ، مولاي عبد الرحمن بن زيدان ،
حفظه الله ، لأنى وجدت مكتوباً على الصوان البلورى ، الذى فيه هذا المصحف
أنه مأخوذ من السلطان زيدان ، صاحب المغرب . فأجابنى مولاي عبد الرحمن
بأن السلطان الذى أخذ منه هذا المصحف ليس من العائلة الشريفة السجلماسية بل
من الملوك السعديين ، وذلك أن بعض قرصان الاسبانيول غنموا مركباً من البحر
لهذا السلطان ، وكان فيه أمتعة نفيسة ، وكتب من جملتها هذا المصحف . وقد قرأت
فى تاريخ الاستقصا للناصرى السلاوى ، فى الجزء الثالث ، فى صفحة ١٢٨ ما يلى :
وقال منويل : « إن قراصين الاسبانيول غنمت فى بعض الأيام مركباً للسلطان زيدان
فيه أثاث نفيسة ، من جملتها ثلاثة آلاف سفر من كتب الدين والأدب والفلسفة
وغير ذلك »

ومن جملة آثار خزانة الاسكوريال تأليف الملك الاذفونش الملقب بالحكيم ،
من القرن الثالث عشر ، وكرة أرضية ، كان فيليب الثانى يستعملها فى مطالعته
وكية . وفى هذه الخزانة صورة لفيليب الثانى ، يوم كان فى الواحدة والسبعين من

العمر ، وصورة لشارل كان يوم كان في التاسعة والأربعين ، وصورة لفيليب الثالث ، وصورة أيضا لكارلس الثاني ، وهو ابن أربع عشرة سنة . ثم إنه يوجد في الخزانة قسم للكتب الخطية ، لا يمكن الاطلاع عليه إلا بإذن خاص من إدارة الاسكوريال . وأما القصر الملكي الذي في الاسكوريال فانه إن كان فيه شيء من الزخرف ، فهذا قد حصل بعد موت فيليب الثاني . فأما هو فلم يكن بنى لنفسه إلا غرفة صغيرة يشاهد منها المذبح الأكبر في الكنيسة ، وغرفتين بجانبها ، ولا تزال فيها المفروشات التي كانت في أيام فيليب الثاني ، ولا تزال في غرفته الخاصة المائدة التي كان يكتب عليها مع أدواتها ، وهناك الكرسي التي كان يمد عليه رجله . وفي هذه الغرفة كان يستقبل سفراء الدول . وفيها مات ، وذلك في اليوم السابع عشر من سبتمبر سنة ١٥٩٨ ، على أثر مرض برّح به ، وكان وهو يجود بروحه ينظر إلى مذبح الكنيسة الكبير ، كما أنه كان في يده نفس المصلوب الذي كان في يد والده شارل كان يوم فاضت روحه .

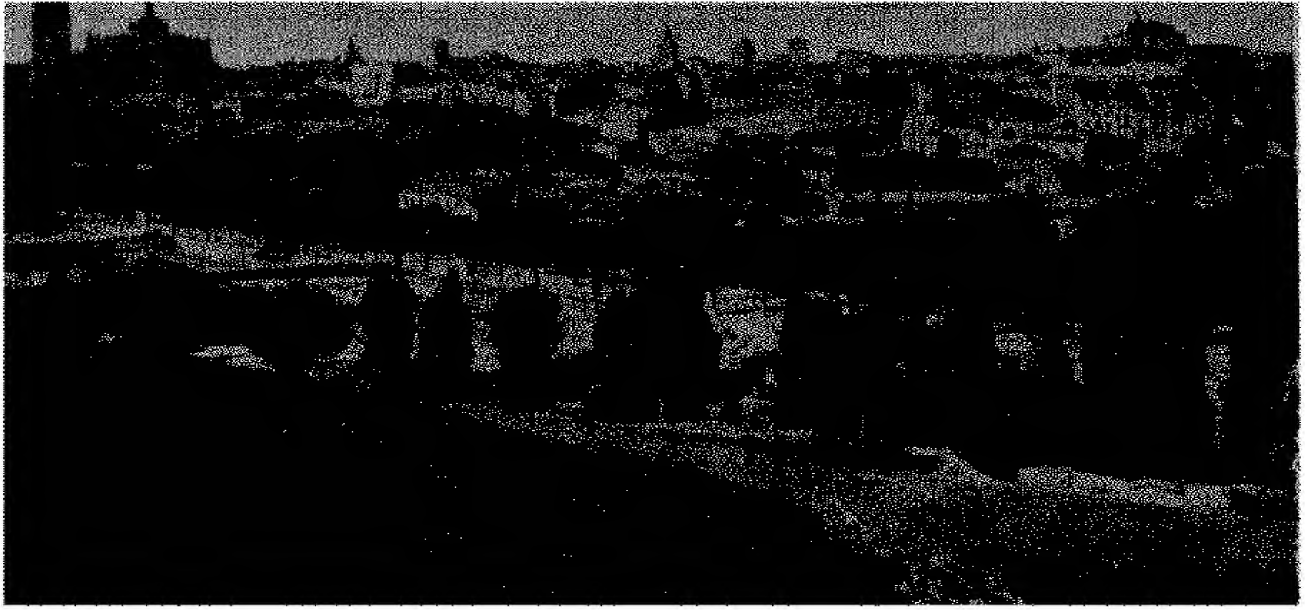
والاسكوريال حديقة تفتتح أبوابها الساعة الثانية بعد الظهر . ولها منظر من أبدع المناظر ، لا تبلغ العينان مدته على سهل قشتالة الجديدة ، وعجريت ، ووادي الرمل . ولما زرت اسبانية سنة ١٩٣٠ أي من ست سنوات ، ذهبت إلى الاسكوريال أنا واثنتان من شبان المغرب النجباء ، وسرواته الأدباء ، وهما السيدان العالمان الفاضلان أحمد بلا فريج ، ومحمد الفاسي الفهري ، وكان معنا السنيور دوزميت يواكين ، من شبان نبلاء الاسبانيول ، فطوّفنا في الاسكوريال مدة ساعات ، وجلسنا في خزانة الكتب ، حيث رأيت من الكتب العربية ما لا يوجد في كثير من المكاتب . وهناك تعارفنا مع الأستاذ المستشرق العلامة القسيس آسين بلاسيوس المشهور ، وتحادثنا معه في مختلف المواضيع ، وسألناه عن سبب ذهابه إلى أن رواية دانتى ، الشاعر الايطالى الأكبر ، المسماة بالمهزلة الالهية ، هي فكرة مسروقة من رسالة الغفران ، لأبي العلاء المعري ، فأدلى إلينا بآرائه في الموضوع ، وبين لنا أن التشابه الواقع

في عدة من النقط لا يمكن أن يكون من قبيل وقع الحافر على الحافر ، وقال أيضاً إن رسالة الغفران كانت مترجمة إلى اللاتينية ، ككثير من السكتب العربية ، فيترجح أن يكون دانتي قد اطلع عليها . ثم سألتناه عن رأيه في علماء غرب الأندلس ، فرأينا له في حقهم رأياً عظيماً ، وذكر منهم عدداً من جملتهم أبو محمد بن حزم ، برغم كون ابن حزم طعن كثيراً في النصرانية ، وإن آسين بلاسيوس ليس نصرانياً فحسب ، بل هو قسيس مستمسك بدينه . وأما لسان الدين بن الخطيب فقال لنا انه لا يعجبه . وذكر لنا آسين بلاسيوس أنه تلميذ « قُدَيْرَة » المستشرق الاسبانيولى الذى أصله من العرب ، والذى طبع في مجربط كتب ابن بشكوال ، وابن الابرار وغيرها ، وله تحقيقات كثيرة ، وإليه يرجع الفضل في تجديد العناية بالعربية في اسبانية

شقوية ^(١) Ségovie

ومن مدن قشتالة المحدودة « مدينة « شقوية » Ségovia وهى مدينة عالية سكانها اليوم ١٥ — ١٦ ألف نسمة ، وهى مركز مقاطعة منسوبة اليها ، ومركز اسقف ، وإنما أهميتها هي بكونها من أقدم المدن الايبيرية ، وأنها تشتمل على آثار قديمة ذات عظمة ، منها القناة الرومانية المعلقة ، وفيها كنائس وقلاع باقية من القرون الوسطى ، وموقعها أشبه بموقع طليطلة ، وذلك أنها مبنية على قمة صخرية ، علوها مائة متر ، ولها شوارع ضيقة ، معوجة ، معرّجة ، غريبة الشكل ، والقصر Alcazar فى

(١) قد كان لهذه البلدة بشأن عظيم فى قشتالة القديمة ، ولم تبق فى أيدي المسلمين أكثر من نصف قرن ، اذ ابتدر استرجاعها الاذفونش الاول ، أو ابنه فرويله ، ثم عاد فزحف اليها المنصور ابن أبى عامر وفتحها ، فى جملة ما فتح من شمالى أسبانية ، ولكن بعد موته ، وبعد اشتعال الفتنة الكبرى فى قرطبة ، انتهر الأسبان الفرصة فاسترجعوها هى وسموره وطلنكة وآبله ، وما يتبع هذه المدن من النواحي . وكان الفريقان اللذان يقتتلان فى قرطبة ، كلما استعان احدهما على الآخر بالاسبانيول ، اشترط هؤلاء عليه للماوتة على الفريق الآخر ، تسليم كذا وكذا من الحصون ، فبادر المسلمون بالتخلي للاسبان عنها ، كما سيأتى مفصلاً



شقوبية « منظر عمومي »

أعلى القمة ، و بالقرب منه الكنيسة . وللبلدة نهر يقال له « اريسة » يجري في جانبيها ، ولها أسوار قديمة من زمان الايبيريين ، ثم جددتها الرومانيون . ولها أرباض مثل « سان دورانزو » و « سان مرقس » و « سان ميلان » مبنية في سفوح الجبل الذي هي عليه .

أما القناة المعلقة ، التي هي مع جدران طرّكونة ، أعظم مآثر الرومان في اسبانية فالمظنون أنه كان بناؤها في أيام أغسطس قيصر ، ثم تجددت في أيام فلافيانوس ، أو تراجانوس ، كما يظهر من الكتابات الباقية ، والماء مجلوب من شارات « فنفريا » Fuenfria ، وهو يجري في البداية مكشوفاً على مسافة ١٦ كيلو متراً ، إلى أن يصل إلى شرق شقوبية ، حيث بُدِئَتْ له خزانات ، ومن هنا يكون مجراه على جسر طوله ٨١٨ متراً . منه على مسافة ٢٧٦ متراً قسم مبنى طبقاً عن طبق ، ولهذا القسم ١١٩ قوساً ، وهو الواصل بين جانبي الوادي العميق ، وارتفاع أركان الجسر هو من سبعة أمتار إلى ٢٨ متراً ونصف ، وجميع البناء هو من الحجر الحبيب . ولما حاصر العرب شقوبية سنة ١٠٧١ انهدم في أثناء الحصار خمس وثلاثون قوساً ، وبقيت مهدومة إلى زمن

الملسكة ايزابلا ، فأمرت بتجديدها . وهذه القناة المعلقة تمر فوق ساحة يقال لها إلى اليوم ساحة «السويقة» La Plaza Del Azoquejo هي في مدخل المدينة العليا وهذه الساحة هي أهم مركز للبيع والشراء واسمها عربي كما لا يخفى . وفي شقوبية ساحات أخرى ، وفيها كنائس متعددة ، منها كنيسة سان ميكال ، بنيت سنة ١٥٥٨ ، والكنيسة الكاندرائية ، بدأوا بها سنة ١٥٢٢ ، وانتهوا منها سنة ١٥٧٧ ، بناها المعلم «جوان خيل اوتتانون» باني كنيسة طلمنكة ، وابنه «لذريق بن خيل» وطول هذه الكنيسة ١٠٥ أمتار ، وعرضها ٤٨ متراً . أما القصر في شقوبية فهو من بناء الاذفونش السادس ، وكان قد تهدم ثم تم تجدد

وبالقرب من شقوبية بلدة يقال لها «سان ايلدفونسو» San Ildefonso سكانها أربعة آلاف نسمة ، في موقع بديع ، يقصدها الناس للاصطياف ، يقال إن بانيها هنري الرابع ، جعل فيها هناك مكاناً ينزل فيه عندما كان يذهب إلى الصيد ، وذلك سنة ١٤٥٠ ، وبالقرب من هذه البلدة قرية يقال لها «لاغرنبجة» La Granja وكانت مكاناً لفيايب الخامس أول ملوك البوربون في اسبانية ، وقد بنى فيها قصراً وحدائق على نسق وطنه فرنسة . وكان يجلس فيها خلفاؤه . مثل فرديناند السابع . وبالقرب من هناك بلدة «ارانجويز» Aranjuez . وهي بلدة سكانها ستة آلاف نسمة ، يمر عليها جدول من نهر تاجه ، فيسقى البساتن التي حوالها . وهذه البلدة قديمة من زمن الرومانيين ، وكانت تصطاف فيها الملكة ايزابلا الكاثوليكية . وقد بنى فيها الأمبراطور شاركان مكاناً ينزله عند الصيد ، فصارت هذه البلدة مركزاً لاصطياف ملوك اسبانية إلى زمن كارلس الرابع ، الذي تخلى هناك عن الملك لابنه سنة ١٨٠٨ ومن ذلك الوقت أهملت الأبنية الملوكية هناك ، ولم يبق لانزهة غير الجنان البديعة التي تحديق بها ، ومن الغريب أنهم كانوا يقيظون فيها ، مع أن الحرارة ربما تصعد فيها إلى درجة ٤٧ من ميزان سنتيفراد . والحقيقة أن أحسن فصل في أرانجويز هو فصل الربيع . وهي بالنسبة إلى ملوك أسبانية أشبه بقرساي بالنسبة إلى ملوك فرنسة ،

وبوتسدام بالنسبة إلى ملوك بروسية . والقصر الملوكي في أرانجوير هو من القصور الملوكية المحدودة ، فيه كثير من التحف والتصاوير وبديع الصنعة ^(١)

طليطلة Tolêdo

هذه البلدة هي من أعظم بلاد اسبانية قديماً وحديثاً ، مركزها في وسط اسبانية ، وإن كانت أميل إلى الجنوب منها إلى الشمال ، وأصل بنائها متوغل في القدم ، يقال إنها كانت حاضرة الكاريتانيين Carpetani ، وقد ورد ذكرها في كتاب المؤرخ الروماني « تيتليف » ، وهو يقول لها « طليطم » Toleteum ، ويذكر أنها بلدة صغيرة ، ولكنها منيعة بموقعها الطبيعي . استولى عليها الرومانيون سنة ١٩٢ قبل المسيح ، وفي زمن القوط Visigoths جعلها الملك « أثنالجد » كرسياً للملكة وذلك سنة ٥٦٧ للمسيح ، وصارت هي حاضرة المملكة .

ولما وقع الانشقاق الديني في النصرانية بين الكاثوليكين الذين يقولون بألوهية عيسى ، والاريوسيين الذين لم يكونوا يقولون بألوهية عيسى ، جرت في طليطلة مجادلات دينية شديدة ، وانعقدت مجامع متعددة لفصل الخلاف ، وكان لكل من الحزبين قوة هي كفوء للأخرى ، إلا أن الملك القوطي ريكاريد جمعد المذهب الاريوسي سنة ٥٥٧ للمسيح ، فسادت بعد ذلك الكثرة في اسبانية كلها . ولم يلبث العرب بعدها أن فتحوا اسبانية ، واستولوا على حاضرتها طليطلة ، وغنموا فيها مغنم كثيرة ، مما سيرد ذكره في القسم التاريخي من هذا الكتاب . ولكن العرب

(١) قد ذكر الوزير الغساني في رحلته إلى أسبانية في زمان السلطان .ولاي اسماعيل أن ملك أسبانية دعاه للنزهة في أرانجوير هذه حيث رحب به كثيراً وأكرم نزله قال : فدخلنا بستاناً له هناك قد حفر به واديان كبيران مجموعهما يسمى وادي طاجه وهو المار بمدينة طليطلة من هذا الموضع بعد مروره بمسيرة يوم وهذا البستان هو غاية في جداوله ونظم أشجاره وقد اشتمل على أزهار وأنوار ودواليب وصهاريج وبرك مياه ومقاعد في غاية الاتقان .

لم يتخذوها حاضرة لملكهم كلقوط لأنهم وإن كانوا وجدوها متوسطة بالنسبة إلى اسبانية ، فلم يجدوها متوسطة بالنسبة إلى القوة العربية ، وقد كانوا لا يقدرون أن يبعدوا كثيراً عن إفريقية ، فلذلك جعلوا مركز الإمارة في اشبيلية ، ثم في قرطبة ، وصارت قرطبة هي العاصمة مدة قرون متطاولة .

على أن طليطلة كان لها شأن عظيم في زمن العرب ، وكانت هي المعقل الأعظم لهم في وجه الاسبانيول ، وكانت تسمى الثغر الأدنى ، وكان فيها أمير من قبل الخليفة وطالما انتقضت طليطلة على قرطبة ، وطالما ساق عليها بنو أمية من قرطبة الجحافل الجرارة . وكانت تتمتع عليهم ، ورتبوا تعذب عليها الخلفاء بالحيلة ، كما سيأتي خبره . وأخيراً عمد ماحرت "تورة" في قرطبة ، وانتشر سلك الخلافة . استأثر بأمر طليطلة الأمراء بنو ذى النون ، واستقلوا بها سنة ١٠٣٥ . وفي جميع أدوارها كانت مدينة علم وصناعة ، وفيها أحسن معامل السلاح ومناسج الحرير والصوف . وفيها صنعة الحفر والتعريب على المعادن ، وهي الصنعة "السقية" إلى الآن من أيام العرب . ونفائس هذه الصنعة تباع في كل أوربة . وهذا في طليطلة تسعة معامل في يومنا هذا ، والمنرفون يتنافسون باقتناء ما يصنع بها من ساعات . وأسفلط ، وعنب ، ومحاجس ، وأقلام ، وسكاكين . وغير ذلك . من عمل اليد . وقد ورث الطليطيون كل هذا من العرب وقد بقيت طليطلة في أيدي العرب من سنة ٧١٢ - مسيحية إلى سنة ١٠٨٥ ، أي زهاء أربعة قرون . وكانت في أيامهم كلها زاهرة باهرة . وغدت العروبة على نصارى طليطلة . فلبثوا نصارى . واسكن اتخذوا اللغة العربية ، والثقافة العربية لأنفسهم وكانوا يقيمون صلواتهم . وما يسمى النصراني بالطقموس الكنيسية ، وذلك لأنهم العربيه والقوقطيه . وصار الاسبانيول يطبقون عليهم اسم « موزاراب Mozarabes » محرقة عن « نصف عرب » ومن الغريب أن رغبة أهل طليطلة في العربية . وصات إلى أنهم بعد سقوط طليطلة في أيدي الاسبانيول الذين أرجعوها حاضرة لملكهم ، لم يزالوا مستمسكين بعروتها ، ولبث أخذهم . وعطاؤهم ، وبيعهم ، وشراؤهم . وجميع

صكوك معاملاتهم ، بالعربية^(١) إلى سنة ١٥٨٠ ، أى أن آثار العربية لم تدرس من (١) ومن شدة رغبة مستعري طليطة في اللغة العربية كانوا ينقشون على قبورهم فضلا عن دورهم الكلمات العربية التى يعبرون بها عن مرادهم فقد وجد من هذه القبور في طليطة من جملتها قبر تاريخه سنة ١١٥٦ مسيحية وعليه بلاطة مكتوب عليها اسم الدفين بالعربي وباللاتيني متقارنين ذكر ذلك لاوى بروفسال ونقل نص الكتابة وهو هذا : بسم الله الرحمن الرحيم كان من مضى الله برحمته مقاييل بن سمنة من دار الدنيا إلى دار الآخرة يوم الأحد . مضى من نوتبراربعة أيام سنة أربعة وتسعين ومائة والـ الف لتاريخ الصفر نصر وجهه و . . . وقد نقل الكتابة اللاتينية التى بجانب الكتابة العربية وقال ما يفيد أن صاحب هذا القبر كان من الطائفة المستعربة في طليطة وهى فئة من الصارى الاسبانين اتخذت اللغة العربية لساناً لها حتى بعد رجوع طليطة إلى الاسبان ثم ذكر قبراً آخر تاريخه ١١٦٠ مسيحية وعليه كتابة عربية بجانبها كتابة لاتينية أيضاً ونصها : لتاريخ الصفر هذا القبر لشمسى ابنة ابن الشيخ رحمها الله وجعل الجنة مأواها بيوم أربع وعشرين لشهرا اغشت ثمانية وتسعين ومائة الف

ولما كان لاوى بروفسال يترجم كل هذه الكتابات للفرنسية فقد ترجم لفظة « شمسى » بقوله بالفرنسية Mon Soleil وقال انه اسم متداول كثيرا بين مستعربة طليطة . قلنا : نعم قد مر علينا هذا الاسم في الصكوك التى نقلناها كأمودجات لمعاملات نصارى طليطة باللغة العربية ولكننا نميل إلى الظن بأن لفظة شمسى ليست من باب الاضافة إلى ضمير المتكلم بل هى شمسة بالتاء المربوطة ملفوظا بها بالامالة التى كانت غالبة على لفظ أهل الأندلس . فبدلاً من أن يقولوا « شمسة » بفتح السين كانوا يقولون « شمسة » بكسر السين كما يقول أهل سورية اليوم لأن الامالة هى لهجة أهل سورية أيضاً وأصل وجود الامالة فى لغة الأندلس آت من الشام . فأما كتابة شمسى هنا بالياء فلا عبرة به بل هو غلط إملاء كما هو فى كتابات أخرى لهؤلاء المستعربين وردفها إملاء لفظة « مضى » بالالف و « أنا » بما نقله لاوى بروفسال نفسه . ثم إن لفظة شمسة هى ذات أصل فى اللغة وهى مستعملة فى سورية كاسم مرة من طلوع الشمس أو انتشار نورها ولها فى اللغة معنى آخر وهى مشطة معلومة للنساء . وأنت إذا ذهبت إلى سورية الآن تجد أسماء لا تحصى من قبيل « نجمة » والآهالى لا يلفظونها بفتح الميم بل بكسرها بمقتضى الامالة فتظنهم يقولون « نجمى » فلو ترجمت هذه اللفظة فلا ينبغى أن تترجم Mon étoile لأنها ليست لفظة نجم مضافة إلى ياء المتكلم بل هى مؤنث « نجم »

طليطلة إلا قبل عهدنا هذا بثلاثمائة سنة لا غير . وكان ذلك بتكرار الأوامر الصادرة من الحكومة بمعاينة كل من يتكلم بالعربية ، أو يكتب بها ، ولولا ذلك لربما كانت بقيت العربية في طليطلة إلى يوم الناس هذا .

وقد جمع « أنجل غوانزاليز بالانسيه » أحد أساتيد الأدب في مجريط Angel Gonzalez Palencia تحت عنوان « نصف العرب ، أو موزاراب طليطلة ، في القرنين الثاني عشر والثالث عشر » عدداً كبيراً من الصكوك والوثائق ، التي كانت تكتب في طليطلة لذلك العهد ، فبلغ ذلك ثلاثة مجلدات ، فيها ما يناهز ألف صفحة بالقطع الكبير مع ترجمتها بالأسبانيولى . وإليك بعض أمثلة من هذه الوثائق .

« بجميع منافعه كله إلى آخرها ، وعامة مراقفه على ضروب أنواعها ، في قاعته ، وفيما عليها ، وبكل حق وملك ، هو من هذا المبيع الموصوف وبه وله ومنسوب إليه ، في داخله وخارجه ، وبالدخول إليه والخروج عنه ، لم يستبق البايع المذكور لنفسه ، ولا لأحد بسببه ، في شئ من جميع المبيع الموصوف كله ، حقاً ولا ملكاً ، قليلاً ولا كثيراً ، ولا منتفعاً بوجه من الوجوه كلها ، ولا بسبب من الأسباب ، إلا وخرج عنه للمبتاع المذكور ، بالمبيع الصحيح التام البتة البتلة^(١) المناجز الصريح الذى لم يتصل به شرط مفسد ولا تضيء ولا خيار » انتهى .

مثال آخر :

« دفع الأرسيدياقن^(٢) المذكور جميع الذهب الموصوف كله للبايع المذكور ، وقبضه منه ، وصار عنده وفي ملكه وذمته ، وأنزله في جميع المبيع الموصوف كله منزلة ذى المال في ماله ، وذى الملك في ملكه ، بعد أن عرفا قدر هذا المبيع ومبلغه بمنتهى

(١) البتلة هو القطع مثل البتة

(٢) Archidiaconus أو أرشيدياقن ، بالفرنسية وهو ذو رتبة كنسية له الحق في مراقبة القسيسين الذى يخدمون الرعية وتفقد أعمالهم والرتبة هي نفسها يقال لها « أرشيدياكونة » Archidiaconat وأما في الإسبانية فصاحب هذه الرتبة يقال له « أرسيديانو » Arcidiano وقد قال له العرب « أسيدياقن »

خطره ، ولم يجهدا شيئاً منه ، وعلى سنة النصارى في بيوعهم وأشريتهم ، ومراجع إدراكهم » اهـ .

مثال ثالث :

« شهد على أشهادهما بالذكور فيه عنهما ، من أشهاد به على أنفسهما ، حسب نصه وسمعه منهما ، وعرفهما بحال الصحة والجواز والطواعة » اهـ وإليك هذا الصك :

« اشترى ربي بواسحق بن نحميش اليهودي من جميلة بنت فرج زوجة البليوشى البنّا جميع^(١) خصتها وهو النصف من الكرم المعروف بالقوجال بحومة قرية جَلَنْسِكِش^(٢) من قرى مدينة طليطلة وعلى الاشاعة فيه مع من يشركها بسائر وحدّه في القبلة الطريق وفي الجوف جبل لابن برطال ، وفي الشرق كرم ابن فرنجيل^(٣) وفي الغرب الطريق وفيه بابه بثمان عدته ثلاثمائة مثقال من الصروف الجارية بطليطلة حين هذا التاريخ بما فيه عشر درهما^(٤) بمثقال على سنة المسلمين في بيوعهم ومرجع الدرك . في رمضان المعظم عام خمسة وتسعين وأربعمائة^(٥)

ومن اشده على بن البليوشى باجازه له وإمضائه له وإقراره الآحق له في شىء من المبيع المذكور وبوجه من الوجوه ولاسبب من الأسباب ، وإنه كان لوالدته جميلة إلى أن باعته حيث وصف .

إبراهيم على بن سعيد بن الفتح اللدنى . وإبراهيم بن وهب (هنا كلمة غير مقروءة) . و (هنا كلمة أخرى لاتقرأ) بن يوسف بن الربابى . ومحمد بن احمد بن سعيد وعبد الرحمن بن أحمد بن عفيف الفهرى وأحمد بن محمد (كلمة محوّة) . ومحمد ابن

(١) الخص هو بيت من الشجر أو الورق وهو كثير الاستعمال في لغة سورية ولا نرى المبيع هنا بيتاً من الشجر أو الورق وإنما هو نصف كرم والفرق ظاهر ولعلمهم توسعوا في هذه اللفظة أوهى ، وخاصها ، وقد كتبت بحذف الألف ككثير من الألفاظ

(٢) Chalencas (٣) Aben Franchil (٤) كذا

(٥) هذا الصك تاريخه بعد خروج طليطلة من يد الاسلام بسبع عشرة سنة

عبد الله بن مظاهر الأنصارى . واحمد بن يوسف الأنصارى . وإبراهيم بن عبد الرحمن ابن أبي وسلمة بن يونس الأنصارى . ويحيى بن عبد الله الغافقى «
وإليك هذا الصك :

« اشترى عبيد بن أسد من خلف بن عبيد الله جميع الكرم الذى له فى أول منزل رزين . حده فى القبلة نهر تاجه ، وفى الجوف كرم يشته الحريرى ^(١) ، وفى الشرق كرم لأبى خالد ، وفى الغرب غروسات السلطان ^(٢) أيده الله ، بثمان عدته ستون ديناراً ، من البريزات ^(٣) الجارية بطليطلة حين هذا التاريخ ، وفى شهر نونبر الكاين فى سنة ثلاثين ومائة وألف من تاريخ الصفر ^(٤) .

ومما وجب إلحاقه إلى المدخل للكرم الموصوف فوق هذا على باب الكروم ^(٥) الذى لردريقة قسيس السلطان الذى هو من ليون والباب المذكور مشترك بينهما إذ كان الكرم فى القرع واحد وعلى ذلك كله يقع الاشهاد .

عبد الرحمن بن زكريا : يوان بن خاف شاهد . سليم بن زكريا وكتب عنه . سليمان ابن عمر شاهد وكتب عنه . وعلى بن الحرير . عبد العزيز بن خير . وعبد الله ابتوال . وسليمان بن المدجالة . إليان بن سعيد . وعبد الملك بن عبد الملك وكتب عنه وعليه شهد عندى . وبخط عجمى جليانثس بطريس تشقا . وبخط عجمى سيداله ابن . شرك

(١) Justo el Hariri

(٢) السلطان هنا هو الاذفنى لأن تاريخ الصك واقع فى أيام دولة الاسبان بطليطلة فقد كان رجوع طليطلة إلى الاسبانول يوم الثلاثاء مستهل صفر سنة ٤٧٨ وقيل فى المحرم .

(٣) كذا . فهل هى محرفة عن « اريزات » ، بمعنى ذهبات . أولها تأويل آخر ؟

(٤) تاريخ الصفر هو تاريخ كان مصطلحاً عليه فى اسبانية من قبل دخول الاسلام بل من قبل المسيح وكان مبدأه فى أول يناير سنة ٣٨ قبل المسيح لعهد أغسطس قيصر وبقي هذا التاريخ معروفاً فى اسبانية إلى القرن الخامس عشر للمسيح .

(٥) استعمل هنا الجمع استعمال المفرد بدليل قوله « الموصوف » وقوله عنه « الذى »

شاهد . وعلى كل اسم من المعجمي معلم شهد عندي . وبالعربي أبو خالد بن أسطراه .
مثال آخر :

« اشترى خير بن ركوى من يحيى بن عبد السلام جميع الدار التي له بحومة
رحبة القشالي^(١) حد الدار في الشرق دار خلف بن جواد^(٢) ، وفي الغرب دار
جلبارت الفرنجي^(٣) ، وفي القبلة دار أبي الحسن بن ذكري وفي الجوف دار مفرج
ابن عثمان بثمان عدته أربعون ديناراً من الدينارات الجارية بطليطلة حين هذا التاريخ
من شهر إبريل في سنة واحد وثلاثين ومائة وألف من تاريخ الصفر .

وشهود الأصل فيه : فرج بن عبد الله . ومسعود زرقون شهد وكتب .
عبد الرحمن بن يحيى شاهد على ذلك . وعيسى بن الحسن شاهد وكتب عنه بأمره .
وعيشون بن يحيى شاهد . هذيل بن حكم شاهد وكتب . زكري بن عثمان شاهد
وكتب عنه . وبالأعجمي يُشتش فليش^(٤) بطرُه^(٥) يُشتش .

صحت هذه النسخة (الخ) في العشر الأوسط من شهر شبتمبر سنة ثلاثين
ومائتين وألف للصفر . يوان بن يليان الصقلي شهد . ويوانش بن مقايل بن عبدالعزيز
المشناري . وباطرُه بن عمر بن غالب بن القلاس .

مثال آخر :

« ابتاع يحيى بن خلف ويحيى بن قریش من بيطر وأنفونش^(٦) وزوجه يشته^(٧)

Jàlaf ben Chuad (٢) Plaza del Caxali (١)

Chelabert el franco (٣) من هنا يعرف أن طليطلة بقيت حتى بعد رجوعها

إلى الاسبانيول بلدة عربية يشار فيها إلى الأفرنجي بصفته هذه لأنه غريب فيها

Justes fèlix (٤) Petro (٥) ومن هنا يعلم أنه كان في طليطلة نزر

لا يعرفون الكتابة العربية فكانوا يوقعون بالاسبانيولية

(٦) يعرف من هنا أن اسم « الفونس » كما كان يقال له عند العرب « اذفنش »

كان يقال له أيضاً « الفونش » ، وأنفونش ، واللام والنون كثيراً ما تقوم إحداهما

مقام الأخرى . وقد رجعنا إلى ترجمة هذا الصك بالاسبانيولي فوجدناه يكتب هذا

الاسم هكذا Pedro Alfonso (٧) يشته هي في الترجمة الاسبانيولية Justa

(٢٤ - ج أول)

جميع المنية^(١) التي لها بمنزل مُشكة^(٢) المعروفة من قبل لابن سلمة ، والمتصورة إليها بالابتياح ، التي حدها في الغرب مضربة القرمادين ، وفي القبلة المضربة المذكورة أيضاً وفي الشرق محجة سمرة إلى الكرمات ، وفي الجوف المحجة السالكة من طليطلة إلى القرضيطة^(٣) ، وفيها بابها ، تخرج بين ذلك حصّة لاشتافن من بيت قوبه ، وحدها من المحجة الداخلة إلى الثانية ، بثمن مبلغه من الدنانير اثنان وثمانين^(٤) ديناراً ، من الدينارات الجارية بمدينة طليطلة ، حرسها الله حين التاريخ كل دينار منه عشره وإلى ذلك الكريم^(٥) المعروف بالقوجول بمنزل مُشكة المبتاع منها المذكورين يبطره أنفذش وزوجه بُشته ، والتصير إلى يحيى ، ويحيى بالابتياح من البايعين للمنية يبطره وزوجه زيادة وعواناً إلى الدنانير المذكورة في عقب ابريل التي من سنة ألف ومائة وثلاثة وثلاثين للصفر

عبد الملك بن عامر . ولب وعبد الله بن جليبرت . وخير بن يحيى . ومروان ابن غالب . يحيى بن معبد وكتب عنه و بأمره . السرقسطى كتب عنه بأمره . وعمر ابن عامر بن الليث . وعبد الرحمن بن غدير بن عريب . وعبد العزيز بن سعيد وكتب عنه بأمره . وعبد الله القوطى وكتب عنه بأمره «
مثال أيضاً :

« اشترى ديمنقوس الارجيقيس وديمنقوس القس كنيسة شنت لوقادية^(٦) خارج مدينة طليطلة حماها الله من ميقال وزوجه بيليه من الحصّة التي له بدار الخازن ، وبحوز المشاطر ، وهو نصف خمسين ونصف القرية ، بمبلغه من الثمن خمسة وأربعين ديناراً من السكة الجارية حين عقده ، اشترى ديمنقوس والارجيقيس

- (١) تقدم في هذا الكتاب كلام طويل عن معنى « المنية » وهو البستان
(٢) في الترجمة الاسبانيولية Man-el Mosca (٣) في الترجمة الاسبانيولية Alcardete (٤) كذا ويظهر أن كاتب هذا الصك لم يكن يعرب كثيراً
(٥) تصغير كرم (٦) في الترجمة الاسبانيولية Leocadia

وديمقوس المذكوران جميع هذا النصف سهله ووعره عامره وغامره أنادره^(١) وقرالاته^(٢) وسدوده^(٣) وقنانه^(٤) وأرحاءه وبرجه ، والمدخل إلى جميع الدار والمخرج منه وذلك كله في النصف من شهر مارس من سنة ألف ومائة وخمسة وأربعين
شهد عندي بن يوانش شاهد . شهد عندي بن عبد
شهد عندي ، وعبد الرحمن بن «

مثال آخر :

« اشترى مرتين الأرجيد ياقن من يوسف بن يemiş اليهودي جميع الثلاثة
جبال الكروم المتصلة التي له بمرطيلة ، حدها في الشرق كرم بيطر والجزار ، وفي
الغرب كرم شلوط ، وفي القبلة كرم الطريق بثمان عدته اثنتان
وثلاثون دنانير الجارية بطليطة حين التاريخ في شهر مارس الكاين في عام ثمانية
وأربعين بعد ألف لتاريخ الصفر .

ويوصف بن شاهد . وسيف بن العزاد شاهد . إبراهيم بن إسحق
ومرتين الخياط . عمر بن عبد الله ، وعبد الملك بن مرتين بن خير ، وسعدان بن
عبد الله ، ويعقوب البرسلوني شاهد «

مثال آخر :

« اشترى ميqaيل بن بقي من البيرة زوج فرننده منيوس ، وبينهما منيوه
وغانصالبه ، وأختهما وابنتهما شولى جميع نصف الجنان المعروف لهم بحومة الليتيق

(١) جمع اندر وهو الذى تدرس عليه الحبوب كالبيدر

(٢) هو جمع قرال وهو حظيرة الحيوانات تكون وراء المنزل وهذا لفظ

اسبانيولى استعمله عرب الأندلس (٣) وفي الترجمة الاسبانيولية Azud فيظهر

أن الاسبانيول أخذوا لفظة « السد » إلى لغتهم (٤) في الترجمة الاسبانيولية

Canales أى قناة فيظهر أن الاسبان أخذوا هذه اللفظة إلى لغتهم وضموا إليها اللام .

ثم رجعت العامة في طليطة فجعلت اللام را . وجمعت الكلمة جمع تكسير على « قنانه »

بدلا من أن تقول « قنالات » أو ترددها إلى العربى الفصحى فتقول « أقنية »

من نظر مدينة طليطلة ، حماها الله ، على الاشاعة ، حده في الشرق نهر تاجه ، وفي الغرب حده أرض بيضة للشيخ ابن مُشقيق ، وفي القبلة نهر تاجه أيضاً ، وفي الجوف^(١) المحجة السالكة ، بثمن عدته مائتين ديناراً اثنتين من الفروود الجارية حين التاريخ ، والمثقال الشرقية المأخوذية ، دينارين وسدس في عقب فبراير سنة تسع وأربعين ومائة وألف لتاريخ الصفر

سهل بن خلف بن علي ، حسان بن جهيد وسلمة بن سعد وكتب عنه بأمره ،
عبد الله بن حسان »

مثال آخر :

« اشترى ديمتق بن يحيى من سفيان بن أبي البقي ومفرج بن خير ، جميع حصتهما من المنية التي بمنزل مُشكة ، من نظر مدينة طليطلة حماها الله ، وذلك الثلث من جميع هذه المنية التي تعرف في عهد الاسلام مع ثلث البير وثلث ثمار القباوب ؟ على البحيرة ، وثلث الصهريج مع والمدخل والمخرج إلى البير والصهريج ، وحد هذا الثلث المذكور في الشرق كرم لأبي اسحاق القمراني مع القس ابن فرحون ، وفي الغرب حصّة لورثة يحيى بن سرير رحمه الله ، وفي القبلة فدان

(١) تقدم لنا بحث غير قصير عن قضية استعمال الاندلسيين والمغاربة لفظة الجوف بمعنى الشمال واختلاف آراء أدباء العصر وأهل اللغة في منشأ هذا الاصطلاح ولما كان بعضهم ذهب إلى كون الجوف إنما استعمل بمعنى الشمال لأن مدينة الجوف ونواحيها واقعة في شمالي الحجاز وذلك قياساً على أن أهل الشام يستعملون القبلة بمعنى الجنوب فقد سألت حضرة الوجيه المفضل الشيخ محمد نصيف المشهور من أعيان جدة هل لهذا الاصطلاح من أثر في الحجاز ؟ فأجابني أنه سأل العلماء والقضاة وكتاب المحاكم والمحامين وغيرهم فأجابوه بأنهم لم يسمعوها بشيء كهذا ولا رأوا في الصكوك والوثائق القديمة تسمية الحد الشمالي بالجوف بل الحدود في الحجاز هي هكذا : شرقاً وغرباً وشمالاً ويميناً أي جنوباً وقد يقولون جنوباً . فثبت من هنا أن لاستعمال الجوف بمعنى الشمال وجهاً آخر خاصاً بالاندلس نفسها وقد يكون جاء إلى المغرب من الاندلس

حُبس على شنت فليج^(١) وفي الجوف الطريق الداخل إلى القرضيط ، بعدد مبلغه من الذهب المرباطية^(٢) سبعة عشر مثقالا ، في أول شهر شبتمبر عام خمسين ومائة وألف تاريخ الصفر

إن ثلث المنية المذكورة فوق هذا أن ثلث أرضها أرض بيضا خاوية عن جميع الثمرات والسكرم والغراسات ، وجميع الثلث المذكور بغير تعليق^(٣) ولا اعتماد

عمر بن سعيد شهد وخلف بن عمر كذلك ، وسلامة بن مقيال شهد ، وعبد الله ابن عثمان نقطة ، وعتبة بن وليد ورمّان بن عامر ، وخير بن مورن . وعبد العزيز بن أبي الحسن بن أبي رجال ، ويعيش بن فيليش ، وعبد الملك بن بهلول ، وبهلول بن وكتب عنهم بأمرهم ، وعبد الله بن فرسان وكتب عنه ، وعبد الرحمن ابن عبد الرحمن شاهد ، وعثمان بن عثمان شاهد وكتب عنه

شهدوا الشهود على بعد اقرار الفريقين في التاريخ المؤرخ إن شاء الله مثال آخر :

« اشترى يوانش بن ملوك بن استافن بن عبد الرحمن جميع الغرس مع الأرض البيضاء المتصلة به المهودين له بحومة بنال من عمل طليطلة حرسها الله ، حدها في الشرق الطريق الناهض إلى حصن مورة حرسها الله ، وفي الغرب غرس ييطرّه شترانه الحداد ، وفي الجوف غرس مرتين بلايس بشمن عدته أربعة مثاقيل ذهباً مرباطياً في شهر يولية من سنة إحدى وسبعين ومائة وألف لتاريخ الصفر

يحيى بن علي بن يحيى شاهد ، ييطرّه بن سهل ، ومقيال بن يوانس شاهد ، ومسمود بن يحيى بن عفان شاهد ، فليس ابن مروان شاهد وكتب عنه لورانس بن يوانس شاهد »

(١) Félix

(٢) كانت المسكوكات المرباطية في ذلك العهد متداولة لأن المرباطين كانوا في الاندلس

(٣) لا نعلم هل هي مكذا من الاصل أم هي محرفة عن « تعزيق » وهو مصدر

عزق فعل المبالغة من عزق الأرض شقها وكرها

مثال آخر :

« اشترى بلدوين قيليار وزوجه مونيته من بيطره الخياط ، من أهل مدينة شقوبية جميع حصته الواجبة له بالقسمة مع شركة بيطره تعليقس ^(١) وذلك النصف الذى بجبة الشرق من الميشون ^(٢) والقرال ^(٣) المتصل به بحومة ربض الأفرنج ، قرب القاعدة شنته مرية أم النور بمدينة طليطلة حرسها الله ، حد هذا النصف المبيع من الميشون والقرال ، فى الشرق حوانت السلطان أيده الله ، وحوانت الأحباس ، وفى الغرب النصف الثانى الذى لبيطره تعليقس قسيمة المبيع المذكور ، وفى القبلة المحجة السالكة ، وإليها يشرع باب الميشون المبيع المذكور ، وفى الجوف حوانت السلطان أيده الله التى للفخارين بثمان عدته خمسون مثقالاً ذهباً مرابطياً ^(٤) مالكية طيبة وازنة ، فى شهر يوليو من عام اثنين وسبعين ومائة وألف للتاريخ الصفر .

هو بر الافرنجى وكتب عنه ، وهربرت بلنك وكتب عنه ، وبامين الافرنجى وكتب عنه وغطارد ^(٥) طليطلة وكتب عنه ، وبيطره بن يوسف بن مروان ، ومرتين ابن استافن وعثمان بن سليمان بن ملك وكتب عنه ، ويوليان بن يحيى وكتب عنه ، وغونصلبه فرولس ، وكتب عنه أبو على بن روين وكتب عنه . وبيطره قولونبير يانة ، وكتب عنه وبياك مونس من سنت رمان وكتب عنه ، ودون مينوه

(١) Talliques بالترجمة الاسبانيولية

(٢) بالاسبانيولى Meson وهو بمعنى Maison بالافرنسى أى بيت ولكن يغلب عليه بالاسبانيولى معنى الخان أو الفندق

(٣) ذكرنا أن القرال حظيرة الحيوانات أو الدجاج عندهم

(٤) كان هذا العهد عهد دولة المرابطين بالاندلس وربما كان متأخراً عن دورهم ولكن مسكوكاتهم بقيت متداولة . والأصح أن دولتهم انقضت سنة ١١٤٧ للمسيح

(٥) علامة الشرف عند الافرنج هى De كما لا يخفى وقد جاءت فى هذه الصكوك أحياناً بوضع حرف الدال مع كسرة فى آخرها هكذا د وجاءت أحياناً بوضع حرف الدال ومعهما الياء

أدفونش قايد « مورة » ^(١) شاهد وكتب عنه بامرته «

مثال آخر :

« اشترى الوزير دون ميغيل ميطلس ، أعزه الله ، من بهلول وأخيه بيطره ابني مرتين بن بهلول رحمه الله جميع الدار الكبيرة ، والقرال المتصل بها ، من جهة الغرب ، والقبلا ريسا المتصلة أيضاً بها من جهة القبلة ، حدود جميع ذلك كله في الشرق الطريق السالك واليه يشرع الباب ، وفي الغرب دار ابن طورنيو المسلم ^(٢) أمين الفخارين ، وفي القبلة دار بيطره البنّا ابن بهلول ، وفي الجوف دار تقيت بين البائعين ودار سلمة بن حسان ، بثمن عدته ثمانون مثقالاً ذهباً مرابطياً ، في العشر الأول شهر اوغوش من سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف لتاريخ الصفر .

وعبد الله بن داود شاهد . وباقي بن عمر بن باقى . وديمقوه بن يحيى بن مرتين وبهلول بن عمر شاهد على النص . عبد الله بن البعص . ويوان بن عامر . وعامر ابن تمام . وعبد الرحمن بن ابراهيم شاهد . ويحيى بن مفرّج وكتب . وعلى بن عيّا ش وكتب عنه . وحكم بن شلون وكتب عنه . ويوليان بن سلمة شاهد . وجنيد ابن عبد الملك بن ليون وكتب عنه . وبيطره بن عبد العزيز بن عطّاف بن لبطار .
مثال آخر :

« يشهد من تسمى أسفل هذا الكتاب من الشهداء أنهم حضروا وسمعوا من يوان الكراسنى وزوجه اويانية ، يقولانها باعا من رودريقه اوردوناز الحصار جميع الكرم الذى لهما بالوعد بحومة كنيسة شنت فليس ، قبلى طليطلة ، حرسها الله ، وحده في الشرق كرم لبنت الشمتانى ، وفي الغرب كرم لولدين ^(٣) سربى ، وفي القبلة

(١) لا يخفى أن مورة اسم حصن من حصون طليطلة

(٢) لما قل عدد المسلمين في طليطلة بالهجرة والتنصر صاروا إذا ذكروا مسلماً في

أحد الصكوك يذكرونه بقولهم فلان المسلم

(٣) اسم علم

الجليل ، وفي الجوف كرم القسكى بثمان عدته ثلاثة مثاقيل ذهباً مرابطياً ، ودفع
البائع الثمن الى البايعين ، وأقرّا انهما قد اتصفا منه وأنزلا في المبيع وحقوقه الخ .
وكتب الاستدعا في شهر مايو من عام خمسة وسبعين ومائة وألف لتاريخ الصفر .
يعيش بن قريش شهد عندي ، ومرتين بن رمانش شاهد وكتب عنه شهد
عندي . شهدوا عندي الشهود بأعيانهم ، وفي التاريخ وأنا عبد الرحمن بن يحيى
بن حارث وبالله التوفيق .

مثال آخر :

« اشترى مرتين سلمة بن ابى حجة من مرتين باطرس قرعتين اثنتين من جملة
اثنتين وثمانين قرعة بقرية الكلبين والتجار من عمل مدينة طليطلة من أراض بور
ومعمور وأنادر ، ومروج وأشواط^(١) وبرادات وكل حق ، بثمان عدده أربعة مثاقيل
مرابطية ، ورباعى مثقال ضرب المرية ، في شهر نوفمبر الذى من عام سبعة وثمانين
ومائة وألف للصفر

شهود الأصل فيه مجانت بن عمان بن خلف . وعمر بن عبد الله شاهد .
ويحيى بن سعيد شاهد كذلك . وبالعجمى سبربان بطرس تشتش . ديمقهُ
شربطول تشتش

هذه النسخة الخ . في العشر الاخير من نوفمبر سنة ثمان وعشرين ومائتين
وألف للصفر :

اشتبا بن لازره . وشلبطور^(٢) بن سهل بن عبد الرحمن . ويحيى بن وليد
ابن قاسم . وباطره بن عمر بن غالب بن القلاّس .

ولا يمكننا أن نستقصى جميع الصكوك والحجج التى فى هذه المجموعة التى تقع
فى ألف صفحة كبيرة ، وإنما اقتبسنا منها بعض أمثلة لاجل تمثيل حالة طليطلة

(١) جمع شوط والشوط بالمريّة يأتى بمعنى الأرض بين شرفين يجرى بها الماء

(٢) Salvador

الاجتماعية ، التي قيل فيها بحق إنها الحد الواصل بين الاسلام والنصرانية ، والتعخم الذى يجمع بين الشرق والغرب ، ترى ذلك من اختلاط الأسماء فبينما الأب هو عمر إذ الابن هو بطره ، وبينما الأب هو عبد العزيز إذ الابن هو ميقيال . وربما تجد بيطره بن يحيى بن أصبغ ، واشتافن بن حسان ، ومرتين بن عثمان ، وشلبطور بن عبد الرحمن وهلم جرا . والسبب فى ذلك هو أنه لما فتح العرب الأندلس ، وأسلم من أهلها أناس كثيرون استعربوا اسما وفعلا . ومنهم من لم يدخل فى الاسلام ، ولكنه استعرب وهو باق على نصرانيته . وأكثر ما تجلّى هذا الوضع فى مدينة طليطلة التى كان النصارى فيها يشبهون نصارى المشرق باستعمال كثير من العربية فى صلواتهم وطقوسهم الدينية .

وقد تبدلوا بأسمائهم الأسبانيولية القديمة أسماء عربية كأسماء المسلمين إلى أن كان القسوس ورجال الكنيسة منهم يتسمون بأسماء اسلامية . وحسبك أن أحد مطارين طليطلة كان اسمه عبيد الله بن قاسم وكان له مقام عند الخليفة الناصر رحمه الله ، كما أنه بعد أن استرجع النصارى طليطلة تنصّر من مسلميها عدد كبير ، نقل صاحب النفح عن ابن بسام فى الباب الثامن من الجزء الثانى : أنه لما دخل الأذفونش طليطلة سار مع المسلمين سيرة حسنة فى أول الأمر حتى استمالهم إليه . وعبارة ابن بسام هى هذه : « وبسط الكافر العدل على أهل المدينة وحجب التنصر إلى عامة طغامها ، فوجد المسلمون من ذلك ما لا يطاق حمله ، وشرع فى تغيير الجامع كنيسة فى ربيع الاول سنة ست وتسعين واربعائة » اهـ .

قلنا إنه تمهل قليلا حتى أجرى بالفعل ما كان يضره من أول ساعة دخوله إلى طليطلة ، فأما بحسب الروايات التى بين أيدينا ، والتى معناها أن طليطلة خرجت من يد الاسلام سنة ١٠٨٥ مسيحية فان الجامع الأعظم تحول إلى كنيسة ^(١) ثانيا سنة

(١) قد جاء ذكر طليطلة فى رحلة الكاتب الأرفع أبى عبد الله بن عبد الوهاب الوزير الغساني الأندلسى القاسى ، كاتب السلطان مولاي اسماعيل ، الذى أرسله

وقد رأينا في دليل بديكر أن الاذفونش السادس فتح طليطلة سنة ١٠٨٥ ، وكان السلطان سفيرا في بعض المهمات إلى صاحب اسبانية ، وكان قد جول في تلك المملكة واطلع على أحوالها فكتب رحلة شهيرة بديعة اتصلت بترجمتها إلى اللغة الافرنسية قبل أن أطلع على أصلها العربي الذي أهدانيه العلامة الكبير المؤرخ الشهير مولاي عبد الرحمن بن زيدان ، نقيب العائلة السلطانية العلوية بالمغرب ، أدام الله عزهم ، وقد نقلت كثيرا من هذه الرحلة إلى الفصل المتعلق بمسلى الاندلس في كتابي حاضر العالم الاسلامي . وكانت وفاة الوزير الغساني في فاس عام تسعة عشر ومائة والف . قوله عن طليطلة : قد أمر الطاغية من أصحاب معنا من خدامه بمرورنا على مدينه طليطلة لنشاهد مسجدها الجامع الذي هو من عجائب الدنيا في بنائه وذكره وبعد صيته فبتنا يوم خروجنا من مدريد بقرية يقال لها وشقة ، وكانت من حواضر العدو التي لها ذكر ، دار علم ونباهة ، وهي اليوم قرية متبعية ، وبها من أثر البناء القديم الاسلامي بعض أثر مثل الباب الذي يدخل به إليها حين كانت مدينة . أما اليوم فالتبدى أقرب إليها من الحضر . وبينها وبين مدينة طليطلة أحد وعشرون ميلا . وطليطلة مدينة كبيرة قاعدة من قواعد مدن العدو ، ودار ملك قديم ، وهي على ربوة من الأرض ، في حافة مطلة على الوادي المسمى طاجو ، وهو الوادي المار بأرجويس - كتب الوزير الغساني طاجو وأرجويس بالحاء لا بالجيم وذلك بحسب تلهظ الاسبانيول بهما - وقد أحاط هذا الوادي بالحافة التي عليها المدينة من ثلاثة أرباعها والربع الموالي للبر هو الآتي من طريق مدريد . وأسوار هذه المدينة وحيطانها وازقتها باقية على حالها من عهد عمارتها من المسلمين ، وأثرها أثر الحضارة . إلا أن أزقتها ضيقة جداً ، ودورها باقية على حالها من البناء الاسلامي وتفصيله ، والنقش في السقوف والحيطان بالكتابة العربية ، ومسجدها الجامع هو من عجائب الدنيا ، إذ هو مسجد كبير مبنى كله من الحجارة الصلبة الغريبة ، القريبة الشبه من الرخام ، وسقوفه مقبوة من الحجارة وهي في غاية ارتفاع السمك وعلوه ، وسواريه في غاية الضخامة ، والصناعة العجيبة والنقوش ، وقد أحدث النصارى في هذا المسجد من جوانبه زيادة في الوسط بشباك من نحاس أصفر ، وفيها من تصاويرهم وصلبانهم وآلة الموسيقى المسماة عندهم أوركان التي يضربون بها وقت صلواتهم ، مع الكتب التي يقرأونها في الصلوات ، شيء كثير . وقد جعلوا أمام هذا الشباك صورة المصلوب ، وهو من ذهب ، يقابلونها في صلواتهم ، وأمام المصلوب

المسلمون اشترطوا لتسليمها أن يبقى المسجد الأعظم لهم ، ورضى الاذفونش بهذا

مصاييح كثيرة من ذهب وفضة ، توقد ليلاً ونهاراً ، مع شموع كثيرة كبيرة . وأبواب هذا المسجد في غاية الاتقان والصناعة . وقد زادوا فوقها من الصور ما هو من عوائدهم التي لا يمكنهم تركها ، ومن الزبادات المحدثه في جوانب هذا المسجد بيوت كثيرة كبيرة مشتملة على خزائن من الأموال ، فيها من الذخائر والأحجار الملوثة ، مثل الياقوت الأحمر والأبيض ، والأصفر ، والزمرد ، والتيجان المرصعة بالدر الفاخر ، والأحجار النفيسة التي لها بال ، ولا تقوم ببال ، ومع هذه الذخائر تاج كبير من ذهب ، ومع سواران من ذهب ، زعموا أن ذلك من عهد المسلمين رحمهم الله . وعن يمين هذه الخزائن خزانة فيها كتاب كبير مكتوب بجماء الذهب ، زعموا بأنه كتاب التوراة ، وهو عندهم في غاية التحفظ والصون والاعتناء به ، لا يخرج عن موضعه الذي به ، وذكروا أن والد هذا الطاغية أحب إخراجها من هناك ، وأن يكون عنده بعد أن أعطاهم فيه مدينة كبيرة بخراجها وجميع منافعها ، فلم يعطوا به كلاماً ، لضعفهم به . وعن يمين هذه الخزانة أيضاً خزانة أخرى ، فيها صندوق كبير مرصع ، مشحون بالموائد الفاخرة المرصعة بالذهب ، مثل الهدايا والقلائد والسلاسل والخواتم الثمينة وعن يمينه صومعة من فضة ، تزيد على قامة الانسان ، وداخلها وخارجها من الذهب المرصع بالأحجار النفيسة ، وقد عمل هذا المنار على شكل منار مسجد طليطلة ، وعلى هيئته ومثاله ، وهو عندهم زينة ، يخرجونه في أعيادهم مع الصلبان التي يطوفون بها في الأزقة ، وهذا المنار الذي بهذا المسجد ، أعاده الله للإسلام ، وعمل هذا على شكله ، هو من أعاجيب البناء صناعة وعلواً في الجو ، فقد اشتمل على ثلاثمائة درجة . منها مئتان إلى موضع التأذين وفي موضع التأذين جعل أعمام الله تعالى تسعة نواقيس كبار جدا ، دائرة ، كل ناقوس منها ستة وثلاثون شبرا ، مع غلظ ثلاثة أرباع الذراع . وبناء هذا المنار كله من الحجارة الصلبة التي تشبه الرخام ، من جنس الحجر الذي بنى المسجد منه ، نسأل الله أن يعيده لتوحيده وذكره ، وحوالي هذه الخزائن من الخزائن المشحونة بالقناديل الذهبية والفضية والصلبان المرصعة ، والثياب التي يلبسها الغرابلية ، وأكابر القسوس والشمامس والرهبان ، التي طرزت بالجوهر النفيس شيء كثير . وهؤلاء الرهبان الذين في هذه الكنيسة هم جميعاً إلى نظر الكردينال ، الذي هو اليوم أكبر كردينال عند سائر المسيحية ، وهو الذي تحت الباب كما تقدم التنبيه عليه ، وعلى الباب

الشرط ، ولكن في السنة التالية نقض الاذفونش عهده ، بناء على الحاح الملكة كونزتانزة و برنار رئيس الأساقفة اه .

وكيف كان الأمر فقد تنصر كثير من مسلمي طليطلة ، وبقى كثير من المسلمين على دينهم ، لاسيما طبقة الخواص ، ولكنهم لم يهجروا البلدة دفعة واحدة . وما خلت طليطلة من المسلمين تماماً إلا بعد قرون متطاولة . ومن الغريب أن طليطلة رجعت إلى النصراني في الثلث الثالث من القرن الحادى عشر للمسيح ، وأنه في أوائل القرن السابع عشر كان لا يزال فيها مسلمون في زى نصراني . وقد نقلنا في بحث مسلمي الاندلس في حاضر العالم الاسلامى في الجزء الثانى عن كتاب الأنوار النبوية في أنباء خير البرية ، للعالم الفسامة سيدى محمد بن عبد الرفيغ الاندلسى المتوفى في رجب عام اثنين وخمسين وألف ، وصفه يوم كانوا بالاندلس لحالة المسلمين الذين كانوا مضطرين تحت خطر الحرق بالنار ، أن يطهروا النصرانية وهم يبطنون الاسلام ، وكيف كان والد المؤلف المذكور يعلم ولده الاسلام سرّاً ، ويوصيه بأن يكتم ذلك

دمرهما الله . وحيث كانت طليطلة هي من قواعد مدن اسبانية ، كان الكردينال الذى يتولى أمر كنيسة أ كبر من يتلقب بالكردينال عند عبدة الصليب . وهذا الكردينال الموجود اليوم هو رأس ديوان اسبانية ، واليه ينتهى جميع أمرهم في دينهم ودنياهم ، وعن رأيه يصدر كتاب الديوان جميعا ، وفي طليطلة أثر القصة التى كان يسكنها الملوك قبل هذا ، وقاعدة طليطلة كانت دار ملك العجم الأولى ، هي واشيلية ، وإليها كان قصد طارق ، رحمه الله ، بوجهته حين دخل العدو ، بعد مروره بقرطبة ، ولم يعرج على غيرها ، حتى انتهى إليها ، ووجد بها من الآثار التى تدل على مكاتها مالا حصر له . ومن جملة ذلك المائدة المشهورة . إلا أن بعض أهل التاريخ يزعم أن المائدة لم تكن بطليطلة ، بل كانت بموضع آخر قريب من طليطلة ، يسمى وادى الحجارة وان طارقا لما فتح طليطلة خرج إلى الموضع المعروف وادى الحجارة قرب الفج الذى كان ينسب إليه خلف الجبل حتى بلغ مدينة المائدة . وسميت بذلك لوجودها بها ، وهى المنسوبة إلى سليمان بن داود عليهما السلام ، وقيل إنها كانت من زبرجدة خضراء ، وانها كان لها ثلاثمائة وخمس وستون رجلا والله اعلم ، انتهى

حتى عن والدته وعمه وأخيه ، وجميع أقاربه ، وأن لا يخبر أحداً من الخلق بما يعلمه إيتاء في الخفاء . ثم كان يرسل والدته إليه فتسأله : ما الذى يعلمك والدك فيقول لها : لا شئ . فتقول له : أخبرنى بذلك ولا تخف لانى عندى الخبر بما يعلمك . فيقول لها : أبداً ما هو يعلمنى شيئاً . قال : وكذلك كان يفعل عمى ، وأنا أنكر أشد الانكار ثم أروح إلى مكتب النصارى . وآتى الدار فيعلمنى والدى ، إلى أن مضت مدة ، فارسل إلى من اخوانه فى الله والأصدقاء . فلم أقرّ لأحد قط بشئ ، مع أنه رحمه الله تعالى قد ألقى بنفسه للهلاك لا مكان أن أخبر بذلك عنه فيحرق لا محالة . لكن أيدنا الله سبحانه وتعالى بتأييده الخ . إلى أن يقول : فلما تحقق والدى رحمه الله تعالى أنى أكنم أمور دين الاسلام عن الأقارب ، فضلاً عن الأجانب ، أمرنى أن أتكلم بأفشائه لوالدتى وعمى وبعض أصحابه الأصدقاء فقط ، وكانوا يأتون إلى بيتنا فيتحدثون فى أمر الدين وأنا أسمع ، فلما رأى حزمى مع صغر سننى فرح غاية الفرح ، وعرفنى بأصدقائه وأحبائه واخوانه فى دين الاسلام فاجتمعت بهم واحداً واحداً . « اه

وقد عاقت على هذه الجملة بقولى : إن الاسلام بالاندلس حسماً يظهر من هذا الوصف كان أصبح شبيهاً بجمعية سرية تكتم أمرها أشد الكتمان ، ولا يقدر واحد من المسلمين أن يبوح باسلامه إلا لمن يكون قد ابتلى أمانته ، وامتنحن صدقه فكانوا يجتمعون سراً إذا كان بعضهم واثقاً ببعض ، ويتكلمون فى أمر الدين فى أشد الحفية . ثم نقلت عنه مايلى :

« وسافرت الأسفار لأجتمع بالمسلمين الأخيار من جيان ، مدينة ابن مالك إلى غرناطة ، وإلى قرطبة ، واشبيلية ، وطليلة ، وغيرها من مدن الجزيرة الخضراء أعادها الله تعالى للاسلام فتلخص لى من معرفتهم أنى ميزت سبعة رجال ، كانوا كلهم يتحدثوننى بأمور غرناطة ، وما كان بها فى الاسلام حينئذ ، وبما أقوله وقلته بعد ، فسندى عال لكونه ماتم إلا بواسطة واحدة بينى وبين الاسلام بها « اه . وعلقت على هذه الجملة الأخرى مايلى : إنما من عرف كون ابن عبد الرفيق

توفي عام ألف واثنين وخمسين للهجرة ، لا يخفى عنه أنه كان شاباً في أول سنى الألف للهجرة ، أي منذ نيف وثلاثمائة سنة . ويظهر له أنه منذ نيف وثلاثمائة سنة ، كان في جيان وغرناطة واشبيلية وقرطبة أناس لا يزالون يدينون بالاسلام سرا ، وهم في الظاهر نصارى . وأغرب من هذا وجود مثل هؤلاء في طليطلة المصاوبة لمجريط ، والتي كان مضى على استرجاع الاسبانبول لها يوم زارها ابن عبد الرقيق أكثر من خمسمائة سنة . أى أنه بقي مسلمون في الباطن في طليطلة من بعد أن زال عنها حكم الاسلام بخمسمائة عام

ثم ذكرت في محل آخر من هذا البحث : « وقيل لى إن أحد المغاربة وقع في هذه الأيام الأخيرة بمض قرى طليطلة ، فوجدهم يذبحون الأكباش يوم عيد النحر عندنا ، ويقولون إنها عادة توارثوها عن آبائهم اه .

ثم إني أذكر في المبحث نفسه فصلاً عثرت عليه في جريدة « العملة » المساوية الصادرة في فينة ، عددها المؤرخ في ٣ يناير سنة ١٩٣٢ ، جاء فيه بمناسبة الكلام عن ثورات أهل العمل ، كلام عن موريسك الأندلس ، وأعمال ديوان التفتيش الكاثوليكي مايلي :

« فأخذ هذا الديوان ينقب وينقر عن السككية والجزئية من أعمال المسلمين ، ومنع جميع شعائرم الدينية ، بل منع جميع عاداتهم ومذاهبهم في الحياة : ولو لم يكن لها تعلق بالدين ، وعاقب على ذلك . وكان يعاقب أشد العقاب من علم عنه أنه لا يأكل لحم الخنزير أو الميتة ، أو عرف عنه أنه لا يشرب الخمر ، أو قيل إنه أدرج ميتة في كفن نظيف . وكانت النظافة في ذاتها ذنباً يعاقب عليه ، وفي سنة ١٥٩٧ وجد في طليطلة المسمى « موريسكو بار ثولوم شانجه » فلاحظ عليه القوم أنه شديد التطهر ، فعذبوه عذاباً شديداً ، وما زالوا يعذبونه حتى أقر بأنه يتطهر عن عقيدة ، فحكوا عليه بالسجن المؤبد ، وبضبط جميع أملاكه . ووجدوا قرآناً عند عبوز اسمها « ايزابلا زاسن » فقالت انها لا تقدر أن تقرأ فلم ينغمها هذا القول ، وعذبوها ،

ولكن لما كان عمرها تسعين سنة اكتفوا من اهانتها بحملها على حمار ، والطواف بها في الشوارع وعليها غطاء مكتوب عليه اسمها « وإثمها » ثم زجوها في السجن بعد ذلك ، وبقيت فيه إلى أن علموها قواعد المسيحية « اه .
من هذا الفصل الوارد في جريدة « العملة » النمساوية .

Arbeiterzeitung يتأيد ما رواه ابن عبد الرقيق الاندلسي ، من انه في أوائل القرن السابع عشر كان لا يزال في طليطلة بقايا مسلمين ، وأن العروبة لم يكن طمس هناك أثرها بالكلية . وهذا بحث سنفرد له إن شاء الله ، بعد أن أعدنا موادنا ، جزءاً خاصاً من كتابنا هذا .

ونمود إلى طليطلة واختلاط أسماؤها ، الاسبانيولي بالعربي ، والعربي بالاسبانيولي مما يدل على امتزاج المجتمعين في هذه البلدة ، بشكل غريب ، لم يسبق له مثيل ، وإليك أمثلة أخرى :

« باع القائد دون شبيب بن عبد الرحمن من دون دُمنقه مرزأله الدليل ، ومن زوجه يُشتة بنت مرتين النخ . والشهود يحيى بن خليل ورفاعة بن يحيى القنترى وابراهيم بن خليل وعبد الله بن عمر وحسين بن جعفر بن حسين وميقائيل بن شبيب ابن عبد الرحمن » .
ومثال آخر :

« اشترى القس دون دمنقة بن مقيال بن الريم من بوان باطرس جميع الفدان الواحد الأرض البيضاء الذي له بحومة أوليش الكبرى عمل طليطلة حرسها الله . إلى أن يقول : وسعة هذا الفدان المبيع المذكور كسمة كل قرعة هي بالحومة المذكورة بثمان عدته مثقال ونصف من الذهب البياسي الضرب ^(١) . أما الشهود فهم : يبطره ابن يليان بن ابي الحسن ، وشلون بن طلي بن وعيد النخ .

وفي مكان آخر صك المشتري فيه الارجرشت ^(٢) دون تقلاوش القونوتقي ^(٣)

(١) البياسي نسبة إلى يياسه من عمل قرطبة ويظهر أنه كان بها دار ضرب لعهد الاسلام

(٢) Archiprêst القس الأكبر (٣) Canonigos القانوني

بقاعدة شنتة مرية عمرها الله والبائعة مرية بنت تمام على حفيدها الصغير الذي من غير رشد المسمى شربند بن باطرة غرسية الذي في حضانتها . وفي هذا الصك ذكر الوزير القاضي دون يليان بن أبي الحسن بن الباصه أدام الله عزه .

وفي صك آخر يقول : اشترى دون لازر بن علي من دون يوان بن عثمان ومن زوجه دمنقة بنت حنصون جميع الكرم الذي لهما بحايز شنت اشتاين خلف نهر تاجه وبمقربة من قرال بنى ابى مالك من احواز مدينة طليطلة حرسها الله . والتاريخ هو في العشر الأوسط من شهر ينير سنة إحدى ومائتين وألف للصفى والثمن ثلاثون مثقالا من الذهب البياسى . والشهود يليان بن فرجون وبيطرو بن اندراش بن عزيزى وميقايل بن سلمة بن سدرابه ولب بن فرنندس . وفي آخر الصك يقول : وأنا يوان ابن عثمان بن عثمان بنت وقمضت » اهـ

وانظر إلى هذا الصك :

« اشترى الدياقن دون دمنقة نفره الذي من أئمة قاعدة شنتة مرية بطليطلة حرسها الله من الامام دون بيطرو جلبرت منها أيضاً جميع الغرس المعلوم له بحومة برج الشياطين عدوة نهر تاجه في حومة شنت فليس من أعمال مدينة طليطلة المذكورة انها يصل اليه وهو الغرس الذي كان اغترسه أبو الطيب المغترس وحده في الشرق غرس لدون اشنا بن التميميراني وفي الغرب شنطير سالك من النهر المذكور الى الطرق التي بالحومة المذكورة وإلى سواها وفي القبلة غرس الاندراش وفي الجوف غرس لبيطروه اشكرده بثمن عدده ثلاثة عشر مثقالا ونصف مثقال ذهباً بياسى الضرب طيباً وازناً في شهر مارس من عام اثنين ومائتين وألف » .

وهذا المثال :

« اشترى ميقايل يوانش وأخيه دمنقر يوانش على السواء بينهما والاعتدال من دونة التي كانت زوجاً لاندراش دحجاج ومن بينهما يوانش ويليان واشتاين ورومان ومريه وقطنيه جميع الدار التي لهم بحومة شنت رومان داخل مدينة طليطلة حرسها

الله التي حدها في الشرق دار لورثة دمنقه سبريان وفي الغرب الزقاق الغير نافذ
والباب فيه شارع وفي القبلة غرفة على اسطوان هذه الدار وهي لدون فيليز شنجس»
وهذا صك آخر :

« اشترى الارده^(١) الافرنجى وزوجه دونه مرشكيطة^(٢) ، من اولاليه^(٣)
بنت ديقه ، وهي التي كان أخاها بيطروه ديس^(٤) شيون الكنفريه^(٥) متاع^(٦)
شنته مريه العظمى ، جميع الدار المعلومة لها ولأخيها بيطروه ديس المذكور بحومة
شنته مريه القاعدة داخل مدينة طليطلة حرسها الله التي حدها أجمع في الشرق الطريق
السالك ، والباب إليه شارع ، ودار كانت لنقلاش د طوريش ، وفي الغرب دار انتالين
ولد غلتار لقواس ، وفي القبلة دار الوزير القاضي دون رودريقه ديمنقس ، ودارلاشتافن
مشتابار ، وفي الجوف قرال لانتلين المذكور ، ولريموند بلدى^(٧) ولد جفري
مرابطى^(٨) ، ودار كانت لأرنلد فرانساشك النخ »
وتأمل في هذا الصك :

« اشترى دونه لوقاديه بنت ميقاتيل شايس ، وابنتها دونه مريه ، التي كانت
زوجاً لدون غرسية القميراني رحمه الله من دونه مريته التي كانت زوجاً لدون قليام
ومن بينهما دون فيليز ، ودون بيطروه ، ودون يوانش ، ودونه ديمنقه ، جميع الميشون
الذى هو حانوت الآن ، والشوطار الذى تحته ، والغرفة التي عليه ، المعلوم لهم بحومة

(١) في الترجمة الاسبانيولية Alardo el Franceses

(٢) في الترجمة الاسبانيولية Dona Morisquita

(٣) Eulalia في الترجمة

(٤) Diaz في الترجمة

(٥) Sayon de la cofradia في الترجمة

(٦) متاع هنا يراد به المنسوب إلى المكان وهو اصطلاح العامة

(٧) في الترجمة Raimundo boldi

(٨) في الترجمة Jofré Almoravide

كنيسة شنته مريه القاعدة في ربض الافرنج^(١) ، داخل مدينة طليطلة ، حرسها الله وحد هذا المبيع في الشرق والغرب والقبلة والجوف طريق آخذ على ما يشين الطعام الى سوق الرقيق ، وطريق آخر على اليليندين ، إلى سوق الحصارين ، وميشون لقليان دديقرميلش وميشون لارنال ميقلدّه ، وهو قريب البائعين ، وكان قسم المبيع ومثله بشمن مبلغه أربعون مثقالا ذهباً ، بيّاسية الضرب ، طيبة وازنة ، بشهر ديجمبر الذي من عام ثلاثة ومائتين للصفر .

وشهود الأصل فيه بيطرو بن يايان بن أبي الحسن ، وعمر بن أبي الفرج ، وفيليس بن غليام ، ويوانش بن غليام ، وبيطروش بن غليام ، واندراش فرتوم ، وميقايل ارتند . وفي آخره مذكور هكذا : نسخة النسخة (الخ) وذلك في العشر الأوسط من شهر فبراير سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف للصفر

شلبطور بن عبد الملك بن العريب ، ويحيى بن وايد بن قاسم « وغيره :

« واشترى القس ديمنقة بن الريم من دونة بنت الوزير القاضي عبد الرحمن ابن يحيى بن حارث ، جميع الكرمين المعلومه لما بحومة منزل مُشقة من مدينة طليطلة حرسها الله ، وحد أحدها في الشرق كرم لورثة لب اشناينس ، وفي العرب نهر تاجه وفي القبلة كرم لمرتين فالبه وفي الجوف جبل كرم لمرتين فالبه ، وقطمة كرم اصق نهر

(١) كان للافرنج أى للفرنسيس حارة خاصة بهم في طليطلة لسكناهم هناك بحسب رواية المسيولا قالى Lavallée وسبب ذلك هو انه لما فتح الاسبانول طليطلة سنة ١٠٨٥ كانت امرأة الأذفونش السادس يقال لها كونيستزه ، وكانت أفرنسية الأصل وكان مع جيش الأذفونش الذي فتح طليطلة عدد كبير من الفرنسيس وكان معهم رهبان كثيرون من الفرنسيس أيضاً اشتهر بينهم راهب اسمه برنار من دير ساهاغون Sagahun فلما تم استيلاء الاسبان على طليطلة سكن هؤلاء الفرنسيس فيها . وكانت الملكة التي هي أفرنسية الأصل تدمهم وتعززم حتى أنها جعلت الراهب برنار المذكور مطراناً لطليطلة .

تاجه (إلى أن يقول) : حضر لهذا المبيع دون يوليان بن البائعة . وقال ان لا اعتراض عنده فيه وسلمه

والشهود بيطرو بن مرتين بن بهلول ، وبهلول بن غالب ، ويوانش بن تمام وعمر بن أبي الفرج . وفي الآخر هكذا : كان ذلك بحضري وانا يوانش بن عطف بن لبضار « وغيره :

« اشترى الارجرشت ^(١) الاجل دمنه تقلاوش أدام الله عزه ، من ديمنقه بنت شلبطور ^(٢) أبقاها الله ، جميع النصف من المسجد الذي بحومة شنته مرية ، بحضرة طليطلة حرسها الله ، حد هذا النصف المذكور في الشرق النصف الثاني الذي هو لاختها شول ، وفي الغرب حجرة لمريم المسلمة التي كانت زوجاً للأبدى الجزاز . وفي القبلة الدار التي كانت لابرسیوه ، وفي الجوف الطريق وإليه يشرع الباب ، بثمان مبلغه ثمانية عشر مثقالاً من الذهب الطيب الوزن ، في العشر الآخر من شهر مايو سنة خمسة ومائتين وألف

والشهود : عبد الرحمن بن عبد الملك ، وديمنقة بيطروس الباسي ، وعبد الله بن عمر بن يوانش بن سليمان ، وعامر بن يحيى بن بلاي « وغيره :

« اشهدت دونة شولي بنت عمر بن هشام ، وبناتها يوشتا وسقى بنتى مقيال ابن سليمان على أنفسهن شهدا آخر هذا الكتاب أنهن بعن من الوزير الأجل دون اشتافن يليانس ، أكرمه الله الرب الواحد على الاشاعة من جميع السد المعروف بسد الفته الذي في نهر تاجه تحت حصن قلانيه النخ . « وغيره :

« اشترى يوان مستعرب ^(٣) لدون مَلَنَدَة الدليل ، وبمال دون ملنده المذكور

(١) Archiprêtre (٢) Salvador

(٣) Mozarabe انه يظهر من هذه الكتابات التي إذا ذكرت الافرنجي تنص عليه بأنه افرنجي، وإذا ذكرت الاسبانيولي المتكلم بالعربية تنص عليه بأنه مستعرب

من دونه ستميورى ، التى كانت زوجاً لدون ديمنقه البريتي ، رحمه الله جميع الحوانيت والغُرَيْفَةُ المتصلة بها ، (إلى أن يقول) واعترف المتبايعان المذكوران أن البايمة المذكورة قبضت عن الستة عشر مثقالا المذكورة أعلاه من المبتاع المذكور القلايب

وإذا ذكرت المسلم أشارت أنه مسلم وإذا ذكرت اليهودى أشارت اليه بأنه اسرائيلى انه كان فى طليطة أربع أو خمس فرق منها العرب المسلمون الذين بقوا حافظين لغتهم ودينهم حتى بعد استيلاء الاسبانيول ومنها الاسانيول المستعربون الذين كانوا يتكلمون ويكتبون و يقيمون صلواتهم بالعربية حتى إنهم كانوا إذا كتبوا كتاباً يبدأونه ببسم الله الرحمن الرحيم وكانوا متعصبين جدا للعربية ولذلك بقيت اللغة العربية والثقافة العربية سائدين فى طليطة مدة ستمائة سنة بعد اقراض حكم الاسلام منها ومنهم الاسانيول الذين يتكلمون ويكتبون باغتهم الاسبانية وكان المستعربون يسمونهم بالقشتاليين كما مر فى أحد الصكوك التى نقلناها . وكان منهم أيضاً الافرنج الذين بدأت سكناهم فى طليطة من وقت استرداد الاسبانيول لها لانهم كان منهم جنود كثيرون فى جيش الاذفونش السادس . ومنهم اليهود الذين كانوا عنصرا كبيرا ولم يكن الاسبانيون المستعربون بالفئة التى ترضى بالسيادة للاسبانيين القشتاليين أو للافرنج حتى انه وقع خلاف بين النصارى المستعربين والنصارى غير المستعربين من قشتاليين وافرنج فى مسألة الصلوات فان المستعربين كانوا يقيمون القداس الذى يسمى بالاسبانية بالميشة أو الميسة وذلك باللغة القوطية بحسب قاعدة قدس عندهم يسمى سان ايزيدور وكانوا يخلطون ذلك بالعربية وكان الاسبانيول يقولون لهذا الطقس " نصف عربى ، أو " موزاراب ، فكان الافرنج والقشتاليون يريدون حمل الجميع على استعمال الطقس الرومانى ولكن المستعربين أبوا إباء شديدا وكان أشدهم خصاما فى هذا الأمر جوان رويس ماتانازاس Juanrinez de los Matanzas ولما تعذر حل هذه العقدة قيل إنهم لجأوا إلى البراز وأنهم يخرجون من كل فئة فارساً فيتجاول الفارسان والذى يصرع الآخر تكون فتهه هى الغالبة فى الموضوع . فلما تبارز الفارسان كانت الغلبة للفارس المستعرب ولكن فئة الافرنج بقيت مصرة على عنادها . فلجأوا إلى امتحان آخر على عهدة الرواة ورموا كتاب الصلاة الرومانى وكتاب الصلاة القوطى فى النار وقالوا الكتاب الذى يخرج سالما من النار يكون له الحكم . فخرج كتاب المستعربين سالما وخرج الكتاب الرومانى أقل سلامة منه فيقال أن الاذفونش السادس أبقي عند ذلك الطقسين معا .

المعروفة لَمَّا نَدَدَ الدليل بقرية قنالِش ، والنبر الذي كان له بها ، والحمار والمعجلة ، هذه الأسباب المذكورة عن سبعة مثاقيل ونصف النخ . »

وغیره :

« اشترى الوزير المشرف دون ديمنقه بن سليمان بن غصن بن شربند ، أكرمه الله من سبريان بن بسنت ، ومن زوجه لوفادية بنت يحيى البياسى ، جميع الدار المعلومة لها بحومة كنيسة شنت يوانش ، بثمن عدده ومبلغه سبعون مثقالا من الذهب الفنى الطليطلى الغرب الطيب الوازن النخ . »

وغیره :

« اشترت الابطيسة^(١) الجائلة دونه مطرى أكرمها الله ، التى بدير شنت قلنت عمرها الله من القس دون ديمنقه النخ »

وغیره :

« اشترى أبو زكرى يحيى بن على الملقى ، من دونه لوفادية بنت بيطروسايس ومن ابنها رودريقه بن بشكوال جميع الكرم المعلومة لها بحومة كنيسة شنته قلمبه عمل مدينة طليطلة حرسها الله النخ . »

والشهود فرنانده يوانش وعبد الله بن عبد العزيز بن خطاب ، وبسنت بن عبد العزيز بن سعد ، وباطره بن عمر بن غالب بن القلاس »

وغیره :

« اشترى دون يوان البلجاني أكرمه الله من بيطرو بن يوليان بطيط جميع الجنينة^(٢) التى له بحومة باب المخاضة ، على نهر تاجه (إلى أن يقول) ودخل فى هذا المبيع الموصوف جميع ما كان للبائع المذكور فى السانية الكبيرة المشهورة النخ . »

(١) أى الراهبة الرئيسة

(٢) فى جميع البلاد العربية يستعملون الجنينة ، بمعنى البستان الصغير

وغيره :

« اشترى افراير^(١) دون فرناندوه الذى من فرايرين قلعة رباح ، للرواهب الذين بدير شنت قلعت بمدينة طليطلة ، أتماها الله من ميقييل إلى آخره »

وغيره :

« اشترى دون يايان القس الميردوم ، متاع شنت ديمنقة ، إلى دير شنت قلعت الذى هو بمدينة طليطلة حماها الله ، ومن مال الدير المذكور الخ » .

وغيره :

« اشترى الفرايلى دون فرناندوه يوانش ، متاع قلعة رباح إلى الابطشة دونة مطرى متاع شنت قلعت الخ » .
ومن هذه الصكوك ما فيه :

« اشترى الوزير الأجل المشرف الأفضل الأكمل أو عمر شوشان^(٢) ، أدام الله عزه ، من دون مرتين^(٣) دى القواط ، ومن زوجه دونة قهبة بنت فرند واماط^(٤) الشطر الواحد على الاتساعة . من جميع الامدر الذى شطره الثمانى لمتاع المذكور ، وقد بين فيه قرال ، وهو بقرية أوامش الكبرى من عمل مدينة طليطلة حرسها الله ، ولشهرته استغنى عن تحديده . بثمن مبالغه ستة مئاقيل من الذهب الفه نشى الضرب ، وذلك في شهر ديجمبر سنة ست وثلاثين ومائتين للصفر .

(١) الراهب .

(٢) مكتوب فى الترجمة الاسبانيولية اسم هذا الرجل هكذا : Abuomar Susán وقبل اسمه مكتوب Alguacil Almogarife ومن المعلوم أن الاسبانيول حرفوا لفظة الوزير ، حتى صارت « الغاسيل » ، ويظهر أن لفظة « المشرف » كانت دخلت أيضا فى لغتهم حتى صارت تستعمل فيها .

(٣) Martin de Alconte

(٤) Fernando Abat

وتحتة مكتوب : غالب بن غلمون . ومرتين بن يحيى بن عبد العزيز . وديمثقه ابن بيطروه القنترى . تكيف الأشهاد فيه بين يدى وأنا شلمون بن على بن وعيد « ثم هذا الصك الذى يتضمن بيع عقار موقوف ، وبيان السبب الذى اضطر إلى هذا البيع فهو يقول :

« باعت الابطيشة ^(١) الجاييلة دونه شنبجه التى على دير شنت باترو بالحزام ^(٢) أكرمها الله مع كونباتها ^(٣) الكائن أسام فى هذا الكتاب ، من دوت مرتين ابن باطروه د قشطرة ^(٤) ، جميع الميشون الذى علم فى أصله للدير المذكور برىض الافرنج التى على مقربة العشابين وبداخل مدينة طليطلة ، حرسها الله ، وهو الميشون الذى حده فى الشرق طريق سالك للحصارين ، وفى الغرب ميشون لدون بطال السبطير ^(٥) ، ولدونة يوشته ^(٦) زوج غليم ^(٧) ديباسة ، ولباطروه غليم ، ولبنى دون جوان دلبدقدوه ^(٨) ، وفى القبلة المحجة السالك ، وبابها شارع اليها ، وفى الجوف ميشون لدون باطروه جسواين ^(٩) ، وحوانيت السلطان ، بثمان مبلغه وعدده أربعون مثقالا ذهباً من الذهب القونشى ، وصار عندهم وفى ملكهم لينفقوه على أنفسهم ، وعلى جميع من هو فى الدير المذكور ، مما يجب له النفقة منه فى الدير ، لا غنى لهم عنه فى المأكل فى هذه الاعوام المحيلة ، إذ لجتهم الحاجة والعاقبة لئلا يموتون جوعاً ، إذ قد

(١) فى النص الاسبانيولى Abbatissa Sanecia

(٢) فى الترجمة Alhicem

(٣) أى صواحباتها .

(٤) Pedro de Castro

(٥) Don Vidal El - Zapatero

(٦) Justa

(٧) Guèllemo de Baeza

(٨) فى الترجمة الاسبانيولى وضعوا مكان هذه الكلمة نقطا للدلالة على جهالتها .

(٩) Pedro Chasolin

أحفلوا على ذلك في الدير المذكور، وخارج الدير ، قد شاوروا فيه الاعيان القنوتقين^(١) بالقاعدة^(٢) شنتة مرية أم النور ، درّ لنا الله شفاعتها ، فكلمهم قد خطوه عليه ، وأجمعوا الرأي فيه ، إذ الضغطة والحاجة والفاقة ، قد صحت أنها حاظت بهم ، ولذلك باعوا المبيع الموصوف ، وجاز لهم بيعه ، وصح للمبتاع ابتياعه عن ذلك أبداً ، وللمبتاع المذكور براءة تامة ، فبرى. في العشر الأول من شهر فبراير سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف لتاريخ الصفر .

واعترف المبتاع المذكور دون مرتين أن هذا الشرى على حسبه ونسبته هو بينه وبين زوجه دونه يوشنة ، على المناصفة ، وعلى الجميع يقع الاشهاد .
مقيال بن علي بن عمر . ويواتش بن مقيال بن عبد العزيز الشناري .

Ego Abbatissa Sancia. Monasterii Sancti Petri Consedo. Ego Fernandus Iohnnes Subdiaconus Sancti Nicolai Testis. Ego Dominica Priora Confirmo. Ego Lazarus Presbiter Sancti Sevastiani Ecclesie Testis. Ego Liocadia Confirmo. Ego Anastasia Confirmo. Ego Eugenia Confirmo etc.

فمن هذا الصك وأمثاله يعرف انه في طليطة لم يكن الجميع يكتبون بالعربية وكان لا يزال قسم كبير من الاسبانيول يضعون امضاءاتهم بالاسبانية ولكن العربية كانت هي السائدة .

ولنأخذ من بعض الصكوك بعض الجمل التي تدل على حاله طليطة الاجتماعية في ذلك العصر ، لكون استقصاء هذه الوثائق بأجمعها غير ضروري ويكفي من القلادة ما أحاط بالجيد .

فمن ذلك صك شراء للدون البيروه البرس^(٣) وزوجته الدونة مرية الجنان^(٤)

(١) Alos Canonigos يريد بها القانونيين وهي رتبة دينية عندهم

(٢) في الترجمة الاسبانيولية هي الكنيسة الكبرى Catedrale

(٣) في الترجمة الاسبانيولية « البيروه » هو Alvaro « والبرس » هو Alvarez

(٤) الجنان جمع جنة ولكنه يستعملها استعمال المفرد بدليل قوله « الذي علم لوالده »

الذى علم لوالده دون مقيال بن الوزير سيد ، بحومة السوميل ، من عمل مدينة طليطلة (الخ) وفى آخر هذا الصك يقول هكذا : وليعلم أن الجنان المذكور هو الآن مبور ، ومقطوعة ثماره ، كان قطعوها المسلمون دمرهم الله . وذكر ذلك ليعلم بعد أن ألزمت نفسها ومالها دونة ديمنقه المذكورة دفع ابنها الفونش المذكور متى قام أو قام أحد عنه وأراد طلب المبتاعين شىء منه يدفعه عنهما بمالهما .
وإليك هذا الصك يستدل منه القارىء على أحوال طليطلة فى ذلك العصر فهو يقول :

« اشترى القبشقول^(١) دون جردان من دونه دونة بنت عبد الله بن يحيى جميع الدار التى لها بحومة القاعدة شفته مريه ، داخل الدرب المشهور بدرب الارسبرست^(٢) دون نيقولاش ، وبداخل مدينة طليطلة حرسها الله ، ومنتهى حدودها فى الشرق اسطبل كان مسجداً فى القديم ، هو للارسبرست^(٣) دون ييطرو من طلبيره^(٤) ودار لورثة شقره^(٥) ، وفى الغرب دار كانت لورثة الايطي^(٦) ، هى الآن للمبتاع المذكور ، وفى القبلة دار لورثة البرنيطى^(٧) ، وفى الجوف الدرب المذكور ، والباب

وقد مر أيضاً أنه استعمل الكروم ، استعمال الكرم بالمفرد وعلى كل حال ليست جميع هذه الصكوك كتابة المدققين بالعربية وان كان منها ما هو بغاية الضبط

(١) فى الترجمة الاسبانيولية Capiscol Don Jordan

(٢) فى الترجمة الاسبانيولية Arcipreste

(٣) هذه اللفظة أى ، الارسبرست ، بمعنى القسيس الاكبر تكتب أحيانا بالسين وأحيانا بالشين والغالب أن العرب كانوا يلفظون السين فى الاعلام الاسبانيولية شيئاً ولكن قد يراعون فيها الأصل أحيانا فيلفظونها شيئاً

(٤) Talavrra

(٥) Suegro

(٦) فى الترجمة الاسبانيولية Laiti

(٧) فى الترجمة الاسبانيولية Berniti

إليه شارع ، و بعض دويرة المسلم على ولد القلبق ^(١) النخ ، والشهود : قرشتو بل بن يليان ، ولورنس بن ديمتق بن عمران . وبيطروه بن مرتين مستعرب .

وقد رأينا هذه اللفظة «مستعرب» مراراً في هذه الصكوك ، واستدللنا بها على أن نصارى طابطة كانوا قسمين قسم يقال لهم المستعربون ، وهم الذين كانوا يتكلمون ويكتبون و يقيمون صلواتهم باللغة العربية ، وقسم آخر كانوا يتكلمون ويكتبون بالأسبانيوية و يقيمون صلواتهم باللاتينية ، وهذا هو السبب في أنهم عند كتابة الصكوك يميزون الأسبانيولى الذى لغته العربية بقولهم «مستعرب» وكذلك يذكرون عند وضع الشهادات لفظة « بالعربى » ولفظة « بالمعجمى » لأن من اليهود من كان يكتب امضاءه بالعربى ومنهم من لم يعرف وضع امضاءه بالعربى فيشيرون إلى أنه وضع بالمعجمى ومما تعرف منه اصطلاحاتهم مثل هذا الصك :

اشترى دون غوانصالبه المكرج بالقة عدة شنته مريه كرياطور المطران الأحل
دون غوانصالبه قدس الله روحه . فلفظة « كرياطور » هى ترجمة Criado بالاسبانيوية
وهى لفظة معناها أشبه بمعنى شمس المعروف فى الشرق ، وهو الذى يخدم المطران .
وفى هذا الصك ذكر رجل يقل له الدون مرتين المدوى المتاء . فذت ترى فى كل
مكان اختلاط الاسماء العربية بالاسماء الأسبانية
وانظر إلى صك آخر :

باع كونيانت ^(٢) القاعدة المعظمة شنته مريه أم النور . در كنا الله شفاعتها ،
وأكرمهم . من دونة ديمتق بنت أنى الربيع سليمان بن عثمان . التى كانت زوجاً
لدون لب بن يحيى ، جميع الدار النخ .

(١) فى الترجمة الاسبانيولية Galapago ومن هنا يعلم أنه كان لا يزال مسلمون
بطابطة تحت النصارى من بعد ما استولى عليها الاسبانول بقرن وقرنين وثلاثة
وكانوا معروفين بأنهم مسلمون لأن اكراه المسلمين على النصر لم يقع إلا من القرن
السادس عشر فصاعداً بعد سقوط غرناطة آخر سلطة اسلامية فى ذلك القطر

(٢) فى الترجمة الاسبانيولية Convento

وفي هذا الصك ذكر دار كانت للشقرشتان ^(١) ولاخته دونه اغطه .

وإليك هذا الصك :

اشترى رومان بن ^(٢) باطرو زور ير حفيد السماد ، لنفسه ولزوجه دونه أوره بونه ، ومن مالها جميعاً ، على اعترافه ، من دونه ديمنقه بن عبد الرحمن بن جابر (النخ) بحومة بال ذي قبش ^(٣) عمل طليطلة (النخ)

ويظهر أنه كان لليهود في طليطلة شأن عظيم ، لأن الأسماء الاسرائيلية تدور كثيراً في هذه الصكوك ، وفيها أسماء رجال لهم مقام اجتماعي نبه ، مثل ماورد في بعض الصكوك قوله :

« اشترى الوزير أبو هارون موسى بن الشحات الاسرائيلي أعزه الله من دونه غاليانه (النخ) .

وأما أهمية رجال الكنيسة فلا تخفى في كل حرف من حروف هذه الكتابات ومنها يظهر أن أكثر الأملاك كانت لهم ، لأن أكثر البيع والشراء هو منهم وإليهم وإذا ورد ذكر أحدهم فبغاية التعظيم والاحلال ، مثل قوله في كثير من الصكوك : « اشترى المطران ^(٤) الأجل المقدس الأفضل دمنه مرتين لبوس ^(٥) الذي

(١) في الترجمة الاسبانيولية Sacristàn

(٢) في الترجمة الاسبانيولية Romàn Huigo de Pedro El Cebreiro Nieto de Assamad ولا نعلم هل هذا الاسم مأخوذ من السماد أو هو محرف عن الصمد فانهم أحياناً يخطئون فيجعلون الصاد سينا كما مر بقولهم حومة « الصوميل » وحقها أن تكون بالصاد « الصوميل » والصميل اسم عربي شهير هذا مع كون السين والصاد تقوم احدهما مقام الاخرى في الفاظ كثيرة

(٣) في الترجمة الاسبانيولية Valdecubas

(٤) في الاسبانيولى Arzobispo

(٥) Martin López

لكرسى قاعدة طليطلة و برماطم أشبانية الخ «^(١)
ولم تكن أسماء رجال الكنيسة كلها لاتينية بل من القسيسين من كانت
أسماءهم عربية ففى بعض الصكوك :

« اشترى القس دون لب بن تمام بن بحيط الذى من أئمة كنيسة شنت زوال^(٢)
من دونة توطه بنت دون لب دِقترال^(٣) جميع الدويرة التى صارت لها بالمطية من
الدياقن دون مقال دالبه^(٤) رحمه الله بحومة كنيسة شنت يناس^(٥) و بداخل
مدينة طليطلة الخ . وفى بعض الصكوك مذكور القس الدون عبد العزيز من أئمة
كنيسة شنتة لوفاديه الخ »

ومن الصكوك التى تستجلب النظر ما يلى :

« اشترى دون ديمتقة بشكوال ، تربية المطران الأجل ، القديس الأفضل ،
الحبيب الأكمل ، دون ردريقه شمانس^(٦) وصل الله بركته ومن مال المطران
المذكور ، وله ويده فيه عارية الخ »
ومثله :

« اشترى القونوق دون جوان دى ستفيله^(٧) ، أعزه الله ، لمولانا المطران القديس
الأفضل ، البرماطم الأعدل ، دون رودريقه شمانس ، أدام الله نصره ، ومن مال
(١) Primado de Espana وهو الاسقف الاعظم لاسبانية ومن هنا يعلم أن
معاملات الاسقف الاعظم نفسه كانت بالعربية حتى بعد استرداد الاسبان لطليطلة
بزمن طويل

(٢) San Zoel

(٣) Toda Hija De Don Lope De Cotarel

(٤) Mical De Alba

(٥) San Gines

(٦) Rodrigo Giménez

(٧) De Setfila

المطران ، ويده فيه عارية بقوله ، من دونة مريه بنت حسين بن قرون ، رحمه الله وأعزها ، جميع الملك المشهور لأبيها المذكور ، والحق لها بالارث عنه ، وهو بجائز قرى ششلة^(١) مدينة طليطلة ، حرسها الله ، والمبيع الموصوف هو تحت كدية قرية المونسير^(٢) ، ويقسم التخيم مع القرية المونسير المذكورة ، ومع قرية بيله انتقوه (إلى أن يقول) دخل في هذا المبيع كل الذى صح وصار لوالد البايعة المذكورة بالعطية عن الامبراطور الشريف^(٣) مع ابنه السلطان المعظم دون شانجه ، رحمهما الله ، بالصك الكريم التى استظهرت البائعة المذكورة ودفعته للمبتاع المذكور اهـ .
ومثله :

« اشترى دون ربرت^(٤) الافرنجى ، الذى هو الآن من ربض الافرنج ، لنفسه ولزوجه دونه رواش^(٥) سوية بينهما ، من دونه ديمنقه ، ومن اختها دونه مرتينه ، بنتى دون غيلان ، جميع الدار التى لها بحومة حمام يعيش ، من حومة البير المر ، داخل مدينة طليطلة الخ

والشهود : ييطروه بن اشتافن الربالى . وديمنقه اندراش ، ودون رجليد الافرنجى ودون غيلم طبلد ، من ربض الافرنج ، وييطرو نقولا البنا ، وكتب عن كل واحد منهم اسمه عنه بأمرهم وحضرتهم وفيليز بن يحيى بن عبد الله

وهذا تأييد لكون الافرنج لم يزالوا بعد رجوع طليطلة إلى الأسبان كأنهم غرباء فيها . وفي صك من الصكوك يذكّر مشترين ثم يقول : بعد أن فسر عليهما

(١) Sisla

(٢) Almonasir

(٣) Emperador وهو الاذفونش السادس الذى تولى من سنة ١٠٧٢ إلى سنة ١١٠٩ ولقب نفسه بامبراطور اسبانية

(٤) في الترجمة الاسبانية Roberto El Francés

(٥) في الترجمة الاسبانية Raues

معانيه بلفظ أعجمي فهماه واعترفا بفهمه ، في العشر الآخر من شهر أوغوست سنة ست وخمسين ومائتين وألف للصفر .

ومما يستجلب النظر صك فيه :

« باع دون جوان رويس ^(١) بن دون رودريقه رويس ، أخ الأسقف ^(٢) للمعظم دون غرسيه رويس ، الذي على سقافة كرسى كونكة ، أدام الله كرامته الخ ومما يستجلب النظر صك فيه :

اشترى المطران الأجل دون رودريقه شيانيس ريتايط أشبانية أطل الله مدة وأدام بقاءه ، من دون فرنندوه لبوس بن دون لب فرنندس رحمه الله وأكرمه الخ . ومثله :

« اشترى القبطته ^(٣) المكرم من شنابير ^(٤) القاعدة العظمى ، شفته مريه ، دركنا الله شفاعتها الخ ومما يستجلب النظر هذا الصك :

« اشترى أبو حسن على الشيرى المسلم وزوجه عائشة بذت الدودري من الغيران وفقهم الله . على المناصفة بينهم ، من دونه أو رابونه ، تربيته القائد الأجل دون انتابن الخ والتاريخ العشر الآخر من ينير سنة أربع وثمانين ومائتين وألف للصفر . ومن هذا التاريخ أيضاً يعلم أنه كان يوجد جماعة من المسلمين بطايطلة في ذلك العصر وهذا الصك :

« اشترى دون بيطرو رويس فارس ، من أنانس ^(٥) قائد الغرديه ^(٦) ،

(١) في الترجمة الاسبانيولية Guan Ruiz

(٢) في الترجمة الاسبانيولية Obispo Deluenea وهى أى كونكة بلدة تقدم ذكرها في هذا الكتاب كان فيها العرب وكانوا يقولون لها فونكة وأخناناً كونكة

(٣) في الترجمة الاسبانيولية Cabildo وهو ذى رتبة في الكنيسة

(٤) في الترجمة الاسبانيولية Senares ومعناها السادات

(٥) في الترجمة الاسبانيولية Atenas

(٦) في الترجمة الاسبانيولية Guardia ومعناه الحرس

لمولانا الأليته ^(١) دون شانجه بن مولانا الأمير المعظم المرحوم فرنده عفا الله عنه الخ
 وكان النصراني والمسلمون يبيعون الأسرى بالوثائق ، كما يظهر لك من الصك
 الآتي : باع مرتين غرسيه دى أبره ^(٢) ، من أبو عمر بن الشيخ أبو سليمان بن أبي عمر
 ابن نحميش الاسرائيلي ، أسير واحد اسمه محمد بن ابراهيم القصلوني من غرناطة ،
 بيعاً تاماً ناجزاً ، بثمن مبلغه وعدده مائة وخمسة وأربعون مثقالاً (إلى أن يقول)
 نقلا عن كتاب عجمي بشأن الأسير ، إن هذا الأسير محمد أخرجه جوان ديمقوس
 بالمناداة ^(٣) بقرطبة ، وتاريخه ألف وثمانمائة وعشرة من تاريخ الصفر اه
 وفي صك آخر :

باع غنصالبه قاضى الحضرة أيده الله ، وقاضى بمدينة قرطبة ، وساكن بها ، من
 غنصالبه بن الفونش بن الفونش بيطروس بن سربتوش أكرمه الله أسير واحد ،
 على الأسير البنّا بن سعيد مملوك كان لغنصالبه رودريقه بمدينة قرطبة المذكورة بيعاً
 تاماً صحيحاً بثمن عدده أربعمائة مثقال كل مثقال خمسة عشر فرد من البيض الجارية ،
 الآن وهذا الأسير باعه البايع للمبتاع المذكور كما ذكر على يدي دلال الأسارى أبي عمر
 ابن اسرائيل الاسرائيلي الذي هو دلال الأسارى بطليطلة في حادى وعشرين نونبر
 عام أربعة وعشرين وثمانمائة وألف للصفر

(١) فى الترجمة الاسبانيولية Eleito ومعناه المختار أو المنتخب

(٢) Martin de Garcia de Abra

(٣) المناداة هى فى الاصطلاح ان ينادى الدلال على البضاعة المعروضة للبيع حتى
 يقبل السامعون للنداء على شرائها وقد كان استعمال هذه اللفظة لهذا المعنى فى بغداد
 وجاءت بهذا المقام فى المقامة المضيرية لبديع الزمان الهمداني كما انها كانت مستعملة فى
 الأندلس وأخذها الاسبانيول فى جملة ما أخذوه من العربى الى لغتهم . واما الاسير
 المسلم محمد الذى بيع فى المناداة فى قرطبة فقد بيع فيها بعد استيلاء النصراني عليها

ومما يستوجب النظر الصك الآتى :

اشترت دونه مركاشه لابنها المدرج^(١) شانجه مرتينوس ، كاتب مولانا الملك المعظم ، دون شانجه أطال الله بقاءهم ، وخلد ملكهم ، بمال ابنها المذكور ، الذى صار له بالعطية من مولانا الملك المذكور النخ .

وفى صك آخر يقول :

كاتب مولانا الملك المعظم الأعلى دون شانجه أطال الله بقاءهم ، وخلد ملكهم وأيدهم ونصرهم ، ومن ماله المختص به الذى صار له من مولانا الملك المذكور النخ . وهذا الصك :

اشترى مرتين شانجس قبله^(٢) القاعدة شنته مريه لنفسه ولزوجه مانتقه بنت مرتين غونس ، سوية بينهما ، من قاسم البنّا بن محمد مملوك مولانا الملك المعظم دون شانجه ، أطال الله بقاءهم ، ومن زوجته فطومة الماشطة ، جميع الدار التى لها بحومة بيرالمز الملاصقة بالفرن بها النخ .

وهذا الصك الذى فيه :

اشترى دون جوان بيطروس بن دون بيطروه يايان بن الوزير القاضى دون يليان أكرمه الله لنفسه ومن ماله ، من مريه بنت جوان التجار ، جميع الدار مع خمسة حوانات ، بحومة كنيسة شنت يوشنت ، وقريب السكدية . بمدينة طليطلة حرسها الله ويلاصق ذلك كله من جوانبه وجهاته قاعة قرال ، هى لجماعة مسلمين طليطلة ، حيث تذبج الكباش ، ودار لجوان مرتين العدّار ، ودار لقنوتقين شنته لوقادية لصق قصر مولانا الملك النخ ، والتاريخ سابع نونبر عام تسعة وعشرين وثلاثمائة وألف للصفر ٥١٠ هـ .

قلنا ثبت من هنا أنه كان فى ذلك التاريخ جماعة من المسلمين فى طليطلة وهذا

(١) لقب من القاب الكنيسة

(٢) قبله بمعنى خادم الكنيسة والقاعدة العظمى هى الكنيسة الكاتدرائية Cathédrale

بعد سقوط طليطلة في أيدي الاسبان بمائتين وخمسين سنة . وكانوا إلى ذلك الوقت يمارسون شعائر دينهم ويزبحون الكباش في عيد الاضحى وهذا الصك :

قاطع القوننق الأجل دون غشطين ، الذى من قونونقين القاعدة العظمي شنته مريه أم النور ، درّ كنا الله شفاعتها ، أسيرته وملكته المتنصرة سيسليه المسماة به بالمعمودية ، على حرية نفسها منه ، بأربعون مثقالا فونشياً صروفاً ، لتخدم سيسليه المذكورة بداخل مدينة طليطلة ، حرسها الله وباحوازاها ، دون رقيب عليها ولاثقاف وتأخذ لنفسها جميع مايعود الله عليها من فايد وعاید ، قلّ به أم كثر ، وتؤدى له الفدية المذكورة ، كما يذكر بعد هذا ، فى كل شهر ، شهر بعد آخر ، إلى أن تم الفدية المذكورة وإذ ذلك تكون سيسليه المذكورة حرة كسائر حرائر النصرانيات أهل ملتها ، وما ينقص لها من شهر تكمله فى شهر ثان وثالث . وإن لم يتكمل لها فى الشهر الثالث ، كما ذكر ، حاشى مرض بين يمنعها عن الفدية ، أو هربت وخالطت قوم سوا ، أو وجدت فى سرقة أو خيانة ، فتخسر ما يكون منها مدفوعاً ، وتعود الأسر كما كانت الخ . وتاريخ هذا الكتاب ديجمبر سنة تسع وسبعين ومائتين وألف اه ملخصاً

و يوجد صكوك أخرى فى موضوع شراء المسلمين لحریتهم ^(١) من ذلك مايلي :

قاطعت الابطيشة الجليلة دونة أورابونة التى على راهبات ديرشنت قلعت

(١) هذه الطريقة يقال لها فى الاسلام المكاتبه وهى ان يكاتب الرجل عبده أوأمة على مال ينجمه عليه ويكتب عليه انه اذا ادى نجومه فى كل نجم كذا وكذا فهو حر فاذا ادى جميع ما كاتبه عليه فقد عتق وولاؤه لمولاه الذى كاتبه وذلك ان مولاه سوغه كسبه الذى هو فى الاصل لمولاه فالسيد مكاتب بكسر التاء والعبد مكاتب بفتحها اذا عقد عليه ما فارقه عليه من أداء المال . سميت مكاتبه لما يكتب للعبد على السيد من العتق إذا أدى ما فارق عليه ، ولما يكتب للسيد على العبد من النجوم التى يؤديها فى محلها وأن له تعجيزه اذا عجز عن أداء نجم يحل عليه .

والبريورة^(١) به ، دونه لوقاديه ودونه امونيه ، دام عزهن ، لأسيريهن ومملوكيهن عزوز ، ويعرف برود ريقه بن معمر العربي ، واحمد اللوقى ، على حريتهما منهن بخدمتهما جميع الفرس المعلوم للدير المذكور بحومة برالس ، فى حير قرية أوليش ، على أن يخدموا الارض المذكورة مدة خمسة أعوام متوالية ، من تاريخ هذا الكتاب ، فى كل عام منها بالكشف والحفر والثنى والتثليث ، ويطبعا المواضع بقضبان الزرجون^(٢) ، وعليها القيام بالزبار^(٣) طول المدة . واذا قام المقاطعين المذكورين بالخدمة والعمارة حسبا وصف يصيران أحرار كسائر أحرار المسلمين أهل ملتتهما ، فى مالهم وعليهم ، وإن تهربا أو أحدهما فى طى المدة المذكورة ، أو عجزا عن اكمال التقطيع الموصوف يخسرا ما يتقدم لهما ، ويردهما راهبات الدير للأسر كما كانا أولا . وتاريخ هذا الصك عشر فونمبر عام خمسة وثمانين ومائتين وألف للأصفر اه .

ومثله صك آخر للابطيشة المذكورة بحق أسرى مسلمين هم : محمد المنارى ولد

(١) La Priora وهى وظيفة فى الدير

(٢) الزرجون جمع زرجونة وهى قضيب الكرم ويقال له الشكير وجاء فى المخصص لابن سيده عن ابن قتيبة ان الزرجون آت من الفارسية وانه فيها زركون بالكاف ومعناه الصفرة كلون الذهب وهذه اللفظة معروفة فى سورية ومنها جاءت الى الاندلس (٣) هو تقليم الكرم وهى لفظة معروفة فى سورية هذا المعنى يقال زبر فلان كرمه وقد وصلت الى الاندلس من أهل الشام والحال انه ليس فى كتب اللغة هذه اللفظة بهذا المعنى بل فى اللغة زبر البر زبرا طواها بالحجارة وكذلك زبرت الكتاب قرأته وزبرته ككتبته وقيل انه النقش فى الحجارة . والزبور الكتاب المزبور . والمزبر هو القلم . ثم ان الزبر يأتى بمعنى الزجر ولم يجد فى ما راجعناه من كتب اللغة فعل زبر بمعنى قطع وانما فسروا قوله تعالى (فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا) بان الزبر هى القطع جمع زبرة وهى مثل قوله تعالى (آتونى زبر الحديد) أى قطع الحديد وفى بلادنا لبنان يقولون للنجل زوبر وليست فى كتب اللغة بهذا المعنى وانما هى فى اللغة : الداهية فلعل هذا المعنى لهذه المادة دخل الى العربية الشامية من احدى اللغات السامية التى كانت فى الشام قبل الفتح

القنّان ، واحد الذى كان لدون ميقاتيل دى رنالش ، وعمر بزاره ، يعرف بابن احمد ابن جامع الصنهاجى ، وعلى الرمنقارة الغمارى على حرية أنفسهم ، وذلك بالخدمة مدة ثمانية أعوام متوالية فى جميع الكرم المعلوم بحومة قرية أوليش ، (إلى أن يقول) وان هربوا أجمع أو أحدهم ، أو خالطوا قوم سوا ، أو وجدوا فى سرقة ، يخسروا ما يكون لهم ويرجعون للأسر الخ ، وتاريخه ست وثمانون ومائتان وألف .

ومثل ذلك هذا الصك :

قاطعت الجليلة دونة قلنبة ابنة الوزير الأجل دون غطار فرنندس أدام الله عزها مع يعيش الحياط بن احمد الغرناطى ، على حرية أسيرتها أم الهدى الجلياقية ، بمائتين مثقال قنشية وثمانية مثاقيل ونصف ، صرف خمسة عشر ديناراً كل مثقال ، ليعيش يعيش المذكور بأم الهدى المذكورة ، ويتخذها زوجته ، ويخدمان بطليطلة فى الذى يليق بهما دون رقيب عليهما ولا ثقاف ، ويأخذان لأنفسهما فائدهما وعائدهما قل أم كثر ، ويؤديان الفدية المذكورة ، وذلك مثقالين اثنين كل شهر ، (إلى أن يقول) وإن لم يتكمل لها ذلك بتمام الشهر الثالث ، حاشا مرض بين يمنعها عن الخدمة ، أو هرباً جيماً أو خالطاً قوماً سوا ، أو باتاً بخارج طليطلة بغير أمرها ، أو شرب يعيش المذكور خمر^(١) ، يخسران ما يتقدم لهما مدفوعاً ، وترجع أم الهدى للأسر كما كانت أولاً ، ويؤدى يعيش الفدية على التنجيم ، وإن عجز عن التأدية فقد فوّض للجليلة دونه قلنبة التقبض على جسمه ، ولا تسرحه إلا إذا أنصفها ، وعليه أن يهدى لها فى كل عيد من ثلاثة أعيادها هدية ، دون عذر ولا تأخير ، وأن يخيط لها^(٢) بدون أجره لنفسها خاصة دون غيرها . وتاريخ هذا الصك ديجمبر عام ثلاثة وتسعين ومائتين وألف .

(١) من النكت اللذيذة ان هذه الدونة النصرانية تشترط على رقيقها يعيش المسلم ان لا يشرب خمرًا وان شرب يرد الى الاسر
(٢) لأنه خياط كما تقدم

ثم ضمن يعيش المذكور على بن على الفبري بخمسة مشاقيل ، و ابراهيم بن يحيى خمسة مشاقيل ، وزينب ابنة الحاج خمسة مشاقيل ، وقاسم بن احمد الحضرمى الاشبلى خمسة مشاقيل ، ولب بن نصر القزاز خمسة مشاقيل ، وابنة سليمان التى كانت لابن يعيش خمسة مشاقيل ، وميمونة ابنة يحيى اللمطى خمسة مشاقيل ، وابنة عبد الحق الانصارى من مجريط^(١) خمسة مشاقيل ، وفاطمة ابنة احمد الانصارى من وبدة^(٢) خمسة مشاقيل وابن مفرّج من مرشانة^(٣) مقاطع^(٤) ابى يوسف يعقوب البرجلونى اربعة مشاقيل ومحمد ابن احمد بن غرغل الخياط مقاطع اسحق الشترينى خمسة مشاقيل ومحمد عبد الرحمن الصفار مقاطع ربي بن قفاجة ثلاثة مشاقيل ، ويوسف ابن حسن الغمارى القزاز مقاطع روبس بن دون روى ثلاثة مشاقيل ، وعلى بن يوسف البهلى ثلاثة مشاقيل ، وفاطمة ابنة محمد مقاطعة امشايجة الحكيم اربعة مشاقيل ، و ابراهيم ابن مالك القران مقاطع ربي قسيم السوفر خمسة مشاقيل ، و ابراهيم بن عمر الاتبيلى مقاطع ابى اسحق بن الصباغ مشقاين ، وحسين الصباغ بن على الاتبيلى مة طع ابى الربيع بن صدوق مشقاين . فضمن المذكورون ما ذكر عنهم فى يعيش المذكور لسيدته المذكورة ، وذلك على شرط انه إن يهرب يعيش فى طى القطيع فوجه^(٥) ولم يحضروه لها فمابهم غره ما ضمنوه فيه لها .

وهناك صك مقاطعة لراهبة بدير شنت قدمت لمملوكتها فطيمة بنت عمر على النحو المتقدم .

ومما يستجاب المظر ، ويطام به القارى . على اصطلاحات الانصارى فى ما يكتبونه بالعرية فى ذلك الوقت هذا الصك :

كتاب معاوضة صحيحة تكيفت باسم الله تعالى وحسن عونه بين الكمندتور^(٦)

(١) Madrid (٢) Ubda ويقال لها ابدة أيضاً

(٣) Marcina (٤) مقاطع اى مكانب بالفتح

(٥) اى اعلاه (٦) Comanador

دون جيل الذي هو الآن كندتور دار شنت ياقب^(١) للاصبيطال^(٢) ، وعلى حبوسات
الرتبة الافرايرية^(٣) بها وبين الابطيشة الجليلة دون سيسيلية التي على دير شنت
قلنت أنماهم الله النخ .

ولما كان اليهود في كل مكان وكل زمان يتعاملون بالدين ، ففي هذه المجموعة
صور مئات من السندات المالية أكثرها لهم نذكر منها بعض أمثلة : للأمين أبي الحسن
زيزه بن ربي بن أبي يوسف أعزه الله ، قبل دون بطرو البرقنطى ، وقبل زوجه لجه
وفي مالهما ودمتهما ، وعلى جميع أملاكهما وأحوالهما كلها حيث كانت وعلمت لهما
ديننا لازما وحقا واجبا ، سبعة مثاقيل ونصف ذهباً قنشيأ النخ

ومثال آخر : لأبي سرور فرج بن أبي عمران مرال الاسرائيلي ، قبل دون غرسيه
غليالم شبرين القننق^(٤) دون غرسيه الذي كان من قاعدة شنته مريه وهو بعل
مريه لنبرت^(٥) من ر بـض الافرنج ديننا لازما اثني عشر مثقالا وثمان فونشيه لانصافه
من ذلك شهرين اثنين تاريخ هذا الكتاب ، وداخل ضامن غارم عنه في ذلك الدون
ديمنقه انطالين الباطير بن دون انطالين ، من ر بـض الأفرنج ، وإن كانت قلمية في ذلك
فيكون عليهما على مالهما ، في تاسع يوم من شهر مارس سنة تسع وخمسين ومائتين
للاصفر اه . وتحت الشهود

ومثال آخر : لأبي عمر بن الشيخ أبي سليمان بن أبي عمر بن نحميش الاسرائيلي
قبل الوزير دون بيطروه يواش ، وقبل زوجه الجليلة دونه طريشة^(٦) بنت الوزير
القاضي دون جوان بونش أعزها الله ، واجب خمسون مثقالا فونشيأ لينصفاه دينه

(١) Santiago (٢) Hospital

(٣) الرهبان وفي المغرب يقولون لهم افرايريلية وهي محرفة عن افرايرية واصل
معناها الاخوان

(٤) Canonigos في الترجمة الاسبانيولية

(٥) Lonbert (٦) Thérèse

يوم فصيح شنت ميقاتيل الآتي لتاريخه ، وإن مجزوا عن انصافه إذ ذلك يفرّما له قوط رباعى كل يوم يجوز بعد الأمد المذكور ، وإن طلبا منه يميّز يفرّما له قوط خمسة مثاقيل ، و بظهور هذا الكتاب و بعد فسرّه عليهما فى رابع وعشرين ابريل عام ستة وثمانين ومائتين وألف للصفر اه . ثم الشهود

وفى هذه المجموعة صكوك من أنواع متعددة ، منها وصايا ، ومنهارهون ومنها مصالحات ، ومنها صكوك شركات ، ومنها مزارعات ، وما أشبه ذلك . لنذكر منها صك مزارعة على سبيل المثال ، وهو هذا :

أنزل القس ماير ديمنقه المستعربى من كنيسة شنت مارتين ليوان فرنندس فى الأرض المعلومة له بحومة جبل حمارة ، عمل طليطلة حرسها الله ، حدها فى الشرق غرس بيطرو مرتينس ، وفى الغرب أرض بيضا ، وفى القبلة رأس جبل حمارة المذكور ، وفى الجوف غرس غنصالبه الجزّار ، فى أرض القس المذكور بالمنصفة ، وذلك بشرط يأتى ذكره بعد هذا ، ليفترسها يوان المذكور بقضيب الزرجون ، ويعتمر بالزبر والحفر والثنا فى كل عام ، مدة خمسة أعوام ، أولها تاريخ هذا الكتاب الأعوام المذكور ينقسم الغرس على ثلاثة أثلاث ، يأخذ صاحب الأرض الثلث الواحد يأخذه الخيار فى أحد الجانبين ، والمغترس الثلثين متصاين عن اغتراسه واعتماره . فى أول شهر مارس من سبعة وتسعين ومائة وألف من تاريخ الصفر اه .

وهذا الاصطلاح بقولهم « انزل » فلان لفلان فى الأرض العلانية على شرط كذا وكذا مستفيض فى هذه الصكوك

ومن غريب هذه الصكوك صك ما يتضمن استرهان الأسارى والتعامل بهم كأنهم من جملة الأموال : أشهد دون مرتين فرنندس القرمادى بن دون فرنندو القرمادى وقعهما الله على نفسه شاهداً آخر هذا الكتاب أنه قبض الآن من أبى الحسن بن يامن بن أبى اسحاق البرجلونى الاسرائيلى أعزه الله الثلاثة اسارى الذين استرهنهم لدونه أورابونه زوج فيدلقه عن دينه المترتب له قبلها ، وهم الأسارى

سليمان الذي كان لدون ميكايل خريش ، وعبد الله اللوشى الكوسيج^(١) ، ويوسف الغازى الصغير ، الذين قيمتهم خمسون مثقالاً فونشياً ، صرفاً طيباً ، وصارت عنده الأسارى المذكورين . وفى ملكه ، وعلى شرط وربط أن يصرفهم لأبى الحسن بن يامن المذكور ، متى ما يطالبه بهم . ويدوم أخذهم منه على كل حال من الأحوال ، وإن عجز عن احضارهم له عند ما يطالبه بهم فليغرم له قيمتهم الحسين مثقالاً . سادس عشر أو كطوبر عام ثمانية وسبعين ومائتين وألف للصفر . ثم الشهود اه .

ومن الصكوك المتعلقة بأسارى المسلمين ما يأتى :

ضمن للأبداسة^(٢) الجلييلة دونه لوقاديه فرنندس التى على راهبات دير شنت قلعت ، ادام الله كرامتها وجه أسيرها احمد بن يوسف الرحوى الأسمر من يوسف والد المضمون أحمد المذكور ومريم ابنة محمد زوجة يوسف والدة أحمد المضمون ويوسف بن محمد المعروف الشقيق ، ضمان وجه واحضار ، على شرط أن يمضى أحد المضمون المذكور مسرّحاً من الثقف من الآن تمام أربعة أعوام . فان هرب فى طى الأعوام المذكورة ولم يحضروه لسيدته المذكورة على الحلول من هروبه ، فعلى الضمان المذكورين غرم مئة مثقال قنشية ، صرف كل مثقال منها خمسة عشر ديناراً ، وعلى المضمون المذكور أن يعطى لسيدته الابطيشة المذكورة فى كل شهر طول

(١) الكوسج بفتح السين الذى لحيته على ذقه لا على عارضيه وهى لفظة فارسية وهو فى العربى الأئط ولقد كتبوها هنا بياء وهو خطأ ولكن الأندلسيين كانوا يتكلمون بالأمالة ويقولون للحكم مثلاً ، الحكم ، بالكسر وللإمام الأوزاعى الإمام والأوزيى ، ويقولون دسنه ، بكسر السين والتون بدلا من دسنه ، بفتحهما ولفظهم هذا أشبه بلفظنا نحن فى بر الشام ويقولون دزمان ، بكسر أوله ويقولون دفرقد ، بكسر القاف ويقولون دكتيب ، أى دكتاب ، ويقولون دبرى ، بكسر الباء بدلا من دبرى ، بالفتح ويقولون دخمسية ، كما نقول نحن فى سورية لا خمسمية وهلم جرا

(٢) بالترجمة الاسبانيولى Abadasa ولعلها الابطيشة التى مر ذكرها أو تقرب

منها ومعناها ظاهر وهو الراهبة الكبرى

الأربعة الأعوام المذكورة مثقالاً واحداً ، شهراً بعد آخر إلى تمام الأربعة أعوام ، دون مطل ولا تسوية بوجه ، وفي الشهر الذي يعجز المضمون المذكور عن أداء المشاهرة المذكورة فعلى الضمان المذكورين إحضاره لسيدته المذكورة أو يقرّموها المشاهرة المذكورة ، وإن عجزوا عن غرم المائة مثقال المذكورة أو عن المشاهرة المذكورة ، فقد فوضوا له وللمستظهر بهذا الرسم التقبض عليهم وتثقيفهم في ثقافها ، ولا تسرحهم منه إلا إذا أنصفوها من الضمان المذكورين من الجائز عليهم من المشاهرة المذكورة ، دون أمر حاكم بوجه من الوجوه . في العشر الاوسط من شهر ديجمبر سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف للصفر . والشهود : محمد بن عبد الرحمن ابن محمد ، وعلى بن يحيى بن محمد الانصارى

ومثله صك تضمن به عائشة ابنة احمد السكونى ، زوج داود الأسمر بن سايان ، أسير دون غنصالبه الفونش بن دون الفونش بيطروس سرباش^(١) وذلك زوجها المذكور داود ، ضمان وجه واحضار ، على شرط أن يتشى الاسير داود ويتصرف في أشغال سيده ، حين يأمره بالحاضرة والبادية ، فان هرب ولم تحضره زوجته فقد فوضت له التقبض عليها ، وتثقيفها في ثقافه بدون أمر حاكم . وتاريخ هذا الصك الخامس والعشرون من شهر يونيو من عام خمسة وعشرين وثلاثمائة وألف للصفر ، وشهوده احمد بن محمد بن احمد الأنصارى ومحمد بن عبد الرحمن بن محمد

ومثله ضمان نزهة بنت سعيد الأورىولى^(٢) ، ووالدتها عايشة بنت سعيد الحداد من لورقة^(٣) . وجه زوجها احمد الحداد بن على ، نحو سيده دون غنصالبه الذى مر ذكره ، ضمان وجه وإحضار . وإن هرب المضمون فتقرّم نزهة وعائشة خمسمائة مثقال من البيض . وتاريخ هذا الصك حادى عشر يونيو عام خمسة وثلاثين وثلاثمائة

Servatus (١)

(٢) نسبة الى اوريولة Orihoala

Lorca (٣)

وألف ، وشهوده : علي بن أحمد بن حسن بن عبد الله الأنصارى وعلي بن قاسم بن علي بن الصيقل الأنصارى^(١)

ومثله :

اعترفت شمسى^(٢) بنت لب الفخار المعروف الغزيل^(٣) وبنت عائشة المعروفة الروية اعترافا صادقا أنها تضمنت وجه زوجها شعيب الرحوى بن محمد المعروف بالمطيرش وحفيد غالب السمار نحو المطران الأعز الأكرم دون غتار غومس^(٤) ضمان وجه واحضار على النمط الذى تقدم ، وتاريخ هذا الصك الخامس والعشرون من شهر ابريل عام ثلاثة وخمسين وثلاثمائة وألف ، وشهوده : أحمد بن علي بن محمد ، ويوسف ابن قاسم بن يوسف الأنصارى وابراهيم بن أحمد بن ابراهيم .
وهنا صك وقف يجدر بالنظر :

وقف الدياقن مرتين من كنيسة شنت مرية أم النور بطليطلة حرسها الله ، في مجاس القضاء أنماه الله بالدوام ، بين يدى الوزير القائد عمران ، وقفه الله ، عن تقدم الوزير الجليل القاضى الأعلى ، أبى الحسن حاتم ابن حاتم ، أدام الله توفيقه وتسديده وذكر ان الشنيور يوان رودميروس فى أيام حكمه الحضرة المذكورة ، أمر لشانجة قزلون بدار بحومة القاعدة المذكورة ، وحازها وسكن فيها ، إلى مدة وفاته ، فى خدمة الساطان واستظهر بعقد بذلك ، فأعذر إلى الدياقن المذكور ليستظهر بكتاب من

- (١) يكثر ذكر « الأنصارى » فى عرب طليطلة وهو يؤيد ما روى من كون أكثر قبائل الاوس والخزرج لأول فتح الأندلس نزلت فى طليطلة ونواحيها
(٢) يلزم أن تكون « شمس » ولكن الأندلسيين يتكلمون بالامالة كما قلنا فالكتاب كتب الاسم بحسب ما كان يلفظ عندهم وقال « شمسى » والآن فى سورية يلفظون « شمس » كأنها « شمسى » الا فى أما كن معلومة لا يتكلم أهلها بالامالة
(٣) حقها ان تكون « الغزال » ولكن الامالة الأندلسية جعلتها « الغزيل » وفى

الترجمة الأسبانية Algazil

Gitierre Gomez (٤)

الشنيور المذكور ، إذ لا مقنع في العقد ، فرغب الى الوزيرين الجليلين القاضي الأعلى أبي الحسن حاتم ، وصاحب المدينة زيد بن حارث ^(١) . أعزهما الله ، ليتفضلا عليه بخطاب منهما ومن القونشلى ^(٢) أبقاهم الله ، إلى الشنيور المذكور . فأدنى له بذلك ، ثم بعد ذلك أحضر الدياقن عند من وقفه الله مرتين ^(٣) الناظر ، وبيطره ناغروه ^(٤) وبرمندة بلايس وبيطره بلايس ^(٥) ، وخاف بن رزق ، وعبد الله بن ماضى وشهدوا عنده في مجلس نظره ، وبحضر من الحاكم مرتين غريس ، انهم أشهدهم الشنيور يوان رودميروس وبأيديهم خطاب لطينى ^(٦) الى الوزير الجليل القاضي الأعلى أبي الحسن حاتم ، والوزير الجليل صاحب المدينة أبي زيد بن حارث ، أعزهما الله في الدارين ، اللتين قلت لى أنا أعطيت الواحدة لشاحبة ، والأخرى لميقيبيل ، فثبت عندهما . وفقهما الله ، ذلك وأمضياه ، وأنزلا الدياقن المذكور في الدار . وتاريخ هذا الصك شهر مايو سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف لتاريخ الصفر . ومنه يعلم أنه في ذلك التاريخ أى بعد أخذ الاسبانيول لطيطلة بنحو من مائة وسبعين سنة كان يوجد فيها قضاة من العرب أو المستعربين ، وكان صاحب المدينة أيضاً منهم .

ومن الصكوك التى استرعت نظرنا حكم يتعلق بصداقات الامبراطور الاذفونش السادس جاء فيه :

فلما وقف الوزير القاضي المذكور مع من ينزل اسمه أسفل هذا ، من أهل الشورى مع اسمه أدام الله عز جميعهم ، على جميع ما تقدم ذكرهم ، من احتجاجها ، وعلم ما استظهر به كل واحد منهما ، من فوائد وأصول ما بيده ظهر لهم دام عزهم أن الامبراطور قدس الله روحه تصدق بما كان له في القرية المذكورة على الدير المذكور

(١) كان العرب يسمون والى البلدة من قبل السلطان بصاحب المدينة

(٢) فى النص الاسباني Concilio

(٣) Martin (٤) Negro (٥) Pelayz

(٦) أى لاتينى العبارة

(إلى أن يقول) ولما يعلم علماً صحيحاً أن أغلب قرى مدينة طليطلة حرسها الله لم تصر لأربابها المالكين الآن لها إلا بعتية . . . أو بعتية من تقدمه من سلفه الشريف الكريم رضى الله عنهم جميعهم دام عزمهم ، أن يحملوا القرية المذكورة محمل غيرها من القرى المعطاة من عندهم ، رضى الله عنهم فأوجبوا حكماً منهم من السنة للدير المذكور لتكون له مالا وملكاً على مقتضى السك العزيز المؤرخ المذكور ، وكل استدعاء استظهر به المتكلم عن ورثة عبد الملك بن هارون رحمه الله وأكرمهم اسقطوها لوجوه كثيرة اهـ . وفى الآخر يقول : وفى الأصل الذي انتسخت هذه النسخة منه أسماء الأحكام أهل الشورى الذين حضروا الحكم المذكور وأمضوه أعز الله جميعهم . بخط عجمي : اغوغنصالبة^(١) أرسبيسبو طولاطانة برماط اسبانية^(٢) و بخط عجمي : اغوديمنش ارجيديا قنش مجريط . و بخط عجمي : اغوجرنانش برشتر طولطانش كونفورم^(٣) . و بخط أعجمي : اغوبطروش ديس القائد كونفورم . و بخط عربى : سلمون بن على ابن وعيد . وخير بن سلمون بن على بن وعيد . وخالد بن سليمان بن غض بن شربند و بخط عربى : انا فاحتش الأسقف لسكورة لبلة^(٤) خيرها الله ، ويوشاب الارجقش ابن منصور حفر ذلك . ويوشتبش القس بن عبد الملك و باطره بن عمر بن غالب ابن القلاس . اشتابن بن يليانس .

انتهت النسخة وذلك فى شهر ابريل عام اربعة وعشرين ومائتين وألف للصفر .
عمر بن عبد الرحمن ، ويوسف بن عبد العزيز ، ومرتين بن حسن
ابن عبد العزيز الخ .

ويوجد جم من الاحكام على هذا النسق ويظهر ان ملكتهم فى العربية

(١) Ego أى أنا

(٢) اسقف اسبانية الأعظم

(٣) Conforme أى مطابق

(٤) Niebla

أخذت تضعف بمرور الأيام فتجد صكوكا وأحكاماً كثيرة ملأى من الخطأ واللعن مثلاً :

كانت قرية دار الخازن من قرى الحاضرة طليطلة حرسها الله من إمام المسلمين معطلة الناعورة ومشرعها واقفة ، فوق اتفاق أهل القرية المذكورة من المدرجين^(١) ليعمروها ، وإقامة ما وهى منها ، وتجديد ما عهد لها ، وكان بها حبسان أرض بيضا للكنيسة شنت لقادية الخارجة عن الحاضرة المذكورة ، وشتت مرتين بها عرض المدرجون واللايقون على الخدام بالكنيستين المذكورتين ، عرضهم فى إقامة الناعورة وتجديد ما وهى منها ، فادعوا عندهم بقلة ذات اليد من أنفسهم ، ومن رسوم الكنيستين ، فرأى المتقدمون بالذكر اعراض ذلك ثانية على المطران الفاضل ديمنه برننده ، كفيل البيعة المقدسة أدام الله توفيقه وتسديده لما إليه تفويض الحبسان ، والنظر من الديارات ، وانه رأس الامامة بالتماعدة شنت مرية ، أم النور بالحاضرة طليطلة أدام الله حماها فظهر إليه ومن حضر قعدودته^(٢) من أئمة النظر فى ذلك ، وأمر العالى أمره أن يعطى هذين الحبسين لمن يعتمرها باسم المساقاة إلى مدة الخ وهذا كتاب صلح :

هذا كتاب وقع الاصطلاح عليه ، وجرى الاقتصار اليه ، ما بين هند بنت جبران وبنى أخيها الوزير ماير تمام رحمه الله غرسيه وأولياليه ومريه ، على ما يأتى ذكره بعد هذا ، وذلك أن يعطى غرسيه لهند عمته المذكورة جميع حصته فى جنان أبيه المخلف له ولأخته المذكورين المعروف بهمد المسلمين بجنة الحنشى ، برىض طليطلة وبحومة مرج القاضى الخ .

- (١) تتكرر كثيراً فى هذه الصكوك لفظة المدرج ، و المدرجين ، وفى الترجمة الأسبانية التى بازاء الأصل العربى تفسر بلفظة Racionero
- (٢) هكذا وجدنا هذه اللفظة والاشبه أن تكون محرفة وأن تكون قعودته ، فالقعوده هى المجلس وأما القعدودة فلم نجدها

ومن الوثائق التي اطلعنا عليها عقود أنكحة كالذي يلي :

كتاب إيجاب واختطاب ، وعقد نكاح وارتباط ، أمر بمقده والاشهاد على نفسه بجميع ما فيه دون ديمنقه بيطريس حين مراقة^(١) الخاتمين ، وبدل العربانين^(٢) بعد تقديسهما بينه وبين دونه لوقادية التي كانت زوجاً لدون رودريقه دمرسيه عن بنتهما دونه يوشته البكر التي في حجرها ، وتحت ولاية نطقها ، لتكون دونه يوشته المذكورة لهذا دون ديمنقه بيطريس المذكور زوجاً سنية ، وصاحبة مرضية ، كالذي توجهه الشريعة المنتوليقية ، وتحط عليه الديانة الحوارية ، وعلى أن هذا دون ديمنه بيطرس المذكور أوجب لخطيبته المذكور عن الأزدواج بها يمين الله مهرأ لها عشر جميع ماله أثاناً وعقاراً ، حيث كان ، وابن علم ، وعلى أن ينقدها أيضاً عند الابتناء بها هدية موهوبه لها . وذلك خلدي^(٣) ، وفنك^(٤) ، ورداء ، وقناع ، وخف ، وجورب ، تفعل في جميعه بحول الله عند ذلك ما واقفها كفعل ذى المال في ماله ، وجميع ما يكتسبها الخطيبان المذكوران من وقت ازدواجهما فانه يكون بينهما سوية بالمناصفة والاعتدال إن شاء الله ، والتزم الخطيب المذكور احضار الهدية المتقدمة الذكر ، والانفاذ بها لخطيبته المذكورة ، عند الابتناء بها يمين الله وتوفيقه . والتزم المتماهران المذكوران أيضاً إكمال ذلك كله بحول الله بعد أن قبض كل واحد من

(١) المراهقة المقاربة

(٢) العربان والعربون بضم أولهما والعربون بفتح الأول والثاني هو ما عقد به المبايعه من الثمن أو هو ان يعطى المشتري شيئاً من الثمن أو المستأجر شيئاً من الاجار ثم يقول ان تم العقد احتسبنا وان لم يتم فما أخذته هو لك . ونحن في الشام نقول العربون والعامه تقلبه فنقول الرعبون . ويظهر ان الاندلسيين استعملوا العربان وهو صحيح فصيح ومن العادة في الزواج عند النصارى ان يتعاطى العروسان الخواتم والعربون أو العربان وهذا قبل البناء

(٣) في النص الاسبانيولى Unos Pendientes

(٤) في النص الاسبانيولى Una Alfanega colcha

الخطيبين خاتم ثابتة عرباناً لما وقع الاتفاق عليه ، والارتباط إليه ، بتأييد الله ، مما ذكر فوق هذا ، بعد المعرفة منهما بقدر ما ارتبط اليه المتماهرين المذكورين ، على سنة النصارى في ازدواجهم الجياز عندهم ، بعد أن أعلنت الدونه يوشة المذكورة بذلك كله ، ورضيت به ، وأشهدته أيضاً به على نفسها ، وذلك في اليوم الرابع والعشرين من شهر مارس سنة ثلاثة وعشرين ومائتين وألف للصفر ، ووقع الاشهاد اليوم الخامس والعشرين من الشهر المذكور .

ومن الوثائق التي يستدل منها على رسوخ الثقافة العربية في طليطلة صك وصية للقس ماير^(١) عبد العزيز بن سهيل يقول فيه :

لما مرض القس ماير عبد العزيز بن سهيل رحمه الله المرض الذي توفي منه أمر يكتب وصيته وإفاد متضمنها على أيدي النايه^(٢) القس وماير قرشتبول من شنت مرتين ، ويحيى بن عبد الكريم ونسخة الوصية كذا :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوصى به القس ماير عبد العزيز بن سهيل ، وهو بحال الصحة والجواز والطواعية ، مؤمن بالأب والابن والروح القدس إله واحد ، وبالشملة^(٣) الذي هو وثيقة الايمان وبالأناجيل الأربعة ، وبما أمر به الحواريون ، والآباء المقدسون ، فأوصى إن حدث به حدث الموت أن يعطى للوفادية الساكنة معه ، والحادمة له ، جبل الغرس الذي عند الطريق ، بدار الخازن ، وثالث الزرع ، وسبعة مثاقيل مرابطية عن دويرة كذا (إلى أن يقول) : وما يبقى يعطى عن روحه لقسيسين أو ثلاثة من أصحابه عن أربعين مئة ، وما بقي يعطى للمساكين ، وعن لبان للكنائس ، وكرم الغندري يكون باقياً في أيدي الأوصياء وما قام فيه يخرج منه بما يُخدم . وما قاض يكون منه خمسين ربماً والغير يكون منه الثاثل في زيت ولبان وحطب ، والثاثل

الثاني للأسرى ، والثالث للمساكين . وجعل هذه الوصية والعمل بها إلى يحيى قرمانه ، والقس دون قرشتوبل ، والقس النايه . ليكلوا ذلك حسب ماوصفه . ومن مات منهم يترك من يقوم مقامه عن خدمة الكرم . وكتب في يوم الثلاثة الثامن من شهر ديجمبر من عام ثلاثة وستين ومئة وألف . فأنفذ الأوصياء جميع ما أمر به في هذه الوصية ، وما أمر به في الكرم المعلوم له بدار الخازن . وقد يفسر فيها . فلما بقي الكرم بأيدي الأوصياء مدة ثلاثة أعوام ، واعتمروه عمارة جيدة ، لم يكن فيه فائد للشرائع والأسرى والمساكين ، حسب ما كان ظنه الموصى رحمه الله واعتقده فيه ، فلما صح عند الوزير القاضي أبي الاصبح بن لنبطار^(١) وفقه الله ، قلة فائدته ، وأنه على غير ماظنه الموصى فاعتقده فيه ، أخذ في ذلك مع من وجب الأخذ معه فيه ، من كبار مدينة طليطلة من المدرّجين والمستعربين والقشتيليين ، فرأى الوزير القاضي المذكور معهم أحباس الكرم المذكور على قاعدة شنته مرية ، بحضرة طليطلة ، أدخلنا الله في شفاعتها ، لما ظهر إليهم من قلة الفائدة العائد إليها ، وكثرة مؤنها بعد رغبة جميعهم إلى الأوصياء ، والتحامل عليهم في ذلك ، فاسمعوا الرغبة ، وصح احباس الكرم المذكور ، على القاعدة المذكورة عن شرط على أهل القاعدة ، أن يكون اسم القس ماير عبد العزيز بن منصور رحمه الله في جملة أسماء القوتقين المتوفين بالقاعدة المذكورة حسب رتبهم وسيرهم الخ ، وتاريخ هذه الوصية مع حكم القاضي شهر يوليو من سنة سبع وستين ومئة وألف . وبعد ذلك الشهود منهم من هو وضع شهادته بالعربي ومنهم من هو واضع شهادته بالأسباني وهذه وصية ثانية :

هذا ما أوصى به وعهد بتنفيذه ، حسب ما يأتي الذكر فيه الوزير القاضي دومنقه انطولين ، أعزه الله وهو عليل في جسمه وثابت في عقله وذهنه مؤمن بالأب

والابن والروح القدس الله واحد ، ومعتقد بما بشر به الحواريون ، ووصفه الأنبياء المختارون ، خشية الموت ، وحلول القوت ، الذي لا بد منه ، ولا يحصى لأحد خلق الله عنه ، فأول ما أمر به شفاه الله أن يمثل بعد عينه إن توفاه الله تعالى ، أن يزين على أقباره حين دفنه ، ومدة الثلاثة أيام بجميع أئمة البلد من أهل الكنائس بعد اندابهم بمن حف بهم من أساقفة ومدرجين ، على حسب رتبهم ، وإن كان المطران حاضراً فيندب ، وله الأجر والثواب إن يحضر ويزين مع من حضر مدة الثلاثة أيام المذكورة ، و بعد الثلاثة أيام فليستمر مدرجين كنيسة شنته لوفاضية ، التي داخل المدينة بالتزيين إلى تمام تسعة أيام . وأمر أن يعطى المطران الأهل أكرمه الله خمسة مثاقيل ، وللأسقف دومنه يوانس المرشاشي مثقال وللأسقف دومنه فلقيس مثقال فينا الخ ، و بعد أن عدد جميع ما أراد الإيضاء به بالتدقيق من عقار ولباس وطعام ومال صامت وناطق ، ذكر بأن يخرج جميع ما ذكر من ثمن غنمه وبقره ودوابه ، ورماكه وخنازيره ، ومن مائتاتى ومن الكس الصغير الفضة ، وأمر أن يعطى ليوان مستعرب الكاب ، وما يبقى بعد هذا كله يكون لأخته دونه مريه وبنتها

وفي وصية أخرى للمسيمة دونه لوقادية بنت يوانش ، بعد ذكر الديباجة المصطلح عليها في أول الوصايا ، وذكر جميع ما أرادت توزيعه على الكنائس والقسوس والصواحبات تقول : وأمرت أن تكون الأسيرة عائشة التي لها فيه النصف تُرد نصرانية إن هي شاءت وتنصف دون غرشييه عن نصفيته من ثمنها بما اشتريت ، والنصفية خمسة مثاقيل من ماها ، وتكون حرة من أحرار النصارى فيما لهم وعليهم ، تصير حيث تشاء وتهوى ، بعد أن تخدم لدون غرسية عام واحد لاغير .

وقرأت في وصية أخرى من دونه قرشتينة بنت اندراش بعد الإيضاء للكنائس وللقسيسين وللأصحاب ولذوى القرابة مايلي :

وعهدت الموصية المذكورة في أسيرتها مريم زوج عبد الله القزاز ، أن تكون حرة من أحرار المسلمين في ما لهم وعليهم ، عن عشرة مثاقيل ذهباً قنشياً ، كانت

الموصية المذكورة قد قبضتها باعترافها من عبد الله القزار زوجها المذكور . ولذلك
انقطع عن مريم المذكورة جبل الرق ، فتملك مريم المذكورة نفسها ، تنهض حيث
تشاء الخ .

وفي أكثر هذه الوصايا يذكر شيء من المال لفكك أسرى النصارى ، فقد
كانت الحالة عندهم كما عند المسلمين ، فأصحاب الخير والاحسان ، ولا سيما النساء من
المسلمين ، كانوا يوصون بجانب من أموالهم لفكك أسرى المسلمين في بلاد النصارى
وكذلك أهل الخير من النصارى ، ولا سيما النساء ، كانوا يوصون بشطر من أموالهم
لفكك أسرى النصارى في بلاد المسلمين . قرأت في وصية للمسمى دون رودريغو
شلبطورس بن دون شلبطور بن الوزير دون يوان ميغاليس مايلي :

أمر أن يزين عليه في كفنه ، وأيام زيارة قبره ، ودفنه ، في جميع ما احتاج إليه
بما يقوم في ذلك ويليق بمثله ، ويكون دفنه في قبر والده دون شلبطور المذكور ،
بالقاعدة شنته مريه ، وأمر للقانونيين بها عن دفنه بها ، وعن أن يذكره في
صلواتهم ، عشرين مثقالا . وأمر عن ميشات ^(١) عن روحه مفرقة على أئمة كنائس
الحضرة مئة مثقال ، وأمر عن فك أسارى النصارى العيال في أسر المسلمين خمسمائة
مثقال ، وأمر عن قبلانية ^(٢) بالقاعدة شنته مريه ثلاثمائة مثقال ، على شرط أن يقدس
ميشة كل يوم عن روحه ، لدى الدهر ، في هيكل من هياكل القاعدة المذكورة ،
ويضع انفشاريوه ^(٣) كل عام عن روحه قانونيين القاعدة المذكورة ، كما العوائد
وبذلك يصح لهم قبلانية ، يعنى الثلاثمائة مثقال المذكورة ، وأمر لمعلمه ومعرفة
القس دون شانبه ، من كنيسة شنت يوانس ، عشرة مثقالات ، على أن يقدس

(١) جمع ميشة وهى ما يقول له نصارى الشرق القداس

(٢) خدمة كنسية

(٣) هو ما نسميه بالحوول وبالافرنسية Anniversaire

مدى عام ميثات عن روحه . وفي آخر الوصية بعد ذكر الخيرات كلها يقول :
 وقيد فيه عن أمره على يدى والدته ، دونه ستى المذكورة ، ثقة منه بديانتها
 وحسن أمانتها ، أنها تفعل فى ذلك كله فعل من يعلم أن الله لا يخفى عليه خافية فى
 سماواته وأرضه ، والتاريخ شهر يونوه سنة تسع وأربعين ومائتين للصفر
 وفى وصية للدون ملندة فرندس ابن الوزير القاضى يقول : فأول ما أمر به
 أن يعطى لمعلمه القس جوان مثقالا واحداً ، ويحل عن روحه الفين ميشه ويخرج
 أيضاً من بلاد الاسلام أسير بالغ مبالغ بعشرين مثقالا .

وفى وصية للدون غنصالبه خل تاريخها شهر اوكتوبر سنة اثنين وسبعين ومائتين
 وألف . أمر متى توفاه الله ان يعلم ماله كله ، أصله ومتحركه ، أثاثاً وعقاراً ، دقه
 وجلده ، جامده ومتخاذه ، ويخرج منه عن خمسمائة مثقال فونشية ، وتبذل عن
 روحه ، الى أن يقول : ويعطى فى استفكك أسارى من بلاد الاسلام ستين مثقالا الخ
 وفى وصية للدون بطره شانجه من جماعة شنت رمان ، وصهر دون جوان اشتا
 ابن دى البقال ، يقول من حملة وصايا عدة : وأمر لرتبة افراير بن قلعة رباح مائة مثقال
 فونشية على شرط ان يدفنوه الافريير بن منها هنا بطليطاة بشنته فليج ، ويزينوا عليه
 كما لو كان افرايرى منهم ، وأمر بان يفك زوج نصارى اسيرين فى بلاد الاسلام بما
 يقوم فى ذلك

ومن أطول الوصايا التى اطلعنا عليها فى هذه المجموعة وصية للمسمى الدون الفونش^(١)
 متاوش بن دون متاوش بن دون ميغال بن فرون ، أمر بانه متى توفى يعلم ماله كله ،
 قليله وكثيره ، ويبذل عن روحه فى سبيل الله ، وأن يزين منه عليه فى دفنه وكفنه
 بما يليق لمثله ، ويكون كفنه من الصوف أرخص ما يوجد للشراء ، ويوقد عليه زوج
 قناديل ، يكون زيتهما ربع واحد فقط . وزوج قناديل أخرى صغار . توقد حيث

يكون جثمانه ، ودفنه يكون بكنيسة شنتة لوقادية ، بقبر جده ، ويزين عليه تمام الحسين يوماً ، وتمام العام ، وتكون القناديل لذلك مثل القناديل المذكورة ، ويقدم عليه مشيتين في كل يوم من يوم دفنه إلى السابع يوم ، ويفرق على المساكين في كل يوم طول السبعة أيام مثقال وأمر أن يبتاعوا أوصياؤه المذكورين بعد هذا ملكاً بمائتين أو ديار بمائة وثمانون مثقالاً ، وتحبسها زوجه دونه ميورى طول حياتها ويعمل من فائدها قبلانية عن روح الموصى المذكور تقديس ميشة واحدة في كل يوم للأبد ، وتعمل منه نفرشاريه ^(١) واحد عن روح الموصى في كل عام ، ثم أخذ في توزيع تركته على وراثيه ، وعلى من أراد أن يتصدق عليهم ، وعلى الكنائس والرهابين ، وحبس أملاكاً لوارثيه أن يستغلوها ، بدون أن يكون لهم حق بالبيع ، وجعل شرطاً كبيراً من ثروته لزوجه دونه ميورى ، وأيضاً الأماء الست اللاتي كن له ثم قال : والمسلمتين الباقيتين من مسلماتها تبقى لانصاف الوصية ، ولا يعترض أحد خلق الله لدونه ميورى ، والستة إماء المذكورات بوجه قال في هذه الوصية : وميز الموصى المذكور أن نبون المسلم والجعفر بن الجعفرين ، واراھيم الاحول والاسمر والاعرج المسمى دومنقه روبيوه وبكر ، انهم لزوجه دونه ميورى صارو لها باتراث عن أبيوها ولها أيضاً في خاصتها احمدوج السقا ، ابتاعته من مالها المختص بها وقاسم وعلى هما للموصى ولزوجه دونه ميورى ، الحظ الذي فيهما للموصى يباع ويبدل ثمنه في انصاف هذه الوصية ، وقطيع مريم وفتوش الباقي منه هو لدونه ميورى ، ويكون لها في خاصتها اه . نقلنا ذلك لأجل اطلاع القارىء على كيفية معاملة الاسبانيول لأسرى المسلمين ، وتاريخ هذه الوصية سادس مايو عام ستة وثلاثمائة للصفر .

ثم اطلعنا على وصية للدونه متاية ^(٢) زوج الدون غنصالبه البطاير سا كنه بر بوض الافرنج من طليطة نصها : بسم الله الرحمن الرحيم وله الحمد وحده . هذا ما أوصت

(١) Anniversaire بالافرنسية

(٢) Matia

به دونه متايه النخ وتاريخ هذه الوصية سادس ديجمبر عام عشرين وثلاثمائة وألف
للاصفر . وفي تاريخ ١١٩١ صك يقول فيه :

اشترى يحيى بن محمد الانصارى ، من دون غليان القس ، لزوجه هند بنت
عبد الرحمن ابن محمد ، جميع الحجرة التى بقرب كنيسة امنيوم شفتوروم ، بمدينة
طليطلة ، حرسها الله ، حد هذه الحجرة فى الشرق قرال لورثة ديمنقه اياس ، وفى الغرب
طريق فيه خرج الحجرة المذكورة ، واليه يشرع باسمها ، وفى الجوف دار ولد الشقية
المسلم ، وفى القبلة قرال لورثة ديمنقه اياس ، بثمان مبلغه عشرة مثاقيل من الذهب
الطيب البياضى النخ .

وفى آخر المجموعة سكوك ووثائق خاصة باليهود ، تجد منها سطرأ بالعبرية ،
وسطرأ آخر بالعبرية ، ولا حرم أن يهود طليطلة كان لهم شأن عظيم يستدل عليه من
كثرة الوثائق المتعلقة بهم ، ومنها سندات لا تحصى لهم على نبلاء النصرارى بأموال
وافرة . فقد كانوا هم المرابين فى تلك الحضرة ونواحياها ، وكان عددهم كبيراً ، ومن
شاهد كنيس اليهود ^(١) الذى شهدته أنا بنفسى فى مدينة طليطلة ، وهو الذى يعد
من أنفس فنانى الصنعة العربية ، ولا يذهب سائح إلى طليطلة إلا ويشاهده . علم

(١) الكنيس المذكور سى فى النصف الثانى من القرن الرابع عشر وقيل ان الوزير
صموئيل لاوى هو الذى قام بنفقة بنائه ، وكان فى طليطلة عدة كنس لليهود لكثرة
عددهم فيها وأحدها حوله الاسبان الى كنيسة باسم « صان رومان » ، اما ظن « توما
تامايو بركاث Toma Tamayo De Vargas ان كنيسة « صانتا مارية البيضاء »
أصلها كنيس لليهود وانه معبد قديم لهم وسابق لعهد النصرانية وانه كان فى طليطلة
جالية يهودية لعهد المسيح انهرد احبارها لعدم استحسان الحكم عليه الى غير ذلك فيترجح
كونه تخريصاً وأحاديث ملفقة وربما كان بعض اليهود اخترعوا تلك الرواية من بعد ،
رامين بها الى الزلزال الذى الاسبان يول بعد ان ملكوا البلد . وعلى كل حال فليس فى كنيسة
« صانتا مارية » المذكورة ادنى شبه مع هندسة معابد اليهود بل كلها طرز عربى بحث
ان كان فى أقواسها أو فى نقش حيطانها أو فى زليجها أو فى تقسيمها وقد بنيت فى القرن
الثالث عشر مكان جامع كان تداعى الى الخراب

مكانة اليهود المادية والمعنوية في تلك الحاضرة^(١) ، وكانت لهم أيضاً بجانبها مكانة علمية أدبية ، إذ نبغ منهم العلماء والادباء ، وكانوا هم أكثر القائمين بترجمة الكتب العربية إلى اللاتينية والاسبانية ، بحيث انه بواسطتهم انتشرت علوم العرب في أوربة في القرون الوسطى . ولذلك قيل ان أوربة لم تعرف علوم يونان رأساً ، وانما عرفت بواسطه العرب .

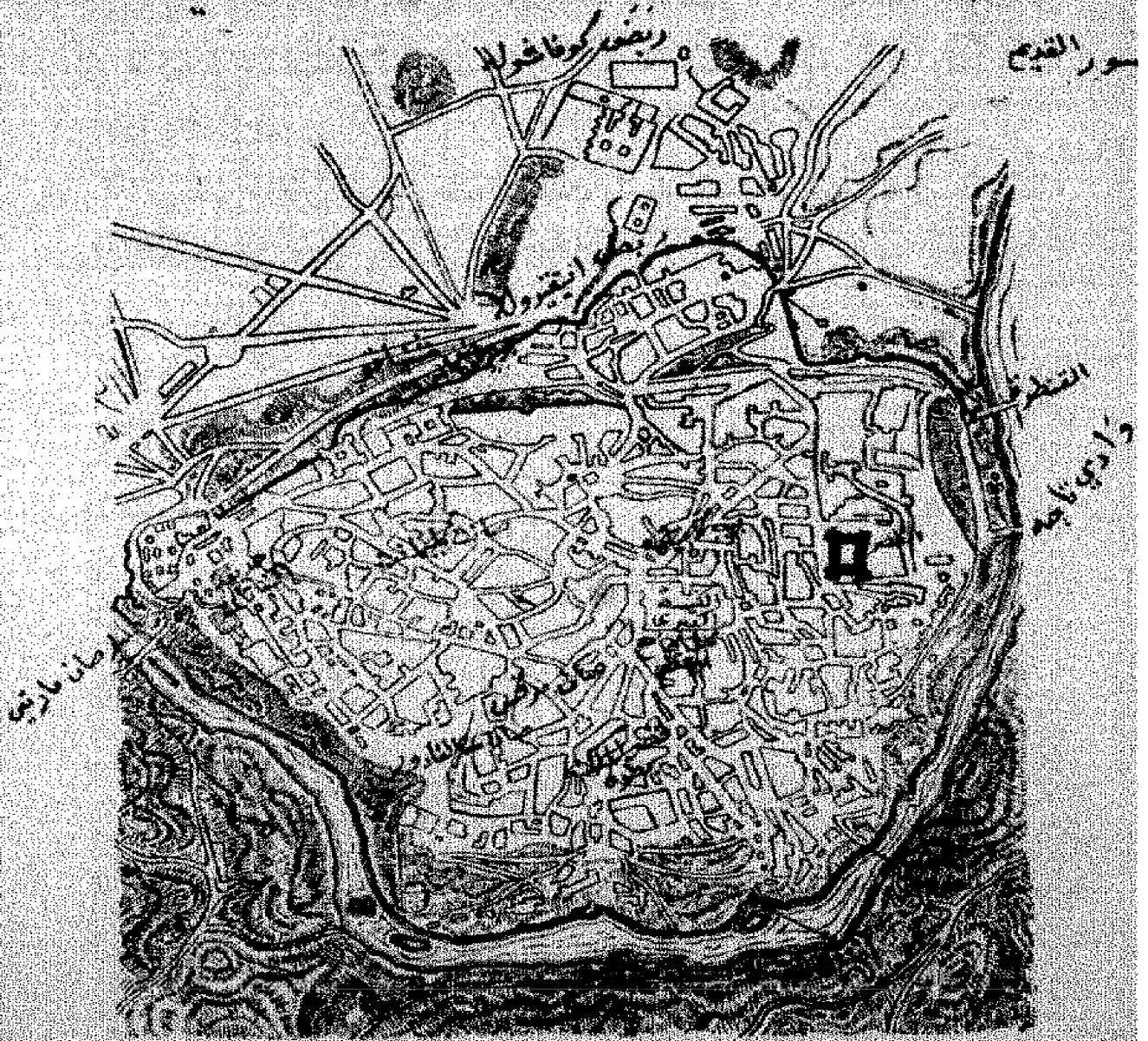
فلم يخطئ الذين قالوا ان طليطلة كانت واسطة التعارف بين الشرق والغرب ، وان العالمين الاسلامي والمسيحي قد تلاقيا فيها . وقال المسيو جوسه P. Jousset صاحب جغرافية أسبانية والمرتغال المصورة :

ان الرسوبات البشرية التي ثبتت في طليطلة ، قد جعلت من هذه المدينة متحفاً حقيقياً ، لا متحفاً كالمتاحف المعتادة ، التي يجمع أصحابها فيها الآثار النادرة ، جماعاً مصطنعاً حتى يأتي الناس ويطالعوا عليها ، ولكنه متحف حقيقي أوجده أعصر تباغ عشرين قرناً ، وكل منها ترك أثراً في طليطلة ومن زار أسبانية ولم يزُر طليطلة فيعود كانه لم يعرف أسبانية . فهي مدينة أصيلة ثابتة بارزة ، ليس فيها شيء من المعتاد المؤلف الذي ملته الأنفس ، بل كل ما فيها أصل جليل يهم الآثارى والمتفنن . وهي وحدها تستحق سياحة السائح الى أسبانية . ومدخلها قنطرة ذات قوس واحد على نهج تاجه . وعلى هذه القنطرة برج مكتوب عليه أن النهر طغى ، فهدم الجسر ، فرممه الاذفونش ، الملقب بالحكيم سنة ١٢٥٢ . ثم اكمل تجديده بريماط أسبانية المطران تينوريو Tenorio سنة ١٣٨٠

وكان هذا الجسر من زمان العرب ، بل يظن انه كان من قبلهم . وقد نقل « سلازار دو مندوسه » Salazar de Mendoza الكتابة العربية التي كانت

(١) وكان منهم عند ملوك الأسبانيول وزراء وكتاب ، وكان صموئيل لاوى ناظر الخزانة عند الطاغية بطرس الملقب بالصارم ، ونفذت كلمته عنده كثيرا وان كان قتله في الأخير

طليطلة



مزبورة على الحجر في هذا الجسر : الله اكبر والصلاة والسلام على جميع من آمن بالله ورسوله محمد ^(١) ونقل السكونت دوموراه de Mora كتابة أخرى مدفونة في باطن الجسر هي هذه : « بنى هذا الجسر بامر ملك طليطلة العظيم محمد سويد المجاشعي بطليطلة حرسها الله وانتهى سنة ٢٠٤ للهجرة » ^(٢)

وجاء في نفح الطيب : وطليطلة قاعدة ملك القوطيين ، وهي مطلة على نهر تاجه ، وعليه كانت القنطرة التي يعجز الواصفون عن وصفها ، وكانت على قوس واحدة ، تكنفه فرجتان من كل جانب ، وطول القنطرة ثلاثمائة باع ، وعرضها ثمانون باعاً . وخربت أيام الامير محمد ، لما عصى عليه أهلها ، فغزاهم ، واحتال في هدمها . قلنا : أما هذه القنطرة التي يعجز الواصفون عن وصفها فلا يمكن أن تكون القنطرة الحالية ، لأن هذه ليست بهذه العظمة التي ذكروها ، وان كانت جليلة في ذاتها . وهذه ذات قوس كبيرة واحدة ، مع أخرى صغيرة . وقد كانت القنطرة العربية في مكانها ، ولكن الوادي عند ما طغى ذهب بها ، فرمىها الاذفونش الملقب بالحكيم ^(٣) ثم ان تنوريو الأسقف الأعظم برماط أسبانية ، اكمل تجديد البناء كما مر

وعلى هذه القنطرة برج مبنى من سنة ١٤٨٤ ، ونمثال للقديس « سان ايلدفونس » وكتابة من زمن فيليب الثاني . وعلى الضفة اليسرى من نهر تاجه بقايا حصن سان « سرفنده » أو شربند ، كما يقول العرب والفئة المستعربة من الاسبانيول . وهو حصن كان بناء على ذلك الجبل الاذفونش السادس ، فاتح طليطلة ، الذي في

(١) نقلنا هذا عن جغرافية أسبانية والبرتغال المصورة تأليف جوسه Jousset ولم نطلع على الأصل العربي لهذه العبارة

(٢) لم نثر على أصل هذه الكتابة بالعربي وانما نقول انها غير ممكنة بهذا الشكل . ونحن نرويها عن جغرافية أسبانية والبرتغال لجوسه Jousset

(٣) Alphonse le Sage

(٤) Ildefonse

أيامه بدأ انهيار دولة الاسلام في الاندلس . ومن جسر طليطلة الى محطة السكة الحديدية مسافة يشرف منها السائح على منظر بديع ، والى الشمال الشرقى من المحطة يوجد بقايا حصن عربى قديم يقال له اليوم قصر « عاليانه » ^(١)

فأما أسوار طليطلة فهي موصوفة بالمنعة ومن رأى طليطلة يقول إنها لا تحتاج إلى أسوار ، لمنعة موقعها الطبيعي ، ولكثرة ما فيها من غور ونجد ، فهي في هذا المعنى أشبه بمدينة لوزان في سويسرة ، لا يكاد يجد فيها إلا إنسان مساحة مسطحة . تزيد على ٣٠٠ متر بل ترى الماشى فيها يصعد ويهرل ألدأ ، وربة كانت طليطلة تفوق لوزان في قلة الاستواء ، فإن أكثر شوارعها لا تسير فيها العربات ، ولهذا تقل المركبات في طليطلة ، والماس تنقل أشيائها على الدواب . فكيفما توجهت في طليطلة تجد جر الأثقال ضرباً من الحال .

و رغم هذا فإن الملوك الفارين قد أحكموا أسوارها ، وحملوها طبعاً عن طفق ، فجمعت بين المنعتين الطبيعية والصناعية .

ومما لا نزاع فيه أنه مع كل ما بنى فيها الاسبانيول على أيدي مهندسين من الفرنسيين والألمان والاطليان ، وما بشوا فيها من الكنائس والأديار والمستشفيات والمدارس وما عنوا بتغيير شكلها العربى ، لا تزال المسحة العربية عاملة على هذه البلدة ، في ضيق الشوارع . وقلة نوافذ البيوت ، وسعة الدور الداخلية ، وحصانة الأبواب ، وغير ذلك من أساليب العرب فى البناء ، ولا تجد الرهبان والراهبات مقيمين فى أديار هى على الطراز العربى إلا فى طليطلة . وقد نقل داييل بديكر كلمة فى حق طليطلة عن الكاتب الافرانسى المشهور « تيوفيل غوتيه » ^(٢) هى هذه ، وقد أبدع وصفها : « طليطلة فيها من الدير ، ومن السجن ، ومن القلعة ، ومن الحرم الاسلامى ، وذلك لأن العرب مروا بها » . نعم فيها من الدير لكثرة ما شاد الاسبانيول

Palacio de Galiana (١)

Theophile Gautier (٢)

فيها من المعاهد الدينية تغطية لآثار العرب . وفيها من السجن لما يشاهد من الوثائق والمئات في مبانيها . وفيها من القاعة لكثرة أسوارها ولمنعة مكائها الطبيعي وفيها من الحرم لأن بيوتها الأصاية هي بيوت عربية كسائر بيوت العرب في الدنيا

وأعظم بنية في طليطلة هي الكنيسة الكبرى التي يقول لها المستعربون « القاعدة » وهي على اسم مريم العذراء عليها السلام ، وفيها مذابح رومانية ، ومذابح نصف عربية وهي في الحقيقة بيعة عظيمة بمنتهى الفخامة ، تعد من الدرجة الأولى في كنائس العالم وموقعها بجزاء الأكمة التي عليها القصر Alcazar

ويقول المؤرخون عن تاريخ هذه الكنيسة انه في زمن ريكايد القوطي تشيدت سنة ٥٨٧ كنيسة باسم العذراء . لا تزال هناك كتابة تدل عليها وكان يجنمها دار أسقفية أقام بها القديسون أوجين ، وإيلاد ، وإلديفونس ، وإليان . وفي سنة ٧١٢ ب . م . عند ما فتح العرب طليطلة حولوا هذه الكنيسة إلى مسجد ، وكانت لهم المسجد الجامع ^(١) ، وتبقى الأمر كذلك إلى سنة ١٠٨٥ التي فيها استولى

(١) كان في هذا المسجد الجامع حوض أمر ببنائه الظافر بن ذى النون سنة ٤٢٣ وقد وجدت كتابة على بلاطة رخام بالخط الكوفي البارز هذا نصها بعد البسملة : أمر الظافر ذو الرئاستين أبو محمد اسماعيل بن عبد الرحمن بن ذى النون اطال الله أيامه ببنيان هذا الجب بجامع طليطلة حرسها الله فتم بعون الله في جمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة . وقد ظهر من هذه الكتابة التي نقلها لاوى بروفنسال ان الظافر المذكور تولى طليطلة بطلب من أهلها قبل التاريخ الذي ذكره المؤرخون فقد قالوا انه جاء خلفاً ليعيش بن محمد بن يعيش سنة ٤٢٧ والحال ان هذه الكتابة مؤرخة سنة ٤٢٣ فهي تصرح بكون الظافر بن ذى النون هو الذي أمر ببناء هذا الحوض اذ اصطلح الأندلسيون على تسمية الحوض بالجب . وأما لقب ذى الرئاستين فقد لقب الظافر نفسه به حتى يعلو عن لقب ذى الوزارتين الذي كان لقبه به الخليفة الأموي . وقد وجدت كتابة ثانية في طليطلة نصها : بما أمر بعمله الظافر ذو الرئاستين اسماعيل بن ذى النون في سنة تسع وعشرين وأربعمائة

الأذفونش السادس على طليطلة صلحاً بعد حصار طويل^(١)

(١) نحب أن نذكر هنا ما قاله دوزى R. Dozy المستشرق الهولاندى الشهير فى كتابه : تاريخ مسلمى أسبانية Histoire Des Musulmans En espagne وهو ملخصاً : و ان القادر بن ذى النون كان فرض على أهل طايطة مبالغ وافرة من المال فأدوها اليه وقدمها للأذفونش . فقال له الامبراطور : (لان الأذفونش السادس كان سمي نفسه بذلك) هذا لا يكفى . فقدم له القادر ذخائر أبيه وجده . فقال له : وهذا أيضاً لا يكفى . فقال له القادر : انى حاضر لاعطائك فوق هذا لكن على أن تعطبنى مهلة . فقال له الأذفونش : انى ممهلك على شرط أن تسلمنى أيضاً حصونا تكون رهناً عندى . فرضى القادر بهذا الشرط اذ لم يكن له قدرة على الامتناع فكان مضطراً أن يرضى بكل شئ . وكان يرى سيف الأذفونش معلقاً فوق رأسه لا يستطيع أن يخالفه فكان يدفع المال بعد المال ويخلى الحصون بعد الحصون ولأجل ارضاء الامبراطور يفرض المغارم الثقيلة على رعيته التى بدأت تهاجر الى مملكة سرقسطة . وكان الأذفونش كلما ازداد القادر طاعة له يزداد عتواً فاتتهى الأمر بان فرغت يد القادر فجاء الأذفونش واكتسح ارباض طليطلة فحاول القادر أن يدافع عن عرشه لكنه رأى نفسه عاجزاً فمرض على الأذفونش تسليمه طليطلة تحت شروط وهى ان الأذفونش يتعهد بتأمين أهالى طليطلة على أموالهم ودمائهم ومن شاء منهم الهجرة هاجر ومن شاء الإقامة أقام وانه لا يفرض عليهم الا غرامة واحدة مقررة من قبل وان المسجد الاعظم يبق للمسلمين وان الأذفونش يساعد القادر على ملك بلنسية

فرضى الامبراطور بهذه الشروط وفى ٢٥ مايو سنة ١٠٨٥ دخل الأذفونش طليطلة وقد بلغ من العظمة ما ليس له حد وما لا يساويه إلا ما بلغه أمراء المسلمين وقتئذ من الدناءة فاقبلوا عليه من كل فج يقدمون له الهدايا ويعرضون طاعتهم ويعلنونه أنهم ليسوا أكثر من جباة عنده فتسمى الأذفونش بملك الملتين وكان يكتب ذلك فى مناشيره ولم يكن يخفى احتقاره لأمراء الاسلام . ولما جاء حسام الدولة بن رزىن يهتف الأذفونش بفتح طليطلة مقدماً له نفائس الهدايا كان عند الأذفونش قرد يلعب أمامه فأنعم عليه به ورجع حسام الدولة مفتخراً بأن الامبراطور أنعم عليه بقرد وعد ذلك من أعظم النعم . وكان فى بلنسية ولدا عبد العزيز يتنازعان ملكها وكان فيها حزب ثالث يريد تمليك صاحب سرقسطة وحزب رابع يميل إلى القادر بن ذى النون وقد

وكان المسلمون قد اشتراطوا لأجل تسليم البلدة بقاء المسجد الجامع لهم ورضى

كان هذا يظهره جيش قشتالة تحت قيادة (المارفانيس) Alvar Fanez وكان
البلنسيون مضطرين أن يقدموا ميرة هذا الجيش وكانت تكلفهم ستمائة ذهب في النهار
فقالوا للقادر إنهم في غير حاجة إلى هذا الجيش حتى يطيعوه فلم يسمع القادر كلامهم
لأنه كان يعلم أنهم لا يحبونه فاستبقى القشتاليين في بلنسية استظهارا بهم وفرض على
أهلها وأهالي ملحقاتها غرامات منقضة للظهور وبلص الأعيان من أموالهم ومع هذا
فلم يقدر أن يقوم بكل ما يتطلبه القشتاليون فعرض عليهم أن يقطعهم أراضى في مملكة
بلنسية فرضوا بذلك وتملكوا القرى ولكنهم لم يقوموا على حرثها بأنفسهم بل جعلوا
فيها زراعاً يحرثونها لهم واستمروا يشنون الغارات على الأطراف وانضم إلى الجيش
القشتالي جماعة من غوغاء العرب ومن العبيد ومن الأشقياء أصحاب السوابق في الاعتداء
وقطع السابلة وارتد هؤلاء عن الاسلام وأخذوا يفعلون الأفاعيل التي لم يسمع بمثالها
فكانوا يسفكون الدماء ويهتكون أعراض النساء وربما باعوا الأسير المسلم بزق خمر
أو برغيف من خبز أو بقطعة من حوت وكانوا يمثلون بمن يمتنع عن إعطائهم ما يريدون
فيقطعون لسانه أو يفقأون أعينه أو ياقون به للكلاب المفترسة لتأكله . فكانت
بلنسية وقتئذ في الحقيقة ملكا للآذفونش ولو كان القادر بن ذى النون ملكا عليها في
الظاهر ، وكانت سرقسطة أيضاً تحت حصار الأمبراطور وقد أقسم أن يفتحها ، وكان
هناك القائد القشتالي غرسية شيميناس بجماعة من فرسانه يشن الغارات على المرية وكان
صاحب غرناطة في المقيم المقعد أيضاً مع القشتاليين . وفي ربيع سنة ١٠٨٥ نازل
القشتاليون أهل غرناطة في عقردارهم ووقع الرعب في قلوب المسلمين حتى صار
الخسة منهم لا يقومون لواحد من النصارى ووجد في إحدى المرات أربعمئة جندي من
المرية وكانوا من نخبة الجند فهربوا من وجه ثمانين قشتاليا فعم اليأس جميع المسلمين
ورأوا أنه لم يبق أمامهم إلا إحدى خطتين ، إما الرحيل عن أوطانهم ، وإما الدخول
في طاعة النصارى ، وبقيت خطة ثالثة وهى استصراخ المرابطين من إفريقية . ثم ذكر
دوزى كيف دعا المعتمد بن عباد يوسف بن تاشفين لانتفاذ الأندلس ولما ذكر له
ولده الرشيد ما في ذلك من الخطر عليهم أجابه أنه لم يبق أمامنا إلا إحدى هاتين الخطتين
إما أن نخضع لحكم النصارى وإما أن نرضى بولاية المرابطين وإني أفضل أن أرى
الجمال في إفريقية على أن أرى الخنازير في قشتالة وسيأتى ذكر ذلك تفصيلا في
باب التاريخ .

الأذفونش بذلك . قال ابن بسام . لما تواتت على أهل طليطلة القن المظلمة والحوادث المصطلمة وترادف عليهم البلاء والجلأ ، واستباح الفرنج لعنهم الله تعالى ، أموالهم وأرواحهم ، كان من أعجب النوادر الدالة على الخذلان ان الخنطة كانت تقيم عندهم مخزونة خمسين سنة لا تتغير ، ولا يؤثر فيها طول المدة بما يمنع من أكلاها فلما كانت السنة التي استولى عليها العدو فيها ، لم ترفع الغلة من الأندر حتى أسرع فيها الفساد . فعلم الناس أن ذلك بمشيئة الله تعالى ، لأمر أراده ، من شمول البلوى ، وعموم الضراء ، فاستولى العدو على طايطنة ، وأنزل من بها على حكمه . وخرج ابن ذى النون منها على أقبح صورة وأفظع سيرة ، ورآه الناس وبيده أسطرلاب . يأخذ به وقتاً يرحل فيه . فتمعجب منه المسلمون ، وضحك عابه الكافرون .

وبسط الكافر العدل على أهل المدينة . وحسب التنصر إلى عامة طغاهها ، فوجد المسلمون بذلك ما لا يطاق حمله . وشرع في تغيير الجامع كنيسة في ربيع الأول سنة ست وسبعين واربعمائة .

ومما جرى في ذلك اليوم أن الشيخ الأستاذ المقامي رحمه الله تعالى صار إلى الجامع وصلى فيه ، وأمر مریداً له بالقراءة . ووافاه الفرنج ، لعنهم الله تعالى ، وتكاثروا لتغيير القبلة ، فما جسر أحد منهم على إزعاج الشيخ ولا معارضته ، وعصمه الله تعالى منهم ، إلى أن أكمل القراءة ، وسجد سجدة ، ورفع رأسه وبكى على الجامع بكاء تنديداً ، وخرج ولم يعرض له أحد بمكروه اه .

قلنا إن الأسبان كانوا يعلمون أن تلك الساعة هي الساعة الأخيرة للجامع فصبروا على هذا الشيخ الجليل حتى أتمها بآخر عبادة اسلامية فيها

وفي ١١ أغسطس ١٢٢٧ جعل ملك أسبانية ، الذي يقولون له القديس فرديناند هذه البنية دكا . حتى يبني مكانها بيعة على الطراز القوطي ، الذي منه كنائس شمالي فرنسا ، وجنوبي ألمانيا ، وانتدب المهندس الافرنسي بطرس بترى ، الذي بقى متولياً إدارة تشييدها مدة تزيد على خمسين سنة ، وبعد وفاته عمل فيها مهندسون

آخرون ، أشهرهم رودريقه الفونسه ، وجوان غواس ، والبير غومس ، ومرتين شانجس وغيرهم ، فالعمل فيها لم ينقطع مدة طويلة ، وهى قائمة على خمسة صفوف من الاساطين وطولها ١٢٠ متراً وأربعون سنتيمتراً ، وعرضها ٥٩ متراً و ١٣ سنتيمتراً و بناؤها من الحجر المحبب ، إلا أن نقوشها الخارجية والداخلية هى فى الحجر الكلسى ، ولا يضارعاها فى أسبانية إلا كنيسة اشبيلية من بعض الوجوه . وكنيسة طليطلة أطول من كنيسة اشبيلية بعشرة أمتار إلا أن كنيسة اشبيلية أعلى بعشرة أمتار . ومزايا كنيسة طليطلة على كنيسة اشبيلية هى فى تناسب الأقسام وبداعة الزخرف وتخريم المذبح الأعظم ، حتى كأنه قطعة من العاج المحرّم المرصع .

ولا غب ، فقد بقى العمل فى القاعدة العظمى ، بحسب قولهم ، مدة ثلاثة قرون ولها ثمانية أبواب ، أكثرها من الأعاجيب . وهى أبواب الغرب التى لا يفتحونها ، مقتصرين على الباب الجنوبي المسمى بباب الاسود ، والباب الجوفى المسمى بباب الساعة ، الذى يشرع من جهة المدينة العليا . وفيها عدة مذابح ، منها مذبح نصف عربى . ولكن جميع بدائع الصنعة والمقش والتصوير مستوفاة فى المذبح الأعظم . وعقود الاقواس كلها من المرمر ، تحيط بأعناقها قلائد مذهب من الصنعة العربية Arabesque

وفى هذه الكنيسة من صنوف الحرط والنجر وفنون التنزيل والحفر ما يعجز القلم عن وصفه ، فليس له إلا النظر بالعين ! وماذا تقول فى بناء لبثوا يعملون فيه ثلاثمائة سنة ، وبذلوا عليه القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، واستجادوا له أشهر الصنّاع فى أعصرهم ، وأمهر النحاتين والمصورين فى أوقاتهم ؟ ! وفى خزائن هذه البيعة كنوز هى فوق التخمين من كل نوع ، قد تراكمت من قرون . ولكن الذى يريد الفرجة لا يقدر أن يقيم محاسنها ، من ضعف النور الذى يدخل إلى الكنيسة ، لأنهم ، كما لا يخفى ، يستحب عندهم فى الكنائس أن يكون نهارها ليلاً ، لما فى ذلك من الهيبة بزعمهم ، وهذا ما رأينا الكثيرين من الافرنج ينتقدونه ، ويقابلون بينه وبين مساجد الإسلام التى تفيض نوراً .

وأما المذبح نصف العربى فقد جعلوه بقرب الباب ، وقد كان بناؤه على يد المهندس هنرى دوايفاس ، بأمر الكردينال شيمانيس الشهير Jiménes وذلك سنة ١٥٠٤ ، وهم يقدسون على هذا المذبح بحسب الطقس القوطى الذى وضعه سان ايزيدور . وكانت فى طليطلة قد بقيت ست كنائس محافظة على الطقس القوطى إلى سنة ١٨٥١ ، فمن ذلك الوقت توحد الطقس ، وصار رومانياً محصاً .

ومن كنائس طليطلة المعدودة كنيسة سان جوان ^(١) الملوك ، وهى كنيسة بناها فرديناند وإيزابلاً على الأسلوب القوطى ، والأسلوب المعروف بالريناسنس ^(٢) مجموعين فيها وقد بذل فرديناند وإيزابلاً فى بنائها قناطير مقنطرة من الذهب فجاءت من أبدع الكنائس زخرفاً وكانا أعداءها لدفعهما فيها ، إلا أنهما عدلا عن ذلك رأى بعد استيلائهما على غرناطة سنة ١٤٩٢ ومحوها كل أثر للملك الاسلام فى الأندلس . فقررنا عند ذلك أن يكون دفعهما فى كنيسة غرناطة ، وتوقف العمل فى كنيسة سان جوان هذه ، ولم تتم إلا فى القرن السابع عشر . فلذلك اختاف طرز بنائها فى داته بحيث جمعت بين أسلوبين متعايرين . وعلى جدران هذه الكنيسة الخارجية سلاسل حديد يقولون أنها كانت قيوداً للأسارى المسيحيين الذين أنقذهم فرديناند وإيزابلاً يوم دخلا غرناطة ، وفى هذه الكنيسة صور للقديس سان جوان . وصورة شعار الملكين فرديناند وإيزابلاً وأسلحتهما ، والمذبح الاعظم من هذه الكنيسة منقول من كنيسة شنت افرج ^(٣) القديمة ، قال فى دليل بديكر : إن زينة حمراء غرناطة ونقوشها قد تمثلت هنا بصور مسيحية . وقد كانت هذه الكنيسة فى يد الفرنسيسكانيين ، ثم تحوت من زهاء مائة سنة كنيسة لأهالى المحلة المجاورة . وكان بجانبها دير تحول متحفاً ومدرسة صناعية .

San Guan de las Reyes (١)

Renaissance (٢)

Santa Cruz (٣)

وموقع هذه البيعة هو على أكمة مشرفة ، تشرح منها الأنظار على وادى تاجه ، وعلى البقعة ^(١) ، وعلى شارات سان برناردو وغريدوس . وإلى الشمال الغربى من دير سان جوان الملوك يقع الباب المسمى عند العرب بباب المكاره ^(٢) ، وعلى مقربة من هناك فى بقعة يقال لها باجه كنيسة سانتا لوقادية . وهى قديمة ، بنيت فى القرن الرابع ، فى المكان الذى يقال ان القديسة لوقادية نالت فيه اكليل الشهادة ، وكان

La Vega (١)

(٢) Al - Makara وحق هذه اللفظة أن تكون « المكاراة » ، بالفين اثنتين وهى مصدر كراه الدابة ، والفاعل مكار ، ويقال مكارى الدواب وكرى الدواب أيضاً . هذا ويقال إن هذا الباب كان موجودا فى زمن القوط ثم جاء العرب فبنوه على ذوقهم ثم لما استرجع الاسبان طليطلة هدموه وبنوه من جديد على طرز أبقيتهم ولكنه بقى منه قوس عربى واحد يعتمد على أعمدة مكتوب على أحدها : الله اكبر . اشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله . وقد نقل « جوسه » فى جغرافية أسبانية والبرتغال عن « سلازار مندوزه » كتابة يقولون إنها كانت باقية فى الحجر إلى زمن فيليب الثانى ومعناها على عهدتهم هو هذا : لا اله إلا الله محمد رسول الله جميع المؤمنين الذين يعتقدون بنبينا محمد ويقبلون أيدي المرابط مولاى عبد القادر يغفر الله لهم ذنوبهم ولا يكونون فى يوم من الأيام صما ولا عمياً ولا مقطوعى الأعضاء ويتلقون منه البركة فى ساعة الموت ولا يعتلون قبل موتهم إلا ثلاثة أيام ويذهبون إلى الجنة وعيونهم مفتوحة وذنوبهم مغفورة انتهى قلت : هذه القصة مستغربة جداً فانه لا يذكر أى عبد القادر هو المقصود هنا ؟ فان كان عبد القادر الجيلانى الولي الشهير الذى يقال فيه مثل هذه الأقاويل فالشيخ عبد القادر الجيلانى مات سنة ٥٦١ أى بعد فتح الاسبان لطليطلة بثلاث وثمانين سنة ويستبعد جداً أن يكتب المسلمون فى طليطلة على باب من أبواب المدينة كتابة منقوشة على الأحجار ان لم تكن البلدة فى أيديهم ولم تكن الولاية عليها للإسلام . وأما إن كان المراد بالمرابط عبد القادر شخصاً آخر من الأولياء الذين عاشوا قبل خروج طليطلة من يد الإسلام فمن العجب أن يذكر اسم هذا المرابط غفلاً بدون نسبة ومن العجب أيضاً أن يقال جمل كذه فى كتابة مزبورة على الحجر لمخالفتها للسنة ولذلك لنا شبهة قوية فى صحة وجود كتابة كذه

العرب قد هدموها ، فلما رجع الاسبانيول جددوها .
وعلى ضفة نهر تاجه قريباً من هناك معمل السيوف ، وتاريخ إنشائه سنة ٧٨٨
ولكن لم تبق لسيوف طليطلة تلك الأهمية ، بعد أن بقيت قروناً مشهورة بهذه الصناعة
من زمن الرومان إلى زمن القوط ، إلى زمن العرب ، إلى زمن الأسبان ، لاسيما
القرن السادس عشر ، ومن النصال الطليطلية انموجات بديعة في متحف مجريط ،
و إلى الجنوب من باب المكاره ، قطعة من السور تنتهى بباب سان مرتين ، و إلى
الشمال من هذا الباب المسلخ الذى يقال انه كان فى مكانه قصر الملك لذريق ، الذى
منه انتزع العرب جزيرة الاندلس ، وهو الذى افتض كريمة الكونت يليان المسماة
فلورنדה ^(٢) ، ولأجل ذلك حنق هذا الكونت حنقاً بلغ به أن دعا العرب لاجتياح
الاندلس ، ففتحوها ويقال من حملة الاساطير انه كان يوجد هناك كهف يقال له
كهف هرقل ، نظر فيه لذريق مرة فعثر على كتابة تؤذن بانتهاء ملك الاندلس .
وعلى الوادى يوجد حسر سان مرتين ، معقود فوقه الى الغرب من البلدة . وكان
بذؤه سنة ١٢١٢ ، ثم تجدد سنة ١٣٩٠ . وله حصة أقواس . الاوسط منها يرتفع
ثلاثين متراً ، وعليه رجان . والى ايمين منه تحت السور حمام يقال له حمام الكهف ^(١)
حيث الملك لذريق شاهد فلورنדה كريمة الكونت يوليان تستحم ، وكان بعد
ذلك ما كان .

والى الجنوب من بيعة سان جوان الملوك كانت فى القديم حارة اليهود ، التى كان
يقال لها « الجديرة » ، وكان هؤلاء اليهود بنوا هناك حصناً حصيناً يضعون فيه أموالهم
وأما كنيسة مارية البيضاء فكانت فى الأصل كنيسة لليهود ، بى فى القرن الثانى عشر ،
ثم تحول كنيسة للنصارى فى بداية القرن الخامس عشر ، ثم صارت محل خلوة
للمتنسكين ، ثم ثكنة عسكرية ، ثم مخزناً . وهى ذات بناء فخم على ثمان وعشرين

Florinda (١)

Bain de la Cave (٢)



الملك لدرىق مع الاميرة فلوريندة ابنة بليان صاحب سبعة التى من أجل قصتها أغرى بليان العرب بغزو اسبانية

قوساً ، وقواعد أساطينها مزينة بالزليج ، والصنعة العربية . وأما الكنيس الشهير الذى يقدم الكلام عايه فيقال له كنيس^(١) الانتقال ، فقد بناء الحاخام «ماير عبدلى» على نفقة صموئيل لاوى ، كما تقدم الكلام عليه . واتقن بناؤه إلى النهاية ، فلما طرد الملوك الكاثوليك يهود اسبانية حولوا هذا الكنيس إلى كنيسة باسم سان بنيتو ، وسلموه إلى فرسان قلعة رباح ، ثم تحول كنيسة باسم العذراء . وإلى الشرق من هذا الكنيس يوجد بيت المصور الشهير غريغو^(٢) الذى له آثار كثيرة فى كنائس طليطلة وأصله يونانى من جزيرة كريت وقد ساقته الأقدار من البندقية إلى طليطلة سنة ١٥٨٥ فسكن فى طليطلة فى قصر المريكز « فيلنه »^(٣) والآن يوجد هناك متحف لآثار غريغو

ومن كنائس طليطلة كنيسة يقال لها سان جوان الندامة^(٤) بناها الكردينال شيميناس سنة ١٥١٤ ، وجعل معها ديراً ، وهى فى شرقى البلدة . ومن الكنائس المعدودة كنيسة سانتو طومى^(٥) وكانت جامعاً فحولوه كنيسة ، وجددوا بناءه فى القرن الرابع عشر ، ولكن منارته لا تزال على أصلها . وفى هذه الكنيسة قبر الكونت أورعاز الذى جددها على نفقته . وإلى الجنوب من هذه الكنيسة قصر كان يقيم به الأمراء طور شالكان ، وفيه ماتت امرأته ايزابلا البرتغالية ، وفى هذا القصر صناعات عربية وقوطية مختلطة

ومن كنائس طليطلة المعدودة كنيسة سانت ياقو الر بض بنيت لعهد الاذفونش السادس ، وهى على الهندسة العربية ومنارتها لا تزال منارة مسجد اسلامى . وأما

(١) أى انتقال مريم العذراء إلى السماء Sinagoga del transito

(٢) Greco

(٣) Villena

(٤) Penitencia

(٥) Santo Tomé

الدار الاسقفية التي يقيم بها برماط اسبانية ، وكان له ذلك الشأن العظيم حتى كان يجاذب الملك الحبل فهي قبالة الكنيسة الكبرى من الجهة الغربية

قال المسيو جوسه صاحب جغرافية اسبانية والبرتغال المصورة : لو أردنا أن نتكلم عما في طليطلة من قصور كانت لنبلأء العرب والاشبيليين في تلك الشوارع الضيقة وعلى مفارق الطرق ، وذلك مثل قصر آل بركاش^(١) وآل ما كيدة^(٢) ومونارس^(٣) وغيرهم وقصر البقعة^(٤) ، وقصر الميزة^(٥) بقاعته العربية المدهشة لاستلزم ذلك كتاباً مستقلاً . وفاعة الميرة هذه ذات سقف نادر النظير في صنعته العربية . وطولها ٢٠ متراً ، وعرضها سبعة أمتار وعلوها ١٢ متر

ومن قنطرة طليطلة يسير الانسان صُعداً إلى الشمال الغربي فيمر بالسور الغربي الذي كان للمدينة وبسور أحدث منه بُني لأجل حماية الحارة المسماة بالربض^(٦) .

(١) Vargas وهي عائلة معروفة مشهورة ربما كان منها بركاش المغرب الذين منهم والى رباط الفتح الحالي السيد عبد الرحمن بركاش ومن أراد أن يطلع على تاريخ هذه العائلة فعليه بكتاب « مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح » للشيخ محمد أبي جندار

(٢) Maqueda حتى الآن لم يظهر لنا حقيقة هذا الاسم

(٣) Munarriz

(٤) Vega

(٥) Mesa

(٦) Arrabal الاسبانيول يقولون للربض « الربال » بقلب الضاد لاما وهو بدون شك تحريف الا انه وجد لذلك أصل في اللغة العربية وقد نص على ذلك علماء اللغة ولما كنت في جبال الحجاز سمعت هذه اللغة من ثقيف وهذيل في ناحية يقال لها الشفا فسمعتهم يقولون « الليف » باللام المفخمة يريدون بها « الضيف » وصلاة « اللهم » في صلاة « الظهر » وقرية « الليق » في قرية « الضيق » وهلم جرا . وقد ذكرت ذلك في كتابي « الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج الى اقدس مطاف » وعقبت عليه بقولي : ولما كنت في الأندلس سمعتهم يقولون في كل بلدة « الربال » يعنون به ضاحية البلدة فاردت أن أعرف مأخذها فقرأت في كتبهم انها لفظة عربية محرقة عن الربض ،

وبعد مسيرة خمسة دقائق يصل إلى باب عربى البناء يقال له باب « السول »
 Puerta del Sol قيل إنه بنى سنة ألف ومائة مسيحية ، أى بعد استرداد
 الاسبانيول لطليطلة ، ولكنه بنى على الطرز العربى ، وكان هذا الباب فى القديم هو
 باب طليطلة الحقيقى . ولم يتفق المؤرخون فى تاريخ هذا الباب : فقال بعضهم : إنه بنى
 لعهد الادفونش السادس ، وقال بعضهم : انه بنى فى آخر زمان العرب ، وعلى مقربة
 من هذا الباب باب آخر يقال له باب « بيزَغرة » Visagra وأصله باب شقره
 بناه الأسبانيول ، وعليه تمثال النسر ، شعار الأمراطور شارلكان ، ويوجد باب آخر
 يقال له « بيراغرة انتيكة »^(١) Visagra Antigia أى العتيقة لأنه من زمان العرب

ففكرت حينئذ فى قلب الضاد لاما عند هذيل ومن جاورهم من ثقيف وقلت من يدرى ؟
 فاعل أول من تلفظ بالربض هناك تلفظ بها باللام ، فقد كان فى غزاة الاندلس كثير
 من هذيل وثقيف . انتهى . ولما كان كتابى هذا قد طبع بمطبعة المنار فى القاهرة وتولى
 تصحيح مسوداته الأستاذ الأكبر فقيده الاسلام السيد رشيد رضا رحمه الله فقد علق
 على عبارتى هذه فى الحاشية ما يأتى : مخرج الضاد العربية الفصحى قريب من اللام
 المفخمة ، فهو بينها وبين مخرج الضاد ، فلهذا تشبه الضاد تارة بالطاء فى نطق كثير العرب
 الى عهدنا هذا وتارة باللام المفخمة فى نطق هؤلاء الهدلين والثقفيين . ومثل هذا الاشتباه
 يكثر فى النطق ، ولا سيما نطق الذى يعجل بالكلام فيتلقاه بعض السامعين محرفاً فيصير
 التحريف اصلاً متبعاً . وذكر علماء اللغة انه سمع ابدال اللام من الضاد فقالوا : الطجع ،
 أى اضطجع كعكسه فى قولهم رجل « جصد » أى « جلد » . وبعد كتابة ما تقدم
 راجعت مادة ضجع فى الناج فاذا هو يقول : قال المازنى : ان بعض العرب يكره الجمع
 بين حرفين مطبقين فيقول « الطجع » ويبدل مكان الضاد أقرب الحروف إليها وهى
 اللام . زاد فى اللسان : وهو شاذ . وقال الأزهري : وربما أبدلوا اللام ضادا كما أبدلوا
 الضاد لاما قال بعضهم « الطراد » وه « اضطراد » لطراد الخيل . انتهى . نقلنا كلام السيد
 الامام هنا لفائدته

(١) هذه اللفظة محرفة عن ييب شقرة إذ لا يخفى كون الآماله الاندلسية جعلت

وهو بناء يستحق النظر ومنه يسير الانسان على طريق عريض على جانبيه الأشجار إلى باب يقال له باب « قرون » Cambron وهناك بقايا قصر آل بركاش . ولا يجوز أن ننسى من آثار طليطلة التاريخية الكنيسة التي بقرب باب السول ، والتي يقال لها « سانتو كريستو دولالوز » Santo Cristo de la Luz أى النور وأصل هذه الكنيسة الصغيرة مسجد صغير بنى سنة ٩٢٢ مسيحية ، كما يستنتج من الكتابة العربية التي على بابه ^(١) ، وهو على ستة صفوف من الأعمدة ويقال إن أعمدته مأخوذة من كنيسة قوطية قديمة والله أعلم ، وتعلق خرافة بهذا المسجد المقلوب كنيسة والذي له ولأمثاله قال الشاعر العربي راثى طليطلة يوم استولى عليها النصارى :
 مَسَاجِدُهَا كَنَائِسُ ! أَيُّ قَلْبٍ عَلَى هَذَا يَقْرَأُ وَلَا يَطِيرُ ؟ !
 وهذه الخرافة معناها انه لما دخل الاذفونش السادس إلى طليطلة ، وكان معه القمبيدور الملقب بالسيد مسجد حصان السيد بزعمهم امام حائط هناك ، فهاهم سجدوا الحصان من نفسه فبحثوا فى الحائط ، فوجدوا فيه مصلوباً ، وبجانبه سراج يضىء زيته من زمن القوط .

(١) يقال لهذه الكنيسة الصغيرة كنيسة بيب مردوم أى الباب المردوم والبيب كما لا يخفى هو الباب بلفظ أهل الأندلس الذين كانوا يتكلمون بالامالة وكان على باب الجامع الذى تحول كنيسة كتابة تاريخها ٣٧٠ للهجرة كشفوها سنة ١٨٩٩ وتكلم عنها مارسه Marçais فى كتابه عن الفن الاسلامى . وكذلك ذكرها لامبار Lambert فى كتابه عن طليطلة وفى كتابة أخرى « فن البناء الاسلامى بقرطبة و طليطلة فى القرن العاشر » . وكان العالم الاسبانيولى أما دوردولوس ريوس Amador de Los Rios قد حل هذه الكتابة بما يفيد أن الجامع بنى بمعرفة مهندس اسمه موسى بن على وشخص آخر اسمه سعادة وذلك فى المحرم سنة ٣٧٠ وفق ٩٨٠ قال لاوى بروفنسال الذى نقلنا عنه هذه الرواية من كتابه « الكتابات العربية فى اسبانية » ، إنه هو فى سنة ١٩٢٥ لم يستطع قراءة هذه الكتابة ما عدا البسملة . فلعلها سنة ١٨٩٩ كانت لاتزال محفوظة وكانت قرائتها لاتزال ممكنة .

وأشهر قصر في الاندلس هو قصر طليطلة المبني على أعلى قمة من تلك البلدة ، فقد كان فيما يظهر مقر الامارة من قديم الدهر ، ففيه أقام الايبيريون ، ثم القوط ، ثم العرب ، ثم الاسبان ، وفيه نزل اذفونش السادس يوم دخل طليطلة . ولقد تبدلت هيئته كثيراً بكثرة ما توالى عليه من الحريق . وكان كلما احترق جددت الملوك بناءه ولكن الذي لا يتغير فيه هو مسرح النظر الذي له ، والذي لا يضارعه منظر لقصر من قصور اسبانية كلها . وقد كان هذا القصر تارة حصناً وطوراً قصراً ، وتعاقبت عليه أدوار مختلفة .

وأشهر ساحة في طليطلة ، وهي التي فيها أكثر حركة البلدة ، الساحة التي يقال لها ساحة البر^(١) أي ساحة القمح ، ومنها يصعد الصاعد إلى القصر ، وبالأجمال لا يوجد بلدة أكثر من طليطلة قد حفظت الهيئة والبيئة العريبتين ، وكيف ما توجه السائح فيها يعثر على نقوش عربية ، وزليج ، وخشب محفور من آثار العرب ، وقد ذكر جوسه انه وجدت تيجان ذهب مخزومة في ضواحي طليطلة ، وتحقق انها من كنوز العرب المدفونه ، ومن قديم الدهر كان في طليطلة أبنية فخمة ، ولالارشيبيرست يوليان بيريز Julian Pérez تاريخ أحصى فيه عدد الكنائس القوطية التي هدمها العرب أو حولوها الى جوامع ، مثل شان قرشتوبل Cristobal ، وسان لورنزوه ، وسان يشته Justo وسانتا مريّة المجدلية ، وسان ايزيدور ، وسان انطولين والمقبرة التي كانت في كنيسة شنت ليقودية ، فقد زعم هذا التمسيس ان العرب خربوا جميع هذه الكنائس ، وجعلوا عاليها سافها ، وقال انه كانت في طليطلة اديار كثيرة من قبل ما أعلن الملك القوطي ريكايد إلغاء المذهب الارىوسى ، وأمر بأن تكون الكتلكة هي المذهب السائد بدون منازع ، وذكر ان العرب تركوا بعض هذه الأديار للمسيحيين مثل سان سيلفانو Silvano

وأما تاريخ طليطلة فخلاصته انها كانت العاصمة الدينية والمدنية لاسبانية في زمن القوط ، وانه انعقد فيها ستة عشر مجماً ، آخرها كان انعقاده سنة ٦٣٣ ، تحت رئاسة يزیدور مطران اشبيلية ، الذى كان عندهم قديساً ، وأكثر أسباب هذه المجمع الدينية كانت ناشئة عن الجدال بين الارىوسية والكثلكة . وكان مبدأ الارىوسية آراء قسيس شهير اسمه آريوس Arius ، ولد في برقة أو الاسكندرية سنة ٢٨٠ للمسيح ، ومات سنة ٣٣٦ . واشتهر بتجديد عقيدة سابليوس وبولس المريسي ، وهى التى تقول بأن المسيح لم يكن هو ابن الله فعلاً ، وانما كان ابنه اسماً ، والله هو الآب فقط ، واتبع عقيدة اريوس جم غفير فحكم مجمع الاسكندرية بكفره سنة ٣١٩ ولكن بقي له تبع كثير بحيث ان الامبراطور قسطنطين اضطر إلى عقد مجمع عام هو المجمع المسمى بالمجمع النيقى ، لأنه انعقد في نيقية بقرب القسطنطينية سنة ٣٢٥ ، فقرر المجمع المذكور بالأكثرية لا بالاتفاق ان الابن والآب طبيعة واحدة ، وأن المسيح هو الله مثل الآب ، وانه هو الابن ، وحرر دستوراً للايمان على هذه القاعدة ولم يزل هذا الدستور هو قانون الدين المسيحي إلى يومنا هذا . وقد صدر أمر الامبراطور قسطنطين بنفى اريوس مدة من الزمن ، إلى أن سكنت الخواطر ، ثم أذن له في العودة الى الاسكندرية ، وربما كان قسطنطين في الباطن مائلاً إلى عقيدة اريوس ، لكنه كان مضطراً إلى مجازاة العامة ، ثم مات اريوس ولم تمت عقيدته وانقسم بها الرومانيون إلى قسمين ، فتمسك بها بعض قياصرتهم كقسطنس ، وحمل عليها الآخرون كتيودوسيوس . وأخيراً تلاشت في المملكة الرومانية ، إلا أنها عادت فظهرت بين البرابرة الذين جاءوا من الشمال مثل القوط ، والوندال ، والبرجونيين ، واللونبرديين ، ثم تغلبت عليها الكثلكة في القرن السابع ، ثم عادت فظهرت مرة ثالثة بعد الاصلاح البروتستانتي ، وعرف بها فئة يقال لهم السوسينيون ، نسبة إلى رجل لاهوتي من ايطالية انتصر لهذه العقيدة ، بل أنكر أكثر قواعد النصرانية . وقد كان في طليطلة هذه عقد المجمع الذى حكم بتحريم مذهب اريوس .

ولما افتتحها العرب لم يجعلوها عاصمتهم ، كما كانت في زمن القوط ، وآثروا عليها قرطبة لكونها أقرب إلى إفريقية ، فصارت طليطلة تسمى أمر قرطبة ، وتثور على بني أمية ، ولكن عمرائها لم يتقلص بالثورات ، لكثرة ما كان بها من الصنائع ، مثل صناعة السيوف ^(١) وصناعة نسيج ^(٢) الحرير والصوف ، ولأن بقعتها من

(١) يقال إن الرومانيين عند ما ملكوا طليطلة وجدوا فيها صناعة السيوف زاهرة ثم لما جاء العرب اليها وجدوها أيضاً كما وجدها الرومانيون وإنما زادوها إتقاناً بما كان لأهل دمشق من رسوخ القدم في هذه الصنعة . وبقيت طليطلة تصنع السيوف طول مدة العرب فيها ثم بعد أن رحلوا عنها مدة ستة قرون والناس تتنافس بالسيوف الطليطلية . ولكن عند ما جدت الأسلحة الحديثة في أواخر القرن الثامن عشر قضت على سيوف طليطلة . وكان الطليطيون غير مقتصرين على صنعة السيوف بل كانوا يصنعون أيضاً ابر الفولاذ وكانوا يصنعون السروج وعدد الخيل والمهاميز وزرد الدروع . وكانت عندهم صناعة الخزف والصناعة المسماة في دمشق بالقاشاني

(٢) كانت طليطلة مركزاً لصناعة نسيج الحرير والصوف والمخمل والاطلس بجميع أنواعها ولم تكن اشيلية ولا قرطبة تفوقها في هذا وكان الساجون في طليطلة وارباضها خمسين ألف عامل . وفي القرن السادس عشر كانت فيها صنعة الطربوش فكان يعمل بها بضعة الآف عامل وكانوا يشحنون في ذلك الوقت إلى نحو من خمسة ملايين طربوش في السنة إلى إفريقية وإلى البلاد الشرقية . وكانوا يصنعون القلانس والسكم والطافات المزركشة بأنواعها

ومما اشتهرت به طليطلة لذلك العهد صنعة الخبز التي كانت فيها المثل الأعلى وكانوا يصنعون نوعاً من الاقراص بالسمن والسكر واللوز لم يكن أحد يباريهم فيه وكانت للخبازين في طليطلة مكانة لا يستخف بها وأول كتاب في الطبخ طبع في اسبانية وكان طبعه سنة ١٥٢٥ في طليطلة . ولا يزال إلى هذا اليوم مع تقلص عمران طليطلة محفوظاً بها بعض الشيء من ذلك الاتقان في الخبز وهم يصنعون مريات كثيرة من الفواكه أما الصناعات الباقية إلى الآن في طليطلة بعد أن سقطت عن معاليها القديمة فهي نسيج الحرير والقطن ونقش المعادن على طرز دمشق مما يسمى في أوربة بالاراباسك والادوات الكنسية والحفر والتزليل في الخشب وما أشبه ذلك . فطليطلة بعد أن نزل عدد سكانها من مائتي ألف نسمة إلى عشرين ألفاً لاتزال تعد من المدن الصناعية

أخصب بقاع الاندلس فكانت تبقى السنين الطوال والخلفاء يحاولون اخضاعها ،
ويفادونها ويراوحونها بالجيوش ، وهى مع ذلك عزيزة منيعة ، ثابتة راسخة ، أمتع
من عقاب الجو . وقد كان استرداد الاسبانيول لطليطلة مبدأ تأخر العرب بدون
نزاع ، وفى ذلك يقول عبد الله بن فرج اليحصبي المشهور بابن العسال :

حُتُوا رَوَاحِلَكُمْ يَا أَهْلَ أَنْدَلُسٍ فَمَا الْمَقَامُ بِهَا إِلَّا مِنَ الْغَلَطِ
الثَّوْبُ يُنْزَلُ مِنْ أَطْرَافِهِ وَأَرَى ثَوْبَ الْجَزِيرَةِ مَنْسُولًا مِنَ الْوَسْطِ
مَنْ جَاوَرَ الشَّرَّ لَا يَأْمَنُ عَوَاقِبُهُ كَيْفَ الْحَيَاةُ مَعَ الْحَيَاتِ فِي سَفَطٍ؟

وقد أصاب هذا الشاعر فى قوله هذا ، لأنه لما استولى النصارى على طليطلة
كانوا كأنهم دخلوا فى وسط بلاد الاسلام ، وجاءت الاسلام الضربة فى حامل
رأسه لأنه كان المسلمون فى ذلك الوقت لا يزالون فى سرقسطة ونواحيها ، وكان
لا يزال لهم قواعد وحواضر هى إلى الشمال من طليطلة . ثم إن موقع طليطلة بمنعته
الخارقة للعادة جعلت الأسبانيول منها فى حصن حصين لا يؤتى وعصمتهم فى حرز
حريز لا يؤخذ ، وهم أنفسهم لم يقدرُوا على طليطلة فى حقيقة الأمر إلا بفساد أحوال
المسلمين ، والفتن التى كانت بينهم . وخلاصة الأمر أنه بعد أن نشبت الفتنة
الكبرى فى قرطبة بين العرب والبربر ، وانتشر السلك ، ونجمت الملوك الذين يقال
لهم ملوك الطوائف ، استبد بأمر طليطلة بنو ذى النون ، كما سيأتى الكلام عليه ،
فوقعت العداوة بينهم وبين بنى هود الذين استقلوا بسرقسطة ، وتوالت الوقائع بين
الفرقيين ، وكل منهما يستظهر بالاسبانيول على الآخر

ولنأتك بمثال ننقله لك عن ابن عذارى المراكشى فى كتابه « المغرب فى أخبار
الأندلس والمغرب » وهو خير كتاب عرّف بأخبار الأندلس . قال عند ذكره
سقوط طليطلة : « وخرج فرديلند الطاغية أيضا المظاهر لسليمان بن هود ، وهو
فردلند بن سانجة ، أمير جليقية إلى ثغر طليطلة فى خاق كثير . وجاءه ابن عم

ابن ذى النون ليدله على عورات البلاد ، وتهارب الناس أمامه من كل جهة إلى طليطلة حتى غصت بهم ، واضطربت أحوال أهلها . كل ذلك وأميرهم يحيى بن ذى النون غائب عنهم بجيشه فى مدينة سالم ، مقيم بها لئلا يدخلها ابن هود فلما تبين بخروج هذا اللعين إلى عمله ، وضجت رعيته إليه ، جاء فى جموعه ، فلم يصنع شيئا ولا قدر على لقائه (أى على لقاء الطاغية) واضطربت أحوال الناس بطليطلة خلال ذلك ، فلما رأى ذلك أهل طليطلة أرسلوا إلى الطاغية فردلند المظاهر لابن هود ليعقدوا معه صلحا على بلدهم طليطلة وما حولها على ما يؤدونه إليه ويرحل عنهم . فقال لهم : ما أجيبكم إلى سلم ، ولا أعفيكم من حرب ، حتى تفعلوا كذا وكذا . واشترط عليهم شروطا لا يقدرُونَ عليها . فقالوا : لو كنا نقدر على هذه الأشياء وهذه الأموال لأنفقناها على البرابرة ، واستدعيناهم لكشف هذه المعضلة . فقال لهم فردلند : « أما قولكم لا تقدرُونَ على هذه الأموال فذلك محال ، فلو كسفت سقوف بيوتكم لبرقت ذهباً لكثرتة ، وأما استدعاؤكم البرابرة فأمر تكثرون به علينا ، وتهددوننا به ، ولا تقدرُونَ عليه مع عداوتهم لكم ، ونحن قد صمدنا إليكم ، مانبالى من أتاننا منكم ، فاعنا نطلب بلادنا التى غلبتمونا عليها قديما فى أول أمركم ، فقد سكتتموها ما قضى لكم ، وقد نصرنا الآن عليكم بردائتكم ، فارحلوا إلى عدوتكم ، واتركوا لنا بلادنا ، فلا خير لكم فى سكناكم معنا بعد اليوم ، ولن نرجع عنكم أو يحكم الله بيننا وبينكم » اه .

فلم يجد رسل أهل طليطلة عند فردلند وأصحابه النصارى قبولا لما عرضه عليهم من الصلح .

وكان أخو هذا العليج صاحب يحيى بن ذى النون مظاهراً له فخرج فى هذه السنة إلى بلاد ابن هود فوطئها ، وأغلظ فى اهلاكمها ، وأخل بالثغر الأعلى ، فعل أخيه فردلند فى نظر ابن ذى النون ، ودامت الفتنة بين هذين الأميرين ، ابن هود وابن ذى النون ، على هذه الحال من سنة خمس وثلاثين إلى آخر سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة وانقطعت بموت سليمان بن هود فى السنة المذكورة . ولما تنفس مخنق ابن ذى النون

بموت سليمان المذكور جعل يطلب جاره ابن الأفطس صاحب بطليوس فجرت له معه حروب كثيرة النخ

قلنا إن بيت القصيد في هذا التاريخ هو قول الطاغية : « وقد نُصِرنا عليكم بردائكم » . جاء في نفح الطيب : ومن أول ما استرد الأفرنج من مدن الأندلس العظيمة مدينة طليطلة من يد ابن ذى النون سنة ٤٧٥ . وقال بعض المؤرخين : أخذ الأذفونش طليطلة من صاحبها القادر بالله ابن المأمون يحيى بن ذى النون بعد أن حاصرها سبع سنين ، وكان أخذه لها في منتصف محرم سنة ٤٧٨ هـ . وفيه بعض مخالفة لما قبله ، وسيأتي قريباً بعض ما يؤيده . قال : وهى مدينة حصينة قديمة أزلية ، من بناء العماقة ، على ضفة النهر الكبير ^(١) . ولها قسبة حصينة فى غاية المنعة ولها قنطرة واحدة عجبة البنيان ، على قوس واحد ، والماء يدخل تحته بعنف وشدة جرى . ومع آخر النهر ناعورة ارتفاعها فى الجو تسمون زراعاً ، وهى تصعد الماء إلى أعلى القنطرة ، ويجرى الماء على ظهرها فيدخل المدينة .

وطليطلة هذه دار مملكة الروم ، وبها كان البيت المفاق الذى كانوا يتحامون فتحه ، حتى فتحه لذريق فوجد فيه صورة العرب اهـ .

وقد حكى ابن بدرون فى شرح العبدونية أن المأمون يحيى بن ذى النون صاحب طليطلة بنى بها قصرأ تأنق فى بنائه ، وأنفق فيه مالا كثيراً ، وصنع فيه بحيرة ، وبنى فى وسطها قبة ، وسبق الماء إلى رأس القبة ، على تدبير أحكمه المهندسون ، فكان الماء ينزل من أعلى القبة حوالىها ، محيطاً بها ، متصلاً ببعضه ببعض ، فكانت القبة فى غلالة من ماء سكب ^(٢) لا يفتر ، والمأمون ابن ذى النون قاعد فيها لا يمسه من الماء

(١) العماقة المعروفون فى التاريخ لم يكونوا البانين لطليطلة ولكن العرب يطلقون لفظة عماقة على جميع الأقدمين الذين اشتهروا بالقوة والعظمة وأما قولهم النهر الكبير فان كان يريد به نهر تاجه فهو صحيح لأنه من أكبر أنهار الأندلس ولكن جرت العادة بأن يسمى بالوادي الكبير نهر قرطبة النازل إلى اشبيلية وهو غير تاجه كما لا يخفى (٢) إن طليطلة هى من الأقاليم المعتدلة فى اسبانية ولكن الحر يشتد فيها جداً أيام

شئ ، ولو شاء أن يوقد فيها الشمع لفعل ، فبينما هو فيها إذ سمع منشداً ينشد :
 أَتَبْنِي بِنَاءَ الْخَالِدِينَ وَإِنَّمَا بَقَاؤُكَ فِيهَا لَوْ عَلِمْتَ قَلِيلُ
 لَقَدْ كَانَ فِي ظِلِّ الْأَرَاكِ كِفَايَةٌ لِمَنْ كُلَّ يَوْمٍ يَغْتَرِبُهُ رَجِيلُ
 فلم يلبث بعد هذا إلا يسيراً حتى قضى نحبه . ٥١ .

وقال ابن خلكان : إن طليطلة أخذت يوم الثلاثاء مستهل صفر سنة ٤٧٨ بعد
 حصار شديد . وقال ابن علقمة : إن طليطلة أخذت يوم الاربعاء لعشر خلون من
 المحرم سنة ٤٧٨ ، وكانت وقعة الزلافة التي نشأت في السنة بعدها ٥١ .

وجاء في دليل بديكر أن الأذفونش السادس ملك قشتالة دخل طليطلة ومعه
 السيد^(١) في ٢٥ مايو ١٠٨٥ ونقل كرسى الملك من برغش إلى طليطلة عام ١٠٨٧
 وجعل مطران طليطلة هو أسقف اسبانية الأعظم ، وبدأوا ببناء الكنائس والأديار
 فأكثروا منها . ولكن المدينة العربية بقيت حافظة سيادتها في وجه الحملة المسيحية ،
 وبقي الناس في طليطلة يبنون مدة قرون متطاولة على الطرز العربي (إلى أن قال)
 وكان أساقفة طليطلة مثل لوزريقة وفونسيقة وتنووريو ومندوسة . وشيمينيس
 وطلبيرة ولورنسانة هم أصحاب الأمر والنهى في البلدة ، وكان دخل الأسقفية السنوى
 ثلاثمائة ألف دوكة ، وكان في دار الأسقفية ١٥٠ قسيساً هم حاشية برماط اسبانية ،
 وكانت لهم عناية بالعلوم والآداب^(٢) وكانوا أيضاً يسوقون الجيوش إلى القتال

الصيف بما يلفحها من رياح افريقية حتى تبلغ درجة الحرارة فيها أربعين بيزان سنتيغراد
 وهى تجمع الاضداد ففي الشتاء تنزل درجة الحرارة إلى ما تحت الصفر ولكن لا يطول
 فصل البرد الشديد أكثر من شهر واحد وفصل الربيع فيها لا يطول أيضاً بل يبدأ
 الحر فيها من شهر مايو . وأحسن فصولها هو الخريف

(١) Le Cid وهو القمبيذور الذى سبق ذكره عند ذكر مدينة برغش

(٢) في دار الاسقفية خزانة كتب مفتوحة للزائرين ثلاث ساعات قبل الظهر ولكن
 خزانة كتب الكنيسة الكبرى هى أهم بكثير وفيها مخطوطات نفيسة واسفار من
 الطابع القديم . وليس اليوم في طليطلة معاهد علمية تستحق الذكر كما كان في الماضى فقد

فأسماؤهم داخله في جميع الحوادث الكبيرة في عصرهم . ولقد كان الكردينال بطرويه غونزاليس مندوزه هو الذي أغرى أكثر من الجميع بقتال مملكة غرناطة ١٥ . ولنذكر الآن ما جاء في معجم البلدان عن طليطلة قال : طليطلة ، هكذا ضبطه الحميدى . بضم الطائين ، وفتح اللام ، وأكثر ما سمعناه من المغاربة بضم الأولى وفتح الثانية مدينة كبيرة ذات خصائص محدودة بالأندلس ، يتصل عملها بعمل وادى الحجارة ، وهى غربى ثغر الروم ، وبين الجوف^(١) والشرق من قرطبة . وكانت قاعدة ملوك القوطيين ، وموضع قرارهم ، وهى على شاطئ نهر تاجه ، وعليه القنطرة التى يعجز الواصف عن وصفها . وقد ذكر قوم أنها مدينة دقيانوس صاحب أهل الكهف . قال : وبالقرب منها موضع يقال له جنان الورد ، فيه أجساد أهل الكهف لا تبلى إلى الآن ، والله أعلم . وقد قيل فيهم غير ذلك ، كما ذكر في الرقيم ، وهى من أجل المدن قدراً ، وأعظمها خطراً . ومن خاصيتها أن الغلال تبقى في مطاميرها سبعين سنة لا تتغير ، وزعفرانها هو الغاية في الجودة . وبينها وبين قرطبة سبعة أيام للفارس وما زالت في أيدي المسلمين منذ أيام الفتوح إلى أن ملكها الافرنج في سنة ٤٧٧^(٢)

كان أمرها في زمن العرب معلوماً وسيرى القارىء من كثرة عدد من خرج منها من العلماء والادباء درجة رقيها العلمى في الدور العربى . ولما عاد الاسبانيول إليها وردوها عاصمة لهم لم تبلغ الدرجة التى كانت عليها لعهد العرب لأن مدينة العرب كانت بلاجدال أرقى جداً من مدينة الاسبانيول . إلا أنه في القرن الخامس عشر بنى الاسبانيول فيها مدرسة جامعة وظهرت فيها نهضة علمية وتحولت قصور عبد الله بن موسى أحد امراء طليطلة لعهد العرب معاهد للتدريس ولكن انتقال الحكومة إلى مجريط رد طليطلة إلى الدرجة الثانية بل الثالثة من جهة العلم والتعليم

- (١) يستعمل باقوت الحموى هنا لفظة الجوف بمعنى الشمال على نسق المغاربة
- (٢) روى بعضهم أن استيلاء الفرنج على طليطلة وقع في سنة ٤٧٥ وروى آخرون أنه وقع سنة ٤٧٧ وروى آخرون أنه في سنة ٤٧٨ وهى أصح الروايات وأما بالتاريخ المسيحى فدخل الاذفونش السادس إلى طليطلة فاتحاً كان في ٢٥ مايو عام ١٠٨٥

وكان الذى سلمها اليهم يحيى بن يحيى بن ذى النون ، الملقب بالقادر بالله ، وهى الآن فى أيديهم (إلى أن قال) : ينسب اليها جماعة من العلماء ، منهم أبو عبدالله الطليطلى روى كتاب مسلم بن الحجاج ، توفى يوم الأربعاء الثانى عشر من صفر سنة ٤٥٨ وعيسى بن دينار بن واقد الغافقى الطليطلى ، سكن قرطبة ، ورحل ، وسمع من أبي القاسم ، وصحبه ، وعول عليه ، وانصرف إلى الأندلس ، فكانت الفتيا تدور عليه ، لا يتقدمه فى وقته أحد . قال ابن الفرضى : قال يحيى بن مالك بن عائذ : سمعت محمد بن عبد الملك بن أيمن يقول : كان عيسى بن دينار عالماً متفناً ، وهو الذى علم المسائل أهل عصرنا .

وكان أفعه من يحيى بن يحيى ، على جلالة قدر يحيى . وكان محمد بن عمر بن لبابة يقول : فقيه الأندلس عيسى بن دينار ، وعلمها عبد الملك بن حبيب ، وعاقلا يحيى ابن يحيى . وتوفى سنة ٢١٢ بطليطلة ، وقبره بها معروف . ومحمد بن عبدالله بن عيشون الطليطلى أبو عبدالله ، كان فقيهاً ، وله مختصر فى الفقه ، وكتاب فى توجيه حديث الموطأ ، وسمع كثيراً من الحديث ، ورواه . وله إلى المشرق رحلة ، سمع فيها من جماعة ، وتوفى بطليطلة اتسع لياى خلون من صفر سنة ٣٤١ هـ كلام ياقوت

ولما تغلب الاسبانيول على طليطلة اهتم لذلك الاسلام ، وأدرك العقلاء سوء المصير ، لأن ذهاب هذه القاعدة من أيدي المسلمين ، وهى فى وسط أسبانية ، كان مقدمة حوادث كبار توقعوها ، ولم يخطئوا فى حسابهم لها . وقد كانت وقعة الزلافة فى السنة التالية ، وهى اتى أجاز فيها يوسف بن تاشفين إلى الأندلس اصراحاً لمسلميها هى نتيجة سقوط طليطلة فى أيدي النصارى . وبالرغم من كون ابن تاشفين أحرز فى وقعة الزلافة نصراً عزيزاً ، وفتحاً مبيناً ، وخضد شوكة الاسبانيول فى ذلك اليوم ، فانه لم يتمكن من استرداد طليطلة ، وبقيت العلة فى محلها ، وإنما تأخر انحلال دولة الاسلام فى الأندلس بواسطة المرابطين ، ثم بواسطة الموحيدين نحواً من ثلاثمائة سنة

ولنذكر هنا مرثية قيلت لدى سقوط طليطلة ، وحتى الآن لم نعرف اسم قائلها ، ونحن ننقلها عن نفح الطيب كما هي . وهي هذه :

لِشُكْلِكَ كَيْفَ تَبْتَسِمُ الثُّغُورُ سُرُورًا بَعْدَ مَا بَدَسَتْ ثُغُورُ ؟ !
أَمَّا وَأَيُّ مُصَابٍ هُدًى مِنْهُ تَبِيرُ الدِّينِ ، فَاتَّصَلَ الثُّبُورُ
لَقَدْ قُصِمَتْ ظُهُورٌ حِينَ قَالُوا : أَمِيرُ الْكَافِرِينَ لَهُ ظُهُورُ
تُرَى فِي الدَّهْرِ مَسْرُورًا بَعِيشٍ ؟ مَضَى عَنَّا لِطِيبَتِهِ الشُّرُورُ !
أَلَيْسَ بِنَا أَيُّْ النَّفْسِ شَهْمٌ يُدِيرُ عَلَى الدَّوَائِرِ إِذْ تَدُورُ ؟ !
لَقَدْ خَضَعَتْ رِقَابٌ كُنَّ غُلَبًا وَزَالَ عُتُوُّهَا وَمَضَى الثُّغُورُ
وَهَاتَ عَلَى عَزِيزِ الْقَوْمِ ذُلٌ وَسَامَحَ فِي الْحَرِيمِ قَتَى غَيُورُ
طَلِيطَةُ أَبَاحَ الْكُفْرُ مِنْهَا حِمَاهَا ! إِنْ ذَا نَبَأٌ كَبِيرُ !
فَلَيْسَ مِثَالَهَا إِيوَانُ كِسْرَى وَلَا مِنْهَا الْخَوَرْتُقُ وَالسَّدِيرُ
مَحَصَّةٌ مَحَصَّةٌ بَعِيدٌ تَنَاوَلَهَا ، وَمَطْلَبُهَا عَسِيرُ
أَلَمْ تَكُ مَعْقَلًا لِلَّذِينَ صَعَبًا فَذَلَّلَهُ كَمَا شَاءَ الْقَدِيرُ
وَأَخْرَجَ أَهْلَهَا مِنْهَا جَمِيعًا فَصَارُوا حَيْثُ شَاءَ بِهِمْ مَعِيرُ
وَكَانَتْ دَارَ إِيْمَانٍ وَعِلْمٍ مَعَالِمُهَا إِلَى طُمِسَتْ تَنْبِيرُ
فَعَادَتْ دَارَ كُفْرٍ مُصْطَفَاةً قَدْ اضْطَرَبَتْ بِأَهْلِهَا الْأُمُورُ
مَسَاجِدُهَا كَنَائِسُ أَيُّ قَلْبٍ عَلَى هَذَا يَقْرَأُ وَلَا يَطِيرُ ؟ !
فَيَا أَسَفَاهُ ! أَسَفَاهُ ! حُزْنَا يُكَرَّرُ مَا تَكَرَّرَتْ الدُّهُورُ
وَيُنْشَرُ كُلُّ حُسْنٍ لَيْسَ يُطَوَى إِلَى يَوْمٍ يَكُونُ بِهِ النُّشُورُ
أَدِيلَتْ قَاصِرَاتِ الطَّرَفِ كَانَتْ مَصُونَاتٍ مَسَا كُنْهَا الْقُصُورُ
وَأَذْرَكَهَا فَتُورٌ فِي انْتِظَارِ لِسَرَبٍ فِي لَوَاحِظِهِ فَتُورُ

وكانَ بِنَاً وَبِالْقِيَمَاتِ أُولَى
لَقَدْ صَخُنْتَ بِمَحَالَتَيْنِ عَيْنُ
لَنْ غَبْنَا عَنِ الْإِخْوَانِ إِنَّا
نَذُورٌ كَانَتْ لِلْأَيَّامِ فِيهِمْ
فَإِنْ قُلْنَا الْعُقُوبَةُ أَذْرَكَتْهُمْ
فَإِنَّا مِثْلُهُمْ وَأَشَدُّ مِنْهُمْ
أَنَا مَنْ أَنْ يَحُلَّ بِنَا انْتِقَامُ
وَأَكُلُ لِلْحَرَامِ وَلَا اضْطِرَارُ
وَلَكِنْ جُرْأَةٌ فِي عَقْرِ دَارِ
يَزُولُ السِّرُّ عَنْ قَوْمٍ إِذَا مَا
يَطُولُ عَلَى لَيْلٍ ، رُبَّ خُطْبٍ
خُذُوا ثَارَ الدِّيَانَةِ وَانصَرُوهَا
وَلَا تَهِنُوا وَسَلُوا كُلَّ عَضْبٍ
وَمُوتُوا كُلَّكُمْ فَاَلَمُوتُ أُولَى
أَصْبَرَا بَعْدَ سَبِيٍّ وَامْتِحَانٍ
فَأَمْ الصَّبْرُ مِذْكَارٌ وَلَوْ دُ
نَخُورُ إِذَا دُهِنَا بِالرَّزَايَا
وَنَجْبُنُ لَيْسَ نَزَارُ ، لَوْ شَجَعْنَا
لَقَدْ سَاعَتْ بِنَا الْأَخْبَارُ حَتَّى
أَتْنَا الْكُتُبُ فِيهَا كُلُّ شَرٍّ
وَقِيلَ تَجَمَّعُوا لِفِرَاقِ شَمْلٍ

لَوْ انْضَمَّتْ عَلَى الْكُلِّ الْقُبُورُ
وَكَيْفَ يَصْحُ مَغْلُوبٌ قَرِيرُ؟
بَأَحْزَانٍ وَأَشْجَانٍ حُضُورُ
بِمَلَكِهِمْ فَقَدْ وَفَتْ النُّذُورُ
وَجَاءَهُمْ مِنَ اللَّهِ النَّكِيرُ
نَجُورُ ، وَكَيْفَ يَسْلَمُ مَنْ يَجُورُ؟
وَفِينَا الْفَسْقُ أَجْمَعُ وَالْفُجُورُ؟
إِلَيْهِ ، فَيَسْهَلُ الْأَمْرُ الْعَسِيرُ
كَذَلِكَ يَفْعَلُ الْكَلْبُ الْعَقُورُ
عَلَى الْعِصْيَانِ أُرْخِيَتْ الشُّتُورُ
يَطُولُ لِهَوْلِهِ اللَّيْلُ الْقَصِيرُ
فَقَدْ حَامَتْ عَلَى الْقَتْلِ النُّشُورُ!
تَهَابُ مُضَارِبَا عَنْهُ النُّحُورُ
بِكَمْ ، مَنْ أَنْ تُجَارُوا أَوْ تَجُورُوا
يَلَامُ عَلَيْهِمَا الْقَلْبُ الصَّبُورُ!
وَأَمْ الصَّقْرُ مِغْلَاتُ نَزُورُ
وَلَيْسَ بِمُعْجَبٍ بِقَرٍّ تَخُورُ
وَلَمْ نَجْبُنْ لَكَانَ لَنَا زَيْرُ
أَمَاتَ الْخَبِيرِينَ بِهَا الْخَبِيرُ
وَبَشَّرَنَا بِأَمْحِسِنَا الْبَشِيرُ
طَلِيظَةٌ تَمْلِكُهَا الْكَفُورُ

قُلْ فِي خُطَّةٍ فِيهَا صَفَارٌ يَشِيبُ لِكُرِّهَا الطِّفْلُ الصَّغِيرُ
 لَقَدْ صَمَّ السَّمِيعُ فَلَمْ يُعَوَّلْ عَلَى نَبَاءِ كَمَا عَمِيَ الْبَصِيرُ
 تُجَاذِبُنَا الْأَعَادِي بِاصْطِنَاعٍ فَيَنْجَذِبُ الْمُحُولُ وَالْفَقِيرُ
 فَبَاقٍ فِي الدِّيَانَةِ تَحْتَ خِزْيٍ تَشْبِطُهُ الشَّوْهِةُ وَالْبَعِيرُ
 وَآخِرُ مَارِقٍ هَانَتْ عَلَيْهِ مَصَائِبُ دِينِهِ فَلَهُ السَّيْرُ
 كَفَى حَزَنًا بَأَنَّ النَّاسَ قَالُوا إِلَى أَيْنَ التَّحَوُّلُ وَالْمَسِيرُ؟
 أَذْهَبَ دُورَنَا وَنَفَرُ عَنْهَا؟ وَلَيْسَ لَنَا وَرَاءَ الْبَحْرِ دُورُ
 وَلَا ثُمَّ الضِّيَاعُ تَرُوقُ حُسْنًا نُبَاكِرُهَا فَيُعْجِبُنَا الْبُكُورُ
 وَظِلٌّ وَارِفٌ وَخَرِيرُ مَاءٍ فَلَا قُرَى هُنَاكَ وَلَا حُرُورُ
 وَيُؤْكَلُ مِنْ فَوَاسِكِهَا طَرِيٌّ وَيُشْرَبُ مِنْ جَدَاوِلِهَا نَمِيرُ
 يُوَدَّى مُغْرَمٌ فِي كُلِّ شَهْرٍ وَيُؤْخَذُ كُلُّ صَائِفَةٍ عُشُورُ
 فَهُمْ أَحْمَى لِحَوَزِنَا وَأُولَى بِنَا ، وَهُمْ الْمَوَالِي وَالْعَشِيرُ
 لَقَدْ ذَهَبَ الْيَقِينُ فَلَا يَقِينُ وَغَرَّ الْقَوْمَ بِاللَّهِ الْغُرُورُ
 فَلَا دِينَ وَلَا دُنْيَا وَلَكِنْ غُرُورٌ بِالْمَعِيشَةِ مَا غُرُورُ
 رَضُوا بِالرَّقِّ ، يَا لَلِهِ ! مَاذَا رَأَاهُ وَمَا أَتَارَ بِهِ مُشِيرُ؟
 مَضَى الْإِسْلَامُ فَبِكَ دَمًا عَلَيْهِ ! فَمَا يَنْفِي الْجَوَى الدَّمْعُ الْغَزِيرُ
 وَنُحْ وَانْدُبْ رِفَاقًا فِي فَلَاةٍ حَيَارَى لَا تَحُطُّ وَلَا تَسِيرُ
 وَلَا تَجْنَحُ إِلَى سَلَمٍ وَحَارِبٍ عَسَى أَنْ يُجَبَّرَ الْعَظَمُ الْكَسِيرُ
 أَنْعَمَى عَنْ مَرَاشِدِنَا جَمِيعًا وَمَا إِنْ مِنْهُمْ إِلَّا بَصِيرُ؟
 وَنَلْقَى وَاحِدًا وَيَفِرُّ جَمْعٌ كَمَا عَنْ قَانِصٍ فَرَّتْ حَمِيرُ
 وَلَوْ أَنَا ثَبَتْنَا كَانَتْ خَيْرًا وَلَكِنْ مَالَنَا كَرَمٌ وَخَيْرُ
 (٢٩ - ج أول)

إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ صَبْرٌ جَمِيلٌ فَلَيْسَ بِنَافِعٍ عَدَدٌ كَثِيرٌ
 أَلَا رَجُلٌ لَهُ رَأْيٌ أَصِيلٌ بِهِ مِمَّا نَحَازِرُ نَسْتَجِيرُ !
 يَكُرُّ إِذَا السَّيْفُ تَنَاوَلَتْهُ وَأَيْنَ بَنَّا إِذَا وَلَّتْ كُرُورُ ؟
 وَطَعْنٌ بِالْقَنَّا الْخَطَّارِ حَتَّى يَقُولُ الرَّمْحُ : مَا هَذَا الْخَطِيرُ ؟
 عَظِيمٌ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ طُرًّا بِأَنْدُلُسَ : قَتِيلٌ ، أَوْ أَسِيرٌ
 أَذْكَرُ بِالْقِرَاعِ اللَّيْثَ حِرْصًا عَلَى أَنْ يَقْرَعَ الْبَيْضَ الذِّكُورُ
 يَبَادِرُ خَرْقَهَا قَبْلَ اتِّسَاعِ لِيَخْطُبَ مِنْهُ تَخْصِيفُ الْبُدُورُ
 يُوسِّعُ لِلَّذِي يَلْقَاهُ مَدْرًا فَقَدْ ضَاقَتْ بِمَا تَلْقَى صُدُورُ
 تَنْفَعَتِ الْحَيَاةُ فَلَا حَيَاةُ وَوَدَّعَ حَيْرَةً إِذْ لَا مُجِيرُ
 قَلِيلٌ فِيهِ هَمٌّ مُسْتَكِينٌ وَيَوْمٌ فِيهِ شَرٌّ مُسْتَطِيرُ
 وَنَرْجُو أَنْ يُتَبَيَّحَ اللَّهُ نَعْرًا عَلَيْهِمْ ، إِنَّهُ نِعَمَ النَّصِيرُ !

ويقال في قضية أخذ الأسبانيول لطليطلة النكتة الآتية : كان الاذفونش السادس قد فر من وجه أخيه شانجه ، فالتجأ الى ابن ذي النون ملك طليطلة ، فسمح له بالافامة عنده ، ولم يكن من عادة العرب أن يستنكفوا في وقت من الأوقات من إيواء الدخيل . وكان المسلمون أنفسهم اذا حزب الواحد منهم أمر يذهب زويلا عند أحد ملوك النصرى ، وكم التجأ فيما بعد مسلمون من غرناطة الى اشبيلية ، ونصارى من اشبيلية الى غرناطة فلأما ابن ذي النون تلقى الاذفونش وأثنى براً وترحيباً ، واثتلف الضيف والمضيف وكانا يذهبان معاً الى الصيد ، وكانت أرض طليطلة شجراً ، أكثر جداً مما هي اليوم فبينما ذات يوم المأمون والاذفونش في إحدى الجنان بجوار طليطلة ، أدركت القائلة الاذفونش ، فاضطجع في ظل شجرة ، وجلس المأمون يتحدث إلى أصحابه على مقربة منه ، فبينما هم في الحديث ، عن لهم موضوع طليطلة وما هي عليه من المنفعة الطبيعية ،

على شفير ذلك الوادى العميق . فأجمع من حضر من أهل النظر على أن طليطلة لا تؤخذ ولا ينال منها مرام . فانبرى أحد الذين كانوا فى ذلك المجلس ، وخالف رأى الجماعة ، وقال إنه يكفى لتذليل طليطلة ، أن يعمد العدو إلى ضواحيها فيجتاحتها ، ويقطع الميرة عن أهلها ، فيضطروا إلى التسليم . فان لم يمكن أخذ طليطلة بالسيف فيمكن جداً أخذها بالجوع .

وكان الأذفونش بين النائم والواعى . فلما سمع الحديث عن أخذ طليطلة ، أصغى إليه ، وتنبه له ، ووعى كل ماسمعه . ولكنه أسرها فى نفسه ، ولم يشعر القوم بأنه سمع مما قيل شيئا . ثم إنه لما جلس على عرش قشتالة تذكر ذلك المجلس ، وعمل برأى من قال إن طليطلة قد تؤخذ بالحصر والجوع .

ويظهر من هنا أن الأذفونش لم يكن يجهل العربية ، لأن ابن ذى النون وجماعته إنما تكلموا فى تلك القائلة بالعربية ، لا بالاسبانيولية . فلو لم يكن الأذفونش عارفا بالعربية لما فهم الحديث .

والخلاصة أنه حاصر طليطلة عدة سنوات وعاث فى نواحيها ، وقطع الميرة التى كانت تأتىها من ضواحيها ، وما زال يجوع أهلها حتى أخذها فى ٢٥ مايو سنة ١٠٨٥ كما تقدم

وقيل ، وهو الأرجح ، إنه استولى على تلك البلدة بدون عناء كبير ، بل باقناعه القادر بن المأمون بن ذى النون بأنه يكون خيرا له لو ذهب إلى بلنسية ، وملاك فيها وهى فى محبوبة من الاسلام ، وترك له طليطلة الواقعة دائما فى حلق العدو .

وقد أجمع المؤرخون على سوء تدبير القادر بن ذى النون ، وأنه لم يكن كفوًّا لعروس مثل طليطلة ، فكان وجوده فيها السبب فى ذهابها من يد الاسلام . وكان ذلك نبأ كبيرا ، كما جاء فى مرثية طليطلة ، لان القشتاليين أخذوا بعدها بمخنق الاسلام وبركوا على قلبه فى جزيرة الأندلس ، وصار بعدها ثغرهُ مُعَوِّرا وأمرهُ مدبرا .

وأصل بنى ذى النون من البربر الذين كانوا فى خدمة الدولة العامية . وروى

ابن عذارى أن اسم جدّهم لم يكن « ذا النون » ، وإنما كان « زنون » ، وهو اسم من أسماء البربر فتصحف بطول المدة ، وصار « ذا النون » بالذال .

قال : ولم يكن لهؤلاء القوم نباهة قديمة ، ولا ذكر إلا في دولة ابن أبي عامر ، فانهم تقدموا في دولته واشتهروا ، فكان منهم من يقود الجيوش ، ويلى الأعمال والبلاد . وكان منهم في آخر أمد الجاعة وال بكورة « شنت بريه » ، فلما وقعت الفتنة بالأندلس كان الالى بمدينة طليطلة وذواتها عبد الرحمن بن منيوه ، وأدركته منيته في خلال ذلك ، فورث نظره عبد الملك بن عبد الرحمن بن منيوه ، فأساء السيرة بالرعية . وكان أهل طليطلة على قديم الدهر أهل فتنة وقيام على الملوك ، فلم يرضوا سيرة هذا الفتى فخلعوه ، وولوا على أنفسهم من ينظر في أمرهم . ثم إنهم تقوموا عليه شيئاً فعزلوه وولوا غيره ، ثم خلعوه . ثم رأوا أن يرسلوا إلى ابن ذى النون بشنت بريه ، فوجه إليهم ابنه اسماعيل بن عبد الرحمن بن ذى النون . فاستولى هذا الفتى على ملك طليطلة و بلادها ، فساس أهل مملكته السياسة الحسنة

وكان أكبر أهل طليطلة رجلاً يسمى أبا بكر بن الحديدى ، وكان شيخها ، والمنظور اليه بها من أهل العلم ، والعقل والدهاء ، وحسن النظر في صلاح البلد . وكانت العامة تعضده ، وتقوم دونه ، فكان هذا الفتى اسماعيل بن ذى النون لا يقطع أمراً دونه ، ويشاوره في مهمات أموره ، فحسده قوم من أهل طليطلة على منزلته عند أميرهم ، فناقشوه وعادوه ، وحضرت منية اسماعيل بن ذى النون ، فولى بعده ابنه يحيى بن اسماعيل الملقب بالمأمون ، ولما ملك يحيى بن ذى النون طليطلة جرى على سيرة أبيه في استعمال قانون العدل ، وجرى مع بن الحديدى على سنن أبيه ، فاستقامت طاعته ، وضمخم ملكه . انتهى . قلنا ولم يكن القادر بن المأمون على شيء مما كان عليه أبوه فلذلك أضاع تلك البلدة العذراء ، والخطبة الغراء ، وأى ملك أضاع ! وأى ثغر مكن منه عدو الاسلام ، فتمكن بقدر ما استطاع ؟ !

ولنذكر هنا ملخصاً ما قاله المستشرق لاوى بروفنسال فى الانسيكلوبيديّة

الاسلامية قال : توليدو ، وبالعربي طليطلة ، مدينة في اسبانية ، موقعها في وسط الجزيرة الايبيرية على مسافة ٩١ كيلومتراً إلى الجنوب ، والجنوب الغربي من مجريط وارتفاعها عن سطح البحر ٥٦٨ متراً ، وهي على أكمة من الصخر ، يحيط بها نهر تاجه من الجهات الثلاث ، جارياً في واد عميق ، يسقى حفافيه إلى الشمال الشرقي ، والشمال الغربي ، بقعة بديعة مريضة ، ومن بعدها ترى بسائط قشتالة الجرداء . وليس في طليطلة اليوم أكثر من ٢٥ ألف نسمة من السكان ، إلا أنها لا تزال مركز ولاية ، ولا يزال فيها كرسى الأسقف الأعظم برماط اسبانية . وأما موقعها فلا يضاويه موقع في العظمة .

وقد ذكرها جغرافيو العرب فأطالوا ، وقصروا ، وجعلها الشريف الإدريسي من إقليم الشارات ، وفي زمانه كانت طليطلة انتقلت إلى أيدي الاسبانيول ، وإنما نوه الإدريسي بمنعة موقعها ، وبحصانة أسوارها ، وبالتفاف جناحها التي تجري فيها قتي الماء المرفوع بالنواعير .

ومن أطرى طليطلة أبو الفداء الذي ذكر بساتينها ، وقال إنه يوجد فيها رمان ذو حجم غير معهود . وقال ياقوت الحموي : إن الخنطة التي تنبتها بقعة طليطلة تبقى سبعين سنة ولا تتعفن ، وإن زعفرانها هو بفاية الجودة . وقد ذكر طليطلة المؤرخ الروماني تيتليف وسماها « توليته » وقال : إن الرومانيين استولوا عليها بصعوبة سنة ١٩٣ ق م . وذلك في زمن فولفيوس Fulvius ، وكانت مدينة زاهرة لعهد الرومان وصار لها شأن عظيم بعد انتشار النصرانية . وفي سنة أربع مائة للمسيح انعقد فيها مجمع أساقفة حضره ١٩ أسقفاً ، وفي سنة ٤١٨ استولى عليها القوط ، وجعلوها حاضرة ملكهم . وفي سنة ٥٦٧ استقر بها « أتانا جلد » ملك القوط ، ولما تنصر ريكاريدي سنة ٥٨٧ عظم شأنها ، وصارت عاصمة الكتلكتة في اسبانية . وفي طليطلة كان لذريق ملك اسبانية ، ويتحدثون أنه فيها شاهد فلورنדה ابنة الكونت يوليان صاحب سبتة تفتسل في الحمام ، الذي يقال له حمام الكهف ، فهاجم بها ، ولما فتح طليطلة طارق بن

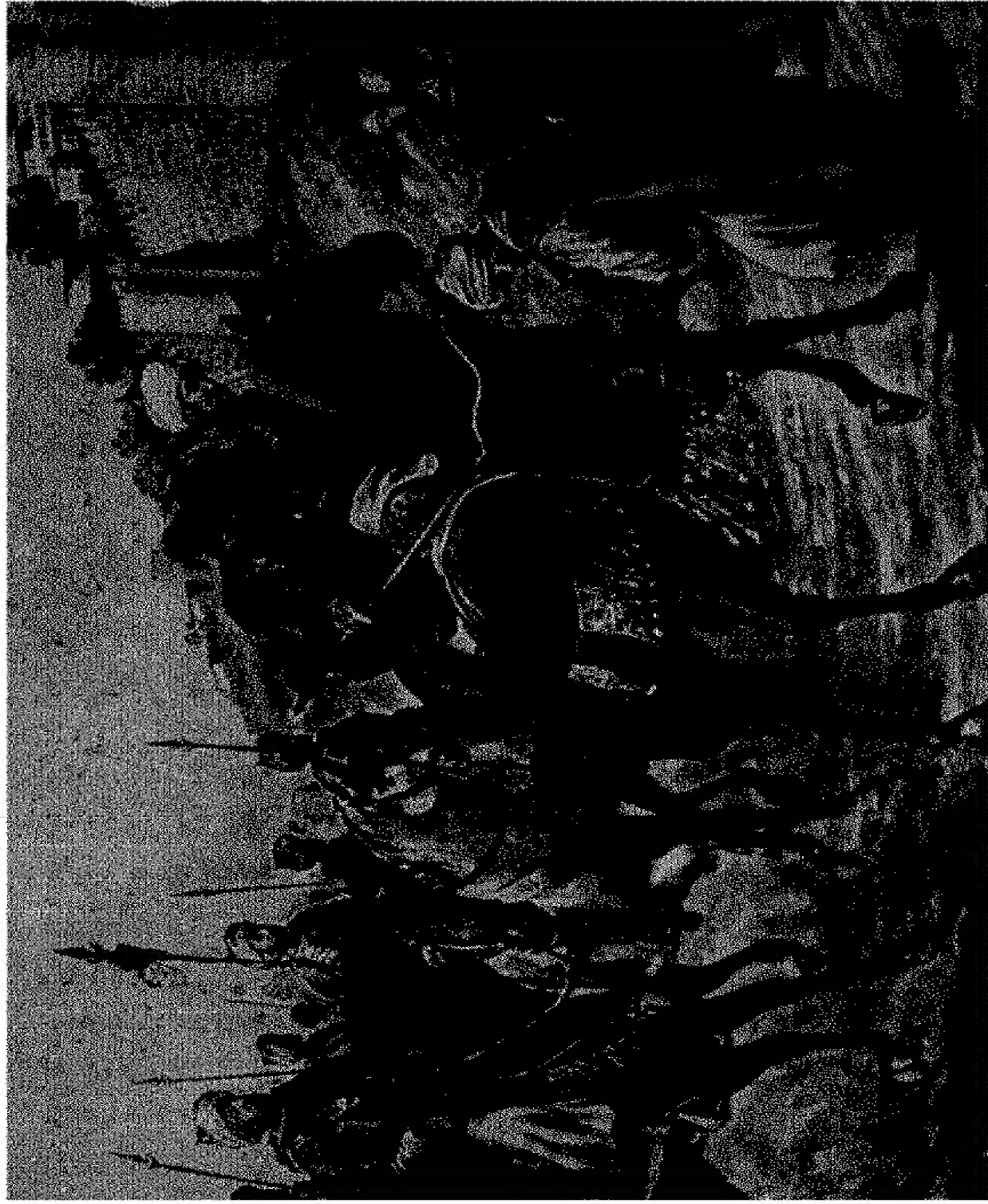
زياد سنة ٩٢ للهجرة ، او ٧١٤ للميلاد ، كانت تقريباً خاوية على عروشها ، ولم يكن فيها غير نزر من اليهود ، ضمهم طارق إلى جيشه . ثم وافاه الجيش الذي كان سرحه لأخذ غرناطة ومرسية . وفي طليطلة جعل مؤرخو العرب ملتقى طارق مع موسى ابن نصير سيده ، ولكن موسى لم يترث في طليطلة ، بل ساق منها إلى الشمال قاصداً سرقسطة . وجميع من كتبوا من العرب عن الأندلس ينقلون الأخبار التي كانت شائعة ، والتي هي أشبه بالأساطير منها بالحقائق عن الكنوز والأموال التي وجدها العرب في طليطلة عند ما فتحوها ، وأشهر هذه الأخبار قصة « البيت المغلق في طليطلة » وقد بحث في هذا الموضوع بحثاً دقيقاً المسيو « رينى باسه » René Basset في رسالة ألفها سنة ١٨٩٨ .

ويدور ذكر طليطلة كثيراً في كتب العرب ، ولا سيما من بعد استقرار دولة بنى أمية في قرطبة ، فان طليطلة لم تكن تطيع قرطبة ، وأصبحت مركز عصيان دائم على الدولة ، ومما لا شك فيه أن السواد الأعظم من أهلها بعد استيلاء الاسلام عليها لم يتركوا الديانة الكاثوليكية رغم استعراهم ، وأهم كانوا لا يطيقون حكم المسلمين برغم شدة تسامح هؤلاء ، فكانوا لا يدعون فرصة تمر ، ولا غرة تلوح ، حتى يطغوا ويتمردوا

وفي طليطلة وجدت التورة البربرية التي وقعت سنة ١٢٢ للهجرة أعظم أنصارها وبجانب طليطلة كانت واقعة وادي السليط التي استأصل فيها جيش قرطبة دابر ثوار طليطلة .

ثم إلى طليطلة هذه انهزم يوسف الفهرى من وجه عبد الرحمن الداخل ، وبقى متمتعاً بها حتى قتل ^(١) سنة ١٤٢ ، ومن زمن عبد الرحمن الداخل إلى زمن عبد الرحمن

(١) بعد أن تمت الغلبة لعبد الرحمن الداخل على يوسف الفهرى في خبر سنأتى على تفصيله في قسم التاريخ إن شاء الله ، فر يوسف إلى « فريش » ، ثم إلى « فخص البلوط » كما جاء في كتاب « اخبار مجموعة » أقدم تاريخ عرنى للأندلس ، ثم واقع بحجة طليطلة



ملاقة موسى بن نصير مع طارق بن زياد بأرض طليطلة

الناصر لم تقتّر طليطلة يوماً واحداً عن المقاومة ، وفي سنة ١٤٧٠ ثار فيها هشام بن عذره فرماه عبد الرحمن باثنين من قواده : بدر وتمام بن علقمة اللذين حصرا المدينة ^(١) ،

يريد بن عروة ، ليأمن عنده ، وهو إلى طليطلة على عشرة أميال ، فر بعبد الله بن عمر الانصارى . وهو بقرية من قرى طليطلة ، فقبل له : هذا يوسف منهزماً . فقال لأصحابه : ويحكم ! اخرجوا بنا نقتله ، ونزيح الدنيا منه ، ونزيحه من الدنيا ، ونزيح الناس من شره ، فقد صار رجلاً ناجشاً للحرب . فخرج حتى لحقه ، وليس بينه وبين مدينة طليطلة إلا أربعة أميال ، وليس معه إلا سابق الفارسي ، مولى لبني تميم ، ومن يحمله يقول مولى يوسف . وبقيته بسرقسطة ، ووصيف واحد فقط ، وقد ماتوا من شدة الركض ، وليس معهم منعة ولا مدفع ، فقتل عبد الله يوسف الفهرى ، وقتل سابق ، وهرب الغلام حتى دخل طليطلة . ثم أقبل عبد الله بن عمر برأس يوسف ، فلما بلغ ابن معاوية (أى عبد الرحمن الداخل) إقبال عبد الله بن عمر برأس يوسف أمر بضرب عنق عبد الرحمن بن يوسف المكنى بأبي زيد ، وكان عليه حرذاً لما صنع بعياله ، ثم أخرج رأسه إلى رأس أبيه . اه قلنا ظاهر من هذا النص ، وصاحبه أدرك بالحقيقة لأنه أقرب عهداً بالحوادث المذكورة ، ان يوسف الفهرى لم يكن دخل طليطلة ، وإنما كان قاصداً دخولها يوم قتله عبد الله بن عمر الانصارى

(١) الذى فى « أخبار مجموعة » هو هشام بن عروة الفهرى ، لاهشام بن عذره ؟ ولا نعلم هل التصحيف فى كلام أخبار مجموعة أو فى كلام لاوى بروفنسال ؟ وقال فى « أخبار مجموعة » ، إنه كان مع هشام فى الثورة حياة بن الوليد التجيبى والعمرى من ولد عمر بن الخطاب رحمه الله فخرج إليه الأمير عبد الرحمن إلى طليطلة لخاصره فيها فلما عضته الحرب ، وناله الحصار ، دعا إلى الصالح وأعطى ولده رهينة ، ورجع عنه الأمير . فلما انصرف عنه خلع أيضاً ، وعاد إلى نفاقه ، فعزاه الأمير السنة الثانية ، فنزل به وحاربه ودعاه إلى الرجوع فصبر ، فلما يئس منه أمر بابنه الرهينة فضربت عنقه ، ثم جعل الرأس فى المنجنيق ورمى به إليه فسقط فى المدينة . ورجع عنه ذلك العام (إلى أن يقول) ثم رجع الأمير ، وبعث بعد ذلك بدرأ مولاه ، وتمام بن علقمة إلى طليطلة لخاصر هشام بن عروة ، وقطع الأمير البعوث على الأجناد ، وجعلها بينهم دولا فى كل ستة أشهر . فاذا انقضت دولة ندب أخرى ، حتى مل أهل المدينة الحصار ، واستثقلوا الحرب ، وكانهم مع ذلك تمام وبدر ، فأسلخوا هشاماً والعمرى وحياة (إلى أن يقول) ثم أمر بهم الأمير فقتلوا وصلبوا

ولما تولى هشام الاول ونازعه أخوه سليمان، ذهب هذا إلى طليطلة، والتزم الأمير هشام أنه يذهب ويحاصر طليطلة، وبعد حصار شهرين رجع عنها خائباً. وسنة ١٨١ تولى الحكم بن هشام فثارت عليه أيضاً طليطلة بقيادة رجل اسمه عبيدة بن حميد، وكان أكثر من يغري أهل طليطلة بالثورة شاعرهم غريب، الذي كانوا يحبونه^(١) حباً جماً، فولى الأمير الحكم على طليطلة مولداً أصله من وشقه، اسمه عمروس، وكان اتفق مع الأمير أن يأخذ أهل طليطلة في شرك يوقعهم فيه، وذلك انه دعاهم وقتلهم جميعاً، في الواقعة المسماة بواقعة الحفرة^(٢) (سنة ١٩١) ولكن لم يمض أكثر من عشر سنوات

(١) قال في النفع: وكانت في أيام الحكم حروب وفتن مع الثوار من أهل طليطلة
(٢) يقول دوزي المستشرق العظيم، أشهر أوربي كتب على الاندلس، إن طليطلة كان فيها من الاسبانيول المستعربة أكثر مما فيها من العرب والبربر الذين كانوا ينتشرين في قراها. فبسبب ذلك، وبسبب نفوذ كلبة القسيسين والأساقفة، كانت طليطلة مستعدة دائماً للانتفاض. وكان الاسبانيول لا يزالون ينظرون إليها نظرم إلى عاصمة لهم في الدين والدنيا، وأهل طليطلة بفطرتهم مترعون إلى الثورة لا يضاهيهم في ذلك قبيل، وكان عندهم شاعر اسمه غريب من عائلة اسبانيولية مسلمة يغريهم بالانتفاض أبداً. وكان أمير الاندلس يحسب الحساب لغريب، ولم يقدم على شيء بحق طليطلة ما دام غريب حياً، ولكن بعد موت غريب استدعى الأمير اسبانيوليا مسلماً من وشقة اسمه عمروس وقال له: انه لا يوجد غيرك من يقدر أن يريحنى من أهل طليطلة الذين لا يرضون عليهم والياً عربياً، فلذلك أنا اخترتك والياً عليهم لأنهم من جنسك. ثم أسره اليه رآيه في الاقتصاص منهم فوافقه عمروس عليه لما كان من شدة طمعه ورغبته في ارضاء الأمير، ثم كتب الأمير إلى أهل طليطلة كتاباً يقول لهم فيه إنه نزولا عند رغبتهم اختار لهم والياً من جنسهم

وما وصل عمروس الى طليطلة حتى بدأ بإعمال الحيلة حتى ينال ثقة الطليطليين التامة، وأخذ يتظاهر بالعصية للجنس الاسبانيولي، ويبدى في الأحايين بغضاه لبني أمية وللعرب على الاطلاق، ثم قال للطليطليين ان سبب العداوة بينكم وبين السلطان هو وضع الجنود في بيوتكم، وتثقيلم عليكم باصناف المغارم فمن هناك كانت تنشأ أسباب الخصام فإذا ساعدتموني في بناء حصن لا يواء هذه الجنود في طرف البلدة تكونون

على هذه الواقعة حتى ثارت طليطلة مرة أخرى ، وذلك سنة ١٩٩ فزحف اليها الأمير الحكم بنفسه ، ودخل البلدة ، وأحرق الجانب الأعلى منها ، ثم في سنة ٢١٤ وفق

كفبتهم أنفسكم مؤونة هذه المشاجرات . ولما كان الطليطيون قد أولوا عمروس مزيد ثقتهم رضوا باقتراحه هذا بل آثروا أن يكون هذا الحصن في وسط البلدة بدلا من أن يكون على طرف منها . ولما انتهى بناء الحصن أعلم عمروس السلطان بأنه قد أتم بناء الحصن وانتقل اليه بجنوده . فأسرع السلطان بإعلام أحد القواد الذين يرابطون في الثغور بأن يكتب اليه عن حركة بدت من جهة العدو ، وذلك حيلة منه حتى يتمكن من ارسال الجنود الى طليطلة . فلما وصل كتاب القائد أمر السلطان بزحف الجيوش على رأسها ثلاثة من وزرائه بمعية ابنه الأمير عبد الرحمن ، ولم يكن بلغ من العمر أكثر من ١٤ سنة ، فوصلت الجيوش الى ضواحي طليطلة فإشار عمروس الى أعيان الطليطليين بالسلام على الأمير ففعلوا وقابلهم الأمير بالحفاوة الزائدة ورجعوا مسرورين فقال لهم عمروس : تقتضى المصلحة ان ندعو الأمير ليقم بين أظهرنا عدة أيام ، فان هذا الأمير سيكون هو الملك في المستقبل ، وانه يحسن أن تكون علاقات الطليطليين به وثيقة فاستحسن القوم رأي عمروس ، وأقبلوا على الأمير بدعونه ليقم عندهم أياماً فأجاب دعوتهم بعد أن اعتذر ثم لما حصل المقصود أمر الأمير بدعوة أهالي طليطلة وضواحيها الى طعام فكتبوا الى جميع الأعيان والوجوه وأقبلوا زرافات في الميعاد المعين ، فلم يأذنوا لهم في الدخول إلا واحداً واحداً فكان الواحد يدخل من باب ويرسل فرسه مع تابعه لا تنظاره أمام الباب الآخر . وكان عمروس أمر بحفر حفرة في دار الحصن أقام بجانبها عددا من الجلادين فعندما يصل الواحد من أعيان طليطلة الى جانب الحفرة يتلقونه بالسيوف ويلقونه فيها . ولم يعلم على التمام عدد الذين قتلوا في ذلك اليوم : فابن عذارى يقول سبعمائة والنويرى وابن القوطية يحملونهم خمسة آلاف . ولما صار الوقت ضحى قال أحد أطباء طليطلة لجماعة كانوا أمام باب القصر : ماذا تراه حصل بهؤلاء المدعوبين ؟ فقليل له : لعلمهم خرجوا من الباب الآخر . فقال لهم : كنت عند الباب الآخر فلم أجد أحداً خرج . ثم نظر فرأى دخاناً يتصاعد فقال لهم : ليس هذا دخان الوليمة وإنما هو دخان أجساد قتلاكم . وبعد ذلك هدأت طليطلة مدة طويلة . اه وأما غريب الشاعر الطليطلي فقد قال عنه في « بغية الملمس » ما يلي : غريب (بكسر أوله) الطليطلي شاعر قديم مشهور الطريقة في الفضل والخير ومما يتداول الناس من شعره :

٨٢٩ ، ثارت طليطلة أيضاً بتحريرىض مولد اسمه هاشم الغراب ، فاستمرت الفتنة سنتين إلى أن سكنت . وفي زمن عبد الرحمن الثانى ثارت أيضاً فأرسل إليها جيشاً بقيادة الأمير أمية ، وكان ذلك بعد الفتنة السابقة بخمس سنوات لاغير .

ثم في السنة التى بعدها حصر الأمير طليطلة حصاراً استمر عدة أشهر ، ثم أخذها عنوة في عام ٢٢٢ ولم يرجع عنها حتى أخذ منها رهائن بقيت في قرطبة الى سنة ٢٣٨ ولكن في هذه السنة نفسها عند ولاية الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم رفعت طليطلة لواء العصيان ، وعزل أهلها والى العربى الذى عندهم وزحفوا بجيش هزم جيش الأمير محمد في اندوجر سنة ٢٣٩ ، ولما كانوا يتوقعون زحف الجيوش اليهم من قرطبة تحالفوا مع « أوردونوه » الأول ملك ليون الذى أمدهم بجيش من عنده ، ولسكن الجيش الأموى تغلب عليهم وقتل منهم عشرين ألفاً .

وسنة ٢٤٤ قوّب الأمير محمد تحت جسر طليطلة بينا كتائب الجند فوق القنطرة ، فوقعت وهلكوا جميعاً ، فاضطر الطليطليون إلى الخضوع ، ولكن على صورة دفع جزية سنوية ، وتمتعهم باستقلالهم الداخلى .

وبقيت الحال على هذا المنوال إلى زمن الخليفة الناصر ، فلما انتهى من إخضاع

يهددنى بمخلوق ضعيف	يهاب من المنية ما أهاب
وليس إليه محيا ذى حياة	وليس إليه مهلك من يصاب
له أجل ، ولى أجل ، وكل	سيبلغ حيث يباغى الكتاب
وما يدرى ، لعل الموت منه	قريب ، أينما قبل المصاب
لعمرك ما يرد الموت حصن	إذا اكتاب الملوك ولا حجاب
لعمرك إن محياى وموتى	إلى ملك تذلل له الصعاب
إلى ملك يدوخ كل ملك	وتخضع من مهابة الرقاب

فظاهر من شعر غريب أنه شاعر ثائر صعب المقادة لا يهرب الملوك ولا يعرف فرقاً بين الملك والصعلوك وهو يذكّر ما يذكّر من استواء الجميع أمام الموت تهوينا للموت على الناس صنع كل داع إلى ثورة

جميع الثائرين أرسل إلى طليطلة جماعة من الفقهاء ، ليلبغ أهلها بأن استقلالهم الداخلي غير مقبول . فنصح الفقهاء لهم ، فذهب نصحبهم بدون فائدة فزحف الخليفة إلى طليطلة بنفسه بجيش جرّار ، وخيّم على الجبل المقابل لطليطلة ، وأصرّ وصمّم على أن لا يبرح مكانه حتى يفتحها .

ثم جعل يبنى في الحثيم بالحجر ، وأقام سوقاً ، وسمّى الحثيم مدينة الفتح . ودام الحصار إلى سنة ٣٢٠ ، وفق ٩٣٢ ، فاضطر الطليطيون إلى الاستسلام . وجعل فيها الناصر حامية أموية ، وصارت مركزاً للشعر الأوسط .

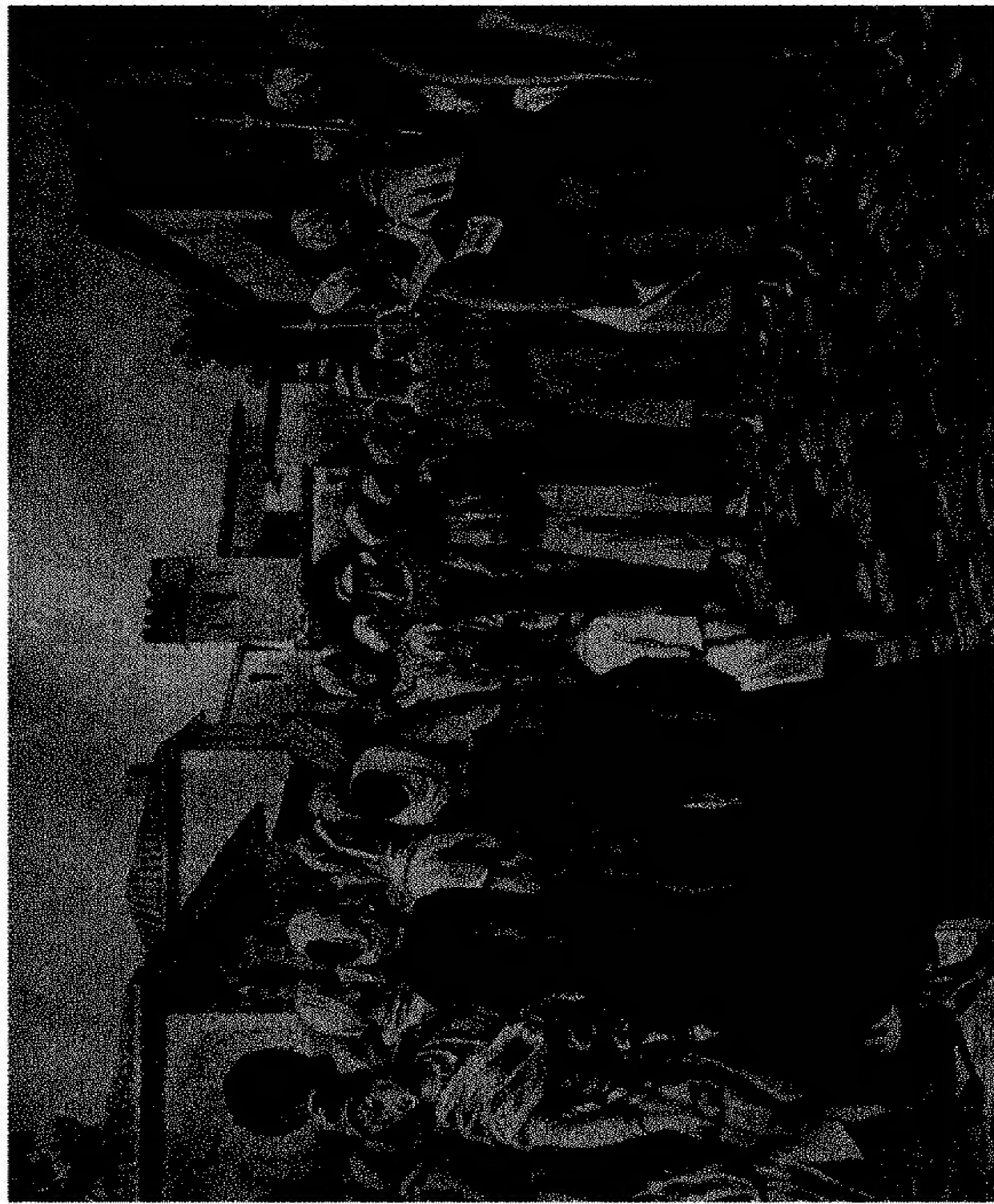
وكان والى طليطلة معدوداً من أكابر رجال الديوان ، فتولاها محمد بن عبد الله ابن حدير ، ثم القائد أحمد بن يعلى .

وفي زمن الحكم المستنصر بن الناصر تولاها غالب بن عبد الرحمن الناصري ، هو الحاجب المنصور بن أبي عامر

ولما نشبت في قرطبة الفتن التي أفضت إلى سقوط دولة بني أمية ، لم تستفد طليطلة من تلك الحوادث ، كما كانت تفعل قبل ذلك ، وكانت على مدة سنين مقرأ للقائد واضح ، وملجأ لمحمد بن هشام بن عبد الجبار ، ولكن لما انقسمت الأندلس إلى ممالك صغيرة صارت طليطلة مملكة مستقلة يابها بنو ذى النون

وكان بنو ذى النون من زعماء البربر خدموا المنصور بن أبي عامر ، وكانوا في شنته بريّة ^(١) . فلما سقطت الخلافة في قرطبة أرسل أهل طليطلة إلى عبد الرحمن ابن ذى النون يعرضون عليه ولاية بلدهم ، فأرسل إليهم ابنه اسماعيل ، فتولّى طليطلة وملحقاتها ، واعتمد على أحد أعيانها أبي بكر بن الحديدي . وذهب بعض مؤرخي العرب إلى أنه بعد سقوط الخلافة لم يكن ابن ذى النون أول أمير طليطلة ، بل سبقه ابن مسرة ، ومحمد بن يعيش الأسدي ، وولده أبو بكر يعيش . وذكروا أيضاً سعيد

(١) Santaver وهي من مقاطعة قونكة



نسيم طليطلة لعبد الرحمن الثاني سنة ٨٣٨ م

ابن شنظير ، وولده أحمد وعبد الرحمن بن منيوه وولده عبد الملك . على أن بداية حكم ابن ذى النون كانت سنة ٤٢٧ وفق ١٠٣٥ إلى ١٠٣٦ ، فتلقّب ابن ذى النون بالظافر . وكانت وفاته سنة ٤٣٥ ، وخلفه ابنه يحيى ، وتلقّب بالمأمون . ولما مات يحيى سنة ٤٦٧ كانت المملكة الطليطلية قد عظمت واتسعت ، فخلفه حفيده يحيى بن اسماعيل بن يحيى ، الذى تلقّب بالقادر ، ولم يكن فى هذا شىء من حسن تدبير جده ولا من دهائه . فأخذت مملكة طليطلة بالانحطاط ، وفارقه جميع حلفاء جده من أمراء الاسلام ، فانفرد وأحسّ بالضعف ، والتزم أن يلجأ إلى الأذفونش السادس صاحب قشتالة وليون ، فرضى الأذفونش بأن يحميه لكن على شرط أن يؤدى إليه إتاوة سنوية كان الأذفونش يزيد بها سنة عن سنة . فاضطر القادر إلى أن يزيد الضرائب على أهل مملكته ، فثاروا به فتنقبض على كثير من أعيانهم ، وأوقع بهم ، ومن جماتهم وزيره ابن الحديدى ، فازداد بذلك غضب الطليطليين ، حتى فرّ القادر من طليطلة ، وباع أهلها المتوكل ابن الأفطس صاحب بطليوس الذى تولاها سنة ٤٧٢ .

فلما زحف إليها الأذفونش السادس بحجة أنه يريد حفظها لابن ذى النون كان ذلك خداعاً منه ، ودخاها فى ٢٧ محرم سنة ٤٧٨ ، وفق ٢٥ مايو سنة ١٠٨٥ وكان قد أجبر القادر على عقد معاهدة معه يتخلى له بها عن المملكة ، فكانت مرحلة شاسعة من مراحل استرداد المسيحيين للأندلس .

وحصل لأخذ طليطلة وقع عظيم فى النصرانية وعند المسلمين أيضاً . وكانت هذه الواقعة سبب غارة المرابطين فى السنة التالية . إلا أنه مع ظفر يوسف بن تاشفين ، والأيام التى أدالها الله للموحدين بعد المرابطين فى جزيرة الأندلس ، لم يتمكن المسلمون من استرجاع طليطلة ، ولبثوا يحاصرونها حيناً بعد حين ، فقد حصروها مرة فى زمن الأذفونش السادس نفسه ، ومرة أخرى فى زمن ساطان الموحدين أبى يوسف يعقوب المنصور ، وذلك سنة ٥٩٢ ، وفق ١١٩٥ ، وكان المنصور يعقوب استرجع فى هذه

الغزاة قلعة رباح ، ووادي الحجارة ، ومجريط ، على أثر واقعة الأرك^(١) ، التي كانت للمسلمين على النصارى^(٢) ، إلا أنه بعد واقعة نافاس طولوزه (المسماة عند العرب بالمقاب) في ١٦ يوليو سنة ١٢١٢ ، لم يبق أدنى أمل للإسلام في استرجاع طليطلة . ولما رجعت طليطلة مسيحية ، وصارت عاصمة قشتالة ، بقيت حافظة مسحة إسلامية راسخة ، فان قسما من أهلها لبثوا مسلمين ، فكما أنها كانت مدينة الموزاراب

(١) يسميها احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة صاحب بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، واقعة الأركة فهو يقول ما يلي : وكان جواز عسكر الموحدين أعزم الله - يقول أعزم الله لانه هو كان في ذلك العصر - الى الجزيرة الخضراء في عام تسعة وثلاثين وخمسمائة وكان النصارى وقهم الله قد استجاش بهم ابن غانية ودخل بهم قرطبة وغلبوا عليها وأدخلوا دوابهم في جامعها المعظم ومزقت أيدي الكفار به مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وجمع بعد جهد . ولما سمع النصارى وزعيمهم الانبراطور بان عسكر الموحدين قد جاز الى الجزيرة خاف وخار وجمع الاعوان والانصار واستشار فاشاروا عليه بان يرجع الى بلاده وينظر في حمايتها فخذله الله وتوافق مع ابن غانية على أن يتركه بقرطبة وينصرف فتركه بها ثم خدعه وطلب منه يئاسه فدفعها اليه مخافة أن يستقر بقرطبة . واستولى الأمر العالي أدامه الله بعد ذلك على جميع ما كان بأيدي المسلمين بالأندلس وارتفعت المحن والفتن والجور والجزية واجتمعت الكلمة وجرت على الروم دمرهم الله هزائم حمة آخرها هزيمة أذفونش بن شانجه قصمه الله عند الأركة على مقربة من قاعة رباح في التاسع لشعبان المكرم عام احدى وتسعين وخمسمائة . وكان عسكره الذميم ينيف على خمسة وعشرين الف فارس وماتى الف راجل . وكان معه جماعات من تجار اليهود قد وصلوا لاشترائ أسرى المسلمين واسلابهم واعدوا لذلك أموالا فهزمهم الله تعالى واستوعب القتل أكثرهم وحاز الموحدون جميع ما احتوت عليه محلتهم الذميمة وعابن اللعين الحمام ونجا برأس طامرة ولجام وكانت هزيمة شنيعة على الشرك واهله لم يسمع بمثلا والحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين .

(٢) الذين يعرفون تاريخ دولة الموحدين يحزمون بأنه لو طالبت حياة يعقوب المنصور لاسترجع طليطلة وجميع ما كان خلا من الاسلام من بلاد الأندلس .

أى الأسبان المستعربين فى دولة الاسلام ، كانت أيضاً مدينة المورسك أى المسلمين المدجنين فى دولة النصارى . ومن الغريب أنه لم يبق آثار كثيرة فى هذه البلدة للمسلمين عن إقامتهم الطويلة بها ، وكل مابقى هو آثار جامع صغير فى بيب^(١) مردوم هو الذى تحول إلى كنيسة باسم كنيسة مسيح النور ، وكذلك وجد فى طليطلة من بقايا الاسلام بعض أقسام من قصر « تورنييرياس^(٢) » ، ومن الباب القديم المسمى بباب شقره^(٣) . ولكنه وجد كثير فى الأرباض من قبور المسلمين التى عليها كتابات عربية^(٤)

(١) ذكرنا من قبل أنهم فى الأندلس كانوا يلفظون بالامالة ويقولون للباب بيب ولا يزال فى قرطبة وفى اشبيلية وفى غرناطة أبواب كثيرة يقال للواحد منها بيب كذا وبيب كذا وهى إمالة يرجح عندى أنهم أخذوها من الشام فقد سمعت باذن بعض أهالى بعلبك يقولون للباب بيب وإن كان الآكثرون فى الشام اليوم لا يلفظون الباب بالامالة . ولقد حررت رسالة فى علاقة اللهجات العربية بالتاريخ القيتها فى مؤتمر المستشرقين بليدن سنة ١٩٣١ ونشرتها فى مجلة المقتطف وربما أطبعها على حدة إن شاء الله .

(٢) Tornerias (٣) Visagra

(٤) وجدت سنة ١٨٧٨ فى ديرسان برتلى فى بقعة طليطلة كتابة هى الآن محفوظة فى المتحف الأثرى الوطنى فى مجرىط هذا نصها بعد البسملة : « يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور . هذا قبر محمد بن أحمد بن محمد ابن مغيث كان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون توفى رحمه الله ليلة الاحد ثمان بقين من ربيع الآخر سنة سبع وأربعين وأربعمائة »

ذكر لاوى بروفنسال : أن الغزال سفير المغرب زار سنة ١٧٦٦ طليطلة واطلع على هذه الكتابة وروى ذلك فى رحلته فقال : « وركبت فى الحال مع الحاكم للدواضع التى أرشدنا إليها فاذا بمقبرة المسلمين رحمهم الله سارية من الرخام مكتوب عليها بخط كوفى : يا أيها الناس الآية ، وهذا قبر الامام أحمد بن أحمد بن مغيث كان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق

وختم لاوى بروفسال هذا الفصل فى الانسيكلوبيديا الاسلاميه بقوله : برغم أن طليطلة كانت ثغراً ، وكان فيها عناصر عظيمة من النصرانية ، فقد كانت لآخر عهد بنى أمية ، وفى أيام المأمون بن ذى النون ، من القواعد الكبرى للثقافة الاسلاميه فى الاندلس ، وإن كثيراً من التراجم والسير لتتعلق بعلماء وحكام وفقهاء من مسلمى طليطلة . انتهى

ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون توفى رحمة الله عليه ليلة الأحد لثمان بقين من ربيع الثانى سنة تسع وأربعين وأربعمائة ثم سارية أخرى مكتوب فى أولها ما فى الأول من الآية الشريفة غير أن صاحب القبر لم يعرف من هو لمحو المحل الذى هو مكتوب ولم يبق من الحروف إلا لفظ أربع وأربعين فى محل التاريخ لا يقرأ ما قبله ولا ما بعده قال لاوى بروفسال : إن صاحب هذا القبر فيما يرجح هو ابن أبى عمر احمد بن محمد بن مغيث الصدى المحدث الطليطلى الذى مات سنة ٤٥٩ هـ وترجمه ابن بشكوال فى الصلة وقال إن السفير المغربى لم يكن فيما يظهر ماهراً بقراءة الخط الكوفى وقد وجدت أيضاً فى تلك البقعة كتابة أخرى هى هذه : البسملة . . . هذا قبر أحمد بن فرج مولى محمد بن جهور توفى رحمه الله يوم الأحد يوم خمس عشرة من شهر رمضان سنة اثنتين وستين وأربعمائة رحمة الله عليه ، وكتابة أخرى على قبر مجهول نصها : « البسملة . . . هذا قبر محمد بن يوسف ابن العاسل توفى رحمه الله يوم الخميس لستة عشر خلون من المحرم سنة أربع وستين وأربعمائة فرحم الله من ترحم عليه ، ووجدت كتابة بخط نسخى تاريخها سنة ٦٦٠ للهجرة هذا نصها بعد البسملة والتصلية : « يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور هذا قبر زهرة بنت محمد بن محمد رحمها الله توفيت وهى تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله فى عام ستين وستمائة »

فهذه الكتابة هى بعد رجوع طليطلة للاسبانيول بنحو من مائتى سنة فقد بقى فيها عدد غير قليل من المسلمين المحافظين على جميع شائهم وقد بقى فيها مسلمون إلى ما بعد ذلك العهد بكثير ولكن بعد صدور الأوامر من ملوك الاسبان بتنصير جميع المسلمين قسراً أصبحوا لا يقدر أن يعلنوا اسلامهم وبقى فى تلك البلدة مسلمون مكرهون على النصرانية وقلوبهم مطمئنة بالايمان إلى ما بعد سنة الف للهجرة

وجاء في الانسيكلويدية الاسلامية تحت لفظة « أندلس » بقلم المستشرق سيبولد كلام قال فيه : إلى الآن لم يتيسر القيام بتحقيق على تام عن كيفية تأثير المدنية الاسبانية العربية بأوربة في القرون الوسطى ، وإلى أية درجة بلغ هذا التأثير . فهذا الأمر يتعلق بالبحث عن دار الترجمة التي كانت بطليطة ، وهي الواسطة التي قام بها أدباء اليهود بين الشرق والغرب ، وكان هؤلاء اليهود بأجمعهم منسويين إلى الثقافة العربية . انتهى

وجاء في صبح الأعشى للقلقشندي : أن موقع طليطلة في آخر الاقليم الخامس قال ابن سعيد : حيث الطول خمس عشرة درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ثلاث وأربعون درجة وثمان عشرة دقيقة ، قال في تقويم البلدان : وهي من أمنع البلاد وأحصنها ، مبنية على جبل عال ، والأشجار محدقة بها من كل جهة ، ويصير بها الجُلُنَّار بقدر الرمانة من غيرها ، ويكون بها شجر الرمان عدة أنواع ، ولها نهر يمر بأكثرها ، ينحدر من جبل الشارة ، من عند حصن هناك يقال له تاجه ، وبه يعرف نهر طليطلة . ومنها إلى نهاية الأندلس الشرقية ، عند الحاجز الذي هو جبل البرت ، نحو نصف شهر . وكذلك إلى البحر المحيط بجهة شلب . ثم ذكر القلقشندي من مضافات طليطلة مدينة وليد^(١) ، ومدينة الفرج^(٢) ، ومدينة سالم^(٣) التي فيها قبر المنصور بن أبي عامر

بقى علينا أن نذكر قضية المائدة التي يقال إن طارق بن زياد وجدها في طليطلة عند فتحها ، وأطال مؤرخو العرب في وصفها ، وهاموا في أودية الخيال ، وقالوا ما ليس وراءه مقال ، وسموها مائدة سليمان ، ورغزوا أسما كانت من دخائر أشبان ، ملك الروم الذي بنى أشبيلية ، وأنه أخذها من بيت المقدس . وقالوا إن هذه المائدة قُومت عند

(١) Valladolid

(٢) ويقال لها وادي الحجارة وبالاسبانيولى Gijadalajara

(٣) والاسبانيولى يقولون لها مدينة سالى بالترخيم Medinaceli

الوليد بن عبد الملك بمائة ألف دينار ، وقيل إنها كانت من زمرد أخضر . وقالوا إن طارقا وجد بطليطلة ذخائر عظيمة ، منها مائة وسبعون تاجاً من الدر والياقوت والأحجار النفيسة ، وإيوان ممتلئ من أواني الذهب والفضة ، وهو كبير ، حتى قيل إن الخيل تلعب فيه فرسانها برماحهم لوسعه . وذكروا أن أواني المائدة من الذهب ، وصحافها من البشّم والجَزَع ، قال المقرئ في نفع الطيب بعد سرده هذه الأشياء : وذكروا فيها غير هذا مما لا يكاد يصدق الناظر فيه

قلنا : هذه أخبار أشبه بالأساطير ، وحكايات المعجزة منها بالتواريخ ، وقد كان مؤرخونا رحمهم الله في غنى عن نقل كل ما تلوكه ألسن العوام الذين يتكلمون بقدر عقولهم ، وكما بعد الزمان أو المكان ازدادت المبالغة في الخبر . ورحم الله ابن خلدون الذي عاب على المؤرخين تسوقهم من الأخبار كيفما اتفقت ، بدون تمحيص ولا تفكير وبدون عرض الأشياء على أصولها ، ولا قياسها بأشباهها ، وأطال في هذا الموضوع . وكان حجة للعرب في أمر التحقيق .

والحقيقة التي لا مفر منها أن من عادة مؤرخي العرب ، إلا من رحم ربك ، نقل الفث والسمين بدون أن يأذنوا لأنفسهم في الاعتراض على ما يكونون هم أنفسهم مرتابين في صحته ، وذلك تورّعا عن تكذيب من قبلهم ، وبجدة أن هذه الروايات قد تكون صحيحة ، وأن هذا العالم هو عالم الامكان ، فليس ثمة شيء لا مستحيل ، وأن قدرة الله تعالى لا يعجزها شيء ، وما أشبه ذلك من التعليقات .

والجواب : نعم أن قدرة الله تعالى لا يعجزها شيء ، وأن هذه الروايات وأغرب منها بكثير غير خارج عن حيز الامكان ، ولكن هذا شيء والذي نحن فيه شيء آخر ، فعدم خروج الغرائب عن حيز الامكان لا يوجب أن يكون كل ما يروى منها صحيحا ، إذا لم توجد له أسانيد لا يتطرق اليها الشك ، وحجج لا يمكن فيها النزاع . والحال أنه في ما يروى عن هذه المائدة التي قيل أن العرب وجدوها في طليطلة ، لا توجد إثبات تحمل على الجزم بصحتها ، وقد يكون طارق وجد في عاصمة القوط هذه

بعض ذخائر ونفائس ، مما لا تخلو منه عواصم الملوك ، وربما وجد مائدة مرصعة بالدرر والياواقيت ، وهذا عند الملوك شئ معثاد ، وقد قيل : عن الملوك ولا تسلم ، ولكن العوام جعلوا الواحد مئة ، وواصلوا المسألة إلى الحد الذى يتخيل فيه الانسان قصص ألف ليلة وليلة .

وأما الافرنج فقد تكلموا عن هذه الروايات فحملوها على الخيالات ، وعدوها من المحالات ، وهذا أيضاً مردود لأن عاصمة كعاصمة اسبانية يجوز أن يجد فيها الفاتح من ذخائر ملك القوط حجارة كريمة ، وتيجاناً مرصعة ، ومائدة من الذهب والفضة ويجوز أيضاً أن يطن إواناً واسعاً ، مموهة أطرافه بالذهب ، وإن كانت الفرسان لا تلعب فيه بأرماحها .

وأما طول قنطرة طليطلة وعرضها ، وإن الطول ثلاثمائة باع ، وإن العرض ثمانون باعاً ، فهو من المبالغات التى تتناقضها العوام بدون روية ، ولعلها من خطأ النساخ الذين نقلوا نفح الطيب .

أما ابن حوقل فى المسالك والممالك فيقول عن طليطنة : وهى مدينة كبيرة جليلة مشهورة ذات سور منيع ، وهى على وادى تاجه ، وعاليه قنطرة عظيمة ، ويقال ان طولها خمسون باعاً ، الخ ، فظهر من هنا اختلاف الرواية من ثلاثمائة إلى خمسين ، على ان المقرئ فى النفح يروى أن هذه القنطرة قد خربت أيام الأمير محمد الأموى ، لما عصاه أهل طليطلة ، وقال فيها الحكيم عباس بن فرناس أول من اخترع آلة للطيران :

ما كان يُبقي الله قنطرة نُصبت لحل كتائب الكفر

والأمير محمد قد توفى سنة ٢٧٣ ، وابن حوقل كتب كتابه هذا فى الثلث الأول من القرن الرابع للهجرة ، أى بعد وفاة الأمير محمد الأموى بستين أو سبعين سنة ، فتكون القنطرة الشهيرة الموصوفة قد خربت ، وقام مقامها القنطرة الحديثة ، التى يقول ابن حوقل ان طولها خمسون باعاً فهل بين القنطرتين كل هذا الفرق ؟ وعلى كل حال

لا نجد القنطرة الحاضرة على تلك العظمة التي حدثوا عنها ، فهي قنطرة كبيرة بجانبها أخرى صغيرة أصلها من بناء العرب ، ثم تشعشت في زمن الاذفونش الملقب بالحكيم فأصلحها . ثم جددوها تينوريوه رئيس الأساقفة .

وجاء في مروج الذهب للمسعودي عن طليطلة قوله : قصبة الاندلس يشقها نهر عظيم يدعى تاجه : يخرج من بلاد الجلالة والوسقيد (Basque) وهي أمة عظيمة لهم ملوك وهم حرب لأهل الأندلس كالجلالة والافرنجة ، ويصب هذا النهر في البحر الرومي .

هذا تحريف من النساخ أو هو سهو من المسعودي نفسه ، لأن نهر تاجه مصبه في البحر الاطلانتيكي وهو موصوف بأنه من أنهار العالم ، وعليه على بعد من طليطلة قنطرة عظيمة تدعى قنطرة السيف ، بنتها الملوك السالفة .

ومدينة طليطلة ذات منعة ، وعليها أسوار منيعة ، وأهلها بعد أن فتحت وصارت لبني أمية قد كانوا عصوا على الأمويين ، فأقامت مدة سنين ممتنعة ، لا سبيل للامويين اليها . فلما كان بعد الخمس عشرة وثلاثمائة فتحها عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله ابن محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ابن مروان بن الحكم ، وعبد الرحمن هذا هو صاحب الاندلس في هذا الوقت ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، وقد كان غير كثيرأ من بنيان هذه المدينة حين افتتحها وصارت دار مملكة الاندلس قرطبة إلى هذا الوقت . . . (إلى أن يقول) : ولهم من المدن الموصوفة نحو من اربعين مدينة ، وتدعى بنو أمية الخلائف ، ولا يخاطبون بالخلفاء ، لأن الخلافة لا يستحقها عندهم إلا من كان مالكا للحرمين ، غير انه يخاطب بأمر المؤمنين اه .

قلت : ذكر هذا المسعودي في زمن عبد الرحمن الناصر ، ويظهر انه كتبه قبل أن علم أن الناصر رحمه الله تلقب في آخر الأمر بالخليفة ، وبأمر المؤمنين معاً . وذلك بعد أن توحدت الجزيرة الاندلسية تحت حكمه ، وامتد سلطانه إلى بر العدو ، وكان قد بدأ الضعف في دولة بني العباس في بغداد .

وربما يكون الناصر لم يكن اشتهر تلقبه بالخلافة في سنة ٣٣٢ التي كتب
المسعودي فيها كتابته هذه فإن وفد قسطنطين بن ايون ملك القسطنطينية إلى الناصر ،
كان في سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ، على رواية ابن خلدون ، أو سنة ثمان وثلاثين
وثلاثمائة ، على رواية غيره ، وقد خاطب فيه صاحب القسطنطينية المذكور عبد الرحمن
الثالث الأموي الناصر لدين الله بقوله : « العظيم الاستحقاق للفخر ، الشريف النسب
عبد الرحمن الخليفة ، الحاكم على العرب بالاندلس ، أطال الله بقاءه » وفي الاحتفال
الذي جرى عند وصول سفراء ملك الروم وتكلم فيه القاضي المفوه المشهور ، منذر
ابن سعيد البلقيني ، كان من جملة كلامه في ذلك الجمع : فأصبحتم بنعمة الله إخواناً
و بلم أمير المؤمنين لشعثكم على أعدائه أعواناً ، حتى تواترت لديكم الفتوحات ، وفتح
الله عليكم بخلافته أبواب الخيرات والبركات . (إلى أن يقول) : فقد أصبحتم بين
خلافة أمير المؤمنين ، أيده الله بالعصمة والسداد ، وألهمه خالص التوفيق إلى سبيل
الرشاد ، أحسن الناس حالاً ، وأنعمهم بالآ ، وأعزهم قراراً ، وأمنهم داراً الخ .
فمن هنا يظهر أن لقى الخليفة ، وأمير المؤمنين كناناً في ذلك الوقت مستعملين
بحق عبد الرحمن الناصر ، وإذا رجعنا إلى رواية النفح نجد أن الناصر تلقب بهما من
قبل ذلك ، فانه يقول في صفحة ١٦٥ من الجزء الأول ، الطبعة المصرية الاولى ،
ما يلي : وهو أول من تسمى من بني أمية بالاندلس بأمير المؤمنين ، عند ما التاث
أمر الخلافة بالمشرق ، واستبد موالى الترك على بني العباس ، وبلغه أن المقتدر قتله
مؤنس المظفر مولاه سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، فتلقب بألقاب الخلافة . انتهى .
وفي بغية المائمس لابن عميرة : ان موسى ابن نصير لما افتتح الاندلس ، مضى
على وجهه يفتح المداين ، حتى انتهى إلى مدينة حليطة . وهي مدينة الملوك ، فوجد
فيها بيتاً يقال له بيت الملوك ، وجد فيه خمسة وعشرين تاجاً مكالة بالدر والياقوت ،
وهي على عدد الملوك الذين ملكوها ، كلما مات ملك جعل تاجه في ذلك البيت ،
وكتب على التاج اسم صاحبه ، وكم آتى عليه من الدهر إلى يوم مات . انتهى .
فهنا خمسة وعشرون تاجاً لا غير .

وأما في نفح الطيب فقد ذكر في الجزء الأول في الصفحة ١٣٥ أنه وجد في طليطلة مائة وسبعون تاجاً من الذهب الأحمر ، مرصعة بالدر وأصناف الحجارة الثمينة ، ووجد فيها ألف سيف ملوكي ، ووجد فيها من الدر والياقوت اكيال ، ومن الذهب والفضة مالا يحيط به وصف . ومائدة سليمان ، وكانت فيما يذكر ، من زمردة خضراء وزعم بعض المعجم أنها لم تكن لسليمان ^(١) ، وإنما أصلها أن المعجم أيام ملكهم كان أهل الحسنة في دينهم ، إذا مات أحد منهم ، أوصى بمال للكنائس ، فإذا اجتمع عندهم مال له قدر ، صاغوا منه الآلة من الموائد العجيبة ، والكراسي من الذهب والفضة ، تحمل الشامسة والقسوس ، فوقها الأناجيل في أيام المناسك ، ويضعونها في الأعياد للباهاة . فكانت تلك المائدة في طليطلة مما صنع في هذا السبيل ، وتأنق الملوك في تحسينها ، يزيد الآخر منهم فيها على الأول ، حتى برزت على جميع ما اتخذ من تلك الآلات ، وطار الذكر بها كل مطار . وكانت مصوغة من الذهب الخالص ، مرصعة بفاخر الدر والياقوت والزبرجد . وقيل إنها من زبرجدة خضراء ، حافاتها وأرجلها منها ، وكان لها ثلاثمائة وخمس وستون رجلا ، وكانت توضع في كنيسة طليطلة ، فأصابها طارق ، اه .

قال المقرئ : وقد ذكرنا فيما مر عن ابن حيان مافيه نظير هذا ، وذكرنا فيما مضى من أمر المائدة وغيرها مافيه بعض تخالف . وما ذلك إلا لأننا ننقل كلام المؤرخين ، وإن خالف بعضهم بعضاً ، ومرادنا تكثير الفائدة

وبالجملة فالمائدة جليلة المقدار ، وإن حصل الخلاف في صفتها ، وجنسها ، وعدد أرجلها . وهي من أجل ماغنى بالأندلس ، على كثرة ما حصل فيها من الغنائم

(تم الجزء الأول والحمد لله)

فهرس الكتاب

المقدمة صفحة ٦ - ١٩

الأسباب التي حملت على تأليف هذه المعلة الأندلسية — علم التاريخ ضرورة من ضرورات البقاء فضلاً عن الارتقاء — درس تاريخ السلف أحسن وسائل النشاط من العقال ليقال للناشيء : هكذا كان آباؤك فأين إناؤك ؟ وهذا ما فعله أجدادك فأين جهادك ؟ — الأسباب التي حملت العرب على فتح الأندلس ، وما بذلوا في فتحها من دماء ، حتى خيم الاسلام بعقرتها تخيم من أجمع الاعتمار ، والأسباب التي عادت فأخرجتهم منها — مختصر تاريخ الأندلس الذي كتبناه من أربعين سنة — اختيارنا النقل عن المؤلفين لتكون هذه الموسوعة معرضاً لآراء جميع الذين كتبوا عن الأندلس ، مع ذكر رأينا الخاص في ما نقله — بدايتنا بالجغرافية لأنها سابقة للتاريخ — إدخالنا في القسم الجغرافي ذكر من نفع من العلماء ، ولا سيما علماء العرب ، في كل بلد من البلدان التي وصفاها — تويجها الكتاب باسم الأمير عمر طوسون الذي وقف نفسه على خدمة الاسلام والشرق ، وقد علمنا ذلك بنفسنا منذ خمس وعشرين سنة إلى اليوم .

صفحة ٢٤ - ٤٢

لمحة عامة عن شبه الجزيرة الايبيرية من الجهة الجيولوجية ، ومن جهة الاقوام الاولى الذين سبقوا إلى سكنى هذه الجزيرة — التقسيمات الطبيعية لهذه الجزيرة — اشتقاق اسم الجزيرة الايبيرية واسم الأندلس — خطط هذه الجزيرة في أيام العرب ، وعدد سكانها من قبل ومن بعد —

صفحة ٤٢ - ٥٤

أقوال العرب عن جغرافية الأندلس — قول ابن حوقل — رد ابن سعيد على ابن حوقل في ما زعمه بحق مسلمي الأندلس — المناقشة بين مسلمي الأندلس ومسلمي الشرق في من هو أولى بالملامة على خذلانه لقومه — كلام ابن حوقل عن الخليفة عبد الرحمن الناصر الذي كان هو في عصره — بحث عن الصقالبة وخصيانهم — قرطبة كأحد جانبي بغداد — وصف ابن حوقل لقرطبة وللزهراء — مسالك الأندلس بحسب تعريف ابن حوقل —

صفحة ٥٤ — ٦٠

قول ياقوت الحموى فى معجم البلدان عن الأندلس — صنم قادس من بناء
الفينيقيين — لفظة الجوف الذى كان الأندلسيون والمغاربة اليوم يعنون بها
الشمال والبحث عن سبب هذه التسمية —

صفحة ٦١ — ١٤٨

وصف الشريف الإدريسي لجزيرة الأندلس — زعم الأولين أن الاسكندر هو
الذى خرق بحر الزقاق وهذا من أساطير الأولين — كون اتصال الأتلاتيك
بالبحر المتوسط هو من الحوادث الجيولوجية القرية بالنسبة إلى الجيولوجية —
ذكر البلاد المغربية المقابلة للأندلس مثل طنجة وسبته وتطوان وغيرها —
تقسيمات الأندلس بحسب قول الإدريسي — سياحة المرحوم أحمد زكى باشا
المصرى إلى الأندلس سنة ١٨٩٣ — خبر كنيسة الغراب فى غربى الأندلس —
قصة الأخوة المغرورين الذين حاولوا الوصول إلى أميركا الحاضرة — قصة هذه
المحاولة نفسها من ملك «مالى» فى السودان الغربى على ما روى القلقشندي فى صبح
الأعشى — أسماء بلاد الأندلس كلها بالعربية وما يقابل ذلك بالاسبانية — خبر
الشريف الإدريسي واتصاله بخدمة روجار الثانى ملك صقلية — وصف الإدريسي
بالتطويل لقرطبة ولمسجدها الجامع ومقابلة ذلك بأقوال الجغرافيين الآخرين .

صفحة ١٤٨ — ١٥١

قول أبى محمد الحسن بن أحمد الحمداني عن الأندلس — أقوال بطليموس عن
الأقاليم السبعة وتأثير الكواكب بزعمه فى طبائع سكانها

صفحة ١٥١ — ٢٦٢

ما قاله المقرئ صاحب نفح الطيب عن الأندلس — نفح الطيب على علانه واشتماله على
مادب ودرج لا يزال أحسن مرجع لتاريخ الأندلس — رغبة المقرئ فى السجع —
كلامنا عن نفح الطيب منذ أربعين سنة فى ذيل «آخر بنى سراج» وكلامنا عنه اليوم —
أهل البلاد الجنوبية من اسبانية أجل خلقه من البلاد الشمالية لأن الدم العربى فيها أكثر —
أكثر الامم مأثر فى الأندلس قبل مجئ العرب الفينيقيون والقرطاجنيون ثم الرومان
ولليونانيين علاقة بكتلونية — كتاب رافائيل بالستر عن اسبانية هو من أحسن
الكتب الحديثة عنها — بحث آخر عن استعمال الجوف بمعنى الشمال ، ملك الأندلس

قبل مجيء العرب وما ورد في ذلك من أساطير ومن حقائق — ملوك القوط ومدة كل منهم — الحساب اليولياني والحساب الغريغوري وحساب الصفر الاسبانيولى — بحث عن المعادن بالاندلس وما نقله المقرئ وما قاله لاوى بروفنسال المستشرق المعاصر — قول رافائيل بالستر إن اسبانية الاسلامية كانت من أغنى البلاد الاوربية وأحصاها سكاناً ، في عصر الخلفاء ، كان فيها ست حواضر كبرى وثمانون مدينة معمورة جد العمران وثلاثمائة مدينة من الدرجة الثانية — مملكة غرناطة آخر ممالك الاسلام بالاندلس كانت قبل سقوطها ثلاثين مصراً وثمانين قصبة وعددها أربعة ملايين نسمة — المرية مرسى الاسطول الاسلامى الاندلسى وفيها دار الصناعة — دور الصناعة في دانية والجزيرة الخضراء وشلب والقنت وقستلون والمنكب ومالقة وقصر أبى دانيس وطرطوشة وجزيرة يابسة — كان في المرية ألف إلاثلاثين فندقاً مقيدة في ديوان الخراج — طليطلة قاعدة ملك القوطيين — كلام أبى بحر صفوان بن ادريس عن الأندلس بشكل مفاخرة بين مدائنها — أهل شلب وفصاحتهم بالعربية وأن الفلاح الذى خلف فدانه كان يقرض الشعر — كتاب من إنشاء لسان الدين ابن الخطيب عن لسان سلطانه بترجيح الجهاد في الاندلس على الحج وصف سرقة سطة وذكر السمور المنسوب إليها — التين المالحى والزيب المنكبي والزيت الاشيللى والمان السفرى الخ — أفاويه الاندلس المتنوعة — حيوانات الاندلس وطورها — مقاطع الرخام بالاندلس — صناعات الاندلس المتعددة الفائقة — قنطرة طليطلة وقنطرة السيف وقنطرة ماردة وملعب مريبطر — رواية أن الخليفة عثمان بن عفان هو أول من أوصى بفتح الاندلس — كلمة للشيخ عبد العزيز الثعالبي عن هذه الرواية — خبر البيتين اللتين كانتا بطليطلة — منارة اشيلية التى من بناء يعقوب المنصور — دخل الدولة الاندلسية أيام الناصر عشرون مليون دينار ذهب وثلاثمائة وأربعون مليون درهم من الفضة ، ويقول لاوى بروفنسال إنه تضاعف في زمن المستنصر إلى أربعين مليون دينار وهذا عظيم جداً بالنسبة إلى ذلك العصر — تعاقب الولاة المستمر بسرعة على القيروان وبالتالى على الاندلس كان السبب في وقوف الفتوحات العربية في أوربة لأن الثبات والاطراد هما من أهم شروط النجاح . وأما بعد أن صار الحكم إلى بنى أمية في قرطبة فقد زال التذبذب الذى كان في ولاية الاندلس — الجهاد العربى في أوربة صار مقصوراً على مسلى الاندلس وحدهم وفي الاحايين من يأتهم من المغرب وذلك بسبب

انفصال هذه البلدان عن الخلافة العباسية وشتان بين هذا المدد المحدود والمدد العام الذى كان ينظم بين الشرق والغرب — استقامة أحوال بنى أمية فى قرطبة إلى أن جاء هشام الثانى ابن المستنصر الذى كان ضعيفاً واستبد بالامر حاجبه المنصور بن أبى عامر وأولاده فنقم عليهم ذلك بنو أمية وسائر البيوتات العربية فلجأ العامريون إلى إيقاد الفتنة بين العرب والبربر فوقع ما وقع بقرطبة من الحروب بين الفريقين ونجحت ملوك الطوائف وكان ذلك مبدأ انهيار الاسلام فى الاندلس — أهل الاندلس أشد الناس تهاقاً على الثورة وغراماً بتغيير الدول — خطط الدولة فى الاندلس من وزارة وكتابة وقضاء وشرطة وحسبة وغيرها — العلوم فى الاندلس وما كان يرغب فيه أهلها منها ولا سيما علم العربية — كانت الاندلس على مذهب الاوزاعى فلما اشتهر مالك وجاء شبطون وغيره من علماء الاندلس وأخذوا عن مالك نشروا مذهبه فى تلك البلاد برأى الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل — زى أهل الاندلس وتقليدهم النصارى فى الحقب الأخيرة — بحث ان المغلوب مولع أبداً بتقليد الغالب مما أشار إليه بن خلدون وإيراد الشواهد عليه مما رأيناه من الدول الشرقية فى عصرنا هذا

صفحة ٢٦٢ — ٢٦٦

ما قاله المسعودى فى مروج الذهب عن الاندلس .

صفحة ٢٦٦ — ٢٦٧

ما قاله القلقشندى فى صبح الأعشى .

صفحة ٢٦٧ — ٢٦٨

ما قاله ابن العباد الحنبلى فى شذرات الذهب .

صفحة ٢٦٨ — ٢٧٩

قول المقدسى فى كتابه « أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم » — بحث المقدسى فى المذاهب عند أهل المغرب والاندلس .

صفحة ٢٧٩ — ٢٩١

وصف لسان الدين بن الخطيب لعرب غرناطة وهو ينطبق على جميع الاندلس نقلاً عن الاحاطة — شرحنا لجميع الانساب العربية التى وردت فى كلام لسان الدين بن الخطيب — عرب الاندلس كانوا يتكلمون بالامالة — سكان مملكة

غرناطة أكثرهم من العرب - بحث المجاهدين في الاندلس من أهل المغرب من

بربر وعرب

صفحة ٢٩٢ - ٣٠١

ما ذكره المقرئ في النفع عن أنساب عرب الأندلس

صفحة ٣٠١ - ٣٠٣

نظرة اجمالية نحو اسبانية والبرتغال -

صفحة ٣٠٤ - ٣١٤

العمران والفن في أسبانية - ذكر أشهر كنائس أسبانية ومبانيها المذكورة
في الكتب - ذكر الآثار العربية فيها - ذكر أعظم المصورين والنحاتين

صفحة ٣١٥ - ٣١٦

كلام القاضي أبي القاسم صاعد الطليطلي عن الاندلس في كتابه « طبقات الامم »

صفحة ٣١٧ - ٣٣٤

التقسيمات الجغرافية الحاضرة - قشتالة القديمة وقشتالة الجديدة - الوادي الجوفي -
وادي إبره - قشتالة القديمة ست مقاطعات : برغش وآبله وسقوية وشورية
ولوكروني وشنت اندر - قشتالة الجديدة : مجريط وطليلة وسيودادريال وقونكة
ووادي الحجارة - ولاية ليون - أمة البشكونس وأصلها ولغتها وأخلاقها - الحدود
بين فرنسة وأسبانية وتفصيل بلاد ليون وقشتالة

صفحة ٣٣٤ - ٣٣٨

مدينة برغش - خبر لذريق دويغار بطل الاسبانيول الذي كان يلقب بالسيد
والذي عظامه محفوظة في دار البلدية ببرغش

صفحة ٣٣٨ - ٣٤٣

بلد وليد وتوابعا - ذكر آبله

صفحة ٣٤٣ - ٣٥٣

ذكر مجريط عاصمة اسبانية - من انتسب من علماء العرب إلى مجريط - عند
ما استردها الاسبانيول كان فيها أربعة جوامع - أسباب نقل فيليب الثاني عاصمة
اسبانية من طليطلة إلى مجريط - حروب الكرلوسيين - خزانة كتب مجريط واشتمالها
على ستمائة وخمسين ألف مجلد منها ثلاثون ألف مخطوط وفيها عشرون ألف ورقة

من الوثائق وثلاثون الف صورة يدوية وثمانمائة طبعة من كتاب الدون كيشوط -
خزانة الآثار القومية فيها متا الف وثيقة - الآثار العربية التي فيها

صفحة ٣٥٣ - ٣٥٥

ذكر خزانة الاكاديمية التاريخية في مجريط والكتب العربية التي طالعتها فيها

صفحة ٣٥٥ - ٣٦٠

ذكر الاسكوريال - معارفنا مع المستشرق آسين بلاسيوس

صفحة ٣٦٠ - ٣٦٣

ذكر بلدة شقوية

صفحة ٣٦٣ - ٤٧١

ذكر طليطلة - قسم كبير من نصارى طليطلة كانوا قد استعربوا وصارت لغتهم
العربية وكانت جميع مكاتباتهم بها حتى إن الكتابات المنقوشة على قبورهم كانت
بالعربية - انمودجات من صكوك البيع والشراء العربية بين نصارى طليطلة
واختلاط الاسماء الاسلامية بالاسماء المسيحية - نقل ما قاله الوزير الغساني
المتوفى سنة ١١١٩ للهجرة وذلك في رحلته إلى اسبانية عن مدينة طليطلة - بقاء
الاسلام سرأ في طليطلة إلى القرن الحادى عشر للهجرة - نقل كلام ابن عبد الرفيح
الاندلسى المتوفى عام اثنين وخمسين والى - أمثال من أعمال ديوان التفتيش
الثقافة العربية في طليطلة تبقى فيها مدة ستمائة سنة من بعد رجوعها إلى الاسبانيول -
الطقس اللاتينى فى الكنائس والطقس الخاص بالمستعربين - صكوك متعلقة بأرقاء
المسلمين فى طليطلة - كيفية أخذ الاذفونش السادس لطليطلة من القادر بن ذى النون -
الجامع الأعظم يتحول كنيسة خلافاً لتعهد الاذفونش - كنائس طليطلة وأما كنها
المشهوره - صناعات طليطلة المتعددة - حروب بنى ذى النون مع بنى هود أصحاب
سرقطة وكيف كان ذلك أعظم سبب لسقوط طليطلة فى ايدى الاسبانيول - رثاء
طليطلة - ملخص ما قاله عن طليطلة المستشرق لاوى يروفنسال فى الانسيكلويدية
الاسلامية - بعض أقوال مؤرخى العرب عن طليطلة - ثورات طليطلة المتكررة
فى أيام العرب - مبلغ تأثير المدنية الاسبانية العربية باوربا فى القرون الوسطى ،
بواسطة دار الترجمة التى كانت بطليطلة

فهرس الاعدوم

الواردة فى الجزء الأول من كتاب

الحلل السندسية فى الاخبار والآثار الاندلسية

رتبها الفقير إليه تعالى عثمان خليل

أسد من ربة من نزار ٢٩٤	أخوخا ٢٥٥	(١)
أسد بن عبد الله ٢٧٣	ادريس بن عبد الله بن الحسن	ابراهيم بن اسحاق ٢٧١
اسكندر المقدوني ٦١ ، ١٧٠ ، ٦٢	الملوي ٢٤٨ ، ٢٩٣	ابراهيم بن خليل ٢٨٣
١٨٤ ، ١٩١ ، ٢٠١ ، ٢٠٩	ادريس بن يحيى الحوي ٢٤٨	ابراهيم بن عبد الرحمن ٣١٨
اسماعيل (عليه السلام) ٢٩٤ ، ٢٩٥	الادريسي (الشريف) ٢٧٠ ، ١٦٠	ابراهيم بن على بن سعيد ٣١٧
اسماعيل بن عبد الرحمن بن ذي	١٦١ ، ١٧٠ ، ٣٥٤ ، ٤٥٣	ابراهيم بن القاسم القروي (الرقيق)
النون ٤٥٢ ، ٤٦٠	الادريسي ٢٧٣	١٨٣
الاسماعيلية ٢٧٣	الادويش (الملك الحكيم) ٣٥٨	ابراهيم بن وهب ٢٦٧
اشبان بن طيش ١٦٨	٤٢١ ، ٤٢٣ ، ٤٦٩	ابراهيم بن يحيى ٤٠٤
أشنان بن لازرة ٢٧٦	الاذفونش (السادس) ١٠٣ ،	أطرقس ١٦٨
أشتاف مشتاف ٢٨٥	٣٠٨ ، ٣٤١ ، ٣٤٥ ، ٣٦٢	أناجلد (الملك) ٤٥٣ ، ٣٦٣
أشتاف بليانس ٢٨٧	٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠	أناثاوينوس ١٧٥
أشجع بن ريث بن عطفان ٢٩٤	٤١٠ ، ٤٢٣ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨	أحمد بن الأمين الشنقلى ٢٤٣
أشعاره القديري ٢٨٤	٤٣٤ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨	أحمد بن لا فريج ٢٥٩
الاصطخرى ٢٩	٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٥٠ ، ٤٥١	أحمد بن سعيد بن شغلير ٤٦٢
أغسطس قيصر ٣٦١	٤٦٢	أحمد بن على الحداد ٤٠٨
أعيلاز ٢٨	الاذفونش (الثامن) ٢٣٠	أحمد اللوقى ٤٠٢
أباردوسيركور ١٦	الأرجبرشت ٢٨٣	أحمد بن محمد ٣٦٧ ، ٤٠٨
آل بوربون ٣١٤ ، ٢٤٧	الارسيد باقن ٣٦٦	أحمد بن محمد بن حجاج ٢٥٥
أبيرة (زوج فرتند) ٢٧١	أرلد فرانساشك ٢٨٥	أحمد بن محمد بن موسى الراى
أبيروه البرسى ٣٩٢	آريوس (قيس) ٤٢٩	١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٧٨
أبيرغومس (مهندس) ٤٢٩	الازد بن القوث ٢٩٥	أحمد بن المهدي الغزال القاسى ٢٥٤
الونزو بروغيت ٣١١	أسينوزه (مصور) ٢١٣	أحمد بن بعلى ٥٤ ، ٤٦٠
الونزوكانو (مصور) ٢١٣	آسين بلايوس (مستشرق)	أحمد بن يوسف الأنصارى ٣١٨
الونزو (المطران) ٢٢٩	٢٦٠ ، ٢٥٩	أحمد بن يوسف الرحوى الأسمر ٤٠٧
آل هيسبورج ٢١٣	اسحاق بن سلمان ٢٥٥	آدم (الحكيم) ٢٥٥
اليان بن سعيد ٣١٨		

بيطرة قولو نيبريانه ٣٧٤
بيطرة بن بليان بن أبي الحسن
٣٨٣ ، ٣٨٦ ، ٣٨٩
بيطرة بن يوسف بن مروان ٣٧٤
بيطروه بن أشتافن ٣٩٧
بيطروه بن أندراش ٣٨٤
بيطروه بن أنفونش ٣٦٩
بيطروه جلبرت ٣٨٤
بيطروه دبس ٣٨٥
بيطروه رويس ٣٩٨
بيطروه بن مرتين بن يلول ٣٨٧
بيطروه بن مرتين (مسترب) ٣٩٤
بيطروه تقولا (البنا) ٣٩٧
بيطروه بوانش (الوزير) ٤٠٥
بيطروشي بن غايام ٣٨٦
البيقي ١٧١

(ت)

تحيب (امراة أشرس) ٣٩٧
تراجانوس ٣٦١
تقلب بن وائل الأسدي ٣٩٤
تمام بن علقمة ٤٥٦
تيم بن مرة بن أد ٣٩٣
توان (مصور) ٣١٢
تووريو (أسقف طليطلة) ٤٤٤ ،
٤٦٩
توطة بنت لب ٣٩٦
توكادا (كردنال) ٣٣٩
توما دونوكادا ٣٣٣
توبالدي (مصور) ٣٥٦
توتليف (مؤرخ) ٣٦٣ ، ٤٥٣
تيريزة (قديسة) ٣٣٩ ، ٣٤٢
تيفوريو (مطران) ٤٢١ ، ٤٢٣
تيفودوسيوس (إمبراطور) ٤٣٩
تيفيل غوتيه ٤٣٤

بالومينو (مصور) ٣١٤
باءين (الافرنجي) ٣٧٤
بترو (الفاشم) ٣٠٨
بختصر ١٦٩
بدر بن علقمة ٤٥٦
بدر الدين الميني ٣٥٤
بدر (الدون) ٣٣٩
براديل (مصور) ٣١٤
برنار (رئيس الأساقفة) ٣٨٠
بروكا (الدكتور) ٣٣٦
بريان (الملك) ١٦٩
بست بن عبد العزيز ٣٨٩
بصر بن عياض القشيري ٣٩٩
بطرس بترى (مهندس) ٤٢٨
بطروه غوتريالس ٤٤٥
بطليموس (الفلودي) ٣٦ ،
١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥١
بكر بن هوازن ٢٩٣
بكر بن وائل ٢٩٤
بلاي (الملك) ٣١٧
بلد البيرة (مهندس) ٣٠٩
بلدوين قيليبار ٣٧٤
بلج بن بصر ٢٩٤ ، ٢٩٩
بلي بن عمرو ٢٩٨
بليدور (مصور) ٣١٤
بيلول بن عمر ٣٧٥
بيلول بن غالب ٢٨٧
بيلول بن مرتين بن بيلول ٣٧٥
بوان باطرس ٣٨٣
بياترو توريجاني ٣١١
بيطره بن البيلول (البنا) ٣٧٥
بيطره تمليقس ٣٧٤
بيطرة (الخياط) ٣٧٤
بيطرة بن سهل ٣٧٣
بيطرة بن عبد العزيز بن عطف
٣٧٥

اليزي ركلوس (جغرافي) ٣٢٦
أمة (الامير) ٤٥٩
اتالين بن غلتارلقواس ٣٨٥
انجيل غوانزاليز ٣٦٦
اندراش دحجاج ٣٨٤
اندراش فرنوم ٣٨٦
اندلس بن طوبال بن يافت بن
لوح ١٥٧
انريك دوايلاس ٣٠٩
انمار بن تزار بن معد بن عدنان ٣٩٧
اوجيني (الامبرطورة) ٣٣١
أوردونو (الاول) ٤٥٩
أوردوتيو (الثاني) ٣٣٧
اورغاز (السكونت) ٤٣٤
أوزوريو (مصور) ٣١٣
أوسلة بن مالك بن زيد ٢٩٦
اوغست مولر ٣٧
اولالية بنت ديقا ٣٨٥
إياد بن تزار ٢٩٤
إيزابلا بنت هنري (الرابع) ٣٣٩ ،
٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ،
٣٤١ ، ٣٤٦ ، ٣٤٩ ، ٣٥٢ ،
٣٦٢ ، ٤٣٠
إيزابلا البرتغالية (الملكة) ٤٣٤
إيزابلازاسن ٣٨٣
إيزيدور الباجي ١٦ ، ٢٥٠
أيوب بن حبيب اللخمي ٢٩٩

(ب)

بادس بن حيوس ١٢٩
باديس ١٩٠
باسه ٣٨
باطره بن عمر بن غالب ٢٩١ ، ٤١١
باطره بن عمر الفلاس ٣٧٦ ، ٣٨٩
باطروه جبولين ٣٩١
باق بن عمر بن باقي ٣٧٥

(ث)

ثابت بن قرة ٢٥٥
ثعلبة بن سلامة العامل ٢٩٩
ثوبة بن سلامة الجذامي ٢٩٩، ٢٩٧
ثور بن عفير بن عدي ٢٩٧

(ج)

الجاحظ ٢٧٦
جاشريولين ٢٢٤
جان فان ايك ٣١٢
الجبائي ٢٧٦
جذبة (الأبرش) ٢٢٠
جرم بن كهلان ٢٩٥
جلبانش بطريس نشا ٣٦٨
جمال الدين الجزار ٢٥٤
جميلة بنت فرح ٣١٧
جهينة بن اسود ٢٩٨
جوان ابن ايزابلا ٢٤١
جوان بوتيسا ٢٥٥
جوان خيل اوتانون ٣١٢
جوان (الدون) ٢٤٩
جوان ديمتوس ٢٩٩
جوان رويس ٣٦٨
جوان غواس (مهندس) ٤٢٩
جوان فرناندس ٢٥٦
جوان كارينيو (مصور) ٣١٢
جوان كرادو ٣١٨
جوبرت (جنرافي) ٢٧
جوسه (جنرافي) ١٦ ، ٤٢١ ،
٤٢٨ ، ٤٣٥
جوقارم (مهندس) ٢١٠
جيوردانو (مصور) ٣١٢
(ح)
حاتم (الطائي) ٢٢٠ ، ٢٥٩

الحاج القرناطي ٢٥٥

الحازمي ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩
حامد بن سمحون (الطبيب) ٢٢٩
الحجاري ١٥٩ ، ١٩٤ ، ٢٢١ ،
٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٥٤ ، ٢٦٧
حذيفة بن الاحوص القيسي ٢٩٩
الحربن عبد الرحمن الثقفي ٢٩٩، ٢٩٤
حسان بن جهيد ٢٧٢
حسين بن جعفر ٢٨٣
الحسين بن علي ٢٩٢
حضر موت بن قحطان ٢٩٩
حكم بن شلمون ٢٧٥
الحكم المنصور ٤١ ، ٣٠٠ ، ٤٦٠
الحكم بن هشام ١٩٨ ، ٢٦٥ ،
٣٠٠ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨
الحيدى ٤٤٥
حير بن سبا ٢٩٧
حير بن يشجب ٢٩٥
حنة (أخت فليپ الرابع) ٣٢٩
حنين اليهودي ٢٤٠
حيوس الصنهاجي ١٢٩

(خ)

ختم بن أمار بن أراش ٢٩٧
خشنش (ملك القوط) ١٧٥ ،
١٧٨
خشين بن تنوح ٢٩٨
الحضر (عليه السلام) ١٧١، ١٧٢
خلف بن جواد ٢٦٩
خلف بن عبد الله ٣٦٨
خلف بن عمر ٢٧٢
خولان بن عمر ٢٩٧
الحولائي ٣٤٣
خيران الصقلي ١٧٩
خير الدين بارباروس ٢٥٢
خير بن ركوي ٢٦٩

خير بن مورن ٢٧٢

خير بن يحيى ٢٧٠
خيل دوسيلو ٣٠٦ ، ٣١١

(د)

داميان (الجزال) ٢٣١
داميان فرمان ٣١١
داتق (الشاعر) ٢٥٩ ، ٢٦٠
داود الأسمر بن سليمان ٤٠٨
دقيانوس (صاحب أمل الكهف)
٤٤٥
دمنة برتدة ٤١٢
دمنة نقلاوش ٢٨٧
دومنقه أطولين ٤٩٥
ديمقه بنت أبي الربيع سليمان ٢٩٤
ديمقه البرينقي ٢٨٨
ديمقه بشكوال ٢٩٦
ديمقه ييطروس الباسي ٢٨٧ ، ٢٩١
ديمقه ييطريس ٤١٣
ديمقه بنت خصوره ٢٨٤
ديمقه بنت الريم ٢٨٦
ديمقه سبريان ٢٨٥
ديمقه سربطول نشش ٢٧٦
ديمنيقة بن سليمان بن غيصن ٢٨٩
ديمنيقة بنت شلبطور ٢٨٧
ديمقه بنت عبد الرحمن بن جابر
٢٩٥
ديمقه مرزاه ٢٨٣
ديمقه بن مقيال ٢٨٣
ديمقه نفره ٢٨٤
ديمقه بن يحيى ٢٧٢ ، ٢٧٥
دمقربوانش ٢٨٤
دنيس (ملك البرتوغل) ٤٠
دوريزي ٢٧
دوزميت يواكين ٢٥٩
دوزي (المستشرق) ١٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩

ريكاريد (الملك) ٣٣٨ ، ٣٦٢ ، ٤٣٨	دوسار فتنى (الأسقف) ٣١١
ريموند بلدى ٣٨٥	دوق أوشونة ٣٥٠
رينه شاتوبريان ١٢	دومارليس ١٦
رينو (المستشرق) ١٦	دوموراه (الكونت) ٤٢٣
رينى ياسه ٤٥٤	دوبا (الحكيم) ٣٥٥
(ز)	دون كيشوط ٣٥٠
زار سيلو ٣١١	دونة بنت عبد الله بن يحيى ٣٩٣
الزغل ١٥٥	دومار ٣٢٨
زكرى بن عثمان ٣٦٩	دياغود وريانو ٣٠٩
زوباران (المصور) ٣١٢	ديمقوس الاريجيسى ٣٧٠
زوكارو ٣٥٦	(ذ)
زيان بن مردنيش ٣٠٠	ذو أصبح بن مالك ٢٩٨
زبدان (السلطان) ٣٥٨	ذورعين ٢٩٧
زيد بن حارث ٤١٠	(ر)
زيلب بنت الحاج ٤٠٤	الرازى ٣٥ ، ٢٣٠ ، ٢٣٥ ، ٣٥٥
زين الدين العيني ٣٥٤	رامير (الاول) ٣٠٤
(س)	ربى بو اسحاق اليهودى ٣٦٧
سافيدار ٣٨	ربيعة بن نزار ٢٩٤
سان أبلدفونس ٤٢٣	ردريقة (القسيس) ٣٦٨
سان إزيدور ٤٣٠	الرساق ٢١٨
سان جوان (قديس) ٤٣٠	رقاعة بن يحيى ٣٨٣
سبأ بن يشجب بن يعرب ٢٩٦	رمان بن طمر ٢٧٣
سيت بن يافث بن نوح ٢٣	الرندى ١٥٥
سيروز (جغرافى) ٢٧	رودريس ، ورسالوس ٢٢٧
سبريان بن بسنت ٣٨٩	رودريقة أوردوناز ٣٧٥
سبريان بطرس تشاش ٣٧٦	رودريقة بن بشكوال ٣٨٩
ستالى لانبول ٢٧	رودريقة ديمونقس ٣٨٥
سعدان بن عبد الله ٣٧١	رودريقة شمانس ٢٩٦ ، ٢٩٨
سعد بن بكر بن هوزان ٢٩٣	رودريقة القواسه (مهندس) ٤٢٩
سعيد بن سالم الثغرى ٣٤٤	رومان بن باطروز (وزير) ٢٩٥
سعيد بن سالم المجرى ٣٤٥	ريبارا (مهندس) ٣٠٩
سعيد بن شطير ٤٦٠	ريباره (مصور) ٣١٣
سفيان بن أبى البقي ٣٧٢	ريبالنا (مصور) ٣١٣
سلازار دومندوسه ٤٢١	ريكاردو القوطى ٤٠٣ ، ٤٢٥
سلامة بن مقيال ٢٧٣	
سلمة بن حسان ٢٧٥	
سلمة بن سعد ٢٧٢	
سلمة بن يونس الانصارى ٣٦٨	
سلول ٢٩٣ .	
سليمان بن عمر ٣٦٨	
سليمان (عليه السلام) ١٦٩ ، ٢٠١ ، ٤٥٧	
سليمان بن المدجاله ٣٦٨	
سليمان بن هود ٤٤١ ، ٤٤٢	
سليم بن زكريا ٣٦٨	
سليم بن منصور ٢٩٣	
السمح بن مالك الحولانى ٢٩٩	
السموال بن عاديا ٢٢	
سنقة (أم الملك نيودوريق) ٢٢٨	
سهل بن خلف بن على ٢٧٢	
سوزة ٢٧	
سيول (مستشرق) ٢٢ ، ٤٦٦ ، ٣٦	
سيريزو (مصور) ٣١٣	
سيف بن المزاد ٢٧٢	
سيف الدولة ٢٢٠ ، ٢٣٥	
سيلو (مهندس) ٣٠٩	
سيمونة ١٦ ، ٢٨	
(ش)	
شاتوبريان ١٥٣	
شارلكان ٣١١ ، ٣٤٦ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣	
٣٥٢ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٢ ، ٤٢٦	
شارلمان ٣٢٢	
شائجة مرتينوس ٤٠٠	
شائجة (الملك) ٤٠٠	
شبيب بن عبد الرحمن (دون) ٣٨٣	
شربند بن باطره ٣٨٤	
شعيب الرحوى المطيرش ٤٠٩	
الشقندي ١٨٨ ، ١٩٧ ، ٢١٤ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥	

عبد الملك بن يهلول ٢٧٢
عبد الملك بن حبيب السلمي ٢٩٣ ،
٤٤٦
عبد الملك بن عامر ٢٧٠
عبد الملك بن عبد الرحمن بن مينو ٤٦٢
عبد الملك بن عبد الملك ٣٦٨
عبد الملك بن قطن ٢٩٩ ، ٢٩٢
عبد الملك بن الكرديوس ٣٥٤
عبد الملك بن مرتين بن خير ٢٧١
عبد الملك بن هارون ٤١١
عبد الله أثنال ٣٦٨
عبد الله بن ادريس ٦٧
عبد الله بن جابر ٢٧٠
عبد الله بن حسان ٢٧٢
عبد الله بن داود ٢٧٥
عبد الله بن سعيد الجريطي ٣٤٤
عبد الله بن عبد العزيز ٢٨٩
عبد الله بن عبد الله الجريطي ٢٩٩ ، ٢٤٤
عبد الله بن البص ٢٧٥
عبد الله بن عثمان ٢٧٢
عبد الله بن عمر ٢٨٧ ، ٢٨٣
عبد الله بن قرسان ٢٧٢
عبد الله القزاز ٤١٧
عبد الله بن محمد ٣٠٠
عبد الله بن قاسم (مطران طليطلة)
٢٧٧
عبد الله القوطي ٢٧٠
عبد بن أسد ٣٦٨
عبدة بن حميد ٤٥٧
عتبة بن وايد ٢٧٢
عثمان بن أبي نسة ٢٩٧ ، ٢٩٩
عثمان بن سليمان ٢٧٤
عثمان بن عثمان ٢٧٢
عثمان بن عفان ٢٣٧ ، ٢٣٥ ، ١٤٢
عذرة بن سعد ٢٩٨
عذرة بن عبد الله الفهري ٢٩٩
عريقو (المصور) ٤٣٤

عائشة بنت معين (الحداد) ٤٠٨
عامر بن تمام ٢٧٥
عامر بن يحيى بن بلاى ٢٨٧
عاملة القضاة ٢٩٦
عباد بن محمد بن عباد ٢٤٨
عباس بن فرناس ٢٠٢ ، ٤٦٨
عبد بن معاوية ٢٦٥
عبد الرحمن بن ابراهيم ٢٧٥
عبد الرحمن بن احمد الفهري ٢٦٧
عبد الرحمن الاوسط ١٨٥ ، ٣٠٠
عبد الرحمن اثنال ٤٧٠
عبد الرحمن الثاني ٤٥٩ ، ٤٦١
عبد الرحمن الداخل ٢٦٧ ، ٢٩٢ ،
٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٤٥٤
عبد الرحمن بن ذي النون ٤٦٠
عبد الرحمن بن زكريا ٣٦٨
عبد الرحمن بن زيدان ٣٥٨
عبد الرحمن بن عبد الرحمن ٢٧٢
عبد الرحمن بن عبد الملك ٢٨٧
عبد الرحمن بن عيسى الجريطي ٣٤٤
عبد الرحمن الناصر ٣٩ ، ٤١ ،
٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٤٩٠ ، ٤٨١ ، ٢٠٢ ،
٢٣٩ ، ٢٤٤ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٣٠٠ ،
٣٢٢ ، ٣٥١ ، ٣٧٧ ، ٤٥٤ ، ٤٥٦ ،
٤٥٩
عبد الرحمن بن مينو ٤٥٢ ، ٤٦٢
عبد الرحمن بن يحيى ٢٧٦ ، ٢٦٩ ،
٣٨٦
عبد الرحمن بن يوسف بن
عبد المؤمن ٢١٠
عبد الرحمن بن غلمير ٢٧٠
عبد العزيز بن أبي الرجال ٢٧٢
عبد العزيز بن خير ٣٦٨
عبد العزيز بن سعيد ٢٧٠
عبد العزيز بن موسى بن نصير ٢٩٩
عبد العزيز (قسيس) ٢٩٦
عبد المؤمن ٢٤٩ ، ٣٠٠

شليطور بن سهل بن عبد الرحمن
٢٧٦
شليطور بن عبد الملك بن عريب
٢٨٦
شلمون بن علي بن وعيد ٢٨٣ ،
٢٩١
شمس الدين محمد بن نور الدين ٣٥٤
شمسي بنت لب (الفخار) ٤٠٩
شوقي بك الشاعر ١٣
شولي بنت عمر بن هشام ٢٧٧
شيبانة (امرأة القمبيدور) ٢٣٦
شيليس (الكرديتال) ٤٣٠ ،
٤٣٤ ، ٤٤٤
(ص)
ساعد بن احمد ٣١٥
ساعد الطليطلي ١٦
صغريت ٣٥٥
صموئيل لاوي ٤٣٤
الصهاجي حيوس ١٩٠
(ض)
ضبة بن أدبن طابحة ٢٩٣
(ط)
طارق بن زياد ٨١ ، ١٦٩ ، ٢٠٠ ،
٢٠١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٧ ، ٢٩٩ ، ٤٥٣ ،
٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٦٦ ، ٤٧١
طريف (البرى) ٣٦ ، ٢٠٠
طابيرة (أسقف طليطلة) ٤٤٤
طلوئش بن بيطلة ١٧٢
طوبار (المصور) ٢١٢
طوبال بن يافث بن نوح ٣٣
(ع)
عائشة بنت احمد السكوي ٤٠٨
عائشة بنت الدودرى ٣٦٨

فرناندس (مهندس) ٣٤٥
 فرتندوه لبوس ٣٩٨
 فرنسوا الاول ٣٢٨ ، ٣٤٦ ، ٣٥٢
 فرنسيسكو ديزي (مصور) ٣١٣
 فرنسيسكو غويا (مصور) ٣١٤
 فزارة بن ذبيان ٣٩٤
 فطومة الماشطة ٤٠٠
 فطيمة بنت عمر ٤٠٤
 فلاسكس (مصور) ٣١٣
 فلافيانوس ٣٦١
 فليش القيصرى ١٧٥
 فلورنده بنت الكونت بليان ٤٣٣ ، ٤٥٣
 فليس بن مروان ٣٧٣
 الفنش (أذفونش) ٣٤٠
 فورتوفي (مصور) ٣١٤
 فولفيوس (الملك) ٤٥٣
 الفونسو دوماريغال ٣٤١
 فونسيقه (أسقف طليطلة) ٤٤٤
 فجيل (الشاعر) ٣٥٨
 فيفارنى (البناء) ٣٣٩
 فليب الثالث ٣٣٨ ، ٣٥٣ ، ٣٥٩
 فليب الثانى ٣١٠ ، ٣٣٨ ، ٣٤٦
 ٣٤٧ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥
 ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩
 فليب الخامس ٣٥٠ ، ٣٥٨ ، ٣٦٢
 فليب الرابع ٣٠٣ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩
 ٣٥٣ ، ٣٥٦
 فليب فيكارنى ٣٠٩
 فلير شنجس ٣٨٥
 فليس بن غليام ٣٨٦
 فيليز بن يحيى ٣٩٧
 فيسنت (قديس) ٣٤٢
 ق
 قاسم بن احمد ٤٠٤
 قاسم بن محمد (البناء) ٤٠٠

(غ)

غانق بن عك العدنانى ٣٩٦
 غالب بن عبد الرحمن ٤٠٤ ، ٤٦٠
 غالب بن غلمون ٣٩١
 غانيوس ٣٧
 غريب بن خلف المجرى ٣٤٥
 غريب الشاعر ٤٥٧
 غرسيه رويس ٣٩٨
 غرسيه القميراني ٣٨٥
 غريب بن سعد ٣٥٥
 غريشوار التورى ٣٦
 غليم طبلد ٣٩٧
 غصالبه الجزار ٤٠٦
 غصالبه فرولس ٣٧٤
 غصالبه بن الفونس ٣٩٩
 غصالبه (القاضى) ٣٩٩

(ف)

فامر الميورق ٣٠٦
 فارسكوزارزا (نحات) ٣٤١
 فاطمة بنت احمد الانصارى ٤٠٤
 الفاطمى ٢٨٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥
 فاليسكو (أمير الجيوش) ٣٣٧
 فليسكو (دكتور) ٣٣٦
 فرج بن عبد الله ٣٦٩
 فرديناند الثالث ٣٣٥ ، ٣٣٨
 ٣٣٩ ، ٣٤١ ، ٣٤٦ ، ٣٥٣ ، ٣٣٠
 فرديناند الرابع ٣٤٦
 فرديناند السابع ٣٣٠ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤
 ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٦٢
 فرديناند السادس ٣٥٨
 فرديلند بن شانجه الطاغية
 ٤٤١ ، ٤٤٢
 فرنانده يوانش ٣٨٩
 فرنان غوتزاليز ٣٣٧
 فرناندس دولونا (قسيس) ٣١٠

عزوز بن معمر العربى ٤٠٢
 عزيز بن خطاب ٣٥٦
 عريب (المؤرخ) ٣٥
 عريم بن زيد ٣٩٨
 عقبة بن نافع الفهري ٣٩٢
 على باشا (أمير البحر) ٣٥٢
 على بن سعيد ٣٤٥
 على بن عياش ٣٧٥
 على بن عبد الرحمن الفزاري ٣٥٤
 على بن علي الفهري ٤٠٤
 على بن عيسى ٣٠٧
 على الأسمر (البناء) ٣٩٩
 على بن اليلوشى ٣٦٧
 على بن الحرير ٣٦٨
 على بن محمد بن الوزير التجيبى ٣٥٤
 على بن يحيى ٤٠٨
 على بن يوسف بن تاشفين ٣٣٦ ، ٣٠٠
 على الرمنقارة القمارى ٤٠٣
 على ولد القلبق ٣٩٤
 عمر بن أبى العرج ٣٨٦ ، ٣٨٧
 عمر بزاره ٤٠٣
 عمر بن حفصون الخارجى ٤٧
 عمر بن سعيد ٣٧٣
 عمر طوسون (البرلس) ١٨ ، ١٩
 عمر بن عامر ٣٧٠
 عمر بن عبد العزيز ١٩٣
 عمر بن عبد الله ٣٧١ ، ٣٧٦
 عمروس (والى طليطلة) ٤٥٧
 غنيسة بن سحيم الكلبى ٣٩٩
 غنى بن مالك بن أدد ٣٩٦
 عيسى بن الحسن ٣٦٩
 عيسى بن دينار الطايطلى ٤٤٦
 عيسى (المسيح عليه السلام)
 ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٩١ ، ٣٠١ ، ٣٦٣
 عيشون بن يحيى ٣٦٩

لويس الرابع عشر ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٣
لويس فيليب ٢٤٩
ليفيجلد ٢٣٠
ايوناردو (مصور) ٢١٣
(م)
ماتيو مورازو ٢٣٠
مارتين بن باطروه ٢٩١
مارتينس مورتانس ٢١١
ماردة بنت الملك هرسوس ٧٩، ٩٠
مارية كرسشيا ٢٤٩
مارية لويز ٢٢٣
مازارين (الكردينال) ٢٢٨
ماني (الحكيم) ٢٥٥
مالك بن انس ٢٧٢، ٢٩٣، ٢٩٨
مالك بن نويرة ٢١٦
المأمون القاسم بن حمود ٣٠٠
ماير تمام ٤١٢
ماير ديمقه ٤٠٦
ماير عبد العزيز (قسيس) ٤١٤، ٤١٥
ماير عبدلي ٤٢٤
منعم بن نويرة ٢١٦
المنفي ٢٢٠، ٢٥٦
المتوكل بن هود ٢٩٧، ٣٠٠
محانت بن عثمان بن حاتم ٢٧٦
محارب بن عمرو الاسدي ٢٩٤
محمد بن ابراهيم الفصولي ٣٩٩
» د ابي عامر ٦٤
» د احمد الرازي ٤٠
» د احمد بن سعيد ٣٦٧
» د احمد بن غرغل ٤٠٤
» د الاوي (الامير) ٢٠٩، ٤٦٨
» د الثالث ٣٥١
» د بن الحسن ٢٧٢
» د السقوي (بناء) ٢٢٧
» د سويد المجاشعي ٤٢٣
» د الفاسي القهري ٣٥٩

كهلان بن سبا ٢٩٥
كوندي ١٦، ٢٧، ٢٨
كونراد الثاني ٣٥٨
كوتزاتزه ٢٨٠
كولو (مصور) ٢١٣
(ل)
لازر بن علي ٢٨٤
لاون (ملك ارمينية) ٢٤٦
لاوي بروفسال ١٦، ٢٣، ٢٩
٤٥٢، ٤٦٥
لب اشنانس ٢٨٦
لب بن تمام (قسيس) ٣٩٦
لب بن فرندس ٢٨٤، ٢٩٨
لب بن نصر ٤٠٤
لب بن يحيى ٣٩٤
لحم بن عدي ٢٩٧
لدريق بن خيل (البنا) ٣٦٢
لدريق دويغار ٢٣٥، ٣٣٦
لدريق (الملك) ١٧٨، ١٨٨، ٢٦٢
٢٩٩، ٢٣٣، ٤٢٣، ٤٤٣، ٤٥٢
لسان الدين الحبيب ١٦، ١٥١
١٥٢، ١٥٧، ١٨٨، ١٨٩، ٢٢٤
٢٢٧، ٢٩١، ٢٩٥، ٢٩٩
٣٦٠
لودريقة (اسقف طليطلة) ٤٤٤
لوربرو (القديس) ٣٥٦
لورنسائه (اسقف طليطلة) ٤٤٤
لورنس بن ديمقه بن عمران ٣٩٤
لوقاديه بنت بيطرو ٢٨٩
لوقاديه بنت ميقاتيل ٢٨٥
لوقاديه بنت يحيى البياسي ٢٨٩
لوقاديه بنت يواش ٤١٦
لوقاديه (القديسة) ٤٣١
اويس بونابرت ٢٢٣
لويس دوهارو ٢٢٢

قحطان بن الحميس ٢٩٥
قديره ٢٨، ٢٩، ٢٦٠
القرامطة ٢٧٣
قرشتويل بن يليان ٣٩٤
قرشتينه بنت اندراش ٤١٦
قسطنس (امبراطور) ٤٢٩
قسطنطين (امبراطور) ٤٢٩
قسطنطين بن ايون ٤٧٠
قشير بن كعب ٢٩٣
قضاة بن مالك بن حمير ٢٩٨
القلقشندي ١٦، ٢٣، ٤٦، ٢٦٦
٢٦٧، ٤٦٦
قلمية بنت فرتند ٣٦٠
قلوبطره (الملكة) ٦٠
القندلش ٣٤
قيس بن سعد بن عبادة ٢٩٥
قيس بن هبة بن هوازن ٢٩٤
قيس بن عيلان ٢٩٣، ٢٩٤
(ك)
كارلوس الثالث ٣١١، ٣٤٧
كارلوس الثاني ٣٢٣، ٣٥٩
كارلوس الخامس ٣٤٨، ٣٤٩
كارلوس الرابع ٣١٤، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٦٢
كارلوس السابع ٣٤٩
كازيري ٢٧، ٢٨
كاسترو (مصور) ٣١٢
كاسيازو (مصور) ٣٥٦
كاتري (حكيم) ٣٥٥
السكرامية ٢٧٣
كريستوف كولو ٣٢٨، ٣٥٢
الكريكو (مصور) ٣١٣
كسبار بيسره ٣١١
كلاب بن ربيعة ٢٩٣
كلب بن وبرة ٢٩٨

محمد بن عباد (المتمد) ٢٠٠ ، ٢٤٨ ، ٢٠٣ محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ٤٥٩ ، ٣٤٣ ، ٣٠٠ محمد بن عبد الرحمن الصفار ٤٠٤ محمد بن عبد الرحمن بن محمد ٤٠٨ محمد بن عبد الرقيق ٣٨٣ ، ٣٨١ ، ٣٨٠ محمد بن عبد الله ^{عليه السلام} ٢٩٠ ، ٢٢٤ ، ٤ ٤٢٣ محمد بن عبد الله الأشجعي ٢٩٩ ، ٢٩٤ محمد بن عبد الله الانصاري ٣٦٨ محمد بن عبد الله بن حدير ٤٦٠ محمد بن عبد الله بن عيشون ٤٤٦ محمد بن عبد الملك بن أين ٤٤٦ محمد بن عمر بن ليابة ٤٤٦ محمد بن غازي المسكناسي ٣٥٤ محمد بن مردنيش ٣٠٠ محمد الماري ولد القنان ٤٠٢ محمد المهدي الحبابي ١٩ محمد (مهندس عربي) ٣٠٩ محمد بن هاني (الشاعر) ٢٩٥ محمد بن هشام بن عبد الحيار ٤٦٠ محمد بن يعيش الاسدي ٤٦٠ محمد بن يوسف بن اسماعيل ٢٩١ مدرارو (مصور) ٣١٤ مراد بن مالك بن أدد ٢٩٦ المراكشي ٣٦ مرة بن أدد ٢٩٦ مرة بن صمصمة ٢٩٣ مرتين الارحيد ياقن ٣٧١ مرتين بن أستانف ٣٧٤ مرتين باطروس ٣٧٦ مرتين بن حسن ٤١١ مرتين الحياط ٣٧١ مرتين بن رمانش ٣٧٦ مرتين سلمة بن أبي حجة ٣٧٦	مرتين شانجس (مهندس) ٤٢٩ ، ٤٠٠ مرتين غرسية ٣٩٩ مرتين فرتدس القرمادي ٤٠٦ مرتين قالة ٣٨٦ مرتين بن يحيى بن عبد العزيز ٣٩١ مرشكيطه ٣٨٥ مروان بن عبد الله بن عبد العزيز ٣١٧ مروان بن غالب ٣٧٠ مروة بنت تمام ٣٨٤ مروة بنت حسين بن فرون ٣٩٧ مريم (زوج عبد الله القزاز) ٤١٦ مريم بنت محمد ٤٠٧ المستظهر عبد الرحمن بن هشام ٣٠٠ المستعين سليمان بن الحكم ٣٠٠ المستكفي محمد بن عبد الرحمن ٣٠٠ ممنصر بن عبد المؤمن ٤١ ، ٢١٩ مسلم بن الحجاج ٤٤٦ مسلمة بن أحمد المجر يطي (الفلكي) ٣٤٥ مسعود زرقون ٣٦٩ المسودي ٣٩ ، ١٦ ، ٤١ ، ١٥٩ ، ١٨٤ ، ٢٣٠ ، ٢٦٢ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ مسعود بن يحيى ٣٧٣ مطرف (شاعر غرناطة) ٢٠٠ المعافر بن يعفر ٢٩٧ المعتد (العباسي) ٢٤٨ المعتد بن عباد (محمد) ٢٠٠ ، ٢٤٨ ، ٢٠٣ المعتد هشام بن محمد ٣٠٠ ممد بن عدنان ٢٩٦ المقامي (الشيخ) ٤٢٨ المفررين ٩٢ مفرج بن خير ٣٧٢ مفرج بن عثمان ٣٦٩ المقدر بالله ٤٧٠ المقدسي ٩٦ ، ٤٠ ، ٣٦٨ ، ٣٧١	المقري (صاحب نفع الطيب) ١٦ ، ٣٩ ، ٢٢ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ٢٢٧ ، ٢٩٢ ، ٣٧٧ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٧١ مقيال بن سليمان ٣٨٧ مقيال بن سيد (الوزير) ٣٩٣ مقيال بن علي بن عمر ٣٩٢ مقيال بن يوانس ٣٧٣ ملون ٣٨ ، ٣٧ ماندة الدليل ٣٨٧ ملندة فرندس ٤١٨ منبه بن معد العشيعة ٢٩٦ مندوزا (مطران طليطلة) ٣٣٩ ، ٤٤٤ مندر بن سعيد البلوطي ٤٧٠ المنذر بن محمد ٣٠٠ المنصور بن أبي عامر ٢٠٢ ، ٢٥٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٣٠٠ ، ٣٤٢ ، ٤٥٢ ، ٤٦٠ ، ٤٦٦ منسكة ٣٧ المهدي محمد بن هشام ٣٠ مهرة بن حيدان ٢٩٨ مورلو ٣١٣ موسى بن الشحات الازيلي ٣٩٥ موسى بن نصير ٦٣ ، ٨١ ، ١٦٩ ، ١٩١ ، ٢٠٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٧ ، ٢٩٩ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٧١ مؤنس المظفر ٤٧٠ ميشال دوسر ٣٢٩ ميقايل أرتند ٣٨٦ ميقايل بن بقي ٣٧١ ميقايل بن سلمة ٣٨٤ ميقايل بن شبيب بن عبد الرحمن ٣٨٣ ميقايل ميطاس ٣٧٥ ميقايل يوانس ٣٨٤ ميكال (ملك البرتغال) ٣٤٩
--	--	---

يحيى بن عبد الرحمن الجربطى ٣٤٥
يحيى بن عبد السلام ٣٦٩
يحيى بن عبد الله الثاني ٣٦٨
يحيى بن عدي ٣٥٤
يحيى بن علي المالحى ٣٨٩
يحيى بن علي بن يحيى ٣٧٣
يحيى بن العوام الاشيلي ٣٥٥
يحيى بن قريش ٣٦٩
يحيى بن مالك بن طند ٤٤٦
يحيى بن محمد الجربطى ٣٤٤
يحيى بن محمد الانصارى ٤٢٠
يحيى بن محمد ٣٧٠
يحيى بن مفرج ٣٧٥
يحيى بن وليد ٣٧٦ ، ٣٨٦
يحيى بن يحيى الفقيه ٤٤٦
يزيد بن (مطران) ٤٣٩
يشة بنت مرتين ٣٨٣
يشة الحريرى ٣٦٨
يشة فليش بطره ٣٦٩
يعقوب البرساوي ٣٧١
يعقوب المصور (ملك المغرب)
١٩٦ ، ٢٤٠ ، ٤٦٣
اليقوي ٣٩
يعيش الحياط العرناطي ٣٠٣ ، ٣٠٤
يعيش بن قليبش ٣٧٣
يعيش بن قريش ٣٧٦
يليان بن أبي الحسن ٣٨٤
يليان بن فرحون ٣٨٤
ينبوشاد ٣٥٥
يوان بن خلف ٣٦٨
يوان رودميروس ٤٠٩
يوان بن ظار ٣٧٥
يوان بن عثمان ٣٨٤
يوان فرتندس ٤٠٦
يوان الكراستى ٣٧٥
يوان (مستعرب) ٣٨٧

مند بنت جبران ٤١٣
مند بنت عبد الرحمن ٤٢٠
هنري الثالث ٣٤٦ ، ٣٥٨
هنري دوايفاس (مهندس) ٤٣٠
هنري الرابع ٣٤٦ ، ٣٥٣ ، ٣٦٣
هوازن بن عوف ٣٩٨
هوازن بن منصور بن عكرمة ٣٩٣
هور الافرنجى ٣٧٤
هود (عليه السلام) ٢٩٤
المهيم بن عبيد الكلبي ٣٩٩
(و)
واضح (القائد) ٤٦
ويالک دوتس ٣٧٤
الوطاى ١٥٥
وهب بن عيسى ٣٤٤
وهب بن مسرة ٣٤٤
وهب بن وهب ٣٧٢
الوليد بن عبد الملك ٢٠١ ، ٢٢٧ ، ٤٦٧
(ى)
ياحوج بن يافث بن نوح ١٧٨
يافث بن نوح ٢٦٢
ياقوت الحموى ١٦ ، ٣٣ ، ٣٩
٤٠ ، ٥٤ ، ١٠٠ ، ١٥٧
٢٢٣ ، ٣٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٥٣
يحبص ٢٩٨
يحيى بن اسماعيل ٣١٦
يحيى بن دي النون ٤٤٢ ، ٤٤٣
٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٦
٤٦٣ ، ٤٦٥
يحيى بن خلف ٣٦٩
يحيى بن خليل ٣٨٣
يحيى بن سرير ٣٧٢
يحيى بن سعيد ٣٧٦
يحيى بن سلمة الكلبي ٣٩٩

ميكال لويس ٣٣٠
مينوز (مصور) ٣١٣
مينوه ادفونس (القائد) ٣٧٥
ميمونة بنت يحيى ٤٠٤
(ن)
نابليون الاول ٣٣٠ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨
الناصر على بن حمود ٣٠٠
الناصر السلاوى (مؤرخ) ٣٥٨
ناقاريت السكرونى (مصور) ٣٥٦
نافع (شيخ القراء) ٢٧٣ ، ٢٧٢
نرسيزو يشكوال ٣٤٩
نزهة بنت سعيد الأوربوني ٤٠٨
نزهة بنت الفلاحي ٢١٤ ، ٢١٨
نزهة الركوبه ٢١٤
النعمان بن المنذر ٢٩٧
نقلاش دطوريش ٣٨٥
التمر بن قاسط الاسدى ٢٩٤
نمير بن عامر بن صمصمة ٢٩٣
(ه)
هارون بن موسى الأديب ٣٤٣ ، ٣٤٤
هاشم القراب ٤٥٩
هامر ٣٧ ، ٣٨
هذيل بن حكم ٣٦٩
هذيل بن مدركة بن الياس ٢٩٣
هربرت بلك ٣٧٤
هرقلس ١٥٨
هريرة (الباء) ٣٣٨ ، ٣٥٥
هريرة (مصور) ٣١٣
هشام الاول ٤٥٧
هشام بن الحكم ٣٠٠
هشام الرضى ٣٠٠
هشام بن عبد الرحمن ٣٦٥ ، ٣٦٨
هشام بن عبد الملك بن مروان ٣٦٥
هشام بن عذرة ٤٥٦
الهذلي ١٦ ، ٣٩ ، ١٤٨ ، ١٥١

بن عذاري ١٦، ٤٤١، ٤٥٢	ابن جبير ٢٦٣	يوان بن يليان الصقلي ٣٦٩
ابن المسال الشاعر ٤٤١	ابن جزى ١٩٠، ١٩٣، ٢١٥	يوانش بن تمام ٢٨٧
ابن علقمة ٤٤٤	ابن جهور ٣٠٠	يوانش بن عطف ٢٨٧
ابن العماد ٢٦٧	ابن حجاب ٢٣٦	يوانش بن مقاريل بن عبد العزيز
ابن عمار ٢٢٢	ابن حزم ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٥، ٢٩٨	٣٦٩ ، ٣٩٢
ابن عميرة ١٦ ، ٤٧٠	٣٣٠	يوانش بن ملوك ٣٧٣
ابن غالب ٣٣ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣	ابن حوقل ١٦ ، ٤٢، ٣٩ ، ٥٤ ،	يوسف (عليه السلام) ١٩٧
٢٩٤ ، ٢٩٣ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤	٤٦٨، ٢٤٤، ١٥٧	يوسف بن ابي الحجاج ٢٩١
٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨	ابن حيان ١٦٠، ١٧١، ١٩٣، ٢٤٥،	يوسف بونابرت ٣٤٧
ابن فرحون (قسيس) ٢٧٢	٤٧١، ٢٩٩، ٢٤٧	يوسف بن تاشفين ٤٦٢، ٤٤٦، ٣٠٠
ابن الفرضي ٢٤٤ ، ٢٥٣ ، ٣٥٥	ابن خرداذبه ٢٧٦، ٢٦٨، ٢٩	يوسف بن عبد الرحمن الفهري
٤٤٦	ابن خفاجة ٢٤٣، ٢٠٩	٢٤٥، ٢٤٤، ٣٠٠، ٢٩٩
ابن الفصال ٣٥٥	ابن خلدون ١٦، ١٩، ١٨٦، ٤٦٧،	يوسف بن عبد المؤمن ١٩٥
ابن الفقيه ٢٧٦	٤٧٠	يوسف النمازي ٤٠٤
ابن القبانة ٢٠٩	ابن خلصكان ٤٤٤	يوسف الفهري ٤٥٤، ٣٦٧
ابن اليسع ١٥٩، ٢٠٣، ٢٤٢	ابن الحجاره ٢٣٨	يوسف بن محمد اشقيق ٤٠٧
ابن مالك ٣٨١	ابن ذى النون ٤٢٨، ٣٠٨	يوسف بن هارون الرمادى الشاعر
ابن مالك الرعيني ٢١٤	ابن دزين ١٠٤، ٧٧	٢٩٧
ابن مسرة ٤٦٠	ابن رشد ٣٤٥	يوسف بن يعيش اليهودى ٣٧١
ابن المطرف ٣٥٤	ابن رشيق ٢٤٨	يوليان بيرز ٤٢٨
ابن مفلح ٢٤١	ابن الرميمي ٣٠١	يوليان فيسون ٢٢٤
ابن مقاتا الاشبوني ٢٤٨	ابن زاكور ٣٥٣	يوليان بن يحيى ٢٧٤
ابن حلاله ٣٠٠	ابن الزقاق ٢١٧	يوليوس قيصر ١٩٧
ابن هود ٢٥٦، ٢٤٩	ابن سعيد ٢٣، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٠،	(ابن)
(بنو)	١٧٠، ١٨٤، ١٨٥، ١٩٢، ١٩٥،	ابن الامار ١٦، ٣٥٤، ٣٦٠
بنو أبي عبدة ٢٩٨	٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٥، ٢١٧، ٢١٨،	ابن الاثير ١٦
بنو الأحمر ٢٩٥، ٣٠١	٢١٩، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١،	ابن ابي الجود ٣٥٥
بنو أسد ٢٩٤	٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٣٥، ٢٣٧،	ابن الاحمر ٢٥٦، ٢٥
بنو أضحى ٢٩٤	٢٣٨، ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٥٩، ٣٦٧،	ابن ابي عامر ٣
بنو أمية ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥٢،	٢٩٢، ٢٩٥، ٢٩٩، ٤٦٦،	ابن الاطلس ٤٤٣
٢٦٣، ٢٦٤، ٢٩٢، ٢٩٥، ٢٩٩،	ابن سفر ١٩٧، ٢٤٢	ابن بدرون ٢٢٢، ٢٢٣، ٤٤٣
٣٠٠، ٣١٥، ٣٦٤، ٤٤٠، ٤٥٤،	ابن سيده ٣٦١	ابن بسم ٣٥٤، ٣٧٧، ٤٢٨
٤٦٠، ٤٦٩، ٤٧٠	ابن شرف ١٩١	ابن بشكوال ١٦، ١٩٦، ٢٣٥، ٢٣٦،
بنو الباجي ٢٩٧	ابن طورينو ٣٧٥	٢٤٤، ٢٤٣، ٣٦٠
بنو الجد ٢٩٢	ابن عباد ٣٠٠	ابن بطلان ٣٥٤
	ابن عبدون ٢٧٢	ابن بطوطه ١٩٣، ٢١٤، ٢١٥

ابو حفص بن عمر ٢٩٣	(أبو)	بنو حمور ٢٩٨
ابو حنيفة النعمان ٢٧٢	ابو اسحاق الطرسوسي ٢١٨	بنو جودي ٢٩٣
ابو خالد بن اسطر ٣٦٩	ابو اسحاق العمري ٣٧٢	بنو حزم ٢٩٣
ابو الخطار الكلبي ٢٩٩	أبو الأصمخ القاضي ٤٣٥	بنو حمديس ٢٩٤
ابو الخير الاشيلي ٣٥٥	أبو بكر بن الحديدي ٤٥٥ ، ٤٦٠	بنو حمود ٢٤٨ ، ٢٩٢ ، ٣٠٠
ابو زكريا يحيى ٣٠١	أبو بكر بن زهر ١٩٦	بنو ذي النون ٢٠٠ ، ٣٦٤ ، ٤٤١ ، ٤٥١ ، ٤٦٠
ابو زيد ٢١٣	أبو بكر بن زيدون ٢٩٢	بنو رشيق ٢٩٤
ابو سرور فرج ٤٠٥	أبو بكر بن سماعة ١٩٦	بنو زهرة ٢٩٢ ، ٢٩٤
ابو صفوان بن ادريس ٢١٠	أبو بكر بن سعيد ٢٢٧ ، ٢٢٨	بنو سراج ٢٩٦
ابو الطاهر (صاحب المقامات	أبو بكر بن عباد ٢٩٥	بنو سعيد ٢٩٦
اللزومية) ٢٩٣	أبو بكر بن عمار ٢٩٨	بنو سمالك ٢٩٦
ابو الطيب حمدان ٢٧٣	أبو بكر بن القيطرنة ١٩٦	بنو عباد ٢٤٨ ، ٢٩٢ ، ٢٩٧
ابو الطيب المفترس ٢٨٤	أبو بكر السيفي ٢١٥	بنو العباس ٤٦٩ ، ٤٧٠
ابو طاهر السلمي ١٥٨	أبو بكر الخزومي الشاعر ١٩٦ ، ٢٢٧ ، ٢٩٢	بنو عبد البر ٣٩٤
ابو عبد الله الاحمر ١٥٥ ، ٣٤٨	أبو بكر يعيش ٤٦٠	بنو عبد البار ٢٩٢
ابو عبد الله الحنط الشاعر ٢٩٧	أبو تطلب الضنفرى ٤٩	بنو عبد السلام ٢٩٧
ابو عبد الله بن أبي الخصال ٢٩٦	أبو جعفر بن خاتمة ٢٠٣	بنو عبد المؤمن ٢٢٢ ، ٢٣٥ ، ٢٤٢
ابو عبد الله الطليطلي ٤٤٦	أبو جعفر بن عقدة ٢١٧	بنو عذرة ٢٩٨
ابو عبد الله قاضي الجماعة ١٩٣	أبو جعفر الكتاني ٢٩٣	بنو عطية ٢٩٤
ابو عبد الله بن عياش ٢١٨	أبو الحجاج البلوي ١٩٢	بنو القاسم ٢٩٢
ابو عبد الله الحشني ٣٥١	أبو الحسن بن حاتم ٤٠٩	بنو القسيمي ٢٩٥
ابو عبد الله المصفي ٢١٨	أبو الحسن بن حريق ٢١٨	بنو مازن ٢٩٥
ابو عبد الله بن ميمون ٢٠٧	أبو الحسن بن ذكري ٣٦٩	بنو محارب ٢٩٢
ابو عبد الله الياكوري ٢٠٣	أبو الحسن زينة ٤٠٥	بنو مرديش ٢٩٧
ابو عبيد البكري ١٥٨ ، ٢٩٤	أبو الحسن بن سراج ١٩٦	بنو مروان ٢٤٤ ، ٢٩٩
ابو عمر بن أبي سليمان ٢٩٩	أبو الحسن البشري ٣٩٨	بنو المنتصر ٢٩٦
ابو عمر بن اسرائيل ٢٩٩	أبو الحسن علي بن موسى ٢٠٠	بنو المهلب ٢٩٥
ابو عمر بن شهيد ١٩٧	أبو الحسن بن نزار ١٨٩	بنو هاشم ٢٩٢
ابو عمر شوشان ٢٩٠	أبو الحسن بن يونس ٤٠٦ ، ٤٠٧	بنو هود ٢٩٧ ، ٣٠٠ ، ٤٤١
ابو عمر بن الشيخ أبي سليمان ٤٠٥		بنو وافتد ٢٩٧
ابو عمر بن عبد البر ٢٩٤		

فهرس الأماكن والبلاد

الواردة في الجزء الأول من كتاب
الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية
رتبها الفقير إليه تعالى عثمان خليل

٢١١، ٣١٠، ٣٠٩، ٣٠٦، ٣٠٠	أريلى ٥٤	(١)
٣٠٠، ٣٤٧، ٣١٦، ٣١٥، ٣١٢	أريلا ٦٦	أياجو ٣٥٥
٤٥٠، ٤٣٩، ٣٨٢، ٣٨١، ٣٦٤	استجة ١٣٤، ١٣٣، ١٣٢، ٧٤، ٤٠	آبار الرتبة ١١٨
٤٦٦	٢٣٤، ٢٠٥	أبان ١٣٥، ١٣٤
الاشتورياس ٣٣٠	الاسترامادور ٣٣٠، ٣١٨	أبنة ٣٠٩، ٣٠٥، ١٨٠، ١٢٨، ١١٦
اشكونية ٢٢٢	استورقة ٢١١	أبلة ٣٤١، ٣٤٠، ٣١٩، ٣١٢، ٣٠٥
اشمة ٤١	استورية ٢٢	٣٤٢
اشونة ٧٤، ٤٠	أسطبة ٢٠٥	أبلش ٥٤، ٥٣
أصبهان ١٦٨	أسفى ٩٨	الابواب ١٦٦، ١٦٣، ٦٠
أطرازندة ٤٧	أسكندرية ٤٣٩، ٣٤٢، ١٤٨، ١١٩	أخشبة ٢٦٨، ٥٢
أطرية ٤١	الاسكوريال ٣٥٥، ٣١١، ٣١٠	أراغون ٣٤٩، ٣١٧، ٣١٢، ٢٢
أغريطة ١٦٣	٣٥٩، ٣٥٨، ٣٥٦	أرانجوز ٣٦٣، ٣٦٢
إفراغة ٣٦٥، ٧٩، ٤١	أشبانيا ٧٢، ٦١، ٣٤	أرانددة ٢٢٣
أفرايدة ١٢٦	الاشبلونة ١٨٠	أرافورن ٢٢٢
آقارية ٣٤	أشبونة ٣٦، ١٥٩، ٥٨، ٥٥، ٤٠	أربونة ٣١، ١٥٩، ٦٠، ٥٨، ٥٦
آقرسيف ٦٩	٣٦٠، ٣٢٢، ٢٠٧، ١٩٣، ١٨١	٣٦٧، ٣٦٥، ١٦٠
أقشبونة ٤٠	٣٦٧	أرجدونة ٤٧
أقليش ١٦١، ١٦٠، ٧٩	أشيلية ٣١، ٤٥، ٤٠، ٣٣، ٣٠، ٢٧	أرجونة ٣٦٩، ٣٦٨
أكاديمية التاريخ ٣٥٣، ٣١١	٧٤، ٨٢، ٨٤، ٨٣، ٨٥، ٨٩	أرجيرة ٧٦، ٤٠
أكشونية ١٧٩	١١٧، ١٣٠، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥	الأردن ٤٠
أكشيتانية ٤٠	١٤٥، ١٦٨، ١٦٩، ١٧١، ١٨٠	أرشدونة ٧٤، ١٣٠
ألب ٥٢، ٤٥	١٨٧، ١٩٣، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨	أرغانزون ٢٣٠
ألبه ٢٣٠، ٢٢٧، ٢٢٢، ٢٢١	١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٧، ٢٠٨	أرمينية ٥١
الش ١٤٠، ١١٢، ١١١، ٧٦، ٥٢، ٣١	٢١٩، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤	أونيدة ٤٠
اليسانة ٢٠٥، ١٣٢، ١٣١	٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٨، ٢٥٠	أونيط ٧٩
آموريبيطة ٢٣١	٢٦٠، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٧١، ٢٩٢	أريخالو ٣٤٣، ٣٤٠
أنتقرة ١٣٠	٢٩٤، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩	
أندة ٢١٩		

اندرش ٢٠٥	باب عبد الحيار ٢٢٤	برج الشياطين ٢٨٤
انزلان ٦٨	باب المطارين ٢٦٩	برج لوجانس ٢٤٦
انطاكية ١٤٧	باب العقاب ٢٠٢	مرجة ١٢٩، ١٢٠، ١٢٩، ١٩٢، ١٩١
انكور ٥٤	باب قرون ٤٢٧	٢٢٣
اوبيط ٢٢٦، ٤٨٠، ٤٠	باب انقطرة ٢٦٩، ٢٢٤، ١٣٦	برديل ٥٩، ٥٦، ٠، ٦٠، ١٦٠، ١٦١، ١٦٦
اوردونية ٢٢٣	باب لائنه ٢٤٦	٢٦٦، ٢٢٣، ١٦٦
اوربولة ٢٩٣، ٢٠٦، ١١٧، ١١١، ٧٦	باب المحاضه ٢٨٩	مررعة ٥١
اوسا ٢٣٤	باب مردوم ٤٦٤	مرشاة ٧٥
اولبة ٢٧٠	باب المسخ ٤٢٢	برشلونة ٣٦، ٣١، ٣٠، ٤١، ٥٨، ٨٠
اوليدور ٢٤٣، ٢٤٢	باب المسكاره ٤٢٢، ٤٣١	١٠٨، ١٤٧، ١٤٨، ١٦٠، ١٧١
وليش السكرى ٤٣٠، ٢٠٢، ٤٠٣	باب الهدى ١٩٧	١٨١، ٢١٦، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢١٢
أوبه ٢٠٨، ٢٩٤، ٢٢٣	باب وادى الحجارة ٢٤٦	مرغش ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٩
أونداروه ٢٣١	باب اليهود ٢٦٩، ١٩٧	٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨
إبار ٢٣١	بابل ١٤٩	٢٢٩، ٢٤٧
أبرون ٢٢٩	بابكة ٢٢	برقة ٤٢٩، ٢٧٤
أيكجا ٢٧٥	باجة ٢٦٨، ٢٦٠	بركة منسا ٢٢٠
إيليا ١٧٢	بادس ٦٩، ٦٨، ٦٣	برلمانية ٢٠٧
إيوان كسري ٤٤٧	باروشة ٢٠٧، ٤٠	برمبو ٢٢١
(ب)	باشكونية ١٨١	بروكل ٢٥٦
باب الأبواب ٥١	باطقة ٢٤	بريابة ٢٦٩، ٧٦
باب أقلام ٦٧	باعة ٢٢٢، ٢٠٠، ١٨٩، ١٣٠	بريفسكا ٢٢٣
باب يزغره ٤٣٦	بافية ٢٥٣، ٢٤٦	برليانة ١٢٣
باب الجعفرية ٢٥١	بالش ١١٢، ٧٥	برليطة ٢٠٠
باب الحديد ٢٦٩	بشطر ٧٤	بسطة ١٢٨، ١٢٦، ٧٦
باب الدباغين ٢٣٩	بحاجة ٤٠، ٤١، ٤٦، ٥٤، ٥٥، ٧٥	بسفاية ٢٢٢، ٢٢١، ٢٢٧، ٢٢٢، ٢٢١
باب ساحة التارنج ٣٠٦	١٢٤، ١٢٧، ١٨٠، ٢٤٢، ٢٦٨	بسكونس ٤٢، ٤٥
باب سانتو دومينكو ٢٤٦	٢٧١	البشارات ٤٠، ٧٥، ٧٦
باب سان مرتين ٤٤٦، ٤٢٢	البجاس ١٢٠	البشرة ١٧٩
باب سرادة ٢٤٦	البحيرة ٤٠	البصرة (المغربية) ٦٦
باب السول ٤٢٧، ٤٣٦	بذة ٧٩	بطارية ١٢١، ١٨١، ٢١٨، ٢١٩
باب الشقرة ٤٣٦، ٤٦٤	برباطانية ٤٠	بطروش ١٤٥، ٧٧
باب الشمس ٢٤٨	بربشتر ٤١	بطليوس ٢٩، ٤٠، ٥٢، ٥٣، ٧٨
باب الصول ٢٤٦	البرتات ٧٩، ٤٠	٨٦، ٨٧، ٨٨، ٩٩، ١٤٦، ١٤٧
باب طلبطة ٤٣٦	برتمان الكبير ١١٢	٢٠٧، ٢٢٣، ٢٦٠، ٢٧١، ٢٩٨
باب طمر ٢٦٩	برجان ١٧١	٤٤٣
	برج سرافوس ٧٢	بقداد ٤٨، ١٥٥، ٢٦٩

جبل اقلندو ٢٢٩	بيجة ٤٠	بكة ٧٣
جبل البرانس ٢٢٢، ١٨١	البيرة ٤، ١٢٩، ٧٥، ٤٦، ١٨٠	بكيران ١١١
جبل البرت ٢٦٧، ١٦٦، ١٦٢، ١٦٠	١٨١، ١٨٨، ١٩٠	البلاط ١٠٠، ٧٨، ٧٧، ٤٠
جبال بسقاية ٢١٧	بيغو ٢٦٨، ٢٧٠	بلاط مروان ٢٦٩، ٢٦٨
جبال البقرات ٢٨	بيلة انتقوه ٢٩٧	بلاطة ٧٨
جبل البشكنس ١٦٣	بيونة ٢٢٤	بلاو ٢٢٢، ٢٢١، ٢٢٤
جبل البصرة ٦٦	(ت)	بلد الوليد ٢١١، ٢٠٩، ٢٠٦، ١٢٩
جبل بطلس ٤٨		٢٥٢، ٢٤٠، ٢٢٨، ٢٢٠
جبل الثلج ١٢٩، ٢٧	تافركنيت ٦٩	بلدوذ ١٢٥
جبال جة ١٨١	ناكرونة ٤١	بلشاة ١٢٣
جبل سهيل ٢٠٤	ناعرت ٢٧١، ٢٦٨	بلش ٢٠٦
جبل الشارة ٢٦٧	تدمير ٤٠، ٧٦، ١١٤، ١٦٤، ١٨٠	بلسكونة ٢٧٠، ٢٠٥
جبل شحيران ١٨٠	٢٩٣، ٢٧١، ٢١٣، ٢٠٤، ١٨١	بلسية ٥٨، ٥٣، ٤٥، ٤٠، ٣٦، ٣١
جبل الشرف ١٩٨	ترحيلة ٥٣، ١٠٠	١١٤، ١١٠، ١٠٩، ٧٦، ٧٣، ٧٢
جبال طليطة ٢٩	تشمش ٦٦، ٦٥	٢١٢، ٢٠٦، ١٨٠، ١٧١، ١١٥
جبل عافور ١٤٦	تطوان ٣٥	٢٦٦، ٢١٩، ٢١٨، ٢١٧، ٢١٣
جبل العروس ١٣٦	تطيلة ٢٨، ٤٠، ٤١، ٧٩، ١٠٦، ٢٠٧	٢١٢، ٢٠٠، ٢٩٣، ٢٧١، ٢٦٨
جبل العليا ٢٢٩	٢١٢، ٢٠٥، ٢٧٤، ٢٧١	٢٣٦، ٢٢٠، ٢١٧، ٢١٤، ٢١٢
جبل الغور ٥٥	تلمسان ٦٩	٤٥١، ٣٥٠
جبل فاره ١٢٩	تمريط ٢٠٧	لباية ٢٠٧
جبل قاعون ١١٠، ٥٦	تتس ١٤٧	لبلياسة ١٢١
جبال قشتالة ٣٩	توركادة ٢٢٢	لبليونش ٦٣
جبال قنطيرية ٢٢١، ٢١٨، ٢٨	تور ٢٢٤	بمقام ١٠٢
جبال الكواكب ٦٨	تونس ٥٤، ٢٢٩، ٢٤٢، ٢٦٤، ٢٦٨	بنقلوة ٢٢٤، ٢١٢، ٢١١، ٢٧
جبال كور ١٢٧	٢٥٢، ٢٥٢، ٢٧٥	بنك بلباو ٢٢٢
جبل لام ١١٩	تيطل ٢١٩	بنى عبدوس ١٢٤
جبل منت ليون ١٧٩، ٨٤	(ث)	بنى وزار ٧٠، ٦٣
جبل المنية ٦٤		بونسام ٢٦٣
جبل موسي ٦٣	الثغر الأعلى ٢٠٦	بورثة ٤١
جبال نيفادة ٢٦	(ج)	بوريانة ١٠٩، ١٠٨
جبال يابسة ١١٠		بوزكور ٦٩، ٦٨
جراو ٦٩	جافة ٧٩، ٧٢	بياسة ١١٦، ١٢٨، ٢٠٥، ٢٦٨، ٢٧١
جرف ٤٠	جبال الاجراف ٦٩	٢١٠، ٢٠٩
الجزائر ٢٥٢	جبال استورياس ٢١٨، ٢١٧	بيانة ٢٠٥، ١٣١، ٧٤
جزيرة أبلناصة ١١٢	جبال الاغن ١٦٢	بوظل جبل طارق ٢٢، ٢٠، ٢٧
جزيرة أحيال ١٧٦	الجبال الايرية ٢١٨	بيت المقدس ٤٦٦، ٢٠١

الحرشة ٧٠	جزيرة قبرص ١٤٩	جزيرة إرشقول ٦٩
حصن أبال ١٤٧	جزيرة قربيرة ١١٤	جزيرة أقود ٦٠
حصن ابن هارون ٧٧	جزيرة القشقار ٦٩	جزيرة أم حكيم ٨١
حصن أرجوة ٥٢٠	جزيرة القنير ٨٠	الجزيرة الأندلسية ٣١، ٣٢، ٣٦،
حصن أركش ٧٣	جزيرة كريت ٤٣٤	٤٠، ٤٥، ٦١، ٧٠، ١٦٠، ٢٠٤،
حصن أرند ٩٩	جزائر مزغناي ٥٤	٢٤٢، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٦١، ٢٦٦،
حصن أسلان ٧٠	جزيرة ميورقة ٣٠، ٥١، ٥٦، ١٤٧،	٤٣٣، ٤٣٤، ٤٦٣، ٤٦٩
حصن أشر ١٣٠	١٦٠، ١٦٣، ٢٠٩، ٢٦٦، ٢٦٧،	الجزيرة الأييرية ٢٢، ٢٤، ٢٦، ٢٧،
حصن أشونه ١٣٣	٣٣٣	٢٨، ٣١، ٣٣، ٤١، ٣٠١، ٣٠٢،
حصن إفرد ١١٧	حريرة مينورقة ٥٦، ١٤٨، ١٦٠،	٣١٧، ٣٣٦، ٤٥٣
حصن آقه ١١٣	١٦٣، ٩، ٢٦٧،	جزيرة بريطانيا الكبيرة ١٦١،
حصن أدة ٢١٩	جزيرة النساء ١٧١	١٦٦، ١٧١، ٢٠٨، ٢٢٩
حصن اندوحر ١١٦	جزيرة بادسة ١٤٧، ٢٠٩،	جزيرة تولى ١٧١
حصن برعش ٣٣٤	جزيرة ينشتالة ٨٣	جزيرة جيل طارق ٣٦٨، ٥٥
حصن بكيران ١١١	جسر سان مارين ٤٣٢	جزيرة الحجل ٣٣٨
حصن بخروش ١٤٥، ١٤٦،	جسر قرطبة ١٩٣، ١٩٤، ٢٠٤،	الجزائر الحاديات ٢٠٧
حصن البلاط ١٠٠	جسر طليطلة ٤٣٤	الجزيرة الحصرا ٢٥٠، ٢٢، ٥٦،
حصن بلاي ١٣٣	جلنكش ٣٦٧	٦٣، ٧٣، ٨٠، ٨١، ٨٢، ١٣٠،
حصن بلوكوة ٣٦٨	جلاية ٥٢	١٧٠، ٢٠٠، ٢٣٨، ٢٧١، ٢٩٧،
حصن بندر ١٤٦	جلاية ٤٥، ١٦٦، ٤٤١،	٢٨١، ٢٩٨
حصن بنشكة ١٠٨	جنان الورد ٤٤٥	جزيرة سرداية ١٤٨
حصن بوترون ٣٢٧	جنة الحنشي ٤١٢	جزائر السعادات ٢٠٨
حصن البوت ١٨٠	جنة السات ٣٥٠	جزيرة شقر ١٠٩، ١١٠، ١١٥،
حصن بياة ١٣١	جنگالة ٧٦، ١١٤، ١١٥،	٢٠٦، ٢٤٣
حصن بيرة ١١٣، ١١٨	جنوة ٣٠٩	جزيرة شلش ٥٨، ٧٤، ٨٥، ٨٦،
حصن تاجمريت ٦٩	الجوف ٥٨، ١٦٣، ٤٤٥،	٢٠٨، ٨٩
حصن تاجه ٤٦٦	الجويبار ٣٣١	جزيرة سقلية ٤٥، ١٧١، ٢٥٩،
حصن تشكر ٧٦	حيان ٤٠، ٤٥، ٧٥، ١٢٧، ١٢٨،	٢٦٨
حصن قطاوان ٦٨	٢٠٥، ٢٠٠، ٢٦٦، ٣٦٨، ٣٧٠،	جزيرة طريف ٣٥، ٣٦، ٥٨، ٥٨،
حصن تقساس ٦٨	٢٤٥، ٣٨١، ٣٨٢،	٦٣، ٧٦، ٧٣، ١٨٤، ١٧٠، ٨٠،
حصن الجرف ١١٧، ١٣٥،	جيرة ٤٢	٢٠٠
حصن جليانة ١٩٠	جيرة ٣١	جزيرة العرب ٣١، ٦٠،
حصن جيرة ١٠٦	(ح)	جزيرة الغم ٩٧، ٧٠
حصن الحنش ١٤٦، ١٤٧،	الحامة ٢٠٦	جزيرة الفيران ١١٣
حصن الحة ١١٧، ١٢٤،	حجر ابن خالد ٦٧، ٧٩،	جزيرة قانس ٥٨، ٧٣، ٨٦، ٨٣،
حصن دالر ١٢٥	حديقة الثبات (في بلنسية) ٣٥٠	١٣٤، ١٥٩، ٢٠٧، ٢٣٣، ٢٣٤،
		٣٦٦

خليج برديل ٣١	حصن المدور ١١٧ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ،	حصن الرياحين ١٠٩
الخليج الرومي ٤٥	٢٩٢ ، ٢٢٨	حصن الزهر ٨٣
خليج قادس ٢٩	حصن مراد ٣٩٦ ، ١٣٥	حصن سان سرفندي ٤٢٣
الحنادق ١٣٥	حصن مرية بلش ١٢٣	حصن شقورى ١١٤
خندق آتش ١٢٦	حصن مسكاه ٦٨	حصن شفت افرج ١٩٨
خندق قبر ١٢٥	حصن المعدن ٩٢	حصن شفت ياله ١٩٢
الخورتق ٤٤٧ ، ١٩٤	حصن منت ميور ١٨٠ ، ٩٢	حصن شنش ٢٠٤
(د)	حصن منترك ١٣٢	حصن شوذر ١٢٨
دار البقر ١٤٥	حصن مندوجر ١٢٥ ، ١٢٤	حصن صالحه ١٢٣
دار البلدية ٣٠٩	حصن المنكب ٥٦	حصن طشكر ١٢٧
دار الطيخ ٩٠ ، ٨٩	حصن مورة ٣٧٣ ، ٣٧٥	حصن طشكره ٨٠
دار الخازن ٤٦٣	حصن موله ١١٧	حصن طويه ١٢٨
دار المؤتمر ٣٤٩	حصن ولة ٨٧	حصن غافق ١٤٦
الداموس ٨٩	حضر موت ٢٩٨	حصن فريبره ١٢٥
دانية ٥٦ ، ٥٨ ، ٧٦ ، ١١٠ ، ١١١	حلب ٢٤٥ ، ٢٤٢	حصن فريش ١٣٥
٢٠٦ ، ١٤٧ ، ١١٥	حلق الزاوية ٨٧	حصن فنيانه ١٢٥
درب المفردين ٩٤	حلقو بالش ١١٢	حصن قبره ١٣١
دروقة ٣٥١ ، ١٠٦ ، ١٠٥	حمام ٢٤٢	حصن قذاق ١٣١
دشمة ١٣٦	حمام بلباو ٣٣٢	حصن القصير ١٢٥
الدفلى ٧٠	حمام الكوف ٤٥٣ ، ٤٣٢	حصن قليره ٥٨
دلایه ١٧٩ ، ١٢٩ ، ١٣٠	الحة ١٣٣ ، ٩٤	حصن قسطله ٨٦
دشق ١٥٩ ، ١٥٢ ، ١٨٨ ، ١٩٨	حمة عشر ١٢٥	حصن قسطنطينه الحديد ١٣٥
٢٧٥ ، ٢٤٢ ، ٣١٥	حمة وشتن ١٢٥	حصن قصرس ١٠٠
دنهاجة ٦٦	الحراء ٤٣٠ ، ٣٠٨ ، ٢٢٤ ، ٣١٤	حصن القصر ٧٤
الدواميس ٢٠٨	حمص ٢١٠ ، ١٩٨ ، ١٩٢ ، ٤٠	حصن قطيانه ١٣٤ ، ١١٧
دورنغو ٣٣١	حصل ١٢٥	حصن قليد ١١٥ ، ١١٠
دويره ٤١	حوز الريحانه ٥٨	حصن قيشاطه ١٢٨
دويناس ٣٣٣	حوز المورة ٥٨	حصن القيله ١٣٤ ، ١١٧
دير الاسكوريال ٣٤٣	(خ)	حصن كاستيليو ٣٣٥
دير البدال ٣٠٦	خراسان ٢٧١	حصب كركال ٦٨
دير بيادره ٣١٢	خزانه الانار اقومية ٣٥١	حصن كركوى ٩٩
دير راهبات برغش ٣٣٧	خزانه الاسكوريال ٣٥٨	حصن لبراله ١١٧
ديرسان بابلو ٣٠٥	خزانه دير لورنزو ٣٥٨	حصن لورقة ١١٨
ديرسان بادرو ٣٠	خزانه الكتب الوطنية ٣٥٠	حصن لورة ١٣٤ ، ١١٧
ديرسان توماس ٣٤١	خشبة ٢٧١	حصن مارتنه ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٩ ، ٨٩
ديرسان سلفادور ٣٣٣	الحضراء ٢٠٧ ، ١٨٤	حصن مادلين ١٠٠
	خليج اشبونه ٢٩	

سجلنامه ٢٦٨، ٢٧١
سرت ١١٧، ٧٧
سرقسطه ٢٨، ٤٠، ٤٥، ٨٤، ٧٩،
١٠٦، ١٠٩، ١١٤، ١٦٤، ١٧١،
١٩١، ٢٠٦، ٢٢٨، ٣٠٠،
٣٠٨، ٣١١، ٣٢٢، ٣٤٧، ٣٥١،
٤٥٤، ٤٤١
سرقوسة ٢٧١
سقويه ٢٤٦، ٣١٠، ٣٦١، ٣٦٢،
٣٧٤
سلا ٢٢٣، ٢٠٨، ٥٦
سموره ٣٦٥، ٤٥
سمور ٤٨
سمساط ٣٦٣
سناكروس ٢٠٦
السلة ٢٠٦
سهيل ٢٠٤
السواني ١٢٥
سور مدينة آله ٣٤٢
السوس ٢٧٣، ٢٧١، ٢٦٨
سول ٢٢٥
سيمنكاس ٤١
سيستون ٢٢٠
سيودادريال ٢٢٠
(ش)
شارت آله ٢٤١
شارت استريلا ٢٩
شارت سان مرناردو ٤٣١
شارت غلما ٢٩
شارت غريديوس ٤٣١
شارت فنيريا ٣٦١
شارت مالاغون ٢٤١
شارت مورنيا ٣٠
شارت مورنيا ٣١٩، ٣١٨
شارت وادي الرمل ٢٩، ٣١٩، ٢٤٢
الشارت ٧٨، ٤٠

(ز)
الزاهرة ٣٠٠، ٢٩٩، ١٩٧
زجان ٦٨
الزراة ١١٧
الزقاق ٦٢، ٦٦، ٨
رمورة ٤١، ٣١١، ٣٢٢، ٣٢٤
الزهرا ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٧٤، ١٤٤،
١٩٧، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٥١
الزولة ٢٣١
زومراق ٢٣٠
زوريت ٤٠
زوميه ٢٣٠
زواغه ١٤٦
زيرد الحاله ٨٤
الزيتون ٤٠، ٧٩
(س)
ساحة السطابطة ٤٣٨
ساحة السوقة ٣٦٢
ساحة الشرق ٣٥٠، ٣٥٢
ساقية أشر ٧٧
سانت أندر ٢٢٢
سان ايلد فوسو ٣٦٢
سان ايلو ٣٠٦
سانو كريستو ٣٠٨
سانت ياقو ٣٠٩
سان دورازوانزو ٣٦١
سان سيبياتسيان ٢٢٩
سان عريموريو ٣٠٦
سان كنتين ٢٥٥
سان مرقس ٣٦١
سان ميلان ٣٦١
سبا ١٤٨، ١٤٩
سبته ٢٥، ٣٣، ٥٤، ٥٦، ٦٣، ٦٤،
٦٥، ٦٧، ٦٨، ٨١، ١٥٧، ١٨٤،
١٨٥، ٢٠٠، ٢١٨، ٢١٩، ٢٤٢،
٤٥٣
سبزيوس ٢٤٢

دير سيلوس ٢٣٨
دير شنت باترو ٢٩١
دير شنت قلمنت ٣٨٩، ٣٩٠، ٤٠١
٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٧
دير القديس أغناطيرس ٢٣٠
دير كاردينه ٢٣٨، ٢٣٩
دير بنبلونه ٢٩٠
ديفا (مرسي بحري) ٢٣٠
ديوان القنيتش ٢١٤
(ذ)
الذراة ١٢٥
(ر)
رابطه كشطاي ١١٨، ١٠٨
رأس روكه ٣٦
رأس قسان ٣٦
رأس كريبوس ٣٦
رأس المجاز ٦٥
رأس مراکش ٣٦
رأس نان ٣٠
راقويل ٤٠
الران ٥١
رض التباين ١٢٤
رض قنتاله ١٢٤
الرتبة ١٢٥، ١٢٦، ٨٤
الرسافة ٢١٨، ٢١٧، ٤٩
الرصيف ١١٤
رند ٣٣، ٤١، ٧٥، ٢١٩، ٣٠٧
روطه ٨٣
رومه ٢٤، ١٠٢، ١٨٦، ١٩١، ٢٠١،
٣٥٦
رومية الكبرى ١٧١، ٢٣٤، ٢٣٥
رومية يوليس ١٩٨
الرية ٣٥٥
ريو ٤٧
ريه ٤٠، ٤١، ٧٤، ١٢٩

طرسونه ٢٠٧	شتت رمعان ٢٨٤	شارع جرينمو ٢٤٨
طرش ١٢٢	شتت طانكش ٢٤٠	د القامة ٢٤٨
طرطوشه ٢٧ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٥ ، ٥٥ ،	شتت فليش ٢٨٤	شارماتين ٢٤٢
٧٩ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٨١ ، ٢٦٥ ،	شتت ماريه ٧٧ ، ٨٦ ، ١٠٤ ، ١١٦ ،	شاط ١٢٢
٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٣١٠ ،	٢٠٧	شاطبه ٧٦ ، ١١٠ ، ١١١ ، ٢٠٦ ، ٢٢٣ ،
طرف الاغر ٥٨ ، ٢٣١ ،	شتت مريه ١٦٣ ، ٢٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٧ ،	الشامة البيضاء ١١٤
طرف ثلال ٦٩	شتت ياقوب ٧١	شجانه ١١٣
طرف حياقيه ٢٣٤	د ياقور ٢٦٦ ،	شدوة ٤٠ ، ٧٣ ، ١٢٣ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ،
طرف العرف ٥٨	د ياقور ٢٢٢	٢٦٨ ، ٢٧١ ،
طرف القيطال ١١٢	د يانوه ١٦١	شروان شاه ٥١
طرف الناظور ١١٣	الشنبدة ٣٦٨ ، ٢٧٠ ،	شرف أشليه ١٩٨ ، ١٩٩ ،
طركونه ٣٦ ، ٤٠ ، ٥٨ ، ٧٩ ، ١٠٧ ،	الشمشين ٨٧	الشرف ٨٥ ، ٢١٠ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ،
١٠٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٢٢٣ ، ٢٦٦ ،	شوذر ٢٦٨ ، ٢٦٩ ،	شريشه ٧٨ ، ٩٩ ،
٣٠١ ، ٣٠٥ ، ٣٦١ ،	شورية ٣١٩	شربش ٧٣ ، ١٢٣ ، ١٣٤ ، ٢٠٧ ،
طريانه ٢١٩	شوشيل ١٢٥	٢٢١ ، ٢٢٨ ، ٣٠٩ ،
طريف ٢٢	(ص)	ششله ٣٩٧
طريق الزنجيار ١٣٤	صاع ٦٩	شطور ٨٨
طريق لورة ١٣٤	صالحه ٢٩٥	شمراء القوارير ٥٤
طريق الوادي ١٣٤	سان اسقيان ٢٢٢	شقرش ٧٧
طشان ٧٣	صدف ١٣٤ ، ١٣٥ ،	شقر ٧٦
طليبة ٥٣ ، ٧٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٤ ،	الصفاينان ٢٧١	شعه ٢٧١
٢٩٣	الصفحة ٦٢	شقند ٢٢٤
طلمكنه ٢٠٥ ، ٣٠٥ ، ٣٠٩ ، ٣١٢ ،	صقلبه ٢٥ ، ١٨٥ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ،	شقورة ٧٦ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ٢٩٦ ،
٢٢٠	صنعا ٢٤٣	شلبوه ١٢٢
طلوزه ٣٠٥ ، ٣٣٠ ،	صنم حياقيه ١٥٩	شلب ٤٥ ، ٥٢ ، ٥٨ ، ٧٧ ، ٨٧ ،
طليطم ٣٦٣	صنم قادس ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ،	٨٨ ، ٢٠٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٦٠ ،
طليطة ٤٠ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٣ ، ٥٤ ،	٢٣٥ ، ٢٣٤ ، ٢٠٧	٢١٣ ، ٤٦٦ ،
٧٠ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ،	سور ١٨٥ ، ٣١٦ ،	شلطيش ٨٦ ، ٢٩٤ ،
١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٤٥ ، ١٦٣ ،	الصيرة ١٢٣	شليم الثلج ٣٠
١٧١ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٨١ ، ١٨٢ ،	(ط)	شتت اردم ٣١٩
١٨٧ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ،	طالعة ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٩٨ ، ٢١٥ ،	شتتيري ٤٠ ، ٤٥٢ ، ٤٦٠ ،
٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٠٩ ، ٢٢٦ ، ٢٢٢ ،	طبرشانه ١١٧	شتت بيطر ٨٣
٢٢٩ ، ٢٤٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ،	طبرقه ٥٤	شتتيرين ٤٠ ، ٤١ ، ٥٢ ، ٥٨ ،
٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٣٠٠ ،	طبيرة ٥٨ ، ٨٦ ، ٣٠٠ ،	٧٨ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٨٢ ،
٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١٣ ،	طرجاله ٧٥	١٩٣ ، ٢٠١ ، ٢١١ ، ٢٦٨ ،
٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣٢٠ ، ٣٤٤ ،		شنترة ٤٥ ، ٥٤ ، ٧٨ ، ٢٠٣ ،
٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٦٠ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ،		

فرغاره ٢٣٠	فاليشيا ٣٢، ٢٣٠	٣٧٠، ٣٦٩، ٣٦٨، ٣٦٧، ٣٦٦
فرنجلوش ١٣٥	فانه ٦٥	٣٧٥، ٣٧٤، ٣٧٣، ٣٧٢، ٣٧١
فريره ٤٠، ٧٥	الفر ٥٤	٣٨١، ٣٨٠، ٣٧٨، ٣٧٧، ٣٧٦
فريس ٤٠	غرغيرة ٥١	٣٨٦، ٣٨٥، ٣٨٤، ٣٨٣، ٣٨٢
القساط ٢٤٢	غرناطة ١٤، ٢٣، ٣٠، ٣١، ٣٩، ٣٣	٣٩٣، ٣٩٢، ٣٩١، ٣٩٠، ٣٨٧
الفساط ١٢٣	١٢٨، ١٢٦، ١٢٤، ١٢٢، ٧٥	٣٩٩، ٣٩٨، ٣٩٧، ٣٩٦، ٣٩٥
الفقر ٧٧	١٥٢، ١٤٧، ١٣٣، ١٣٠، ١٢٩	٤٠٩، ٤٠٦، ٤٠٣، ٤٠١، ٤٠٠
الفلجة ٤٠	١٩٠، ١٨٩، ١٨٨، ١٥٥، ١٥٤	٤١٨، ٤١٥، ٤١٤، ٤١٣، ٤١١
فلسطين ٤٠	٢١٥، ٢١٤، ٢١١، ٢٠٥، ٢٠٠	٤٢٣، ٤٢٢، ٤٢١، ٤٢٠، ٤١٩
الفنت ٧٧، ١٠٤	٢٣٨، ٢٣٣، ٢٢٧، ٢٢٦، ٢٢٤	٤٣٠، ٤٢٨، ٤٢٦، ٤٢٥، ٤٢٤
١١٦	٢٩٠، ٢٧٦، ٢٧٠، ٢٦٨، ٢٥٠	٤٣٧، ٤٣٦، ٤٣٥، ٢٣٤، ٤٣٣
الفدون ١١٣	٢٩٦، ٢٩٥، ٢٩٤، ٢٩٣، ٢٩١	٤٤٢، ٤٤١، ٤٤٠، ٤٣٩، ٤٣٨
الفوميز ٧٩، ١٠٣	٣١٣، ٣٠٩، ٣٠٨، ٢٩٨، ٢٩٧	٤٤٧، ٤٤٦، ٤٤٥، ٤٤٤، ٤٤٣
فوترايين ٣٦	٣٨١، ٣٥١، ٣٤٨، ٣٤٥، ٣١٦	٤٥٣، ٤٥٢، ٤٥١، ٤٥٠، ٤٤٨
فيتورية ٢٣٠	٤٥٠، ٤٤٥، ٤٣٠، ٣٩٩، ٣٨٢	٤٥٩، ٤٥٨، ٤٥٧، ٤٥٦، ٤٥٥
فيسانه ٨٤	٤٥٤	٤٦٤، ٤٦٣، ٤٦٢، ٤٦١، ٤٦٠
فيما ٢٨٢	غرنية ٣٣١	٤٦٩، ٨٦٨، ٤٦٧، ٤٦٦، ٤٦٥
فينستير ٣٦	علسانه ٨٤	٤٧١، ٤٧٠
فيلابه ٢٤٢	غمدان ١٩٤	ملنجه ٢٥، ٦٣، ٦٥، ٦٦، ٦٧
	عوتارية ٢٣٠	١٤٩، ١٩٠، ١٨٤، ٣١٢
	غوطه بالنسية ٣١	ملوروزلاس ٢٤٠
	غوطه دمشق ٣١	(ظ)
	الغيران ١٣٤	ظراكونه ٨٢، ٨٣
	غيشة ألقى ٧٨	(ع)
	غيبوسكوه ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٤	عبله ١٢٥
	٢٢٧، ٢٢٩	عذرة ١٢١
(ق)	(ف)	عساوكة ٨٤
قابطه ابن اسود ١١٤	فاس ٦٧، ٦٨، ١٥٥، ٢٤٢	المطوف ٨٣
قادس ١٧، ١٤٧	٢٧٤، ٢٦٨	عقبه أيشه ١٠٨
قاعة الاسود ٣٥١	فانداليا ٣٣	عقبه شقر ١١٨
قات ٢٦٨، ٢٧٠	فته ٧٧	علحكس ٥٥، ٤٥
القاهرة ٢٤٢	فج ابن لقيط ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠	عين الدمع ٢١٤
قبتور ٨٣، ١١٧	فخص بلاطه ٩٨	(غ)
قبرة ٤٠، ٧٤، ١٣١، ٢٠٥، ٢٣٥	فخص البلوط ٤٠	غادرة ١١٦
قبرس ٢٥، ٣٥١	فخص عبله ١٢٥، ١٢٦	خائق ٤٧، ٧٧، ٢٠٥
قبطال ٨٣، ١١٧	الفخر ٤٠	
القدس الشريف ١٦٩	فرساي ٣٦٢	
قوت ٦٧	فرضة محاة ٥٣	
قرسيس ٢٦٨، ٢٧٠		
قرطاجنة ٥٦، ٧٥، ٧٦، ١١١، ١١٢		
١١٣، ١١٤، ١٦٣، ٢٠٨، ٢٠٩		
٢٥٢		

(۳۲-ج اول)

قوله ٢٢٠	كنيسة سان جوان التمامة ٤٣٤	كنيسة طلمنكة ٢٦٢
قويمرة ٤٠	» سان سربين ٣٠٥	» طليطلة ٤٢٥ ، ٤٢٩
القيروان ٢٣٥ ، ٢٧١	» سان سفونديو ٢٤٢	» القراب ٥٨ ، ٧٠ ، ٨٧ ، ٨٨
(ك)	كنيسة سان سلفادور ٢٤١	» غرناطة ٤٣٠
كارانزا ٢٢٢	» سان سليفانو ٤٣٨	» لورنزو ٢٥٥
الكامبو ٢٢٤	» سافوتومو ٤٣٤	» مارد ١٦٩
كلونية ٣٠ ، ٣١ ، ٣٠٦ ، ٣١٢	» سنت فليس ٢٧٥	» ماريا البيضاء ٤٢٢
» ٣١٤ ، ٣٤٩	» سان فيسيت ٢٤٢	» مالة ٣٠٩
كندة ٨٠ ، ١٠٩	» سان قرشويل ٤٣٨	» مرسية ٢١٠
كرتش ١٨١	» ساتو كريستو ٤٣٧	» مسيح الور ٤٦٤
كرط ٦٩	» سان لورنزه ٤٣٨	كنيس اليهود بطلي له ٤٢٠
كركويه ٥٣	» سانتا ماريه نارنكو ٣٠٥ ،	كهف مرقل ٤٢٢
كريت ٢٥	٢٢٩ ، ٢٠٩	كورنيه ٣٠٥
كستيلو ٢٣٠	» سانتا مريه المدلية ٤٣٨ ، ٢٢٩	كوغواودو ٣١٠
كشالي ٨٠	» سان ميكال ٢٦٢	كونسكة ٧٦ ، ١١٥ ، ١١٦
كش ٢٧١	» سان ياقولا ٢٣٥	كوكو ٢٤٣
كنيسة آبله ٣٠٦ ، ٢٥١	» سانت ياقو ٣٠٥ ، ٣٠٦ ،	كيتانا بالا ٢٢٢
كنيسة انتورقه ٣٠٦	٢٢٤ ، ٢٢٤	(ل)
كنيسة أتيبليه ٣٠٦ ، ٤٢٩	» سان يشته ٤٣٨	لايورد ٢٢٧ ، ٢٢٥
كنيسة انيوم شتوروم ٤٢٠	» سرقسطه ٣١٠	لارده ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٧٩ ، ١٠٦ ،
كنيس الانتقال لليهود ٤٣٤	» السيدة العفرا ٢٤٦	٣٠٥ ، ٣٦٥ ، ٣٠٦ ، ١٠٧ ، ١٨٠
كنيسة باليسو ٣١١	» سيدة المدينة ٢٥٣	لاغرجه ٢٦٢
كنيسة برشلونه ٣٠٦ ، ٢١٢	» شت إوج ٤٣٠	لاميفو ٤١
كنيسة برغش ٣٠٥ ، ٢٢٤ ، ٢٣٥	» شت روال ٢٩٦	ابله ٤٠ ، ٤١ ، ٧٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ،
كنيسة بلد الوليد ٢٣٨	» شنه قلميه ٢٨٩	٤١١ ، ٢٦٩ ، ٢٠٨ ، ٢٠٧ ، ١٨٠
كنيسة ببلونه ٣٠٦	» شات لوقاديه ٣٧٠ ، ٤١٢ ،	لبيرة ٢٧١
كنيسة جيان ٣٠٩	٤٣٨ ، ٤٣١ ، ٤١٩ ، ٤١٦	لشبونه ٥٢ ، ٧٨ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ١٠٤ ،
كنيسة سان اشقان ٢٥٣	» شت مارتين ٤٠٦ ، ٤١٢	لقت ١١١ ، ١١٢
» سان اطلون ٤٣٨	» شت مريه ٢٨٦ ، ٢٩٢ ،	لورقه ٣١ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ١١٣ ، ١١٧ ،
» سان ايزيدور ٣٠٥ ، ٤٣٨	٢٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٨ ، ٤٠٠ ،	١١٨ ، ١٦٣ ، ١٨٠ ، ٢٠٩ ، ٢٠٦ ،
» سان بابلو ٢٢٩	٤٠١ ، ٤٠٥ ، ٤٠٩ ، ٤١٢ ،	٤٠٨
» سان بدر ٢٤١	٤١٥ ، ٤١٧ ، ٤٢٥	لورة ١٣٤ ، ١٣٥
» سان بطرو ٢٣١	» شت ياقوب ٧٠	لوزان ٤٢٤
» سانت نيتو ٣٠٦ ، ٤٣٤	» شات يناس ٢٩٦	لوشة ١٢٩ ، ١٨٩ ، ٢٠٥ ،
» سان جوان الملوك ٤٣٠ ،	» شت يوالش ٢٨٩ ، ٤١٧	لوكوني ٢١٩
٤٣١ ، ٤٣٢	» طركونه ٣١٠ ، ٣١١	

١٢٩، ١٢٥، ١٢٤، ١٢٠، ١١٩، ١٩١، ١٨٩، ١٧٩، ١٤٧، ١٤٥، ٢٢٢، ٢٠٥، ٢٠٤، ٢٠٣، ٢٠٢ ٢٢٢، ٢٢٨، ٢٢٨، ٢٠١، ٢٨٤، ٢١٦ مرية بليش ١٢٣ المزعة ٦٣، ٦٩، ١٤٧ المساجد ٨٣، ١١٧ مسجد أقليش ١٩٨ المسجد الأقصى ٣٠٦ مسجد ابن طولون ٣٠٦ المسجد الحرام ٣٠٧ مسجد الزاهر ١٩٧ مسجد طليطلة ٢٠٨ مسجد قرطبة ٣٠٤، ٣٠٧، ١٩٣، ٣ مستقام ٦٣ مهر ٤٠، ٤٦، ٥٦، ١٠٣، ١٢٣، ١٢٨، ١٨٢، ١٤٨، ١٩٧، ٢٧١، ٢٦٩، ٢٠٤، ٢٧٢، ٢٧٤، ٣٠٧ المدن ٥٢ مقام ٥٤ مقبرة الملوك ٣٥٧ مكتبة مجريط ٣٥٢ المكتبة الوطنية ٣١١ مكتبة ٥٣، ٧٩، ١٠٠، ١٠٧ ملاعب الثيران ٣١٤ ملعب مريبطر ٢٣٤ ملقون ٥٣ ملية ٦٣، ٦٩ منار الاسكندرية ٩٠ منارة اشيلية ٣٠٨ منزه راميرو ٨٠ منزه طراكونه ٨٣ منزه النخل ٧٣ منقشه ٢٧٠، ٢٦٨	مدرسة سان غريغوريو ٢٢٩ مدلين ٥٢، ٧٨ المدور ١١٧، ٢٠٥ مدينة ابن السليم ٧٣، ٨٤ المدينة البيضاء ١٠٦ مدينة سالم ٤٠، ٥٤، ١٠٢، ١٠٤، ٢٠٧، ٢٧١، ٤٤٢، ٤٦٦ مدينة غالب ٥٤ مدينة الفتح ٤٦٠ مدينة الفرج ٤٦، ٤٦٦ مدينة القلة ٣٠٩ مدينة وليد ٤٦٦ مراد ٥١ مراكش ٢١٧، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٤٢، ٣٠٠ مرباطر ٤٠، ٧٦، ١٠٩، ٣٠١ مربله ٧٤، ٧٥، ١٢٥، ١٣٠ مرتفعات ديتند ٢٩ مرسية ٣١، ٣٦، ٤٥، ٤٦، ٥٣، ٥٥، ٧٦، ١١٠، ١١٢، ١١٤، ١١٦، ١١٨، ١٧١، ٢٠٦، ٢٢٢، ٢١٢، ٢٠٦، ٢٠٤، ٢١٦، ٣١١، ٢٩٨، ٢٩٦، ٢٦٨ ٣٥٤، ٣٤٥، ٣١٨ مرسى البيرة ١٢١ مرسى الشجرة ٨٢ مرسى طبرشانه ٨٣ مرسى القروج ١٢١ مرسى قاندر ٣٦ مرسى القنت ٧٩ مرشانه ٤٠٤ مرطيلة ٢٧١ مروريه ٤٠، ٨٠ مرو ١٤٩ المرية ٤٢، ٤٥، ٤٦، ٥٣، ٥٦، ٧٠، ٧٤، ٧٥، ١١٤، ١١٧، ١١٨	لينط ٣٥٢ ليسكتصاد ٧٤ ليكنيتو ٢٣٠ ليون ٢٢، ٤٥، ٤٨، ١٨١، ٣٠٥، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٧، ٢٥١، ٢٤٧، ٢٢٧، ٢٢٨ (م) المائدة ٢٦٨ مارتش ٢٦٨، ٢٧٠ مارتله ٧٧ ماردة ٤٠، ٤١، ٤٧، ٥٢، ٧٨، ٨٩، ٩٩، ٩٠، ١٠٠، ١٤٧، ١٧٢، ١٧٨، ١٨٧، ١٩٨، ٢٠٧، ٣٠٩، ٣٠٤ المازان ٢٣٤ ماسنة ٦٧ مالطه ١٨٥ مالقة ٣٠، ٣١، ٢٣، ٤٠، ٤١، ٤٥، ٥٥، ٥٦، ٧٤، ٨٢، ١٢٠، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٩، ١٣٠، ١٤٥، ١٤٧، ١٨٠، ١٩٢، ١٩٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢١٢، ٢١٦، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٦٠، ٢٦٨، ٢٧١، ٢٩٥، ٣٠٩، ٣١٦، ٣٤٥ متحف البرادو ٣٥٠ مجريط ٧٩، ١٠٣، ٣١١، ٣١٢، ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٣٥، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٦، ٣٨٢، ٤٠٤، ٤٣٢ مخاضة البلاط ٥٣، ١٠٠، ١٠٤ المدائن ٨٤ ٣٢٩، ٣٠٩، ٣٠٠، ٣٠١
---	--	---

نهر مزانارس ٣١٩	نهر أريسه ٣٦١	المنكب ٧٥ ، ١٢٢ ، ١٢٩ ، ٢٠٥
➤ الملاحة ١٢٣	➤ أشميلية ٢٦٠ ، ٥٨	المنصف ٢١٨
➤ ملبال ١٣٥ ، ١٣٦	➤ الاودر ٢٢	منية ابن أبي طر ٢١٧
➤ ملوية ٧٠	➤ أوروله ٢٣٠	المنية ٦٤
➤ منديق ٩٢	➤ أوربة ٢٣٠	موتريكو ٢٣١
➤ ميل ١٢٢	➤ برماط ٨٤ ، ٨٢	مورون ٤٠ ، ٤١
➤ مينو ٢٨	➤ بسبورق ٢٣٨ ، ٢١٩	موزاراب ٣٦٤ ، ٣٦٦
➤ وادي الايار ٣٠	➤ بكة ٨٣	مونير ٣٩٧
➤ يان ٢٨٠ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٩ ، ٣١٩	➤ بلون ١٢٨	مولة ٧٦
نيسابور ٢٧٣	➤ بيداسيو ٢٢٨	ميراندة ٢٣٠
(ه)	➤ تاجه ٢٨ ، ٢٩ ، ٩٢ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٤	الميريتا الايريه ٣٠
هارو ٤١	➤ ٢٠١ ، ٢٦٢ ، ٢١٩ ، ٢٦٢ ، ٣٦٨	ميندا كا ٢٣١
هضاب غريديوس ٢٩	➤ ٢٧٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩	ميسطه ٢١٩
هضاب وادي لب ٢٩	➤ ٤٢١ ، ٤٢٣ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٤٣	مبورقة ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢
هداي ٢٢٨	٤٤٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩	(ن)
هين ٦٣ ، ٦٩ ، ١٤٧	➤ الجوفي ٣١٨	نارجه ٢١٥ ، ٢١٦
ميطل ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧١	➤ حدر ١٢٩ ، ٢١٥	ناشرة ١٨٠
ميكل الزهرة ٦٠ ، ٧٠ ، ٢١٦	➤ جلق ١٨١	ناصح ١٣٦
ميكل المريح ٣٠٤	➤ دورو ٢٨	ناقاس ماولوز ٤٦٣
	نهر زاروره ٢٣٠	ناكرونة ٤٠
(و)	نهر نرقيون ٢٣١ ، ٢٣٢	نبار ٢٧ ، ٣٠٦ ، ٣١٠ ، ٣١٢
وادي أبره ٤١ ، ١٦٣ ، ٢١٨	➤ الرينون ١٠٦	٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٣٢٥
➤ آش ٣١ ، ٥٤ ، ٧٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧	➤ سفدر ٦٥ ، ٦٦	٢٢٧ ، ٢٤٩
➤ ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢٠٥	➤ شقر ٣٠ ، ٩٠ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ٣١٩	نجدة ١١٦
٢٩٤	➤ شقوريه ٣٠	ندرومة ٦٩
➤ ارش ٢٤٢	➤ شيل ١٢٩ ، ١٢٣ ، ١٨٨ ، ١٨٩	نربونة ١٦٦
➤ يداسو ٢٢٩	➤ طليطله ٩٢	نشتاله ٢٢٣
➤ بلقيس ٣٠	➤ المسل ٨١	نشوز شوربة ٢٩
➤ بير ١١٣	➤ الفيستول ٣٢	نفزة ٤٠ ، ٤٧
➤ تاجه ٥٤	➤ قرطلة ٨٥ ، ١١٦ ، ١٢٨ ، ١٣٥	نكور ٦٣
➤ الحجارة ٤٠ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٤	١٩٩	نهر أبره ٢٧ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨
➤ ٧٩ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ٢٧١ ، ٢٠٥	➤ لاردة ١٨١	٢٣٠ ، ٢٣٣
➤ ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣٢٠ ، ٣٢٣ ، ٣٤٤	➤ لكس ٦٦	النهر الايض ١١١ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١١٧
٤٦٣ ، ٣٤٥	➤ مارده ٨٦	نهر أنة ١٤٦
➤ دورو ٢٢٣	➤ مرسة ١١١ ، ١١٧	➤ أرلنسون ٢٢٤
➤ النوره ٢٩	➤ المري ٣٠	

ومران ٢٥٣،٢٥١،٧٠،٦٣	وبذة ٤٠٤	د الرمان ١٣٦ ، ٢٧٠
(ى)	وبذي ١١٦	د الرمل ٢٥٩،٢٤٣
يابرة ٢٠٧،٧٨،٥٢	ود ١٢٦	د زلقطو ١٦٠
يابسة ٢٧١	الوردانية ٦٩	د شنورينة ٣١
يانه ١٠٨،٩٩	وريوالة ١١١	د طبرنش ٢٠٤
يبرة ١٨١	وسكة ٤٥	د عبد الله ٢٧٠،٢٦٨
بيورة ٨٨	وشقة ٤٠،٤١،٤٢، ٧٩ ، ١٠٦ ،	د عذراء ١٩١
يسانه ٧٤	٤٥٧،٣٠٥،٢٠٧	الراى السكبر ٥١،٢٩
يلاق ٢٧١	ولبة ٨٦،٨٥	واى مالقة ٣٠
يليش ٩٩	ولجة ٧٧	د النسا ٨٠
	ولدين سريى ٢٧٥	د واى يانه ٥٨،٢٩

تم فهرس الاماكن والبلاد والحمد لله



الخطأ والصواب الواقع في الجزء الأول

من الحلل السندسية في الاخبار الأندلسية

الصواب	الخطأ	سطر	صفحة
سها م غير حظاء	سها م غير خطاء	١٦ ^٤	٥٠
ها	وها	١٦	٦
قفشات	قفششت	١٤	٨
العناصر الغرية	العناصر العربية	٢٢	٢٥
الكتلونيون	الكتكلونيون	٢٢	٢٦
و الميزيتا	و الميزيتا	١٧	٢٨
نشوز	نشوذ	٦	٢٩
الستيون	السلتون	١٢	٣٤
Lisbonne	sisbonne	١٩	٣٦
درايزن	دوريزين	٥	٣٧
réunissent	réuniment	٢١	٣٧
نواحي	في حوالى	١٦	٣٩
الهمداني	الهمداني	١٦	٣٩
في أكثرهم	من أكثرهم	٢٠	٤٢
إغراء	أغراء	٢٠	٤٣
ابن سعيد	بن سعيد	١٢	٤٤
سلاع	قلاع	٦	٤٦
Verdun	Verdune	٢٢	٤٦
مقدود	مقدّ	٢	٤٧
خمس عشرة دقيقة	خمسة عشر دقيقة	٤	٥٠
فرسا فارها أو بزدونا هجينا	فرس فاره أو بزدون هجين	١٠	٥٠
عن يقبض رزقه	فن يقبض رزقه	١٣	٥٠
murcie	marcie	١١	٥٥

الخطا	الصفحة	الخطا	الصفحة
أزلية	٦٩	أزلية	٩
البلوطيين	٧٧	البلوطيين	١١
المجتازين	٨٧	المجتازون	١٧
١٢٧٦	٩٠	١٨٧٦	٢٣
جوبي	٩٤	جنوبي	٢٧
ما بين	٩٥	(قرب) ما بين	٣
شالطيش	٩٥	شاليش	١٥
باتفاق	١١٥	بإتقان	٣
ثلاث	١١٥	ثلاثة	٦
(ولا تزال عادة	١١٥	ولا تزال عادة	١٢
إلى يومنا هذا)	١١٦	إلى يومنا هذا	١
رجار	١١٩	دجار	١٨
خمس ^٥	١٢٢	خمسة	١٢
أتقان	١٤١	إتقان	١٢
نحوا من	١٤٧	نحو من	٨
نشك	١٥٦	لشك	٢
L'islam	١٥٦	L'islam	٢٥
درر	١٥٨	در	٣
اليونانيين	١٥٨	اليونانيين	٨
متمهن	١٧٢	متمهن	٣
الصفير	١٧٨	الصفير	٢٠
الاشبونة	١٨٠	الاشبلونة	٦
ولدنا	١٩٩	والدنا	١٥
و Vargass	١٩٩	Vargass	١٧
Baena	٢٠٥	Baossa	٩

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٢٠٦	١٨	القهوات	الفوهات
٢١٤	١٢	القلبية	القلعية
١٢٥	٦	يجب هنا وضع رقم ٣ على جبل شلير ووضع رقم ٢ على قوله « مائتان وسبعون قرية »	
٢٣٢	٢	شنت ياقور	شنت ياقو
٢٤٨	١٤	فاذردت	فاذردت
٢٦٤	٨	الى بعد	اي بعد
٢٦٥	١٣	عن ايدي	عما بايدي
٢٦٥	١٣	الالس	الاندلس
٢٧١	١٥	الصفانيان	الصفانيان
٢٧١	١٠	ولا يأخذونه على	ولا يأخذون به
٢٩٩	١٥	محمد بن عبد الله	محمد بن عبد الله
٣١٩	١٨	الاراضين	الارضين
٣٢٠	٥	قولة Cuenla	قونكة
٣٤٤	٢٥	ابن الحاج	ابن حماد
٣٥٢	٢٠	موقعة	واقعة
٣٥٣	١٩	المملكة	المكتبة
٣٥٦	٩	تحصله	تحصيله
٣٦٥	٢٢	وردفها	ورد فيها
٣٦٩	٥	ذكرى	ز كرى
٣٧٢	٤	المأحونية	المأمونية
٣٧٩	٢٤	الغرايلية	الفرايلية
٣٧٩	٢٧	و على	و الى
٤٣٦	١	خمسة دقائق	خمس دقائق
٤٤١	٩	حامل رأسه	حاقة رأسه

تَارِيخُ ابْنِ خَلْدُون

المُسَمَّى بِكِتَابِ الْعَبَرِ وَدِيَوَانِ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ

فِي أَيَّامِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَالْبَرْبَرِ وَمِنْ عَصَرِهِمْ مِنْ ذِي السُّلْطَانِ الْأَكْبَرِ

ابن خلدون : هو حجة التاريخ العربي ، وإمام فلسفته ، وواضع علم الاجتماع الانساني والعمران على غير مثال . أطلعت سماء تونس الحضراء سنة ثنتين وثلاثين وسبعائة كوكبا متألقي النور في العالم العربي كله ، تفرد بعقليته ، وتوحد بصقريته قطع التاريخ العربي بطابع ثابت من عقله الحكيم ، وذوقه السليم ، فلم يكن في شبة من سفة أو لحقه من المؤرخين في سرد التاريخ وقائع ، وروايته أعلاما ودولا وسنين ومواقع ؛ بل أرسل عليه من هديه ودقة خبرته وقوة تفكيره وسعة اطلاعه ، أشعة ساطعة تكشف عن دقائقه في ثنايا المبالغة والابهام ، وتبين عن حقائقه في أثناء الحوادث الجسام ، وتجرد هذه الحقائق من غواشيها ، ثم تجلوها ناصعة كأنه رآها وسأيرها ، بل كأنه دارحها وعاصرها

مزينة تلك ، بل مزايا مجتمعة . بنى عايبا ابن خلدون مقدمته ، ثم كتابه « العبر » فجاء مصدراً للتحقيقات العلمية للتاريخ ومرآة صافية تلوح فيها دول الاسلام كل دولة في زمانها ، وكل أمة بأخيلة أعيانها ، وسياسة كل عصر مفعونها وأفنانها ، وتقلبها ودوراتها

وقد كان كتاب « العبر » في كل زمن حجة المؤرخين وبخاصة من الأوربيين الذين آمنوا بأنهم من المؤلف بازاء عقل جبار دقيق الوزن للحوادث ، دقيق التقدير للأقدار ، مستندا في إثبات ما يثبت ونقي ما ينفي وتضعيف ما يضيف على أقيسة من التاريخ نفسه . فهم إليه يرجعون في تحقيق بحوثهم العمرانية والاجتماعية والتاريخية ، وعليه يعملون في تحقيق جغرافية الممالك والأقاليم ، وصغار المدن وكبارها .

طبعة ابن خلدون الجديدة : وقد كانت طبعته القديمة كما تشهد على نفسها بنفسها فائضة بصنوف من الهنات والمفوات ، مردها إلى عبث النساخ وجهالاتهم . ولكننا لحسن الحظ حصلنا

على صورة مصبوبة من نسخة بخط المؤلف نفسه وقد كان أهداها إلى سلطان المغرب في عصره
موقع الاهداء . بامضائه . وبقيت منذ ذلك العهد مصونة في خزانة الكتب القروية بفاس ؛
حتى أذنت لنا وزارة مولاي السلطان سيدي محمد ملك المغرب أعزه الله بالمراجعة عليها اطيحها
وتعميم نفعها : ما عدا المجلد الأول فقد أخذنا نسخته عن مخطوطة الشنقيطي المحفوظة بدار
الكتب المصرية ، وبما يجدر ذكره أننا عثرنا فيها على زيادة تبلغ نحو ٦٠ صفحة موقفا من
الطبعة القديمة صفحة ٢٢ من المجلد الثالث .

: فكان من هذا المجهود الشاق صورة كاملة نادرة المثال ، كما راجعناه على
الأجزاء الموجودة من نسخة المرحوم أحمد تيمور باشا والمرحوم أحمد ركي باشا بدار الكتب
ولم نشأ أن نطبع الطبعة الجديدة مكتعين بدقة التصحيح على نسخة المؤلف كما قدمنا ، بل
أردنا أن يكون لهذه الطبعة مزايا على الطبعة القديمة أسرها الدقة والتصحيح ، فوكلنا ذلك إلى
لجنة علمية من الأستاذين الكبيرين السيدين محمد علال الفاسي ، وعبد العزيز بن إدريس بالمغرب ،
فعلينا بتصحيح الأصول وضبط الأعلام والتعليق عليها ، وتعمير مواضع البياض الموجودة بالأصل ،
والاعتماد على مختلف المراجع العلمية في التصحيح والتنقيح . وإلى أمير البيان ، ونحز كتاب
المرية في هذا الزمان ، الأمير شكيب أرسلان فعلق عليها أو في تعليق خرجت به النسخة أصح
صحة وأجل جالا ، وأنتم تماما . وبخاصة في الجزء الشامل لمبدأ تاريخ الدولة العثمانية فقد آتي في
تعايقاته على هذا الجزء بمعلومات دقيقة كانت صدره خزائنها . وعلمه الواسع جميعتها .
وقد نفضل حضرة الأستاذ الكبير أحمد أمين بك بكتابة مقدمة هذه الطبعة .

وقد امتازت هذه الطبعة بوضع عدة فهارس لها مرنية على حروف الهجاء ، غنى بترتيبها
وتنسيقها الأستاذ محمد عبد الحواد الأصمى افندى الموظف بدار الكتب المصرية
وستخرج هذه المجموعة من الكنوز التاريخية في أربعة عشر جزءاً تباعاً كل جزء منها
يقع في قرابة ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط والورق المصقول .

الاشتراك قبل الطبع وبعده : وقد جعلنا قيمة الاشتراك في كل جزء أثناء الطبع ، ولدة

أربعين يوماً داخل القطر وستين يوماً في الخارج منذ اليوم ١٥ قرشاً مع ثلاثة قروش اجرة
البريد داخل القطر وأن يدفع المشترك قيمة جزئين ثلاثين قرشاً صاعاً مع اجرة البريد ، فإذا
وصله جزءان اتان أرسل ثلاثين قرشاً ثمن الجزئين التاليين وهكذا يرسل في كل مرة ثمن جزئين
وقد باشرنا طبع «تعليقات» الأمير شكيب أرسلان على الجزء الأول في مجلد مستقل في نحو
٥٥٠ صفحة ، وكذلك باشرنا طبع الجزء الثاني من تاريخ ابن خلدون وسيصدران بعد شهر واحد
إن شاء الله وسيكون ثمن كل جزء بعد الطبع عشرين قرشاً صاعاً وقد تم طبع الاول وهو الآن
تحت طلب من ينتخبه محرراً في أول اكتوبر سنة ١٩٣٩ محمد المهدي الحبابي بوسطة النورية

آخری درج شدہ تاریخ پر یہ کتاب مستعار
لی گئی تھی، مقررہ مدت سے زیادہ رکھنے کی
صورت میں ایک آنہ نو، یہ دیرا نہ لیا جائے گا۔

۱۔ در کتب میں "مجلس" کا لفظ استعمال کیا گیا ہے۔
 ۲۔ اساتذہ کرام نے اس کتاب کو "مجلس" ہی میں لکھا ہے۔
 ۳۔ مجلس کا لفظ عربی ہے اور اس کا معنی ہے اجتماع۔
 ۴۔ اس کتاب میں "مجلس" کا لفظ استعمال کیا گیا ہے۔
 ۵۔ اس کتاب میں "مجلس" کا لفظ استعمال کیا گیا ہے۔
 ۶۔ اس کتاب میں "مجلس" کا لفظ استعمال کیا گیا ہے۔
 ۷۔ اس کتاب میں "مجلس" کا لفظ استعمال کیا گیا ہے۔
 ۸۔ اس کتاب میں "مجلس" کا لفظ استعمال کیا گیا ہے۔
 ۹۔ اس کتاب میں "مجلس" کا لفظ استعمال کیا گیا ہے۔
 ۱۰۔ اس کتاب میں "مجلس" کا لفظ استعمال کیا گیا ہے۔